رماح حزب الرحيم
على نُحُورِ حزب الرجيم

تأليف

الشيخ الإمام سيدي
عمر بن سعيد الفوتي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فهرس كتاب

مقدّمة: في ذكر بعض الأمور التي تزيد في الإيمان.

فصول الجزء الأوّل.

1.في إعلامهم أن الإجابة عن أهل الله والذبّ عنهم، ونصرهم على من ينتقصهم، ويريد شينهم بالإنكار عليهم وعلى من ينتسب إليهم، واجب على كل عالم متدين، وأنّ له فيه أجرا عظيما، وأنه لا يردّ إلاّ من أراد الله أن يطفئ نوره، ويعدم النفع بعلمه وبمؤلفاته إن كان من أهل التأليف لسوء أدبه

2.في ترغيب الإخوان في الإنتساب إلى أولياء الله، والتعلق بهم وبمحبتهم وخدمتهم ونحوهما.

3.في إعلامهم أن الإعتقاد في أهل الله، وتصديق ما يبرز منهم من العلوم والمعارف، والتسليم لهم ومحبتهم وِلايَة.

4.في بيان بعض الحجب التي تمنع الناس عن معرفة أوليائه ليتنبه لها العاقل فيخرقها كلها، ويصل إلى معرفتهم، وبمعرفتهم يصل إليهم، وبالوصول إليهم يصل إلى الله، وهو غاية المطلوب.

5.في إعلامهم أن زهد الكمل ليس هو بِخُلُوّ اليدين من الدنيا، وإنما هو بِخلوّ القلب، ولا يتحقق لهم كمال المقام إلاّ بزهدهم فيها في أيديهم، وتحت تصريفهم، من غير حائل يحول بينهم وبينه. وإعلامهم أن إيثار الزهد مع خلو اليد ربما يكون لعلة الفقد، أو الضعف والعجز عن الطلب، وأن من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجردا عن الدنيا بالكلية، وأن من لا كسب له والناس ينفقون عليه فهو من جنس النساء، وليس له في الرجولية نصيب.

6.في تحذيرهم وتنفيرهم عن الإنكار على واحد من سادتنا الأولياء ومعاداتهم، والإعلام بأنه هو عين الهلاك في الدنيا والعقبى.

7.في تحذيرهم من الإنكار على الناس إنكار الحرام في الأمور التي اختلف العلماء في حكمها.

8.في إعلامهم أن الله تعالى لم يوجب على أحد التزام مذهب معين من مذاهب المجتهدين، وأن كل واحد من أئمة هذه الأمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين تبرّأ من ادعاء وجوب اتباعه هو وحده في كل مسألة من مسائل الدين دون غيره من الأئمة، لعلمهم بأن الإتباع العام لا يجب إلاّ للمعصوم.

9.في إعلامهم أن الإنكار لا يجوز على الحقيقة إلا لمن أحاط بعلم الشريعة، وفائدة إعلامهم به أن يحترزوا على الإنكار العام، ويقتصروا على ما صرح الكتاب والسنة وإجماع الأمة به إيجابا

وتحريما.

10.في إعلامهم أن الولى المفتوح عليه لا يتقيد بمذهب معين من مذاهب المجتهدين، بل يدور مع الحق عند الله تعالى أينما دار.

11.في إعلامهم أن العلماء متّفقون على الحث على الخروج من الخلاف بإتقاء مواضعه.

12.في إعلامهم أنه يجب على كل عاقل يريد تخليص نفسه من الرذائل النفسانية والشيطانية الردية عاجلا وآجلا، طلب شيخ مرشد، متبحر في العلوم، عارف بالعيوب والعلل، ناصح، فيلقي إليه القياد، يتبع أوامره ولا يخالفه في شيء ما.

13.في إعلامهم أنه لا يصل السالك الناسك إلى حضرة الله تعالى، وحضرات صفاته وأسمائه، ولو جمع علوم الأولين، وصحب طوائف الناس، وعبد عبادة الثقلين، إلا على يَدَيْ أصحاب الإذن الخاص.

14.في إعلامهم أنه يجب على كل من تعلق به التلاميذ والمريدون لطلب التربية والإرشاد والتعلم، إذا مَنّ الله عليه بوجود من هو أعلم وأكمل منه، أن ينسلخ عنه ويتبع ـ هو وهم ـ ذلك الأعلم والأكمل.

15.في إعلامهم أن المريد إذا تصدّرللمشيخة، وأراد أن يكون له مريد قبل خمود بشريته وفطامه على يد شيخ، فإنه محجوب محب للرياسة لم يجيء منه شيء.

16.في إعلامهم أن أول قدم يضعه المريد على هذه الطريق الصدق.

17.في إعلامهم أن الوليّ لا يُعرف، ولا يُصحب، ولا يُحب، ولا يُخدم إلاّ الله، ومن كان كذلك انتفع به دنيا وأخرى ولو بعد حين، ومَن لا، فَلاَ، ولو صحبه أعواما ودهورا، ولو كان قطبا، بل عطبه أقرب إليه من شراك نعله.

18.في إعلامهم أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته، وأن مبايعته كمبايعة النبي ﷺ لكونه نائبا عن النبي ﷺ.

19.في تحذيرهم من مخالفة الشيخ بعدم امتثال أوامره حاضرا كان أو غائبا، والإعتراض عليه سرا وجهرا.

20.في تحذيرهم من قصد الكشوفات الكونية والكرامات العيانية، وإعلامهم أن طريقتنا هذه طريقة شكر ومحبة، وأهلها لا يشتغلون بالتشوق إلى كل ما يشغل عن الله، ولا يلتفتون إلى

الكشوفات الكونية. فلأجل كونهم محبوبين لا يحصل لهم شيء منها إلاّ نادرا، بل المحبوبون منهم لا يحصل لهم شيء من ذلك لئلا يركنوا إليه فيجد الشيطان سبيلا إلى إغوائهم وإضلالهم، فيُرِيهم من الأباطيل ما يكون استدراجا لهم كما يقع لكثير ممن ركن إلى ذلك فَضَلّ وأضَلّ، وهلك وأهلك، نعوذ بالله من الخسران.

حتى إذا أراد الله تعالى أن يفتح عليهم بفضله، يفتح على شخص من غير شعور منه فتحا يحصل به على سعادة الدارين، جعلنا الله منهم بفضله، آمين.

21.في تحذيرهم من الإشتغال بالوقائع، والركون إليها، والتشوق إلى حصولها، وإعلامهم بأن المريد الذي لم ير شيئا، ولم ير في واقعه، ليس بأقلّ مرتبة ممن رأى ويرى، بل أفضل.

22.في إعلامهم بأنه لا بد لكل مريد صادق أن يقتصر على قدوة واحدة و، لا يلتجئ إلى غيره، ولا يزور واحدا من الأولياء الأحياء والأموات.

23.في إعلامهم بأن الوالد المعنوي ـ الذي هو الشيخ ـ أرفع رتبة، وأولى بالبر والتوقير، وأحق رعاية، وآكد دراية، وأقرب حسبا، وأوصل سببا، من الوالد الحسّي.

24.في بيان فضل الذكر مطلقا وفوائده، والحث عليه والترغيب فيه، من تَعَرُّضٍ للإجتماع له، والجهر به، وغيره.

25.في الترغيب في الإجتماع للذكر، والجهر به، والحضّ عليه، والإعلام بأنه مما ينبغي التمسك به لفضله، والرد على من ينكر على الذاكرين جماعة لجهله بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

26.في ذكر أصل تلقين الأذكار.

27.في إعلامهم أن الذكر المعتبر عند أهل الله تعالى، الذي يكون به الفتح والوصول إلى الله تعالى، هو المأخوذ بالإذن والتلقين من شيخ واصل تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية، لا ما يأخذه الإنسان بنفسه.

28.في ذكر سندنا في هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية.

29.في إعلامهم أنّ سيدي مُحَمَّد الغالي ﷺ صرّح لي مشافهة بأنّي خليفة من خلفاء الشيخ ﷺ وأرضاه وعنّا به، من المقدّمين.

30.في إعلامهم بأن الله تعالى مَنَّ عليَّ بمعرفة اسمه العظيم الأعظم الكبير للتحدث بالنعمة.

31.في إعلامهم أنّ الأولياء يرون النبي ﷺ يقظة، وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد

بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي هو عليها.

32.في ذكر شرائط طريقتنا الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية، والرد على من ينكر شيئا منها.

33.في بيان الأذكار اللازمة في الطريقة التجانية.

34.في ذكر بعض أذكار الطريقة غير اللازمة التي يعطى بعضها بالإذن والتقين للخواص من أهل الطريقة دون العوام منهم، وبعضها لا يؤذن فيه إلا لخواص الخواص منهم.

المقدّمة

في ذكر بعض الأمور التي تزيد في الإيمان.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّه إلى سواء الطريق، قال في الإبريز:

وسمعته، يعني القطب عبد العزيز بن مسعود ﷺ، يعدّ الأمور التي تزيد في الإيمان فقال رضي الله تعالى عنه: منها زيارة القبور، ومنها الصدقة لله تعالى خالصة، ومنها التحرّز عن الأَيْمان الحانثة، ومنها غضّ البصر عن العورات والنظر إليها، ومنها التغافل عن معاصي الناس، لأن من ينظر في

معاصي الناس ويتتبعها قد يبتليه الله بالوسواس بأن ينعم الله على العاصي، ويديم عليه النعمة، ويجزل له العطية، فيقول الناظر إلى معصيته كأن هذا إنما أدرك هذه النعمة بمعصيته، فيوسوس له الشيطان في المعصية حتى يقع فيها، أو

يوَسْوِسُه على وجه آخر فيقول كيف أنعم عليه ربه وهو يعصيه وحرمك وأنت تطيعه، ما هذا مقتضى الحكمة، إلى غير ذلك من الوساوس الباطلة أعاذنا الله منها

قلت: وهذا الكلام يشير إلى الآفة التي في مخالطة العصاة التي ذكرها صاحب الابريز حين سأل شيخه المذكور سابقا عن كلام الشيخ الحطاب، وكلام الشيخ المواق رحمهما الله تعالى، لمّا اختلفا في دخول الحمام مع مكشوفين لا يستترون، فقال الشيخ الحطاب: يحرم الدخول، ويجب التيمم إن خاف من الماء البارد، وقال الشيخ المواق: يدخل ويستتر ويغض عينه ولا حرج عليه.

ثم قال إن شيخه رضي الله تعالى عنه أجاب:

بأن الصواب مع الشيخ الحطاب، وأما ماذكره الشيخ المواق ففيه آفة مع فرض التستر، محترزا إلى الغاية، وفارّاً من النظر في عورة غيره إلى النهاية، وهي أن المعاصي، ومخالفة أوامر الله تعالى لا تكون إلا مع الظلام الذي بيْنَه وبين جهنم خيوط واتصالات، فجعل الظلام له كالسقي من جهنم بسببها، ولا أحد أعرف بذلك من ملائكة الله تعالى، فإذا اجتمع قوم تحت سقف بحمام مثلا على معصية، وظهرت المعصية من جميعهم، عمّ الظلام ذلك الموضع فتنفر الملائكة عنه، وإذا نفرت جاء الشيطان وجنوده

فعمروا الموضع، فتصير أنوار إيمانهم حينئذ كالمصابيح جاءتها الرياح العاصفة من كل مكان، فترى نورها مرة يذهب إلى هذه الجهة ومرة إلى هذه الجهة، ومرة ينعكس إلى الأسفل حتى تقول أنه انطفى واضمحلّ، ولهذا كانت المعاصي بريد الكفر والعياذ بالله. فإذا كان الحمام وأهله على الحالة التي وصفنا، وفرضنا رجلا خيِّرا ديّنا فاضلا متحرزا جاء ودخله واستتر، فإنه يقع لنور إيمانه اضطراب بالظلام الذي وجده في ذلك الحمام، لأنّ ذلك الظلام ضد للإيمان، فتضطرب ملائكته لذلك أيضا فتطمع فيه الشياطين وتصل إليه، وتشَهّى إليه النظر

في العورة وتغويه، فلا يزال معهم في قتال، وَهُمْ يقوُون عليه وهويضعف بين أيديهم، حتى يستحسن الشهوة، ويستلذ النظر للعورة، نسأل الله السلامة. ولو فرضنا جماعة يشربون الخمر ويستلذون به، ويظهرون المعاصي التي تكون معه ويفحشون فيها، ولا يحترزون من أحد ولا

يخشونه، ثم فرضنا رجلا جاءهم وفي يده دلائل الخيرات، فجلس بينهم وجعل يقرؤها، وطال معهم الجلوس، وجلس معهم اليوم على آخره وهو على قراءته وهم على معاصيهم، فإنه لا يذهب عليه الليل والنهار حتى ينقلب إليهم، يرجع من جملتهم، للعلة التي ذكرناها.

ولهذا نُهِيَ عن الإجتماع مع أهل الفسق والعصيان لأن الدم والشهوة فينا وفيهم إلا من رحم الله وقليل ماهم ثم قال: ومنها تعظيم العلماء الذين هم حملة الشريعة رضي الله تعالى عنهم.

فتعظيمهم يزيد في الإيمان جعلنا الله من الذين يعرفون قدرهم. قال ﷺ وأرغبَ عنه: ولو علم العامة قدر العلماء عند الله عزوجل ما تركوهم يمشون على الأرض، ولَتَنَاوَبَ أهل كل حومة العَالِمَ الذي فيهم وحملوه على أعناقهم أه.

قلت: ومنها أمور ذكرها شيخنا رضي الله تعالى عنه أن من أراد أن يلين قلبه فليلازمها، وإنما قلْتُ أنها تزيد في الإيمان كونها تلين القلب، ولا يلين القلب إلا بزيادة الإيمان، قال تعالى: إنما المومنون الذين إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (1)، وهي:

كثرة ذكر الموت مع التوبة الكاملة، وتقصير الأمل باستحضار الموت عند كل نفس، ومراقبة الله عزوجل عند كل حركة وسكون بالقلب واللسان والأركان، ونفي الغضب مطلقا إلا أن يتحقق لله عزوجل، ونفي الحقد على المسلمين مطلقا من عدو وصديق والنصيحة لهم، والزهد في الدنيا والفرار من جميع وجوه الرياسة وجميع أسبابها، وترك ما لا يعني من قول وعمل، ودوام الصمت إلاّ من ذكر الله عز وجل، وكثرة الحزن من أمر الآخرة، والبعد عن المزاح وأهله، والبعد عن الغيبة وأهلها، والتحفظ من مجالسة من لا تسلم مجالسته من دقائق الغيبة، وترك الفرح بالحظوظ العاجلة، وترك الحزن من فقدها، والإنتباه واليقظة من سِنَةِ الغفلة بذكر الله عز وجل وطول التفكر في الموت والقبر وسائر أهواله إلى يوم القيامة، وطول التفكر في يوم القيامة وضروب أهوالها ومواطنها، والتفكر في دركات جهنم وسائر أنواع عذابها، والتفكر في الجنة وسائر أنواع نعيمها، والعزلة عن مخالطة الناس جملة وتفصيلا إلا من يستعان به على أمر الدين كتلقي الأحكام الشرعية، والتذكير والوعظ والسلوك، وعدم الإصغاء لحديث الناس وترك مجالستهم، وصحبة الصالحين الذين يعينون على طريق الآخرة ويحضون عليها، وإلاّ فالعزلة أولى إن لم يوجدوا، وأكل الحلال بقدر الإمكان الأعلى فالاعلى، وملازمة الجوع والعطش باالتوسط، من

غير إفراط ولا تفريط، ودوام السهر والتوسط، من غير إفراط ولا تفريط، وترك مناولة الشهوات جملة وتفصيلا إلا أن يجب لضرورة لا بد منها، وترك حديث القلب في كل شيء إلا في ذكر الله عزوجل، وكثرة ذكر الله عزوجل، وعداوة النفس بعدم التعويل عليها، وترك السعي في حظوظها وعدم الإنتصار لها والانتصاف منها.

ثم ذَكَرَ رضي الله تعالى عنه خمسة أمور، مَنْ فَعَلَها يهديه الله إليه وإلى طريقه، ولا شك أنها أيضا تزيد في الإيمان:

أولها: الإيمان بالله الإيمان الكامل، قال الله تعالى: وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ o (2) وقال: وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ (3)

ثانيها: الإنابة إلى الله عزوجل بالإقبال عليه دواما، والإعراض عن كل ما سواه، قال الله o تعالى: وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (4)

ثالثها: مجاهدة النفس على طاعة الله عزوجل باجتناب نواهيه وترييضها عن أوصافها حتي o تجيب إلى الأوصاف الحميدة وإقامتها لله عزوجل على مايريده، قال الله عزوجل: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (5)

رابعها: إتباعه ﷺ في كل قول وعمل وحركة وسكون، قال الله تعالى: وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ o (6)

خامسها: الإعتصام بالله عزوجل، قال الله تعالى: وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ o مُسْتَقِيمٍ (7).

ثم ذكر أمورا تمنع أن يكون للشيطان سبيل على العبد، فلا شك أنها أيضا تزيد في الإيمان، لأنّ مَنْ حِيلَ بينه وبين الشيطان يزداد إيمانه، وهي:

تصحيح العبودية لله عزّ وجلّ، والإخلاص والإستعاذة بالله عزّ وجلّ عند الإحساس بشره، وتصحيح الإيمان والتوكل على الله عزوجل، قال الله تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (8)، وقال تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان (9)، وقال تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ (10)،

وقال: إلا عبادك منهم المخلصين. (11)

ثم ذكر رضي الله تعالى عنه ثلاث أمور لمن أراد المحبة من الله عزوجل، ولا شك أنّ ما يوجب محبة الله للعبد يزيد إيمانا.

أَوَّلُها: محبة العبد ربه سبحانه وتعالى، قال: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ. (12)o

ثانيها: إتباعه ﷺ في كل حركة وسكون، وقول وعمل وحال، قال تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ o اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ (13) الآية.

ثالثها: الطهارة الكاملة من كل ما سوى الله عز وجل ظاهرا و باطنا، قال تعالى: وَاللَّهُ يُحِبُّ o الْمُطَّهِّرِينَ (14) أهـ.

قلت: وجملة ماذكر هنا من الخصال التي تزيد في الإيمان خمسة وخمسون خصلة، فجاءت بحمد الله مطابقة عدد فصول هذا الكتاب من غير قصد مِنّي، وإنما هي موافَقة إلهية ولله الحمد.

تتمة

من أراد صلاح أعماله واستقامته مع الله عز وجل فلا يتكلم إلا في ضروریاته وما يعنيه، قال تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (15)، واعلم أن الزهد في الدنيا يورّث العلم من غير تعلّم، والهدى بغير هداية، والعزّ من غير عشيرة، والغِنَى من غير مال، قال ﷺ: "من أراد الله أن يأتيه العلم من غير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا"، وقال ﷺ: "إذا زهد العبد في الدنيا ورّثه الله ثلاث خصال عزا من غير

عشيرة وغنى من غير مال وعلما من غير تعلم." قلت: والخامس من فوائد الزهد محبة الله تعالى للزاهد، قال ﷺ للذي سأله عن عمل يحبه الله عليه ويحبه الناس، فقال ﷺ: "إزهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ومن أراد أن يكون الله معه في كل شيء فهو في أموره"، قال الله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (16)، وقال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (17)، وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (18) أهـ.

والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة الأنفال، الآية 2.

2.سورة الحجّ، الآية 54.

3.سورة التغابن، الآية 11.

4.سورة الشورى، الآية 13.

5.سورة العنكبوت، الآية 69.

6.سورة الأعراف، الآية 158.

7.سورة آل عمران، الآية 101.

8.سورة النحل، الآية 99.

9.سورة الإسراء، الآية 65.

10.سورة الأعراف، الآية 200.

11.سورة ص، الآية 83.

12.سورة المائدة، الآية 54.

13.سورة آل عمران، الآية 31.

14.سورة التوبة، الآية 108.

15.سورة الأحزاب، الآيتان 70، 71.

16.سورة التوبة، الآية 36.

17.سورة النحل، الآية 128.

18.سورة البقرة، الآية 153.

الفصل الأوّل

في إعلام الإخوان أن الإجابة عن أهل الله، والذبّ عنهم، ونصرهم على من يتنقصهم ويريد شينهم بالإنكار عليهم وعلى من ينتسب إليهم، واجب على كل عالم متدين، وأن له فيه أجرا عظيما، وأنهم لا يرد عليهم إلا من أراد الله أن يطفئ نوره، ويعدم النفع بعلمه وبمؤلفاته إن كان من أهل التأليف لسوء أدبه.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم أن مقصودنا الأعظم في تأليف هذا الكتاب المبارك الذبّ عن أعراض أولياء الله ومن انتسب إليهم ممن أراد الله إسعادهم، والرّد على من ينكر عليهم ممن أراد الله شقاوتهم وطردهم وإبعادهم، لأن الله قد أمرنا بذلك، وأمرنا به رسول الله ﷺ.

قال سبحانه وتعالى: وتعاونوا على البر والتقوى (1)، ولا معاونة على التقوى أعظم من نصر العلماء العارفين بالله، لأن مَن نصَرَهم فقد نصر الله ومن نصر الله ينصره، ومن خذلهم قد خان الله ورسوله، ولهذا المعنى قال بعض الفضلاء من أهل الله تعالى:

من لم ير العالم المقبولا ... بالحق خان الله والرسولا

إذ نصره من نصره تعالى ... وخذله يشوش الجهالا

وإذا كان نصرهم من نصر الله، فلا شك من نَصَرَهُم يَنْصُرُه الله تعالى، قال تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ (2)، وقال: وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ (3)، وقال: وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (4). وإذا كان خذلانهم خيانة الله ورسوله، فلا شك في أنه حرام، وأنه يكون سببا للطّرد والبعد عن رحمة الله دنيا وأخرى، قال تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (5)،

لأنه قد ثبت أن عدم نصرهم خيانة الله والرسول، وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (6)، قال المفسرون: معناه أن الذين يؤذون أولياء الله، ولا شك أن الإنكار والإعتراض عليهم إذاية لهم.

روى الإمام أحمد بإسناد حسن مرفوعا: "من ذبّ عن عرض أخيه في الغيبة كان حقّا على الله أن يعتقه من النار"، وروى الترمذي مرفوعا: "مَن ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجه النار يوم القيامة"، وفي رواية "ثم تلا رسول الله ﷺ وَكَانَ حَقًّا

عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (7)"، وروى أبو داود وغيره مرفوعا: "من حمى مؤمنا من منافق آذاه بعث ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم"، وروى ابن أبي الدنيا موقوفا: "من نصر أخاه المسلم في الغيبة نصره الله في الدنيا والآخرة"، وروى أبو داود مرفوعا: "ما من مسلم يخذل مسلما في موضع ينتهك فيه من حرامته وينتقص فيه من عرضه إلاّ خذله الله تعالى في موضع يحب فيه

نصرته وما من مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلاّ نصره الله تعالى في موطن يحبّ فيه نصرته"

قال الشيخ الشعراني في البحر المورود:

أُخِذَ علينا العهد أن نجيب على أئمة الدين من العلماء والصوفية جهدنا، ولا نصغى أبدا لقول من طعن فيهم لعلمنا أنه ما طعن فيهم إلا وهو قاصرا عن معرفة مداركم.

ثم إن الراد عليهم لا بد أن يطفئ الله نوره، ويعدم النفع بمؤلفاته لسوء أدبه مع من جعلهم الله تعالى قدوة لعباده إلى يوم القيامة.

وقال:

واعلم يا أخي أنه لم يبلغنا قط أن أحدا من العلماء العاملين أنه تصدى للرد عن أحد من أئمة الإسلام، بل ينتخبون لهم الأجوبة الحسنة جهدهم، كما صنع الشيخ جلال الدين المحلي في شرحه منهاج الإمام النووي رحمه الله تعالى، فيجعل كلام المؤلف على أحسن الأحوال من غير إظهار لتوريد الإعتراض عليه ولا نعقّب، حتى إنّ غالب طلبة العلم لا يشعرون بالجواب عن النووي. فرضى الله عن أهل الأدب والإنصاف

، إلى أن قال:

وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول إذا بلغك عن شخص أنه أخطأ في مسألة فاجتمع به، وأعرض عليه ذلك الخطأ، فإن أنكره فصدقه، فلا يجوز لك نسبة ذلك إليه بعد ذلك، وإن لم تجتمع به فاحمل كلامه على سبعين محملا، فإن لم تقتنع نفسك بذلك فارجع إليها باللوم وقل لها يحتمل كلام أخيك سبعين محملا ولا تحمليه على واحد منها أه.

قال الشعراني:

فاعلم أنه لا يجوز لنا الحط على واحد من أقراننا بمجرد كلام نفسه عنه، بل نتربص ونتثبت ونجتمع بهم ونراسلهم، وننظر جواب أمرهم، فإما أن يعترف وإما أن ينكر، فإن اعترف بذلك عرفنا وجه الصواب الذي أراده، فإن رضيَ به العلماء قلنا به، وإن لم يرضوه وأنكروه جملة، نظرنا في أمره، فإن رجع عنه ترضينا لرجوعه، وإن صمم على الخطأ فهنالك يجوز لنا إشاعة ذلك الكلام عنه شفقة منا عليه وعلى من يتبعه، لا بغضا له وتشفيّا على وجه العداوة النفسية.

وهذا الأمر قَلَّ من يفعله الآن من الناس، فإن غالب الأقران قد عمّهم الحسد وكثرة الضغائن،

لا يكادون أبدا يتثبتون في كلام سمعوه عن أحد من أقرانهم وأهل عصرهم، وذلك خوفا منه أن يتبين ذلك الكلام كذبا عنه فلا يحصل لهم غرضهم من الأذى لذلك الشخص، فهذا سبب ترك تثبتهم. وقد صار أكثر ما يسمع الإنسان بهذا الزمان الكذب من قلة الورع عن الخوض في أعراض الناس أهـ.

وقال أحمد بن المبارك في الإبريز

وهذه طريقة المنكرين وعادتهم، لا تجد معهم إلا التقصير التام. وقد وقع لبعض أكابر الفقهاء من أشياخنا رضي الله تعالى عنهم كلام معي في هذا المعنى، قال لي يوما: يا فلان إني أردت نصيحتك لمحبتي فيك، وتمام مودتي إليك، فقلت: يا سيدي حبا وكرامة وعلى الرأس والعين، فقال لي: الناس كلهم على طرف وأنت وحدك على طرف، في رجل علمت كشفه وولايته، الناس فيه على الإنتقاد وأنت فيه على الإعتقاد، ومن المحال أن تكون وحدك على الحق، ذَكَرَ كلاماً مِنْ هذا المعنى هذه زبدته، فقلت: يا سيدي من تمام نصيحتك لي أن تجيبني عما أذكره لك، فإن أجبتني عنه تمت النصيحة وكان أجرك على الله، فقال: أذكر ما شئت، فقلت: يا سيدي ألقيتم الرجل وسمعتم كلامه وتباحثتم معه في أمر من الأمور حتى ظهر لكم ما عليه الناس فيه، فقال: ما لقيته قط ولا رأيته أصلا، فقلت له، وقد طرحت الحياء والحشمة لما بيني وبينه من الألفة والمودة: يا سيدي ما ظهر لي فيكم إلا أنكم عكستم الصواب، وطلبتم اليقين في باطن لا يمكن فيه اليقين، واكتفيتم في باب اليقين بالظن، بل بالشك، بل بالإفك والباطل، فقال لي: فسّر لي مرادك بهذا الكلام، فقلت: إنكم إذا أخذتم في تدريس الفقه، ونقل لكم كلام على المدونة أو تبصرة اللخمي أو بيان ابن رشد أو جواهر ابن شاس ونحوها من دواوين الفقه، وأمكنتكم مراجعة هذه الأصول، فإنكم لا تثقون بنقل الواسطة حتى تنظروها بأنفسكم ولو كانت الواسطة مثل ابن مرزوق والحطاب وصاحب التوضيح ونحوهم، فهذا باب الظن، وكأنكم طلبتم فيه اليقين حيث لم تكتفوا فيه بنقل العدول الثقات الأثبات حتى باشرتم الأمر بأنفسكم، ولا يمكنكم اليقين فيه أبدا وإنما عارضتم ظن أقوى بظن أضعف منه، فإنّ نقل الواسطة السابقة أقرب منا إليهم إلى الصواب من جهة قرب زمانها إلى مؤلف الكتب السابقة

فإنهم أقرب إليهم منا بلا ريب، ومن جهة أن النسخ التي عند الواسطة من هذه الأصول مروية بطريق من طرق الروايات، وأما نحن فلا رواة عندنا فيها ولا نسخ صحيحة منها، فمن الجائز أن

تكون نسختكم منها زادت أو نقصت، فبأي يقين ترد نقل الحطاب عنها مع وجود هذين الأمرين فيه وفقدهما فيك. وأما أنكم اكتفيتم بالظن في باب اليقين الذي يمكن فيه فإن هذا الرجل الذي بلغك عنه ما بلغ موجود حيّ حاضر معك في المدينة، ليس بينك وبينه مسافة، ومعرفته سعادة لا شقاوة بعدها إن وفق الله لمحبته وإلقاء القياد إليه، وقد أمكنك الوصول إليه حتى تعتقد فتسعد وتربح، أو تنتقد فترجع ويحصل لك اليقين بأحد الأمرين، وتزول ظلمة الشك من قلبك. ثم إنك قنعت في هذا الأمر الرابح والخير الراجح الذي نفعه محقق وصاحبه موفق بنقل الفسقة والكذبة،وكان من عادتك أنك لا تقنع في باب الظن والنفع القليل بنقل الثقات الأثبات حتى تباشر الأمر بنفسك، فهلاّ جريت على ذلك في هذا الباب الذي هو باب اليقين والنفع الذي هو سعادة محضة، أليس هذا منكم رضي الله تعالى عنكم عكسا للصواب.

فقال رضي الله تعالى عنه: قطعتني بالحجة، والله ما يمكننا الجواب عن هذا أبدا، واشهد عليّ بأني تائب إلى الله. ثم قال الشيخ ﷺ . سيدي أحمد بن المبارك المذكور .: إن كان ولا بدّ لكم من التقليد فقلدوني لأمرين، أحدهما أنك تعلم بصيرتي في الأشياء، ثانيهما أنك تعلم أني خالطت الرجل المذكور سنين كثيرة حتى علمت منه ما لم يعلمه غيري، وأما هؤلاء الكذبة الفسقة فأكثرهم لم يقلد مثلكم، وإنما اعتمادهم على التسامع الذي لا أصل له، وسببه الحرمان والخذلان، فنسأل الله تعالى التوفيق بمنه وفضله، فقال: فما تقول

شيئا آخر، ثم لقيني فقيه آخر من أشياخ الفقيه االمتقدم، فقال لي: ذكر لي فلان عنكم حجة قاطعة لكل منازع، ثم التفت إلى الفقيه المذكور فقال: ألم تخبرني أن فلانا قال لك كيت وكيت، فقال: نعم، ثم قال: بهذا الكلام قطعت ظهرنا

ثم قال أحمد بن المبارك:

وهذان الفقيهان هما رأس الطبقة من أهل العصر، بحيث أنه لا يجاريهما أحد في وقتهما، وأما من دونهما من أهل الإنكار فأكثرهم يعتمدون على التسامع الذي لا أصل له كما سبق، وأكيسهم الذي يعتمد في إنكاره على قوله: كنا نعرف سيدي فلانا ولم يكن كهذا، يعني أن الرجل المنكر عليه

ليس كسيدي فلان، ولم يدر أن الزهر ألوان، والنخل صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون

ثم قال:

وقد دخلت مع الشيخ رضي الله تعالى عنه إلى بستان في فصل الربيع، فنظر إلى اختلاف أزهاره وأنواره ساعة ثم رفع رأسه إليّ وقال: من أراد أن يعرف اختلاف الأولياء وتباينهم في المقامات والأحوال، مع كونهم على هدى وصواب وحلاوتهم في قلوب الناس، فلينظر إلى اختلاف هذه الأنوار والأزهار مع حلاوتها في القلوب، فإن كان قوله أن سيدي فلانا الذي عرفناه لم يكن كهذا حصر الرحمة من الله في

الولي الذي عرفه فقد حجر واسعا، ولما قال الأعرابي الذي بال في المسجد اللهم ارحمني وارحم مُحَمَّدا ولا ترحم معنا أحدا، قال له ﷺ لقد حجرت واسعا، وإن كان قوله ذلك ظنا منه أن كل مرحوم لا يكون الا مثل الذي عرفه، لقد سبق أنهم رضي الله تعالى عنهم على أصناف شتى، وأيضا فهو مشترك الإلزام فإن هذا الإعتراض لازم في الولي الذي عرفه، فإنه لم يكن مثل الولي الذي كان قبله، فإن اعترض على الثالث بأنه ليس مثل الثاني، إعترض على الثاني بأنه ليس مثل الأول

ثم قال:

وإنما أطلت في هذا الباب، وذكرت هذه المناظرات التي وقعت لنا من الفقها ء رضي الله تعالى عنهم، حرصا على وصول الخير إلى طائفة الفقهاء وطلبة العلم، ومحبتي فيهم ونصحي لهم، فإنهم أقبلوا بالإنكار على السادة الأبرار الأخيار الأطهار، في سائر القرون والأعصار، في جميع البوادي والقرى والأمصار، وإنكارهم لايخرج عن هذا الذي ذكرناه في هذا الباب، فمن كان منهم منصفا، وتأمل ما سطرناه فيه، رجع وظهر له ولا ح وجه الصواب

قال:

وكثيرا ما كنت أتعرض لمناظرة الفقهاء لهذا الباب ظنّاً منى أنهم يعتمدون في إنكارهم على أمور صحيحة، فلما اختبرتهم وجدت الأمر على ما وصفته لك والله الهادي الصواب

ثم قال الشيخ الشعراني في البحر المورود:

واعلم أنه قد يضع العالم في مؤلفه شيئا، أو يقرره في تدريسه، ثم يرجع عنه بعد ذلك أو في المجلس، فلا ينبغي لمتدين نسبته إليه حتى يراجعه فيه وينظر ما عنده ذلك الوقت من العلم، وقد عمل في هذا الباب خلق كثير فأشاعوا عن بعض المؤلفين أشياء رجعوا عنها، وحرفوا عليهم

أشياءَ هُم متبرؤن منها، وقد وقع لي ذلك في عدة
من المسائل، ودارت في مصر مدة، ومر العمل بها وأنّي لا أعلم ولا أشعر بها
. وقال في شهية السماع:
ومنه ـ أي ومن الأدب الذي يحصل للمتصف به جميع خصال الخير ـ الفرار من تضعيف أقوال الأئمة بمبادئ الرأي أهـ
وقال في كشف القناع:
وذلك لما فيه من سوء الأدب معهم، ومن كلام سيدي عليّ الخواص من كمال الفقير أن يحمل كلام الأكابر على أحسن المحامل لخروجهم عن مقام التلبيس والرعونات النفسانية، وإن عجز عن الجواب عنهم في قول قالوه أو فعل فعلوه فليسلم لهم وليكُف عن الإنكار، لأن منازعهم دقيقة على أمثالنا، لا سيما الأئمة

المجتهدين وكبراء مقلديهم.وأنَّ لأمثالنا أن يتصدى لرد كلامهم. وطلب جماعة من الشيخ أبي المواهب الشاذلي أن يقرؤوا عليه في الفقه على مذهب الشافعي فأجابهم. وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا فحجب عن ذلك، فلما رآه ﷺ قال: يارسول الله ماذنبي، قال: قراءتك في الفقه، قال: أليس هو من شريعتك، قال: بلى، ولكن يحتاج إلى أدب مع الأئمة أهـ
. وقد تصدى شخص للرد على الإمام أبي حنيفة، وعمل في ذلك كراسة وأتى بها إلى سيدي عبد الوهاب الشعراني يعرضها عليه، فقال:
فطردته ولم أصغ إلى قوله، ففارقني، فوقع من سلم بيته، وكان عاليا، فانكسر صلبه وخرج زروركه عن موضعه. فهو إلى الآن يبول ويتغوط على نفسه. وقد أرسل لي مرات أن أدعوا له فلم أفعل أدبا مع الإمام أبي حنيفة أن أوالى من أساء الأدب معه. فإياك وتضعيف أقوال الأئمة بمبادئ الرأي إذا خالفوا مذهبك من غير معرفة أدلتهم وما فهموه من الحكمة، وشاهدوه من الأسرارا هـ
وفي لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية:
أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نحسد أحدا من خلق الله، ولا نتمنى له زوال ما أعطاه الله من علم وجاه أو كثرة اعتقاد فيه أو نحو ذلك من الأمور االدينية اوالدنيوية، هروبا من رائحة الإعتراض على الله تعالى وخوف مقتنا وطردنا ولعننا كما وقع لإبليس، فإن جميع ما

وقع له كان أصله الحسد لآدم عليه السلام كما صرحت به الآيات والأخبار. فمن حسد العلماء والصالحين لا يستبعد أن يقع له ما وقع لإبليس.

وفي كلام سيدي علي بن وفا رحمه الله: كن للأولياء خادما إما لترحم أو لتغنم أو لتسلم، وإياك أن تكون لهم حاسدا فإنه لا بد لك أن ترجم وتلعن وتطرد ولو على ممر الأيام، وإن كان لك مؤلفات أو تلامذة عدمتَ النفع بها وبهم

قال:

وبالجملة فجميع ما يطلبه العبد لإخوانه من خير أو شر يجازيه الله به هذا ضابطه أهـ.

قلت: ولا يخفاك أنه لا يحمل بعض الجهلة الأغبياء من الطلبة المدعين مرتبة العلماء المتبحرين، مع أنهم يعقبون بالبلادة وسوء الفهم وعدم زيادة العلم ما بلغوا مرتبة المتعلم، على الرد على الأولياء والعلماء إلا سوء الأدب الناشئ من الحسد والحرمان، نسأل الله السلامة والعافية. فلا شك أنهم يعاقبون بالبلادة وسوء الفهم، وعدم زيادة العلم، وقساوة القلب وجمود العين، وعدم العمل بما علم، والجهل المركب وتزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم ليحسبوا أنهم على شيء ويموتوا على ذلك، وحينئذ يعلمون أنهم ليسوا بشيء، والذي أداه إلى

ذلك سوء الأدب مع الأولياء والعلماء بالرد عليهم حسدا من عند أنفسهم لإرادة إطفاء نور الإسلام، وكمد المسلمين، كما قال تعالى: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. (8)

وفي لواقح الأنوار القدسية:

واعلم يا أخي أنه لا ينبغي لمقلد الإمام أن يسمى في جماعة الإمام لآخر خصوصا، كقوله أن قال الخضم كذا قلنا كذا، فإن حسن الأدب في اللفظ من أخلاق العلماء االعاملين.

وقد اطلعني إنسان مرة على كتاب في الرد على أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، فرأيت في تلك الليلة في واقعةٍ الإمامَ أبا حنيفة قد تسوّر نحو ستين ذراعا في السماء، وله نور كنور الشمس، وأجد ذلك للذي رد عليه اتجاهه يشبهه الناموسة السوداء. أهـ.

قال:

وإذا كان إمامنا الشافعي يقول الناس كلهم عيال في الفقه على أبي حنيفة، فكيف يسوغ لأمثالنا أن يتصدى للرد عليه.

هذا فوق الجنون بطبقات، فقد قال تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ (9)، فأمر الله تعالى بإقامة الدين لا بأضجاعه بالتكبر عن أئمته. وهذا الأمر قد فشا في مقلدي المذاهب، فترى كل إنسان يدحض حجة غيره حتى لا يكاد يبقى له تمسك بكتاب ولا سنة، وذلك من أقبح الخصال.

وإنما كان اللائق بهم الجواب على الأئمة إمّا بعدم اطلاعهم على ذلك الدليل الذي ظفر به الراد عليهم، وإما بأن لذلك المجتهد منزعا في الإستنباط من وجوه قواعد العربية يخفى على أمثالنا أهـ.

وفي حاشية الشيخ العدوي على شرح الخرشي، عند قول المصنف: وما كان من الخطأ أصلحوه بالتنبية في الشرح والحاشية:

إعلم أن التنبية في حاشية على الخطأ أو النقص إنما يكون من أهل الكمال، على أن اتهامهم أنفسهم أولى بهم، وأما أهل الغباوة، وخصوصا أهل الزمان، فالواجب عليهم السكوت كما أفاد ذلك أهل العرفان ممن تقدم في غابر الأزمان أهـ.

وفي شرح الدرديري على المختصر في هذا المحمل:

والحذر من قلة الأدب، كأن يقال هذا خطأ أو كذب أو كلام فاسد لا معنى له، فإن قلة الأدب مع أئمة الدين لا تفيد إلا الوبال على صاحبها دنيا وأخرى. أهـ.

وفي العهود المحمدية:

وكان سيدي علي المرصفى يقول: ما قطع أهل الجدال عن الوصول إلى مقامات الأولياء وكراماتهم إلا دعواهم أنهم أعلم بالله منهم، وخوفهم على علمهم الذي هو رياستهم أن ينسى حين يتبعون طريق الفقراء، وهي خديعة من النفس والشيطان، فإن الفقراء لا يزيدونهم إلا علما إلى علمهم، وجلاء لقلوبهم، وحضورا في عبادتهم. وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول: وهل ثم طريق غير ما فهمناه من الكتاب والسنة، وينفي طريق القوم.

ولما اجتمع بسيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ، وأخذ الورد عنه، صار يقول ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدم إلا الصوفية. قال: ومما يدلك على ذلك، ما يقع على أحدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شيء منها على غيرهم. وكذلك بلغنا عن الغزالي قبل اجتماعه بشيخه البار عناني رحمه الله تعالى.

وقال في موضع آخر:

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكرياء يقول: كل فقيه لا يجتمع بالقوم فهو كالخبز بلا إدام.

وسمعت سيدنا عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكمل طالب العلم إلا بالإجتماع مع أحد من أشياخ الطريق ليخرجه من رعونات النفوس، ومن حضرات تلبيس النفوس، ومن لم يجتمع مع أهل الطريق فمن لا زمه التلبيس غالبا ودعوى العمل بلا علم، وكل من نسبه إلى قلة العمل أقام له الأدلة التي لا تمشي عند الله، ومن شك في قولي هذا فليجرب. أهـ.

وإذا فهمت جميع ما تقدم، عرفت أنه لا يلزم من الرد على أهل الله فساد قولهم في نفس الأمر.

قال في العهود المحمدية:

أن رد العلماء على الصوفية هو لرقة مدارك الصوفية عليهم لا غير، فلا يلزم من الردعليهم فساد قولهم في نفس الأمر

كما قال الغزالي:

كنا ننكر على القوم أمورا حتى وجدنا الحق معهم، قال تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ (10)، وقال تعالى: وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11) أهـ.

ومما يؤيد قول الإمام الغزالي، قول أبي القاسم الجنيد:

كان عندي وقفة في قولهم يبلغ الذاكر في الذكر إلى حد لو ضرب بالسيف لم يحس إلى أن وجد الأمر كما قالوا. أهـ

وقال الشيخ أحمد زروق في قواعده:

إنكار المنكر إما أن يستند لاجتهاد، أو لحسم ذريعة، أو لعدم التحقيق، أو ضعف الفهم، أو لقصور العلم، أو لجهل المناط، أو لانبهام البساط، أو لوجود العناد. فعلامة الكل الرجوع للحق عند تعينه إلا الأخير، فإنه لا يقبل ما ظهر، ولا تنضبط دعواه، ولا يصحبه اعتدال في أمره. أهـ.

ثم اعلم أن علم الفقه علم شريف نافع، إلا أنّ التوقف معه مع وجود الإنكار يضر صاحبه ضررا عظيما كما تقدم.

ولذلك قال الشيخ زروق في قواعده:

وجود الجحد مانع من قبول المجحود أو نوعه لنفور القلب عنه، والتصديق مفتاح الفتح لما صدق به وإن لم يتوجه له إذ لا دافع له. فالمتوقف مع الفقيه يتعين عليه تجويز المواهب والفتح

من غير تقييد بزمان ولا مكان ولا عين، لأن القدرة لا تتوقف أسبابها على شيء، وإلا كان محروما مما قام به جحوده.

ثم هو إن استند إلى أصل معذور، وإلا لا عذر له بانكاره ما لا علم له به، فسلم تسلم والله تعالى أعلم. أهـ

وقال:

الإنتساب مشعر بعظمة المنتسب إليه، والمنتسب فيه في نظر المنتسب، فإذا لزم احترام المنتسب لجانب الله بأي وجه كان، وعلى أيّ حال كان، ما لم يأت بما ينكر على التعظيم بالنقص، كمخالفة الشريعة صريحا، فتتعين مراعاة نسبته وإقامة الحق عليه، لأن الذي تعلق به هو الذي أمره. نعم يلزم تحقيق أمره فيه وإلاّ عاد الضرر على معارضه لقصد هتك منتسب لجانب عظيم لمجرد هواه.

فمن ثم تضرر كثيرا ممن يتعرض للإعتراض على المنتسبين لجانب الله وإن كانوا محقين، إذ الحق تعالى يغار لهتك جانبه. فلزم تحقيق المقام في النكير، وتصحيح النية للغاية، وإلا فالحذر الحذر والله تعالى أعلم. أهـ.

قلت: وإنما حذر من الإعتراض لما تقدم من أن التنبيه على الخطأ إنما يكون من أهل الكمال، على أن اتهامهم نفوسهم أولى بهم، وأما أهل الغباوة، وخصوصا أهل الزمان، فالواجب عليهم السكوت كما أفاد ذلك أهل العرفان ممن تقدم في غابر الأزمان أهـ.

وإنما أمر أهل الزمان بالسكوت لأنهم يعترضون ولا علم لهم، قال صاحب الرائية:

ومن يعترض والعلم عنه بمعزل ... يرى النقص في عين الكمال ولا يدري

وفي الإبريز:

أي ومن يعترض على شيخه أو على غيره من أهل الطريقة وهو جاهل، فإنه يرى الكمال نقصانا، فيقلب الأمور وهو لا يدري.

وقال بعض الفضلاء:

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

وقال الأخضري في السلم:

إذ قيل كم مزيف صحيحا ... لأجل كون فهمه قبيحا

وقال في شرحه:

وإنما ذكرت هذا تنبيها على شياطين الطلبة الذين يمرضون الصحيح ويصححون السقيم، وماذلك إلا لعدم إنصافهم، وقلة تواضعهم، وعدم مراقبتهم للجليل الذي لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويعلم خائنة الأعين. والمؤمن يلتمس العذر لأخيه، وقد قال ﷺ: "حسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم"، ويقال من ضاق صدره، إتّسع لسانه. اهـ.

فإن قلت: إنما أكثرَ أهل الظاهر الإعتراض على طرق أهل الله لأنهم رأوا أن بعض من ينتسب إليها ظهر من بعضهم فسق، ومن بعضهم كفر، ومن بعضهم زندقة، قلت: لا يعترض عليهم بذلك إلا جاهل غبيّ، أو معاند شقيّ، لأن فساد الفاسد إليه يعود، ولا يقدح في صلاح الصالح شيء.

وفي القواعد الزروقية:

" يعتبر الفرع بأصله وقاعدته، فإن وافق قُبِل، وإلا رُدّ على مدعيه إن تأمل أو تأول عليه. أن قبل أو سلم له إن كملت مرتبته علما وديانة ثم هو غير قادح في الأصل لأن فساد الفاسد إليه يعود ولا يقدح في صلاح الصالح شيئا.

فغلاة المتصوفة كأهل الأهوال من الأصوليين، وكالمطعون عليهم من المتفقهين، يرد قولهم، ويجتنب فعلهم، ولا يترك المذهب الحق الثابت بنسبتهم له وظهورهم فيهم. أهـ.

وقال في لطائف المنن:

وقد يصد عقول العموم عن أولياء الله تعالى وقوع زلة ممن تزيا بزيهم وانتسب إلى مثل طريقهم. والوقوف مع هذا حرمان ممن وقف معه، وقد قال الله تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (12)، فمِن أين يلزم لمن أساء واحدا من الجنس، أو ظهر عليه عدم صدقه في طريقه، أن يكون بقية أهل تلك الطريق كذلك.

وقد أنشدنا الشيخ علم الدين لنفسه في هذا المعنى:

إستثار الرجال في كل أرض ... تحت سوء الظنون قدر جليل

ما يضر الهلال في حندس الليل ... اسوداد السحاب وهو جميل

قلت: وسيأتي في الباب الرابع أن هذا واحدا من الحجب التي تحجب الناس عن معرفة أولياء الله، والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة المائدة، الآية .2

2.سورة محمّد، الآية .7

3.سورة الحج، الآية .40

4.سورة الروم، الآية .47

5.سورة الأنفال، الآية .27

6.سورة الأحزاب، الآية .57

7.سورة الروم، الآية 47.

8.سورة التوبة، الآية 32.

9.سورة الشورى، الآية 13.

10.سورة يونس، الآية 49.

11.سورة الأحقاف، الآية 11.

12.سورة فاطر، الآية 18.

الفصل الثاني

في ترغيب الإخوان في الإنتساب إلى أولياء الله تعالى والتعلق بهم بمحبتهم وخدمتهم ونحوهما.

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق، إعلم أن التعلق بأهل الله، والليّاذ بجنابهم، والإنحياز إليهم، تعلّق بجنابه الكريم، ووقوف ببابه العظيم، لأنهم أبواب رحمة الله تعالى دنيا وأخرى، على أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم، وهم الوسائل، ولولاهم لهلك الكل.

كما قيل لولا الواسطة لذهب الموسوط. قال تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ (1)، قال الترمذي: "إن أكرمتم أوليائي أكرمتكم"، وقال تعالى: وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا (2)

قال بعض العارفين على طريق الإشارة: " ثواب الدنيا صحبة الأولياء وثواب الآخرة صحبة الحق "

، وقال تعالى: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (3)، قال بعضهم: وتعاونوا على البر والتقوى: وهو طاعة الأكابر من السادات والمشائخ، ولا تضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم، وخدمتهم، ولا تعاونوا على الإثم: وهو الإشتغال بالدنيا، والعدوان: موافقة النفس على هواها ومرادها أهـ.

وقال تعالى: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ (4)، قال في العرائس:

أي ليفهموا حقائق أحكام المعرفة والطريقة والحقيقة والشريعة. ثم قال بعد كلام: قال سهل: أفضل الرحلة رحلة من الهوى إلى العقل، ومن الجهل إلى العلم، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الإستطاعة إلى التبَرّي من الحول والقوة، ومن النفس إلى التقوى، ومن الأرض إلى السماء، ومن الخلق إلى الله تعالى. قال المرتعش: السياحة والأسفار على ضربين، سياحة لتعلم أحكام الدين وأساس الشريعة، وسياحة لآداب العبودية ورياضة الأنفس.

فمن رجع من سياحة الأحكام قام بلسانه يدعوا الخلق إلى ربه، ومن رجع من سياحة الآداب والرياضة قام في الخلق يؤدبهم بأخلاقه وشمائله. وسياحة هي سياحة للحق وهي رؤية أهل الحق والتأدب بآدابهم، وهذا بركته تَعُمّ العباد والبلاد. أهـ. وقال عند قوله تعالى: فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي (5): قيل بمحبة الفقراء ومجالستهم والتزيّي بزَيّهم، لأن الفقر هو طريق الحق. ألا ترى المصطفى صلوات الله عليه وسلامه لما جلس معهم قال: "المحيا محياكم والممات مماتكم" أهـ.

وقال عند قوله تعالى: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ (6): أي لا تقتدوا بالمرائين والجاهلين وقرناء السوء، فتمسكم نيران البعد وحب الجاه والرياسة، وتلحقكم نيران البدعة والظلال. وأيضا لا تسكنوا إلى نفوسكم الظالمة في جهلها حقوق الله سبحانه وتعالى. قال الكاشاني: من لم يستحب بحكيم أو إمام يكون باطلا أبدا. قال الله تعالى: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ (7). وقال سهل: لا تعتمدوا في دينكم إلاّ السني.

وقال حمدون القصار: لا تصاحبوا الأشرار فإن ذلك يحرمك صحبة الأخيار. وقال علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفرقال: لا تركنوا إلى نفوسكم فإنها ظالمة. وقال سهل: لا تجالسوا أهل البدع أهـ.

وقال تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ (8).

قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به:

يؤخذ من هذه الآية على طريق أهل الإشارة، وابتغوا إليه الوسيلة التي لا تنقطعون بها عن غيره لتتصلوا به، ولا وسيلة أعظم من النبي ﷺ، ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ. ومن جملة ما يُبْتَغى من الوسيلة إلى الله تعالى، الشيخ الكامل، فإنه من أعظم الوسائل إلى الله تعالى " أهـ.

والمرء مع من أحب، ومن أحب قوما فهو معهم. روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رجل سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: "متى الساعة، قال وما أعددت لها، قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال إنك مع من أحببت. قال أنس: فما فَرِحْنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي ﷺ إنك مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بِحُبِّي إياهم وأن لم أعمل أعمالهم." قال ﷺ: "يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

فإذا علمت هذا أيها الأخ، فلا تخالل إلاّ من ينهضك إلى الله حالهم، ويَدُلّك على الله مقالهم، ولا يكون كهذا لأهل الله المتجرّدون عما سوى الله، المقبلون على المولى. فليست اللذة إلا في مخاللتهم، ولا السعادة إلا في خدمتهم ومصاحبتهم، واستغنم الوقت في صحبتهم، واحضر دائما معهم بقلبك وقالبك تسري إليك زوائدهم، وتغمرك فوائدهم، ويصلح ظاهرك بالتأدب بآدابهم، ويشرق باطنك بالتحلي بأنوارهم.

فإن من جالسهم جانس، فإن جلست مع المحزون حزنت، وإن جلست مع المسرور سررت، وإن جلست مع الغافلين سَرَتْ إليك الغفلة، وإن جلست مع الذاكرين انتبهت من غفلتك وسرت إليك اليقظة. فإنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فكيف يشقى خادمهم ومحبهم وأنيسهم، وما أحسن ما قيل:

لي سادة من عزهم ... أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي ... في ذكرهم عز وجاه

واحمد الله أيها العاشق لجمالهم، والمحب لطريقهم وكمالهم، وقَرَّ عيناً بِهم وتعلق بأذيالهم، ولا تلتفت إلى شيء يصدك عن جنابهم، فإن طفيلي ساحتهم لا يرد، وعن بابهم لا يُصدّ، ولله درّ قائلهم:

هم سادتي هم راحتي هم منيتي ... أهل الصفا حازوا المعالي الفاخرة
حاشا لمن قد حبّهم أوْ زارهم ... أن يهملوه سادتي في الآخرة

وقال غيره:

ولي بصحبتكم فضل على الناس ... وكل من حبكم عار على الباس

أنتم مرادي وما في الكون غيركم ... لولاكم لم تطب نفسي وأنفاسي
لا تهملوني فإني عبد حضرتكم ... محلكم سادتي مني على الرأس
فطِبْ نفسا، وقرّ عينا أيها الأخ الصادق في محبتهم، المتعلق بذيلهم، المنتسب إلى حضرتهم، القائم بخدمتهم. وليهنك الفوز بالحياة الطيبة والسعادة الأبدية، واحمد الله على ما وفّقك وهداك للتّعرض لنفحات مولاك. وفي تنبيه المغترين للشيخ الشعراني:
وكان أبو هريرة يقول: "يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عزوجل، فيقول الله عز وجل: هل أحببت لي وليا حتى أهبك له." فأحبوا يا إخواني الصالحين، واتخذوا عندهم أيادي، فإن لهم دولة يوم القيامة " إنتهى.
وفي الطبراني: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها لعل أن تصيبكم نفحة منها ولا تشقون بعدها أبدا." فيا فوز الذين نهضوا إليها، وتعرضوا لها، واستمدوا من تلك النفحة مددا.

وإن كان عند ذكرهم، كما في الأثر الموقوف والخبر المعروف، تتنزل الرحمات وعواطر النسمات، فما بالك بمحبتهم وخدمتهم، والإنحياز إليهم واللياذ بهم، ومصاحبتهم ومخالطتهم، ودوام النظر إلى طلعتهم البهية، ومنهم من إذا نظر إليك نظرة رضا تسعد سعادة لا شقاوة بعدها أبدا، ومنهم من إذا مرّ على جماعة من العصاة فسلم عليهم أمنهم الله من
عذابه، ومنهم من إذا نظر إليك تسعد وإذا نظرت إليه تسعد، ومنهم من إذا شهد لك أنك رأيته تسعد، ومنهم من إذا صليت خلفه تسعد، و منهم من إذا أكل طعامك تسعد، ومنهم من إذا شربت من مائه تسعد، و منهم من إذا أكلت طعامه تسعد، ومنهم من إذا نكح منك تسعد وإذا نكحت منهم تسعد، ومنهم من إذا أحببته تسعد، ومنهم من إذا سمعت اسمه تسعد، ومنهم من إذا عاصرته تسعد، ومنهم من إذا أخذت ذكره تسعد، ومنهم من إذا خدمته تسعد، ومنهم من إذا دعوت له تسعد، ومنهم من إذا دعا لك تسعد، ومنهم من إذا شفع فيك تسعد، ومنهم من يسأل الله أن

يكبر جثته في النار لأجل تخفيف الوعيد من الله تعالى بملئها، فيحملون عن آلاف من العصاة عن حرقهم بالنار، ومنهم من أقامه الله في قضاء حوائج الناس، فيقضي لهم حوائجهم ثم يرسلهم

إلى من اشتهر بالصلاح في بلادهم ليقضوا حاجتهم ظاهرا، ويستر بذلك نفسه ويكبر غيره ممن لا سر له ولا برهان، ثم يسأل الله أن يحميه من الدعوى، ومنهم من نصّبَه الله لتحمل البلايا والمحن عن أهل بلده واقليمه، ومع ذلك فَهُمْ ينقصونه وينكرون عليه ليلا ونهارا، فلا يصده الإنكار عن تحمل البلايا عنهم، فيبيت سهران بالضارب، وتنام الناس والجن

وهو لا ينام، والناس يضحكون ويلعبون، ويتلذذون بالنساء على الفرش لا يحسون بشيء مما تحَمَّلَه عنهم مما كان نازلا عليهم، ومنهم من يُرِيّ بالهمة، ومنهم من يري بالنظرة، ومنهم من يري باللقمة، ومنهم من يري بالخلطة، ومنهم من يري بالخلوة، ومنهم من يري بالأوراد فقط. ولولا خوف التطويل، وإفشاء الأسرار، لَنَسَبْتُ كل حالة إلى صاحبها من الرجال.

وكيف لا، وهم الذين اصطفاهم الحق لخدمته، وجعلهم أهلا لمناجاته وحضرته، وأشهدهم أنوار جماله وإحسانه، وأجلسهم على بساط كماله وامتنانه، وهم القوم الذين شربوا من محبته فطابوا، وتحيرت قلوبهم في عظمته فغابوا. فهُمُ السادات والأمراء والسلاطين في زي الفقراء، الذين صلحوا أن يكونوا قادة لخليقته، ممتثلين قائمين بخدمته على وفق حكمه ومشيئته، فلا تصفو الحياة إلا بهم، ولا تطمئن القلوب إلا بذكرهم. وقال بعض الشيوخ:

من أراد أن يكون شيخا من غير أمر الله فهو أحمق، ومن أراد أن يكون شيخا من غير مواهب الله فهو مجنون، ومن أراد أن يكون شيخا بالجَدِّ والنسب فهو جاهل، ومن أراد أن يكون شيخا بالقبيلة والنسب فهو كافر، ومن أراد أن يكون شيخا بالتذلل والمسكنة للمخلوقات فهو منافق، ومن كان في المقام المحمود فلا يرجع إلى مخالطة أهل الهوى.

وقال بعضهم:

مخالطة العمومي تذهب بنور القلب وهيبة الوجه، ومن مات على مخالطة العموم جاء يوم القيامة كالقمر المكسوف لا نور له، فليجتهد العاقل على مخالطة الخصوص. وفي مخالطة الخصوص ثلاث خصال، اكتساب العلم، وصفاء القلب، وسلامة الصدر.

وقال بعضهم:

إن الوسواس يأتي الشخص من جلساء السوء. وقال: ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ولا هلك من هلك إلا بمجالسة من هلك أهـ.

وجاء في الخبر: "أن لله عبادا من نظروا إليه نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا " أهـ." قلت:

وكيف لا يسعد شخص تعلق بقوم جعلهم الله نواب أنبيائه ورسله، وبهم أقام أمر العباد، وبهم رزق كل مرزوق، وبهم يصرف البلاء والعذاب عن الخلق. قال في السراج المنير، عند قوله تعالى: ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض (9):

أي ولولا دفاع الله بالمومنين والأبرار عن الكفار والفجار، لهلكت الأرض بمن فيها، ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر. وقد روى ابن عمر رفعه: "أن الله عز وجل ليدفع بالمؤمن الصالح عن مئة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر الآية." ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: "يدافع الله بمن يصلي عمن لا يصلي، وبمن يحج على من لا يحج، وبمن يزكي على من لا يزكي." وعن جابر بن عبد الله: "أن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم.

" وعن ابن مسعود: "إن لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم ولله في الخلق أربعين قلوبهم على قلب موسى ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ولله في الخلق ثلاث قلوبهم على قلب ميكائيل ولله في الخلق واحدا قلبه على قلب إسرائيل إذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات واحد من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات واحد من الأربعين

أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات واحد من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة فبهم يحي ويميت قال لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقسمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الأرض ويدعون فيدفع الله بهم أنواع البلاء" ولكن الله ذو فضل على الناس كلهم أولا بالإيجاد وثانيا بالدفاع فهو يكف ظلم الظلمة إما بعضهم ببعض أو بالصالحين ويسبغ عليهم غير ذلك من ثواب نعمه الظاهرة والباطنة. أهـ.

.

وفي عرائس البيان، عند قوله تعالى: لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا (10):

أن الله سبحانه إذا أراد أمرا عظيما من أمور الربوبية بيد عباده وبلاده وضعه على أوليائه ليقوموا به على وفق مراده معذرة لضعف الخلق، ونيابة عن تقصيرهم. فإذا خرجوا من ذلك بنعوت

الرضا في العبودية، سهل الله ذلك بعده على العامة، لأن العامة خلقوا بنعوت الضعف وخلق أوليائه بنعوت القوة، وفي كل أمة خلق الله أقواما من أئمة المعارف والكواشف لمواضع نظره وتحمل بلائه، وهم النقباء والبدلاء والنجباء والأولياء والأصفياء والأتقياء والمقربون والعارفون والموحدون والصديقون والشهداء والصالحون والأخيار والأبرار، ورئيسهم الغوث، وأئمتهم المختارون، وعرفاؤهم السياحون السبعة، ونقباؤهم العشرة، ونجباؤهم الأربعون، وخلفاؤهم السبعون، وأمناؤهم الثلاثمائة، كل واحد منهم خلق على صورة نبي، وسيرة رسول، وقلب ملك، لا يعرفهم إلا مثلهم، وهم لا يعرف حقيقتهم إلا الله. قال الله تعالى: "أوليائي بفنائي لا يعرفهم أحد سواي."

قال أبو بكر الوراق: لم يزل في الأمم أخيار لبدلاء، و أوتاد على المراتب كما قال الله تعالى: وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا (11)، وهم الذين كانوا مرجوعا إليهم عند الضرورات والعاهات والمصائب كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "يكون في هذه الأمة أربعة على خلق إبراهيم وسبعة على خلق موسى وثلاثة على خلق عيسى وواحد على خلق مُحَمَّد ﷺ فهم في مراتبهم سادات الخلق.

" وقال عند قوله تعالى: وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ (12) بعد كلام: فيه إشارة أخرى أن رواسي الأرض هم أولياء الله، وكما أن الجبال رواسي تتفاوت في صغرها وكبرها، فكذلك الأولياء تتفاوت في مقاماتهم وأحوالهم عند الله. فالرواسي أعظم الجبال، فأعظم الأولياء الغوث والثلاثة المختارون والسبعة، ثم العشرة، ثم الأربعون، ثم السبعون، ثم الثلاثمائة وهم البدلاء والأوتاد، والسبعون النقباء، والأربعون الخلفاء، والعشرة العلماء، والسبعة العرفاء، والثلاثة أهل المكاشف، وهم الرواسي، والغوث .

أعني القطب عليهم . مثله مثل جبل قاف. والأوتاد مفزع العامة، والنقباء مفزع الأوتاد، والخلفاء مفزع النقباء، والعلماء مفزع الخلفاء، والعرفاء مفزع العلماء، وأهل المكاشف مفزع العرفاء، والقطب مفزع الكل.

وقال بعضهم: مَدّ الأرض بقدرته، وأمسكها ظاهرا بالجبال والرواسي. وأما الرواسي بالحقيقة فهو مقام أوليائه في خلقه، بهم يدفع البلاء عنهم، وبمكانهم تصرف المكاره، فَهُم الرواسي على الحقيقة لا الجبال.

وقال مُحَمَّد بن علي الترمذي: أن لله عبادا هم المفزع، ومِن فوقهم الأوتاد، ومِن فوقهم الرواسي. فإلى المفزع مرجع عامة العباد ومفزعهم، ومرجع المفزع، إذا هال الأمر، إلى الأوتاد، ومرجع الأوتاد إذا استعجل الأمر إلى الرواسي، وهم خاصة الأولياء. قال الله تعالى: وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ (13).

وقال سهل: مَدّ الأرض: وسّع رقعتها ليسير فيها الناظر بالعبرة والإستعبار فيطلب فيها أماكن الأولياء، وهم الرواسي الذين بهم قوام الأرض أهـ.

وقال عند قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (14).: قال بعضهم: وهو الذي بسط الأرض وجعل فيها أوتادا من أوليائه وسادة من عبيده، فإليهم الملجأ، وبهم الغياث. فمن ضرب في الأرض بقصدهم فاز ونجا، ومن كان سعيه لغيرهم خاب.

قال الجريري: كان في جوار الجنيد إنسان مصاب في خربة، فلما مات الجنيد وحملنا جنازته حضر الجنازة، فلما رجعنا تقدم خطوات وعلا موضعا من الأرض واستقبلني بوجهه وقال: يارب مُحَمَّد تراني أرجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد، ثم أنشأ يقول:

فوا أسفى من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسي ... والخير إلا من السكون
لم تتغير لنا الليالي ... حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب ... وكان ماء لنا عيون

وقال الشيخ زروق رضي الله تعالى عنه في شرحه على الحكم العطائية، عند قول المصنف رضي الله تعالى عنه: " فشعاع البصيرة إليّ وهو الآن على ما عليه كان ":

أن سيدي عبد الله بن عباد رحمه الله تعالى نقل عن شيخه، أوحد أهل زمانه علما وعبادة، ونخبة أوانه ورعا وزهادة، الحاج أحمد بن عاشر أنه قال: وليجعل ـ يعني المريد ـ هجيراه مطالعة كتب التصوف، وموالاة أهله بالتآلف والتعرف. فبذلك تقوى أنوار إيمانه ويغنيه، وتنتفي عنه في علمه بوظائف دينه، ولا يقدم على ذلك إلا فرض العين، وما يستجم به خاطره من التعب. أهـ.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في الحكم: سبحان من لم يجعل الدليل

على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه. أهـ. وقال الشيخ أحمد زروق رضي الله تعالى عنه في شرحه على هذا المحل: لأنهم لا يعرفون أحدا إلا دَلُّوهُ عليه، وكيف لا وهم أهل الفضل والكمال، وأعين الحق في عباده بكل حال. هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

وإذا كان الإيمان بطريقتهم ولاية فكيف بمعرفتها، وإذا كان كذلك فكيف بمعرفتهم، وإذا كانت معرفتهم كذلك فكيف بمحبتهم، وإذا كانت محبتهم كذلك فكيف بمخالطتهم، وإذا كانت مخالطتهم كذلك فما ظنك بخدمتهم، وإذا كانت خدمتهم كذلك فما ظنك بسلوك منهاجهم.

وقال: قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه: ما أصنع بالكيمياء. والله لقد صحبت أقواما يمر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير إليها فتثمر رمانا للوقت. فمن صحب هؤلاء الرجال ما يصنع بالكيمياء.

وقال: والله ما سار الأولياء من قاف إلى قاف حتى يلقوا مثلنا، فإذا لقوه كان بغيتهم. وقال أيضا: الولي إذا أراد أغنى.

وقال في لطائف المنن: إنما يكون الإقتداء بولي دلك الله عليه، وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه، فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت إليه القياد، فسلك بك سبيل الرشاد، ويعرفك برعونات نفسك وكمائنها ودقائقها، ويدلك على الجمع على الله، ويعلمك الفرار عما سوى الله تعالى، ويسايرك في طريقتك حتى تصل إلى الله، ويوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك بإحسان الله إليك، ويفيدك معرفة نفسك والهروب

منها وعدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك، والإقبال عليه والقيام بشكر آلائه، والدوام على ممر الساعات بين يديه. فإن قلت فإن من هذا وصفه لقد دللتني على أغرب من عنقاء المغرب، فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين، وإنما يعوزك وجود الصدق في طلبهم. جِدَّ صدقا تجد مرشدا، وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ (15)، وقال تعالى: فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (16).

فلو اضطررت إلى ما يوصلك إلى الله اضطرار الضمآن للماء، والخائف للأمن لوجدت ذلك أقرب إليك من طلبك. ولو اضطررت إلى الله اضطرار الأمّ لولدها إذا فقدته لوجدت الوصول غير متعذر عليك، ولَتَوَجّهَ الحقّ بتيسير ذلك إليك. أهـ.

وقال الشيخ القطب الكامل سيدى مُحَمَّد بن سليمان الجزولى رضي الله تعالى عنه، في كتابه: ومن فضائل خدمة الأولياء اكتساب العلوم والآداب، ومعرفة ربّ الأرباب، والعصمة من الذنوب، والتباعد من العيوب، والوصول إلى علام الغيوب.

والخدمة أيضا إنما هي النصيحة والإعانة والمحبة والأُخُوّة، قال الله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (17)، وقال: وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ (18). ولا بدّ للتابع أن يتبع المتبوع، وقد كان للنبي ﷺ خادم يخدمه، وهو أنس بن مالك الأنصاري، وَجَدَهُ النبي ﷺ ابن عشرة سنين، لقد كان لكم في رسول الله أسوة (19). حسنة. كما قال بعض المشائخ: من ظهرت ولايته وجبت خدمته.

وقال رضي الله تعالى عنه: من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه، وينبغي للمريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاجة، لأن المريد إذا أهمل أحوال قلبه ولم يتفقدها، تارة تختلج الأنوار في قلبه، وتارة يدخل عليها ما يذهبها. والمريد لا ينبغي له أن يعترض على شيخه، ومن اعترض على شيخه فقد خرج من دائرته، ومِنْ شَرْط المريد أن يغيب في كمال الشيخ، لأنّ الشيخ رؤوف رحيم بالمريد.

تنبيه:

وزجْرُه رحمةٌ، ولو أنه تركهم على ما هم فيه من الأهواء لفرح إبليس لعنه الله لهلاكهم، ولا يريد الشيخ هلاكهم.

وقال: كلام الشيخ رحمة، فمن لم يقبل كلامه خاب من الرحمة، قال الله تعالى: وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. (20). وقال: طريقنا طريقة النصح لا طريقة الغش والخيانة. أهـ.

وقال بعض الشيوخ رحمه الله: الشيخ الواصل حبل الله في أرضه، فمن تعلق به وصل، وأما غير الواصل فمن تعلق به انقطع. أهـ.

وفي رسالة الإمام القشيري رضي الله تعالى عنه: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن المعلم يقول: سمعت أبا بكر الطستاني يقول: إِصحبوا مع الله، فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم

بركاتُ صحبتِه إلى صحبة الله تعالى. أهـ. وقال، في باب وصية المريدين: وقبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته، ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك ولو

بعد حين. ومن خذل لترك حرمة الشيوخ فقد ظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطأ.
وقال الشيخ الورتجبني رضي الله تعالى عنه في عرائس البيان، عند قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ (21)، على طريق الإشارة: هذا نداء لأصحاب القلوب، وخطاب مع طلاب خطاب هلال المشاهد في أقطار سماوات الغيوب، أي يا أهل اليقين فرض عليكم الإمساك عن الكون أصلا لأنكم في طلب المشاهدة، فواجب عليكم أن تصوموا عن مألوفات الطبيعة في مقام العبودية، كما كتب على الذين من قبلكم (22)، أي كما كتب على المرسلين والنبيئين والعارفين والمحبين من قبلكم، لعلكم تتقون (23)، لكي تخلصوا عن رجس البشرية، وتصلوا مقام الأمن والقربة، أياما معدودات (24)، وهي أيام زمن الدنيا، يغري بهذا الخطاب أوليائه بترك المطايبة والمناكحة والمباشرة والمؤانسة والملاعبة ولذائذ العيش في أكل ألوان الشهوات، وشرب المياه الباردات، ولبس الناعمات، أي أصبروا يا أوليائي عن شهوات الدنيا فإنها أيام ستنقرض عن قريب حتى تفطر بلقاء القديم، وتعيش في جوار الكريم. فمن كان منكم مريضا (25)، أي من كان من المنقطعين مريضا من فرقة، أو على سفر (26). الوحشة، أي في سفر الوحشة عن وصلتي، فعدة من أيام أخر (27)، أي فعليه تدارك أيام الفطر بعد إدراكه مقام القربة والمشاهدة، وعلى الذين يطيقونه فدية (28)، أي على الذين يطيقون الإمساك عن الكون بنعت الزهد عن الدنيا أيام حياته، ولم يعمل عمل أهل الطاعة لقلة توفيقه وهدايته، فدية وهي خدمة أولياء الله تعالى ببذل النفس والمال، الذين تركوا الدنيا لأهلها،

وذلك قوله تعالى طعام مساكين (29)، والمساكين الذين صادفوا مقام التكوين ولم يبلغوا مقام التمكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له (30)، أي فمن يفتدي ببذل نفسه وماله لأولياء الله لعجزه عن حقيقة المعاملة، زيادة على الواجب الذي عليه من الموجود بعد مقاساته في المفقود، فهو خير له من طلب الرخص.
حكى ابن عطية في تفسير سورة الكهف أن والده حدثه عن أبي الفضل الجوهري، الواعظ بمصر، أنه قال في مجلس وعظه: من صحب أهل الخير عادت عليهم بركتهم، هذا كلب صحب قوما صالحين فكان من بركتهم عليه أنه ذكره الله تعالى في القرآن، ولا يزال يتلى على الألسنة أبدا. ولذالك قيل من جالس الذاكرين انتبهه من غفلته، ومن خدم الصالحين ارتفع لخدمته. أهـ.
فإذا مَنّ الله عليك أيها الأخ بالإطّلاع على واحد من هذه الطائفة، وتمسكت بأثر تلك

الأعتاب، فراقب حينئذ أحواله، واجتهد في حصول مراضيه، وانكسر واخضع له في كل وقت وحين، فإنك ترى الترياق والشفاء فيه. فإن قبول المشائخ ترياق الطريق، من سعد بذلك تم له المطلوب، وتخلّص من كل تعويق. فاجتهد أيها الأخ لتشييد هذا المعنى، فعسى يرى عليك من إستحسانه لحالك أثرا. قال بعضهم:

مِنْ أشد الحرمان أن تجتمع بأولياء الله ولا ترزق القبول منهم، ما ذلك إلا لسوء الأدب وإلاّ فلا بخل من جنابهم، ولا نقص من جهتهم.

كما قال في الحكم: ليس الشأن أن ترزق الطلب، وإنما الشأن أن ترزق حسن الأدب.

زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد ﷺ وقال: هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد، فأشير إلى شخص كبير في السن كان حاضرا هناك، فقال له السلطان: هل سمعت شيئا من كلامه، فقال نعم: قال من رآني لا تحرقه النار، فاستغرب السلطان ذلك، فقال: كيف يقول أبو يزيد ذلك وهذا أبو جهل رأى النبي ﷺ وهو تحرقه النار، فقال ذلك الشيخ للسلطان: إن أبا جهل لم يرَ رسول الله ﷺ، وإنما رأى يتيم أبي طالب، ولو رأى رسول الله

ﷺ لم تحرقه النار. ففهم السلطان كلامه وأعجبه هذا الجواب منه، أي أنه لم يره للتعظيم والإكرام واعتقاد أنه رسول الله، ولو رآه بهذه العين لم تحرقه النار، ولكنه رآه بالإحتقار واعتقاد أنه يتيم أبي طالب، فلم تنفعه تلك الرؤية.

وأنت يا أخي لو اجتمعت بقطب الوقت ولم تتأدب معه، لم تنفعك تلك الرؤية، بل كانت مضرتها أعظم عليك من منفعتها. فإذا فهمت هذا أيها السالك فتأدب بين يدي الشيخ، واجتهد أن تسلك أحسن المسالك، وخذ ما عرفت بجِدٍّ وإجتهاد، وانهض في خدمته وأخلص في ذلك تسد مع من ساد.

وقد رأينا ان نورد هنا قصيدة القطب الفاضل والغوث الكامل أبي مدين لمناسبتها ما تقدم مناسبة تامّة، فنقول: قال رضي الله تعالى عنه:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهم وتأدّب في مجالسهم وخلِّ حظك مهما خالفوك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائما معهم وأعلم بأن الرضا يخص من حضرا

ولازم الصمت إلاّ إن سئلت فقل لا علم عندي وكن بالجهل مستترا

ولا ترى العيب إلاّ فيك معتقدا لأنّه مبين ولو لم يكن ظهرا
وحطّ رأسك واستغفر بلا سبب وقم على قدم الإنصاف معتذرا
وإن بدا منك عيبا فاعترف وأقم وجه اعتذارك عمّا فيك جرى
وقل عُبَيْدكم أولى بصفحكمُ فسامحوا وخذوا بالرّفق يا فقرا
هُمْ بالتفضّل أولى وهو شيمتهم فلا تخف دركا منهم ولا ضررا
وبالتغنّي على الإخوان جد أبدا حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا
وراقب الشيخ في أحواله فعسى يُرى عليك من استحسانه أثرا
وقدّم الجدّ وانهض عند خدمته عساه يرضى وحاذر أن تكن ضجرا
ففي رضاه رضا الباري وطاعته يرضى عليك وكن مِنْ تَرْكِها حذِرا
واعلم بأنّ طريق القوم دراسة وحال من يدّعيها اليوم كيف ترى
متى أراهم وأنّى لي برؤيتهم أو تسمع الأذن منّي عنهمُ خبرا
من لي وأنّى لمثلي أن يزاحمهم على موارد لم آلف بها كدرا
أحُبِّهم وأداريهم وأوثِرُهم بمهجتي وخصوصا منهمُ نفرا

قوم كرام السجايا أينما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدي التصرف من أخلاقهم طرفا حسن التآلف منهم راقني نظرا
هم أهل ودّي وأحبابي الذين همُ ممّن يجرّ ذيول العزّ مفتخرا
لازال شملي بهم في الله مجتمعا وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا
ثم الصلاة على المختار سيّدنا محمّد خير من أوفى بما نذرا

فانظر يا أخي إلى الشيخ أبي مدين ورفعته في الطريق، كما قيل أنه وصل من تحت تربيته أثنا عشرة ألف مريد، فانظر إلى هذا التنزل منه، والتدلّي بأغصان شجرة معرفته إلى أرض الخضوع والإنكسار حتى شرع يتأسف على الإجتماع بهذه الطائفة ويتمناه ويستبعد من نفسه حصول ذلك بقوله:

متى أراهم وأن لي برأيتهم أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا

ثم أراد تنزلا وتدليا إلى أرض الخضوع والإنكسار، حتى أنه لم ير نفسه أهلا للإجتماع بأهل الطريق بقوله:

من لي وأنى لمثلي أن يزاحمهم لى موارد لم آلف بها كدرا

ثم إنه دعا أن لا يزال شمله مجتمعا بهم في الله، وذنبه مغفورا ومغتفرا. وهذا ينبئك عن فضل صحبتهم، والإجتماع بهم وخدمتهم. وهذا شأن العارف بنفسه، الممتلئ قلبه من معرفة ربه المتجلي بواردات قدسه، لا يرى لنفسه حالا ولا مقالا، بل يرى نفسه أقل من كل شيء. وهذا هو النظر التام. كما قيل:

إذا زاد علم المرء زاد تواضعا وإن زاد جهل المرء زاد ترفعا

وفي الغصن من حمل الثمار مثاله إن يعر من حمل الثمار تمنعا

ولا يزيده هذا الإنخفاض إلا إرتفاعا، لأن الشجر لا يزيدها انخفاظها في عروقها إلا ارتفاعا في رأسها. فتواضع أيها الأخ في الطريق، وخذ هذا الأصل العظيم من هذا العارف المتمكن يَزُلْ عنك كل تعويق، واحذر أن يدب لك داء الأمم، وهو حب الرياسة الذي منع أهل الكتاب وغيرهم من اتباع سيد العرب والعجم حتى هلكوا مع من هلك، وهكذا كل شخص بعدهم نهجهم سلك.

وهذا الداء هو الذي دب إلى علماء السوء من أهل هذا العصر حتى أعرضوا عن علماء الآخرة لما سيصيبهم من الله من مكر فضلوا وأضلوا وهلكوا، ونعوذ بالله من الخسران، ونسأله التوفيق دون الخذلان، وبالله التوفيق، وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق، والله تعالى الموفق بمنه للصواب، واليه سبحانه المرجع والمآب.

1. سورة محمّد، الآية 7.
2. سورة آل عمران، الآية 145.
3. سورة المائدة، الآية 2.
4. سورة التوبة، الآية 122.
5. سورة آل عمران، الآية 195.
6. سورة هود، الآية 113.
7. سورة هود، الآية 113.
8. سورة المائدة، الآية 35.

9.سورة البقرة، الآية 251.

10.سورة المائدة، الآية 12.

11.سورة المائدة، الآية 12.

12.سورة الحجر، الآية 19.

13.سورة الحجر، الآية 19.

14.سورة الرعد، الآية .3

15.سورة النمل، الآية .62

16.سورة محمّد، الآية .21

17.سورة الحجرات، الآية .10

18.سورة لقمان، الآية .15

19.سورة الأحزاب، الآية .21

20.سورة إبراهيم، الآية .15

21.سورة البقرة، الآية .183

22.سورة البقرة، الآية .183

23.سورة البقرة، الآية .183

24.سورة البقرة، الآية 184.

25.سورة البقرة، الآية 184.

26.سورة البقرة، الآية 184.

27.سورة البقرة، الآية 184.

28.سورة البقرة، الآية 184.

29.سورة البقرة، الآية 184.

30.سورة البقرة، الآية 184.

في إعلامهم أن الاعتقاد في أهل الله وتصديق ما يبرز منهم من العلوم والمعارف وتسليم ومحبتهم ولاية.

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه الى سواء الطريق: إعلم أنّ الشخص لايحبّ إلاّ مَن جانَسَه، ولا يودّ إلاّ مَن كان بينه وبينه مؤانسة، ولا يُصَدِّق بقلبه إلاّ ما يعلم صحّته، ولا يكون ذلك إلاّ بالذوق ممّا ذاقه، أو بالإيمان به.

قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (1).

وفي عرائس البيان:

أعطى، أيّ بَذَلَ جهده من الكونين، وتبرّأ من الدارين لمشاهدة الله ووصاله، وَاتَّقَى مِنْ رؤية الأعراض بمعارضة النفس، والنظر إلى غيرالله، وصدّق بالحسنى بِكَشْفِ جماله وجلاله للعارفين، وقربه من الموحّدين، ويرى ما أعدّ الله له في الأزل بوصوله إليه، ولا يجري على قلبه خاطر الشك أصلا، فسَنُيسِّرُه لليسرى، نسهِّل له طريق الوصول إليه، ونرفع عنه الكلفة والتعب في العبودية. أهـ

وروى البخاري أنّ النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: "من عادى لي وليا فقد أذنته بالحرب". وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه:

وفي طَيِّهِ: مَن والى لي وليّا لأجل أنه وليّ، اصطفيتُه واتّخذتُه وليّا.

وفي شرح قصيدة الشيخ أبي مدين عند قوله: " هم أهل ودّي وأحبابي":

فإن الشخص لا يحب إلاّ من يجانسه، ولا يودّ إلاّ مَن كان بينه وبينه مؤانسة، وفي هذا الكلام إشارة إلى أنه رضي الله تعالى عنه مِن جملتهم، وطينتُه من طينتهم. إنتهى.

وفي إتحاف الزكى بشرح التحفة المرسله إلى النبي ﷺ: أقل درجات العاقل اللبيب، الناصح نفسه، ألاّ يُكَذِّبَ بما يبلغه من علوم الأسرار البارزة من أهل الله الأتقياء الأبرار، فإنّهم لا يأتون بما هو خارج عن الشريعة المطهّرة، وكيف يكون خارج عنها وهو من نتائج الإتِّبَاع الكامل، وإنما

يأتون بأسرار، وحكم من أسرار الشريعة مما هو خارج عن قوة الفكروالكسب لا تُنال إلاّ بالمشاهدة، أو الإلهام السالم من الإحتمالات، أو نحو ذلك.

فالعاقل اللبيب إن لم يُصَدِّق، فلا أقلّ من أن لا يُكَذِّب أيضا بل لسرحه في بقعة الامكان. وأقل درجة الطالب لهذا العلم االشريف الإحتياطي أن يُصَدِّق بأنّ ما يتحقق به أهل طريق الله المتبعون اتّباعا كاملا في الظاهر والباطن حق وإنْ لم يَذُقْه، وإذا وَجَد من نفسه التصديق الجازم بذلك كان منهم في مشرب من مشاربهم، وكان على بيّنة من ربّه، ولا بدّ بتلك البيّنة يصدقهم ويوافقهم وإنْ لم يشعر به، كذا قال الشيخ، يعني ابن العربي الحاتمي قدّس سرّه في الباب الثامن والثمانين والمائتين.

وقال تلميذه الصدر القونوي قدّس سرّه في إعجاز البيان: المُؤهّلون للإنتفاع بنتائج الأذواق الصّحيحة، وعلوم المكاشفات الصريحة، هم المُحِبّون للمُحِقّين من أهل الله وخاصته، والمؤمنون بهم وبأحوالهم مِن أهل القلوب المنوّرة، والفكرة السليمة، والعقول الوافرة، الذين يَدْعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، ويستمعون القول فيتّبعون أحسنه بصفاء الطويه وحسن إصغاء، بعد تطهّرهم مِن صِفتيْ الجدال والنزاع ونحوهما، متعرّضين لنفحات جود الحقّ، مراقبين له، منتظرين ما يبرز لهم من جنابه العزيز على يَدِ مَن وصل مِن
أيّ رتبة من مراتب أسمائه، ورَدَ بواسطة معلومة وبدونها، متلقّين بحسن الأدب، وازنين له بميزان ربّهم العام تارة لا بموازين عقولهم. فمثل هذا المؤمن الصحيح الإيمان والفطرة، الصافي المحلّ، يشعر بصحّة ما يسمع مِن وراء سترٍ رقيق اقتضاه حكم الطبع، وبقية الشواغل والعوائق المستجمة في المحلّ، والعائقة له عن كمال الإستجلاء عن الشعور المذكور. فهو مستعدّ للكشف، مؤهَّل للتّلقّي، منتفع بما يسمع، مُرْتَقٍ بِنُورِ الإيمان إلى مقام العيان. اهـ.

وقال في حاشية هذا المقام: الميزان العام هو المفهوم الأوّل من ظاهر الإخبارات الشرعية في الكتاب العزيز، والسّنة النبوية، والميزان الخاص ما يتحقق من الكشف المحقَّق بالشهود، والتعريف الإلهي، والإلهام التّام السّالم من كلّ احتمال، والمدرَك أيضا من الأسرار الشرعية من باطن الكتاب والسنة، وهو البطن المشار إليه، وفوقه الحدّ والمطلع، والكُلّ من قسم الباطن. اهـ.

وقال الشيخ يعني، الحاتمي قدّس سرّه في الباب الثامن والثمانين والمائتين: ولا يسلّم لصاحب

العلم الذي هو صاحب العلم الشريف الإحاطي أخذ طريقه إلاّ مَنْ ذاق ما ذاقوه، وآمن به، كما قال أبو يزيد رحمه الله: إذا رأيتم من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة، ويسلّم لهم ما يتحققون به، فقولوا له يدعو لكم فإنه مجاب الدعوة، وكيف لا يكون مجاب الدعوة والمسلم في بحبوحة الحضرة لكنه لايعرف أنه فيها لجهله.

وقال في مقدمة الفتوحات: إذا حَسُنَ عندك علمُ الأسرار وقَبِلْتَه وآمنت به فأبشر، فإنك على كشف منه ضرورة وأنت لاتدري،؟ لا سبيل إلاّ هذا إذْ لا يثلج أَيِّ لا يسكن الصدرُ إلاّ بما يقطع بِصِحَّتِه، وليس للعقل هنا مدخل، أيّ لأنه فوق ظهوره من حيث الفكر. قال: إلاّ إن أتى بذلك معصوم، حينئذ يثلج صدر العاقل، وأمّا غير المعصوم فلا يلتذّ بكلامه إلا صاحب ذوق. أهـ.

فالحمد لله رب العالمين.

قلت: وممّا يدل على أن المرء لا يحبّ إلاّ مَن يجانسه، ولا يودّ إلاّ من كان بينه وبينه مؤانسة، ولا يُصَدِّق بقلبه إلاّ ما يعلم صِحَّتَه، ولا يكون ذلك إلاّ بالرّزق،؟ قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ (2)، وفي تفسير ابن عطيّة:

بسبب الألفة التشابه، فمن كان من أهل الخير أَلِفَ أشباهه. أهـ.

وفي عرائس البيان: أَلّفَ بين الأشكال بالتجانس والإستئناس لأنها من مصدر فطرة قوله خلقت بيدي، وألّفَ بين الأرواح بالتجانس والإستئناس من جهة الفطرة الخاصة من قوله ونفخت فيه من روحي، وألّفَ بين القلوب بمعاينة الصِّفة لها بإشارة قوله عليه السلام: "القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن".، وألّفَ بين العقول بجانسها من أصل فطرتها التي قيل فيها " العقل أول مصدر من الباري "، وذلك قوله عليه السلام: "أّول من خلق الله العقل".

انصرف منه مصدر الزينة، وألّف بين الأسرار بمطالعة الأنوار، واتصال الأنوار بها من الغيب، قيل أيّ يشاهدون أنوار الغيوب بموافقة الأشباح من حيث تجانس مقاماتها في الطاعات، ورؤية الآيات، والضفر بالكرامات، وموافقة الأرواح بائتلافها، ومجانسة مقاماتها في المشاهدات، وسلوكها في مسالك المراقبات والمحاضرات، وموافقة القلوب، من تجانس سيرها في الصّفات. فمن شاهد القدرة يأتلف بمن شاهد مقامه في القدرة، وكذلك مقام رؤية جميع الصفات.

لأنّ سيرَها في أنوار الصفات وموافقة العقول مِنْ تجانسِ إدراكِها أنوارَ الأفعالِ، وتحصيلَها سناءَ الحكمياتِ مِنْ أصول الآيات وتدبُّرِها، وتذَكُّرَها فيه بأنوارِ الهداياتِ، وموافقةِ الأسرار، من تجانسِ مشاربِها مِنْ مشاهدِ القِدَمِ، ومطالعة الأبد. وكلِّ سِرٍّ يَرِدُ مِنْ مشرب المعرفة، أو المحبّة، أو الشوق، أو التوحيد، أو الفناء، أو البقاء، أو السُّكْرِ، أو الصّحْوِ، تستأنس بِمَنْ يكون شربُه مِنْ مقامِه مِنَ الأسرار، فسبحان الذي ألّفَ بين كلّ جنس مع جنسه رحمةً منه وتلطُّفاً.

قال عليه السلام في بيان ما شرحنا من ائتلافِ هذه المؤلَّفات، واستئناس هذه المستأنَسات في مقام القربات: "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف". . فاتلاف المريدين بإرادة، وائتلاف المحبّين بالمحبّة، وائتلاف المشتاقين بالشوق، وائتلاف العاشقين بالعشق، وائتلاف المستأنسين بالأنس، وائتلاف العارفين بالمعرفة، وائتلاف الموحِّدين بالتوحيد، وائتلاف الكاشفين بالكشف، وائتلاف المشاهدين بالمشاهدة، وائتلاف المخاطَبين بسماع الخطاب، وائتلاف الواجدين بالوجد، وائتلاف المتفرّسين بالفِراسة،
وائتلاف المتعبّدين بالعبودية، وائتلاف الأولياء بالولاية، وائتلاف الأنبياء بالنبوّة، وائتلاف المرسَلين بالرّسالة. فكل جنس يستأنس بجنسه، ويَلْحَق بِمَن يليه في مقامه.
قال بعضهم: ألَّفَ بين قلوب المرسلين بالرسالة، وقلوب الأنبياء بالنبوّة، وقلوب الصدّيقين بالصّدق، وقلوب الشّهداء بالمشاهدة، وقلوب الصّالحين بالخدمة، وقلوب عامّة المؤمنين بالهداية. فجعل المرسلين رحمة على الأنبياء، وجعل الأنبياء رحمة على الصدّيقين، وجعل الصدّيقين رحمة عل الشّهداء، وجعل الشّهداء رحمة على الصّالحين، وجعل الصّالحين رحمة على عامّة المؤمنين، وجعل المؤمنين رحمة على الكافرين.
وقال أبو سعيد الخراز: ألّفَ بين الأشكال، وغاير الرّسوم لقلم آخر، فكلٌّ مربوطٌ بجنسِهِ، ومستأنِسٌ بأهلِ نِحْلته، وهذا معنى قوله صلى الله عيه وسلم: "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف.". أهـ.
قلت: وإذا فهمتَ جميع ما تقدم، وأعطيتَه مِنَ التّأمّل حقّه، علمتَ عِلماً قطعيّاً يحصل لك به علمُ معنَى قولِ الشيخ زروق ﷺ:
الإعتقاد أصل في كل خير.

وقول القشيري:

الإعتقاد ولاية.

وكذا غيرهما مِنَ السّادات رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وهذا ظاهر جليّ لكلّ موفَّق، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (3)، والله تعالى الموفق بمنّه إلى الصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة الليل، الآيات 5 – 7.

2.سورة الأنفال، الآيتان 62، 63.

3.سورة النور، الآية 40.

الفصل الرّابع

في بيان بعض الحجب التي تمنع الناس عن معرفة أولياء الله، ليتبه لها العاقل فيخرقها كلّها، ويصل إلى معرفتهم، وبمعرفتهم يصل إليهم، وبالوصول إليهم يصل إلى الله تعالى، وهو غاية المطلوب.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: إعلم أنّ الحُجُب التي تَحْجُب عن معرفة أولياء الله تعالى كثيرة، منها شهود المماثلة، وهو أشدّ حجاب يحجب عن معرفة الأولياء، به حَجَبَ الله تعالى الأولين عن معرفة النبيئين، قال سبحانه وتعالى: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ (1)،

وقال حاكيا عنهم: قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا (2)، وقال: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (3)، وقال: وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ (4)، وقال حاكيا: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ (5)، وقال: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا

تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (6)، وقال حاكيا عنهم: فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (7)، وأخبر أنهم قالوا: مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ (8)، وقال مخبرا عنهم: قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (9)، وقال: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ

فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ. (10)

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن:

وأشد حجاب يحجب عن معرفة أولياء الله تعالى شهود المماثلة، وهو حجاب قد حجب الله به الأولين، وقال سبحانه وتعالى حاكيا عنهم: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ تَشْرَبُونَ (11)، وقال سبحانه وتعالى مخبرا عنهم: أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ (12)، وقال عزّ وجلّ عنهم: مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي

الْأَسْوَاقِ (13)، وإذا أراد الله تعالى أن يعرّفك بِوَلِيّ من أوليائه طوى عنك بشريته، وأشهَدَكَ وجود خصوصيته

ومنها حجاب المعاصرة، لأنّ أكثر مَنْ عاصر وليّا يجحد ولايته، وينكر عليه، لِآفَتَيْنِ، إحداهما كراهة غالب الناس أن يكون لأحد من أهل عصرهم شرف عليهم بمنزلة أو إختصاص

حسدا من عند أنفسهم. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في أول طبقاته:
وإنما كان المعترف للأولياء والعلماء بتخصيص الله لهم وعنايته بهم واصطفائه لهم قليلا في الناس لغلبة الجهل بطريقهم، واستيلاء الغفلة، وكراهة غالب الناس أن يكون لأحدهم عليهم شرف بمنزلة واختصاص حسدا من عند أنفسهم

قلت: وما ابْتُلِيَ بهذا الحجاب أحد مثل الفقهاء الذين يجمدون بعلم الفروع، المسمى بعلم الفقه اصطلاحا. قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن:
ولقد ابتلى الله سبحانه هذه الطائفة بالخلف، خصوصا أهل العلم الظاهر، فقَلَّ أن تجد منهم مَنْ شرح الله صدره للتّصديق بوليّ معيّن، بل يقول لك: نَعَمْ، نعلم أنّ الأولياء موجودون، ولكن أين هم؟ فلا تذكر له أحدا إلاّ وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان باحتجاج عارٍ من وجود نور التصديق. فاحذر ممن هذا وصفه، وفِرَّ منه فرارك من الأسد. أهـ.
الثانية تقييد فضل الله بزمان أو مكان أو عين. قال المواهب التونسي رضي الله تعالى عنه:
واحذروا من قولكم ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء، فإنهم ماذهبوا حقيقة وإنما هم ككنز صاحب الجدار، وقد يعطي الله من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأول، فإن الله تعالى قد أعطى مُحَمَّدا ﷺ ما لم يعط الأنبياء قبله، ثم قدّمه في المدح عليهم. أهـ.
وقال الشيخ أحمد زروق رضي الله تعالى عنه في تأسيس القواعد:
النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيث أصل شرعي أمر جاهلي، حيث قال الكفار: لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٌ (14)، فردّ الله تعالى عليهم بقوله: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ، الآية (15)، وقالوا: إنّا وجدنا آباءتا على أمّة وإنّا عل آثارهم مقتدون (16)، فردّ الله عليهم بقوله: قُلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ، الآية (17)، فلَزِمَ النظرُ لِعموم فضل الله من غير مبالاة بوقتٍ ولا شخصٍ إلاّ من حيث ما خصه الله تعالى به.
والأولياء في ذلك تبع للأنبياء، لأن الكرامة شاهدة لمعجزة، والعلماء ورثة الأنبياء في الرحمة والحرمة وإن تباينا في أصل الفضل له.

وفيه: وجود الجحد مانع من قبول المجحود أو نوعه لنفور القلب، والتصديق مفتاح الفتح لما صُدِّقَ به وإن لم يتوجه له إذْ لا دافع. فالمتوقف مع الفقه يتعيّن عليه تجويز المواهب والفتح من غير تقييد بزمان ولا مكان ولا عين، لأن القدرة لا تتوقف أسبابها على شيء وإلاّ كان محروما مما

قام به جحوده. إنتهى.

وصاحب هذا الحجاب لا ينتفع بأحد من أولياء عصره. وفي طبقات الشعراني:

من كان شأنه الإنكار لا ينتفع بأحد من أولياء الله في عصره، وكفى بذلك خسرانا مبينا. أهـ.

وقال أبو المواهب التونسي:

وإياك يا أخي أن تُحْرَمَ احترام أصحاب الوقت فتستوجب الطرد والمقت، فإنّ مَن أنكر على أهل زمانه حُرِمَ بركة أوانه. أهـ.

فلهذا قال شيخنا رضي الله تعالى عنه، كما في جواهر المعاني:

ومَن أعرض عن أهل عصره، مستغنيا بكلام مَنْ تقدّمه مِنَ الأولياء الأموات طُبِعَ عليه بطابع الحرمان، وكان مثله كمن أعرض عن نبيّ زمانه وتشريعه مستغنيا بشرائع النبيّين الذين خلوا قبله، فيسجل عليه بطابع الكفر. أهـ.

ومنها حصر الولاية على الإتّصاف بالأوصاف التي ذكرها المؤلفون في كرامات الأولياء، وذكروا فيها شروط الولاية وضوابطها وقواعدها، وكيف ينبغي أن يكون الشيخ الذي يُتَّخَذ شيخا، وإذا سمع من لا دراية له بالأولياء وليا، وكان ذلك السامع قد طالع تلك الكتب المؤلفة في كرامات الأولياء، صوّر الوليَّ على نحو ما يسمع في تلك الكتب، فإذا عَرَضَ تلك الصورة على أولياء زمانه شك فيهم أجمعين. قال في الإبريز:

وكم مِن واحد سقط من هذا السبب، فإنه إذا طالع الكتب المؤلفة في كرامات الأولياء صَوّر الوليَّ على نحو ما يسمع في تلك الكتب، فإذا عرض تلك الصورة على أولياء زمانه شك فيهم أجمعين لِمَا يرى ويشاهد فيهم من الأوصاف التي لا تكتب في الكتب، ولو أنه شاهد الأولياء الذين دُوِّنَتْ كراماتُهم قبل تدوينها لوجد فيهم من الأوصاف ما أنكره على أهل زمانه. وقد يبلغ الجهل بأقوام إلى إنكار الولاية عن كل موجود من أهل زمانه لِمَا استحكم في عقولهم من حصر الولاية، وتحقيقها بالضوابط.

فإذا نزّل تلك الضوابط على موجود من أهل زمانه وجَدَها لا تطابقه، فينفي الولاية عنه، ويصير حاصله أنه يؤمن بِوَلِيٍّ كلّي لا وجود له في الخارج، ولَمْ يَدْرِ أنّ الولاية هي مجرد اصطفاء من الله لعبده، ولا يقدر على ضبطها مخلوق من المخلوقات. قال: وقد وقع لبعض الفقهاء من أهل العصر معنا حكاية في هذا المعنى، وذلك أنه أتى ببعض كتب القوم وهو يذكر فيه شروط الولاية

وضوابطها، وكيف ينبغي أن يكون الولي الذي يشيخ، فقال لي: أردت منكم أن تسمعوا مِنِّي ما ذكره هذا الكتاب في الولاية، وشروط الوليّ، وقد فهمت إشارته،
وأنه أراد الإنكار على بعض من يُشار إليه بالولاية، فأراد أن يقرأ عليّ ما في ذلك الكتاب. فإذا سلّمتُه ألْزَمَني ما في باطنه من الإنكار والإعتراض على أولياء الله عز وجل، فقلت له: لا تقرأ عليّ ما في هذا الكتاب حتى تجيبني عن سؤال، فإذا أجبتني عنه فاقرأ عليّ ما شئت. أخبرْني عن مؤلف هذا الكتاب، هل أحاط بخزائن الله وعطائه وملكه العظيم، أو هو كما قال الخضر لموسى عليه السلام ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور بنقرته من البحر؟ فإذا أحاط بملك الله وخزائنه فقولوه حتى أسمعه منكم.

فقال: معاذ الله أن نقول ذلك. فقلت: وإن قلتم هو كما قال الخضر لموسى عليهما السلام فالسكوت خير له، فإنّ مثاله كمثل نملة لها غُوَيْرٌ صغيرٌ تأوى إليه وتسكن فيه، فخرجتْ عنه فوجدتْ حبة القمح، ففرحت بها، وأدخلتها في مسكنها، وحَمَلَها الفرح على أن جعلت تصيح وتنادي: يا جميع النمل لا مأوى إلا ما عندي، ولا خير إلا ما أنا فيه. فقلت له: إنّها تُتعِب حلقَها، وتوجع رأسها بلا فائدة.
فإنّ مَنْ عِلْمُهُ مِنْ عِلْمِ الله كنقرة العصفور من البحر، كيف يَصِحّ منه أن يقطع على المولى الكريم، ويقول له أنه لا يرحم إلا هذا، ولا يفتح على هذا، وليس هذا من الأولياء، وضوابط الولاية لا تصدق على هذا ولا تطابقه؟ وإذا كان الله تعالى يرحم العبد وهو على الكفر فيعطيه الإيمان، ثم يفتح عليه من ساعته، فأي قاعدة تبقى للولاية حينئذ؟ وإذا قيل لك عن السلطان الحادث العاجز، المُوَلّى على الناس إنه أغنى عبده الفلاني، ومنع الحر الفلاني، وخلع على اليهودي الفلاني كذا وكذا، فإنك لا تستبعده لأنك تعتقد أنه لا
منازع له في ملكه، وإذا كنتَ تعتقد هذا في المَلِكِ الحادث، فكيف تمنع المَلِكَ القديم سبحانه مِنْ ذلك بضوابطك وقواعدك، وإنك تعتقد أنه فعال لما يريد، وأنه غالب على أمره؟ فقال الفقيه: هذا الذي قلتم صواب. والله إنه لَحَقٌّ. وطوى كتابه وقال: إنْ قُلنا أنّ هؤلاء المؤلفين أحاطوا بالله فبئس ما قلنا. إنهم لم يحيطوا بالنزر منه، فلا ينبغي لنا أن نحجر على الله بقواعدهم، فلَوْ سكتوا لكان خيراً لهم، والمهديّ مَن هداه الله، وكم مِن مهديّ هُدِيَ قبل أن تكون هذه القواعد والضوابط والله الموفق.

ومنها ظنّهم أن الولي موصوف يوصف من أوصاف الربوبية، وهو أنه يفعل ما يشاء، ولا يلحقه عجز، وبوصف من أوصاف النبوّة، وهو العصمة، وإذا رأوا وليّا دعا ولم يُستجَبْ له، أو رأوا ولدَه على غير طريق الشرع، أو مرته لا تتقى الله، قالوا ليس بوليّ، إذْ لو كان وليّا لاستجاب الله دعاءه، ولو كان وليّا لأصلح أهلَ داره. وفي الإبريز:

وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: إنّ الذين ألّفُوا في كرامات الأولياء رضي الله تعالى عنهم، وإنْ نفعواالناسَ مِن حيث التعريف بالأولياء، فقد ضروا بهم كثيرا من حيث اقتصروا على ذكر الكرامات. على أنَّ الواقف على كلامهم، إذا رأى كرامةً على كرامةٍ، وتصرّفاً على تصرّفٍ، وكشفاًعلى كشفٍ، توهّم أنّ الوليّ لا يعجِز في أمر يُطلَب فيه، ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو ظاهرا، فيقع في جهل عظيم لأنّه يظن أنّ الولي موصوفٌ بِوصْفٍ من أوصاف الربو بية، وهو أنه يفعل ما يشاء، ولا يلحقه عجز، وبوصفٍ من أوصاف النبوّة

وهو العصمة، والأمر الأوّل من خصائص الربوبية، ولم يعطه الله لرسله الكرام فكيف بالأولياء؟

قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ (18)، وقال: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (19)، وقال ﷺ: "سألت ربّي اثنين فأعطانيهما وسألته اثنين فمنعنيهما، قال تعالى: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ (20) فقلت: أعوذ بوجهك، فقال: قد فعلت، فقال: أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ (

21) فقلت: أعوذ بوجهك، فقال: قد فعلت، فقال: أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا (22) فقلت: أعوذ بوجهك، فقال: قد سبق القضاء، فقال: وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ (23) فقلت: أعوذ بوجهك، فقال: سبق القضاء."

وقال تعالى في سؤال نوح نجاة ابنه من الغرق: وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ

أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (24)، وقال تعالى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا (25)، والناس اليوم إذا رأوا وليا دعا ولم يستجب له، أو رأوا ولده على غير طريق الشرع، وامرته لا تتقى الله قالوا ليس بوليّ إذ لو كان وليا لاستجاب الله دعاءه، ولو كان وليّا لأصلح أهل داره، ولا يظنون

أن الولي يصلح غيره وهو لا يقدر على إصلاح نفسه.
قال تعالى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ. (26)
والأمر الثاني، وهو العصمة، فهو من خصائص النبوّة، والولاية لا تزاحم النبوّة، قال رضي الله تعالى عنه: والخير الذي يظهر على يد الولي إنما هو من بركته عليه الصلاة والسلام، إذِ الإيمان الذي هو السبب في ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبي ﷺ، أما ذات الولي فإنها كسائر الذوات، بخلاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم جُبِلوا على العصمة،

وفُطِروا على معرفة الله تعالى وتقواه، بحيث أنهم لا يحتاجون إلى شرع يتبعونه، ولا إلى معلم نبيه يستفيدون منه، والحق ساكن في ذواتهم، وحرف النبوة الذي طبعوا عليه يسلك بهم المنهج القويم، والصراط المستقيم. قال رضي الله تعالى عنه: ولو أن الناس الذين ألّفوا في الكرامات قصدوا إلى شرح حال الولي الذي وقع التأليف فيه، فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة، والأمور الفانية، لَعَلِمَ الناسُ الأولياء على الحقيقة، فيعلمون أنّ الوليّ يدعو تارة فيستجاب له ومرة لا يستجاب له، ويريد الأمر، فتارة
يُقضَى وتارة لا يقضى، كما وقع للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. ويريد الوليّ بأنه تارة تظهر الطاعة على جوارحه، وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس، وإنما امتاز الوليّ بأمر واحد، وهو ما خصه الله تعالى به من المعارف، ومنحه من المفتوحات. ومع ذلك فالمخالفة إنْ ظهرتْ عليه فإنما هي بحسب ما يظهر لنا لا في الحقيقة، لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة، وتمنع المعصية منعا لا ينتهي إلى العصمة حتى تزاحم الولاية النبوّة، فإن المنعَ من المعصية ذاتي في الأنبياء، عرَضيّ في الأولياء، فيمكن زواله في
الأولياء ولا يمكن زواله في الأنبياء، وسرّه ما سبق، وهو أنّ خير الأنبياء من ذواتهم، وخير الأولياء من غير ذواتهم، فعصمة الأنبياء ذاتية، وعصمة الأولياء عرضية. فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صورية غير حقيقية، قَصَدَ بها امتحان من شاهدها واختباره، ولذلك أسرار، فنطلب من الله أن يوفّقنا للإيمان بأوليائه كما وفّقنا للإيمان بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

قال رضي الله تعالى عنه: ومن علِم سيرة النبي ﷺ في أكله وشربه ونومه ويقظته، وجميع أحواله في بيته، وعلِم سيرته في حروبه وغزواته، وكيف يُدال له مرّة ويُدال عليه أخرى، وكيف يطلب منه أناس قوما من أصحابه ثم يذهبون ويغدرون بهم كما في غزوة الرجيع وغزوة بئر المعونة، وعلِم ما وقع في قصة الحديبية وغيرها، ولكل ذلك أسرار ربانية أطْلَعَ الله عليها نبيّه هانت عليه معرفة الأولياء. ولا يستكثر ما يراه على ظواهرهم من الأمور الفانية، والأوصاف البشرية، والله تعالى الموفق.

ومنها الإعتقاد الجاري عند من لم يكن له إلمام بمعرفة مقامات الأولياء ومشاهدهم، وهو اعتقادهم أنّ كلّ من رآه لا يفرّق أمواله لعباد الله بخيل، والبخل يخالف الولاية، فينفون عنه الولاية بظنهم أنه بخيل وهو بريء منه. قال في لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: إعلم يا أخي، أنّ من الأولياء من لم يجعل الله على يديه شيء من أرزاق الخلائق لإقامته في حضرة اسمه المانع، فيقول الناس حاشا أن يكون هذا من أولياء الله تعالى فإن شرط الولي السخاء والكرم، ولو كان من أولياء الله تعالى لكان كريما سخيا، وذلك لا يقدح في كمال ولاية الولي، لأنه لم يمنع ذلك بخلا وإنما هو يودّ أن لو جعل الله على يديه رزقا لأحد وأعطاه له، والإثم إنما هو في حقّ من يمنع شحّا وبخلا في الطبيعة، وأمّا من يمنع لحكمة فلا إثم عليه، إذِ الأولياء على الأخلاق الإلهية درجوا، وقد سمّى الله نفسه المانع ولم يُسَمِّ نفسه بخيلا. وربما كان الولي الذي ليس له سفرةً، ولم يُطعِم لقمةً أحدا، أعلى في المقام ممّن سفرتُه ممدودةٌ ليلا ونهارا، وقد قدمنا قبل هذا العهد قريبا أنّ مِن عباد الله الكمّل قوما حماهم الله تعالى من مشاركة الحق تعالى في خطور

مِنَّتِهِمْ على أحد من خلقه، فلذلك لم يجعل على أيديهم رزقا لأحد يتميّزون فيه على أقرانهم خوفا أن يخطر على بالهم المنّة على أحد منهم ولو في حال العطاء فقط، ورأوا أن سلامتهم من مزاحمة الله تعالى في المنة أرجح من ذلك العطاء، كما هو مشهد الكمل من الملامتية في تركهم كثيرا من النوافل التي يرى العبد بها أنه قد وفّى بحق الربوبية وزاد عليه، فافهم.

وقال في تنبيه المغترين: ومن أخلاقهم كثرة السخاء والجود، وبذل الأموال، ومواساة الإخوان في حال سفرهم وفي حال إقامتهم، إلى أن قال، قلت: مِنْ أسماء الله تعالى المانع، فيمنع سبحانه وتعالى مَن سأله حاجة لحكمة لا لبخل، تعالى الله عن ذلك، فما نُقِلَ عن بعض الأكابر من أنْ

مَنَعَ السائلَ فهو لحكمة لا لبخل، تخلّقا بأخلاق الله عزّ وجلّ، فليفهم. أهـ.

ومنها قبولهم من الخلق، قال في لطائف المنن:

ومِنْ حُجُبِ أولياءِ الله قبولُهم مِنَ الخلق، فإذا قَبِلَ الرجلُ ما يُعْطَى صغُر عند الخلق، وهم لا يكبر عندهم إلاّ مَن لم يَقْبَلْ من دنياهم، ومَنْ إذا أُعطِيَ ردَّ عليهم، وأبى من القبول. ولعلّ فاعل ذلك إنما فعله تزويقا وزبرجة، واستئلافا لقلوب العباد ليتوجهوا بالتعظيم عليه، ولتنطق الألسن بالثناء عليه.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه: من طلب الحمد من الناس يترك الأخذ منهم، وإنما يعبد نفسه وهواه وليس من الله في شيء. أهـ.

ومنها وقوع زلّة ممّن تزيّا بزيّهم، وانتسب إلى مثل طريقهم. قال في لطائف المنن أيضا:

وقد يصدّ عقولَ العوامّ عن أولياء الله تعالى وقوعُ زلّة ممّن تزيّا بزيّهم، وانتسب إلى مثل طريقهم. والوقوف مع هذا حرمان لمن وقف معه

وقد قال سبحانه وتعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (27)، فمن أين يلزم إذا أساء واحد من الجنس، أو ظهر عليه عدم صدقه في طريقه، أن يكون بقية أهل تلك الطريق كذلك؟ وقد أنشد الشيخ علم الدين الصوفي بنفسه في هذا المعنى:

إسْتِتَارُ الرّجالِ في كل أرض ... تحت سوء الظنون قدر جليل

ما يضرّ الهلالَ في حندس الليـ ... ـل اسوداُ السّحاب وهو جميل

ومنها اعتقادهم أنّ الأولياء لا يكونون إلاّ في القفار والصحاري، ولا يكونون مختلطين بالناس، مُمَاثِلِيهِم في الأمور المباحة. وبعضهم يعتقد ويجوز وجود الأولياء بين الناس لكنه يعتقد أنّ الكائنين في الصحاري والكهوف أكمل. وبعضهم يعتقد أن الإنسان لا يكون وليّا إلاّ إذا كان في الخلوات، وأما إذا كان منغمسا في الناس فإنه ليس بِوَلِيّ قطعا، قال في لطائف المنن:

العلماء إذا رأوا إنسانا ينتسب إلى طريق الله جاء من البراري والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم، وكَمْ من بَدَلٍ ووليّ بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالا، وهو الذي يحمل أثقالهم، ويدفع الأغيار عنهم. فمَثَلهم في ذاك كمَثَل الوحش يدخل فيهم، فيحيط الناس به متعجّبين به لتخاطيط جلده، وحسن صورته، والحمُر التي بين أظهرهم، التي تحمل أثقالهم، لا يلتفتون إليها.

أهـ.

وقال في الإبريز:

أنه كان يتكلم مع شيخه عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ رضي الله تعالى عنهما، قال: فذكرت له تعظيمَ الناس للعباد المنقطعين في الكهوف وجزائر البحر، ومدحتهم كثيرا، وقلت أنهم انقطعوا لعبادة الحق سبحانه، وتجرّدوا من جميع الأغيار. قال رضي الله تعالى عنه: أحكي لكم حكاية فاسمعوها، والله حسبي وسائلي إن زدتُ فيها شيئا، فقلتُ: معاذ الله أن يقع ذلك في أوهامنا، أو يهجس في خواطرنا، قال رضي الله تعالى عنه: كنت ذات يوم في المصلّى بباب الفتوح مع الشيخ سيدي منصور، فبدا لنا أن نذهب إلى جزيرة في البحر الكبير الذي يضرب

في مدينة سلا، قال: فذهبنا إليها، فإذا هي جزيرة فيها قدر ميل، وفيها عينان من الماء العذب، ووجدنا فيها رجلا يعبد الله تعالى وسنه نحو الأربعين سنة، وفيها بيوت منحوتة من الحجر، وفي وسط البيوت بيوت صغار كهيئة البيوت الصغار التي في داخل الحمام، قال: ولا أدري مَنْ نَحَتَها، لأنّ الموضعَ بعيدٌ من العمران جدّا ولا تبلغه السفن بوجه ولا بحال، وقد تبلغه السفن أحيانا، وفيها من الأشجار نوع يشبه ثمرة اللوز إلاّ أنه يخالفه، ونوع آخر يشبه شجر التغزاز المعروف عندنا إلاّ أنه أقصر منه، وله ورَقٌ عريض أخضر دائما.

فنظرتُ إلى الرجل، وإذا قُوتُهُ ذلك التمر الذي يخرج من ذلك النوع الشبيه باللوز، وذلك الورق الأخضر الذي في النوع الآخر الشبيه بالتغزاز، وهو قُوتُهُ دائما. ونظرنا إلى لباسه، فإذا هو قد عَمَدَ إلى قضبان ذلك النوع الشبيه بالتغزاز، وهي قضبانٌ رِقَاقٌ، فضفر بعضها مع بعض حتى جعل منها مثل الحزامة فاحتزم بها وستر عورته، والباقي بلا ستر.

فكلّمناه وقلنا له: كَمْ لك في هذا الموضع؟ فقال: لي فيه نحو الأربعين سنة، فقلنا له: سِنُّكَ كلّها قدر الأربعين، فمتى جئتَه؟ فقال: جئتُه مع أبي ولي نحو من الخمس سنين وأنا صبي صغير، فبقيتُ مع أبي نحو الخمس والعشرين سنة حتى مات، فدفنته هناك، فقلنا له: أرِنَا قبره لنزوره، فأرانا قبره، فدعونا له، ثمّ جعلْنا نتكلم معه، فوجدنا لسانه ثقيلا جدا لِقِلَّةِ مخالطة الناس وهو صغير، ووجدناه يتكلم بالعربية لأنه من القوم المجاورين لتونس، وهم يتكلمون بالعربية، فسألناه عن الإيمان، فوجدناه يعرف الله، إلاّ أنه يعتقد

الجهة فنهيناه عن ذلك وبَيَّنَّا له الصواب، ووجدناه يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وأنه سيّد الأولين والآخرين، ويعرف أبا بكر رضي الله تعالى عنه، ويعرف فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام، وسألناه عن ابنها سيدنا الحسن فلم نجده يعرفه، وسألناه عن شهر رمضان فما وجدناه يعرفه، وذكَر أنه يصوم ثلاثين يوما ولكنها مُفَرّقة في السنة، فبَيّنّا له وجوب صوم رمضان، وعَيَّنّا له موضعَه مِنَ السنة، وسألناه عمّا يحفظ من القرآن فلم نجده يحفظ منه سوى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم الذين أنعمت عليهم، هكذا

يحفظ هذا القدرَ مُصَحّفا، فقلنا: وما عبادتك؟ قال: الركوع والسجود لله عزّ وجلّ، فقلنا له: وهل تنام؟ فقال: أنام عند سقوط الشمس للغروب إلى أن يظلم الحال، وما عدا ذلك كله ركوع وسجود، فقلت له: هل لك أن تخرج إلى بلد الإسلام وتعاشر أهله، فإنك على دينهم، وتؤمن بنبيّهم صلى الله عليهم وسلم، فقال: نعم أنا مسلم من جملة المسلمين، لكنّي لا أخرج عن موضعي هذا حتى أموت.

قال: وكنّا إذا كلمناه وقرّبنا منه عند الخطاب بَعَدَ منّا لعدم ألفه بالناس، قال: وهو لا يطيق إنْ أكلَ مِنْ طعامنا، ولا تطيقه ذاته لطول ألفها بغيره، قال: فنظرنا فإذا نحو قدر مُدٍّ من الريال عنده وفيه بعض المثاقيل من الذهب، فقلت له: من أين لك هذا؟ فقال: أرباب السفن يأتون بعض الأحيان إلى هذه الجزيرة فيرونني فيعطوني شيئا من الريال والدنانير بقدر الزيارة والتبرك، ويطلبون منّي معروفا فادعوا لهم وينصرفون، فقلنا له: أعْطِنا هذه الدنانير والريالات، لا حاجة لك بها لأنك لا تنوي أن تبني بها دارا، ولا أن

تتزوج بها، ولا أن تكتسي بها، فما لك بها من حاجة فنأخذها نحن فلنا بها حاجة، فأبى وقال: دراهمي لا أعطيها لكم. قال: وبقينا معه ساعة طويلة بقصد أن نُعلِّمَه شرائع الإسلام، ثمّ ودّعناه وانصرفنا. فلما رآنا نمشي على ظهر الماء بأرجلنا ولا يصيبنا من الماء شيء، ولم يحصل لنا غرق، جعل يستعيذ بالله منّا، وظنّ أنّنا من الشياطين. قال رضي الله تعالى عنه: وهو إلى الآن في جزيرته في قيد الحياة، وذلك في الثاني من ذي الحجّة مكمّل سبعة وعشرين ومائة و ألف.

قال الشيخ أحمد بن مبارك قلت: وفي هذه الحكاية مواعظ، الأولى: معرفة النعمة الحاصلة لنا في مخالطة المؤمنين، فإن ذلك يوصلنا إلى معرفة شرائع الإسلام وأحوال النبي ﷺ وسيرته وسيرة أصحابه رضي الله تعالى عنهم، وكيف كان زمانه ﷺ وزمان أصحابه رضي الله تعالى عنهم، إلى

غير ذلك من الأمور التي يزيد بها الإيمان، فإن هذا الرجل لمّا فاتته مخالطة أهل الإسلام فاتته معرفة هذه الأحوال حتى قلت لشيخنا رضي الله تعالى عنه: لقد أضرَّ به أبوه الذي قدم به إلى هذه الجزيرة وقطعه عن أهل
الإسلام، ولو تركه لكان خيرا له وأسعد به، فقال: صدقت، فهاهنا تعزّ قيمة المؤمنين ولو كانوا عصاة، فإنّ معرفتهم بالدين وشرائع الإسلام لا يَعْدِلُهَا شيء، فالحمد لله على مخالطة أهل الإسلام، ومزاحمتهم في الأسواق ونحوها، ولا سيما المزاحمة في مواطن الخير، ولهذا يقول الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني ﷺ: إنّ النظر في وجوه المؤمنين يزيد في الإيمان.

الثانية: معرفة النعمة التي أنعم الله بها علينا في الأكل والشرب والكسوة والنوم والراحة والنكاح والتناسل وغير ذلك من النِّعم التي حُرِمَهَا هذا المتعبِّد، فإنه كما حُرِم معرفةُ هذه النعمة حُرِم هذه النِّعَمُ أيضا، ولو خالط أهل الإسلام لتنعّم بهذه النّعم، ولشكر الله عليها، وكان شكره عليها موفيا وقائما بعبادته في تلك الجزيرة طول عمره. الثالثة: ما يغترّ به كثير من الناس في أمر المنقطعين في الفلوات والخلوات، واعتقادهم الكمال فيهم، وأنّ المقام الذي يبلغونه لا يبلغه الأولياء المنغمسون في الناس. إنتهى.
ومنها ظهور الولي بالسطوة والعزة، قال في لطائف المنن:
فمنهم من كان حجابه ظهوره بالسطوة والعزة، والنفوس لا تحتمل مَنْ هذا وصفه. وسبب ظهور ذلك الولي بذلك تجلّي الحق عليه به بصفة ظَهَرَ بها، فإذا غلبتْ عليه شهودا، غلبت عليه تلك الصفة ظهورا، فلا يصحبه ولا يثبت معه إلاّ مَنْ مَحَقَ الله نفسَه وهواه. ومن هذا الصنف كان شيخنا ومولانا أبو العباس رضي الله تعالى عنه، لا تجلس بين يديه إلاّ والرعب قد ملأ قلبك، ومَنْ خلَّصَهُ الله مِنْ نفسه وهواه فلا يستغرب ظهوره بالعزّ.
فأي ملك أعظم من هذا الملك؟ هذا ملك أعوز الملوكَ وجودُه، أفلا ترى أنه لم يزل في كل قطر وعصر أولياء تذلّ لهم ملوك الزمان، ويعاملونهم بالطاعة والإذعان؟.
وقال في كشف القناع:
ومنها ـ يعني ومِنَ الظنون السيئة ـ مبادرتك إلى الإنكار على مَنْ تراه من العلماء والصالحين ذا عزّة وسطوة، فرُبَّما كان حجابه عن الخلق بذلك.

وفي كلامهم: لكل وليّ ستر أو أستار، فمنهم من يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر على حسب ما يتجلى الحق تعالى لقلبه، فيقول الناس حاشا أن يكون هذا وليّا وهو في هذه النفس، وغاب عنهم أنّ الحق إذا تجلّى لقلب عبد بصفة القهر كان قهارا، أو بصفة الإنتقام كان منتقما، أو بصفة الرحمة والشفقة كان رحيما، وهكذا، ثم لا يصحب ذلك الولي أو ذلك العالم الذي ظهر بمظهر العز والسطوة والإنتقام من المريد والطلبة إلاّ مَن مَحَقَ الله نفسَه وهواه.

ومنها كثرة التردد إلى الملوك والأمراء في حوائج عباد الله، قال في لطائف المنن:

ومنهم مَن يكون حجابه التردّد إلى الملوك والأمراء في حوائج عباد الله، فيقول قصير الأدراك لو كان هذا وليّا ما تردّد إلى أبناء الدنيا، وهذا جور من قلبه، بل أنظر تردّده إليهم إنْ كان لأجل عباد الله وكشف الضرر عنهم، وتوصيل ما لا يستطيعون توصيله، مع اليأس والزهد مما في أيديهم، والتعزّز بالإيمان وقت مجالستهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فلا حرج على مَن هذا شأنه لأنه مِن المحسنين، وقد قال الله تعالى: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل (28)، وهكذا كان شيخ شيوخنا، القطب الكبير، أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه، حتى لقد سمعت الشيخ الإمام، مفتي الأنام، تقي الدين مُحَمَّد بن علي القشيري يقول: جَهْلُ الناسِ ووُلاّةِ الأمر بِقَدْرِ الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه كثرةُ تردّده إليهم في الشفاعات.

ويجب أن تعلم أن هذا الأمر لا يقوى عليه إلاّ عبد متخلّق بخلق الله تعالى، قد بذل نفسه وأذلّها في مرضاة الله، وعَلِمَ وسع رحمة الله فعامل بالرحمة عبادَ الله متمثّلا في قول رسول الله ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". ولقد يكون الرجل بين أظهرهم فلا يُلْقُون إليه بالا، حتى إذا مات قالوا لو كان فلان، وربما دخل في طريق الرجل بعد وفاته أكثرُ مما دخل في حياته.

ومنها كون الولي مُقاما في الأسباب، قال في لطائف المنن أيضا، حاكيا عن الشيخ رضي الله تعالى عنه:

لكل وليّ حُجُبٌ، وحجابي الأسباب.

ومنها تصوير الولي في الذهن عند سماع اسمه قبل الإجتماع به، قال في الإبريز أنه سمع شيخه رضي الله تعالى عنهما يقول:

إن الرجل قد يسمع بالولي في بلاد بعيدة فيصوره لنفسه على صورة تطابق الكرامات التي تُنْقل عنه، فإذا وَجَدَه على غير تلك الصورة التي سبقت في ذهنه وقع له شك في كونه هو ذلك الولي، ثم ذكر رضي الله تعالى عنه أن رجلا من الجزائر سمع بوليّ في فاس، ونُقِلَتْ إليه عنه كراماتٌ، فصوّره في نفسه في صورة شيخ كبير له هيئة عظيمة، فارتحل إليه لينال من أسراره.

فلما وصل مدينة فاس، سأل عن دار ذلك الولي فدُلَّ عليها، وكان يظن أن للولي بوّابِين يقفون على باب داره، فدقّ البار، فخرج الوليّ، فقال القاصد: ياسيدي أريد منكم أن تشاوروا على سيدي الشيخ، فظن أن الخارج إليه بواب، فقال له الولي: الذي قصدتَه من بلادك، وسرتَ إليه مسيرة شهر أو أكثر هو أنا لا غيري، فقال: يا سيدي أنا رجل غريب، وجئت إلى الشيخ بشوق عظيم، فدلَّني عليه يرحمك الله، وذلك أنه نظر إلى الوليّ فلم يجد عليه إشارة، ولا صورة عظيمة، فقال له ذلك الولي: يا مسكين أنا هو الذي تريد، فقال القاصد: ألم أقل

لكم إني غريب، وطلبت منكم أن تدلّوني على الشيخ، وأنتم تسخرون بي، فقال له الولي: الله بيننا إن سخِرْنا بكم، فقال له القاصد: الله حسبك، وانصرف حيث وجدهُ على غير الصورة التي صوره في فكره. أهـ.

ومنها كثرة الغنى وانبساط الدنيا عليه.

رُوِيَ أنّ رجلا من الصالحين كان يتعبد في خلاء ومعه تلامذته، وكان عنده أسد يركبه، وحيّة يقيّد بها الأسد، وكان له أخ كثير الأموال، مشيد البنيان، وكان العابد في الخلاء يرسل إلى أخيه ويقول له إلى متى وأنت في الدنيا، وفي شغل عن الله تعالى.

وأرسل إليه يوما بعض تلاميذه، فوجدوه يشتغل في أمواله، وعليه مفاخر الثياب، فرجعوا إلى شيخهم ولم يبلغوا رسالته، وقالوا له: ما أرسلتنا لأحد، فقال لهم: إئتوني بالأسد. فركب أسده، وجعل حيّته عصا يضرب بها الأسد، ومضى مع تلاميذه حتى أتوه. فبنى لهم بيتا بإزاء الحيّ، وقال لأهله: أرسلي إليهم طعاما، وزيّني الجواري اللاتي يحملنه، ففعلتْ. فلما رأى العابد الجواري قال في نفسه والله إنهن لَحِسَانٌ، لولا أنّ فيهنّ شغلا عن الله.

فأرسل بعض تلاميذه إلى الأسد، فحمل عليهم الأسد والأسود، ففروا منهما، ومضى بنفسه إليهما فَفَعَلاَ به ما فَعَلاَ بالتلاميذ، فجاء أخوه فقبض بِأُذُنِ الأسد وضربه، وأخذ الأسود وقال لهما: أَبِزَلَّةٍ واحدةٍ تأخذان أخي؟ وقال لأخيه العابد: إفتَتَنْتَ بِجَوَارٍ يَحملْن الطعام، فكيف

بسيدتهنّ؟ وقال له: إمضي بتلاميذك، فلا يصحّ لكم إلاّ الخلاء، وليس الشأن في قتل الحيّة، وإنما الشأن في إمساكها وهي حيّة.

وقال في لطائف المنن:

وقد يكون حجاب الولي كثرة الغنى وانبساط الدنيا عليه، وقد قال بعض المشايخ رضي الله تعالى عنهم: كان بالمغرب رجل من الزاهدين في الدنيا، ومن أهل الجدّ والإجتهاد، وكان عيشه مما يصيده من البحر، وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه. فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب، فقال له الشيخ: إذا دخلت إلى بلدة كذا، فاذهب إلى أخي فلان فاقرئه منّي السلام، وتطلب الدعاء لي منه، فإنه ولي من أولياء الله تعالى.

قال: فسافرت حتى قدمت تلك البلدة، فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلاّ للملوك، فتعجبت من ذلك وطلبته، فقيل لي: هو عند السلطان، فزاد تعجّبي. فبَعْدَ ساعة إذا هو قد أتى في أفخر ملبس ومركب وكأنه ملك في موكبه، قال: فزاد تعَجّبي أكثر من الأول، فهممتُ بالرّجوع وعدم الإجتماع به، ثمّ قلت لا يمكنني مخالفة الشيخ، فاستأذنت فأُذِنَ لي، فلما دخلت، رأيت ما هالني من العبيد الخدم والشارة، فقلت له: أخوك فلان يسلّم عليك، قال جئتَ مِنْ عنده؟ قلت: نعم، قال: إذا رجعتَ إليه فقل له إلى كم اشتغالك بالدنيا، وإلى كم إقبالك عليها، وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها، فقلتُ: والله هذا أعجب. فلما رجعتُ للشيخ قال: إجتمعتَ بأخي فلان؟ قلتُ: نعم، قال: فما الذي قال لك، قلت: لا شيء، قال: لا بدّ أن تقول، فأعدْتُ عليه. قال: فبكى طويلا، وقال: صَدَقَ أخي فلان، هو غسل الله قلبَه مِنَ الدنيا وجعلها في يديه، وعلى ظاهره، وأنا آخذها من يدي، وعندي إليها بقايا التطلع.

ومنها غير ما ذُكِرَ ممّا يطول عدّه، وفي ما ذكرناه كفاية، والله تعالى الموفق بمنّه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1. سورة يونس، الآية 2.
2. سورة إبراهيم، الآية 10.
3. سورة الإسراء، الآية 93.
4. سورة الأنبياء، الآية 3.

5.سورة المؤمنون، الآية 24.

6.سورة المؤمنون، الآيتان 33، 34.

7.سورة المؤمنون، الآية 47.

8.سورة الفرقان، الآية 7.

9.سورة يس، الآية 15.

10.سورة القمر، الآيتان 23، .24

11.سورة المؤمنون، الآية .33

12.سورة القمر، الآية .24

13.سورة الفرقان، الآية .7

14.سورة الزخرف، الآية .31

15.سورة الزخرف، الآية .32

16.سورة الزخرف، الآية .23

17.سورة الزخرف، الآية .24

18.سورة آل عمران، الآية .128

19.سورة القصص، الآية 56.

20.سورة الأنعام، الآية 65.

21.سورة الأنعام، الآية 65.

22.سورة الأنعام، الآية 65.

23.سورة الأنعام، الآية 65.

24.سورة هود، الآيتان 45، 46.

25.سورة التحريم، الآية 10.

26.سورة النور، الآية 21.

27.سورة فاطر، الآية 18.

28.سورة التوبة، الآية 91.

الفصل الخامس

في إعلامهم أن زهد الكمل ليس هو بخلوّ اليدين من الدنيا وإنما هو بخلو القلب، ولا يتحقق لهم كمال المقام إلا بزهدهم فيما في أيديهم، وتحت تصريفهم، من غير حائل يحول بينهم وبينه.

وإعلامهم أن إيثار الزهد مع خلوّ اليدين ربما يكون لِعلّةِ الفقد، والضعف والعجز عن الطلب، وأنّ مِن شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجرّدا عن الدنيا بالكلية، وأنّ مَن لا كسب له، والناس ينفقون عليه، فهو من جنس النساء وليس له في الرجولية نصيب.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، قال في لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية:

أُخِذَ علينا العهد العام من الرسول ﷺ أن نقرض كلّ مَنِ استقْرَضَنا من المحتاجين، سواء كان مشهورا في حسن العاملة أم لا، إمتثالا لقول الله عزّ وجلّ: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا (1). وأما الفقراء ففاتتهم تلك اللذة وذلك الأجر، ومِنْ هنا تسارع الأكابر من الأولياء إلى التكسّب بالتجارة، والزراعة، والحرفة، ليفوزوا بلذّة الخطاب لا لِعِلَّةٍ أخرى مِن طلب ثوابٍ أو غيره، قال الله تعالى: رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ

وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (2). فوصْفُهُمْ بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم، وإقراضهم من فواضل كسبهم كلّ محتاج، مفهومه أنّ مَنْ لا كسْب له، والناس يُنفقون عليه، فهو من جنس النساء، وإن كان له لحية كبيرة، وسبحة، وسجادة، وعذبة، ومرفعة، وشفاعات عند الحكام، وغير ذلك، وليس له في الرجولية نصيب، قال الله تعالى: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (3)، قال: فعلم أنه لا يقدح في شيخ الزاوية أن يكون تاجرا أو زارعا، بل ذلك أكمل له. فإيّاك يا أخي أن تنكر على فقير التكسب بالتجارة، أو الزراعة، أو معاملة الناس أواخر عمره وقد ختم عمره بمحبّة الدنيا وشهواتها بعد أن كان زاهدا فيها وفي أهلها، فربّما يكون مشهد ذلك الفقير ما قلناه، أو غير ذلك من النيّات الصّالحات. فإنّ زهد الكمّل ليس هو بِخُلُوِّ اليدين من الدنيا وإنما هو بخلوّ القلب، ولا يتحقق لهم كمال المقام إلاّ بزهدهم فيما في أيديهم وتحت تصريفهم، من غير حائل يَحُولُ بينهم وبين كنزه.

وإيثار الزهد مع خلو اليدين ربّما يكون لِعِلَّةِ الفَقْدِ، فَقَدْ قالوا مِنْ شرط الدّاعي إلى الله أن لا يكون متجرّدا عن الدنيا بالكليّة بأنْ تخلو يدُه منها، وذلك لأنه يحتاج بالضرورة إلى سؤال الناس، إمّا بالحال وإمّا بالمقال، وإذا احتاج إلى الناس هان عليهم، وقَلَّ نفعُهم به، بخلاف ما إذا كان ذا مال يُعْطِي منه المحتاجين مِن مريديه وغيرهم.

فمَنْ فَقَدَ الحالَ الذي يُمِيلُ به قلوبَ المريدين إليه، كان معه المالُ يُمِيلُهم به، ومَن لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال، وفي الحديث: "عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه في قيام الليل" أهـ.

قلت: وفي الحديث أيضا: "أن من طلب الدنيا قليلا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالبدر"، وفيه أيضا: "أنه ﷺ كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة قد بكر يسعى قالوا ياويح هذا لو كان جلده وشبابه في سبيل الله فقال ﷺ لا

تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها على المسئلة ويغنيها على الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان"، وفيه: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا أعطاه الله فيسأله أعطاه أو منعه"، وقال حذيفة: "خياركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه"، وفيه: "لا تَسُبّوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر"، وفيه: "اليد العليا خير من اليد السفلى

وابدأ بمن تعول"، وفيه: "الفارّ من عياله كالفارّ من الزحف"، وفيه: "أنّ الصحابة أثنوا عند النبي ﷺ على رجل بالعبادة فقال ﷺ فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه ضيعنته قالوا نحن يا رسول الله صلى الله عليك وسلم فقال كلكم خير منه"، فقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه:

" ليس الشأن أن تَصُفَّ قدميك للعبادة وغيرك يقوتك، إنما الشأن أن تحرز رغيفك في بيتك، ثم تغلقه وتصلّي فلا تبالي باي داقّ للباب، بخلاف مَن قام يصلّي في بيته وليس عنده شيء يأكله، فيصير كلّ داقّ دقّ الباب يقول أن معه رغيفا ".

وقال الثوري: " عليكم بالحرفة، فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة ".

وقال عبد الله بن المبارك: " لا يُخْرِج العبدَ من الزهد إمساكُ الدنيا لِيَصُونَ بها وجهه عن سؤال الناس ".

وقال في عرائس البيان، عند قوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا (4): " ولا تظنّ يا أخي أن العارف المتمكّن إذا باشر الدنيا وزينتها هو من جملتهم. إنه يريد الله برغبة المعرفة والشوق، ويريد الدنيا للكفاف والعفاف، يرزقه الله حياة حسنة وطيبة بأن يجعل الدنيا خادمة له، ويبجّله في أعين الخلق، ويُوقِعُ هيبتَه في قلوب الناس، قال الله تعالى: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً (5)، وقال عليه السلام: "من أحسن فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة"

.

وقال لقمان لإبنه: " يا بني، حملت الصخور والحديد فلم أر شيئا أثقل مِنَ الدّيْنِ، وأكلت الطيّب معانقة الحسان فلم أر شيئا ألذّ من العافية، وذقت المرارات كلّها فلم أذق شيئا أمرّ مِنَ الحاجة إلى الناس ". وقال الشعراني: " مِنْ أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذي ربما دخلته الشبهة ".

وقال سفيان الثوري: " لأن أخلّف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها، أحبّ إليّ مِنْ أن أحتاج إلى الناس ". وقال: " المال فيما مضى يكره وأما اليوم فهو طرس المؤمن ". وقال: " حفظك لما في يدك لتقضي به حاجاتك أولى من تصدقك وطلبك لما في يد غيرك ". وقال: " خصلتان لا يزال العبد بخير ما حفظهما، درهمه لمعاشه، ودينه لمعاده ".

وكان قيس بن عاص، مع زهده وورعه، يقول لبنيه: " عليكم بالكسب الحلال فإنه يَسُرُّ الصديق، ويُكْمِد العدوّ، تستغنون به عن سؤال الناس لا سيما اللئيم، وإيّاكم وسؤال الناس فإنّ ذلك كسب العاجز ".

وقيل للثورى: " أيكون الرجل زاهدا ويكون له المال؟ قال: نعم، إذا ابْتُلِيَ صبر، وإذا أُعْطِيَ شكر ".

وقال أبو قلابة: " لأن أُرى في معاشي أحبّ إليّ من أنُ أرى في زوايا المسجد ". وقال: " عليكم بالسوق والصنعة، فإنكم لن تزالوا كراما على إخوانكم ما لم تحتاجوا إليهم " أهـ.

وقال في لواقح الأنوار القدسية:

أُخِذَ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن ننفق على زوجاتنا وعيالنا، ثم قال: وسمعت سيّدي عَلِيّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول: أسْعَ على عيالك ليلا ونهارا ولو سمّاكَ الناسُ دنيويا، فإنه خير مِنْ أنْ يُسَمُّوكَ صالحا وأنت تأكل من صدقاتهم وأوساخهم، وناظرٌ ما في أيديهم، وكلُّ مَنْ لم يُعْطِكَ شيئا تكرهُهُ، مع أنّ تلك الكراهة مِنْ غير حقّ.

فقد رأى سيدي علي الخواص مرّة شخصا مِن مشائخ العصر، كان يتّجِر في لبز والقماش، فترك ذلك وعمل شيخا، فقال له: إرجع إلى حالتك الأولى فإنها أرجح لك، وأطهر لقلبك، فلم يسمع، فدعا الشيخ عليه بمحبّة الدنيا وحرمانه منها، فصار بعد شهرٍ كذلك، فلا هو يترك الدنيا، ولا يقدر على أن يأكل منها، ولا يتصدق منها، ولا ينفق على عياله، فتلف بالكلية

لمخالفة الإرشاد.

ثم ذكر في عهد آخر أنّ السالك إذا مَنَّ الله عليه بالكمال في الطريق، وصارت الدنيا في يديه لا في قلبه، يتمنى دخولها في يده، وينقبض إذا أدبرت عنه، لأنّ مِنْ كمال الدّاعي إلى الله من الأئمة أن تكون الدنيا فائضة عليه، يطعم منها أتباعه، وينفق عليهم منها، ومن لم يكن كذلك فدعاؤه إلى الله تعالى ناقص، ويطرقه الذلّ في طلب اللّقمة، والخضوع لِمَنْ أتاه بها من أصحابه وغيرهم، كما أنّ مِنْ لازِمِهِ الغيبةُ لكلّ مَنْ لم يحسن إليه، كما سيأتي في حديث من شكر عياله ولم يعتب المسلمين الحديث.

فأشار إلى أن الغالب على الفقير المحتاج غيبةُ مَنْ لم يطعمه ما احتاج إليه فانظر آفة المحتاج أهـ وقال في البحر المورود في المواثيق والعهود:

أخذ علينا العهد أن لا نزهد في الدنيا بالكلية لِمَا نَجِدُ في الزّهد من نعيم الترك، وخُلُوِّ اليد، وراحة القلب، فتكون كحمار الرحي الذي يبتدي من حيث ينتهي سيره إليه، فيخرج من لذّة إلى أعظم منها أو مثلها، كما يقع في ذلك العباد الذين لم يسلكوا على أيدي الأشياخ، فكأنهم بهذا الزهد ما برحوا من حظوظ أنفسهم، ولا عن حجابهم عن ربّهم عزّ وجلّ، وإنما نزهد في الدنيا زُهد

العارفين، وهو أن نُعلِّق قلوبنا بحُبّ الله عزّ وجلّ وحده ثم نمسك الدنيا بحذافيرها لا نترك منها شيئا إلاّ إن كان فيه شبهة، ونتصرّف فيها تَصَرُّفَ حكيم عليم، ونستعمل كل شيء فيما خلق له. (وإيضاح ذلك) أن الله تعالى مَنَّ علينا بأَنْ سخّر لنا ما في السماوات وما في الأرض، ولا يكمل لنا كمال شهود امتنانه إلاّ بشهودنا الإفتقار إلى كلّ شيء في الوجود.

فافهمْ واعملْ على هذا الزهد، ودَعْ عنك قول من يقول بِذَمِّ الدنيا على الإطلاق بما قلناه، فإن الذم ما حصل إلاّ من تعلق القلب بمحبتها دون الله تعالى، وحجاب صاحبها عن أعمال الآخرة. ثم إنه لا يصلح لأحد أبدا الإستغناء عن الدنيا كما يُتَوَهَّم، أقَلُّ ما هنالك حاجته إلى ما يأكله وما يشربه ولا يتنفس فيه من الريح، فإن مَنْ ذمّ نفسه مات. قد سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الزهد في الدنيا فقال: "هو اليقين"

،

وقد ذكرنا في رسالة الأدب الكبرى أن سبب الفتنة في الدنية اربع أشياء، النساء والجاه والمال

والولد، والكامل لا يهرب بشيء منها، بل يحبها كلها بتحبيب الله عزّ وجلّ، ويغلب حكم محبّة الطبع والنفس لله تعالى، وقد بسطنا الكلام في مؤلفاتنا على كل واحد منها. فعلم أن العارف الدنيا في يده لا في قلبه، ومِحَكّ ذلك أنْ لا يبخل بشيء منها على محتاج، ولا يصرفه لمن يورّث فيه الغني فسادا. فلا تظنّ يا أخي بالعارفين أنهم إذا أمسكوا الدنيا يمسكون بخلا، وإنما ذلك لحكمة تخلّقا بأخلاق الله عزّ وجلّ.

فاعلم يا أخي ذلك والله يتولى هداك أهـ. وقال: أخذ علينا العهد أن نُعَلِّمَ أولادنا الحرفة بعد تعليمهم أمور دينهم التي لا بد منها، فإنه إن لم يكن بيده حرفة أكل بدينه أو بلسانه، وسلق الناس بألسنة حداد، وحَقَد عليهم في الباطن. وقد كان الناس في الزمن الماضي يُكْرِمون حَمَلَةَ القرآن، ويرتّبون لهم المراتب، ويهدون إليهم الهدايا، ويتفقّدونهم في المواسم وغيرها، يقولون لهم: إشتغلوا ونحن نكفيكم جميع ما تحتاجون إليه، فصار الفقيه اليوم لا يحصل له ما ينفقه على عياله حتى يذوب قلبه من الدوران طول النهار، ثم
بعد ذلك يأكل صدقةً، فتَعَلُّم الحرفة للفقيه الآن مِنْ أبرك المصالح ولو كانت دنية كالادمى والحجامة ونحوهم، فإنْ وسَّعَ الله عليه كان، وإلاّ فتُغنيه عنْ سؤال الناس، فأعلم ذلك والله عليّ حكيم " أهـ.
قلت: وإذا فهمتَ جميع ماتقدم، علمتَ أنه ما ضَرَّ بعضَ الناس إلاّ جهلُهم بالفرق بين الزهد والترهّب، وبين التوكّل والعجز. قال السيوطي رحمه الله تعالى في الكوكب الساطع:
وليسَ مِنْ زَهَادَةٍ تَعَزُّبٌ ... وترْك محتاجٍ له تَرَهُّبُ
وقال في شرحه:
ليس من الزهد التعزب وترك ما لا بد منه، بل ذلك من التعمّق المنهيّ عنه، وروى الترمذي مِن حديث أبي ذَرٍّ مرفوعا: "الزهادة في الدنيا ليس بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال والزهادة في الدنيا أن لا تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب لما أبقت لك"
، وقال أيضا: " والمرء محتاج إلى أن يعرف فرقَ أمورٍ في افتراقها خفاء، كالفرق بين العجز والتوكّل، وقال في شرحه: الشيء الواحد تكون صورته واحدة وهو ينقسم إلى محمود ومذموم، فيحتاج العابد والصوفي وسالك طريق الآخرة إلى معرفة الفرق بينهما، فمِنْ ذلك التوكّل

والعجز، فالتوكّل عمل القلب وعبوديته اعتمادا على الله، وثقة به، والتجاء إليه، واجتهاده في تحصيلها، والعجز تعطيل بكفايته، وحسن اختياره لعبده إذا فرض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها، واجتهاده في تحصيلها. والعجز تعطيل الأمرين أو أحدهما. إما أن يعطل السبب عجزا عنه ويزعم ذلك توكلا، وإنما هو عجز وتفريط كما في أثر عمر، وإما أن يقوم بالسبب ناظرا إليه، معتمدا عليه، غافلا عن المسبِّب مُعْرِضا عنه، وإن خطر بباله لم يثبت معه ذلك الخاطر، ولم يعلق قلبه تعلّقا تامّا بحيث يكون قلبُه مع الله وبدنه مع السبب "

أهـ.

وقال في تبيين المحارم: " واعلم أنه ليس معنى التوكّل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالحلقة الملقاة، وهذا ظنّ الجهّال، فإنَّ ذلك حرام في الشرع " أهـ.

قال في العهود المحمدية:

" أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نشتغل بشيء من العبادات ونترك الكسب بحيث يضيع عيالنا وأنفسنا، ونحتاج كلّنا إلى سؤال الناس.

وهذا العهد يقع في حبالته كثير من المتعبدين وطلبة العلم، فيحتاج مَنْ يريد العمل به إلى سلوك الطريق على يد شيخ يُعلِّمه مراتب العبادات، وما الأوْلى منها ليقدِّمه على غير الأوْلى، لأنّ عُمُرَ الإنسان أعزّ من الدنيا وما فيها، وهو قصير، فوجب أن يبدأ العبد بالأهمّ فالأهمّ ليكون له الأعزّ فالأعزّ، ولولا أنَّ مِنْ شأن العبد الملل لَمَا كان له أن يشتغل بغير الأعزّ فائدة، فلمّا ركّبه الله على الملل جعل له رتبة أخرى مفضولة لينتقل إليها ثم يَمَلُّ منها كذلك فينتقل إلى المباح، وهذا كلّه من رحمة الله تعالى

بعباده، وقد كان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: لا تشاور مَنْ ليس في بيته دقيق، أيّ لأنه مشتّت البال. فاعلم أن حياة الأبدان مقدَّمَه على حياة الأرواح والقوت بالعلم، لأن حياة الروح فرع عن حياة الجسم من حيث أنها محلّ لظهور أفعال التكليف وإقامة شعائر الدين، وهذا اللّوم في حقّ من يضيع من يَعُولُ من اشتغاله بخير الآخر، فكيف بمن يضعهم باشتغاله باللهو واللعب ونحو ذلك؟ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وروى أبو داود والنسائي مرفوعا: "كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوته"، وفي رواية النسائي: "من يعول". وروى ابن حبّان في صحيحه: "أن الله سبحانه وتعالى سائل كلّ راعٍ عمّا استرعاه حفظه

أو ضيّعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته" والله أعلم أهـ.

وقال أيضا:

" أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نجمع من الذهب والفضّة قط نصابا إلاّ إن كُنّا نثق من أنفسنا بأنا نخرج زكاتنا، وإن لم نكن نعلم أنّا نخرجها كذلك اقتصرنا في الجمع على ما دون النّصاب، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد على وجهه إلى

السلوك الكامل على يد شيخ مرشد صادق، وإلاّ فلا يشمّ للعمل به رائحة، بل يجمع ويمنع، وإن أخرج شيئا منها فهو لعلّة قادحة في قبولها، فاسْلُكْ يا أخي على يدِ شيخ حتى يفطمك عن محبّة الدنيا، يعني عن الميل إليها، إذِ الدنيا لا تُبغَض في ذاتها، وإنّما المطلوب الزهد في الميل إليها لا في الميل لذاتها، إذ لو كان الزهد مطلوبا في ذاتها لما جاز لأحد إمساكها، ولا قائل بذلك. فإنّ المحظور إنما هو في إمساكها محبة لذاتها، إذ هو الذي يتفرّع منه الحجاب، والشح، والبخل، فيمنع العبدَ مِن إخراج زكاته.

وقد غلط في هذا الأمر قوم فتركوا جمع الدنيا أصلا ورأسا، فأحتاجوا إلى سؤال الناس تعريضا وتصريحا، ولو أنهم سلكوا على يد الأشياخ حتى يفطموهم عن الميل إليها، لجمعوا القناطير من الذهب وأنفقوها على المساكين، وحصل لهم خير الدنيا والآخرة. وقد حُكِيَ أنّ فقيرا دخل زاوية سيدي إبراهيم المتبولي، فجلس للعبادة ليلا ونهارا وترك الكسب، وكان الشيخ لا يحبّ للفقير عدم الكسب، فقال له يا ولدي: لِمَ لا تحترف وتقوم بنفسك، وتستغني عن حمل الناس لك الطعام، فقال: يا سيّدي لمّا دخلت زاويتكم رأيت في تلك الطاقة بومة عمياء لا

تطيق أن تسعى مثلما تسعى الطيور، ورأيت صقرا يأتيها كل يوم بقطعة لحم، يرميها لها في طاقتها، فقلت أنا أوْلى بالتوكّل على الله مِن هذه البومة، فقال له سيدي إبراهيم: جعلتَ نفسك بومة عمياء! هلاّ جعلتها صقرا تأكل وتطعم البومة، فقال الفقير: التوبة، وخرج للكسب، إنتهى. فيحتاج الفقير إلى حال صادق يرمي به الدنيا، وحال صادق يأخذها بعد ذلك به والله غفور رحيم ".

قلت: قد نصَّ العلماء بأنّ مَن وجد كفاية عن الأسباب فالله قد أغناه، وإلاّ فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب إتّكالا على الناس وهو قادر على الإكتساب. والشّبع من الحلال مبدأُ كلِّ شرف فكيف به من الحرام. وقد جاء عن عيسى على نبيّنا وعليه السلام أنه مرّ بمتعبِّد فقال له:

من أين تأكل؟ فقال: إني لي أخا يطعمني، فقال له عيسى على نبينا وعليه السلام: أخوك أعبد منك، أيّ لأنّه هو الذي أعانك على الطاعة، وفرّغك لها أهـ. وقال الشيخ أحمد زروق رضي الله تعالى عنه في تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الأصول:

ملك العبد لِمَا بيده مِنْ أعراض الدنيا غير متحقق له بل إنما هو خازن له لقصره عليه تصرّفا وانتفاعا دون غيره، ومِنْ ثَمَّ حرّم عليه الإقْتَارُ والإسراف، حتى عَدَّ رسول الله ﷺ في المنجيات: "القصد في الغنى والفقر"، ونهى ﷺ عن: "إضاعة المال"، إلى غير ذلك. فمِنْ ثَمَّ قال لنا الشيخ أبو العباس الحضرمي نفعنا الله به: " ليس الشأن من يعرف كيفية تفريق الدنيا فيفرقها، إنما الشأن من يعرف كيفية إمساكها فيمسكها ".

قال الشيخ زروق رضي الله تعالى عنه: " وذلك إنها كالحيّة، ليس الشأن في قتلها، إنما الشأن في إمساكها حيّةً ". وفي الحديث: "ليس الزهد في تحريم الحلال ولا بإضاعة المال إنما الزهد أن تكون بما في يد الله أو ثق منك بما في يدك"

. وقال الشيخ أبو مدين نفع الله تعالى به الدنيا: جرادة ورأسها حبها فإذا قطع رأس الجرادة مات.

وقال الشيخ أبو مُحَمَّد عبد القادر نفع الله به، لمّا سُئِلَ عن الدنيا: أخرجها من قلبك واجعلها في يدك، فإنها لا تضرك. أهـ.

وكل هذه الجُمَل تدلّ على أن الزّهد فيها ليس عن تركها فافهم " أهـ كلام الشيخ زروق.

ثم قال:

" الزهد في الشيء بُرُودتُه على القلب حتى لا يعتبر في وجوده ولا في عدمه، فمِن ثَمَّ قال الشاذلي نفع الله به: والله لقد عظمتها إذا زهدت فيها.

قال الشيخ زروق: قلت يعني بالظاهر، لأنّ الإعراض عنها تعظيم لها وتعديب للظاهر بتركها، كما أشار إليه ابن العريف في مجالسه، والحريري في مقاماته.

وقد قال أيضا نفع الله تعالى به: رأيت الصدّيق في المنام فقال لي: علامة خروج حبّ الدّنيا مِنَ القلب بَذْلُها عند الوجد، ووجود الراحة منها عند الفقد، كَحَالِ الصحابة رضي الله تعالى عنهم إذْ لم ينظروا إليها عند الفقد، ولا شغلتهم عند الوجد، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (6)، وما قال: لا يبيعون ولا يتّجِرون.

وقد أدّب الله تعالى الأغنياء بقوله تعالى: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ (7)، وأدّب الفقراء بقوله سبحانه وتعالى: وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ (8). ثم قال: واسألوا الله من فضله (9)، وذلك لا يقتضي تمنيّا ولا وقتا، فَلَزِمَ التزام كلّ ما أمر الله به، فافهم " أهـ.

ثم قال:

ما ذُمَّ لا لذات قد يُمدح لا لذاته، ومنه رتبة وجود المال والجاه والرئاسة ونحو ذلك، ومما ليس بمذموم لذاته، ولا محمود في ذاته، بل يُحمَد ويُذَمّ لِمَا يعرض له. ولذلك ذَمّ ﷺ الدنيا بقوله: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها"، ومدَحَها بقوله: "فنعمت مطية المؤمن"، وأثنى سبحانه وتعالى على قوم طلبوا الرئاسة الدينية إذ قالوا: واجعلنا للمتّقين إماما (10)، فكان ابن عمر يقول: اللهم اجعلني للمتقين إماما.

قال مالك رحمه الله: ثواب المتقين عظيم، فكيف بإمامهم. وقال ﷺ: "أسألك رحمة أنال بها شرف كراماتك في الدنيا والآخرة"، وقال لذلك الرجل الذي قال لرسول الله ﷺ: "دُلَّني على عمل إن عملتُه أحبني الناس، قال إزهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس" الحديث. وقال الصدّيق عليه السلام: إجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (11)، إلى غير ذلك.

فلَزِمَ اعتبار النِّسب وتحقيق المقام إباحةً ومنعاً، والمحاشاة أقرب لسلامة الضعيف من باب ضعفه، لا لِخَلَلٍ في ذات الحكم، إذِ الأصل الإباحة، ومِن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ لأبي ذرّ: "إنك رجل ضعيف وإنك إن تطلب الإمارة وُكِّلْتَ إليها وإن أُعْطِيتَها من غير مسألة أُعِنْتَ عليها"، فافهم " أهـ.

قال في أول الكتاب:

" حكم التّابع كَحُكْم المتبوع فيما تبعه وإنْ كان المتبوع أفضل، وقد كان أهلُ الصُّفَة فقراء في أول أمرهم حتى صاروا يُعرفون بأضياف الله تعالى، ثمّ كان منهم بعد ذلك الغَنِيُّ والأمير والمتسبب والفقير، لكنهم شكروا عليها حين وُجِدَتْ كما صبروا عنها حين فُقِدَتْ، فلم يخرجهم الوجدان عما وصفهم مولاهم به من أنهم: يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه (12)، كما أنهم لم يُمْدَحُوا بالفقدان، بل بإرادة وجهِ الملك الديّان، وذلك غير مقيّد بفقر ولا غنى. وبحسب ذلك فلا يختصّ التصوف بفقر ولا غنى، إذْ أنّ صاحبه يريد وجه ربّه، فافهمْ " إنتهى.

ولذا قال بعض العلماء:

" والحاصل أن المال كالحيّة التي فيها سمّ ناقع، والترياق نافع، فإن أصابها المغرم الذي يعرف وجه الإحتراز عن سمّها الناقع، وطريق استخراج ترياقها النافع، كانت له نعمة وإلاّ فهى عليه بلاء وهلاك. وأنّ الجاه كالبحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلئ، فمَنْ ظفر بها فهي نعمة، وإن خاضه جاهل هلك.

وأكثر الناس جاهل بطريق الرّقية لِحَيَّة المال، وطريق الخوض في بحر الجاه، فوجب تحذيرهم لئلاّ يهلك باسم المال قبل الوصول إلى ترياقه، وبتمساح الجاه قبل العثور على جواهره. فمَنْ وقف ببصيرته، وكمال معرفته، فلَهُ أن يقرّب منها متقيّا داءها، ومستخرجا دواءها، ومَن لا فالبُعْدُ والفرارُ عن مظانّ الأخطار، ولا تعدل بالسلامة شيئا " أهـ.

قلت: ومما تَقَدَّم من النقول يظهر ظهوراً لا غُبَار عليه أنّ الزّهد في الدنيا بالكليّة نُقصان في حقّ الكُمّل من أهل الله، وإنما كان سلامة للضعيف لضعفه لا لفضل ذلك المقام، ولكل مقام رجال، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وفي حاشية الشيخ أبي الحسن عليّ الصعيد على شرح الخرشي على مختصر الشيخ خليل، عند قوله على مذهب الإمام مالك بن أنس: (قائدة):

" ممّا نُقِل عن الإمام أنه أوصى الشافعي عند فراقه له، فقال: لا تسكن الريف يذهب علمك، واكتسب الدرهم لا تكن عالة على الناس، واتّخذ لك ذا جاه ظهرا لئلاّ يستخفّ بك العامّة، ولا تدخل على ذي سلطنة إلاّ وعنده من يعرفك، وإذا جلست عند كبير فليكن بينك وبينه فسحة لئلاّ يأتي من هو أقرب منك إليه فيدنيه ويبعدك، فيحصل في نفسك شيء.

ونُقل عن سحنون: وجدت كل شيء يحتاج إلى الجاه حتى العلم، أي فلا بدّ أن يكون العالم ذا جاه. قال بعض الشيوخ: وهو كلام صدق، وقول حقّ ".

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا بِهِ، كما في جواهر المعاني:

" أن للشيطان لعنه الله تعالى مكرا خفيا لصاحب المال، إذا رأى تقيّا مُقِيمًا لأمر ربّه فيما يقدر عليه، كافّا كثيرا من شرّه، منغمسا في كثير من أمور التّقى، ويراه في ذلك مطمئنا بحاله لا ينزعج، فيأتيه اللّعين بمكره الخفيّ، ويسوق الناس إليه لطلب العطاء لله، ويخوّفه في قلبه إن ردَدْتَ هؤلاء سخط الله عليك، أو سلَبَكَ نعمته، ولا يزال يستدرجه في مثل هذا، وقصدُه أن يفرّق عنه المال ليذهب دينه وإيمانه، فلا يزال كذلك لا يكفّ عنه حتى يفرّق

جميع ماله، فإذا فرّقه وقع التّشويش في قلبه، فيريد أن يُنفق نفقته التي كان ينفقها في ساعة اتساع ماله فلا يجد السبيل إليها، فيقع التشويش له، والترويع من أهله طلبا بما اعتادوه من اتّساع النفقة، فإن لم يأت بها آل الأمر بينه وبين أهله إلى اتساع السخط والغضب والعداوة، فيكثر عليه الضيق والغيظ، فلا يجد وقتا يذكر فيه ربّه، ولا يؤدّي فيه أمرا من طاعة ربّه، وربّما أضاع عليه فرض الصلاة، فيحمله ذلك على أخذ الدّيْن من الناس وإتلافه في النفقة.

فَعَنْ قريب يحلّ به البلاء والويل من عدم وجود ما يقضي به ديْن الناس، ويصبح في زمرة الهالكين وقد تلف دينه وعقله ودنياه وآخرته، فهذا مراد الشيطان منه فيما كان يُرَغِّبُهُ فيه من الإعطاء لله وعدم المنع، فاحذر هذا المكر، وفيما ذكرناه لك كفاية " أهـ.

وقال أيضا في جواهر المعاني: " لله تصريف في بعض خلقه، يجعل الدّنيا في أيديهم، فمَنْ حفظها منهم مع المحافظة على أمر الله تعالى فيه من غير تضييع حفظها الله في يده، وصانه بها، وجعلها له بركة، ومَنْ ضيّعها مِن يده تهاونا بها ضيعه الله، وأحوجه إليها ولم يجدها

" أهـ.

فلنجعلْ كلام هذا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، ختاما لهذا الفصل، وكفى بكلامه بركة وحجّة على صحّة كلام مَن تقدّمه مِن ساداتنا الأولياء والعلماء رضي الله تعالى عنهم أجمعين، والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1. سورة الحديد، الآية 18.
2. سورة النور، الآية 37.
3. سورة النساء، الآية 34.
4. سورة هود، الآية 15.
5. سورة النحل، الآية 97.
6. سورة النور، الآية 37.
7. سورة النساء، الآية 5.
8. سورة النساء، الآية 32.
9. سورة النساء، الآية 32.

10.سورة الفرقان، الآية 74.

11.سورة يوسف، الآية 55.

12.سورة الأنعام، الآية 52.

الفصل السّادس

في تحذيرهم وتنفيرهم عن الإنكار على واحد من ساداتنا الأولياء ومعاداتهم، والإعلان بأنه هو عين الهلاك في الدنيا والعقبى.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق: إعلم أن المنكر على الأولياء ساقط من عين الله، وهالك في الدنيا والآخرة، وأنه في لعنة الله ومحاربته، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (1)، ومعنى

الآية عند المفسرين: أن الذين يؤذون أولياء الله. وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه قال، قال رسول الله ﷺ: "أن الله تعالى قال من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب"، وفي شرح الفشي على الأربعين النووية:

من آذى لي وليّا أيّ اتّخذه عدوّا، فقد آذنته بالحرب أيّ أعلمته بأنّي محارب له عنه، بمعنى أنّي مهلكه.

ثمّ قال بعد كلام:

تنبيه: قال الفاكهاني رحمه الله تعالى: مَن حاربه الله أهلكه.

وقال غيره: إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة، كأكل الرِّبا عافانا الله تعالى من ذلك. فمَن والى أولياء الله أكرمه الله، ومن عادى أولياء الله أهلكه الله. قال أبو تراب النخشي رحمه الله تعالى: وإذا أَلِفَ القلبُ ثمر الإعراض عن أهل الله صاحبته الوقيعة في أولياء الله، ثم ذكر تنبيها بناسب المقام.

رُوِيَ عن حاتم الأصمّ، عن جماعة من أصحاب العلم والهمم، أنّ جرجيس نبيّا من أنبياء بني إسرائيل كان في زمانه ملك كثير الفساد، مُصِرٌّ على مظالم العباد، فمنع الله تعالى عنه المطر حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك والضرّ، فركب هذا الكافر الظالم الغادر في عساكره حتى أتى جرجيس، فوجده في صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس، فقال له: يا جرجيس إنّي أحمّلك رسالة إلى ربّك، فقال جرجيس: وما تلك، قال: أن تقول لربّك يأتينا بالمطر وإلاّ آذيتُه إذاية يسمعها سائر البشر.

فدخل جرجيس في محرابه وقد خرس من خوف الله عن جوابه، فجاء جبريل بأمر الملك الجليل فقال له: آت الرسالة التي معك على الوجه الذي قال لك، فقال: إنّي أخاف من الله ذي الجلال عند مقال ذلك القول على ما قال، فقال جبريل: يا جرجيس قل كما قال، هكذا أمر العزيز المتعال، فقال جرجيس: يأتينا بالمطر وإلاّ آذيته إذاية يسمعها سائر البشر، قال: فقال جبريل يا جرجيس ربّك يقول لك: قل له بما تُؤذيه، فمضى جرجيس وأعاد الرسالة عليه، فقال: الملك لا قدرة لي على إذايته إلاّ مِن وجه واحد، لأنّني ضعيف وهو قوي، وأنا عاجز وهو قادر، وإنّما أؤذي أحبّاءه، ومَن آذى أحبّاءه فقد آذاه. فجاء جبريل عليه السلام فقال: يا جرجيس قل له لا تفعل، فنحن نأتيك بالمطر، ثم جادت السماء بالسّحاب، وامتلأت الصحاري بالسيول من كلّ جانب مدّة ثلاثة أيام بإذن ربّ الأرباب، وأمر الله تعالى النبات في تلك الأيام الثلاثة أن يطلع. فلما طلعت الشّمس نظر إلى الحياض مترعة، والفلوات مشرقة، والزّروع إلى صدر الإنسان طالعة، والرياض مورقة، فركب الملك وأتى إلى باب جرجيس وهو في صومعته يكثر من التسبيح والتقديس، وخرج إليه وقال: يا هذا ما تريد مِنّي، لِمَ لا تشتغل بملكك عنّي، لا تحمّلني مثل تلك الرسالة فإنّ فيها فضاعة، فقال يا نبيّ الله ما أتيت حربا فقد أتيت

سلما، وقد انفتح بصرُ الضعيف الأعمى. فإن مَن عمل الإحسان مع عدوّه مِن أجل وليّه يجب أن تسجد الجباه لعظمته، وإنّي أريد المصالحة لتكون صفقتي رابحة، فقد ظهر لي أن أسرار التوحيد لائحة، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، ولا معبود بحقٍّ سواه.

إخواني: دلّ الحديث الإلهي أن عدوّ وليّ الله عدوّ الله، فمن عاداه كان كَمَنْ حاربه، نعوذ بالله تعالى من الإنكار والحرمان " أهـ كلام الفشني.

وفي لطائف المنن

فأصغ رحمك الله إلى ما تضمنته هذا الحديث من غزارة قدر الوليّ، وفخامة رتبته، حتى ينزله الحقّ سبحانه وتعالى هذه المنزلة، ويحلّه هذه الرتبة. فقوله ﷺ عن الله تعالى: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"، لأن الولي خرج على تدبيره إلى تدبير الله، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له، وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله عز وجل. فقد قال سبحانه وتعالى: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (2)، وقد قال الله عز وجل: وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (3).

وإنما كان ذلك لهم لأنهم جعلوا الله تعالى مكان همومهم فدفع عنهم الأغيار، وقام لهم بوجوه الإنتصار.

وقال بعد كلام:

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول: " وليّ الله مع الله كولد اللّبُؤة في جحرها، أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله؟ وقد جاء في بعض الأحاديث أنّه صلّى الله عليه وسلّم كان في بعض غزواته، وامرأة تطوف على ولدها رضيع، فلمّا وجدته حنّت عليه، وألْقمته الثدي، فنظر الصحابة إليها متعجّبين، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها".

ومن هذه الرحمة برز انتصار الحق لهم، ومحاربة من عاداهم، إذ هم حُمّال أسراره، ومعادن أنواره، وقد قال الله سبحانه وتعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا (4) وقال الله سبحانه لِمن آذى أولياءه: إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا (5). غير أن مقاتلة الحق سبحانه لمن آذى أولياءه ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدّة الدنيا عند الله، ولأن الله لم يرض الدنيا أهلا لعقوبة أعدائه كما لم يرضها أهلا لإثابة أحبّائه، وإن كانت معجلة فقد تكون قسوة في القلب، أو جمودا في العين، أو تعويقا عن طاعة، أو وقوعا

في ذنب، أو فترة في الهمة، أو سلب لذاذة خدمة. وقد كان رجل في بني إسرائيل أقبل على الله، ثم أعرض عنه، فقال: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني، فأوحى الله تعالى إلى نبيّ ذلك الزمان أنْ قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعر. ألم أسلبك حلاوة ذكري، ولذاذة مناجاتي؟

قال ابن عطاء الله: وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لإنسان آذى وليّا من أولياء الله تعالى بالسلامة إذْ لم ير عليه محنة في نفسه وماله وولده، فقد تكون محنته أكبر من أن يطلع العباد عليها اهـ.

وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن أيضا وصية وإرشادا: إيّاك أيّها الأخ أن تصغى إلى الواقعين في هذه الطائفة، والمستهزئين لئلاّ تسقط من عين الله، وتستوجب المقت. فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق، وإخلاص الوفاء، ومراقبة الأنفاس مع الله، قد سلّموا قيادهم إليه، وألْقُوا أنفسهم سلَماً بين يديه. تركوا الإنتصار لأنفسهم حياءً من ربوبيته لهم، واكتفوا بقيّومِيته فقام لهم بأوْفى ما يقومون به لأنفسهم، وكان هو المحارب عنهم لِمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم.

ولقد ابتلى الله سبحانه هذه الطائفة بالخلق، خصوصا أهل العلم الظاهر. فَقَلَّ أنْ تجِدَ منهم من شرح الله صدره للتصديق بوليّ مُعَيّن، بل يقول لك: نعم نعلم إنّ الأولياء موجودون، ولكن أين هم؟ فلا تذكر له أحدا إلاّ وأخذ يدفع خصوصية الله فيه، طلِق اللسان بالإحتجاج، عاريا من وجود نور التصديق. فاحذر ممّن هذا وصفه، وفِرَّ منه فرارَك من الأسد. جعلنا الله وإيّاك من المصدّقين بأوليائه بِمَنّه وكرمه إنه على كل شيء قدير أهـ.

وفي عرائس البيان في حقائق القرآن عند قوله تعالى: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (6)

أيّ لا يعجبنّك طواف المنكرين في البلدان لتطلب الفصاحة والبلاغة، والتكلّف في الآداب والزينة طلبا لصرف وجوه الناس والرئاسة والحيل بأولياء الله، فإن أحوالهم مزخرفات فانية يريدون بها إسقاط جاه الصدّيقين عند الخلق، وأنا بجلالي في كل نفس رافع درجاتهم، وأزيد في ملك ولايتهم، رغما للمنكرين وإرغاما لأنوف المبطلين.

قال: وأيضا لا يغرنّك ولا يفتننّك صحّة أبدانهم، ولين عيشهم في العالم، وتيسير إقبال الدنيا إليهم في البلاد بجاههم عند العامة، فإنهم يحاربونني بإهانتهم أوليائي، ومبارزتهم بعداوة أحبّائي،

فإن أيّامهم قليلة، وحسراتهم كثيرة عند طلوع أنواري من شرق القيامة على وجوه أوليائي، حيث قلتُ: وأشرقت الأرض بنور ربّها (7)، أفضحُهم عند وضوح الكتاب، وحضور الأنبياء والشهداء. قال: وهذا وعيد شديد لأهل زماننا.

وفيه أيضا، عند قوله تعالى: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (8) هذا وصف أهل الإنكار، الساقطين عن طريق الحق، يَوَدّون لو أنهم كانوا من المريدين ولم يكونوا من المنكرين، وأن يكونوا من المجتهدين ولم يكونوا من الكسالى البَطِرِين، وأن يكونوا من الراضين ولم يكونوا من الساخطين، وأن يكونوا من المتوكّلين ولم يكونوا بتدابيرهم لأجْل الرزق من المتّهمين، وأن يكونوا من العالِمين ولم يكونوا من الجاهلين، ومن الموقنين لا من الشاكّين، ومن العارفين لا من المقلّدين، ومن الموحّدين لا من

المدّعين، ومن المخلصين لا من المُرائين. إلى أن قال: ثم سلّى قلبَ حبيبِه عن إنكارهم، وطيَّبَ بخطابِه فؤادَه فقال: ذرهم يأكلون ويتمتعون ويلههم الأمل فسوف يعلمون (9). قال: وصَفَ المنكرين بِشَرَهِ بطونِهم، وشهوات فروجهم، وأمل نفوسِهم، لشبَهِهِم بالبهائم، وجعلَهم أجهلَ منها بآمالهم ومنازغتهم بالمقادير، لأن البهائم لا يكون لها الأمل، فقال تعالى: أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ (10)، فَهُمْ لا يعلمون حقائق فسادهم وجهلهم بالله وبأوليائه، فسوف يعلمون ما أفسدوا من أيام الطاعات بالمخالفات عند

معاينة العقوبة، ووقوع الحسرة أهـ.

وفي العهود المحمّدية للشعراني

أنّ الشيخ سراج الدين والد شيخ الإسلام صالح البلقيني مرّ يوما على باب قوم فوجد زحمة هناك، فقال: ما هذه الزحمة؟ فقالوا له: شخص من أولياء الله تعالى يبيع الحشيش، فقال: لو خرج الدجّال حينئذ في مصر لاعتقدوه من شدّة جهلهم. كيف يكون شخص حشّاشا من أولياء الله تعالى؟ إنّما هو من الحرافيش، ثم ولّى. فسُلِب الشيخ جميع ما معه حتى الفاتحة. فتنكّرت عليه أحواله، وصارت الفتاوى تأتي إليه فلا يعرف شيئا، ونسيَ ما قاله في حقّ الحشّاش.

فمكث كذلك في مدرسته بِحَارَةِ بهاء الدين ثلاثة أيّام، فدخل عليه فقير فشكا إليه حاله، فقال: هذا من الحشّاش الذي أنكرتَ عليه، فإن الفقير جلس هناك يتوّبُ الناس عن أكل الحشيش، فلا يأخذها أحد من يده فيعود إلى أكلها أبدا حتى يموت، فأَرْسِلْ واستغفرْ له يَرُدُّ عليك

حالك. فأرسل له، فبمجرّد ما أقبل الرسول أنشد:

نحن الحرافيش لا نسكن عوالي الدور ... ولا نرائي ولا نشهد شهادة الزور

تقتع بلقمة وخرقة في مسجد مهجور ... من كان ذا الحال حاله ذنبه مغفور

فلو كنا عصاة ببيع الحشيش ما قدّرَنَا الله على سلب شيخ الإسلام. ثم قال له: أعطني أربعة خرفان معاليق شواء، وأربعمائة رغيف، وتعالى أجلس عندي، كلّ مَنْ بِعْتُ له قطعةَ حشيش زِنْ له رطلا وأعطه رغيفا. فشَقَّ ذلك على شيخ الإسلام. فما زال به أصحابه حتى فعل ذلك، وصار يَزِنُ لكلّ واحد رطلا ويعطيه رغيفا، والشيخ يتبسّم ويقول: نحن نحلّيهم في الباطن وأنتَ تحلّيهم في الظاهر، إلى أن فرغ الرغفان.

ثم قال له: إذهب إلى الديك الذي فوق سطح مدرستك، واذبحه وكُلْ قلبَه يُرَدّ عليك علمُك، فبالله عليك كيف تنكر على المسلمين بعلمٍ حمله الديك في قلبه. فمن ذلك الوقت ما أنكر البلقيني على أحد من أرباب الأحوال أهـ.ومن قبائح الإنكار على الأولياء أنّ المنكرين مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين، فلا شك أن الله تعالى يعاقبهم بمثل ما عوقب به اليهود والمشركون والمنافقون لاتّصافهم بصفات المذكورين، ومنها إيثارهم صحبة الفسقة الفجرة من العصاة المخالفين، والملوك الظلاّم المعاندين، ومنها أنهم يقولون أن الذي

عليه الملوك والظلمة وأعوانهم هو الدين القيّم، والصراط المستقيم، وما عليه علماء الآخرة والكرام البررة، الذين يدعون إليهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه هو الطريق المعوجّ السقيم، ويزعمون أن ما عليه أهل العوائد الذميمة، والبدع القبيحة التي توارثها من كان في الضلال القديم، هو الذي عليه رسول الله ﷺ وحزبه الصميم، ومنها الداء العضال الذي صدّ اليهود عن اتّباع سيّد الوجود ﷺ لخوف سقوط رئاستهم، وهو الحسد، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ

الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. (11)

قال في عرائس البيان عند قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ (12)

وبّخ الله تعالى أهل ظاهر العلم الذين اختاروا الرئاسة، وأنكروا على أهل الولاية، وآثروا صحبة المخالفين، يقبلون هواجس أنفسهم التي هي الجبت، ويخطون آثار الطاغوت الذي هو إبليس أهـ.

قلت: ولهذا قال الشعراني رضي الله تعالى عنه:

أُخِذَ علينا العهدُ العام من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن لا نمكّن أحدا ممّن صحبنا من الولاّة لهذا الزمان وانقاد لنا أن يشقّ على رعيّته ويجور عليهم، أو يغشّهم، أو يحتجب عنهم، أو يغلق بابه دونهم. ثم ذكر أنّ هذا العهد لا يقدر على إنفاذه إلاّ أكابر العلماء والصالحون المتعفّفون عمّا بأيدي الظلَمَة والولاّة، الذين ليس لهم عند الولاّة بِرّ ولا إحسان ولا جوار ولا مسموح ولا مرتّب على بساط السلطان ونحو ذلك، فإنّ هؤلاء ربّما سمع لهم الولاّة.

ثم قال: إنّ من يأكل من أموال الملوك والظلَمَة، ويَقبَل صدقاتِهم وبرّهم ولو بلا سؤال، فلسانه أخرس، وعينه عمياء، وأذنه صماء، قهرا عليه لا يقدر على أن يكلمهم بكلمة.

ثم قال: وقد قَلَّ العالم العفيف أو الصالح.

ثم قال: إن هذا النوع في الصالحين والعلماء أقلّ من القليل، وربما نهوا أحدا من الولاّة أو أمروه بمعروف فقام لهم عند الولاّة علاقة وقد صار خصما لهم، حتى كأنّ الذي أمر بالمعروف هو الذي فعل المنكر.

ثمّ قال: ومَن شكّ في قولي هذا فليُجَرِّب، فإن أهل الشرّ قد غلبوا على أهل الخير ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

ثم قال: وإذا غلب أهل الله عن إقامة الدين فلا لوم عليهم.

ثم قال: بل أقول أنه لو أراد الأئمة الآن أن يعدلوا في رعيّتهم لا يقدرون لعدم استحقاق رعيّتهم الرحمة بهم. فغلبة الظلم والجور مركّبة من الظلَمَة ورعيّتهم، وما بقيَ يُرجي لهم تنفيس حتى يخرج المهدي عليه السلام.

ثم قال صاحب العرائس:

وقال سهل بن عبد الله: رأس الطواغيت نفسك الأمّارة بالسوء.

وقال بن عطاء الله: أَعْطُوا الكتابَ حجّةً عليهم لا كرامة لهم، قال بعضهم الجبت والطاغوت هيكلك. وقال تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (13)، أخبر الله تعالى

على حسدة الأولياء الذين يرون لباس الهيبة والوقار على الصدّقين وهُمْ يعظَّمون به في عيون الخلق، وهم يحسدون به وبكراماتهم و ولايتهم، فإذا ذكر الخلق أوصافهم يدفعونها بالإنكار عليهم. وفضلُ الله معرفتُه وكراماتُه، وقد قال بعضهم: الفضل ههنا الكرامات والولايات والمشاهدات، ويكذّبون صاحبها ولا يعظّمونه.

وقال عند قوله تعالى: يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ الْكَافِرُونَ: (14) يعرفون أولياء الله بالبراهين الساطعة، والآيات الواضحة، والفراسات الصادقة، ولكن لم يعرفوهم بحقيقة المعرفة من حيث التوفيق والسعادة، وينكرونهم حسدا وبغيا وعدوانا وظلما، وطلبا للرياسة والجاه وأكثرهم الكافرون، يسترون ولاية أوليائه، وآيات أصفياه. قال: وفي الآية توبيخ علماء السوء، والقرّاء المداهنين.

وضعوا شبكة الرياء والسمعة ليصطادوا بها الجهّال، ويوبّخوا عندهم أحبّاء الله تعالى ليصرفوا وجوه الناس إليهم، يخونون الله والله لا يهدي كيد الخائنين، يعلمون الحقّ وينكرونه. قال: وأيّ شقيّ أشقى ممّن رأى منهم ألف كرامة صادقة ثم يشترون بها وبإنكارها رئاسة الدنيا عند العامة.

ومنها صدّ الناس عن صحبة أهل الصلاح والولاية، قال في العرائس عند قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (15):

حذّر أولياءه عن المشابهة بهؤلاء المرائين الذين يخرجون من دورهم وزواياهم الخبيثة بألوان زيّ السلوسين، ويتبخترون فيها مِن فرحهم بالجاه عند الظالمين الذين لا يعرفون العدوّ من البرّ، وهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا، ويدفعون أهل الإرادة من صحبة الأولياء لتسعير أسواقهم، وترويج نفقاتهم، حتى يجتمعون عليهم، ويبجّلون في أعين الخلق، أهلكهم الله تعالى في أودية قهره. ثم وصفهم بأن الشيطان يزين قبائح أعمالهم في أعينهم في قوله تعالى: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ. (16)

ومنها التطبّع بطبيعة أهل النفاق، والتخلق بخلقهم، وهو التآمر والتواصي بإيذاء أولياء الله تعالى وصالح عباده. قال في العرائس عند قوله تعالى: الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعْرُوفِ (17):

أخبر الله سبحانه طينة أهل النفاق في وقت مباشرة قهره فيها بعضها من بعض، فيأمر بعضهم بعضا بمخالفة الله تعالى و مخالفة رسوله في إذائهم أولياء الله.

قال أبو بكر الوراق: المنافق يستر المنافق عليه عورته، والمؤمن مرآة المؤمن، يبصّره بعيوبه ويدله على سبيل نجاته.

ومنها اتّخاذ علماء السوء، وأباطيلهم التي كانوا عليها، حجّة على ترك اتّباع علماء الآخرة، ويزعم بعضهم أنه من المشايخ الواصلين الذين بلغوا في الولاية كل مبلغ، ويريدون بذلك إسقاط أهل الله مع أنهم لا يزيدهم الله بذلك، وكذا مَنِ تبعهم إلاّ ضلالا وبعدا و هلاكا، لأنهم: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ. (

18) قال في العرائس، عند قوله تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا (**19**):

قال بعضهم في هذه الآية: سكنوا إلى أمثالهم، وطلبوا الحق من غير مضانّهِ، وطرق الحق واضحة لمن كُحِّل بنور التوفيق، وبصر سبيل التحقيق، ومن عمى عن ذلك كان مطرودا عن طريق الحق إلى طريق الضالين من الخلق وقد وقع أنهم معيّرون وموبّخون بِقِلة عرفانهم أهل الحقائق، وركنوهم إلى أهل التقليد، وسقطوا عن منازل التوحيد في

الفريد، وهكذا شأن من اقتدى بالزوّاقين من أهل السلوس، المتزيّين بِزَيِّ المشايخ والعارفين المتحققين، وتخلّق بخُلُق الجامعين للدنيا الذين يقولون نحن أبناء المشايخ، ونحن رؤساء الطريقة، يُضحِك الله الدهرَ بلحاهم حيث علموا أنّ الولاية بالنسب حاشا من لم يذق طعم وصال الله وقلبه معلق بغير الله تعالى من أولياء الله تعالى. قال الجنيد: إذا أراد الله تعالى بالمريد خيرا هداه إلى صحبة الصوفية، ووقاه من صحبة القراء.

ولو اشتغلوا بشأنهم وجمع دنياهم، ولم يتعرضوا لأولياء الله تعالى، ولم يقصدوا إسقاط جاههم، يكفيهم شقاوتهم، لا سيما ويطعنون في الصديقين والعارفين، قال: قال الله تعالى في شأنهم: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ (**20**)، كيف يطفئون بنور حسبانهم أنوار شموس الصفات التي تبرز من جاه وجوههم، ولآلئ خدودهم، وأصلها ثابت في أفلاك الوحدانية، والسماوات القيّومية، ويزيد نورهم على نور لأنه تعالى بلا نهاية، ولا نهاية لصفاته أهـ.

ولا شك أنّ من شدّ على هذه الصفات باطنه وداوم عليها يجازيه الله تعالى بقساوة القلب، واستحلاء المعاصي، وإزدراء المنتسبين إلى عظيم جناب الله وإيذائهم، فيبتليه بسوء الخاتمة، والموت على الكفر، نسأل الله تعالى السلامة والعافية دينا ودنيا وبرزخا وأخرى بِمَنِّهِ وكرمه. قال

في العرائس، عند قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ (21)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ (22)، مَن كُشِف له من مقامات الأولياء شيء وصدّق به، وآمن بأحوالهم وكراماتهم، ثم كذّبهم وارتدّ على إيمانه بهم بسبب، أو علّة، أو فرارا من مجاهداتهم واجتهادهم، وضيق رسومهم، ثم ازدادوا كفرا بإقامتهم على إنكارهم، وشروعهم في إيذاء الأولياء والمريدين وأهل الرغائب.

قال: والإشارة فيه إلى أنّ هؤلاء الذين وقعوا في عاهة الإنكار وبَلِيّةِ الجحود، وبعد شهودهم أثار الغيب في مشاهد البيان، وأنسوا به وألفوهم، ثم عميت أبصار قلوبهم عن مشاهدة الآخرة، وصمّت آذان أسرارهم عن خطاب الحق في مواطن الغيب، وصَدَتْ عقولهم بِرَانِ الجهالة، وعصت نفوسهم خالق الخلق بهجومها في غلطات الكِبْر والرعونة، وخَبَثْ أخلاقهم من شوائب الشهوات، وكدرتْ أرواحهم من اقتحامهم في العُجب والرياء والكبر، وأبغضت الأولياء، لم يقبل الله توبتهم لأنهم ذاقوا حلاوة الرياء والسمع، وآثروا حظوظ الدنيا على صحبة أهل المعرفة، وركنوا إلى صحبة الأضداد، ومالوا عن بساط الحرمة إلى عرضة المخالفة. ومَنْ هذه أحوالُه فتوبته لا تستقيم، وأوبته لا تدوم، لغلبة الشهوة على قلبه، وكثرة الفترة على بدنه، لا تلصق فيه نصيحة، ولا تؤثّر فيه شفقة، ولا ينتظم شمله. بطرت نفوس هؤلاء الشهوات، واسودت قلوبهم من الشهوات، جزاهم الله تعالى بإبعادهم عن حضرة الوصال، ومشهد الجمال، وهو قوله تعالى: لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الضَّالُّونَ (23) عن طريق الحقائق والمعارف والكواشف، وأسبل الله على قلوبهم غطاء القهر حتى لا يروا أنواع عجائب كرامات الأولياء، ولا يقام لهم عند الله يوم القيامة وزن وإن كثرت صلاتهم وصيامهم وصدقاتهم، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَمِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ (24) أهـ.

وقال، عند قوله تعالى: وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ (25):

آيات أنبياؤه وأولياؤه، وهم أعظم الآيات، إذ تجلى الحق من وجوههم بنعمة العزة والكبرياء للعالمين، وأيّ منكر أعظم ممن ينكر هذه الآيات الساطعة، والبراهين الواضحة. قال سهل:

أظهر آياته في أوليائه، وجعل السعيد مِن عباده مَن صَدّقهم في كراماتهم، وأعمى أعين الأشقياء عن ذلك، وصرف قلوبهم عنهم.

ثم قال، عند قوله تعالى: سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ (26)، بيّنَ الله سبحانه أنه لا ينفع إيمان المنكرين أنبياءه وأولياءه عند معاينة جزاء إنكارهم، فإنه بجلاله وعزّته منتقم لأوليائه من أعدائه أهـ.

وقال، عند قوله تعالى: فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (27)، فلما أقاموا على دعاويهم الباطلة، وكلماتهم المزخرفة، وبِدَعِهم الباردة، وأصرّوا على إيذاء أوليائنا وأحبّائنا، غضبنا وسلّطنا عليهم جنود قهرنا، وأمَتْنَاهم في أودية الجهالة، وأغرقناهم في بحار الغفلة، وجرّدنا قلوبهم عن أنوار المعرفة، وطمسنا أعين أسرارهم حتى لا يرَوْا لطائف برّنا على أوليائنا أهـ.

وقال، عند قوله تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا (28)، ثم إن الله سبحانه ذكر أنّ عرائس خطابه، ولطائف كلامه لا تنكشف لمن رأى قيمة نفسه في جناب الأزلية، وميادين الربوبية بقوله سأصرف، سأمنع عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض عن إدراك حقائق خطابي، وفَهْم لطائف معاني كلامي، الذين يتكبرون في

الأرض بغير الحق، المدّعين المعجبين بشأنهم ومزخرفاتهم بمجاراتهم كلام الدعاوي الباطلة بغير الحق لأنهم منكر و كرامات أوليائي، وآيات أصفيائي. ثم وصف حالهم في تضاعيف الآية بقوله تعالى: وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا (29)، ثم زاد مباعدتهم عن باب التوفيق، ووجدان رشد الطريق بقوله: وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا (30)، لو تبيّن ألف طريق من طرق الأولياء إلى الله تعالى لا يبتغونها سبيلا لحرمانهم عن مصادفة الحق، وإن ظهر لهم طريق الدعاوى في متابعة الشهوات اتّبعوه وجعلوه سبيل الحق، لأن سجيتهم الضلال. إنتهى.

وقال: قال سهل في قوله: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض (31)، وهو أنْ يحرمهم فَهْمَ القرآن والإقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهـ.

قلتُ: والتكبّر في الأرض بغير الحقّ وصْفٌ لازمٌ للمنكرين، ولو لم يعاقب الله المنكرين على السادات الأولياء الأخيار إلاّ بما ذكر في هذه الآية لكان كافيا، محذّرا عن الإنكار لكل من كان

موفّقا من أهل الإعتبار، لكن ما أصابهم ما قاله مولانا سبحانه وتعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ (32). قال في عرائس البيان:

الله سبحانه عجّز خواطرَ الجهلة عن إدراك العلوم المجهولة عند أكثر الخلق، المعروفة عند أهل المعرفة، تنطق بها ألسنة الروحانيين والملكوتيين، ومن الصفات والذات، فلما لم يكونوا من أهل الخطاب كذّبوا حقائق الخطاب الذي جرى على لسان الأولياء والصديقين والأنبياء والمقربين.

قال: وهكذا عادة المفلسين والمنكرين كرامات أهل المشاهدات، وفراسة أهل المكاشفات، لجهلهم وغرورهم وقياساتهم الفاسدة.

قال تعالى: وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (33)، يسمعون حقائق كلمات القوم التي هي مخبرة عن حقائق أسرار الغيب ويسمّونها طامّات، ياليتهم لو يشمّون مِن ألف فرسخ رائحتها لطاروا من الفرح بوجدانها، لكن ما خلقوا لقبول الحقائق. قال: قال بعضهم: كذّبوا أولياء الله تعالى في براهينهم لمّا حُرِموا ما خُصّ به القوم، والمحروم من حُرِم حظّه من قبولهم وتصديقهم والإيمان بما يظهر الله تعالى عليهم من أنواع الكرامات.

قال: قال أبو تراب النخشي: إذا بعدت القلوب عن الهب تعالى مقتت القائمين بحقوق الله تعالى أه. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: الناس أعداء لما جهلوا أه.

وفي الأنوار القدسية:

وحكى الشيخ مُحَمَّد الطخيخي، عن إمام جامع سماقود، أن شخصا كان ينام في المحراب في ثياب وسخة، فكان كلّما أراد أن يقف في المحراب يجده نائما فيه، فسمّاه عجل المحراب.

فجاء الإمام يوما، فغمزه برجله في خدّه، فقام وعيناه كالدم الأحمر، فمسك الإمام ودفعه في المحراب، فوجد نفسه في أرض قفراء وعرة، فتقرحت رجلاه من المشي، فقطّع عمامته ولف منها على رجليه فلما تعبت تراءت له شجرة فقصدها، فإذا عندها عين ماء، وإذا بأثر أقدام توضأت وذهبت، فتبع الآثار فوجد جماعة كثيرة في عطف جبل، وإذا بالرجل الذي كان ينام في المحراب هو شيخ الجماعة، وعليه ثياب نظيفة، فالتفت إلى أصحابه وقال: هل رآني أحد منكم يوما وأنا عجلُ بقرٍ؟ فقالوا: لا، فقال: قولوا لهذا الإمام استغفر الله وأتوب إليه، فأشار

الشيخ إلى واحد من الجماعة يدفعه إلى جامع سماقود، فقام فدفعه فوجد نفسه خارجا من حائط

المحراب والناس ينتظرونه في صلاة العصر، فأخبرهم بالقضية وأن تلك الأرض القفراء مسافتها سنة كاملة من مصر أهـ.

وحكى الشيخ الصالح أحمد بن الشيخ الشربيني: أنه كان مجاورا بمكة، فاشتاق إلى زيارة والدته بشربين وليس معه دراهم يكري بها، ولا ركب يسافر إلى مصر. فبينما هو كذلك إذ وجد رجلا مبتلي بالمسعى ينكر عليه أهل مكّة أشد الإنكار، ففاجأه بالكلام وقال: تريد تروح إلى أهل مصر؟ فقال: نعم، فدفعه، وإذا به على باب شربين.

هذه حكايته لي، وأخبرني: أنه كان صاحب الشفاعة لأهل موقف عرفة سنة ثلاثة وعشرين وتسعمائة من الهجرة.

وحكى الشيخ نور الدين الشنواني: أن شخصا من قنطرة الموسكى كان مكاريا يحمل النساء من بنات الخطأ، وكان الناس يسبّونه ويصفونه بالتعريص، وكان من أولياء الله تعالى لا يُركِب امرأة قط من بنات الخطأ وتعود إلى الزنا أبدا. فقال له الشيخ نور الدين: بِمَ وصلت هذه المنزلة؟ قال: باحتمال الأذى.

وقال بعد كلام: وسمعته، يعني الشيخ عليّا الخواص، يقول: إن الله تعالى أعطى أرباب الأحوال في هذه الدار التقديم والتأخير والتولية، والعزّ والقهر، والتحكّم على الله تعالى الذي هو الإدلال عليه، ونفوذ الأمر في كل ما أراده من الأمور، فإيّاكم والإنكار على أحد إلاّ بعد التوجّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليحفظكم من ذلك وإلاّ فربّما مُقِتُمْ فهلَكْتُمْ أهـ.

قلتُ: وأين أنت من هذا التوجّه، فسلّم تسلم.

وقال في كتاب اليواقيت:

وقد كان الشيخ سراج الدين المخزومي، شيخ الإسلام بالشام، يقول: إيّاكم والإنكار على كل شيء من كلام الشيخ محي الدين فإنّ لحوم الأولياء مسمومة، وهلاك أديان مبغضيهم معلوم، وبعضهم تنصّر ومات على ذلك. ومن أطلق لسانه فيهم بالسبّ ابتلاه الله بموت القلب.

وكان أبوعبد الله القرشي ﷺ يقول: من غضّ مِن ولي لله تعالى ضرب في قلبه بسهم مسموم، ولم يمُتْ حتى يفسد معتقده، ويُخَافُ عليه من سوء الخاتمة.

وقال فيه أيضا: وكان الإمام ابن أسعد اليافعي يقول: أن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد أن تزيله عن مكانه بنفختها، ومن عادى أولياء الله

تعالى فكأنما عادى أنبياء الله، وإن كان لم يبلغ حدّ التكفير الموجب في النار أهـ.

وفيه: سُئل الإمام محي الدين النووي عن الشيخ محي الدين بن عربي فقال: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت، ولكن الذي عندنا أنّه يحْرُم على كل عاقل أن يسيء الظنذ بأحد من أولياء الله عزّ وجلّ، ويجب عليه أن يؤوّل أفعالهم وأقوالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم، ولا يعجز عن ذلك إلاّ قليل التوفيق.

وقال في شرح المهذب: إذا أوّل فليؤول كلامه إلى سبعين وجها، فإن لم يقبل كلامهم تأويلا منها فليرجع على نفسه باللوم ويقول لها: يحتمل كلام أخيك سبعين وجها ولا تقبلين منه تأويلا واحدا، وما ذلك إلا تعنّت أهـ.

وقال في رسالة الأدب: وبالجملة، فكثر البحث والجدال، وعدم التسليم لكل شيء لا يخرج على الإجماع، تعمي قلب العبد، وتخرجه عن محلّ القرب إلى محلّ الطرد، وكان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يقول: الإنكار ركن عظيم من أركان الشرك والنفاق لأنّ أصل الكفر عدم التصديق، فهو في

حقّ النبي ﷺ كفر، وفي حقّ التابع له ﷺ نفاق، فللتابع حقّ كما للمتبوع حقّ إذ العين الممدّدة واحدة. فالإنكار بالظن والوهم كلّه مذموم.

وقال بعد كلام: ولذلك طال الطريق إلى الله تعالى وإلى معرفة حضراته وحضرات أسمائه وصفاته على أهل الإنكار والجدال.

ثم قال بعد كلام: وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول: ليس الكامل من الرجال من يوصل كلّ يوم ألفا من العوام، وإنما الكامل من يوصل فقيها كثير الجدال في مائة عام.

قال بعد كلام: فالواجب على كلّ من أراد تقريبه إلى حضرات القرب من الحق تعالى، ورسله وأوليائه، أن لا يبحث ولا يجادل في كلامهم، بل يُقْبِل على العمل بكل ما أمروه، ويقبله قبول العبد الصالح، لا سيما كلام أرباب الأحوال، فإنّ حالهم من أغرب الأمور، والإنكار على أحوالهم سمّ ساعة.

ثم قال في موضع آخر، بعد كلام: وكان سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه يقول: أولى الناس بالمقت عالم فاجر كثير الجدال، لا يرى غير زعمه، ودعاوى وهمه، إن تكلّم جار،

وإن سكت جار.

وكان ﷺ يقول: من علامة أهل الطرد عن حضرة الله تعالى أن لا تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله. وذَكَرُوا بين يديه واحدا من علماء عصره وأثنوا عليه، فقال: دعونا من ذكر أهل الطرد، قالوا: كيف يا سيدي وهو من علماء الإسلام؟ قال: ليس له من العلم إلاّ الإسم، فقالوا: كيف؟ فقال: هل رأيتم محبّا لله عزّ وجلّ يثقل عليه تكرار اسم محبوبه، ويضيق صدره إذا أمِر بذلك؟ فقالوا: لا، فقال: لا أشقّ على الواحد منهم أن يقال له أترك درسك في النحو واللغة، أو في هذه المسائل التي لا تعرف لها دليلا من الكتاب والسنة،

وتعال نذكر الله عزّ وجلّ ساعة، وقد قال تعالى: "أنا جليس من ذكرني"، فكل من لم يقدر على المجالسة مع الله تعالى فهو مطرود عن حضرته، فقالوا: يا سيدي، إشتغالهم خير على كل حال، قال: صحيح، ولكن كلامنا في أهل حضرة الله عزّ وجلّ لا في حضرات أحكامه، وفرق بين مشهوده ذاته وبين مشهوده أسماؤه وصفاته، فإن أحدهم يموت وهو مع أصحاب الأحكام من الخلق لا يشهد الحق إلا عند موته، بخلاف من يشتغل باسم الذات، فلا يزال يذكر حتى يجتمع بصاحب الإسم، إذِ الإسم لا يفارق المسمّى، بخلاف الأحكام.

وقد طلب الشيخ فخر الدين الرازي الطريق إلى الله تعالى، فقال له الشيخ نجم الدين البكري: لا تطيق مفارقة صنعك الذي هو علمك، فقال: يا سيدي لا بد إن شاء الله تعالى. فأدخله الشيخ الخلوة، وسلبه جميع ما معه من العلم، فصاح في الخلوة بأعلى صوته: لا أطيق، فأخرجه وقال: أعجبني صدقك، وعدم نفاقك، ولكن أنت صرت من معارفنا فاعلم ذلك وأنت أعلم بنيتك أه.

وفي العهود المحمدية

أخبرني سيدي عليّ الخواص أن شخصا من القضاة كان يؤذي سيدي إبراهيم المتبولي وينكر عليه، وكان القاضي سيّئ الخلق. فلما مات تصور سوء خلقه كلبا أسود، فجلس على نعشه والناس ينظرون إلى أن نزل معه في القبر أه.

وفي حياة الحيوان للدميري، عند ذكر الذباب: وفي تاريخ ابن خلكان، في ترجمة الإمام يوسف بن أيوب بن زهرة الهمداني الزاهد، صاحب المقامات والكرامات والأحوال الباهرات، أنه جلس يوما للوعظ فاجتمع إليه العالم فقام من بينهم يعرف بابن السقاء وأتاه وسأله عن مسألة، فقال

له الإمام يوسف: إجلس فإني أجد من كلامك
رائحة الكفر، ولعلك تموت على غير دين الإسلام. فقدِم رسول ملك الروم إلى الخليفة، فخرج ابن السقاء مع الرسول إلى بلاد القسطنطينية، فتنصّر ومات نصرانيا. وكان ابن السقاء قارئا للقرآن، مجوّدا في تلاوته. وحكى من رآه بالقسطنطينية قال: رأيته مريضا ملقى على دكان، وبيده مروحة يدفع بها الذباب على وجهه، فقلت: هل القرآن باق على حفظك، قال: ما أذكر منه إلا آية واحدة، وهي: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (34) والباقي نسيته أهـ. نعوذ بالله من سخطه وخذلانه، ونسأله حسن الخاتمة.

قال: فانظر يا أخي كيف هلك هذا الرجل وخذل بالإنتقاد وترك الإعتقاد، نسأل الله السلامة. فعليك يا أخي بالإعتقاد وترك الإنتقاد على المشايخ العارفين، والعلماء العاملين، والمؤمنين الصالحين، فإنّ حرابهم مسمومة، فقلّ من تعرّض لها وسلِم، فسلِّم تسلم، ولا تنتقد فتندم، وإقتدِ بإمام العارفين، ورأس الصدقين، وعلامة العلماء العاملين في وقته، الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني لمّا عزم على زيارة الغوث بمكة وقال رفيقاه: ما نالنا؟ فقال: أما أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك لا على قدم الإنكار والإمتحان، فآل أمره
إلى أن قال قدمي هذه على ركبة كل ولي لله تعالى، وآل أمر رفيقه إلى الكفر وترك الإيمان بالإتقاد وترك الإعتقاد كما اتّفق في هذه الحكاية، وآل أمر الآخر إلى اشتغاله بالدنيا، وترك خدمة المولى بقلّة التوفيق، نسأل الله التوفيق والهداية والأمانة على الإيمان به وبرسوله ﷺ، والإعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه،بجاه مُحَمَّد وآله أهـ. كلام الدميري.
وقال أبو المواهب التونسي: إحذروا من قولكم ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء، إنهم ما ذهبوا حقيقة وإنما هم ككنز صاحب الجدار، وقد يعطي الله من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأوّل، فإن الله تعالى قد أعطى مُحَمَّدا صلّى اله عليه وسلّم ما لم يُعطِ للأنبياء قبله، ثم قدّمه في المدح عليهم.

ويا لله العجب في كثير من المتفقّهة! ينكرون ما أجمع عليه الأولياء، ويصدّقون بما وصل إليه على لسان فقيه واحد، وربما كان استناده في ذلك القول إلى دليلٍ قياسُه ضعيف أو إلى شذوذٍ من القول، ما ذاك – والله – إلاّ لغلبة الحرمان! ثم هو مع إنكاره، إذا صادفه همّ أو مصيبة، يأتي إلى قبورهم فيحملهم الحملة دون الفقيه الذي صدّق قوله وقدّمه عليهم، وكان الأمر

بالعكس. فإيّاك يا أخي أن تُحرَم احترام أصحاب الوقت فتستوجب الطرد والمقت، فإنّ من أنكر على أهل زمانه حُرِم بركة أوانه أهـ.

وقال في عرائس البيان في حتائق القرآن، عند قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (35)

وصف أهل التردد في سلوك سبيل الأولياء، والإيمان بهم وبأحوالهم حين هيج الله رغبتهم إلى رئاسة القوم، وشرفهم عند الخاص والعام، آمنوا رسما ولا استعدادا، فلما جنّت عليهم ظلمات المجاهدات لم يحتملوا، وأنكروا عليهم، ورجعوا إلى حظوظ أنفسهم.

فإذا سمعوا إنكار الخلق على ترددهم، ورأوا مهابة الأكابر عندهم، آمنوا بعد ذلك رسما لا حقيقة، فلما لم يصلوا إلى شيء من مقامات القوم وكراماتهم، إرتدوا وصاروا منكرين على القوم وعلى مقاماتهم، وازداد إنكارهم حين رجعوا إلى اللذات والشهوات، واختاروا الدنيا على الآخرة، ويقولون عند الخلق أن هؤلاء ليسوا على الحق، ويطعنون فيهم ويقعون في تمزيقهم وغيبتهم، حتى تضيق صدور القوم عليهم، وإن الله سبحانه ينتقم منهم بأن يشغلهم بجمع المال والرئاسة، ولا يرشدهم بعد ذلك إلى سبيل الرشاد، ويبقى على وجوههم سمات الخسران، ويتحرقون غدا في وسط النيران، وهذا وصف أهل زماننا من المنكرين أهـ.

والله تعالى الموفّق بِمَنّه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1. سورة الأحزاب، الآية 57.
2. سورة الطلاق، الآية 3.
3. سورة الروم، الآية 47.
4. سورة البقرة، الآية 258.
5. سورة الحجّ، الآية 38.
6. سورة أل عمران، الآيتان 196 . 197.
7. سورة الزمر، الآية 69.
8. سورة الحجر، الآية 2.
9. سورة الحجر، الآية .3
10. سورة الأعراف، الآية .179

11.سورة النساء، الآيات من 51 إلى .54

12.سورة النساء، الآية .51

13.سورة النساء، الآية .54

14.سورة النحل، الآية .83

15.سورة الأنفال، الآية .47

16.سورة الأنفال، الآية .48

17.سورة التوبة، الآية .67

18.سورة التوبة، الآية .32

19.سورة التوبة، الآية 31.

20.سورة التوبة، الآية 32.

21.سورة آل عمران، الآيتان 90 . 91.

22.سورة آل عمران، الآية 90.

23.سورة آل عمران، الآية 90.

24.سورة آل عمران، الآية 91.

25.سورة غافر، الآية 81.

26.سورة غافر، الآية 85.

27.سورة الزخرف، الآية 55.

28.سورة الأعراف، الآية 146.

29.سورة الأعراف، الآية 146.

30.سورة الأعراف، الآية 146.

31.سورة الأعراف، الآية 146.

32.سورة يونس، الآية 39.

33.سورة الأحقاف، الآية 11.

34.سورة الحجر، الآية 2.

35.سورة النساء، الآية 137.

الفصل السّابع

في تحذيرهم من الإنكار على الناس إنكار الحرام على الأمور التي اختلف العلماء في حكمها.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق: إعلموا ـ يا إخواني ـ أنّ مُسوّغ الإنكار على الناس شيء عسير، بل متعذّر، إذ قال عزّ الدين بن عبد السلام:

الإنكار متعلّق بما أُجمِع على إيجابه أو تحريمه، فمن ترك ما اختُلِف في وجوبه، أو فعل ما اختلف في تحريمه، فإن قلّد بعض العلماء في ذلك فلا إنكار عليه، إلاّ أن يقلده في مسألة ينقض حكمه في مثلها. فإن كان جاهلا لم ينكر عليه، ولا بأس إلى إرشاده إلى الأصلح. وإنما لم يُنكَر عليه لأنه لم يرتكب محرّما، فإنه لا يلزمه تقليد من قال بالتحريم ولا بالإيجاب. أهـ.

و في القواعد الزروقية:

لا حكم إلاّ للشارع، فلا حكم إلاّ له، قال الله تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (1). وقد أوجب وحرّم وندب وكرّه وأباح، وبيّنَ العلماء ما جاء عنه كلاّ بوجهه ودليله، فلزم الرجوع لأصولهم في ذلك من غير تعدٍّ للحق، ولا خروج عن الصدق. فمَن أخلّ بالأولين طرح حيث اتفق عليه إجماعا، وحيث يختلف اعتبر أمامه في حكمه فلا ينكر عليه غير ما اتفق عليه بمذهبه إن تكرر بغير ضرورة، وإلاّ فالضرورة لها أحكام.

وما بعد الواجب والمحرّم ليس لأحد على أحد فيه سبيل إن أثبت حكمه على وجهه، ولم يتعلّق بالغير تركه، ولم يخرج به الأمر لحدّ التهاون، أو تشهد أحواله بالإزراء بذلك، ورقة الديانة، "فرُبّ طاعمٍ شاكرٍ خير من صائم صابر، الحديث." ومِن ثَمّ أجمع القوم على أنهم لا يوقظون نائما، ولا يُصَوِّمون مفطرا من وجه دخول الرياء والتكلّف، ولأن العناية بإقامة الفرائض هي الأصل لا غيرها وكل السنّة تشهد لذلك، والله أعلم.

وفي تلخيص الإخوان:

ولا بأس بإرشاد العامّي إلى ما هو الأحوط في دينه، ولا بأس بمناظرة المجتهد ليرجع إلى الدليل الراجح، فلا يجوز الإنكار إلاّ لمن علِم أنّ الفعل الذي ينهى عنه مُجمَع على تحريمه، وأنّ الفعل الذي يأمر به مُجمَع على إيجابه، ونعني بالنهى عن إنكار الحرام ولو أنكره إنكار الرشاد فذلك نصح وإحسان.

وقال ابن الهندي رحمه الله تعالى:

لا تتعرض لكل من حكَمَ في مسألة من مسائل الفروع إلاّ إذا علمتَ أنّ حكمه مخالف للقرآن والسُنّة، وإنْ لم تعلم ذلك فلا تتعرّض لحكمه وإن علمتَ أنّ حكمه مخالف للمدوّنة وغيرها.

وقال الإشبيلي في شرح الأربعين النووية:

وإنما يأمر وينهى مَن كان عالما بما يأمر به وما ينهى عنه، فإن كان منَ الأمور الظاهرة، مثل الصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر ونحوها، فكل الناس علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، وما يتعلّق بالإجتهاد، لم يكن للعوام فيه مدخل، ولا لهم إنكاره، وذلك للعلماء، والعلماء إنما ينكرون ما أُجْمِعَ عليه، أمّا المختلَف فيه فلا إنكار فيه.

وفي الدرر:

فمَن شدّد شدّد الله عليه. فمراد الله تعالى في هذه الأمة أن يقع الإختلاف فيحصل التيسير، ولذلك أنزل إليهم كتابا عربيّا، ولغة العرب متّسعة، محتملة للمعاني المختلفة. أهـ.

وقال مُحَمَّد بن يوسف المواق، في سنن المهتدين:

قال عياض: ما اختلف العلماء في تحليله وتحريمه فلا يقال فيه حرام. وقال في أول الإكمال: لا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يحمِل الناسَ على اجتهاده ومذهبه، وإنّما يغيّر منه ما أجمِعَ على إحداثه وإنكاره.

وشرح محي الدين النووي كلام عياض قائلا: أما المختلَف فيه فلا إنكار فيه، وليس للمفتي ولا للقاضي أن يتعرّض لمن خالفه إذا لم يخالف نصّ القرآن والسنّة أو الإجماع.

وقال شيخ الشيوخ أبو عمر في تمهيده: ألا ترى أن الصحابة اختلفوا وهُمْ الأسوة فلم يعِبْ أحدٌ منهم على صاحبه ولا وجد عليه في نفسه.

ونقل أبو عمر بسنده إلى الثوري: إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختُلِف فيه وأنك ترى غيره فلا تنهه.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي: الأوْلى عندي في كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها قولان فيعمل الناس على موافقة أحدهما وإن كان مرجوحا في النظر أن لا يتعرض لهم، وأن يوجدوا على أنهم قلدوه في الزمان الأول وجرى به العمل، فإنهم إنْ حُمِلوا على غير ذلك كان في ذلك تشويش للعامة، وفتْح لِبَابِ الخصام.

وقال ابن عرفة: قول ابن حزم: " أجمعوا على أنّ مُتّبِعَ الرخَص فاسق " مردود بما أفتى به الشيخ المتفق على علمه وصلاحه عزّ الدين بن عبد السلام: أنه لا يتعيّن على العامة إذا قلّدوا إماما في مسألة أن يقلدوه في سائر مسائل الخلاف لأن الناس مِن لَدُن الصحابة إلى أن ظهرت المذاهب يسألون فيما سنح لهم العلماء المختلفين من غير نكير من أحد، وسواء اتّبع الرخص في ذلك أو العزائم لأن من جعل المصيب واحدا لم يعَيِّنْهُ، ومن قال كلّ مجتهد مصيب، فلا إنكار على من قلّد في الصواب.

وقال القرافي: إنعقد الإجماع على أن من سلم فله أن يقلد من شاء من العلماء بغير حَجْر، وأجمع الصحابة على أنّ مَن استفتى أبا بكر وعمر وقلدهما فله أن يستفتي أبا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما من غير نكير، فمَن ادّعى رفع هذين الإجماعين فعليه الدليل.

(وقال القرافي) أيضا: من أتى شيئا مختلَفا فيه يعتقد تحريمه أُنكر عليه لانتهاكه الحرمة وإن اعتقد تحليله لم ينكر عليه أهـ.

قلتُ: وإذا فهمتَ جميع ما تقدم علمتَ أن مسوّغ حرمة الإنكار شيء عسير، بل معتذر، ولا يزال المعترض يعترض على الخلق حتى يعترض على الله، كما لا يزال المنكِر ينكر على الباطل حتى ينكر على الحق. وشروط الإنكار ثلاثة: الأول العلم ليتحقق مقوله ويحرر منقوله ويوضح دليله فيثبت قيله، والثاني التبصر ليفرق بين الحق والباطل ولا سيما فيما يشتبهه فيه الحق بالباطل، ويظهر المتحلّي به كالعاطل، فيعتبر كل شيء حيث يثبت، ويوجه كلامه حيث يوجد الشيء لا حيث يفقد، وحيث يكون فيه محلّ للنكير بوجه واضح، والثالث التقوى يتصف وينصح

لا يتصف به ويقدح، ولذا قالوا:

ذكرُ ما يقع منهم ـ يعني من أهل الزمان ـ مِنَ المناكر بقصدٍ صادقٍ، نافعٌ مفيدٌ، غير أنه صعب يفتقر إلى التحقيق في المدارك، وتضلع في العلوم، وتجربة تامة، فإنّ الأمور قليل منها ما يكون أمرا حقيقيّا يُذَمّ من كلّ وجهٍ أو يُمدَح من كلّ وجهٍ، بل أكثرها إضافي إعتباري في اختلاف الأشخاص والمقاصد والأزمنة والأمكنة والأحوال.

فافهم وانظر المحاضرات للحسن الألوسي.

قلتُ: إذا فهمتَ ما تقرر فاغتنم مَنْ هذا وصفُه حيث كان، وسِرْ إليه وإن كان بأبعد مكان.

هكذا هكذا وإلا فلا. طرقُ الجِدّ غير طرق المزاح، واحذر من كلّ جاهل يتحامل، أو جامد ناقل، وحاسد يعرف الحق ويتجاهل. أما الجاهل الذي يتحامل ويتصدر للتدريس، أو ينقل ويقيس، فهو شرّ من اللعين إبليس، إذ لا أجهل أو أفسد بالدين مِنْ متعصّب بالباطل، أو منكر لما هو جاهل. ومِن ثَمّ قال بعض العلماء:

وإنما يؤتى بعض الناس من عدَم معرفتهم قدر أنفسهم، وكل من تعاطى شيئا من مبادئ الإصلاح ظن أنه قد وصل، وعلى المقصود حصل، فتهيّأ وتربّع، وجلس وارتفع، وقال ما شاء، ولا يبالي بما أفلس أوقاء، توقّحا وتقحّما لا علما روى، ولا فهما درى، بل يخبط خبط عشواء، ويبدي مقالة شنعاء، بلا حشمة ولا حياء، غافلا عمّا يلزمه من العار، ويقحمه في النار، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وأما الجامد الناقل، وإن كان يسرد كثيرا من الأمهات، ويحفظ كثيرا من المسائل، ويدرس كثيرا من الفنون، فاحترزْ منه، لا سيما إن كان مطفّفا في العلم والعمل، يثبت مزية نفسه ويحسن الظن بها، ويجحد مزية غيره ويسيئ الظن به، نظرَ إلى أحوال السلف الصالح واتخذها حالا لنفسه ظنا منه أنه تحلّى بها، فأراد حمْل الناس على ما يتوهّم أنه مذهبه، وأن طريقته هذه تعم وأنّ كلّ مَن خالفه فهو مبطل، وأنّ من وافقه فهو مُحِقّ، مع أن شواهد الإمتحان تنبئ أنه قاصد عمّا يدّعيه، كما قال الشاعر:

إن تك ناسكا فكن كأويس ... أو تك فاتكا فكن كابن هاني

مَنْ تحَلّى بغير ما هو فيه ... فضَحَتْه شواهد الإمتحان

وقال غيره:

إذا ما ذكرتَ الناسَ فاترك عيوبَهم ... ولا عيب إلاّ لمثل ما فيك يُذكر

فإنْ عِبْتَ قوما بالذي هو فيهم ... فذلك عند الله والناس أكبر

وإنْ عبتَ قوما بالذي فيك مثله ... فكيف يعيب العور من هو أعور

وأشدّ ما يقع فيه مثل هذا أنه يتعاطى الإنكار في الخلافيات والأمور العاديات التي سكت الشرع عن الكلام في أكثرها، والبدع الإضافيات، وهي التي تضاف لأمور لو تسلم منها لم تَصِح المنازعة في كونها سنّة أو غير بدعة بخلاف أو بلا خلاف، وهي أكثرية أو أغلبية في

الأزمان. فلا يزال ينكر على العام والخاص بما هو متلبس به، ويريد أن يحملهم على الورع مع خلوه عنه، إلاّ أنه لا يجوز حمل العامة على الورع لأن العامي يتصرف بالعلم على وجه إسقاط الحرج، ومن ثَمّ قال شيخ الشيوخ ابن لبّ:

إذا كان عمل الناس على قول بعض العلماء فلا ينبغي إنكاره، لا سيما إن كان الخلاف في الكراهة، فذلك الإنكار جهالة عظيمة ما حمل من أنكر على إنكاره إلا أنه أبصر ما أمامه ولم يلتف إلى خلفه ووراءه، ووقف على بعض مسائل في المذهب ولم يهتدِ لواضح سبيلها، ولا شعر بوجهها ودليلها، ولا علم اختلاف العلماء في أصلها، ولم يُعطِها من الفهم والتأمل حقها، فظن أن لا عِلْمَ إلاّ ما عَلِمَ، ولا فَهْمَ إلاّ ما فَهِمَ، فاحتقر العامة، وجهّل الخاصة، ورأى أنه وحده على الجادة. إنتهى كلام ابن لبّ.

فشدّ يدك عليه فإنه نفيس في بابه.

وأما الحاسد الذي يعرف الحق ويتجاهل، فاحترز منه وهو الذي يجعل علمه حجة على الناس ينتصف به عليهم ويغالطهم به ويجادل، والمغالطة تلبيس الحق بالباطل، وإدخال التشويش على أهل الحق، وإثارة الشُّبَهِ عليهم بباطل في صورة حق، والجدال والمغالبة بالعلم على وجه لا يرتضيه الله ورسوله. قال الشافعي رضي الله تعالى عنه:

إذا رأيتَ الرجل يجادل فاستدل على أنه رجل سوء. إنتهى.

والله تعالى الموفق بِمَنّه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة النساء، الآية 59.

الفصل الثامن

في إعلامهم أنّ الله تعالى لم يوجب على أحد التزام مذهب معين من مذاهب المجتهدين لا يتجاوره، وأنّ كل واحد من أئمة هذه الأمّة رضي الله تعالى عنهم أجمعين تبرأ من ادّعاء وجوب اتّباعه هو وحده في كلّ مسألة من مسائل الدين دون غيره من الأئمة لعلمهم بأنّ الإتّباع العام لا يجب إلاّ لمعصوم.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق: قال الشيخ أحمد زرّوق في تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الأصول:

لا اتّباعَ إلا لمعصوم لانتفاء الخطأ عنه، أو مَن شُهد له بالفضل لأنّ مُزَكَّى العدلِ عدلُ، وقد شهد عليه الصلاة والسلام بأنّ خير القرون قرنه ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم، فصحّ فضلهم على الترتيب، والإقتداء بهم كذلك. لكن الصحابة تفرّقوا في البلاد مع كلّ واحد منهم ـ كما قال مالك رحمه الله تعالى ـ علمٌ، فلعلّ مع أحدهم ما هو ناسخ ومع الآخر فهو منسوخ، ومع الآخر مطلق ومع الآخر مقيّد، ومع بعضهم عامّ ومع الآخر مخصّص كما وُجد كثيرا، فلزِمَ الإنتقال لمن بعدهم إذا جمع المتفرق من ذلك، وضبط الرواية فيها

هنالك لكنهم لم يستوعبوه فقها، وإن وقع لهم بعض ذلك فلزم الإنتقال لِمَن بعدهم إلى الثالث إذا جمع ذلك وضبط وتفقه فيه حفظا وضبطا وتفقها، فلم يَبْقَ لأحد غير العمل بما استنبطوه، وقبول ما أصّلوه واعتمدوه. ولكلّ فنّ في هذا القرن أئمّة مشهور فضلهم علما وورعا، كمالك والشافعي وأحمد والنعمان للفقه، وكالجنيد ومعروف وبشر للتصوف، وكالمحاسبي لذلك والإعتقادات إذ هو أوّل من تكلم في إثبات الصفات كما ذكره ابن الأثير. اهـ.

قلتُ: وأنت ترى كيف جعلهم أئمّة لكلّ من أراد معرفة الشريعة التي أتى بها محمّد صلّى الله عليه وسلّم من غير تفريق بينهم، وكيف يفرّق أئمّة المؤمنين مؤمنٌ يعلم أنه لا حكم إلاّ لله، وأنّه لا سبيل إلى معرفة حكمه إلاّ كتابه الذي أنزله وسُنّة رسوله عليه السلام الذي أنزل إليه ذلك الكتاب، وهُمَا أصل جميع الأحكام لهذه الملّة المحمّدية، فما كان منهما فواجب ثابت مقبول أبدا، وما كان من الإجتهاد فمتهيّئ قابل للقبول والردّ، فما وافق الكتاب والسنة فمقبول بالتبعية،

وما خالفهما فمردود بالأصالة لا أصل له، فأحرى
الفرع. ولهذا أشار إمام دار الهجرة مالك بن أنس ﷺ بقوله:
كلّ كلام ففيه مقبول ومردود إلاّ كلام صاحب هذا القبر صلّى الله عليه وسلّم.
فما كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع الصحابة رضوان الله عليه كانوا في غنًى عن الإجتهاد، ولا يقع منهم الإجتهاد إلا في بعض الأحيان، وكان السؤال أيضا قليلا لأنّه صلّى الله عليه وسلّم نهاهم عنه مخافة أن يوجب الله تعالى عليهم بالسؤال ما كان غير واجب، ويكثر السكوت عنهم ليفتح لهم باب الإجتهاد ليجتهدوا فيكون سُنّة باقية في أمّته فينتفي عنها الحرج لكثرة المسالك التي يسلكون بها إلى لله تعالى فتكون تلك المسالك كلّها طرقا إلى الجنة فتظهر مرتبة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم حيث كانت بعثته رحمة لها ويظهر بذلك عتناء الله بها لأجل نبيّنا صلّى لله عليه وسلّم حيث كان اختلاف علماء أمّته رحمة لها دون من عداه من الأنبياء عليه وعليهم من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام. فإنّ الاجتهاد ثابت بالكتاب والسُنّة، معمول به في زمنه صلّى الله عليه وسلّم. قال تعالى: إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (1)، وقال تعالى: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ (2).

فقدْ أذن لنا في الإجتهاد ووعدنا بالتوفيق إلى الرشاد، فله الحمد على سابغ الإمداد، وقد جعل كتابه أصل العلوم، ومعدن الأنوار، فلا يوجد الشيء إلاّ عن أصله، ولا يُطلب إلاّ في معدنه، وكانت أقواله وأفعاله صلّى الله عليه وسلّم كالبيان والتفسير لكتاب الله، قال الله تعالى: لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (3)، وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: "كان خُلُقُه القرآن"، وقد نبّه عن ذلك صلّى الله عليه وسلّم بقوله: "إنّي تارك فيكم الثقلين لن تضلّوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي"، فأرشد صلّى لله عليه
وسلّم أمته إلى العمل بهما، والتمسّك بهما، والإستنباط منهما بعده لِعلْمه صلّى الله عليه وسلّم أنّ العلم كلّه فيهما من طلبه منهما وَجَدَه واهتدى، ومن طلبه في غيرهما ضلّ ولم يجده، إذ فيهما النور الواضح، والهدى الراجح. وفي الحديث: من أوتى القرآن فقد أُدرِجَتْ النبوّة بين كتفيه إلا أنه لا يوحى إليه. أهـ. فإن للقرآن نزولا وتنزيلا، فالنزول قد مضى، والتنزل باقٍ إلى يوم القيامة. فمنه فَهْمٌ، ومنه إلهامٌ، ومنه كشفٌ، ومنه إلْقاءٌ، ومن مقام الفهم أخذ جميع أهل المذاهب مذاهبهم، ومن مقام ما فوقه قال بعض الأكابر:

لا يكون الرجل عندنا رجلا حتى يستخرج من حرف واحد من القرآن جميع المذاهب.
وكيف لا وقد قال في حقّ هذا الكتاب المحيط: مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (4)، وقال تعالى: يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ

وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (5)، وقال تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (6)، وقال تعالى: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (7)، وقال تعالى: وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. (
8) وقد بلغنا أنّ عليّا بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: "ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفني عجائبه، ولا تنقضي غرائبه". ورُويَ عن بعضهم:
أنّ لكلّ آية من القرآن ستين ألف فَهْمٍ، وما بقى من فهمها فهو أكثر.
والآيات والأحاديث وأقوال العلماء الواردة في هذا المعنى كثيرة، ومَن تأمّل ما أسلفناه عَلِمَ أنّه لا أجهل ممّن زعم أنّ الصواب محصور في فهْم إمام واحدٍ من أئمّة المؤمنين.
ولمّا علّمَنا صلّى الله عليه وسلّم أنه لا خليفة بعده على أمّته صلّى الله عليه وسلّم إلاّ كتاب الله تعالى وسنّته صلّى الله عليه وسلّم، ورغّبنا في التمسّك بهما، وضمن لنا عدم الضلال إذا تمسّكنا بهما، أقبل عليهما أصحابه رضوان الله تعالى عليهم بعده صلّى الله تعالى عليه وسلّم كلّ الإقبال، وقبِلوا منه صلّى الله عليه وسلّم الخليفة الذي استخلفه عليهم، وبايعوا له بالسمع والطاعة، ووفّوا له ما التزموه من عدم الخذلان والضياعة، وأمّروه على نفسهم ظاهرا وباطنا، وصرفوا الهمم إلى الإجتهاد والإستنباط من الكتاب

والسُنّة اللذيْن هما الخليفة على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم. فكان خليفة رسول لله صلّى الله عليه وسلّم يجمع الصحابة إذا حدثت نازلة للنظر في حكمها، فإن عثروا على حكمها في الكتاب وإلاّ طلبوه من سُنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإن لم يجِدوه فيها اجتهدوا واستنبطوا منها، فيهدي الله تعالى من يشاء إلى الصواب بفضله، إذ لا يجب عليه تعالى أن يهدي إلى الصواب، ولا يستحقّ عليه أحد هداية.
ثمّ إنِ اطّلعوا على نصٍّ كان عند غائب رجعوا إليه وردّوا اجتهادهم لعدم جواز الإجتهاد مع

وجود النصّ، وقد وقع ذلك كثيرا في زمن عمر رضي الله تعالى عنه. منه ما وقع في خروجه إلى الشام، فذلك أنه لما بلغ سرغ لَقِيَهُ أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه مع أصحابه من أمراء الأجناد وذكروا أنّ بالشام وباء، وأمر ابنَ عباس رضي الله تعالى عنه أن يدعو له المهاجرين الأوّلين، فلمّا حضروا استشارهم فاختلفوا، فقال بعض: خرجتَ لأمر لا ترجع، وقال بعض: بقي معك بقيّة الناس وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا
تذهب بهم إلى هذا الوباء. فقال: تفرّقوا عنّي، ثمّ كان أمره مع الأنصار كذلك، ثمّ دعا مشيخة قريش من مهاجري الفتح فاتّفقوا على الرجوع رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ثم نادى عمر رضي الله تعالى عنه الناس أنّي مصبحٌ على ظهرٍ فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نَفِرُّ من قَدَر الله إلى قدر الله، وكان يكره خلافه، أرأيتَ لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان أحدهما مخصبة والأخرى جدبة، أَلَيْسَ إن رعيتَ الخصبة رعيتَها بقدر الله، وإن رعيتَ الجدبة رعيتَها

بقدر الله. فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان غائبا لبعض حاجته، فقال: إنّ عندي من هذا علما، سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه". وقال ابن عباس: فحمِدَ الله عمر ثم انصرف أهـ.
قلتُ: ومِن هنا تعلم أنّ بعض مَن يدّعي العلم، وهو مع دعواه يدّعي أنّ كلّ مَن خالف بعض أقوال مجتهد من الأئمة المجتهدين أنّ مخالفته لبعض أقوال ذلك المجتهد معصية، وأنّ مخالفته تخرجه عن مذهب ذلك المجتهد، جاهل أعمى البصيرة، وبيان ذلك أن عمر رضي الله
تعالى عنه مع جلالة قدره، وكونه باب مدينة التقى، وكونه محدَّثا بفتح الدال المهملة كما شهد له الرسول صلّى الله عليه وسلّم بِمَا ذكرناه، وكونه مجردا، لم يطمئن قلبه برأيه واجتهاده. فكيف يزعم زاعم ـ لجهله بما عليه الإجتهاد والمجتهدون ـ أن لا يجوز لأحد إذا قلّد أحدا أنْ يخرج على بعض أقواله أبدا. ووجه الدليل أنه لم يطمئن قلبه فيما يراه، أنّه لمّا وجَدَ النصَّ وعلِم أنّ اجتهاده كان موافقا للحكم حَمِدَ الله تعالى لذلك.
وقد كان أبو عبيدة، أمين هذه الأمّة، ومَن وافقه، أنكر ذلك على عمر، وعاتبه عليه لما يرى أنّ الصواب ما رآى، فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، كلّ واحد منهما أنكر على الآخر لِمَا قام عند كلٍّ منهما مِنَ الدليل على صحّة دعواه، وحسن منحاه، ظنّاً لا قطعاً، حتى جاء الخبر

اليقين، فرجع إليه الكلّ، وظهر من كان مصيبا في اجتهاده ومن كان مخطئا، ولو لم يجدوا عند عبد الرحمن علما من ذلك لبقيَ الصواب مستورا، والمصيب مجهولا، إلى يوم القيامة.

وإذا بُعِث الخلائق، واستقرّ المؤمنون في الجنّة، أُعطيَ المصيب أجرين: أجر الإجتهاد في الإبتداء، وأجر الإصابة في الإنتهاء، وأُعطيَ المخطئ أجرا واحدا لاجتهاده في طلب الحقّ، وبذله الوسع في اجتهاده، ويُعفى من خطئه، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد". أنظرْ يا أخي ـ رحمنا الله وإيّاك ـ كيف كلّمنا النبيّ المعصوم أنّ المجتهدين يصيبون ويخطئون، ولم يخصّ الخطأ بواحد منهم، ولم يذكر لنا أنّ الإمام الفلاني هو المصيب في كلّ نازلة.

فبهذا النظر نعلم يقينا أنه لا أجهل ممّن تعصّب بهواه لبعض الأئمة، وادّعى وجوب اتباع مَن لم يوجب الله على أحد اتّباعه بخصوصه، فالْتحَقَ ـ لجهله ـ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُنْيَا وَهُمْ يَحْسبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (9). أنظرْ كيف لم يصبْ أمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة المبشّرين بالجنّة رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به في هذه النازلة، ولولا وجود النصّ بعد الإختلاف فيها لبقي المصيب فيها مجهولا إلى يوم القيامة.

إذا علمت أن هذا جائز في حقّ كلّ إمام من الأئمة المجتهدين سهُلَ عليك إن شاء الله أمر التسوية بينهم. وبعد ذلك تطلب من الكتاب والسُنّة ما يستدلّ به على الإعتماد على القول الذي تريد التعبّد به لتخرج عن التقليد إنْ أهَّلَكَ الله تعالى لذلك فتهدي إلى صواب الصواب إن شاء الله تعالى، وإنْ لم تَنَلْ ذلك لعدم الأهلية، تَسْلَم مِن وزر استنقاص أئمّة المسلمين، والإزدراء بهم.

وإذا علمتَ أنّ المجتهد قد يصيب وقد لا يصيب، فاعلم أنّ الخطأ قد يتعدّد ولا إصابة، كما وقع لعمر بن الخطاب وعمّار بن ياسر حين أصابتهما جنابة، فحضرت الصلاة وليس عندهما ماء، فتيمّم أحدهما بالتراب وصلّى، والآخر ما فعل شيئا. فلمّا حضر النبي صلّى الله عليه وسلّم علّمهما أنّ حكم التيمم للحدث الأكبر كحكمه في الأصغر. وقد تكون الإصابة ولا تتعدد كحكم إمامة عمرو بن العاص حين أَمَّ أصابَه في الصلاة، وقد احتلم في ليلة باردة وخاف على نفسه من الهلاك إذا اغتسل، وكانوا في السفر.

فلمّا رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلّى الله عليه وسلّم، وسأله النبي صلّى الله عليه وسلّم فذكر

علّته، ولم ينكر عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم. وقد يكون الخطأ ولا يتعدّى، كالذي أمر رجلا ببيع الخمر بعد قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "أمَا علِمتَ أنّ الله عزّ وجلّ حرّمها"، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ الذي حرّم شربها حرّم بيعها". ومن هنا امتنع بعض الأكابر من العلماء عن الجواب، واستتروا بجُنَّة العلماء " لا أدري "، وأكثروا منه.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: اللهم إنّي لا أحرّم عليهم شيئا أحللتَه لهم ولا أحلّل لهم شيئا حرمتَه عليهم. فكان الكتاب والسُنّة عمدة الصحابة في كلّ أمورهم ممّا دقّ أو جلّ، لا يخرجون عنهما قدر ذرّة. ثمّ خلفهم التابعون، وتابع التابعين في ذلك، فبذلوا فيه المُهَجَ، وركِبوا فيه اللُجَجَ، وقطعوا في تحصيله البيداء، وهاجروا فيه الأهل والولدان، وأكثروا في طلبه تكرار الأسفار، وعملوا له الافكار والأنظار، وزادوا على الصحابة بتدوينه في الصحائف بالأسطار، بعد جمعهم إياه في لطائف الأفكار.

فأوّل ما جمعوا علم الكتاب والسنّة، وأثبتوا الأصحّ فالأصحّ، والأقوى فالأقوى، ثم رأوْا أن يُدنوا لأهل عصرهم، ومَن يأتي بعدهم ممّن لا يساويهم، أقوال العلماء وآراءهم فروعا مجردة ومسندة مستنبطة من تلك الأصول تسهيلا للطلاب والحفاظ، وممّن قام بذلك الأئمّة الأربعة رضي الله تعالى عنهم متحرّين كلّ التحرّي للصواب، معتمدين على السنّة والكتاب، معترفين بالعجز في هذا الباب، غير واثقين بأنفسهم، ولا مشرّعين لغيرهم، لأنّ باب التشريع مسدود، وظنّ مدّعي الثقة به أو بغيره مردود.

فذهب كلّ واحد منهم إلى مذهب رأى أنه الحقّ والتحقيق، ونحا كلّ واحد منهم منحى ظَنَّ أنه هو الوجه والطريق، لأنّ المجتهد لا يقلّد غيره، فكان الكل والوجه واحد، فكان اختلافهم تحرّيا واجتهادا، لا امتراءً ولا عناداً، فالكلّ ربّاني سنيّ عدل مرضيّ، لا يستنكف أحد منهم أن يرجع إلى أخيه في الصواب، ولا يحابيه أيضا أنْ يتابعه على الظن والإرتياب، فلم يكن اختلافهم إلاّ لاختلاف فهمهم في تأويل الكتاب وتفسيره، واختلاف اطّلاعهم في تصحيح الحديث وتحريره، واختلاف نظرهم في تفريع الحكم وتقريره، ولا مطلب للكلّ إلاّ

استيضاح الصواب، وإصابة الحقّ، لأنّ كلّ واحد عمل بما ترجح عنده ليعامل به ربّه على بصيرة في الدنيا، ويحاجّ به عند ربه في العقبى، لأنّ السؤال والحساب من وراء هذا كلّه عن العلم والعمل، وعلى الوفاق والخلاف. وأمّا عِلْمُ تَسَاوِيهم في إصابة الصواب، أو أفضلية بعضهم على

بعض، ففي علم الله، ليس عندنا منه علمٌ ولا تحقيقٌ، وليس إلى تحقيق ذلك من طريق، بل الكلُّ عدلٌ رضيٌّ مأمورٌ، والكلّ عبدٌ مطيعٌ مجتهدٌ في مرضاة سيّده، ساعٍ في تخليص نفسه، غير مُدّعٍ لتشريعٍ جديدٍ، ولا داعٍ إلى مذهبٍ واجبٍ أكيدٍ، معاذ الله

أن يدعوا إلى ذلك لتبرّئهم كلّهم من ذلك كما سيأتي بيانه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.
وسيأتي فيه تبرّؤ الإمام مالك من ذلك لأنّ المهديّ أمره أن يجمع مذهبه في كتاب ليحمل الناس عليه، فقال له مالك:
أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تفرّقوا في البلاد، وأخذ كلّ ناحية عَمّنْ وصل إليهم، فَدَعِ الناس وما هم عليه. أهـ.
وإذا فهمتَ هذا فاعلم أنّ العلماء دوّنوا الأقوال المختلفة والمؤتلفة، والآراء الراجحة والمرجوحة، والروايات الشاذة، مع أنهم قد أُمِرُوا بالخروج من الخلاف إلى الوفاق، ومُنِعُوا العدول عن الراجح إلى المرجوح، ونُهُوا عن الأخذ بالشاذ لِمَا قدّمنا من اختلاف فهمهم في التأويل، واختلاف اطّلاعهم في التصحيح، واختلاف آرائهم في التفريع، فأثبتوا ذلك كلّه ودوّنوه لكلّ مَن يأتي ومَن ينظر إليه، وفيه كلّ ما أدّاه إليه اطّلاعهم من التصحيح والتضعيف والترجيح والتجريح والتشهير والتشديد، وفيه أقوال أهل السُنّة، وأقوال
المبتدعة، من غير أن يُسقِطوا مِن ذلك ساقطا، ويمنعوا ممّا هنالك لا قطا، مع كمال علمهم في ذلك، وعدم جهالتهم بما هنالك، لاحتمال أن يكون هناك أصحّ خبرا، أو يكون هنالك علمٌ وارد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يبلغ صاحب ذلك القول، أو يكون له ناسخ لم يعلم به، أو يكون المبلَّغ أو الأخير أفقه من المبلِّغ فينظر بنظره، ويفهم فهمه، فليس الأوّل أوْلى من الأخير لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "ليبلّغ الشاهد الغائب رُبّ مبلغ أوعى من سامع رُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه"، وسيأتي طرف من هذا المعنى في آخر الفصل

إن شاء الله تعالى. ولعدم ثقتهم أيضا بإصابة حقيقة الحق لانتفاء القطع واليقين في ذلك إلاّ بإخبار النبي المعصوم، فيدوّنون كل قول مختلف فيه أو متّفق عليه، فإذا جاء المتأخذر جعل قولَه بإزاء قول المتقدِّم غير جازم ببطلان قول المتقدّم، أو جازم به جزمَ ظنٍّ غير مسقط له من التدوين، ولا مَاحٍ لرسمِه مِن الديوان، لاحتمال أن يكون له وجه مّا، أو ثبوت مّا، وليتضّح أيضا للقارئ والمقرئ وجهه الصواب ووجهه الخطأ في ذلك، وقد يكون الأوّل جزءٌ مِن الصواب وفي

الأخير جزءٌ أو جميع الأجزاء صواب، وقد يكون قول هذا أيضا
ينحو إلى معنى غير ما نحا إليه هذا، ويكون مفارقا له من وجهٍ وخَفِيَ ذلك، أو يكون بينهما فرق من وجه ولا يظهر ذلك، وغير ما ذكر، لينظر كل ناظر لنفسه، ويجتهد كلّ مجتهد في شأنه، فإنّ الفهم في العلم مبذول بين أهله، والبحث فيه باقٍ إلى يوم القيامة، ما المتقدّم فيه بأحقّ من المتأخّر، بل غير عجيب أن يُدّخَر لبعض المتأخّرين ما عسر على كثير من المتقدّمين، فإذا جاء المسترشد المستفتي إلى ديوان الأحكام يريد حكمَ واقعتِه ونازلته، فإمّا أن يجدَها من المتفّق عليه فيحصل له المتبلّج واليقين فينصرف به، وإمّا أن
يجدَها من المختلَف فيه فيكون أحدُ رَجُلَيْن: رجلٌ غير عالم ولا فقيه أورجلٌ عالم فقيه. فأمّا الأوّل فلا بدّ أن يتحيّر لأنه يعلم، ويتحقّق أنّ حكم الله واحد، لا خِلاف عنده تعالى. فإن اختلف عند السامع فناسخ ومنسوخ، أو عامّ و مخصّص، أو مطلق ومقيّد، وغير ما ذكر. ويعلم أيضا أنّ المطلوب من العلم العمل، وأنّ العمل لا يعتبر إلاّ إذا صحّ لأنّه إنّما يراد للحساب وما يتبعه من الثواب والعقاب، لذلك كان المكلّف إنّما يطلب معرفة الحقّ والصواب الذي تكون به السعادة والنجاة لأنه مُخْلِصٌ، والمُخْلِصُ لا يَطلب مِن

العلوم والأعمال إلا ما يُخَلِّصُه مِن لوم مولاه ويوجب له رضاه، وقد وقف على اختلافٍ كثيرٍ فازداد حيرةً وهو إنّما يريد زوال الحيرةِ، فكيف يصنع؟ وأمّا الثاني فعنده ما عند الأوّل وزاد عليه أنّه صاحب رواية ودراية بالكتاب والسنة، وعنده مِن الفقه والفطنة ما يعرف به مآخذ الأقوال ومواضع الإستدلال، وقد وجد العلماء وقد دوّنوا له من روايتهم وآرائهم، مِن اتّفاقهم واختلافهم ما أدّى إليه جُمَلا من الخبر، وأعانه على كثير من النظر، فاستخرج من بين فرث الخلاف ودمه لَبَناً خالصا من فهمه، فانصرف مشروح الصدر بما
يشفيه، مهديّا إلى الحق من الخلاف فيه، معترفا بحسن صنيع الأعلام، مغترفا من فيض العلاّم، وإلى هذا أشار خير البريّة بقوله صلّى الله عليه وسلّم: "من يُرِد الله به خيرا يفقّهه في الدين"، وهذا معنى ما قيل: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يضعه الله في قلب من يشاء. فما أمَرَ الله تعالى ولا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلا بالعمل بكتابه وسُنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وما أمر العلماء إلاّ بذلك، ولا قصدوا إلاّ ذلك وإن خالف بعضهم في ذلك لاختلاف فهمهم واستنباطهم، وغير ما ذكر كما تقدّم.

ولن يقبل الله تعالى من أحد سوى ذلك، فمن كانا حجّة له نجا، ومن كانا حجة عليه هلك، وهُمْ رضي الله تعالى عنهم طلبوا العلم والحقّ في كلّ مكان، وجمعوه من كلّ موضع، ووضعوه لِمَن بعدهم مجموعا مسموعا محصورا منظورا ليجتهد كلّ لنفسه، لتكون العهدة في اتّباعه لا عليهم.

وإذا فهمتَ هذا فاعلم أنّ الناس ثلاث فِرَقٍ: الأولى فرقة أقبلتْ على دراسة أقوال العلماء الفقهاء، ومعرفة الخلافات من غير فقه ولا تفقّه، وأعرضت عن علم الكتاب والسُنّة بالكليّة كأنّها ما سمعتْ قولَ مالك رضي الله تعالى عنه للّذيْنِ يخاطبهما: إنْ

أحببتما أن ينفعكما الله تعالى بهذا الشأن فأقللا منه وتفقّها فيه، حتّى أنهم لا يطلبون من القرآن إلاّ رسمه، ولا من الحديث إلاّ اسمه، بل ينكرون كلّ الإنكار على من يروم منهما سوى ذلك وينسبونه إلى الإبتداع، ويرون غاية العلم والعمل ما هم فيه وعليه. والثانية فرقة أعرضت عن كلّ ما دَوَّنَ العلماءُ في كتبهم وأنكروه بالكليّة، وعدّوه بدعة سيّئة، وقالوا يرجع الأمر إلى ما كان في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم، لا يفتى إلاّ بالكتاب مع أنّه لا علم لهم بالكتاب، ولا مدخل لهم على علمه إلاّ بما أرادوا إبطاله

ويسدّوا بابه جملة. فهذه والتي قبلها عوراء عمياء، وكلتا الفرقتين إنما تريد التخفيف عن نفسها، واتّباع باطل ظنّها وحدسها، والذي حملها على ذلك كراهة الحقّ. قال تعالى: بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنّ. (**10**) والثالثة التي معها الحقّ فرقةٌ تمسّكتْ بالكتاب والسُنّة، وأقبلتْ على ديوان الملّة، فحقّقوا ما في الديوان بنور السُنّة والقرآن، وفسّروا ما في الكتاب والسُنّة بذلك الديوان، وحصل لهم علم اليقين ولم يحصل غيرهم إلاّ على التخمين، إذ علم االفقه بدون السُنّة والكتاب ظلمة لا يُهْتَدَى فيها لقصد الصواب، كما أنّ ما دونه كنز لا ينفتح عنه غلق الباب، فكلّ راغِبٍ عنه عَارٍ من التوفيق، وكلّ مُعرِضٍ عنهما ضلّ عن التحقيق، وصاحب النور والتحقيق لا ينحجب عنه مع كتاب الله تعالى صواب، ولا يغلق عنه مع العلماء

بالله تعالى باب، ينظر بنور الكتاب إلى الأقوال، فيفرّق جسم الصحّة من جسم الإعلال، بعدما صار إلى باب الكتاب بمفتاح أقوال أولي الألباب، فيدخل إلى ما وراء الباب، وينظر إلى ما خلف الباب من عجائب أمر العجائب، وغرائب لُبَابِ الألباب، فيأخذ ما يكفيه، وينشد بملء فيه:

لِيلِي بوجهكَ مشرقٌ ... وظلامه في الناس سارِ
فالناس في صدف الظلا ... م ونحن في ضوء النهارِ

والحاصل أنّ من فاته أحد العالميْن فاته الثاني أو معظمه، ومن لم يحقّق علوم الفقه بالكتاب والسُنّة لا يحصل له تحقيقها أبدا، فعاش سكران حيران، ومات حيران سكران، وإلي هذا المعنى أشرنا بقولنا:

إنّ الهُدى في الذكر والسُنّة قطْ ... وما اهتدى المُعْرِض عن هذيْن قط
ما دوّنَ الأئمةُ الأعلامُ ... تفسير هذيْن به يُرامُ
ومنهما تحقيق ذا يرام ... ومن خلا عن واحد يُلامُ
وجَامِعُ الكلّ هو الإمام ... في أيّ عصرٍ كان والسلام

وإذا فهمتَ ما قدّمنا وحقّقتَه علمتَ أنه لا يبلغ العبدُ حقيقة العلم النافع، والعمل الصحيح المعتبر الكامل الذي لا خلل فيه، ما دام متجمّدا على التقليد المحض، والتعصّب لأقوالٍ لا يعلم لها دليل لا في الكتاب ولا في السُنّة لأنّه لا يستحقّ بذلك في الغالب إلاّ الذمّ واللوْم والهلاك عاجلا أو آجلا، ولا يغترّ بأنّ عنده من الحفظ لأقوال العلماء ما يصيب به فصوص الصواب، فإنّها دعوى يجدها متى احتاج إليها باطلة، فإنّ الحفظ بلا فقه في كلّ شيء في هذا الباب كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "رُبّ حامل فقه
غير فقيه"، وكما قال تعالى: كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا (11)، لأنك إذا أرسلت رسولا بعقلك وكلامك ولم يك ذا عقل ولا كلام فإنّه إذا بَلَغَ موضع الحاجة، وعرَضَ له أدنى مخالف، ذهب عنه عقلك ولم يك معه عقله، بخلاف الرسول العاقل، فإنّه يزيد عقلُه بعقلك، ويتمّ عقلك من عقله، وأنّ مَن سار في فلاةٍ على النعت والوصف مِن غير معرفةٍ سابقةٍ ولا دليلٍ عارفٍ، فإنّ نجاته من النادر، وهلاكه من المحكوم به، وهو على الحالَيْن مذموم ملوم مغرور مفرّط. وقال عبد الوهاب الشعراني في الرسالة المباركة:

ولم يوجب الله تعالى على أحد إلْتزامَ مذهبٍ من مذاهب المجتهدين بخصوصه لِعدمِ عصمته، ومِن أين جاءنا الوجوب والأئمّة كلّهم تبرّؤوا من الأمر باتّباعهم، وقالوا إذا بلغكم حديث فاعملوا به واضربوا بكلامنا الحائط رضي الله تعالى عنهم أجمعين؟
وقال قبله بقليل: ولم يَبلغْنا أنّ أحدا من علماء السلف أمَرَ أحدا أن يتقيّد بمذهب معيّن، ولو

وقع ذلك لوقعوا في الإثم لتفويتهم العمل بكلّ حديث لم يأخذ به ذلك المجتهد الذي أمر الخلق باتّباعه وحْده، والشريعة حقيقة إنّما هي مجموع ما بَيْنَ المجتهدين لا ما بِيَدِ مجتهدٍ واحدٍ. فجميع علماء الشريعة في تلك الشريعة يَسْبَحُون رضي الله تعالى عليهم أجمعين لأنّ جميع أقوالهم لا تخرج عن مرتبتيْن لأنها إمّا مائلة إلى الآخذ بعزائم الأمور وإمّا مائلة إلى الآخذ بالرخص، ولكلّ من المرتبتيْن رجال، فمَنْ أمَرَ أصحاب مرتبة بفعل مرتبة أخرى مِن صعود أو نزول فقد أخطأ، وما ندب بعض العلماء لعدم تتبع الرخص إلاّ في حقّ أهل الرخصة من الأقوياء المتساهلين في دينهم أهـ.

وقال القرافي:

إنعقدَ الإجماع على أنّ مَن أسلم فله أنْ يقلّد مَن شاء من العلماء بلا حجْر، وأجمع الصحابة على أن من استفتى أبا بكر وعمر وقلّدهما فله أنْ يستفتي أبا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما من غير نكير، فمن ادّعى رفع هذين الإجماعين فعليه الدليل أهـ.

وقال ابن عرفة:

قولُ ابن حزم " أجمعوا على أنّ متبّع الرخص فاسق " مردودٌ بما أفتى به الشيخ المتّفق على علمه وصلاحه عزّ الدين بن عبد السلام أنّه لا يتعيّن على العامل إذا قلّد إماما في مسألة أنْ يقلّده في سائر مسائل الخلاف لأنّ الناس مِن لَدُنِ الصحابة إلى أن ظهرت المذاهب يسألون فيما سنح لهم العلماء المختلفين من غير نكير من أحد سواء اتّبع الرخص في ذلك أو العزائم لأنّ المصيب واحد لا بعينه، ومَن قال كلّ مجتهد مصيب فلا إنكار على مَن قلّد في الصواب أهـ.

قلتُ: وهذا معنى قول الشيخ أبي مُحَمَّد رضي الله تعالى عنه في الرسالة:

وإذا اختلفوا في الفروع والحوادث لم يخرج عن جماعتهم. إنتهى

يعني أن الخروج عن جميع مذاهب المجتهدين هو المنهيّ عنه، وأمّا الخروج عن مذهب بعضهم فلا بأس به سواء في ذلك مذهب إمامه أو غيره لقوله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ إلى قوله تعالى: وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. (12).

وجميع مذاهب مجتهدي هذه الأمّة هو سبيل المؤمنين لا مذهب واحد منهم، ومعاذ الله أن يقول واحد من المؤمنين أو يعتقد أن مذهب إمامه وحده هو سبيل المؤمنين وما سواه فليس من

سبيلهم، وصاحب هذا الإعتقاد جاهل أو كافر لأنّ جميع مذاهب الأئمّة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم طرق موصلة إلى الله تعالى، فجنونه من أعلى طبقات الجنون. قال ابن جزي في خطبة كتابه:

أما بعد فهذا كتاب في قوانين الأحكام الشرعية، ومسائل الفروع الفقهية، على مذهب إمام المدينة مالك بن أنس، إلى أن قال: ثمّ زدنا إلى ذلك التنبيه كثيرا من الإتفاق والإختلاف الذي بين الإمام المُسمّى وبين الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، والإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، والإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، لتكمل بذلك الفائدة ويعظم الإنتفاع.

قلتُ: ولا يصحّ لابن جزي قوله إنّه إنّما ذكر في كتابه مذاهب هؤلاء الأئمّة لتكمل بذلك الفائدة ويعظم النفع إلاّ إذا كان للواقف على كلامهم أن يعمل به ويقتدي بهم، ويؤيّد ما قلنا أنه قال عَقِبَ كلامه:

فإنّ هؤلاء الأئمّة الأربعة هم قدوة المسلمين في أقطار الأرض، وأولوا الأتْباع والأشياع.

وقال: ربّما نبّهتُ عل مذهب غيرهم من أئمّة المسلمين كسفيان الثوري، والحسن البصري، وعبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وأبي ثور، والنخعي، وداود بن علي إمام الظاهرية، وقد أكثرنا من نقل مذهبه، والليث بن سعد، وسعيد بن المسيّب، والأوزاعي، وغيرهم ﷺ أجمعين، فإنّ كلّ واحد من هؤلاء مجتهد في دين الله، ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله تعالى أهـ كلام ابن جزي رحمه الله تعالى

فشدّ يدك عليه فإنه نفيس.

وقال أبو عمر في تمهيده:

ألا ترى أنّ الصحابة اختلفوا وَهُمُ الإسوة فلم يَعِبْ أحدٌ منهم على صاحبه، ولا وجد عليه في نفسه، ونقل بسنده إلى الثوري: إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهَهُ. وقد أمر المهدي مالكا بجمع مذهبه في كتاب يحمل الناس عليه، فقال له مالك: أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تفرّقوا، وأخذ أهلُ كلّ ناحية عمّن وصل إليهم فدَعِ الناس وما هم عليه أهـ.

وفي التنبيه، شرح ابن عبّاد على الحكم العطائية، عند قول ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه: " العلم إن قارنَتْه الخشية فَلَكَ وإلاّ فعليك ":

ولقد ذكر الشيخ الحافظ أبوعمر بن عبد البرّ رحمه الله تعالى بإسناد له إلى عبد الله بن مسلمة القعني رحمه الله تعالى قال: دخلت على مالك فوجدته باكيا، فسلّمت فردّ عليّ ثمّ سكت عنّي يبكي، فقلت له: يا أبا عبد الله ما الذي أبكاك؟ فقال: يا ابن القعني أنا لله على كلّ ما فرط منّي، ليتني جُلِدتُ على كلّ كلمة تكلّمت بها في هذا الأمر بسوط ولم يكن فرطَ منّي ما فرط من هذا

الرأي وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت إليه أهـ.

فقلتُ: تأمّلْ يا أخي هذا الكلام راشداً، هل هذا الإمام الجليل ﷺ يتعصّب لمذهب، أو يذمّ الناس إنْ لم يتّبعوا مذهبه أو بعضا منه، ويضلّلهم كما عليه بعض الجهّال المتهوّرين مِن أهل العصر؟ وكيف يصدر منه رضي الله تعالى عنه وهو رضي الله تعالى عنه قد تبرّأ منه كما أشار إليه الشيخ عليّ الصعيدي العدويّ في حاشيته على شرح العلاّمة الخرشي عند قول المؤلّف رضي الله تعالى عنه " فحَكَمَ بقول مقلّده ":

أنّ معن بن عيسى قال: سمعتُ مالكاً يقول: إنّما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي، فإن وافق الكتاب والسُنّة فخذوه وما لم يوافقهما فاتركوه أهـ.

قلتُ: ولذلك قال العلاّمة الدسوقي في حاشيته على شرح الشيخ أحمد الدردير عند هذا المحلّ، أعني عند قول المصنّف: " فحكم بقول مقلّده ":

والقول بأنه يلزمه الحكم بقول إمامه ليس متفقا عليه حتى قيل ليس مقلّده رسول أرسل إليه، بل حكوا خلافا إذا اشترط السلطان عليه أنه لا يحكم إلاّ بمذهب إمامه، فقيل لا يلزمه الشرط، وقيل بل ذلك يفسد التولية، وقيل بِمُضِيّ الشرط لِمصلحة.

أنظر الحطاب أهـ.

وهذا صريح في عدم وجوب اتّباع المجتهد بخصوصه دون غيره من المجتهدين.

ومثله في ضوء الشموع على المجموع، وفي شرح كمال الدين مُحَمَّد بن عيسى الدميري على لامية العجم للشيخ صلاح الدين الصفدي عند قوله أصالة الرأي:

روى نوح الجامع أنه سمع أبا حنيفة يقول: ما جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فَعَلَى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان غير ذلك فَهُمْ رجالٌ ونحن رجالٌ. إلى أن قال: وقال الشافعيّ: ما رأيتُ كأهل مصر اتّخذوا الجهل علما لأنّهم سألوا مالكا عن مسائل

وقال لا أعلمها.
فَهُمْ لا يقبلونها ممّن يعلمها لأن مالكا قال لا أعلمها.

يقول: ليس لي من البصيرة، ولا عندي من الفقه ما أخرج به من التقليد وأدخل به في الإجتهاد، إنّما عندي أن أقْبَلَ مِن كلّ قائل، وأسمع من كلّ مصيب وفاعل، فيقال لهذا إن كان صادقا: أَلَيْسَ عندك من البصيرة والفطنة ما تخرج به من الخلاف بالإحتياط والورع تركاً لِمَا لا بأس به، خوفاً من الوقوع فيما به بأس، وطريق ذلك سهل واضح، فإن لله تعالى سرا في كل إنسان لذلك لا سيما مع الإيمان لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.
قال تعالى: وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ (13)، تقوى تلك الهداية في ذلك القلب وتضعف فيه بحسب قوّة الإيمان وضعفه فيه. هذا لمّا سلّمنا لك دعواك في نفي صلاحيتك للنظر والإجتهاد رأسا فضلا عنهما من الكتاب والسُنّة، مع أنّ دعواك لنفسك ذلك لا تُقْبَلُ لأنّك تجرّ بذلك إلى نفسك راحة إسقاط التكليف، ورفع المشقّة عنك فيه تعالى، وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين الآية.
وإنّي أخاف عليك أن يكون دَبّ إليك داء الأمم، ونَحَوْتَ إلى ما نحَا إليه أهل الزمان من دعواهم أنّ الإجتهاد قد رفع، وأنّ وجود أهله قد انقرض، من غير برهان من الله تعالى على ذلك، ولا دليل من كتاب ولا سُنّة، وهو فيهم منه ما يكون عليهم حُجّة يوم تُبلى السرائر وتستخرج الضمائر، وإنّما نَفَوْهُ عن أنفسهم ليتمكّنوا من أغراضهم الفاسدة بأن يقول أحدهم وجدتُ قولا لهذا، ويقول لخليله وجدتُ لك قولا تصل به إلى غرضك، وتجده يتأوّل بذلك القول الضعيف أو الشاذ تأويلات، ويوجّهه مع ضعفه إلى توجيهات ربما ليست منه وليس

منها ليقضي حاجته في نفسه من غير استحياء من الله، لا حذرا من عقابه ولا ذكرى لحسابه.
وإنّما نَفَوْهُ عن غيرهم وإن كانوا كاذبين بعد نفيه عنهم، وإن كانوا غير صادقين، لِيَخْلُوَ لهم الجوّ، ولئلاّ يتعرّض لهم من ذلك مُتَعرِّض ليسدّوا ذلك الباب من أبواب الله تعالى لئلاّ تُقْبَل لِمُحِقٍّ حجّة على حقّ، ولِيَخْلُو الجوّ لأشباههم ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمٌّ نوره، ورافع سوره.
ومِن عناية الله تعالى بعلمه ودينه أنّه لا تخلو الأرض من قائم لله بالحجّة أبدا من لدن زمن آدم عليه السلام إلى أن يقبض العلم مع رفع القرآن بين يدي الساعة، وليس ذلك بمقصور على ذلك الواحد وإن كان أقوى من غيره في ذلك مع وجوده في غيره وفي ذلك أقول:

أحسبتم أن الإله يضيع دي ... ن الحقّ يا علماء السوء والهوى
بل لا يزال يقيم ناصر دي ... نه في كلّ عصر مخزياً أهل الهوى
فيردّ كلّ غواية وجهالة ... وضلالة منكم وممّن قد غوى
بالله والذكر الحكيم وسُنّة الـ ... ـمختار يُخْزِ جمعكم مهما نوى
وبما أمدّ من البصيرة والـ ... ـحكم يُبدي العجائب والغرائب إن روى
وبفكرة قدسية وبصيرة ... يبدي علوم العارفين إذا نوى
فيذبّ عن أهل الإله ودينه ... تحريف قوم مبطلين بما حوى

وفي الحديث: "يحمل هذا العلم من كلّ خلَف عدوله ينفون عنه تحريف الضالّين وانتحال المبطلين". فلِوُجُود أمثال هذا ذكر المصنفون جميع الأقوال الصادرة عن العلماء، وجمعوها في دواوينهم، ليجتهد كلّ مجتهدٍ، وينظر كلّ ناظر لنفسه ليعامل ربّه على بصيرة ويقين، لا على تقليد وتخمين، فإنّ الله لا يُعْبَدُ بالشكّ.

وفي الرسالة المباركة للشعراني:

وكان الإمام أبو حنيفة ﷺ يقول: لا ينبغي لمن لا يعلم دليلي أن يفتي بكلامي. وكان إذا أفتى أحدا بفتوى يقول هذا رأي أبي حنيفة وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمَن جاء بأحسن منه فهو أوْلى بالصواب.

وكان مالك وربيعة رضي الله تعالى عنهما يقولان: لَسْنَا من أهل العصمة في كلّ ما نقول.

وكان الشافعي ﷺ يقول: إذا سمعتم مِنّي قولا يخالف قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاعملوا بكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واضربوا بكلامي هذا الحائط.

وأمّا الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه فأمْرُهُ في اتّباع السُنّة مشهور حتّى أنّه لمْ ينسب لنفسه كلاما قطّ إلاّ بعض مسائل في الصلاة، وكان يقول: أوَلأحد كلامٌ مع كتاب الله تعالى وسُنّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم؟

قلتُ: وكان يقول ﷺ: إن نظنّ إلاّ ظنّا وما نحن بمستيقنين، فمن أتانا بيقين تركنا له ظنّنا. وكان يقول: إذا رأيتم في بلد صاحب حديث لا يدري صحيحه من سقيمه وهناك صاحب رأيٍ، فاسألوا عن صاحب الحديث ولا تسألوا عن صاحب الرأي. وكان يقول: لا يكاد أحد ينظر في كتاب الرأي إلاّ وفي قلبه دغل.

وكان يقول: لا تقلّدوا في دينكم فإنّه قبيح على من أُعْطِي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلام، ولعلّه يشير إلى العقل الذي جعله الله آلة يميّز به بين الأمور، ويستبصر به في دينه.
وكان يقول: لا تقلّدوني ولا تقلّدوا مالكا ولا الأوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم، وخذوا الأحكام من حيث أخذوا.
وقال الشعراني: قلتُ وهذا محمول على من كان فيه قوّة النظر وإلاّ فقد صرّح العلماء بأنّ التقليد أوْلى لضعيف النظر. أنظر العهود المحمدية.
وكان الإمام مالك رضي الله تعالى عنه يقول: كلّ كلام فيه مقبول ومردود إلاّ كلام صاحب هذا القبر.

وكان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: إذا صحّ الحديث فهو مذهبي، وكان يقول: إذا ثبت عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ـ بأبي وأمّي ـ شيء لم يحلّ لنا تركه، ولا حجّة لأحد معه، وفي رواية: لا حجّة لأحد مع قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإن كثروا، ولا في قياس ولا في شيء آخر، فإنّ الله تعالى لم يجعل لأحد معه كلاما، وجعل كلامه يقطع كلّ قول و.
قال للمزني، حين قلّده في مسألة: لا تقلّدني يا أبا إبراهيم في كلّ ما أقول، وانظر لنفسك فإنّه دين.
ثمّ قال الشعراني رضي الله تعالى عنه: فقد تبرّأ هؤلاء الأئمّة كما ترى من كلّ ما أضافه إليهم مقلّدوهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين ممّا لم يكن بناؤهم على العمل به محقّقا.
وقال قبل هذا الكلام: ومنها ـ يعني ومن آداب طالب العلم ـ أن يتورّع في عَزْوِهِ الأقوال فلا يعزو إلى مجتهد قولا ولا مذهبا إلاّ إن قاله ولم يرجع عنه إلى أن مات، فجميع ما جاء عن الشارع صلّى الله عليه وسلّم لا يسمّى مذهبا لأحد بل هو شريعة
يجب العمل بها على كلّ من تَدَيّنَ بدين الإسلام، وكذلك ما فهمه أصحاب المجتهد من كلامه لا يسمّى مذهبا له. وقد كَثُرَ تساهل الناس في ذلك حتّى عزوا مفاهيم كلام المؤلفين والشارحين إلى مذهب ذلك المجتهد الذي قلّدوه، وانحلّ الأمر إلى تقليد بعضهم بعضا حتى صار كلّ كتاب نحو عشرين مجلّدا لا يجيء كلام المجتهد ـ إذا جُمِعَ ـ مجلّدا واحد منه.
ثمّ قال: ومنها ـ يعني ومن الآداب ـ أمرٌ أغفله الفقهاء حتّى طال عليهم زمن تفقّههم، واستغرق أعمارهم، وهو اشتغالهم بفهْمِ تراكيب كلام بعضهم، ومنطوقه، ومفهومه، حتّى تجاوزوا عن

الشريعة المعصومة، ومِن فَهْمِ أسرارِها المطهّرة، ولو تركوا جميع كلام غير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم يعملوا بشيء منه فلا حرج عليهم في الدنيا والآخرة.

وجميع أقوال العلماء لا تخلو عن ثلاثة أحوال، إمّا أن توافق صريح السُنّة الواردة، فالسُنّة المسنّة والمجتهد كالحاكي لها، وإمّا أن تخالف صريح السُنّة فتترك ويعمل بالسُنّة، وإمّا أن لا تظهر موافقتها ولا مخالفتها، فأحسن أحوالها الوقف، فعلها وتركها سواء، إلاّ أن تكون مائلة إلى الإحتياط في الدين فالعمل بها أرجح ولو لم تصرّح الشريعة بذلك. وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يقول: "ما تركت شيئا يقرّبكم إلى الله تعالى إلاّ وقد أمرتكم به ولا شيئا يبعدكم عن الله تعالى إلاّ وقد نهيتكم عنه".

فمن زعم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ترك التصريح بشيء أمر الله به أو نهى عنه فقد مرق من الدين. وفي الصحيح أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لحذيفة رضي الله تعالى عنه: "إنّ النبوّة والرسالة قد انقطعتا فلا نبيّ بعدي ولا رسول". فانقطعت زيادة التكاليف الإلهية بموت الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وتبيّن الفرض والواجب وغيرهما، وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يتبرأ من مرتبة التحليل والتحريم إلاّ بأمرٍ من الله عزّ وجلّ، ويقول: "الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حرّم الله" وبعد نزول قوله تعالى: مَنْ

يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله (14)، كلّ ذلك أدب منه صلّى الله عليه وسلّم مع ربّه عزّ وجلّ، وكذلك أدَبُنَا معه صلّى الله عليه وسلّم لا نزيد على ما حدّه لنا شيئا واحدا، فافْهَمْ ووسِّعْ على الأمّة كما وسّع عليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، واعتقد أنّ الإنسان لو تقيّد مع الوارد صريحا في الشريعة، وترك العمل بجميع ما ولده العلماء فلا حرج عليه ولا لوم، إلاّ إذا أجمعت الأمّة عليه فإنّه حينئذ يَحْرُمُ خرقه.

ويقال في الآخرة لمن ولد في أحكام الشريعة ما ليس منها: لِمَ زِدْتَ في أحكام شريعة نبيّك ما لم ينزّل به من سلطان؟ هل أنت أعلم بمصالح الأمّة منه صلّى الله عليه وسلّم؟ أم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يبلّغ كلّ ما أُمِر بتبليغه؟ أم لم يؤمر به؟ فإنْ قال بالأوّليْن كفر، فما بقيَ إلاّ الثالث، وهو أنّه لم يؤمر به صلّى الله عليه وسلّم، فيقال: شيء لم يؤمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وترَكَ الأمرَ به رحمةً لأمّته، فَلِأَيّ شيء زدتَه وأمرتَ به؟ فلا يزال في التوبيخ حتّى يودّ أنّه لم يكن ولد في

الشريعة حكما أهـ. ومِن هنا بكى مالك إمام دار الهجرة المتقدم ذكره رضي الله تعالى عنه.
ثمّ قال الشعراني رضي الله تعالى عنه: فلا تفرقة عندنا بين أئمّة المسلمين، كما لا تفرقة عندنا بين الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مع الإيمان، فمن فرّق بين الأئمّة فقد خان الله ورسوله، وفتح بابا من الظلم لهذه الأمّة، وقد ذكر العلماء في كتب العقائد أنّه يجب على كلّ إنسان أن يعتقد أنّ سائر أئمّة المسلمين على هدى من ربّهم، فان لم يكن ذلك كشفا فإيمانا، ومن نزل عن الإيمان قد خسر مع الخاسرين.
قلتُ: والأمر، كما قال
في جمع الجوامع عاطفا على ما يجب اعتقاده: وأنّ الشافعيّ، ومالكا، وأبا حنيفة، والسفيانيْن، وأحمد، والأوزاعي، وإسحاق، وداود، وسائر أئمّة المسلمين على هدى من ربّهم.

وفي الكوكب الساطع للسيوطي:
والشافعي ومالك والحنظل ... إسحاق والنعمان وابن حنبل
وابن عيينة مع الثوري ... وابن جرير مع الأوزاعي
والظاهري وسائر الأئمّة ... على هدى من ربهم ورحمة
وقال السيوطي في شرحه: أيّ نعتقدُ أنّ هؤلاء الأئمّة وسائر أئمّة المسلمين على هدى من ربّهم في العقائد وغيرها أهـ.

قال مُحَمَّد بن عمر الغدامسي في كتاب العقائد له: قال السيف الآمدي رحمه الله تعالى: وكان المسلمون عند موت النبي صلّى الله عليه وسلّم على عقيدة واحدة، لم يقع بينهم اختلاف إلاّ في مسائل اجتهادية لا توجب تكفيرا، ولم يقع بينهم اختلاف في المسائل الإعتقادية إلى أنْ ظهَر نُفَاةُ القدر، وهو أوّل الخلاف الناشئ في الإعتقاديات، ولم يزل الخلاف في الإعتقاديات يتشعّب إلى أنْ بلغ اختلاف أهل الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة كما أخبر بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومراد النبي صلّى الله عليه وسلّم بافتراقهم إلى
ثلاث وسبعين فرقة إنّما هو الإختلاف في العقائد الدينية، والأصول القطعية ممّا يكون المصيب فيها واحدا إجماعا، لا الإختلاف في الإجتهاد في الفروع الظنّية ممّا يكون كلّ مجتهد فيها مصيبا، كمالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، ونَحْوِهِمْ منَ الأئمّة المجتهدين، فكلّهم على عقيدة

واحدة في أصول الدين، وكلّهم على ما عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم، ومذاهبهم كلّهم ترجع إلى فرقة واحدة وهي الناجية التي على ما عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، جعلني الله وإيّاكم من أهلها دنيا وأخرى أهـ.

وفي إضاءة الدجنة:

ومالك وأهل الإجتهاد ... كلّ إلى نهج الصواب هاد

كالشافعيّ وأبي حنيفة ... وأحمد ذي الرتب المنيفة

وكلهم على هدى من ربهم إلخ البيت.

وفي جوهرة التوحيد:

ومالك وسائر الأئمّة ... كذا أبو القاسم هداة الأمّة

فواجب تقليد حَبْرٍ منهم ... كذا حكى القوم بلفظٍ يُفْهَم

وفي شرحه إتحاف المريد: ومالك بن أنس وسائر، أيّ باقي الأئمّة المعهودين، يعني أئمّة المسلمين، كأبي عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت، وأبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

والأوْلى جعل ال للكمال ليدخل الثوري، وابن عيينة، والأوزاعي، خصوصا إمامَا أهل السُنّة، أبا حسن الأشعري، وأبا منصور الماتريدي، أيّ مثل مَن ذكر في الهداية واستقامة الطريق، أبو القاسم بن مُحَمَّد الجُنَيْد. فيجب أن يعتقد أنّ مالكا ومن ذكر معه هُدَاة الأمّة التي هي خير الأمم وهُمْ خيارها. وبعدما ذكر من الصحابة ومن معهم، فواجب عند الجمهور على كلّ من لم يكن فيه أهلية الإجتهاد المطلق تقليد، أيّ الأخذ بمذهب حَبْرٍ منهم في الأحكام الفرعية يخرج من عهدة التكليف بتقليد أيّهم شاء.

وقد انعقد الإجماع على أنّ من قلّد في الفروع ومسائل الإجتهاد واحدا من هؤلاء الأئمّة بعد تحقّق ظبط مذهبه بتوفّر الشروط، وانتفاء الموانع، برِئ مِن عهدة التكليف في ما قلّد فيه أهـ مُلَخّصاً. فلنَعُدْ إلى كلام الشيخ الشعراني فنقول قال:

وهذا الأمر ـ يعني اعتقاد أنّ سائر أئمّة المسلمين على هدى من ربّهم، وأنّ فِرَقَ جميع مذاهبهم ترجع إلى فرقة واحدة، وهي الناجية التي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ـ من أعسر الأمور

على من تقيّد بمذهب معيّن كما هو مُشاهَد، وربما لو حبس أحد المقلّدين بمذهب وضرب لا يخرج عن ذلك المذهب إلى غيره كأنّهما في ملّتيْن مختلفتيْن، وكلّ هذا من كثرة الجهل، بل سمعتُ بعضهم يقول، من الحنيفة: فإنْ قال الخصم كذا قلنا كذا، نعوذ بالله من الضلال، فإنّ غالب المقلّدين قد عمّهم ذلك، وتَراهم يقولون سائر أئمّة المسلمين على هدى من ربّهم بألسنتهم فقط وتنفر نفوسهم من العمل بأقوالهم، وإذا اضطرّ إلى العمل بقول غير إمامه يقول: يقلّد فلانا للضرورة من باب: الضرورات تبيح المحضورات، كأنّه وقع في معصية، بل فعله هذا هو المعصية الكبرى، فيجب عليه التوبة والإستغفار من ذلك.

فإنّهم لو كانوا يعتقدون أن الأئمّة على هدى ما نفرت نفوسهم من العمل بأقوالهم لأنّ الهدى لا تنفر منه نفس مشاهدة أنّه هدى، فتأمّلْ أهـ.

وقال في ميزان الشريعة: وسمعتُ سيّدي عَلِيًّا الخواص رضي الله تعالى يقول: إنّما أبدى أئمّة المذاهب مذاهبهم بالمشي على قواعد الحقيقة مع الشريعة كان إعلاما لأتْبَاعِهم بأنّهم كانوا علماء بالطريقتين.

وكان يقول: لا يصحّ خروج قول من أقوال الأئمّة المجتهدين عن الشريعة أبدا عند أهل الكشف قاطبة، وكيف يصحّ خروجهم عن الشريعة مع اطّلاعهم على مواد أقوالهم من الكتاب والسُنّة، ومع الكشف الصحيح، ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسؤالهم إيّاه على كلّ شيء يتوقف فيه من الأدلّة: هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا؟ يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين أهل الكشف.

وكذلك كانوا يسألونه صلّى الله عليه وسلّم عن كلّ شيء فَهِمُوهُ من الكتاب والسُنّة قبل أن يدوّنوه في كتبهم ويدينوا لله تعالى به ويقولون: يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا، وفهمنا كذا من حديث كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا، فهل ترتضيه أم لا؟ ويعملون بمقتضى قوله وإشارته. ومَن توقّف فيما ذكرناه مِن كشف الأئمّة ومِن اجتماعهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم قلتُ له: هذا من جملة كرامات الأولياء بيقين، وإن لم يكن الأئمّة المجتهدون أولياء فما على وجه الأرض وليّ أبداً.

وقد اشتهر عن كثير من الأولياء الذين هُمْ دون الأئمّة المجتهدين في المقام بيقين أنّهم كانوا يجتمعون برسول الله صلّى الله عليه وسلّم كثيرا، ويُصَدِّقهم أهل عصرهم على ذلك أهـ.

قلتُ: ومن عَلِمَ هذا عِلْمَ يقين، فكيف يفرّق بين الأئمّة االمجتهدين، ويضلّل مَن قلّد بعضهم؟ ما ذلك والله إلاّ الجهل الصراح، وعلامة الطرد والإبعاد، نسأل الله تعالى السلامة والعافية في الدين والدنيا والبرزخ والآخرة، والله تعالى وليّ التوفيق بِمَنّه.

وقال في العهود المحمدية:

فقفْ يا أخي عن العمل بكلّ شيء لم تصرّح الشريعة بحكمه، ولم تُجمع الأئمّة عليه، ولا تتعدّ فإنّ الله لا يؤاخذك إلاّ بما صرّحت به الشريعة، كما أنه لا يؤاخذ الصحابة إلاّ بما صرّح به القرآن والسُنّة، وقدّر يا أخي نفسك أنّك في زمن الصحابة وقبل وجود جميع المذاهب، هل كان الحقّ تعالى يؤاخذك إلاّ بمخالفة ما صرّحتْ به الشريعة؟ وكذلك القول الآن أهـ.

قلتُ: وإيّاك أن تفهم ممّا تقدّم أنّي أمنع من التمذهب بالمذاهب، ومَن فَهِمَ ذلك من كلامنا هذا فقد نادى بالجهل وقِلّة الفهم على رؤوس الأشهاد، بل إنّما منعْنا ادعاء وجوب اتّباع بعضها دون بعض من التعصّب بها المجمع على حرمته، ومِن الإنكار على مَن سوّى بين مذاهب الأئمة مع أنّ التسوية بينها باعتقاد أنّها كلّها على هدى وصواب واجب على كلّ مؤمن ومؤمنة، ومِن الإنكار على من يعمل بجميع الشريعة المحمدية التي دوّن فيها مذاهب الأئمة الأربعة لعلمه أن مِن الأحاديث الصحيحة ما لم يبلغ كلّ واحد من الأئمّة، ولو بلغه
لقال به وإن الله أمر به، ثم جمعت بعده، وإنّ الأئمّة عند المخطئة يصيبون ويخطئون، وأنّ المصيب في كل نازة واحد، وأنّه غير معيّن، بل يصيب في واقعة واحدة وفي أخرى غيره. وأمّا عند المصوّبة فكلّهم مصيبون. وأيّ فائدة بقيتْ للتعصّب والإنكار؟ فقد ذكر الشيخ الشعراني في العهود المحمدية:

أنّ سيّدي عليّا الخواص رضي الله تعالى عنه قال: وكلّ من لم يبلغ مرتبة التبحّر في علوم الشريعة، ومعرفة أدلّة المذاهب فمِنْ لاَزِمِهِ الوقوعُ في التديّن بالآراء التي لا يكاد يشهد بها كتاب ولا سُنّة.

فتبحّرْ يا أخي في علوم الشريعة وكتب شرّاحها، واحفظ مقالاتهم حتّى تكون عارفا في جميع المذاهب لأنّها بعينها هي مجموع الشريعة المطهّرة. وربّما تديّنَ مقلّدٌ في مذهبٍ بقول إمامه من طريق الرأي فصحّتِ الأحاديثُ في آخر بضِدِّ ذلك الرأي، ووقف مع مذهبه ففاتَهُ العمل بالأحاديث الصحيحة فأخطأ طريق السُنّة.

وقال: وقولُ بعضِ المقلّدين " لولا أنْ رأى إمامي دليلا ما قال به " جحود وقصور، مع أنّ نفس

إمامه قد تبرّأ من الرأي ونهى غيره من اتّاعه عليه اهـ.

ثمّ قال: وكان أخي أفضل الدين يقول: محلّ العمل برأي الإمام الذي لا يعرف لقوله سند مّا، إذا ما لم يطّلع على دليل يخالف، فهناك ينبغي لنا إحسان الظنّ بقوله، ونقول: لولا أنّه رأى لقوله دليلا ماقاله. أمّا إذا اطّلعت على دليل فلنا تقديم العمل به على قول المجتهدين إذا كان مثلنا من أهل النظر الصحيح، ويحمل ذلك الإيمان على أنّه لم يظفر بذلك الدليل اهـ.

ثم قال: وسمعت سيّدي عليّا النتيني يقول لفقيرٍ: إيّاك ياولدي أن تعمل برأيٍ رأيته مخالفا لما صحّ في الأحاديث وتقول هذا مذهب إمامي، فإن الأئمّة كلّهم قد تبرّؤوا مِن أقوالهم إذا خالفت صريح السُنّة، وأنت مقلّد لأحدهم بلا شكّ، فما لك لا تقلّدهم في هذا القول وتعمل بالدليل كما تقول بقول إمامك لاحتمال أن يكون له دليل لم تطّلع عليه أنت وذلك حتى لا تعطّل العمل بواحد منهما. اهـ.

وفي القواعد الزرّوقية:

العلماء مصدَّقون فيما ينقلون لأنه موكول لأماناتهم، وفهمهم فيما يقولون لأنّه نتيجة عقولهم، والعصمة غير ثابتة لهم فيلزم التبصّر والنظر طلبا للحق والتحقيق، لا اعتراضا على القائل والناقل إن عُلِمَتْ ديانته ووفور علمه، وسلّم له ما لم يُفهَم وجهه أو لم يُعرَف أصله إن غاب وجوده إذ لعلّه بناء على أصلٍ لا علم لنا به.

فإن حضر طُلِبَ به، ثمّ إن أتى المتأخّر بما لم يُسبَق إليه فهو على رتبته، ولا يلزمه القدح في المقدح، ولا إساءة الأدب معه، لأنّ ما ثبت من عدالة المتقدِّم قاضٍ برجوعه للحق عند بيانه لو سمعه، فهو ملزوم به إن أدّى لنقص قوله مع حقيقته لا أرجحيته، إذ الإحتمال مثبت له، ومِن ثَمَّ خالف أئمّةُ متأخّري الأمة أوّلَها ولم يكن قد حافى واحد منهم، فافهمْ اهـ.

وفي الذهب الإبريز عند قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا (15) :

وأمّا الإعتماد على إمام واحد مطلقا في جميع المسائل كما جَرَتْ به العادة اليوم في الإمتناع من الخروج على مذهب مالك عند مقلّديه فليس بِمُخَلّص للورع، فلا بدّ من السؤال في كلّ قضية تعرض إن كان في الوقت أهل للسؤال، فإنْ عُدِمَ فربما يقبل عذره في البقاء على معتقده في مقلّده إن شاء الله تعالى.

قلتُ: إنّ هذا الكلام من هذا الإمام هو فصل المقال، فإنّه عجيب، فشُدَّ يدك عليه فإنه نفيس في بابه، لأنّ الذي تجمّد على قول إمام واحد، ولا يعمل بقول غيره منَ الأئمّة، لا ورع له بالضرورة، ولا يكون من فحول العلماء أبدا لأنّه لا يسأل أحدا من العلماء المتبحّرين شيئا من أمور دينه، ولا يحمله على ذلك إلاّ آفاتٍ، مَنِ اتّصف بواحد منها لا يكون مِنْ أكابر العلماء أبدا، منها اتّخاذ الجهل علما لأنّه لا يجد مذهبا من مذاهب الأئمّة إلاّ وتعتريه نوازل لا يجد لها نصّا من كتب أهل ذلك المذهب، فإن لم يطلب علمها من
غير أهل ذلك المذهب، وبقي جاهلا بها، فقد اتخذ الجهل علما، وقد تقدّم أنّ الشافعي ﷺ قال:
ما رأيت كأهل مصر! اتخذوا الجهل علما، لأنّهم سألوا مالكا عن مسائل وقال: لا أعلمها. فَهُمْ لا يقبلونها ممّن يعلمها لأنّ مالكا قال: لا أعلمها.

ومنها التكبّر عن سؤال غيره لئلاّ يقال أنّه ما سأل فلانا إلاذ لكونه اعلم، فيترك السؤال لظنّه لأنّ السؤال يسقط رئاسته، ولم يدر أنّ علوّ المرتبة لا يمنع التعلّم لأنّ الخطأ من أصحاب المراتب العلوية أقبح. وفي سراج الملوك:
ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله، ولا أحد أجلّ قدرا من أن يقبل أمر الله، ولا أرفع خطرا من أن يتعلّم حكم الله، ولا أعلى شأنا من أن يتّصف بصفات الله، ومن صفاته سبحانه العلم الذي وصف به نفسه، وتمدّح بسعته: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ (16). والكرسي العلم، والكراسي هم العلماء، وإذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك والأشراف وذوي الاقدار والشيوخ فيه أوْلى لأنّ الخطأ منهم أقبح، والإبتداء بالفضيلة فضيلة.
قال: وحُكِيَ انّ إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلّمون في الفقه، فقال له: يا عمّ ماعندك فيما يقول هؤلاء؟ قال: يا أمير المؤمنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر، قال المأمون: لِمَ لا تتعلّم؟ فقال: أويحسن لمثلي طلب العلم؟ فقال: نعم، والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل، قال: وإلى متى يحسن في طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة، إلى أن قال: وكيف يستنكف ملك أو ذو منزلة عليّة عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام إلى مجمع البحرين أقصى المغرب على بحر
الظلمات إلى لقاء الخضر عليه السلام ليتعلّم منه؟ فلمّا ظفر به قال: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ

مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (17)، هذا وهو نبيّ الله. وهذا مُحَمَّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وصفوته من جميع خلقه، قد أوصاه ربّه وعلّمَهُ كيف يستنزل ما في خزائنه فقال: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (18). فلو كان في خزائنه ما هو أشرف من العلم لنبّأه عليه.

وهذا آدم عليه السلام لما فَخرَتِ الملائكة بتسبيحها وتقديسها لربّها فَخرَ آدم بالعلم، فقال الله: أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (19)، فلمّا عجزت الملائكة أمرهم بالسجود له بخصلة تستدعي السجود لحاملها، وأن يتنافس فيها كلّ ذي لبّ، وهذا فصل الخطاب لِمَن تدبّر. إلى أن قال: وكان أصحاب النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم يسألون شيوخا وكهولا وأحداثا، وكانوا يتعلّمون العلم والقرآن والسُنّن وهُمْ بحور العلم، وأطواد الحكمة، ومعادن الفقه أهـ.

ومنها الحياء من السؤال لظنّه أنّ العوام تستهزئ به فتسقط به مروءته ورئاسته. وفي سراج الملوك:

رُوِيَ أنّ بعض الحكماء رأى شيخا يحب النظر في العلم ويستحي، فقال: يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله؟ إهـ.

وقلت: وكفى مَن منعه الحياء مِنَ التعلّم خسرانا أن يكون أوّل عمره خيرا من آخره أو مساويا له، وموتُ مَنْ هذا حاله خير من عمره إذْ لا فائدة من عمر لا يزداد صاحبه فيه خيرا.

ومنها قِلّةُ الأدب مع العلماء المتضلّعين مع جميع العلوم الأصلية والفرعية، معقولها ومنقولها، شريعة وحقيقة، كما يقع ذلك لبعض من يدّعي العلم من أهل العصر فيُسيئون الأدب مع أكابر العلماء، ويحصل لهم مقت الله ورسوله والعياذ بالله، فيمقتهم العالم لذلك، ويمسك عنهم العلوم التي مَنَّ الله بها عليه مكافأة لهم بسوء أدبهم. وفي البحر المورود في المواثيق والعهود:

أُخِذّتْ علينا العهود أن نأمر إخواننا أن لا يدخلوا على فقيه ولا عالم إلاّ وميزان عقلهم مكسور، فكيف بمن يدخل على عالم أو فقير ممتحنا له وذلك لأجل أن يمنحهم ذلك العالم من علمه، ويتصدّق عليهم بتعليمهم بالدقائق التي اطّلع عليها في الشريعة، وانقدحت له بعد طول المطالعة والسهر والتعب. فمن دخل على عالم أو صالح ممتحنا له لم يخرج إلاّ ممقوتا والعياذ بالله تعالى.

وقد كان الإمام عبد الله الأدوني رحمه الله تعالى مخصوصا في عصره بدقائق العلوم الغامضة، وكانت المجالس تعقد فلا يعرف أحد من العلماء الحاضرين لما حصل في تلك المجالس من المسائل أجوبة إلاّ هو، فكانوا يقيمون عليه الحجج وهو قادر على الخروج والتخلّص من اعتراضاتهم فلم يفعل، ويقوم من المجالس مغلوبا، كلّ ذلك لئلاّ يفيدهم، وكان يقول: أنا لا أفيد العلم إلاّ من إذا أفدته فائدة يمكث طول عمره يخدمني ولا يرى أنّه كافأني عليها أهـ.

ومنها حُبّ الدنيا الذي يصدّ بعض الجهلة وعلماء السوء عن النهوض إلى مصاحبة علماء الآخرة المتضلّعين بالعلوم وأسرارها ودقائقها، ويزهّدهم في العلم، ويصدّهم عن التعلّم، ويرغّبهم في الدنيا، ويصرفهم عمّا سواها، وتنصرف همّتهم بذلك إلى جمع متاعها، مِن تزوّج نساء، ومقارنة أحباب، واكتساب أموال. ويورّثه ما ذُكِرَ حبّ الراحة، وتكثير المنام.

ومنها فَقْدُ المشايخ الذين تبحّروا في علم الشريعة، وعلِموا معقولها ومنقولها، ومنطوقها ومفهومها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ونصّها وظاهرها، ومبينها ومجملها ومشتركها، وناسخها ومنسوخا، وتبحّروا في لغة العرب نحوا وتصريفا واشتقاقا، وتبحّروا في علوم البلاغة حتّى عرفوا مجازاتها واستعاراتها وكناياتها ومحسناتها وغير ذلك، وتبحّروا في علم التصوّف تخلّقا وتحقّقا، وتبحّروا في علوم الحديث، وفي علوم التفسير، إلى غير ما ذكر من العلوم التي لا نطيل بذكرها.

وإذا فُقِدَ المشائخ المتبحّرون الكُمَّل في مرتبة العلم في بلد أو أرض ظنّ بعض مَنْ لا قَدَمَ له في العلم أنّه مِن العلماء فيُحْرَمُ مِنَ التعلّم، كما هو شأن بعض من ادّعى العلم من أهل العصر، فيبقى في ظلمات الجهل. ومنها تشوّق طالب العلم إلى أن يقال أنّ فلانا حصل له كثير من العلوم فيكثر درسه، ويطلب من معلّمه وأستاذه أن يدرسه في مجلس واحد مثل ما يدرس غيره في مجالس كثيرة، فيتعب نفسه وشيخه من غير طائل يحصل له.

ومنها ترْكُ سؤال المشائخ. والفرْق بين هذه الآفة والآفة الأولى أنّ تلك في الذي لا يسأل إلاّ علماء مذهب إمامه، وهذه في الذي لا يسأل مطلقا. وإذا عرفتَ الفرق بينهما فاعلم أنّه لا مانع لمن يدّعي العلم من سؤال العلماء إلاّ الجهل الصراح لأنّه لو كان من العلماء المطّلعين لَعَلِمَ أنّ كثيرا من النوازل والحودث لا يوجد لها نصّ على أحكامها في مذهبه، أو يوجد لها نصّ في مذهبه ولكنّه لا يعتمد عليه لكونه باطلا أو ضعيفا، إمّا لشذوذ أو لضعف مدركه، أو لمخالفته

الأصول أو القواعد أو الإجماع، أو يوجد لها نصّ يعتمد
عليه ولكنه لا قدرة له على تناوله من أماكنه، إمّا لعدم وجود الملكة وسوء فهمه، أو لقصور اطّلاعه لِقِلَّة ما عنده من الرواية والدراية من دواوين العلماء كأمهات المذاهب التي هي المدوّنة، والعتبية، والمجموعة، والواضحة، وغيرها من كتب علماء المذهب متونا وشروحا، كتبصرة اللّخمي، والبيان والتحصيل لابن رشد، وجواهر ابن شاس، ونحوها من دواوين الفقه.

فكيف يزعم من لم يكن عنده إلاّ بعض مختصرات، كرسالة ابن أبي زيد، ومختصر الشيخ خليل، وتحفة الحكّام، وقوانين ابن جزيّ، مع أنّها إنّما صنّفاها مصنّوفها ليبتدئ بها الطلبة ليكون تحصيلها وفهم معاني ما فيها عونا لهم على فتح الباب الذي يدخلون منه إلى تعلّم المطوّلات كالأمّهات وغيرها، أو يكون من بعض علماء المذهب وإنّ كلّ ما لم يذكر في تلك المختصرات عنده ليس من المذهب، وما مثل هذا إلاّ كمن قال ليس في مذهب مالك إلاّ الصلاة لأنّ الأخضري عالم من علماء المذهب، ولو كان غير الصلاة في مذهب مالك لَذَكَرَهُ كما ذَكَرَ الصلاة، أو كمن يقول ليس في مذهبه إلاّ الصلاة والزكاة والصوم والحجّ لأنّ ابن عاشر ما ذكر في منظومته المرشد المعين إلاّ هذه المذكورات، أو كمن يقول كلّ ما لم يذكر في الأجرومية وفي خلاصة ابن مالك ليس من علم النحو، أو كمن يقول كلّ ما لم يذكر في الأربعين النووية ليس من الحديث، أو كمن يقول كلّ ما لم يذكر في الحِكَمِ العطائية ليس من علم التصوّف، وهكذا يقال في سائر العلوم ولم يدْرِ هذا الجهول أنّ هذه المختصرات ما أُلِّفَتْ، وما ابتَدَأَ بها المبتدئون لجمعها كلّ المطلوب ولكنّها تُعِين المبتدئين
على التعلّم لِمَا سواها. قال في ألفية السند:

وأفضل العلوم علم يقترب ... به الفتى من ربه فما يجب
فليبذل الجهد بما يزيد ... نور الهدى في كل ما يريد
فإنّ أنواع العلوم تختلط ... وبعضها بشرط بعض مرتبط
فما حوى الغاية في ألف سنة ... شخص فَخُذْ مِن كلّ فَنٍّ أحسنهْ
بِحِفْظِ متنٍ جامعٍ للراجح ... تأخذُهُ على مفيد ناصح
ثمّ مع الفرصة فابحث عنه ... حقّق ودقّق ما استمدّ منه

ومنها محبّة التصدّر للتعليم والتدريس، وبثّ العلم ونشره قبل بلوغه مرتبة العلماء الكمّل،

فيجُرُّه ذلك إلى ترك التعلّم، وإلى جواب كلّ ما سُئِلَ عنه من غير علم فيفتضح دنيا وأخرى.
وفي أَلْفِيَةِ السند:

فالتمسِ العلمَ وأَجمِلْ في الطلب ... والعلم لا يحصل إلاّ بالأدب
الأدب النافع حُسْنُ الصمتِ ... ففي كثيرِ القولِ بعض المقتِ
فكن بحسن الصمت ما حييتَ ... مقارنا تحمدُ ما بقيتَ
وإن بدَتْ بين أناس مسألهْ ... معروفة في العلم أو مفتعلهْ
فلا تكن إلى الجواب سابقا ... حتى ترى غيرَك فيه ناطقا
فكم رأيتُ مِن عَجُولٍ سابق ... مِن غير فَهْمٍ بالخطأ ناطق
أزْرَى به ذلك في المجالس ... بين ذوي الألباب والتنافس
الصمت فاعلم لك حقا أزين ... إن لم يكن عندك علم متقن
وقل إذا أعياك ذاك الأمر ... ما لي فيما تسأل عنه خبر
فذاك شطر العلم عند العلما ... كذاك ما زالت تقول الحكما
إيّاك والعُجْب بفضل رأيكَ ... واحذر جواب القول من خطئكَ
كم من جوابٍ أعقب الندامهْ ... فاغتنمِ الصمتَ مع السلامهْ

ومنها الداء العضال الذي عمّ أهل العصر، إلاّ من عصمه الله تعالى، وهو أن يدّعي الإقتناع بعلمه ويزهد في علم غيره من العلماء، ويزعم أنّ ما عنده من العلم يكفيه فلا يحتاج مع علمه سؤال غيره ولا التعلّم منه، بل ولا يحتاج إلى الإستزادة من العلم أصلا، كأنّه ما سمع قول نبيّ الله موسى للخضر عليهما السلام: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (**20**).

وإذا كان هذا صَدَرَ مِن نبيّ الله وكليمه فكيف بغيره؟! ولا شكّ أنّ هذا أجهل من كلّ جاهل غيره تقدّم أو تأخّر حيث استغنى عن زيادة ما أمر الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بسؤال الزيادة منه بقوله: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (**21**). ولولا حماقته وسفهه وجنونه وشدّة جهله لعلم أنّ ما عنده من العلم قليل إنْ كان مُصَدِّقا بقوْل ربّ العالمين: وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا (**22**)، وبقوله تعالى: وفوق كلّ ذي علم عليم (**23**)، وتقدّم أنّ أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم كانوا يسألون شيوخا وكهولا وأحداثا، وكانوا

يتعلّمون العلم والقرآن والسُنن وَهُمْ بُحور العلم وأطواد الحكمة ومعادن الفقه، وما مثل هذا مع فحول العلماء إلاّ كمثل مَن تعلّم كتاب الأخضري في الصلاة، فلمّا أكمله أقبل ينكر على من يتعبّد الله بأشياء لم يذكرها الأخضري في ذلك التأليف واحتجّ بما فيه، ولا يحلّ له ـ أي المكلّف ـ أن يفعل فعلا حتى يعلم حكم الله فيه، ولو بقي علمٌ محتاج إليه المكلّف في تصحيح العبادة لَذَكَرَهُ.

ولا شكّ أنّ من كان عالما بالمرشد المعين يقول له: كذبتَ، فإنّ ابن عاشر ذكر فيه ما لم يكن في كتاب الأخضري، وإن قال هو أيضا لا مزيد على ما في المرشد المعين لِقَوْلِ ناظمه:

في عقد الأشعري وفقه مالك ... وفي طريقة الجنيد السالك

فلا شكّ أنّ من كان عالما بما في رسالة ابن أبي زيد يقول له: كذبتَ، لأنّ في رسالة ابن أبي زيد كثيرا ممّا لم يكن في المرشد. وإن هو أيضا قال لا يشتغل إلاّ بما في الرسالة لأنّه قال:

فإنّك سألتني أن أكسب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانات ممّا تنطق الألسنة، وتعتقده الأفئدة، وتعمله الجوارح إلى أن قال فأجبتكَ إلى ذلك

، فهذا يدلّ على أنّ ما فيها يُغني السائل والمسؤول لهم عن غيره، فلا شكّ أنّ من كان عارفا بما في مختصر الشيخ خليل يقول له: كذبتَ، لأنّ كثيرا من مسائل الرسالة قد عقد الشيخ خليل في مختصره لكلّ مسألة منها بابا أو أبوابا، أو فصلا أو فصولا، ثمّ إنّه أيضا إن زعم أنّ لا مزيد على ما ذكره الشيخ خليل في مختصره لقوله في خطبته:

وبعد، فقد سألتني جماعة أبان الله لي ولهم معالم التحقيق، وسلك بنا وبِهِمْ أنفع طريق، مختصرا على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى مبيّنا لما به الفتوى، فأجبتُ سؤالهم

،

وهذا ينبئ على أنّه لم يَدَع شيئا من المسائل الفرعية المحتاجة المعوّل عليها إلاّ ذكَرها فيه، فلا شك أنّ من كان مطّلعا على كثرة الكتب المؤلّفة في المذهب من المختصرات والمطوّلات أمّهات المذهب وغيرها، متونا وشروحا وحواشي، يقول له: كذبتَ، فإنّ هذا المختصر مع عموم نفعه وجلالة قدره بالنسبة إلى غيره من كتب المذهب كنسبة نقطة إلى

البحر، إذْ ليس في المختصر باب أو فصل إلاّ هو كتاب أو كتب في بعض المصنّفات. ثمّ إنّه أيضا إن زعم أن لا مذهب يُسلَك به إلى الله وإلى رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلاّ مذهب

واحد، وهو مذهب إمامه الذي قلّده في الفروع وزعم أن مَن سَلَكَ إلى الله بغيره فإنّه ليس على صواب، بل آثم وفاعل ما لا ينبغي، ويتعصّب لذلك المذهب الذي هو فيه، فلا شكّ أنّ مَن كان مطّلعا على فضل الأئمّة الأربعة، وعلى سعة اطّلاعهم في الفروع الشرعية كلّها أو على دقّة نظرهم، وغزارة معرفتهم بالكتاب والسُنّة، وحُسْنِ استنباطهم، وعلى
فضل مذاهبهم، وعلى أنّها كلّها موصلة إلى اللّه تعالى ورسوله، يقول له: كذبتَ يا عدوّ الله. ثمّ هذا إنْ زعم أنّ كلّ مذهب غير المذاهب الأربعة ليس بشيء، وغير معتدّ به، فلا شكّ أنّ كلّ مَن كان له أدنى علم ومعرفة بأحوال جميع مجتهدي هذه الأمّة، وكان مطّلعا على بلوغهم المرتبة القصوى في العلم بالله، وبصفاته، وأسمائه، وبرسله، وبأحوال رسله وسيرهم، وبأحوال اليوم الآخر وما بعده، وأطّلع على شدّة خوفهم من الله، وعلى شدّة اتّباعهم لما جاء به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وشدّة اجتنابهم عن جميع ما أُحدِث من

البدع الشيطانية، والعوائد الذميمة، واطّلع على سعة اطّلاعهم بأسرار الكتاب والسُنّة، واطّلع على كثرة علومهم التي لا يطّلع عليها إلاّ هُمْ، لا سيما مجتهدي التابعين، فضلا عن مجتهدي الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، يقول له: كذبتَ، وكيف لا وهذه الشريعة جاءت على ثلاثمائة وثلاث عشرة طريقة، ليس منها طريقة يلقى العبد بها ربّه إلاّ دخل الجنّة، كما سيأتي في الفصل الذي بعد هذا الفصل إن شاء الله تعالى.
وبهذا تعلم أنّه لا ينبغي لكمّل العلماء، وأكابر الفضلاء إدّعاء العلم إلاّ لغرض شرعي فضلا عن ادّعاء الإستغناء بما علم، وعدم الإحتياج إلى سؤال أحد من العلماء.
وفي شبهة السماع:
ومنه ـ أيّ من الأدب الذي يجتمع للمتّصف به خصال الخير ـ الفرار من دعوى العلم. وفي شرحه كشف القناع: أيّ بغير غرض شرعي، وذلك لأنّ دعواه لغير غرض شرعي يحصل به المقت.
ومِن كلام سيّدي عليّ الخواص: إيّاك أن تُقِرّ النفس على دعوى العلم، فمَن أقرّها على ذلك فقد أقرّها على الرياء والفخر، ولا يخفي ما فيهما من المقت والطرد. إنتهى.
وقد وقع للحسن البصري أنّه قال يوما لأهل مجلسه، وكان فيه خمسمائة محبرة تكتب عنه: لا تسألوا عن علم نزل من السماء إلاّ أخبرتكم به. وقال شاب نحيف الجسم يتوكّأ على عصا:

هل للناموسة في بطنها مصران وفرث؟ فما درى الحسن ما يقول، وخرّ مغشيّا عليه ثمّ مات بعد ثلاثة أيّام.

ووقع للشيخ محي الدين بن العربي أنّه ركب مرّة البحر، فهاجت ريح شديدة فهاج البحر، فقال له:

أسكنْ فإنّ عليك بحرا من العلم، فسكن البحر بمجرّد قوله، ثمّ طلعتْ هائشة عظيمة وقالت: يا محي الدين، أسألك عن مسألة واحدة فإن أجبتَ عنها فأنت بحر كما قلتَ وإلاّ فأنت جاهل لا ينبغي لك دعوى علم، فقال لها: وما هي؟ قالت: إذا مَسخ الله زوج امرأة هل تعتدّ عدّة الأحياء أم عدّة الأموات؟ فسكت الشيخ، فقالت له الهائشة: أقول لك عليها وأكون من جملة أشياخك؟ قال: نعم، فقالت: إنْ مُسِخَ حيونا إعتدّتْ عدّة الأحياء، وإنْ مُسِخَ جمادا إعتدّتْ عدّة الأموات.

فمِنْ ذلك اليوم ما سُمِعَ من الشيخ محي الدين دعوى علم ولا معرفة.

ووقع لبعضهم أنّه خطر له أنّه صار من أهل العلم، فسأله إنسان في الحال:

من أطول الملائكة عمرا؟ وهل خُلِقوا جملة واحدة أو على التدريج؟ فسكت واستغفر.

وكان سيّدي أفضل الدين يقول:

من نظر في علوم السلف الصالح حَكَمَ على نفسه بالجهل ولم تحدّثْه قطّ أنّه من العلماء أهـ.

قلت: وسيأتي في الفصل العاشر من هذا الكتاب أنّ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه أودع في كتابه " تنبيه الأغبياء على نقطة من نقطة من بحر علوم الأولياء "

:

أحدا وسبعين ألف علم، كلّ علم منها لا يدرك له قعر، وأنّ الشيخ إبراهيم المتبولي أخرج من سورة الفاتحة مائتي ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علما، وأنّ من العلوم التي اختُصّ بها العارفون أربعمائة علم وأحد عشرة علما أهـ.

فَلْنَعُدْ إلى كلام صاحب كشف القناع فنقول، قال:

ونقل أصحاب الطبقات أنّ أبا حفص بن شاهين صَنَّفَ ثلاثمائة وستين مؤلف، منها تفسير القرآن الكريم في ألف مجلّد، ومنها المسند في ألف وستمائة مجلّد، وذكروا أنّه حَاسَبَ الحبّار في استئجاره منه الحبر للكتابة أواخر عمره فبلغ نحو ألفيْ رطل، ونقلوا أيضا أن خزانة كتب

المدرسة النظامية احترقتْ في نظام الملك، فشقّ ذلك عليه، فقالوا له لا تحزن فإنّ ابن الحدّاد يُملِي على الكتبة جميع ما احترق مِن حِفْظِهِ، فأرسلوا خلفه، فأملى ما حترق في مدّة ثلاث سنين ما بين تفسير وحديث وفقه ونحو ذلك.

ونقلوا أيضا أنّ أبا حسن الأشعري ألّف تفسيرا في ستمائة مجلّد.

وحكى الشيخ تقيّ الدين السبكي أنّ مُحَمَّد بن الأنباري كان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة.

وحكى أيضا أنّ الواحدي كان يحفظ من كتب العلم وقر مائة وعشرين بعيرا.

قال: ومِن الغرائب أنّ مُحَمَّدا بن سينا لاَمَهُ إنسان على عدم حفظه للقرآن الكريم فحفظه في ليلة ولم يكن سبق له قبل ذلك حفظ سورة منه غير الفاتحة وسورة الإخلاص والمعوذتين، وكان لا يسمع شيئا إلاّ حفظه أوّل مرّة.

قال: وكان الليث بن سعد يقول: لو كتبتُ ما في صدري ما وَسِعَهُ مركب.

ثمّ قال: فانظر يا أخي إلى علمِك مع هذه العلوم التي أوتيها غيرك من العلماء الذين ذكرناهم تجده لا يجيء قطرة من البحر المحيط، وهناك تحكم على نفسك بالجهل.

قال في ألفية السند:

العلم بحر منتهاه يبعد ... ليس له حدّ إليه يُقصد

وليس كلّ القصد قد حويته ... أجل ولا العشْر ولا أحصيته

وما بقى منه عليك أكثر ... ممّا علمت والجواد يعثر

وتكلّم شابّ عند الشعبي يوما بكلام، فقال الشعبي:

ما سمعت هذا، فقال الشابّ: أَكُلُّ العلم سمعتَ؟ قال: لا، قال: فشطْره؟ قال: لا، قال: فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه، فأُفْحِمَ الشعبي. أنظرْ حياة الحيوان عند ترجمة البغل.

قلتُ وكيف يمكن لمن لم يتعلّم إلاّ بعض مختصرات من فنّ واحد أو فنّيْن إلى عَشْرٍ مِن فنون العلم أن يدّعي أنّه مِن العلماء؟ فأحرى أن يكتفي بعلمه وينكر على من أتى من غير ما علم، ويتكبّر ويستنكف من التعلّم، وسؤال العلماء، مع أنه جاهل بالمختصرات التي تعلّمها إذْ لا يمكن لأحد إتقان شيء من فنون العلم إلاّ إذا كان متقنا لجميعها، ولذا

قال في ألفية السند:

فإنّ أنواع العلوم تختلط ... وبعضها بشرط بعض مرتبط
فما حوى الغاية في ألف سنة ... شخص فَخُذْ مِن كلّ فَنٍّ أحسنهْ
بِحِفْظِ متنٍ جامعٍ للراجح ... تأخذُهُ على مفيد ناصح
ثمّ مع الفرصة فابحث عنه ... حقّق ودقّق ما استمدّ منه
لكنَّ ذاك باختلاف الفهم ... مختلف وباختلاف العلم
فالمبتدي والفذّ لا يطيق ... بحثا بعلم وجهه دقيق

ولمّا جهل بعض من يدّعي العلم هذا الذي أردناه لظنّه أنّ مرتبة العلم سهلة المحتد، وقريبة المأخذ، وأنّها تُدرك بالتخييلات والتسويلات والمغالطات مع الخلود إلى الدرجات، كما قال قائلهم:

لا تحسب المجد تَمْراً أنت آكله ... لن تبلغ المجدَ حتّى تلعق الصبر

قرأ شيئا من المختصرات، وحفظ بعض النصوص والعبارات والإصطلاحات فصار بِوَهْمِ العوام أنّه من العلماء الأعلام، ولم يدْرِ أنّ الناس في هذا الشأن على ثلاث أقسام: قسم يحفظ النصوص والألفاظ فيوردها كما سمع، ويحكيها في المجالس، فإذا طُلِب منه استخراج معانيها أو استنباط أحكامها وإبداء أسرارها مع البحث والتدقيق والتحقيق لا يوجد عنده شيء من ذلك، كما قال قائلهم:

يقولون أقوالا ولا يعرفونها ... إذا قيل هاتوا حقّقوا لا يحقّقوا

وفي هذا وَرَدَ: "رُبّ حامل فقه غير فقيه"، وهو الذي قيل فيه أيضا: "رُبّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه". والذي يليق بهذا السكوت لا مجادلة العلماء. وفي القواعد الزرّوقية:

المتكلّم في فنّ من فنون العلم إنْ لم يلحق فرعه بأصله، ويحقّق أصله من فرعه، ويَصِلُ معقوله بمنقوله، وينسب منقوله لمعادنه، ويعرض ما فَهِمَ منه على ما علم من استنباط أهله، فسكوته عنه أوْلى من كلامه فيه إذْ خطأه أكثر من إصابته، وضلاله أسرع من هدايته، إلاّ أن يقتصر على مجرّد النقل المحرّر من الإيهام والإبهام، "فرَبّ حامل فقه غير فقيه"
فيسلم له نقله لا قوله، وبالله سبحانه التوفيق أهـ.
وقِسْمٌ له قوّة رغبة في العلم والتعلّم لكنّه بليد لا يفهم ولا يحفظ. وقِسْمٌ يفتح لله عليه بالفهم،

ودقّة النظر، وحُسْنِ الإستنباط، فيحفظ المعاني بقلبه من غير احتياج إلى حفظ الألفاظ، وقد يحفظها، وهذا هو الذي إذا اجتهد ينال المرتبة العليا في العلم.

وحكى البويطي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال:

أنّه كان في مجلس مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه، وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه فقال: إنّي حلفت بالطلاق الثلاث أنّ هذا البلبل لا يهدأ من الصياح، قال مالك: قد حنثتَ، فمضى الرجل، فالْتَفَتَ الشافعي إلى بعض أصحاب مالك فقال: إنّ هذه الفتيا خطأ، وأخبر بذلك مالك، وكان مالك ﷺ مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يراده، وكان ربما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، فقالوا لمالك: إنّ هذا الغلام الشافعي يزعم أنّ هذه فتيا إغفال أم خطأ، فقال له مالك: من أين قلت ذا، فقال له الشافعي رضي الله تعالى عنه: أليس أنت الذي رويت لنا عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في قصّة فاطمة بن قيس أنّها قالت للنبي صلّى الله عليه وسلّم أنّ أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم أمّا أبا جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأمّا معاوية فصعلوك لا مال له. فهل كانت عصا أبي جهم دائمة عن عاتقه؟ وإنّما أراد الأغلب من ذلك. فعرف مالك مقدار الشافعي ومكانته رضي الله تعالى عنهما.

أنظر ترجمة البلبل في حياة الحيوان للدميري.

وإلى هذه الأقسام أشار في ألفية السند بقوله:

فرُبّ إنسان ينال الحفظا ... ويورد النصّ ويحكي اللفظا

وما له في غيره ... نصيب ممّا حواه العالم الأديب

ورُبّ ذي حرص شديد الحب ... للعلم والذكر بليد القلب

معجزة في الحفظ والرواية ... ليست له عمن روى الحكاية

وآخر يعطي بالإجتهاد ... حفظا لما قد جاء في الإسناد

يفيده بالقلب لا بناظره ... ليس بمضطر إلى قماطره

والسكوت هو الذي يليق بالأول كما قدّمنا لأنّ سلامته وزينته السكوت، وهلاكه وعيبه في الكلام، قال في ألفية السند:

الصمت فاعلم لك حقا أزين ... إن لم يكن عندك علم متقن

وقل إذا أعياك ذاك الأمر ... ما لي فيما تسأل عنه خبر
فذاك شطر العلم عند العلما ... كذاك ما زالت تقول الحكما
إيّاك والعُجْب بفضل رأيكَ ... واحذر جواب القول من خطئكَ
كم من جوابٍ أعقب الندامهْ ... فاغتنمِ الصمتَ مع السلامهْ

والذي يليق بالقسم الثاني الإشتغال بالعبادة وغيرها من الأعمال التي يُثاب عليها، وبتعمير عمره بأنواع الطاعات، فكلّ نفَس من العمر لو كان يباع بالدنيا وما فيها لا يساويه، كما قيل:

ومن يكن في فهمه بلادة ... فليصرف الوقت إلى العبادة
أو غيرها من كلّ ذي ثواب ... ولو بحسن القصد في الأسباب
فليعمر العمر فكلّ ذرة ... منه رخيصة بألف دُرّة

والذي يليق بالقسم الثالث ما أشار إليه بقوله:

فحقّ أهل العلم صدق النيّة ... والإجتهاد في صفا الطويّة
والجِدّ في التقوى بخير السيرة ... ليستقرّ العلمُ في البصيرة
فعِلْمُ ذي الأنوار في جنانه ... وعلم ذي الأوزار في لسانه
وأنّ عنوان علوم الدين ... في الصدق والخشية واليقين

قلت: ومن وقف على جميع ما أوردنا وتأمّله حقّ التأمّل، ودقّق فيه النظر، عَلِمَ يقيننا أنّ الذي ادّعى أنّ الحق محصور في مذهب معيّن مِن مذاهب الأئمّة المجتهدين لا يتجاوزه إلى غيره، واعتقد هذا الإعتقاد الفاسد ودعا الناس إلى ذلك، مع ادّعائه أنّه أعلم

الناس بذلك المذهب مع أنّ شواهد الإمتحان تكذّبه، والمعاينة الحِسّيَة تفضحه، لا يزيده الله بما علم إلاّ طردا وبُعدا وهلاكا، ولا سيما إذا تصدّر للتدريس والإفتاء والقضاء فيحمله حُبّ الرياسة على جواب كلّ ما سُئِل عنه، ولا يُسمَع منه قول لا أدري لادّعائه أنّه أعلم من جميع أهل عصره، وأنّه مُكْتَفٍ بعلمه، فيبتليه الله لسوء أدبه بالكِبر والعُجب والحسد والمكر وقساوة القلب. قال في ألفية السند:

والعلم ذكر الله في أحكامه ... على الورى كالشكر في إنعامه
فذكره في الذات والصفات ... كالذكر في الأحكام والآيات
لكن كثيرا غفلوا في العلم ... وحكمه عن ربّه ذي الحكم

وأدخلوا فيه الجدال والمِرا ... فكثرت آفاته كما ترى
فصار فيهم حاجبا لنوره ... عنه فما ذاقوا جَنَى مأثوره
فهلكوا بقسوة وكِبر ... وحسد وعجب ومكر
نعوذ بالله من الخَبال ... والعَوْد بعد الحقّ في الضلال
فالذمّ منهم لا من العلوم ... فإنها من طاعة القيّوم
وإلى جميع الآفات المتقدّمة أشار بعض الفضلاء بقوله:
وللعلم آفات فدونك سردها ... فأوّل تعداد نَعُدُّ التكبّرا
كذلك الإستحيا وتزويجك النسا ... وقلّة آداب وتكثيرك الكَرا
مقارنة الأحباب فَقْد مشائخ ... وحبّك للدنيا وهمّك للثرا
وحبّك للتكبير في الدرس ثم إنْ ... تركتَ سؤال الشيخ ثمّ التكرّرا
وحبّك للتقديم في الدرس أوّلا ... وترك سؤال الطالبين تحرّرا
كذاك إذا ما كنت فيه مقنعا ... بأن قلت ذا يكفي بأن كنت فاترا
فإنّ هذه قد نلتَ منها خُصيْلة ... فلا تَتْعبَنَّ فاذهب لترعى الأباعرا

وفي حاشية العالم العلاّمة أبي الحسن علي الصعيدي العدوي على شرح الشيخ الخرشي على مختصر خليل، عند قوله مبيّنا لما به الفتوى:

فائدة: يجوز تقليد المذهب المخالف في بعض النوازل ويُقدَّم على العمل بالضعيف إهـ.

وفيه، عند قول الخرشي في شرحه عند قول خليل وحيث ذكرت قولين أو أقوالا: ويجوز تقليد مذهب الغير في بعض النوازل ولو بعد الوقوع وهو مقدّم على القول الضعيف، وإذا لم يجد نصّا في نازلته فيرجع لمذهب أبي حنيفة لأنّ مسائل الخلاف التي بين مالك وأبي حنيفة إثنان وثلاثون مسألة فقط، كذا أفتى بعض المتأخرين وفيه نظر، بل ظاهر كلام القرافي أنه ينتقل في تلك النازلة لمذهب الشافعي لأنّه تلميذ الإمام اهـ.

قلتُ: وكلّ مَن وقف على ما أودعناه في هذا الفصل، وأعطاه من التأمل حقّه، وكان من أهل الإنصاف والإذعان للحقّ، رجع عن اعتقاداته الفاسدة، وتجرآته الكاسدة، واعترف بأنّ الله لم يوجب، ولا رسوله، على أحد التزام مذهب معيّن من مذاهب الأئمّة المجتهدين لا يتجاوزه ويعمل بغيره لاعتقاده فساد ذلك الغير، وضلال من عمل به، وأنّ أحدا من الأئمة ما أوجب

على أحدٍ اتّباع مذهبه بخصوصه، بل تبرّأ من ادّعاء ذلك.
فكيف يتوهّم مَن له أدنى علم ومعرفة بذلك مع ما علم وشاع وذاع من انتقال أكابر الفضلاء، وفحول العلماء، من مذهب أمام إلى مذهب غيره من غير نكير عليه من علماء عصره، وتصريحهم بجواز تقليد المذهب المخالف في بعض النوازل كما مرّ.
وفي حاشية الإمام العالم العلّامة مُحَمَّد بن علي الصباني على شرح نور الدين أبي الحسن علي بن مُحَمَّد الأشموني الذي سمّاه منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، عند قول الناظم فائقة ألفية بن معطى، حيث قال في شرح فائقة ألفية الإمام العالم العلاّمة أبي الحسن يحي بن معطي بن عبد النور الزواوي الحنفي
قوله:
الحنفي في حاشية الشيخ يحي أنّه كان مالكيا وتفقّه بالجزائر على أبي موسى الجزولي، ثم تشفّع كابن مالك وأبي حيان حين الخروج من المغرب اهـ. قال: ويمكن أنّه تحنّف بعد أن تشفّع أه.
وفي ميزان الشريعة للشيخ عبد الوهاب الشعراني:

قال الجلال السيوطي رحمه الله: وممّن بلغنا أنّه انتقل من مذهب إلى مذهب من غير نكير عليه من علماء عصره الشيخ عبد العزيز بن عمران، كان من أكابر المالكية، فلمّا قَدِمَ الشافعي بغداد تبِعه، وقرأ كتبه، ونشر علمه، ومنهم مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم، كان على مذهب الإمام مالك فلمّا
قدم الشافعي انتقل إلى مذهبه وصار يحث الناس على اتّباعه، ومنهم إبراهيم بن خالد البغدادي، كان حنفيّا فلمّا قدم الشافعي بغداد ترك مذهبه واتّبعه، ومنهم أبو ثور، كان له مذهب فتركه واتّبع الشافعي، ومنهم أبو جعفر بن نصر الترمذي رَأْسُ الشافعية بالعراق، كان أوّلا حنفيّا، فلمّا حجّ رأى ما يقتضي انتقاله إلى مذهب الشافعي، فتفقّه على الربيع وغيره مِن أصحاب الشافعي، ومنهم أبو جعفر الطحاوي، كان شافعيّا تفقّه على خاله المزني، ثم تحوّل حنفيّا، ومنهم الخطيب البغدادي الحافظ، كان حنبليّا ثمّ تحوّل شافعيّا، ومنهم
ابن فارس صاحب كتاب المجمل في اللغة، كان شافعيّا تبعا لوالده، ثمّ انتقل إلى مذهب مالك، ومنهم السيف الآمدي الأصولي المشهور، كان حنبليّا، ثمّ انتقل إلى مذهب الشافعي، ومنهم نجم الدين بن خلف المقدسي، كان حنبليّا، ثمّ تفقّه على الشيخ موفّق الدين، ودرس في مدرسة أبي

عمرو، ثمّ تحوّل شافعيّا، وارتفع شأنه، ومنهم الشيخ مُحَمَّد بن الدهان النحوي، كان حنبليّا، ثمّ تحوّل حنفيّا، ومنهم الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، كان أوّلا مالكيا تبعا لوالده، ثم تحوّل إلى مذهب الشافعي، ومنهم الأمام أبو حيان، كان أوّلا على مذهب
أهل الظاهر، ثمّ تحوّل شافعيّا اهـ.

قلتُ: وظاهر ما تقدّم نقله عن حاشية الشيخ مُحَمَّد علي الصبان أنّ أبا حيان كان أوّلا مالكيا ثم تحول شافعيّا، فلينظر. وكلّ مَن تأمّل ما تقدّم لنا ذكره في هذا الفصل، وأعطاه من التأمّل حقّه، وكان من أهل الإنصاف كما تقدّم، إعترف بأنّ مَن ادّعى أنّه يستغني بعلمه، ولا يحتاج إلى زيادة، ولا إلى سؤال أحد من علماء عصره، كذَبَ والله وافترى.
والله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ إلى الصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1. سورة الأنفال، الآية 29.
2. سورة المائدة، الآية 95.
3. سورة النحل، الآية 44.
4. سورة الأنعام، الآية 38.
5. سورة النساء، الآيتان 174 . 175.
6. سورة المائدة، الآيتان 15 . 16.
7. سورة النحل، الآية 89.
8. سورة يوسف، الآية 111.
9. سورة الكهف، الآيتان 103 . 104.
10. سورة المؤمنون، الآيتان 70 . 71.
11. سورة الجمعة، الآية 5.
12. سورة النساء، الآية 115.
13. سورة التغابن، الآية 11.
14. سورة النساء، الآية 80.
15. سورة البقرة، الآية 168.

16.سورة البقرة، الآية 255.
17.سورة الكهف، الآية 66.
18.سورة طه، الآية 114.
19.سورة البقرة، الآية 31.
20.سورة الكهف، الآية 66.
21.سورة طه، الآية 114.
22.سورة الإسراء، الآية 85.
23.سورة يوسف، الآية 76.

الفصل التاسع

في إعلامهم أنّ الإنكار لا يجوز على الحقيقة إلاّ لِمَن أحاط بجميع الشريعة. وفائدة إعلامهم به أنْ يتحرّزوا عن الإنكار العام ويقتصروا على ما صرّح الكتاب والسُنّة وإجماع الأمّة به إيجابا وتحريما.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنّه إلى سواء الطريق: قال في لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية:

أُخِذَ علينا العهد العام من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن لا نجادل في عِلمٍ من العلوم الشرعية إلاّ بقصد نصرة الدين، بشرط الإخلاص والحضور مع الله تعالى في ذلك، على الكشف لا على الظنّ والرياء والغلّة والتخمين، ومقابلة االنصوص من أكابر مذهبنا وغيرهم. ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ متضلّع من علوم الشرع، قد اطّلع على جميع أدلّة المذاهب

المستعملة والمندرسة، وسلك طريق القوم في درجات الإخلاص. وأمّا مَن يعمل بهذا العهد بنفسه من غير شيخ فهو مُرَاءٍ غالبا.

وقال بعد كلام: وقد حكى الشيخ محي الدين في الفتوحات المكية أنّ من وراء النهر جماعات من الحنفية لم يزل الجدال بينهم قائما طول السَّنَة حتى أنّ بعضهم يفطر في رمضان ليتقوّى على الجدال مع خصمه. وقد روى الطبراني مرفوعا: "أنّ الشريعة جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة" اهـ. قال فلا ينبغي لأحد أن يردّ على من يجادله إلاّ إنْ نظر في هذه الطرق ولم يجدْ كلام خصمه يوافق طريقة منها. وما ذكر الشارع ذلك إلاّ لِسدِّ باب الجدال بغير علمٍ، تقويةً للدين لأنّ النزاع يوهّنه ويضعّفه.

وسمعتُ سيدي عليّا الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يقوم الدين إلاّ باتّفاقٍ عليه لا باختلافٍ فيه.

روى البيهقي والترمذي وغيرها مرفوعا، وحسّنه الترمذي: "ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلاّ أوتوا الجدال ثم قرأ صلّى الله عليه وسلّم: وما ضربوه لك إلاّ جدلا بل هم قوم خصمون. (1)."

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا: "أنّ أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم" اهـ.

وقال في البحر المورود في المواثيق والعهود:

أُخِذَ علينا العهود أن لا نُمكِّن أحدا مِن إخواننا يبادر إلى الإنكار على مَن خالف نقل بعض العلماء إلاّ إنْ أحاط بجميع طرق الشريعة ولم يجد ذلك الحكم فيها، وهذا عزيز وجودُه، كلّ ذلك سدّاً لِبَابِ الإنكار بغير عِلْمٍ. وقد روى الطبراني رحمه الله تعالى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "إنّ شريعتي جاءت على ثلاثمائة وثلاث عشرة طريقة ليست منها طريقة يلقى العبد بها ربّه إلاّ دخل الجنّة" اهـ.

فإنْ كنتَ يا أخي عارفا بجميع هذه الطرق ولم تجد حُكم ما أنكرته في طريقة منها فلك إنكاره، وإلاّ فالتسليم أوْلى وأفضل، وألْزِمِ الأدبَ مع علماء الإسلام، والله تعالى أعلم. إنتهى كلام الشعراني.

قلتُ: وبِفَهْمِ هذا الكلام تفهم ما تقدّم في الفصل السابع، وهو أنّ المنكر لا يزال ينكر الباطل حتى ينكر الحق.

وقال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز:

وقد استأذن بعض الناس شيخه على الإنكار على الأولياء أهل الحق من أهل الفتح، وقال له: يا سيّدي لا أنكر عليهم إلاّ بميزان الشريعة، فمَن وجدتُه مستقيما سلّمتُ له، ومَن وجدتُه مائلا أنكرتُ عليه، فقال له شيخه: أخاف أن لا تكون عندك الصنوج كلّها التي يوزن بها، وإذا كان عندك بعض الصنوج دون بعض فلا يصحّ ميزانك، يشير إلى ما سبق من كونه ينكر وهو جاهل.

وقال في الإنسان الكامل:

ثم أَلْتَمِسُ من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أُعْلِمَهُ بأنّي ما وضعتُ شيئا في هذا الكتاب إلاّ وهو مؤيَّد بكتاب الله وسُنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وأنّه إذا لاح له شيء بخلاف الكتاب والسُنّة فليعلمْ أنّ ذلك من حيث مفهومه لا من حيث مراده الذي وضعتُ الكتابَ لأجله، فليتوقّفْ عن العمل به مع التسليم حتّى يفتح الله تعالى بمعرفته، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله وسُنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم.

وفائدة التسليم هنا وترك الإنكار أنْ لا يُحْرَمَ الوصول إلى معرفة ذلك، فإنّ مَن أنكر شيئا مِن عِلْمِنا هذا حُرِمَ الوصول إليه ما دام منكرا و لا سبيل إلى ذلك، بل ويُخْشَى عليه الحرمان للوصول إلى غير ذلك مطلقا بالإنكار أوّل مهلة، ولا طريق إلاّ الإيمان والتسليم.

قال: واعلم أنّ كلّ عِلْمٍ لا يؤيّده الكتاب والسُنّة فهو ضلال لا ما لا تجد له أنت ما يؤيده، فقد يكون العلم في نفسه مؤيّدا بالكتاب والسُنّة ولكن قِلّة استعدادك منعك فهمه فلم تستطع أن تناوله بيدك عن محلّه فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسُنّة،

والطريق إلى هذا التسليم وعدم العمل به من غير إنكار إلى أن يأخذ الله بيدك إليه، لأنّ كلّ علم يَرِدُ عليك لا يخلو من ثلاثة أوجه: الأوّل المكالمة، وهو ما يَرِدُ على قلبك من طريق الخاطر الربّاني، والملكي، فهذا لا سبيل إلى ردّه ولا إنكاره. وقال بعد كلام: الوجه الثاني أن يكون العلم واردا على لسان من ينتسب إلى السُنّة والجماعة، فهذا إن وجدتَ له شاهدا أو مجملا فهو المراد، وإلاّ فمتى لا يمكنك الإيمان به مطلقا لغلبة نور عقلك على نور إيمانك فطريقتك فيه التوقّف والتسليم وعدم الإنكار.

الوجه الثالث أن يكون العلم واردا على لسان من اعتزل من المذهب والْتحَقَ بأهل البدعة، فهذا العلم هو المرفوض، ولكن الكيّس لا ينكره مطلقا، بل يقبل منه ما يقبله الكتاب والسُنّة من كلّ وجه ويردّ منه ما يردّه الكتاب والسُنّة من كلّ وجه، وقَلّ أنْ يبقى هذا في مسائل أهل

القبلة وقَبِلَهُ الكتاب والسُنّة مِن وجهه وردّهُ مِن وَجهٍ، فهو فيه على ذلك المنهج اهـ.
والله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة الزخرف، الآية 58.

الفصل العاشر

في إعلامهم أنّ الوليّ المفتوح عليه لا يتقيّد بمذهب مُعيّن من مذاهب المجتهدين، بل يدور مع الحقّ عند الله تعالى أينما دار.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق: قال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز:
إعلم، وفّقكَ الله، أنّ الوليّ المفتوح عليه يعرف الحقّ والصواب، ولا يتقيّد بمذهب من المذاهب، ولو تعطّلتِ المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة، وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولو طرفة عينٍ، ولا يخرج عن مشاهدة الحقّ جلّ جلاله لحظةً.
وحينئذ فهو العارف بمراد النبي صلّى الله عليه وسلّم، وبمراد الحقّ جلّ جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها. وإذا كان كذلك فهو حجّة على غيره وليس غيره حجّة عليه لأنّه أقرب للحقّ من غير المفتوح عليه، وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على مَن هذه صفته ويُقال أنّه خالف مذهب فلان في كذا. فإذا سمعتَ هذا، فمن أراد أن ينكر على الوليّ المفتوح عليه لا يخلو إمّا أن يكون جاهلا بالشريعة كما هو الواقع غالبا من أهل الإنكار، وهذا لا يليق به الإنكار، والأعمى

لا ينكر على البصير أبدا. فاشتغال هذا بزوال جهله أوْلى به.
وإمّا أن يكون عالما بمذهبٍ من مذاهبها جاهلا بغيره، وهذا لا يصحّ منه إنكارٌ إلاّ إذا كان يعتقد أنّ الحقّ مقصور على مذهبه ولا يتجاوزه لغيره، وهذا الإعتقاد لم يَصِرْ إليه أحد من المصوّبة ولا من المخطّئة. أمّا المصوّبة فإنهم يعتقدون الحقّ في كلّ مذهب، فهي كلّها عندهم على صواب، وحكم الله عندهم يتعدّد بحسب ظنّ المجتهدين، فمَن ظنّ حرمة في نازلة فهي حكم الله في حقّه، ومَن ظنّ الحِلّيّة فيها بعينها فهي حكم الله تعالى في حقّه.

وأمّا المخطّئة فحكم الله عندهم واحد لا يتعدّد ومُصِيبهُ واحدٌ، ولكنهم لا يحصرونه في مذهب بعينه، بل يكون الحق في نازلة هو ما ذهب إليه إمام وفي نازلة أخرى ما ذهب إليه غيره.
فاشتغال هذا المنكر بزوال هذا الإعتقاد الفاسد أوْلى به. وأمّا أن يكون عالما بالمذاهب الأربعة، وهذا لا يتأتّي منه الإنكار أيضا إلاّ إذا كان يعتقد نفي الحقّ عن غيرها من مذاهب العلماء، كمذهب الثوري، والأوزاعي، وعطاء، وابن جريج، وعكرمة، ومجاهد ومعمر، وعبد الرزاق، والبخاري، ومسلم، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن المنظر وطاوس، والنخعي،
وقتادة، وغيرهم من التابعين وأتباعهم إلى مذاهب الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وهذا اعتقاد فاسد، فاشتغاله بدوائه أوْلى من اشتغاله بالإنكار على أولياء الله المفتوح عليهم. وإذا وصلتَ إلى هنا علمتَ أنّه لا يسوغ الإنكار على الحقيقة إلاّ لمن أحاط بالشريعة، ولا يحيط بها إلاّ النبي صلّى الله عليه وسلّم والكُمّل مِن ورثَتِهِ، كالأغواث في كلّ زمان، أمّا غيرهم فسكوتهم خير لهم ولو كانوا يعلمون. وكلامنا في الإنكار على أهل الحقّ من أهل الفتح، وأمّا أهل الظلام والضلال فلا تخفي أحوالهم على من مارسهم.
وقال بعد كلام:
وقد حضرتُ لبعض الناس، وكانت له فطنة وحذاقة، فسمع سائلا يسأل وليّاً مفتوحاً عليه على السورة التي بعد أمّ القرآن إذا نسيَها المصلّي وترتّبَ السجود القبْليّ عليه ثمّ نسبَهُ فلم يفعله حتى سلّم وطال الحال، هل تبطل الصلاة بترك السجود القبلي بناءً على أنّ في السورة ثلاث سُنَنٍ أم لا بناءً على أنّه ليس فيها ثلاث سُنن؟ وقد ذهب إلى الأوّل الشيخ الحطّاب وغيره وإلى الثاني شُرّاح الرسالة. وطلب السائل من هذا الولي المفتوح عليه أن يُعَيّنَ له الحقّ عند الله تعالى.

فأجابه الوليّ سريعا: الحقّ عند الله تعالى هو أنّ السورة لا يوجب نسيانُها سجوداً أصلا، ومَن سجد لها بطلت صلاته. وكان الوليّ المفتوح عليه عاميّا أميّا، وكان السائل يعرفه ويعرف ارتقاء درجته في الفتح. فلمّا سمع جوابه عَلِمَ أنّه هو الحقّ الذي لا ريب فيه، وأمّا الذي له حذاقة وفطانة فدخله شكّ وارتياب، فقال للسائل بعد أن قاما عن الوليّ: إنّ هذا الرجل ـ يعني الوليّ ـ جاهل لا يعرف شيئا.

أنظر كيف جهل حكم الله في هذه المسألة فقال إنّ تارك السورة لا سجود عليه، وقد عدّها ابن رشد في السنن المؤكّدة كما عدّ فيها الجهر والسر. فأجابه السائل بأنّ الوليّ المفتوح عليه لا يتقيّد بمذهب، بل يدور مع الحق أينما دار. فقال الذي له حذاقة وفطانة، وكان من طلبة العلم، نحن لا نتجاوز أقوال إمامنا مالك.

فأجابه السائل بأنّ هذا الذي قاله الوليّ المفتوح عليه قد رواه أشهب عن مالك كما نقله في التوضيح، فروى عن الإمام أنّ السورة مستحبّة ليستْ بسُنَّة، ثم هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه، فعنده أنّ السورة من الهيئات التحسينية وليست من السنن، ومن سجد لها بطلت صلاته. ثمّ سؤالنا الولي إنّما كان عن تعيين الحقّ من غير تقييد ولم يكن عن خصوص المشهور من مذهب مالك، وقد عيّن ما سألناه عنه، ووافق ذلك رواية عن مالك، وهي مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنهما، فأيّ تبعة بقيتْ على الوليّ في جوابه؟ فلمّا قال السائل هذا القول، وسمِعه الذي له حذاقة، إنقطع ولم يدْرِ مايقول اه

. وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الرسالة المباركة:

فحُكْمُ المقلّد مع العارف في الجدال حكم اثنين دخل أحدهما بيتا نهاراً ورأى جميع ما فيه، والآخر لم يدخلْه لكن أخبره جماعة بأنّ داخل هذا البيت كذا وظنّ صدقهم. فالأوّل الذي دخل مثال للعارف، والذي لم يدخل مثال للمقلّد.

فالذي دخل البيت نهاراً ورأى جميع ما فيه لا يتزلزل عن علمه بما يُقيمُه عليه الذي لم يدخل من أدِلّةِ المخبرين الذين لم يدخل أحد منهم البيت ولو بلغوا حَدّ التواتر لأنّ أحدا لا يكذّب حسّه. وحُكم المقلّد مع المقلّد في جدالهما حكم اثنين لم يدخل واحد منهما البيت، أو دخلاه في ظلمة أو ذهول، ثمّ اختلفا في صفة داخل البيت، فليس واحد منهما على يقين فيما يقوله في صفته. وحكم العارف مع العارف حكم اثنين دخل كلّ واحد منهما البيت نهارا مع صحّة عقله ورأى

جميع ما فيه، فهما متّفقان لا خلاف بينهما، ولذلك لم يختلف اثنان قطّ في علمهما بالله تعالى أبدا، فافهمْ، فما تمّ ما بأيدي المجتهدين من المسائل التي فهموها من الكتاب والسُنّة بعض ما عند العارف بدليل ما قدّمناه من علوم العارفين رضي الله تعالى عنهم أجمعين اهـ.

قلت: وِمن جملة تلك العلوم ما أودعه في كتاب تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء، وهو واحد وسبعون ألف علم، كلّ علم منها لا يدرك له قعر، ثمّ ذَكَرَ منها في كتابه الدرّ النظيم في علوم القرآن العظيم نحو ثلاثة آلاف منها، قال: وكان الباعث له على تأليفه حفظ حرمة أهل الله حين سمع مَن لا خلطه له بهم ينكر عليهم، وينسبهم إلى العوامية والجهل.

ومن جملتها أيضا مائة ألف وعلم وسبعة وأربعون ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعون علم قال أنّ شيخه عليّا الخواص أخبره أنّ الشيخ إبراهيم المتبولي أخرجها من سورة الفاتحة. وأربعمائة علم وأحد عشرة علما اختصّ بها العارفون، لم يعلم أحد من العلماء أسماءها فضلا عن الخوض فيها. وقال حمَله على ذكرها قوّة الشفقة على المنكرين اهـ. وقال الشيخ محي الدين بن العربي الحاتمي رضي الله تعالى عنه:

فلله خلفاء في خلقه غير الرسل يأخذون من معدن الرسول والرسُل ما أخذته الرسل، ويعرفون فضل المتقدّم هناك، لكن الرسول قابل للزيادة، أيّ أن يزيد في الأحكام، وهذا الخليفة ليس بقابل للزيادة التي لو كان الرسول قبِلَهَا، فلا يعطي من الحكم والعلم فيما شرع إلاّ ما شرع الرسول خاصة بخلاف الرسل.

ألا ترى أن عيسى عليه السلام لمّا تخيّلتْ فيه اليهود أنّه لا يزيد على موسى مثل ما قلنا في الخلافة اليوم مع الرسول آمنوا به وأقرّوه؟ فلمّا زاد حكما أو نسخ حكما كان قد قرّره موسى، لكوْنِ عيسى رسولا، لم يحتملوا ذلك لأنّه اعتقادهم فيه، وجهلتِ اليهود الأمر على ما هو عليه، فطلبت قتله، وكان من قصّته ما أخبرنا الها تعالى في كتابه العزيز عنه وعنهم. فلمّا كان رسولا قبِل الزيادةَ بشيء إمّا بنقض حُكم قد تقرّر أو زيادة حكم، على أنّ النقص زيادة حُكمٍ بلا شكّ.

والخلافة اليوم ليس لها هذا المنصب، وإنّما تنقص وتزيد على الشرع الذي قد تقرّر بالإجتهاد، أيّ على المجتهَدات التي لا نصّ فيها حقيقة، سواء نقل فيها نصّ أم لم ينقل، لا على الشرع الذي شرّفه بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم. فقد يظهر من الخليفة ما يخالف حديثا مّا في الحكم،

فيتخيّل أنّه من الإجتهاد وليس كذلك، وإنّما هذا الإمام لم يثبت عنده من جهة الكشف ذلك الخبر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، ولو ثبت لَحَكَمَ به إن كان من طريق العدل عن العدل، فما هو معصوم من الوهم الذي هو مبدأ السهو والنسيان، ولا من النقل على غير المعنى الذي هو مبدأ التبديلات والتحريفات. فمثل هذا يقع من الخليفة اليوم، وكذلك يقع من عيسى، فإنّه إذا نزل يرفع كثيرا من شرع الإجتهاد المقرّر، فبَيَّنَ برفعه صورة الحقّ المشروع الذي كان النبي عليه السلام عليه، ولا سيما إذا تعارضت أحكام الأئمّة في النازلة الواحدة. فنعلم قطعا أنّه لو نزل الوحي لنزل بالوجوه، فذلك هو الحكم الإلهي وما عداه فلا. وإن قرّره الحقّ في صورة المجتهدين فقد شرع تقريره لِرفْع الحرج عن هذه الأمّة واتّساع الحكم فيها.

قال تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (1)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: "بعثت بالحنيفية السهلة السمحة". وظاهره أنّه لو لم يقع الإختلاف في الأحكام الإجتهادية ما كان يظهر فيها الوجوه المتكثّرة التي هي سعة الرحمة المجبول عليها نبّينا صلّى الله عليه وسلّم، أهـ. والله تعالى الموفّق بِمَنّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة البقرة، الآية 185.

الفصل الحادي عشر

في إعلامهم أنّ العلماء متّفقون على الحثّ على الخروج من الخلاف باتّقاء مواضعه.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق: إعلمْ أنّه يجب عند كلّ مكلّف أن يحصل من العلم ما يصحّ به اعتقاده على مذهب أهل السُنّة والجماعة، وما تصحّ به أعمالهم على وفق الشريعة المطهّرة، ويجب على أهل السلوك إلى طريق أهل الله الصادقين أن يحصلوا من العلم ما تصحّ به أعمالهم على الوفاق بين المذاهب الأربعة.

قال الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته:

سمعتُ الأستاذ الشيخ أبا عليّ رحمه الله تعالى يقول: فتجب البداية بتصحيح اعتقادٍ بينه وبين الله صافٍ من الظنون والشبه، خالٍ من الضلال والبدع، صادرٍ من البراهين والحُجَج. وقال بعد كلام: وإذا أحكم المريد بينه وبين الله تعالى عقدَه فيجب عليه أن يحصل من عِلْمِ الشريعة، إمّا بالتحقيق وإمّا بالسؤال، ما يؤدي به فرضه، فإن اختلفت عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط، ويقصد أبدا الخروج من الخلاف، فإنّ الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال، وهؤلاء طائفة ليس لهم شغل سوى القيام بالحقّ سبحانه، ولذا

قيل إذا انحطّ الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقدْ فسخ عقدَه مع الله تعالى، ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى.

وفي الوصايا القدسية:

ومنها، يعني ومن آداب المريدين، أنّهم يجب عليهم أن يحصلوا من العلم ما يصحّ به اعتقادهم على مذهب أهل السنة والجماعة، وما يتحرّزون به عن شُبَهِ المبتدعة. وقال بعد كلام: يحصل أيضا ما تصحّ به أعمالهم على وفق الشريعة المطهّرة على الوفاق بين المذاهب الأربعة.

مثلا إذا كان حنفيّ المذهب يحتاط في أمر وضوئه وصلاته وسائر عباداته حتّى يكون على مذهب الشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله تعالى أيضا صحيحا، فإنّ مذاهب المشائخ الصوفية على الجمع بين أقوال الفقهاء. وإنْ لم يتيسّر الجمعُ فيأخذوا بالأحوط والأوْلى. فالشافعي لا يعترض عليك إنْ توضّأتَ مِنَ القلّتيْن، وأبو حنيفة لا يعترض عليكَ إذا توضّأتَ عند لمس المرأة أو الذكر. اهـ.

قلتُ: ولاهتمام العلماء بهذه القاعدة جعلوا الإهتمام بها ليخرج المكلّف من فعل عبادة اختُلِف في صحّتها وبطلانها ورعاً.

قال الشيخ العلاّمة الأمين في مجموعه عند آخر فرائض الصلاة:

ومِنَ الورع مراعاة الخلاف ليتّفق على البراءة. اهـ.

وقال عند قوله: (وجاز تَعَوُّذٌ بسملةٌ بِنَفْلٍ وَكُرِهَا بِفَرْضٍ إلاّ لمراعاة خلافٍ)، كما يأتي في أخر الباب،، قال: وهذا أصل كبير في نظائره. اهـ.

وفي حاشيته: قوله (نظائره)، هي مسائل خروج من الخلاف، كالسجود على الاعضاء السبعة، والتسليمة الثانية كما أسلفنا، والقراءة خلْف الإمام. اهـ.

قلتُ: وقوله (كما أسلفنا): يعني قوله في حاشيته عند قوله في السلام (وإنّما يُجزِئ السلام عليكم، والأوْلى الإقتصار عليه، فزيادة ورحمة الله وبركاته هنا خلاف الأوْلى)، قوله:

خلاف الأوْلى إلاّ لقصد الخروج من خلاف الحنابلة، لا بدّ في صحّة الفرض من تسليمتيْن عندهم على اليمين وعلى اليسار يقول في كلٍّ منهما السلام عليكم ورحمة الله، ولا يشترط ذلك في النفل. اهـ.

وإذا جعلتَ كلّ شيء جعله الإمام شرطا في صحّة العبادة في مرتبة الأولويّة عند غيره تعلمُ يقينا أنّ مراعاة الخلاف مِن أعظم الورع، وذلك كالقول باشتراط الطهارة بالماء المطلق، وكالقول باشتراط النيّة والترتيب والتسمية والموالاة في الوضوء، وكالقول بوجوب قراءة الفاتحة وقراءة

البسملة أوّلها، والإعتدال، ونحو ذلك في سائر أبواب الفقه. أنظر الرسالة المباركة للشعراني.
وقال الإشبيلي في شرح الأربعين النووية:
والعلماء إنّما يُنكرون ما أُجمِع عليه، وأمّا المختلف فلا إنكار فيه.
ثمّ قال بعد كلام: لكن إن ندبنا على جهة النصيحة الى الخروج من الخلاف فهو حَسَن محبوبٌ إلى فِعْلِه برفقٍ فإنّ العلماء متّفقون على الحثّ على الخروج من الخلاف. اهـ.
وقال الشيخ مُحَمَّد بن يوسف المواق في سنن المهتدين:
قال ابن رشد: حضّ زيادٌ مَالِكاً على أنْ يأخذ لنفسه في خاصّته بأشدّ ما قيل بالإجتهاد في أحكام الدين.
وقال أبو حامد: اتّقاء مواضع الخلاف مُهِمّ في الورع في حقّ المفتي والمقلّد، والفرار من الخلاف إلى الإجماع مِن الورع المؤكّد.

وقال الشيخ محي الدين النووي: أهل العلم متّفقون على الحثّ على الخروج من الخلاف.
وقال أبو مصعب: كان مالكٌ يُطيل الركوع والسجود، وإذا وقع في الصلاة كأنّه خشبة يابسة لا يتحرّك منه شيء، فلمّا أصابه ما أصابه قيل له: لو خفّفتَ مِن هذا، قال: وما ينبغي لأحدٍ أنْ يعمل عملا لله إلاّ حسّنهُ، قال تعالى: لِيَبْلُوَكُمْ أَيّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (1).
ثم قال المواق: أنظر هذا الكلام الذي كان عليه مالك مِنَ الأخذِ بالجدّ في الدين، وما أجمع عليه العلماء مِن اتّقاءِ مواضع الخلاف، ومراعاة الأنفاس مع الله، وإيثار الأثقل على النفس، والأفضل الذي لو فاجأه الموت وهو عليه ما وجد أفضل منه، ولا يودّ أنْ يلقى الله إلاّ عليه كما قاله سحنون وغيره هو الحقّ الذي لا شكّ فيه.
فمَن ذمّ هذا المقام وقال إنّه من لهوِ الحديث، أو بدعة بالنسبة إلى هذا المقام، فأقول بموجبه: وأمّا الذمّ مطلقا من غير نسبة إضافية، ولاسيما وربّما لا يكون هو في هذا المقام، فذلك حُجّة عليه ومذهب لبقاء أقاويل العلماء، ومن شان العلماء بالله وبأحكام الله أن يذهبوا مع الناس في الرخصة والسعة. وكان رويم من أجلّ المشايخ، مقرئا فقيها، قال: مِن حُكمِ الحكيم أنْ يُوَسّعَ على إخوانه في الأحكام ويضيّق على نفسه فيها، فإنّ التوسعة اتّباع الحقّ، والتضييق على نفسك مِن الورع.
في الذهب الإبريز، عند قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً (2):

وأمّا الإعتماد على إمام واحد مطلقا في جميع المسائل، كما جَرَتْ به العادة اليوم في الإمتناع من الخروج من مذهب مالك عند مقلّديه، بمخلص للورع، فلا بدّ من السؤال في كلّ قضيّة تعرض إنْ كان في الوقت أهل السؤال، فإن عُدِم فربّما يقبل عذره في البقاء على معتقده في مقلّده إن شاء الله.

قلتُ: وهذا كلام عجيب شدّ يدك عليه فإنّه نفيس قَلَّ مَن تَنَبّهَ له. وفي شرح أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك:

قال بعضهم يجب على المكلّف طلب الحلال المتّفق عليه عند أهل العلم، فإن لم يجد فالمتّفق عليه عند أهل المذهب، فإن لم يجد فالمختلف فيه في المذهب، فإن لم يجده فالمختلف فيه في غيره، فإن لم يجد فليجتهد في معرفة أصل ما يشتريه، فإن تعذّر فشراء الخبز أوْلى من شراء الدقيق، وشراء الدقيق أوْلى من شراء القمح، وشراء القمح المجلوب عن قربٍ أوْلى من شرائه عن بعدٍ، ومَن كان عنده حلال ومتشابه أكلَ الحلال، واستعمل لسائر استعمالاته الباقي. أهـ.

والله تعالى الموفّق بِمَنّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة هود، الآية 7.

2.سورة البقرة، الآية 168.

الفصل الثاني عشر

في إعلامهم أنّه يجب على كلّ عاقل يريد تخليص نفسه من الرذائل النفسانية والشيطانية المُرْدِيَة، عاجلا وآجلا، طلبُ شيخٍ مرشدٍ، متبحّرٍ في العلوم، عارفٍ بالعيوب والعِلل، ناصحٍ، فيُلقِي إليه القيادة، ويتبع أوامره، ولا يخالفه في شيء.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، إعلم أنّ شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به سُئِلَ: هل طلبُ الشيخ فرض على كلّ فرد فرد أو على البعض دون البعض، وما السبب في الكلّ؟ فأجاب:

أنّ طلب الشيخ في الشرع ليس بواجب وجوبا شرعيّا يلزم مِنْ طَلَبِهِ الثوابُ ومِنْ عدمِ طَلَبِهِ العقاب، فليس في الشرع شيء مِن هذا، ولكنّه واجب مِن طريق النظر، في مثل الظمآن إذا احتاج إلى الماء، وإنْ لم يطلبْه هلك، فطلبُه عليه لازمٌ مِن طريق النظر، وطريق النظر في هذا ما قدّمناه مِن كَوْن الناس خُلقوا لعبادة الله، والتوجّه إلى الحضرة الإلهيّة بالإعراض عن كلّ ما سواها، وعلم المزيد ما في نفسه من التثبّط والتثبيط عن النهوض إلى الحضرة الإلهية بِتَوْفِيَة الحقوق والآداب، وعلم أنّه لا ملجأ له من الله ولا منجا إن قام مع نفسه متّبعا هواها، مُعرِضا عن الله تعالى، فإنّه بهذا النظر يجب عليه طلب الشيخ الكامل.

وهذا الوجوب النظري أمر وضعي طبيعي ليس من نصوص الشرع، إذْ ليس في نصوص الشرع إلاّ وجوب توْفِيَة القيام بحقوق الله تعالى ظاهرا و باطنا على كلّ فرد فرد من جميع العباد، ولا عذر لأحدٍ في ترك ذلك من طريق الشرع، ولا عذر له، في غلَبَة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه، في الشرع إلاّ وُجُوب ذلك وتحريم تركه لوجوب العقاب عليه.

فهذا ما كان في الشيخ، ولا شيخ يجب طلبه إلاّ شيخ التعليم الذي يعلم كيفية الأمور الشرعية، أو يطلب فعلها من العبد أمرا ونهيا، وفعلا وتركا، فهذا الشيخ يجب طلبه على كلّ جاهل، لا يسع أحدٌ تركه، وما وراء ذلك من الشيوخ لا يلزم طلبه من طريق الشرع، لكن يجب طلبه من طريق النظر بمنزلة المريض الذي أعضلته العِلّة، وعجَز عن الدواء من كلّ وجه، وانعدمت الصحّة في حقّه، فنقول إن شاء البقاء على هذا المرض بقيَ كذلك، وإن طلب الخروج إلى كمال الصحّة قلنا له يجب عليك طلب الطبيب الماهر الذي له معرفة بالعلّة وأصلها، وبالدواء المزيل لها، وكيفية تناوله كمّاً وكيْفاً ووقتاً وحالاً، والسلام. اهـ.

وفي تأسيس القواعد للشيخ أحمد زرّوق رضي الله تعالى عنه:

أخْذُ العلم والعمل عن المشايخ أتمّ من أخذه دونهم، بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (1)، واتّبع سبيل من أناب إلي (2)، فلزمتْ المشيخة، سيّما والصحابة أخذوا عنه عليه الصلاة والسلام، وقد أخذ عن جبريل واتّبع إشارته في أن يكون نبيّا عبْداً، وأخذَ التابعون عن الصحابة، فكان لكلٍّ أتباع يختصّون به، كابن سيرين وابن المسيّب والأعرج لأبي هريرة، وطاوس ووهيب ومجاهد لابن عبّاس، إلى غير ذلك. فأمّا العلم والعمل فأخذه جلي فيما ذكر كما ذكر، وأمّا الإفادة بالهمّة والحلال فقدْ أشار إليها أنس بقوله: "ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام حتى أنكرنا قلوبنا." فأبان أنّ رؤية شخصه الكريم كان نافعا لهم في قلوبهم، والعلماء ورثة الأنبياء حالا ومالا وإن لم يدانوا المرتبة. وهذا الأصل في طلب القرب من أهل الله في الجملة، إذ من تحقّق بحالة لم يخل حاضروه منها، فلذلك أُمِرَ بصحبة الصالحين، ونُهِيَ عن صحبة الفاسقين، فافهم. اهـ.

ثمّ قال: ضبط النفس بأصل يرجع إليه في العلم والعمل لازم لمنع التشعّب والتشعيب، فالزَمْ الإقتداء بشيخ قد تحقّق اتّباعه للسُنّة، وتمكّنه من المعرفة، ليرجع فيما يَرِدُ أو يُراد مع الْتِقَاط لفوائد الراجعة لأصله من خارج، إذ الحكمة ضالّة المؤمن، وهو كالنحلة ترعى كلّ طيّبٍ ثمّ لا تبيت في غير حجبها وإلاّ لم يُنتفَع بعملها. وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخّرين في الإكتفاء بالكتب عن المشائخ، ثمّ كتبوا، فكلّ أجاب على حسب فتحه. وجملة الأجوبة دائرة على ثلاثة طرق.

أوّلها: النظر في المشايخ، فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب لبيب حاذق يعرف موارد العلم، وشيخ التربية تكفي عنه الصحبة لذي دين عاقل ناصح، وشيخ الترقية يكفي عنه اللقاء والتبرّك، وأخذ ذلك من وجه واحد أتمّ. الثانية: النظر لحال الطالب، فالبليد لا بدّ له من شيخ يُربّيه، واللبيب تكفيه الكتب في ترقّيه لكنه لا يسلم من رعونة نفسه، وإن وصل لابتلاء العبد برؤية نفسه.

الثالث: النظر للمجاهدات، فالتقوى لا تحتاج إلى شيخ لبيانها وعمومها، والإستقامة تحتاج للشيخ في تمييز الأصلح منها، وقد يكتفي دون اللبيب بالكتب، ومجاهدة الكشف والترقية لا بدّ فيها من شيخ يرجع إليه في فتوحها، كرجوعه عليه الصلاة والسلام لورقة بن نوفل لعلمه بأخبار النبوة، ومبادئ ظهورها حين فاجأه الحقّ، وهذه الطريقة قريبة مِن الأولى، والسُنّة معها. اهـ.

قال الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته:

ثمّ يجب على المريد أن يتأدّب بشيخ، فإنْ لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا. هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان. اهـ.

وفي الخلاصة المُرْضية:

فلا بدّ من مؤدِّبٍ وهو الأستاذ، فإنّ الطريق لَمّا كان في غاية الشرف والعزّة حَفّتْ به الآفات والأمور المُهلِكة مِن كلّ جانب، فلا يسلُكه إلاّ شجاع مقدام، ويكون معه دليل وعلامة، وحينئذ تقع الفائدة.

قال الشيخ جبريل الخرماباذى قدّس الله سرّه العزيز: أيّها السالك لا تدخل هذه البداية المهلكة إلاّ أنْ تكون في خفارة اتباع الحضرة النبويّة، ويكون قدّامك دليل قَطَعَ هذه البرّيّة غير مرّة، واضعا قدم صدقه على أثر قدم النبي صلّى الله عليه وسلّم، وغير منحرف عن جادّة طريق المتابعة، ولا تخفي على من له أدنى دراية وفطانة أنّ السير في عالم الشهادة الذي هو عالم الجسميات برّا وبحرا إذا كان بغير دليل يكون الغالب فيه الهلاك فضلا عن أن يوصل إلى المقصود، فكيف في عالم الغيب الذي ليس من قبيل المحسوسات! فيجب على من

في قلبه داعية السفر أن يبذل جهده في دليلٍ عارفٍ بعلامات الطريق، خبير بالمهالك وأدب الدروب، قطَع هذه البوادي المبيدة بقدم الصدق مرارا، وكثرة مجيئة وذهابه فيها بعد أن وصل

إلى الكعبة الحقيقية. فإذا وجَدَ مثل هذا الدليل سَلّمَ نفسه إليه وتبرّأ منها، ويُطَلِّقُ اختياره ثلاثا ويفنيه في اختيار الدليل وإرادته. فإذا فَعَلَ ذلك استعدّ لتصرّف الشيخ. اهـ.

وفي الخلاصة المرضية أيضا:

إعلم أيّها المريد نجاة نفسك أنّ أوّل ما يجب عليك قبل كلّ شيء طلب شيخ يبصّرك بعيوب نفسك، ويخرجك عن طاعة نفسك، ولو رحلتَ إلى طلبه في أقصى الأماكن والبلاد. اهـ.

وقال الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء، في رابع المهلكات:

أنّ المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإنّ سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، ومَن لم يكن له شيخ يهديه قادَهُ الشيطان لا محالة إلى طريقه.

فمَن سلك البوادي المُهلكة بنفسه من غير خفير فقدْ خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقلّ بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها، فإنّها تجفّ عن القرب، وإنْ بقيَتْ مدّة وأورقتْ لم تثمر.

فمُعتَصَمُ المريدِ شيخُه، فليتمسّك به تمسّكَ الأعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوّض أمره إليه بالكليّة، ولا يخالفه في وِردٍ ولا صدر، ولا يُبْقِي في متابعته شيئا ولا يَذَر، وليعلم أنّ نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب. أهـ.

وقال أبو النجيب السهروردي في كتابه آداب المريدين:

أوّل ما يلزم المريد بعد الإنتباه من الغفلة أن يقصد إلى شيخ من أهل زمان مؤتمن على دينه، معروف بالصلاح والأمانة، عارف بالطريق، فيسلّم نفسه لخدمته، ويعتقد ترك مخالفته، ويكون الصدق حاله، ثم يلزم الشيخ أن يُعرّفَهُ كيفية الرجوع إلى سيّده، ويدلّه على الطريق، ويسهّل عليه سلوكها، ويُكْرَهُ للمريد مفارقة أستاذه قبل انفتاح عين قلبه، بل عليه أن يصبر تحت أمره ونهيه في خدمته. أهـ.

ونقل القشيري رحمه الله تعالى عن شيخه أبي علي الدقّاق رحمه الله تعالى أنّه قال: الشجرة إذا أنبتت بنفسها من غير غارس فإنّها تُورِقُ ولا تُثْمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقه نفَساً نفَسا فهو عابد هواه، ولا يجِدُ نفاذا.

قال السهروردي: وهو كما قال، إلاّ أنّها لا تثمر، ويجوز أنّها تثمر كالأشجار التي في الجبال والأودية ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس إذا نُقِلَ من موضع أكثر وأحسن

ثمر لدخول التصريف فيه، وقد إعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم وحل ما يقتله بخلاف غير المعلم.

وقال السهروردي أيضا: سمعت كثيرا من المشايخ يقولون: مَن لم ير مفلحا لا يفلح.

قال بعض المشايخ: من لم يتأدّب بأوامر الشيوخ وتأديبهم فلا يتأدّب بكتاب ولا سُنّة.

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى: وكلّ مَن لم يكن له أستاذ يوصله بسلسلة الإتّباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له، دَعِيّ لا نَسَبَ له، فإن لم يكن له نور فالغالب عليه غلبة الحال عليه، والغالب عليه وقوفه مع ما يرد عليه لم تُريّضْه سياسة التأديب، ولم يقلّده زمام التربية التدريب. اهـ.

والله تعالى الموفّق بِمَنّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1. سورة العنكبوت، الآية 49.
2. سورة لقمان، الآية 15.

الفصل الثالث عشر

في إعلامهم أنّه لا يصل السالك الناسك إلى حضرة الله، وحضرات صفاته وأسمائه، ولو جَمَعَ علوم الأوّلين، وصَحِبَ طوائف الناس، وعَبَدَ عبادة الثقلَيْن، إلاّ على يدَيْ أصحاب الإذن الخاص.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق: قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ (1)، قال في العرائس:

إنّ الله سبحانه سَنَّ سُنّة أزلية أنْ لا يجد أحدٌ سبيلَه إلاّ ما يقيّض الله له أستاذا عارفا بالله، وبسرِّ دينه وربوبيته، فيدلّه إلى منهاج عبوديته، ومعارج روحه وقلبه إلى مشاهدة ربوبيته، ويكون هو واسطة بينه وبين الله تعالى وإن كان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء بغير علّة ولا سبب. جعله واسطة للتأدّب لا للتقريب، وصيّره شفيعا للجنايات لا شريكا في الهدايات، هداه نور القرآن ودينه حقيقة البيان مع إظهار البرهان. اهـ.

وقال شيخنا ﷺ وأرضاه وعنّا به:

إعلم أنّ الله سبحانه وتعالى جعل في سابق علمه، ونفوذ مشيئته، أنّ المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته يجري في كلّ عصر مع الخاصة العليا مِنْ خلقه مِنَ النبيّين والصدّيقين، فمَنْ فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا، وصحِبَهم، واقتدى بهم، واستمدّ منهم، فاز بِنَيْل المدد الفائض من الله تعالى، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام مَن تقدّمَه من الأموات طُبِعَ عليه بطابع الحرمان، وكان مثله كَمَنْ أعرض عن نبيّ زمانه وتشريعه مستغنيا بشرائع النبيّين

الذين خَلَوْا قبله فيُسجَّل عليه بطابع الكفر،
والسلام. اهـ.
وقال في العرائس، عند قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ (2):

قيل في هذه الآية لا تصحّ الإرادة إلاّ بالأخذ من الأئمّة. ألا ترى كيف نظر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في زمرة أصحابه فقال عليه الصلاة والسلام: "إقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر" رضي الله تعالى عنهما. فلا يصحّ الإقتداء إلاّ بمن صحّتْ بدايته، وسلك سلوك السادات، وأثّر فيه بركات شهودهم. ألا ترى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يقول: "طوبى لمن رآني"، أيّ فاز مَن أثّرت فيه رؤيتي. اهـ.
قال الساحلي في بغية السالك:
أنّ المقصود الأعظم من الشريعة هو تطهير النفس من كدرات متعلقات الجسم بالتزكية عن الأوصاف الذميمة، والتحليّة بالأوصاف الحميدة، حتى تَصِلَ إلى معرفة الله تعالى، وهذا لا يكون إلاّ بمعرفة النفس، ومعرفة عِلَلِهَا على اختلافها، المفرد مِن ذلك والمركّب، ومعرفة الأدوية والأغذية، ولا يحكم ذلك إلاّ الرباني الذي نوّر الله باطنه بأنوار معرفته، وخصّه بآثار حكمته، وأطلعه على أسرار شريعته، وأوقفه على معاني الكتاب والسُنّة.
ولا يكون ذلك إلاّ بمن سلك طريق الدين، وقطع منازل السالكين، وتخلّص من نفسه على أيْدي وارثٍ آخر حتّى صار على بيّنة من ربّه، وأهَّلَهُ الله تعالى لهداية غيره، وخصّهُ بالقوّة المقتضيّة لذلك، وحصل له الإذن الصحيح الصريح في ذلك مِن قدوته. ومهمَا قصُر عن هذه الأوصاف فإنّه معلول يحتاج إلى طبيب يطبّه، وربما بقي فيه من البقيّة ما لا يخلو من غلط. فقد عرفتَ الطبيب: وهو الوارث الكامل. وقد يُسمَّى وارثاً مَن حصل على بعض الأوصاف المذكورة بنوع المجاز لكن منفعته مقصورة على نفسه، وقد ينتفع به القليل الخاص.

وأمّا الإنتفاع الكثير فلا يكون إلاّ مِن الوارث الكامل، الذي رسخ علمُه، وقوى عقله، وتطهّرت نفسه، وصدقت فراسته، وترجح رأيه، وسلِمتْ فطنته، وامتحى هواه، وانشرح صدره بأنوار المعارف ونفحات الأسرار، وأخذَ عن شيخ وارث بهذه الصفات، وأُذِنَ له في الإنتصاب لهداية الخلق بتخليص أنفسهم من عللها، وهذه هي الوراثة الحقيقية. فعليك باتّخاذ مَنْ هو بهذه الأوصاف قدوة ووسيلة إلى الله تعالى في خلاص نفسك وطهارتك، ولتملكه زمام الحكم عليها

من غير ارتياب ولا الْتِواء ولا إعراض، بأن تكون بين يديه كالميّت بين يدَيْ غاسله.
وقد قالوا: مَنْ قال لشيخه " لِمْ؟ " فإنّه لا ينتفع به. وقد علّمنا الله تعالى هذه الفائدة بالإشارة إليها في قصّة موسى مع الخضر عليهما السلام.
وفي الأنوار القدسية في العهود المحمدية:
حُكْمُ الشيخ في سلوكه بالمريد وترقيه بالأعمال كحُكْمِ مَن يَمُرّ بالمريد على جبال الفلوس الجدد، فإذا زهد فيها سلك به حتّى يمرّ به على جبال الفضّة، فإذا زهد فيها سلك به حتّى يمرّ به على جبال الذهب ثمّ الجواهر، فإذا زهد فيها المريد أوْصلَهُ إلى حضرة الله تعالى فأوقفه بين يديه من غير حجاب، فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة
زهد في نعيم الدارين، وهناك يقدّم على الوقوف بين يَدَيْ الله تعالى شيئا أبدا. وأمّا بغير شيخٍ فلا يعرف أحد يخرج من ورطات الدنيا ولو كان مِن أعلم الناس بالنقول في سائر العلوم. أهـ.
وقال في موضع آخر:
فاسلُكْ يا أخي على يد شيخ يقطع علائقك أو يقلبها إلى خير، وإلاّ فمن لازمك كثرة الفواطع تّى تموت، وقد عجز الأكابر، فضلاً عن مثلك، أن يعرفوا طريق قطْعِ علائقهم بأنفسهم من غير شيخ فلم يقدروا. فلا يزال الشيخ يأمرك بإزالة العوائق واحدا بعد واحد حتّى لا يبقى إلاّ واحد فيقول لك: أزِلْهُ وها أنت وحضرة ربّك.

وتحتاج يا أخي إلى طول زمان وصبر على مأمورات شيخك، وغالب الناس يسلك الطريق ويَمَلّ فلا يحصل من قطع العلائق على طائل. وإيضاح ذلك أنّ طريق السير في الطريق طريق غيب، والمريد كالأعمى يريد أن يسلك طريقا طول عمره ما سلكها، والشيخ كالمسافر يسلكها بنور الشمس زمانا طويلا، فعرف مهالكها، فهو بتقدير أنّه يعمى أو يسير في ظلمة الليل يعرف المهالك أو الطريق المسدودة، كدليلِ الحاجّ سواء.
فمَنْ سلّم لشيخ وانقاد له قطعَ الطريق ونجا من العطب، ومَن لم يسلّم لشيخ لا يعرف يمشي، ربما يقع في مهلكة لا يعرف الخروج منها حتى يموت. ولولا أنّها طريق غيبٍ لا يقدر أحد على سلوكها ما كان للدعاة إلى الله فائدة من أنبياء وأولياء وعلماء. فلا بدّ من مزيد خصوصية، تأمل. اهـ. ما في الخلاصة المرضية.
فلا يظنّ أحد أنّ هذه الطريقة يمكن قطعها من غير دليل فتنقطع عليه الطريق، والذي يقضي

منه العجب أنّ من طلب سعدى وسلمى لا يصل إليها مع وجود الجنسية والقرب إلاّ بواسطة يهديه ويوصله، وهذا الغافل يطمع أنْ يَصِلَ إلى الحضرة الإلهية مع ذلك البعد البعيد من غير واسطة ودليل. ما أهوَن عليك أمر ربّك يا غافل! اهـ.

ونقل القشيري بسنده إلى أبي علي الثقفي أنّه قال:

لو أنّ رجلا جمع العلوم كلّها، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلاّ بالرياضة مِن شيخٍ أو إمامٍ أو مؤدِّبٍ ناصح. اهـ.

قلت: قد ضرب الساحلي في بغية السالك مثلا يوضّح أنّ مَن رام الوصول إلى حضرة الله بنفسه من غير استصحاب شيخ مرشد، واصل مأذون له في الإرشاد، وارث كامل، قد رام المحال ولو جمع جميع العلوم، وصحب طوائف الناس، قال رضي الله تعالى عنه:

وهو أنّ ملِكاً ضخم المملكة، عظيم الشأن، باهر الصفات، جميل الأفعال، له حظيرة بديعة العجائب، كثيرة الأعلاق والذخائر، يعمرها مَنِ اصطفاه مِنْ عبيده لنفسه واختاره لأسراره، فأراد هذا الملك أنْ يتعرّف لِمَنْ في بلاه وتحت إيالته من عبيده، وأصناف رعيته، ليقوم بوظائف خدمته فينالوا من

جماله، فوجد لهم مِن خواصّ عبيده مَن عرّفهم به، وقرّر لديهم مِن أوصافه وأفعاله ما يرغّب في خدمته والتعرّض لمعرفته، وأقام هذا الملك مبنًى عظيمَ الهيئة، حسن الموضع، بهِيّ المنظر، جميل الأوصاف، يعلم جميع من يراه بتأمل وتدبر بما احتوى عليه ذلك المبنى من العجائب ما عليه مالكه من عظيم الشأن وجميل الصفات، ونصب من هذا المبنى طريقا سالكة تفضي إلى الحظيرة، وكان من خواصّ عبيده من يعرف هذا الطريق، وما احتوى عليه من مناهل ومراحل، وعقبات وقطاع وآفات، ليدلّوا مَنْ أراد الوصول إلى حضرة الملك على هذه الطريق،

وجعل في كلّ مرحلة بابا يشرع أيّ رياض من روضات الملك، وكلّ رياض محتوي على صنوف من العجائب مُعَدّ لنزول المسافرين على الطريق فيه يستريحون ويتنزّهون، ومنه يتزوّدون إلى المرحلة التي يُقْدِمُ عليها المسافر بعد ذلك، فهو يجد الزاد من رياض المنزل الذي يتلوه، والملك مشرف في حضرته لا يخفي عليه شيء من أحوال رعيّته وعبيده.

فمنهم من سمِع تعريف أولئك الخواص للملك فلم يعرّج عليهم، ولا قَبِلَ منهم استغراقا فيما هم فيه من العمل لأنفسهم، ومنهم من سمع خطابهم، وعقَلَ تعريفهم فصدّقهم ثقة بأمانتهم

ومعرفتهم، ولم ينظروا فيما وراء ذلك، ومنهم من صدّقهم لكن نظروا إلى ذلك المبنى الذي علم أنه ملك للملك وصُنْعِه، وتفكّروا فيما احتوى عليه من العجائب فحصل لهم بذلك زيادة يقين ومعرفة بالملك وما هو عليه من الصفات التي يشهد لها ذلك المبنى ولم ينظروا فيما وراء ذلك، ومنهم ما حصل له ما عند الرجلين بالوجهين المذكورين لكن حمله شرف الهمة

وقوّة العزم على أن يسعى كي يدرك الغاية من معرفة هذا الملك فسأل: هل له إلى حضرته من سبيل؟ فدُلَّ على ذلك الطريق فتعلّق بدليلٍ من أولئك الخواص ليدلّه بذلك الطريق على حضرة الملك ليتصل بغاية معرفته فينتظم في سلك خواصه وأحبابه في حضرته، فشدّ حزامه، وجمع راحلته، ورافق ناسا في السفر إلى الحضرة، كلّهم متعلّق بهذا الدليل الذي يهديهم ثم فرّوا.
فمنهم من أعرض عن دليله واستبدّ بنظره وخاض في السفر برأيه، فما هو إلاّ يسير حتّى عرض له أسد أو لصّ أو غير ذلك من الآفات، أو عمى عليه الطريق حتّى انقطع به دون الرفقة، ونهض الباقون مع دليلهم فنزلوا في المرحلة الأولى في رياض الملك ليتنزّهوا ويستريحوا ويتزوّدوا.
ومنهم من اشتغل في تلك الرياض بالنظر في ظلال مبانيه وأشجاره على أن ينظر في عجائب تلك الرياض ليزداد بما يشاهده من عجاب تلك الرياض قوّة يقين في معرفة الملك فتخلّف فيه.
ومنهم من لم يشتغل بالنظر في ظلال مبانيه وأشجاره، ولكنه ازداد بما يشاهده في تلك الرياض يقينا في معرفة الملك، وحرْصا على لقائه، ورغبة في الورود في حضرته، وعَلِمَ أنّ الزاد ضروري في بلوغه الحضيرة فتزوّد ولازم الدليل فلم يزل المسافرون يتخلّفون في كلّ منزل حتّى لم يبق مع الدليل إلاّ الأنجاد الأكياس مِن الذين حصل عندهم، لِمَا شاهدوه في رياض كلّ منزلٍ، قوّة اليقين في معرفة الملك، وشدة الحرص على الإنتظام في خلصائه في حضرته، حتّى إذا أشرف في باب الحضيرة أطرق من وصف صفات الملك ما ملك قلبه فلم يستطع

اصطبارا، ولا آثر عنه قرارا، فجَدَّ في السير ملازما للدليل حتّى إذ دخل الحضرة واطّلع على عجائبها وذخائرها، وأبصر باهر صفات الملك، إستغرق في حبّه لِمَا حصل له من معرفته.
فكلّما حصل في الحضرة انتظم مع خلصاء الملك، فهو معه لا يفارقه مدى الأحيان، ومِن شأن هذا الملك أن يتولّى مَن تولاّه، ويعطف على مَن أتاه، ويستخلص مَن حصل في حضرته لا تكون منه حركة ولا سكنة إلاّ بإشارته وإمداده، فعنه ينطقون، وبه يتحرّكون ويسكنون، وعنه يُصدِرون، وإليه يرجعون، وعليه يعتمدون.

فالملك هو الله تعالى، وله المثل الأعلى، والخواص هم الرسل وورثتهم، والمبنى هو هذا الوجود، والطريق هو ما اشتملت عليه مقامات الدين، والأدلاّء هم المشايخ الربانيّون، والمراحل هي منازل المقامات، والرياضات هي مراتب التوحيد الذوقي، والزاد هو ما يختصّ به كلّ منزل مِن وظائف الأعمال، والطائفة الأولى هُمْ أهل الكفر والضلال، والطائفة الثانية هُمْ أهل التقليد، والطائفة الثالثة هُمْ أهل النظر والإستدلال، والطائفة الرابعة هُمْ السالكون إلى طريق الأذواق.

ثمّ هُمْ أصناف: فصنفٌ عَدَلَ على رأي قدوته وشيخه اعتدادا بنظر نفسه فأحاطت به علله فانقطع به، وصنفٌ اجتهد حتّى إذا بلغ منزلا من منازل المقامات لعب به هواه فشغله ببعض الأوهام عن النفوذ إلى قدّام، وصنفٌ وهم الأقلّون ـ جعلَنا الله منهم ـ كلّما بلغوا منزلا من منازل المقامات، واطّلعوا على ما اختصّ به من مراتب الوجود، قوى يقينهم، واشتدّ حرصهم، وعَظُمَ عزمهم، فَهُمْ منتهضون إلى قدام، رفضوا ما يعرض لهم ويقع بهم من الأوهام، والحضيرة هي ما اشتمل عليه مقام الإحسان، وبابها المراقبة، والموضع الذي أشرف منه

على بعض الصفات هو الطمأنينة، والحاصلون في الحضيرة هم أهل المعرفة الظافرون بأعلى درجات التوحيد. أهـ.

والله تعالى الموفّق بِمَنّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة التوبة، الآية 33.

2.سورة الأنعام، الآية 90.

الفصل الرابع عشر

في إعلامهم أنّه يجب على كلّ من تعلّق به التلاميذ والمريدون لطلب التربية والإرشاد والتعلّم إذا مَنَّ الله تعالى عليه بوجود مَن هو أعلم وأكمل منه أن ينسلخ عنهم ويتبع، هو وَهُمْ، ذلك الأعلم والأكمل.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، قال في البحر المورود في المواثيق والعهود:

أُخِذَ علينا العهد أن لا نتصدّى لتلقين الذكر، وأخْذِ العهد، ونحن مرتكبون أمراً مذموما في الباطن، كما أنّنا لا نأخذ العهد على أحد ونحن نعلم أنّ في بلدنا مَن هو أقدم منا هجرة وأوْلى، بل نرغّب المريدين في ذلك لقديم الهجرة إذا رأيناهم لا يعتقدون فيه، ونرسلهم له، قياما بحقّ الأدب مع أهل الطريق، وهذا العهد قد صار غالب الفقراء يُخِلّون به، يريد كلّ واحد أن يكون جميع فقراء بلده تلامذته وما هكذا

كان الأشياخ الذين أدركناهم ﷺ، بل كان كلّ واحد يُعظِّم أخاه في غيبته، ويحفظ حرمته، وذلك لعدم فطام أهل عصرنا عن الرعونات على أيدي أشياخهم، فإنّ مَن يُفطم على يد شيخ فمِنْ لاَزِمِهِ غالبا الحسد والحقد في الأقران حُبّاً لإنفراد.

قال: واعلم يا أخي أنّه ليس مقصود أشياخ الطريق بجَمْعِ المريدين على كلمة واحدة إلاّ إقامة شعائر الدين في دولة الأدب الباطني كما أُقِيمَ في دولة الظاهر ليكمل بذلك عبادات المسلمين.

قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ (1)، فافهمْ أنّ طريق القوم قد اندرست وقَلَّ طالبها.

وقد أخبرني الشيخ نور الدين الصندلي رحمه الله تعالى: أنّ الشيخ نور الدين الحسني رحمه الله تعالى سمع قبل موته بسَنَةٍ شخصا يقول: يا أفقه شيوخ بعثاني . يعني بِهِمْ الآلة التي يشرح بها الكتمان . فاعتبر الشيخ وترك التلقين، وأخذ العهد من ذلك اليوم إلى أن مات.

وقد قالوا: كثرة الأشياخ في بلد تدلّ على رخص الطريق عند الناس، ولو أنّ الأشياخ فتّشوا المريدين في مقام الصدق لوجدوهم أقلّ مِنَ القليل فكان يكفي في مثل مصر كلّها مسلك واحد.

قال: ولمّا دخل الشيخ يوسف العجمي رحمه الله تعالى في سلسلة الطريق بمصر بعد أن سمع الهاتف ثلاث مرّات يقول له: إذهبْ إلى مصر، وهو يردّه، فقال في الثالثة: اللهمّ إن كان هذا وارد حقّ فاقلب هذا النهر لَبَناً حتّى أشربَ منه بقصعتي، فانقلب النهر لبنا، فشرب منه وأسقى منه من حضر مِن الناس، ثمّ سافر إلى مصر على أثره، فوجد سيّدي حسنا التستري قد سبقه إلى مصر، فقال: يا حسن، الطريق في مصر لواحد، فإمّا أن تبرز أنت وأكون أنا الخادم، وإمّا أن أبرزَ أنا وتكون أنت الخادم. فردّ كلّ منهما على الآخر، ثمّ أنّ سيّدي حسنا انتصب قائما، ووقف بين يديْ يوسف خادما بجِدّ واجتهاد وعزم وصدق، فلم يزل يخدمه حتّى مات سيّدي يوسف، فبرز سيّدي حسن، وهكذا كان الأشياخ رضي الله تعالى عنهم، فبهداهم اقتده، وافهمْ يا أخي ذلك والله يتولّى هداك. اهـ.

وفي لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية:

أُخِذَ علينا العهد العامّ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن نرغّب إخواننا في العزلة عن الناس إذا لم يَأمَنوا على أنفسهم عند الإختلاط على أصل قاعدة المسلمين في دينهم، وقد أجمع الأشياخ على أنّه ليس للكُمّل الهروب من الناس لعدم الخوف عليهم من الإشتغال بالخلق عن الله تعالى، وأمّا مَن خاف مع دعوى الكمال فدعواه الكمال زور وبهتان، فهو إمّا شخص جلس بنفسه من غير فطام على يد شخص، وإمّا مشيخة مُفْتَرٍ كذّاب لا يصلح أن يكون أستاذا كما هو الغالب في أهل هذا الزمان حين فُقِدَت الأشياخ فصار كلّ مَن سوّلت له

نفسه أن يكون شيخا جمع له بعض الناس من العوام وجلسوا يذكرون الله تعالى صباحا ومساءا من غير آداب الذكر المشهور عند القوم، وظنّ في نفسه أنّه صار شيخا مثل الأشياخ الماضين على أنّه لا يصحّ أن يكون مريدا.

ثمّ قال: ولقد رأيتُ أشخاصا كثيرة ممّن أَذِنَ لهم أشياخهم بالتربية عادوا أشياخَهم وهجوْهم، وأدّعوا أنّهم أعلم بالطريق منهم، فمُقِتُوا، ولم ينجح على أيديهم أحد، وكلّ ذلك وقوع الإذن لهم من أشياخهم قبل خمود نار بشريّتهم، فكان اللوم على الأشياخ لا عليهم.

وقد كان سيّدي علي المرصفي عزيزَ الإذنِ في المشيخة إلاّ أنْ ياتيه إِذْنٌ بذلك من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرارا، فلما مات انحلّ نظام الطريق في مصر وقُراهَا وما ظهر بعده سوى الأخ الصالح سيّدي أبو العباس الحرثي رحمه الله تعالى، وكان يحكي عن سيّدي يوسف العجمي: أنّه لمّا أراد الله تعالى أن ينقله من بلاد العجم سمع قائلا يقول: يا يوسف، إذهبْ إلى مصر انفع الناس شيطان، ثمّ ناداه ثانيا، فقال: شيطان، ثمّ ناداه ثالثا، فقال: شيطان.

فلمّا ناداه الرابعة، قال: اللهمّ إن كان وارد حقّ فاقلب لي هذا النهر لبنا حتّى أغترف منه بقصعتي، فانقلب النهر لبناً، فشرب منه، فعَلِمَ أنّه وارد، فلمّا دخل مصر وجد أخاه الشيخ التستري قد وصل إلى مصر، ولكن لم يتصدّر للمشيخة، فقال له يوسف: يا حسن، الطريق لواحد لأنّها على الأخلاق الإلهية، فإمّا أن أبرز وتكون وزيري وخادمي، وإمّا أن تبرز وأكون وزيرك وخادمك، فردّ الشيخ الأمر لسيّدي يوسف فبرز، وصار سيّدي حسن يخدمه إلى أن مات، فبرز سيّدي حسن بعده بإذنِهِ له في حياته، فأظهر في الطريق العجائب، ودانت له الملوك والأمراء. أهـ.

وفي البحر المورود:

أُخِذَ علينا العهد أن نفرح بكلّ شيخ أو واعظ برز في بلادنا، وأن نقلب إليه جميع أصحابنا حتّى لم يبق حولنا فقير واحد، ومتى تكدّرنا مِن الذي برز وضاق صدرنا منه، فهو دليل على حبّنا للرياسة على عباد الله دون إرادة الخير لهم، والمراتب كلّها بيد الله يفرّقها على من يشاء من عباده، وليس لعبد أن يقول لسيّده: لِمَ عطّلْتني من الشيء الفلاني وأعطيته عبدك الفلاني؟ وربما كان ذلك الشيخ أعلم منّا بالشرائع والحقائق، فتدكدُّرُنا منه حُمق.

وبالجملة فيجب علينا أن ندور مع الحقّ حيث دار، ونتتلمذ لذلك الشيخ موافقة للناس الذين أقبلوا عليه. أهـ.

وفي لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية:

فجاهدْ يا أخي نفسك على يد شيخ ليخرجك من رعونات النفوس حتّى لا تبقى في نفسك شهوة ولا حرص على شيء من الدنيا، ومُرْ أصحابك أيضا بالمجاهدة كذلك يعني على يد شيخ. أهـ.

وقال في الخلاصة المُرْضية:

ويجب على الشيخ إذا رأى شيخا فوقه أن ينصح نفسه ويلزِم الخدمة لذلك الشيخ وتلامذته فإنّه صلاح في حقّه وحقِّ أصحابه، ومتى لم يفعل فليس بمُنْصِفٍ، ولا ناصحٍ نفسه، ولا صاحب همّة، بل هو ساقط الهمّة، بل إنّما هو مُحِبّ للرياسة والتقديم، وهذا في طريق الله ناقص. ألا ترى إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم كيف قال: "لو كان موسى حيّا ما وسعه إلاّ أن يتّبعني"، وإلياس وعيسى عليهما السلام تحت حكم شريعة مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلّم. هكذا ينبغي أن يكون شيوخ هذه الطائفة. أهـ.

قلت: والتصدّر للمشيخة بغير إِذْنِ شيخٍ كاملٍ خطر جدّا لأنّه يكون سببا لسوء الخاتمة، وإنْ لم يتب فاعله فلا يموت إلاّ كافرا.

وفي جواهر المعاني:

ذكر أهل الكشف أمورا أن من فعل واحدة منها ولم يتب منها يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى، وهي دعوى الولاية بالكذب، وادّعاء المشيخة، وهي التصدّر لإعطاء الورد من غير إذن. أهـ.

والله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة الحجرات، الآية 14.

الفصل الخامس عشر

في إعلامهم أنّ المريد إذا تصدّر للمشيخة، وأراد أن يكون له مريدين قبل خمود بشريته وفطامه على يد شيخ، فإنّه محجوب مُحِبّ للرياسة لا يجيء منه شيء.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، قال في بغية السالك:

أمّا الإنتفاع الكثير فلا يكون إلاّ مِن الوراث الكامل الذي رسخ علمه، وقوى عقله، وتطهّرت نفسه، وصدقت فراسته، وترجّح رأيه، وسلمت فطانته، وانمحى هواه، وانشرح صدره بأنوار المعارف ونفحات الأسرار، وأخذَ عن شيخ وارث بهذه الصفات، وأَذِنَ له في الإنتصاب لهداية الخلق بتخليص

أنفسهم من عللها، وهذه هي الوراثة الحقيقية.

ثم قال: وأمّا مَن لم يبلغ هذه المنزلة من الوراثة، ولم يتخلّص تبعات نفسه، فاشتغاله بصلاح نفسه أوْلى وأسلم من فساد الرياسة لأنّه لِمَا بقيَ فيه مِن العلل لا يخلو عن شرّه وبالشره تتراكم الظلم، فتغيب الحكم والإنفعال بها. فالمتعرّض لهداية غيره الهدايةَ المشارِ إليها بغير علمٍ قبل أن تحصل له حقيقة الوراثة فهو لِمَا عنده مِنَ الشرّ والجهل هالكٌ ضالٌّ مضلٌّ، ولقد أحسن القائل حيث قال:

يا من يبثّ لغيره تعليمَه ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليم

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلتَ عظيم

فابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُسمع ما تقول ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

وقال غيره

وكيف تريد أن تُدعى حكيما ... وأنت لكلّ ما تهوى رَكُوبُ

وتعبث دائما ظهراً لبطن ... وترتكب الذنوب ولا تتوبُ

ومَن تعرّضَ لِهداية غيره بغير معرفة فهو خائن، ومَن طَبَّ غيرَه بغير علمٍ فهو ظالمٌ إذْ بِمَا عنده من

الجهل ربما أخرج الأدوية عن موضوعاتها، وعَدَلَ عن مقاديرها، وساق المريضَ إلى الهلكة وعاجله بالمنيّة. أهـ.

وقال بعض العارفين في قوله تعالى: يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (1):
ومن الغرور قوله للمريد إنّك قد بلغتَ منتهى المقامات، وآخر الدرجات، فاسكنْ عن مجاهدتك ورياضتك، وأجلس في مجلس الشيوخ، وتكلّم بكلامهم أنت أعظم منهم حتّى يدور حولك المريدون.

أراد بذلك الغرور أن يُوقعَه في حُبِّ الجاه والرياسة فيهلك فيها كهلاك هؤلاء المطرودين في زماننا هذا طهّر الله تعالى وجه الأرض منهم ومِن أمثالهم. أهـ.
قلت: لهذا السبب حذّر الأشياخ من الإغترار بكلّ مُدّعٍ ناهقٍ، واتّباع كلّ متحايل بما ليس له ناعق، وقالوا الإغترار أصل كلّ غواية والحذر أصل كلّ هداية. والمراد بالإغترار التسليم لكلّ مُدّعٍ، وإنّما يُسَلَّمُ لمن ظهرتْ عليه آثار الخصوصية لا لكلّ مُدّعٍ، بل أجمعوا على كلّ مَن ادّعَى رتبة من الرتب كُلِّف بإقامة الدليل على صدق دعواه، وبنصب ميزان الشرع هل يصدق فيما ادّعاه.
ولا يُسَلَّمُ للمُدّعين، إذْ لو سُلِّمَ لهم لفسَدَ الدين مِن أصله، ولتولّى الأمرَ غير أهله، ولهذه الطريقة حفّاظ يحفظونها، وحَرَسٌ يحرسونها هُمْ أهل الله تعالى وأنصار دينه، أيّدهُم الله بالعلم الباطن والظاهر، وأمدّهم باسمه الحفيظ والناصر، وما أوتي على كثير من الناس إلاّ من الغلط في التسليم فسلّموا لكلّ مُدّع دعواه مُحِقّاً كان أو مُبْطلاً، ورأوا التسليم المأمور به والحقّ أنّه إنّما يسلّم إنْ لاحتْ له آثار الخصوصية، وتأدّبَ بآداب الطريقة. أهـ.
قلت: ومَن لم يكن له حذرٌ وبصيرةٌ تامّة ربما اغترّ بالمدعين الكاذبين ووقع على يدِ واحد مِن أهل الظلام الذين يجتمع عندهم أهل الظلام الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (2).
حكى الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز عن شيخه عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضي الله تعالى عنهما قال:

وقد يكون الرجل مشهورا بالولاية عند الناس، وتُقضَى بالتوسّل به إلى الله تعالى حوائجُ ولا نصيب له في الولاية، وإنّما قُضيَتْ حاجة المتوسّل به إلى الله على يَد أهل التصرّف، وهُمْ رضي

الله تعالى عنهم أقاموا ذلك الرجل في صورة الوليّ ليجتمع عليه أهل الظلام مثله وهُمُ الذين يتصرّفون تبَعاً للقدَر.

فهو عندهم بمنزلة الصورة التي يجعلها صاحب الزرع في فدّانه ليطرد بها العصافير، تظنّ الصورةَ رجلاً فتهرب منه، وذلك في الحقيقة مِن فِعْلِ صاحبِ الفدّان لا مِن فِعْلِ الصورة.
فكذلك أهل التصرّف رضي الله تعالى عنهم يُقيمون ذلك الرجل ويجتمعون عليه الظلام مثله والمتصرّف فيهم خفِيٌّ عندهم وهو لا يظهر لهم لأنّه حقّ وَهُمْ لا يطيقون الحقّ. أهـ.
وإذا فهمتَ ذلك أنّ المغترّ بكلّ مُدّع خائبٌ خاسرٌ، وأنّ ظهور مَن لم يكن صالحا للظهور ضرر عظيم، وعطبٌ جسيم، وعذابٌ أليم عاجلا وآجلا لمتّبعيه إلاّ إذا منّ الله تعالى عليهم بمرشد صادق ينقذهم ويخلصهم بصحبته، ويردّهم إلى طريق الفلاح.
ونُقِل عن القشيري رضي الله تعالى عنه قال:
أنّ الشيخ إذا لم يكن عارفا بالسلوك وما يطرأ على المريد، وأخذَ الطريق من الكتب، وقد يُرَبِّي المريدين طلبا للمرتبة والرياسة، فإنّه مهلك لمن تبعه. فلا بدّ أن يكون عند الشيخ دينُ الأنبياء، وتدبير الأطبّاء، وسياسة الملوك. أهـ.
وفي رسالة الإمام أبي القاسم والخلاصة المرضية:
ومِن آداب المريدين أن لا يتعرّضوا للتصدّر وأن يكون لهم تلميذا ومريدا، فإنّ المريد إذا صار مرادا قبل خمود بشريته وآفته محجوب لا تنفع أحد بشارته وتعليمه. أهـ.
وقال في لواقح الأنوار القدسية:

يتعيّن على كلّ عالم أو شيخ حصلتْ عنده حزازة في صدره بكثرة المريدين لأحد مِن أقرانه، أو بتركِهِم درسه واجماعهم على غيره بحيث لم يكن عنده أحد من الطلبة أو المريدين، أنْ يتّخذ شيخا يسلك على يديه حتّى يُرقّيه إلى درجة الإخلاص بحيث ينشرح لكلّ مَن تحوّل مِن طلبته إلى غيره. فمتى تكدّر مِن طلبته إذا تحوّلوا إلى غيره فليس له في الإخلاص نصيب كما صرّحت به الأخبار. والله يتولّى هداك.
هو الله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة النساء، الآية 120.
2.سورة الكهف، الآية 104.

الفصل السادس عشر

في إعلامهم أنّ أوّل قَدَمٍ يضعه المريد على هذا الطريق: الصدق.
فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، قال الإمام القشيري في رسالته، في باب وصايا المريدين:
فأوّل قَدَمٍ للمريدين في هذا الطريق ينبغي أن يكون على الصدق. وقال في باب الصدق: قال الأستاذ: الصدق تاجنا عماد الأمر وبه تمامه وبه ونظامه، وهو التالي درجة النبوّة قال الله تعالى: فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ (1).
والصادق: الإسم اللاّزم من الصدق والتصديق المبالغة، وأقلّ الصدق استواء السرّ والعلانية، والصادق مَن صَدَقَ في أقواله، والصدّيق مَن صَدَقَ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله.
وقال الشيخ أحمد بن حضرويه: من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق فإنّ الله تعالى قال: " إن الله مع الصادقين ".
وقيل الصدق القول بالحقّ في مواطن الهلكة.
وقال سهل بن عبد الله: لا يشمّ رائحة الجنّة عبد داهن نفسه أو غيره.
وقال أبو سعيد القرشي: الصادق الذي يتهيّأ له الموت ولا يستحي من قدره لو كشف. قال الله تعالى: فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (2).

وحُكِيَ عن أبي عمر والزجاجي أنه قال: ماتت أمّي فورثت دارا فبعتها بخمسين دينار وخرجتُ إلى الحجّ.

فلمّا بلغتُ بابل استقبلني واحد من القيافية، فقال: أيش معك؟ فقلت في نفسي: الصدق خير، ثمّ قلت: خمسين دينارا، فقال: ناولينها، فناولته الصُرّة، فعدّها فإذا هي هي خمسون، فقال لي:

خذها فلقد أخذني صدقك، ثمّ نزل عن الدابة وقال: أركبْها، فقلت: لا أريد، وألحّ عليّ فركبتها، فقال: وأنا على أثرك.

فلمّا كان العام المستقبل لحقَ بي ولازمني حتّى مات.

وقال الشيخ إبراهيم الخواص: الصادق لا تراه إلاّ في الفرض يؤدّيه أو فضل يعمل فيه.

وقال الجنيد: الصدق أن تَصدُقَ في موضعٍ لا ينْجيك منه إلاّ الكذب.

وسُئِل الحارث المحامي عن علامة الصادق فقال: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كلّ قَدْرٍ له في قلوب الخلق من أجل إصلاح قلبه، ولا يحبّ إطلاع الناس على مثاقيل الذرة من حُسن عمله، ولا يكره أن يطلع الناس على الشيء من عمله، فإنّ كراهته لذلك دليل على أنّه يحبّ الريادة عندهم، وليس

هذا من أخلاق الصدّيقين.

وقال بعضهم: مَن لم يُؤدِّ الفرضَ الدائم لم يُقبل منه الفرض المؤقّت. قيل: فما الفرض الدائم، قال: الصدق.

وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنّه يضرّك فإنّه ينفعك.

وقيل: كلّ شيءٍ شيءٌ ومصادقة كذّاب لا شيء.

وقيل: علامة الكذّاب جوده بالحلف من غير مستحلف.

وقال ذو النون: بالصدق سيف الله ما وقعَ على شيء إلاّ وقطعه. أهـ ملخّصا.

قلت: وممّا يدلّ على فضيلة الصدق قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (3).

وقال في السراج المنير:

في الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته، ويدلّ عليه أيضا أشياء، منها ما رُوِيَ عن ابن مسعود أنّه قال: "عليكم بالصدق فإنّه يقرّب إلى البرّ والبرّ يقرّب إلى الجنّة وإنّ العبد ليصدُق فيُكتب عند الله صدّيقا وإيّاكم والكذب فإنّ لكذب يقرّب إلى الفجور والفجور يقرّب إلى النار وإنّ الرجل ليكذب حتّى يُكتب عند الله كذّابا"، ألا ترى أنّه يُقال: صدقتَ وبررتَ، وكذبتَ وفجرتَ.

ومنها ما رُوِيَ "أنّ رجلا جاء إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقال إنّي أحبّ الخمر والزنا

والسرقة والناس يقولون إنّك تحرّم هذه الأشياء ولا طاقة لي بتركها فإن قنعت مني بترك واحدة منها فعلتُ فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم أترك الكذب فقَبِلَ ذلك ثمّ أسلم فلمّا خرج من عند النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم عرضوا عليه الخمر فقال إن شربتُ وسألني النبي صلّى الله عليه وسلّم وكذبتُ فقد نقضتُ العهد وإن صدقتُ أقام عليّ الحدّ وتركها ثمّ عرضوا عليه الزنا فجاء ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد إلى

النبي صلّى الله عليه وسلّم وقال ما أحسن ما فعلتَ لمّا منعتَني عن الكذب أن انسُدّتْ أبواب المعاصي على الوفاء بالكل".

ومنها ما قيل في قوله تعالى حكاية عن إبليس: فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (4): أنّ إبليس إنّما ذكر هذا الإستثناء لأنّه لو لم يذكره لصار كذّابا في ادّعاء إغواء الكلّ، فكأنّه استنكف عن الكذب فذَكَرَ هذا الإستثناء. فإذا كان الكذب شيئا يستنكف منه إبليس لعنه الله فالمسلم أوْلى أن يستنكف منه.

ومنها قول ابن مسعود: "الكذب لا يصلح في جدّ ولا هزل ولا أن يعد أحدكم أخا ثم لا ينجز له إقرؤوا إن شئتم: وكونوا مع الصادقين (5)". أهـ.

قلت: وممّا يدلّ على فضيلة الصدق أنّه أوّل أجزاء النبوّة.

قال القطب الكامل الشيخ عبد العزيز بن مسعود المعروف بالدبّاغ، كما في الإبريز، للشيخ أحمد بن المبارك رضي الله تعالى عنهما:

وأمّا النبوّة فالأوّل من أجزائها قول الحقّ، وهو ممّا ينشأ عن نور في الذات يوجب لها هذا القول، ويكون ذلك من سجيّتها وطبيعتها، ولا يرجع عنه ولو كان فيه مخالفة الأحباب ومفارقة الأوطان، بل ولو كان فيه ضرب الأعناق. وقد طلب المشركون منه عليه الصلاة والسلام أن يرجع عن قوله، وراودوه على ذلك بكلّ حيلة، فأبى وامتنع، ثمّ نصبوا له العداوة، ورموه عن قوس واحد، فما زاده ذلك إلاّ ثباتا ورسوخا، لأنّ الذات الشريفة مطبوعة على قول الحقّ لا يتصوّر عندها غيره.

قال: ثمّ حكى رضي الله تعالى عنه حكايتين:

الأولى: أنّ في بعض بلاد العجم طيورا معلّقة تكون على باب الدار، فإذا دخل سارق نطقت الطيور وقالت: سرقوا بقافٍ معقودةٍ ولا يرجع ذلك الطير عن قوله ولو هُدِّدَ وأشير عليه

بالتخويف، وكذلك لا يرجع إذا أُعْطِيَ شيئا يؤكل، وبالجملة لا يرجع ولو قُتِلَ، يشير رضي الله تعالى عنه بهذه الحكاية إلى تفسير معنى قول الحقّ، وإلى أنّ الخير بالتعلم لأنّ الطير مع بُعْدِهِ عُلِّمَ حتى صار هذا القول سجيّة له فكيف ببني آدم؟ فكيف بالمؤمنين؟

الثانية: أنّ بعض المريدين قال لشيخه: يا سيّدي دلّني عن شيء يربحني مع الله عزّ وجلّ، فقال له الشيخ: إنْ أردتَ ذلك فكن شبيها له في شيء من أوصافه عزّ وجلّ، فإنّك إذا اتّصفتَ بشيء منها فإنّه يسكنك يوم القيامة مع أوليائه في دار نعيمه ولا يسكنك مع أعدائه في دار جحيمه، فقال المريد: وكيف لي بذلك يا سيّدي وأوصافه تعالى لا تنحصر؟ فقال الشيخ: كن شبيهه في بعضها، وقال: وما هو يا سيّدي؟ قال: فكن من الذين يقولون الحقّ فإنّ من أوصافه تعالى قول الحقّ، فإن كنتَ من الذين يقولون الحقّ فإنّ اله سيرحمك.

فعاهد الشيخَ على أنّه يقول الحقّ، وافترقا. وكان بجوار المريد بنتٌ، فدخل الشيطان بينهما حتّى فَجَرَ بها وافتضّها، فلم تقدر البنت على الصبر مع أنّها هي التي طلبتْ منه الفعل لأنّها تعلم أنّ الإفتضاض لا يخفي بعد ذلك، فأعلمتْ أباها فرفعه إلى الحاكم وقال: أنّ هذا فعل ببنتي كذا وكذا، فقال الحاكم للمريد: أتسمع ما يقول؟ فقال: صَدَقَ، فقدْ فعلتُ ذلك، وكان مستحضرا للعهد الذي فارق الشيخ عليه فَلَمْ يقدر على الجحود والنكران.

فلمّا سمع منه الحاكم ما سمع قال: هذا أحمق، إذهبوا به إلى المارستان، فإنّ العاقل لا يقدر على نفسه بما يعود عليه بالضرر. فدخل المارستان، ثمّ جاء مَن رغّب الحاكم، وشفع فيه فسرّحوه.

يشير رضي الله تعالى عنه بهذه الحكاية إلى أنّ عاقبة قول الحقّ لا تكون إلاّ محمودة، والله أعلم. أهـ.

قلت: وصفة المريد، كما قال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز:

أنْ يكون صحيحَ الجزم، نافذ العزم، ماضي الإعتقاد، لا يصغى لأحد من العباد.

ثم قال:

ولنثبت في هذا الباب حكايات ليعتبر بها مَن أراد صلاح نفسه، بعد تقديم كلام، سمعته من الشيخ رضي الله تعالى عنه وهو كالمقدمة للحكايات. سمعته ـ يعني الشيخ عبد العزيز الدبّاغ ﷺ ـ يقول:

كنتُ قبل أن يفتح الله عليّ أشاهد صورة هائلة سوداء طويلة جدّا على صورة جملٍ، وقع لي هذا مرّة واحدة.

فلمّا فُتِحَ عليّ وشاهدتُ من عوالم ربي ما قُدِّرَ لي، فتّشتُ عن عالم الصورة الهائلة وطلبت جنسها في أيّ موضع هو فما رأيت له خبرا، فسألت سيّدي مُحَمَّد عبد الكريم رضي الله تعالى عنه عن ذلك، فأخبرني أنّه لا وجود لجنس تلك الصورة أصلاً، فقلت له: وأيّ شيء شاهدتُ؟ قال: ذلك مِن فِعْلِ الروح، أعني روح ذاتك، فقلتُ له: وكيف ذلك؟ فقال: إنّ الذات إذا جعلتِ الشيء بين عينيْها وجزمتْ به ساعفتها الروح في إيجاد الصورة التي جزمتْ بها، وجعلتْ تخاف منها فتساعفها الروح في إيجادها ولو كان فيها ضرر الذات.

قال: وجزْمُ الذات لا يقوم له شيء، لا في جانب الخير ولا في جانب الشر. قال سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم: وكنتُ قبل الفتح، ومررتُ بموضعٍ، فعرض لي بحر في الطريق لا يُقطَع إلاّ بالسفن، وهو من البحور التي على وجه الأرض. وحصل لي في الذات جزم عظيم بأنّي أمشي عليه ولا أغرق ولا يصيبني شيء، قال: فوضعتُ رجلي على ظهر الماء والجزم يتزايد، فلم أزل أمشي فوقه حتّى قطعتُ الساحل الآخر.

فلمّا رجعتُ مرّة أخرى، وزال الجزم من ذاتي، وجعلتُ أشكّ في المشي عليه، فأدليْتُ رِجلِي أختبرُ فغرقتْ في الماء فأخرجتُها وعلمتُ أنّي لا أطيق مشيا عليه. قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ومتى دامت الذات جازمة بالشيء فإنّ الشيطان لا يقربها، وإنّما يقربها إذا ذهب الجزم منها، وهو يعلم بذهابه لأنّه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فإذا رآه ذهب أقبل عليها بالوسواس حتّى يفُوتَها الخيرُ.

قال رضي الله تعالى عنه: فالجزم مثل صورة المدينة الحصينة، فمتى كان للمدينة سور فلا يطمع فيها العدوّ، ومتى حصل في السور خلل، وظهرت فيه أبوابٌ وفُرَجٌ بادر العدوّ للدخول. فعيب الشيطان ووسوسته تابع لعيب سور الذات الذي هو الجزم. فلْيُبادر كلّ عاقل بإصلاح سور ذاته حتّى لا يقربه شيطان، ولا يستفزّه إنسان.

ومِن هذا المعنى سمعته ﷺ يقول: إذا وُعِدَ الصادقُ أبدا بشيء مِن أمور الآخرة أو الدنيا، فإنْ كان في وقتِ سماعه للوعد ساكنا مطمئنّا جازما بصدق الوعد وعلامة على أنّه يدرك ذلك الشيء لا محالة، وإنْ كان في وقت سماعه للوعد مضطربا مرتابا في صدق الوعد فهو علامة على

أنّه لا يدرك ذلك الشيء. فالجزم علامة أهل الصدق والتحقّق، نسأل الله تعالى بِمَنِّهِ وفضله أن يرزقنا حلاوته وأسراره.

وأمّا الحكايات، فمنها ما سمعتُ أنّ الشيخ رضي الله تعالى عنه يقول:
كان بعض من أراد الله رحمته في الماضين بحُبِّ الصالحين فألقى الله في قلبه أنْ خرج من ماله فباعه، وجمع ثمنه فذهب لبعض مَن اشتهر عند الناس بالصلاح، وكانت تقصده الوفود من النواحي فذهب إليه هذا المرحوم بجملة ماله حتّى بلغ بلده، فسأل عن داره فدُلّ عليها، فدقّ الباب، فخرجت الخادمة فقالت: ما اسمك؟ فقال: عبد العليّ، وكان الشيخ المشهور بالولاية مِن العصاة المسرفين على نفوسهم، وكان له نديم يتعاطى معه الشراب وغيره اسمه عبد العلي، فوافق اسمه اسم هذا المرحوم.
فذهبت الجارية فقالت للشيخ اسم هذا الذي دقّ الباب عبد العليّ، فقال، وظنّ أنّه نديمه: إئذني له، فدخل على الشيخ فوجد الشراب بين يديه، وامرأة فاجرة معه، ورزقه الله تعالى الغفلة عن ذلك كلّه، فتقدّم إليه فقال: يا سيّدي سمعتُ بك من بلادي وجئتك قاصدا لتدلّني على الله عزّ وجلّ، وهذا مالي أتيتك به لله تعالى، فقال له الشيخ: يتقبّل الله منكم، ثمّ أمر الجارية أن تدفع له رغيفا فأخذه، وأعطاه الفأس وأمره بالخدمة في بستان للشيخ عيَّنَهُ له، فذهب ذلك المرحوم من ساعته ونفسه مطمئنة وقلبه مسرور بقبول الشيخ له، فذهب

فرحا للخدمة، وقد لقِيَ نصبا من سفره للشيخ وما استراح حتّى بلغ البستان وجعل يخدم بفرح وسرور ونشاط نفس، فكان مِن قَدَرِ الله عزّ وجلّ وحسن جميله بذلك المرحوم أن صادف مجيئه للشيخ الكذّاب المسرف وفاة رجل من أكابر العارفين، وكان من أهل الديوان، فحضر وفاته الغوث والأقطاب السبعة، فقالوا له: يا سيّدي فلان، كمْ مرّة ونحن نقول لك إهبط إلى مدينة من مدن الإسلام فعسى أن تلقى من يرثك في سرّك ولم تساعدنا، فالآن كانت وفاتك فيضيع سرّك وتبقى بلا وارث، فقال لهم: يا سادتي قد ساق الله إليّ من يرثني وأنا في موضعي،
فقالوا له: ومن هو؟ فقال: عبد العليّ الذي وفد على فلان المبطل، فانظروا إلى حسن سريرته مع الله عزّ وجلّ، وإلى تمام صدقه، ورسوخ خاطره، ونفوذ عزمه، وصلابة جزمه. فإنّه رآى ما رأى ولم يتزلزل له خاطر، ولم يتحرّك له وسواس، فهل سمعتم بمثل هذا الصفاء الذي في ذاته؟

أفَتُوَافِقُونَ على إرثه؟ فقالوا: نعم.
فخرجتْ روح الولي واتّصل عبد العليّ بالسرّ، وأثابه الله عزّ وجلّ على حسن نيّته فوقع له الفتح وعَلِمَ من أين جاءته الرحمة، وأنّ الشيخ الذي وفد عليه مسرف كذّاب، وأنّ الله تعالى رحمه بسبب نيّته لا غير، والله تعالى الموفّق.

ومنها ما سمعه من الشيخ رضي الله تعالى عنه قال: كان لبعض المشايخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوما فقال له مرة: يا فلان أتحبّني؟ قال: نعم يا سيّدي، قال له: مَن تحبّ أكثر أنا أو أباك؟ فقال: أنت يا سيّدي، فقال: أفرأيت إن أمَرْتُك أن تأتيني برأس أبيك أتطيعني؟ قال: يا سيّدي فكيف لا

أطيعك؟ ولكنّ الساعة ترى. فذهب من حينه، وكان ذلك بعد أن رقد الناس، فتسوّر جدار دارهم وعلا فوق السطح، ثمّ دخل على أبيه وأمّه في منزلهما فوجد أباه يقضي حاجته من أمّه فلم يمهله حتّى يفرغ من حاجته ولكن برك عليه وهو فوق أمّه فقطع رأسه وأتى به للشيخ وطرحه بين يديه، فقال له: ويحك أتيتني برأس أبيك؟ فقال: يا سيّدي نعم هو هذا، فقال له: ويحك إنّما كنتُ مازحا، فقال له المريد: أمّا أنا فكلّ كلام عندك لا هزل فيه، فقال له الشيخ رضي الله تعالى عنه: أنظرْ هل هو رأس أبيك؟ فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه، فقال له الشيخ: رأس مَن هو؟ فقال له: رأس فلان العلج، قال: وكان أهل مدينتهم يتخذّون العلوج كثيرا بمنزلة العبيد السودانيين، قال: وكان أبوه غائبا تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش ووعدت علجا كافرا ومكّنته من نفسها، وكوشف الشيخ رضي الله تعالى عنه بذلك فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه، فعلم أنه جبل من الجبال، فكان وارث سرّه، والمستولى بعده على فتحه، والله تعالى الموفّق.
قال، ومنها أنّي سمعتُ الشيخ رضي الله تعالى عنه يقول: جاء بعض المريدين لشيخ عارف فقال له: يا سيّدي القبول لله عزّ وجلّ، فقال: نعم، فأمرَه بالمقام عنده والعكوف على خدمته، وأعطاه مسحاة في رأسها كورة حديد زائدة لا نفع فيها إلاّ تثقيل المسحاة، وكان المريد هو وارث الشيخ بشرط أن لا ينتبه لكورة الحديد المذكورة، فإن انتبهَ وقال ما فائدتها؟ ولأيّ شيء تصلح؟ ولا معنى لها إلاّ التثقيل؟ فإنّه لا يرث منه شيئا.

قال ﷺ: فبقي في خدمته سبع سنين وهو يخدم بالفأس ولا تحرَّكَ له عِرْق وسواس، ولا هزّته عواصف رياح الشيطان، وصارت الكورة المذكورة بمنزلة العدم الذي لا يُرى ولا يُسمع به. فهذه حالة الصادقين الموفّقين، والله تعالى الموفّق.

قال وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: كان لبعض العارفين بالله عزّ وجلّ مريد صادق، وكان هو وارث سرّه، فأشهده الله تعالى من شيخه أمورا كثيرة منكرة ومع ذلك فلم يتحرّك له وسواس، فلمّا مات شيخه وفتح الله تعالى عليه، شاهد تلك الأمور وعلِمَ أنّ الصواب مع الشيخ فيها وليس فيها ما
يُنكَر شرعا إلاّ أنّها اشتبهت عليه. فمِنْ ذلك أنّ إمرأة كانت من جيران الشيخ، وكانت تُذكَر بالسوء، وكان المريد يعرف شخصها، وكان للشيخ امرأة على صورتها ولكنّ المريد لا يعرفها، وكان للشيخ موضع يخلو به بين باب الدار وبين البيوت، وكان المريد لا يبلغ إليه وإنما يقف بالباب، فاتّفق أن دخلت المرأة المشهورة بالسوء على المريد وهو بالباب فجازت الدار، واتّفق أنْ خرجت امرأة الشيخ الشبيهة بها فدخلت على الشيخ الخلوة، وكان أرسل الشيخ إليها ليقضي حاجته منها، فدخلت وقام إليها الشيخ، ومرّت الشبيهة بها نحو البيوت
فرمى المريد ببصره إلى الخلوة فرأى المرأة مع الشيخ وهو يقضي حاجته منها فما شكّ أنّها المشهورة بالسوء، وربط الله على قلبه فلم يستفزّه الشيطان، ثمّ خرجت المرأة، وحانت الصلاة فخرج الشيخ للصلاة وتيمّم، وكان به مرض منعه من الإغتسال، فما شكّ المريد أنّ الشيخ يتيمّم من غير ضرورة، وربط الله على قلب المريد، وكان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام فصنعوا له ماء الفلنيص، عصروه وأتوا له بمائه ليشربه فدخل المريد فوجده يشربه فما شكّ أنّه ماء خمر وربط الهم على قلبه فلم يتحرّك عليه وسواس.
فلمّا فتح الله عليه علم أنّ المرأة التي وطئها امرأته لا المرأة المشهورة بالسوء، وعلم أنّ التيمّم الذي فعله الشيخ لضرر كان بجسده، وعلم أنّ الماء الذي شربه الشيخ ماء فلنيص لا ماء خمر، والله تعالى الموفّق.

قال، وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: كان لبعض المريدين أخ في الله عزّ وجلّ فمات ذلك الأخ وبقي المريد، فجعل إذا فتح الله تعالى عليه بشيء يقسمه بين أولاده وبين أولاد الأخ في الله، وكان لهذا المريد أرض مع أخوته فبيعت عليهم من جانب المخزن ظلما، فلمّا أخذوا ثمنها

كان نصيب المريد منها أربعين مثقالا

سكة زماننا، فقال له إخوته: ما تفعل بدراهمك؟ قال: أقسمُها بيني وبين أولاد أخي في الله تعالى، فاستحمقوه وقالوا له: ما رأينا مثلك في نقصان العقل، تَسَبَّبْ بدراهمك واشْتَرِ بها كذا، واصنع بها كذا، ودَعْ عنك هذه الحماقة التي أنت مشتغل بها. فأرادت نفسه أن تميل إلى قولهم فقال لها: يا نفسي ما تقولي لله عزّ وجلّ إذا وقفتِ بين يديه غداً حيث يقول لي: رزقتك أربعين مثقالا فاستأثرتَ بها وضيّعْتَ حقّ الأُخُوّة، فاليوم أُضَيِّعُك كما ضيّعتهم.

فوفّقه الله تعالى فقسم الدراهم بينه وبين أولاد أخيه في الله عزّ وجلّ، فلمّا خرج من عندهم فتح الله عليه وأعطاه مالا عيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سمِعتْ ولا خطر على قلب بشر، وجعله الله من العارفين لصدق نيّته، ولصدق عزمه، ونفوذ عزيمته، والله تعالى الموفّق. أهـ.

وقال، وسمعت من غير الشيخ رضي الله تعالى عنه: أنّ بعض الأكابر كان له عدّة أصحاب، وكان لا يتخيّل النجابة إلاّ من واحد منهم، فأراد أن يختبرهم يوما، واختبرهم فَفَرّوا بجملتهم سوى ذلك الواحد، وذلك أنّه تركهم حتى اجتمعوا على باب خلوته فأظهر لهم صورة

امرأة جاءته فدخلت الخلوة، فقام الشيخ ودخل معها، فأيقنوا أنّ الشيخ اشتغل معها الفاحشة فتفرّقوا كلّهم، وخسِرتْ نيّاتهم إلاّ ذلك الواحد فإنّه ذهب وأتى بالماء وجعل يسخّنه بقصد أن يغتسل به الشيخ، فخرج عليه الشيخ فقال له: ما هذا الذي تفعل؟ فقال: رأيتُ المرأة قد دخلت فقلتُ لعلّك تحتاج إلى غُسْلٍ فسخّنتُ لك الماء، فقال له الشيخ: وتَتْبَعُنِي بعد أن رأيتَني على المعصية، فقال: ولِمَ لا أتبعك والمعصية لا تستحيل عليك وإنّما تستحيل في حقّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ ولَمْ أخالطك على أنّك نبيّ لا تعصي

وإنّما خالطتك على أنّك بشر وأنّك أعرف منّي بالطريق، ومعرفتك باقية فيك، فالوصف الذي عرفتك عليه لم يزل فلا تتبدّل لي نيّة، ولا يتحرّك لي خاطر، فقال له الشيخ: يا ولدي تلك الدنيا تصوّرتْ بصورة امرأة، وأنا فعلتُ ذلك عمدا لينقطع عنّي أولئك القوم، فادخلْ يا ولدي وفّقك الهن معي إلى الخلوة هل ترى امرأة فيها، فدخل فلم يجد امرأة، فازداد محبّة على محبّته، والله تعالى الموفّق.

قال: ورأيت في كتاب الشيخ محي الدين تلميذ الشيخ تاج الدين الذاكر المسري رحمهما الله

تعالى: أنّ رجلا جاء إلى بعض الأكابر فقال له: يا سيّدي أريد منكم أن تُعطوني السرّ الذي خصّكم الله عزّ وجلّ به، فقال الشيخ: إنّك لا تطيق ذلك، فقال المريد: أطيقه وأقدر عليه، فامتحنه الشيخ بأمر سقط منه على أُمِّ رأسه، نسأل الله السلامة، وذلك أنّه كان عند الشيخ مريد شابّ حَدَثٌ، أبوه مِن الاكابر، فلمّا قال ذلك المريد أنا أطيق السرّ، قال له الشيخ: إنّي سأعطيك إن شاء الله السرّ، فأمره بالمقام عنده.

ثمّ إنّ الشيخ أمر الشابّ الحدث بالإختفاء في مكانٍ بحيث لا يظهر لأحد، ثمّ أدخل الشيخ خلوتَه كبشا فذبحه وجعل على ثيابه شيئا من الدم، فخرج على المريد السابق والسكين في يده، والدم يسيل على يديه، وهو في صورة الغضبان، فقال المريد: ما عندكم يا سيّدي؟ فقال: إنّ الشابّ الفلاني أغضبني فما ملكتُ نفسي أن ذبحته، فها هو في ذلك المكان مذبوحا، يشير إلى الخلوة التي ذبح فيها الكبش، فإنْ أردتَ السرّ يا ولدي فاكتم يا ولدي ولا تذكره لأحد، وإنْ سألني عنه أبوه أقول له مَرِضَ ولدك ومات فإنّه يصدّقني ويحصُل في المسألة
لُطْفٌ، فعساك يا ولدي تساعدني على هذا الأمر وتسترني فيه، فإنْ فعلتَ فأنا أعطيك السرّ إن شاء الله تعالى. فقال المريد، وقد تمعّر وجهُه، وظهر غيظه حيث ظنّ أنّ الشيخ في قبضته:
سأفعل، بكلام يظهر منه الكذب. ففارق الشيخ وذهب سريعا إلى والد الشابّ وأعلمه بالقصّة، وقال له: إنّ الشيخ الكذّاب الذي كنتم تعتقدون فيه الخير قتل ولدكم في هذه الساعة، وجعل يرغّبني أنْ أستره، ويطلب مِنّي أنْ أكتمه عنكم، وإنْ شككتم في الأمر فاذهبوا معي الساعة فإنّكم تجدون ولدكم يتشحط في دمه.
فقال له الناس: ويحك، فإنّ سيّدنا فلان لا يفعل هذا، ولعلّ الأمر شُبِّهَ عليك؟ فقال لهم:
إذهبوا معي حتّى يظهر صدقي أو كذبي. ففشا قوله في الناس، وسمع به أرباب الدولة، فأقبلوا إلى الشيخ سراعا والمريد أمامهم حتّى وقفوا على خلوة الشيخ، فقرعوا الباب، فخرج الشيخ وقال لهم: ما لكم؟ وأيّ شيء أقدمكم؟ فقالوا له: ألا تسمع ما يقول هذا؟ يشيرون إلى المريد، فقال له الشيخ: وأيّ شيء كان؟ فقال له: المريد الذي كنت ترغّبني فيه وتطلب مِنّي كتمانه هو الذي كان، فقال الشيخ: ما وقع بيني وبينك شيء، وما كلّمتك قطّ، فقال

المريد: الكذب لا ينْجيك، قد قتلتَ ولدَ الناس. فصاح الناس على الشيخ مِن كلّ ناحية: قتلتَ ولدَ الناس فالآن نقتلك، يا عدوّ الله تغش الناس بعبادتك، وتخدعهم بخلوتك. فقال

الشيخ: سَلُوهُ مِن أين عَلِمَ بأنّي قتلته، فقال المريد: ألمْ تخرج عليّ وأثَر الدم على يدك وثوبك؟ فقال الشيخ: نعم وقد ذبحتُ شاةً، فقال المريد: فلندخلْ إلى الخلوة إنْ كنتَ صادقا، فدخلوا فوجدوا شاة مذبوحة، فقال المريد: إنّك أخفيتَ القتيل وأظهرتَ هذه الشاة في موضعه لئلاّ تُقْتَلَ به، فقال الشيخ: أرأيت إن خرج الشابّ ولا بأس عليه أتعْلَم
إنّك مِن الكاذبين الذين لا يفلحون؟ فقال المريد: فأخرجْهُ إنْ كنتَ صادقا. فأرسل الشيخ إلى الفتى فخرج، ولا عِلْمَ عنده بما وقع، فلمّا رآه الناس تضرّعوا إلى الشيخ، وجعلوا يسبّون المريد الكاذب. وعند ذلك قال له الشيخ: ألستَ تزعم يا كذّاب أنّك تُطيق السرّ وتقدر عليه؟ فما بالك لم تقدر على كتم هذا الأمر الذي لم يكن منه شيء، وإنّما صنعنا معك هذا لدعواك أنّك تطيق السرّ؟ فاذهبْ فقد أعطيناك السرّ الذي يليق بأمثالك.
فكان ذلك المريد مِن يومه ذلك موعظة للمعتبرين، ونكالا للمُدَّعين الكاذبين، نسأل الله تعالى بِمَنِّهِ التوفيق.

قال: ووقع لرجل آخر حكاية عجيبة، وذلك أنّه كان شيخٌ مِنْ رَكْبِ الحجيج، وكان من بلاد المغرب، وكان يعتني كثيرا بلقاء الصالحين ويحبّهم، ويُفَتِّش على الذي يربح على يديه. فكان هذا دأبه إذا طلع إلى المشرق وإذا رجع. فالْتقى بمصر مع بعض الصالحين، فأعطاه أمانة وقال له الرجل: الذي يطلبها منك هو صاحبك.

فما زال يطوف على الصالحين الذين يعرفهم واحدا واحدا حتّى قدِم لبلده ودخل داره، وبقى ما شاء الله، فلقيه ذات يوم جاره فقال له: أين الأمانة التي أعطاكها فلان بمصر؟ فعَلِمَ أنّ جاره هو صاحب الوقت، فسقط على رجليه يقبّلها ويقول: يا سيّدي كيف تُخْفُون أنفسكم عليّ وما تركتُ صالحا يشار إليه بالمشرق والمغرب إلاّ أتيتُه وأنتم جيراني وأقرب الناس إليّ؟ ثمّ طلب منه السرّ الذي خصه الله به، فقال له الشيخ: هذا أمرٌ لا تُطيقُه، فقال: بل أطيقه يا سيّدي، فقال الشيخ: فإن كنتَ تطيقه فاعملْ بشَرطي، فقال: وما شرطك يا
سيّدي؟ فقال الشيخ: شرط لا كبيرُ ضررٍ عليك فيه، هو أنْ تحلِق لحيتك الطويلة هذه، فقال له: يا سيّدي كيف يسوغ لي ذلك وبها أُهاب وأُعظّم في طريق المشرق؟ فقال الشيخ: فإنْ أردتَ السرّ فافعل ما أقوله لك، فقال: يا سيّدي هذ أمر لا أطيقه، فقال له الشيخ: وما بقى لك عليّ

ذنب حيث لم تقبل شرطي، ففارقه. فلمّا مات الشيخ وفَاتَهُ ما فَاتَهُ ندم وقال: لو كان عقلي اليوم عندي وزمن الشيخ لفعلتُ ما قال وزدت عليه.

قال: وسمعتُ من بعض الثقاة ممّن كان يرى النبي صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة، وكان يشمّ رائحة مدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم في مدينة فاس، قال: كنتُ مع بعض الأولياء يوم الجمعة في جامع الأندلس، فلمّا صلّيتُ الجمعة وخرجت من الجامع فإذا برجل يُقَبِّلُ يد ذلك الوليّ ويقول: يا سيّدي إنّي أحبك لله عزّ وجلّ، فقال له الولي، وقد نظر فيه نظرة منكرة: ألم تعلم أنّ الله يعلم السرّ وأخفى؟ يعني: فَهَلاّ اكتفيتَ بعِلْمِ الله وحُسْنِ جزائه؟ وذهب الوليّ وجعل الذي ادّعى المحبّة يبكي ممّا سمعه من الولي، فتقدّمت إليه وقلت: يا هذا، إنّك قد ادّعيتَ أمرا عظيما، ولا بدّ للشيخ أنْ يختبرك، فكُنْ رجلا وإلاّ فهو الفراق بينك وبين الشيخ، قال، وكان جارٌ للشيخ في بعض بساتينه، وكانت شجرة تين للشيخ في الحدود، فكان ذلك المدّعي يجنيها كلّ عام والشيخ يصبر ويعفو ويصفح ويحسن جواره، فلمّا ادّعى المحبّة أسقط عنه كلفة التحمّل، وقال له: إنّ الشجرة شجرتي لا شيء لك فيها، فأنكره المدّعي وقال: هي لي. فقام الشيخ معه على ساق الجدّ في النزاع والخصام حتّى سمعتُ ذلك المدّعي يسُبّ الشيخ ﷺ.

قال: وسمعت الشيخ رضي الله تعالى عنه يقول: كان بعض الشيوخ المجاذيب يُظهِرُ مخالفة لِيَفِرَّ عنه الناس حتّى أنّه أراق على ثوبه ذات يوم خمرا فجعل الناس يشمّون منه رائحة الخمر ويفرّون منه ولم يبق معه إلاّ وارث سرّه، فقال: فعلتُ هذا عمْداً ليفرّ عنّي هؤلاء النمل، يشير إلى كثرة الناس الذين كانوا يتبعونه، فإنّه لا حاجة لي فيهم والحاجة إنّما هي بك وحدك، والله تعالى الموفّق.

قال: وسمعت الشيخ رضي الله تعالى عنه يقول: جاء رجلٌ إلى بعض الأولياء وجعل يتأمّله ويصعد فيه النظر حتّى تأمّله مِن رأسه إلى رجليْه، فقال له الوليّ: ما مرادك؟ قال: يا سيّدي هذه غنيمتي، أردتُ أن تنظر ذاتي ذاتَك لتشفع فيها غدا بين يدي الله تعالى، قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ربح ذلك الرجل ربحا كثيرا، وكان رضي الله تعالى عنه إذا ذكر هذه الحكاية يقول: الناس باقون في هذه الأمّة والحمد لله، والله تعالى الموفّق.

وقال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: جاء بعض الصادقين إلى بعض من يعتقد فيه الخير فقال: إنّي أحبّك في الله عزّ وجلّ، فقال له الشيخ، وكان ذلك عند صلاة الصبح: فإنْ أردتَ

أنْ تربح فلا ترجعْ إلى دارك أبدا، واذهبْ إلى بلاد المشرق، فقال: فامتثل ولم يخالف فربح دنيا وأخرى، والله الموفّق.

قلت: وبما قدّمنا يظهر لكلّ مَن له أدنى عِلْمٍ معرفة أن لا سعادة أصلا إلا بالصدق، ولا شقاوة إلاّ بالكذب، لأنّ رأس كلّ خير هو الصدق في الإيمان بالله تعالى وبكل ما جاء عنه، وبه يصِحّ إيمان المؤمن، ورأس كلّ شرّ هو الكذب في ادّعاء الإيمان لأنّ من لم يكن في إيمانه صادقا فهو المنافق الذي يكون في الدرك الأسفل من النار. وإذا كان هذا في مرتبة الإيمان الذي يشترك فيها الطالح والصالح فما ظنُّك بمرتبة الإحسان الذي يريد أن يصل إليها؟ فكيف يدخل الكاذب حضرة الحقّ الذي لا يقبل إلاّ الحقّ؟ وذلك لا يكون أبدا.

إن قلت ظهرت لنا حقيقة الصدق والكذب وفضل الصدق والصادقين، وقبح الكذب والكاذبين، ولا نريد أن تزيد في تبيين حقيقة المريد الصادق.

قلت: إنّ المريد، كما في جواهر المعاني:

هو الذي عرف جلال الربوبية وما لها من حقوق في مرتبة الألوهية على كلّ مخلوق مِن دوام الرضا والخضوع والتذلل إليه، والعكوف على محبّته وتعظيمه، ودوام الإنحياش إليه وعكوف القلب عليه، معرضا عن كلّ ما سواه حبّا وإرادة، فلا غرض له ولا إرادة في شيء سواه لِعِلْمِهِ أنّ كلّ ما سواه كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا (6). لمّا عرف هذا، وعرف ما عليه من دوام العكوف على الإنقطاع عن الحضرة الإلهية، وعرف خسّة نفسه في كثرة شؤمها وشرهها أنّها في جميع توجّهاتها مضادّة للحضرة الإلهية، وأنّ جميع حضوضها ومراداتها مناقضة للحقوق الربّانيّة، وعرف ما فيها من التثبط والتثبيط عن النهوض بالقيام بحقوق الحقّ ومعرفة ما يجب له تعالى من الخدمة والأدب بِمَا أَلِفَتْهُ من الميل إلى الراحات، والعكوف على الشهوات، والإنقطاع عن خالق الأرض والسماوات، وأنّ جميع حظوظها لا تدور إلاّ في هذا الميدان، وعرف عجزه

عن تقويم هذه النفس الأمّارة بالسوء وعن ردّها إلى الحضرة الإلهية منقطعة عن هواها وشهواتها، وعرف أنّه إنْ قام معها على هذا الحال استوجب من الله تعالى في العاجل والآجل من الغضب والمقت، وشدّة العذاب والنكال المؤبد للخلود ما لا حدّ له ولا غاية، وارتعد قلبه في هذا البلاء الذي وقع فيه، والعلّة المعضلة التي لا خروج منها، ولا يمكنه المقام مع نفسه على ما هي فيه ممّا

ذُكِرَ قبل من استجابة الغضب والمقت من الله تعالى، ولا قدرة له عى نقل نفسه من مقرّها الخبيث إلى استيطان الحضرة الإلهية، فحين عرف هذا رجع
بصدقٍ وعزمٍ وجِدٍّ واجتهادٍ في طلب الطبيب الذي يخلّصه من هذه العلّة المعضلة، ويدلّه على الدواء الذي يوجب به كمال الشفاء والصحة، فهذا هو المريد الصادق، وأمّا غيره ممّن لم يتّصف بهذه الصفات المتقدّمة فهو طالب لمرتبة لا غير، قد يَجِدُ وقد لا يَجِدُ، تعلّقتْ نفسُه بأمر طلبه، وأمّا الأوّل فلِمَكَانِ صِدْقِهِ كان الشيخ أقرب إليه من طلبه، فإنّ عناية الحقّ به التي وهبته ذلك العلم المذكور هي التي تقوده إلى الشيخ الكامل، وتُلْقِيهِ في حضرة الشيخ الواصل، وتقلب له قلب الشيخ بالمحبّة والتعظيم فيقع الإئتلاف
بينهما والأدب فينفتح باب الوصول لأنّ عناية الحقّ متى وقعت على أمر جذبته جذبا قويّا لا يمكن تخلّفه ولو كان ما كان. فالذي يجب على المريد الصادق في الطلب كمال العلم المتقدّم وشدّة الإهتمام بالأمر المطلوب، وعماية القلب عمّا سوى مطلوبه، فلا يشتغل بشيء سوى ما يريد. هذا هو الصدق المفيد، وهو الذي يخرجه من المقت اللاّحق. اهـ.
وإذا علمتَ أنّ الصادقين من السعادة ما لا يحيط به الأكابر الفحول، وللكاذبين من الشقاوة ما لا تُكَيِّفُهُ الأفكار والعقول، فاخترْ لنفسك ما تريد.

ومن تكن نفسه أبيّة ... يجنح للمراتب العليّة
أمّا الذي همّته دنيّه ... فلا مبالاة له سنيّه
ففوق جهل الجاهلين يجهل ... وتحت سبل المارقين يدخل

فخذ صلاحا بعد أو فسادا ... وشقوة ترديك أو إسعادا
وقربا أو بعدا أو سخطا أو رضا ... وجنّة الفردوس أو نار لظى

والله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1. سورة النساء، الآية 69.
2. سورة البقرة، الآية 94.
3. سورة التوبة، الآية 119.
4. سورة ص، الآيتان 82 – 83.

5.سورة التوبة، الآية 119.
6.سورة النور، الآية 39.

الفصل السابع عشر

في إعلامهم أنّ الوليّ لا يُعرف ولا يُصحب ولا يُحبّ ولا يُخدم إلاّ لله، ومن كان كذلك انتفع به دنيا وأخرى ولو بعد حين، ومَن لا فلا ولو صحبه أعواما ودهورا، ولو كان قطبا، بل عطَبُه أقرب إليه مِن شراك نعله.
فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به:
وأمّا ما يقطعه، يعني المريد عن أستاذه، فأمور، منها الأغراض سواء كانت دنيوية أو أخروية، وذلك أنّ الشيخ لا يُصحب ولا يُعرف إلاّ لله عزّ وجلّ لا لشيء سواه. وهي، يعني الصحبة، في أمرين: إمّا أن يواليه لله تعالى بأنْ يقول: هذا وليّ الله وأنا أواليه لله، وسرّ ذلك في قوله صلّى لله عليه وسلّم مخبرا عن الله "من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب"، وفي طيّه "مَن والى لي وليّا لأجل أنّه وليّ، إصطفيته واتّخذته وليّا". وهذا هو السرّ الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى.
والأمر الثاني أن يعلم أنّ الشيخ مِن عبيد الحضرة، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب، وما يفسد المرء فيها من الأوطار والأرب. فإذا علم هذا يصحبُه ليدّله على الله تعالى وعلى ما يقرّبه منه. والصحبة في هذين الأمرين لا غير، ومَن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة. فاذا عرفتَ هذا فاعرف أنّ الربّ سبحانه وتعالى يُعبد لا لغرض بل لكونه إلَهاً يستحقّ الألوهية والعبودية لذاته لِمَا هو عليه مِن محامد الصفات العليّة والأسماء البهيّة، وهذه هي العبادة العليا.

وكذلك الشيخ يُصحب لا لغرض، بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى رضي الله تعالى، ويتعرّف منه الآداب المرْضيّة، وما يُشين العبد في حضرة الله تعالى.
وقال أيضا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به في قول ابن عطاء رضي الله تعالى عنه: (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلاّ مِن حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلاّ مَن أراد أن

يوصله إليه):

ومعنى الحكمة هو أنّه إذا وصل الله عبدا إلى وليّ وأقر سبحانه في قلب ذلك العبد أنّ هذا مِنَ الأولياء قطعا لا يتردّد ولا يشكّ، ثمّ خدَمَه بالصدق والأدب، وأشرقت محبة ذلك لولي في قلبه، وكانت فيه من حيث أنّه من أهل حضرة الله وممّن اصطفاه الله تعالى لنفسه فأحَبَّه لأجل هذا الغرض لا لغرض آخر، فلا شك أن هذا يصل إلى الله ولو بعد حين. وأمّا إذا وصل إلى الوليّ وأقبل على أغراضه وشهواته ولم ينل من الوليّ إلاّ ما طابق أغراضه فليس هذا مِن أهل الوصول إلى الله تعالى ولا مِن أهل الوصول إلى الوليّ.

غاية الوليّ في هذا أنّه يُديم معاشرته من باب الإحسان إلى الخلق الذي أمره الله تعالى به ومعاشرتهم بالمعروف، ويقبض عنه أسراره. فهذا وإن بقي مع الولي ألف عام لم ينل منه شيئا لأنّ لسان حال الوليّ يقول له: ما وصلتنا لله ولا وصلتنا لأجلنا وإنّما وصلتنا لغرضك الذي كنت تناله، لا نسبة بيننا وبينك، والسلام.

قال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز:

وسمعته، يعني القطب عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ رضي الله تعالى عنه، يقول: أنّ المحبّ لا ينتفع بمحبّة الكبير له، ولو كان الكبير نبيّا، حتّى يكون الصغير هو الذي يحبّ الكبير، فحينئذ ينتفع بمحبّته، إلاّ الله تعالى فإنّه تعالى إذا أحبّ عبدا نفعته محبّته ولو كان العبد في غاية الإعراض.

وقال رضي الله تعالى عنه: إنّ الصغير إذا أحبّ الكبير جذب ما في الكبير ولا عكس، وكانت بين يديه إجّاصة فقال: إنّ هذه إذا أمدّها الله تعالى بمحبة تفاحة حامضة مثلا وتمكّنت فيها المحبّة غاية فإنّها تسفّ ما فيها حتّى أنّا إذا

شققناها وجدنا حموضة التفاحة فيها، ولا نجد في التفاحة شيئا من طعم الإجّاصة، إلاّ الله تعالى فإنّه إذا أحبّه العبد لا يجذب شيئا من أسراره تعالى ما لم يحبّه الله. وسرّ الفرق هو أنّ الله تعالى لا يحبّ عبدا حتى يُعرّفه به، وبالمعرفة يطّلع على أسراره تعالى فيقع له الجذب إلى الله تعالى، بخلاف محبّة العبد من غير معرفة له بربّه عزّ وجلّ فإنّها لا تقضي شيئا.

قال: فقلت فإنّهم يقولون أنّ الشيخ يكون مع مريده في ذات المريد ويسكن معه فيها، فقال رضي الله تعالى عنه: ذلك صحيح، وهو من المريد لأنّه إذا قوِيّتْ محبّته جلب الشيخ حتّى يكون

على الحالة المذكورة، فتصير ذات المريد مسكنا للشيخ، وكلّ واحد يزيّن مسكنه، يشير إلى تأثير الشيخ في ذات المريد إذا سكنها.

قال: وسمعته يقول أنّ المريد إذا أحبّ الشيخ المحبّة الكاملة سكن الشيخ معه في ذاته ويكون بمنزلة الحبلى التي تحمل بولدها، فإنّ حملها تارة يتمّ صلاحه فيبقى على حالة مستقيمة إلى أن تضعه، وتارة يسقط ولا يجيء منه شيء، وتارة يحصل رقاد ثمّ يفيق، والإفاقة تختلف، فقدْ يفيق بعد شهر وقد يفيق بعد عام وقد يفيق لأكثر من ذلك، فهكذا حالة المريد إذا حمل بشيخه، فتارة تكون محبّته خالصة تامّة دائمة فلا يزال أمر الشيخ يظهر في ذاته إلى أن يفتح الله تعالى عليه، وتارة تكون محبّته منقطعة بعد أن كانت صادقة، وانقطاعها بسبب

عروض مانع، نسأل الله تعالى السلامة منه، وتتبدّل نيّته في الشيخ وتنقطع أسرار الشيخ عن ذاته بعد أن كانت ساطعة عليها، وتارة تقف محبّته في سيرها ثمّ تعود إلى سيرها لمدّة قريبة أو متوسّطة أوطويلة، تقف أسرار ذات الشيخ عن ذاته، فإذا رجعت المحبّة رجعت الأسرار. فليختبر المريد نفسه مِن أيّ قِسْمٍ هو مِنَ هذه الأقسام الثلاثة، وليسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق والهداية إنّه سميع قريب. قال: قلت وهذه الاقسام موجودة في المريدين، فليتحفظ المريد على هذا الكلام فإنّه نفيس في بابه، والله تعالى أعلم

قال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: لا ينتفع المريد بمحبّة شيخه إذا أحبّه لسرّه أو لولايته أو لعلمه أو لكرمه أو لنحو ذلك من العلل حتى تكون محبّته متعلّقة بذات الشيخ متوجهة إليها لا لِعِلّة ولا لغرض مثل المحبّة التي تكون بين الصبيان، فإنّ بعضهم يحبّ بعضا من غير أغراض باعثة على المحبّة بل مجرّد الألفة لا غير، فهذه المحبّة ينبغي أن تكون بين المريد والشيخ حتى لا تزهق محبّة المريد إلى الأغراض والعلل، فإنّها متى زهقت إلى ذلك دخلها الشيطان فأكثر فيها الوساوس، فربّما تنقطع وربما تقف كما سبق في القسمين

الأخيرين، والله تعالى أعلم.

قال: وسألته ﷺ: لِمَ كانت المحبّة للعلم والولاية والسرّ ونحو ذلك لا تنفع؟ فقال ﷺ: لأنّ الأسرار والمعارف ونحوها كلّها من الله تعالى، وكلّ واحد يحبّ الله تعالى فإلى الآن ما أَحَبَّ شيخَه وإنّما تتحقّق للشيخ إذا أحبّه لخصوص ذاته لا لِمَا قام بها من الأسرار، فقلت: وكذا ذات

الشيخ هي من الله تعالى وكلّ شيء منه، فلِمَ نفعتْ محبّةُ البعض دون البعض؟ فقال: صدقتَ، وغرضنا بمحبّة الذات الكناية عن كون المحبّة خالصة لله تعالى لأنّ الذات بمجرّدها لا يُتصوّر منها

نفع ولا غيره، فإذا توجّهتِ المحبّة نحوها كان ذلك علامة على الخلوص من الشوائب. قال:
فقلت: أن الناس لا بدّ لهم من أغراض وإرادات، فمَنْ حرَثَ بقصد الفضل الحاصل له منه فيجب الحرث للفضل لا لذاته، فقال ﷺ: نعم، ولكنّه إذا نوى الفضل وقصده في أوّل الأمر ثمّ شغل فكره بغيره بحيث أنّه لا يبقى له على بال، فهذا يحصل له الفضل الكبير وتجيئه الصابة العظيمة، وأما إن شغل فكره بهذا الفضل ليله نهاره، وجعل يفكّر ويقدّر كيف يكون وما يفعل به إذا كان، فهذه لا يحصل له فضل، بل يركبه الوسواس قبل أن يحصل له
الفضل،، فلا يزال يقول في نفسه هل أدرك هذا الفضل، ولعلّ الآفة الفلانية تأتي عليه أو يُغير عليه بنو فلان ونحو هذا من الوسواس، بخلاف الأوّل فإنّه مستريح الفكر في أمر الفضل وفي أمر الوسواس، فهكذا حال مَن أحبّ الشيخ لذاته ومَن أحبّه لِعِلّةٍ.
قال: وكنت أتكلّم معه ذات يوم ونحن في جزاء ابن عامر بمحروسة فاس أمّنها الله، فقال: إنّ سيّدي منصورا في رأس الدرب أتحبّ أن تلتقي معه وتعرفه؟ فقلت: يا سيّدي نعم حُبّا وكرامة، وكيف لا أحبّ أن ألتقي مع القطب؟ فقال لي رضي الله تعالى عنه: أمّا أنا فلو قدرنا أنّ أباك وأمّك ولدا من يماثلك في شكلك وصفاتك وعلمك وجميع ما عليه ذاتك باطنا وظاهرا عدد مائة ما نظرتُ إلى واحد منهم، أنت حظّي وقسمتي وَهُمْ عندي كسائر الناس، فاستيقظتُ مِن غفلتي وانتبهت من نومتي، وعلمتُ أنّي ما جئت بشيء فإنّ المحبّة لا تقبل الشركة والله تعالى أعلم.
قال: وسمعتُه رضي الله تعالى عنه يقول: إنّ طالب السرّ من المريد هو ذاته الترابية، ومُعطي السرّ من الشيخ هو ذاته الترابية، فإذا كانت الذات الترابية من المريد تحبّ الذات الترابية مِنَ الشيخ محبّةً مقصورة عليها أمَدَّتْها بأسرارها ومعارفها، وإذا

كانت ذات المريد تحبّ أسرار ذات الشيخ، وزهقت المحبّة إليها وإلى معارفها، منعتْها الذات الترابية من مطلوبها، ثم لا تقدر لها الروح ولا غيرها على شيء، فليجهد المريد جهده في محبّة ذات شيخه، مُعرضا عن النفع مطلقا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله تعالى أعلم.
قال: وسألته رضي الله تعالى عنه عن المحبّة، هل لها من أمارة وعلامة؟ فقال رضي الله تعالى عنه:

لها أمارتان، الأمارة الأولى: أن تكون راحة المريد في ذات شيخه، فلا يتفكّر إلاّ فيها، ولا يجري إلاّ لها، ولا يهتمّ إلاّ لها، ولا يفرح إلاّ بها،
ولا يحزن إلاّ عليها، حتى تكون حركاته وسكناته سرّا وعلانية، حضورا أو غيبة، في مصالح ذات الشيخ وما يليق بها، ولا يبالي بذاته ولا بمصالحها. الأمارة الثانية: الأدب والتعظيم لجانب شيخه، حتى لو قدّر أنّ شيخه في بئر وهو في صومعة لرأى بعين رأسه أنّه هو الذي في البئر وأنّ شيخه هو الذي في الصومعة لكثرة استيلاء تعظيم الشيخ على عقله.
قال: وقال رضي الله تعالى عنه: إنّ الناس يظنّون أنّ الجميل للشيخ على المريد، والجميل في الحقيقة للمريد على الشيخ، لأنّه سبق أنّ محبّة الكبير لا تنفع، ومحبّة المريد هي الجاذبة. فلولا طهارة ذات المريد، وصفاء عقله، وقبول نفسه للخير، ومحبّته الجاذبة، ما قدر الشيخ على شيء، ولو كانت محبّة الشيخ هي النافعة لكان كلّ مَن تتلمذ له يَصِلُ ويبلغ ما بلغت الرجال.
قال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: علامة كوْن المريد يحبّ الشيخ المحبّة الصادقة النافعة أن تقدّر زوال الأسرار والخيرات التي في ذات الشيخ حتى تكون ذات الشيخ مجرّدة مِن ذلك كلّه وتكون كذوات سائر العوام، فإن بقيت المحبّة على حالها فهي محبّة صادقة، وإن تزحزحت المحبّة وزالت بزوال الأسرار فهي محبّة كاذبة، والله تعالى أعلم.

قال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: علامة المحبّة الصافية سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله وجميع أحواله كلّها موفّقة مسدّدة في نظر المريد، فما فَهِمَ له وجها فذاك، وما لم يفسّر له سرّا فكلّه إلى الله تعالى مع جزمه بأنّ الشيخ على صواب. ومتى جوّز أنّ الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه سقط على أمّ رأسه ودخل في زمرة الكاذبين.
قال: وقال رضي الله تعالى عنه: والشيخ لا يطلب من مريده خدمة ظاهرية، ولا دنيا ينفقها عليه، ولا شيئا من الأعمال البدنية، وإنّما يطلب منه هذا الحرف لا غير، وهو أن يعتقد في الشيخ الكمال والتوفيق والبصيرة والقرب من الله عزّ وجلّ، ويدوم على هذا الاعتقاد اليوم على أخيه، والشهر على أخيه، والسنة على أختها، فإنْ وجَدَ هذا الاعتقاد انتفع المريد به ثمّ بكلّ ما يخدم به الشيخ بعد ذلك، وإنْ لم يوجد هذا الاعتقاد، أو وجد ولم يدم، فإنّ عرض فيه الوسواس، فالمريد على غير شيء.

قال: وكنت ذات يوم معه بقرب الحديد، أحد أبواب فاس حرسها الله تعالى، ومعنا بعض الناس،، وكان يخدم الشيخ كثيرا ويتسخّر له في كلّ ما يعنّ ويعرض حتى أنّه لا يبلغه في ذلك أحد أصحابه رضي الله تعالى عنه، فقال له الشيخ رضي الله تعالى عنه: أتحبّني يا فلان لله عزّ وجلّ؟ فقال: نعم يا سيّدي، محبّة خالصة لوجه الله تعالى الكريم، لا رياء فيها ولا سمعة فغيّرني ذلك حين سمعته، فقال له الشيخ: أفرأيت إنْ سمعتَ أنّي سُلبتُ وزالت الأسرار التي في ذاتي أتبقى على محبتك؟ قال: نعم، فقال الشيخ: فإن قالوا لك أنّي رجعتُ

طرّاحا أو زبّالا أو نحو ذلك أتبقى على محبّتك؟ قال: نعم يا سيّدي، قال الشيخ: فإن قالوا لك أنّي رجعتُ عاصيا ارتكبت المخالفات ولا أبالي أتبقى على محبّتك؟ قال: نعم يا سيّدي، فقال الشيخ: وإن مرّتْ عليَّ وأنا على ذلك سَنَةٌ ثمّ سنة ثمّ سنة إلى أن عدّ عشرين سنة، قال: نعم ولا يدخلني شكّ ولا ارتياب، فقلت للرجل: ويحك إن هذا الأمر لا تطيقه، فقال الشيخ: إنّي سأختبرك، فقلت للرجل: ويحك هذا أول الخوف عليك، وكيف يطيق الأعمى أن يختبره البصير، فاطلب من الشيخ العفو والعافية، واعترف له بالعجز والتقصير وأنا معك في
ذلك، ثم تضرّعنا إليه جميعا في الإقالة والعفو، فسبق ما سبق إلى أن اختبره بأمر فيه صلاحه فلم يظهر له وجهه فلم يُطِقْه، فتبدّلت نيّته في الشيخ رضي الله تعالى عنه، قال: قلت: سرّ الله لا يطيقه إلاّ مَن كان فخّاره صحيحا بأن يكون صحيح الجزم، نافذ العزم، ماضي الاعتقاد، لا يصغي لأحد مِن العباد، قد صلّى على مَن عدا شيخه صلاته على الجنازة اهـ.
والله تعالى الموفق بمنه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثامن عشر

في إعلامهم أن الشيخ وهو الوليّ الكامل في قومه، كالنبيّ في أمّته، وأنّ مبايعته كمبايعة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لكونه نائبا عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، قال شيخنا ﷺ وأرضاه وعنّا به، كما في جواهر المعاني:

ومِن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده، أنْ لا يشرك في محبّته غيره، ولا في تعظيمه ولا في الإستمداد منه ولا في الإنقطاع إليه، ويتأمل ذلك في شريعة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ مَن سوّى رتبة نبيّه محمّدا صلّى الله عليه وسلّم برتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبّة والتعظيم والإستمداد والإنقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافرا إلاّ أن تدركه عناية ربانية بسبق محبّة إلهية، فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه صلّى الله عليه وسلّم في التعظيم والمحبّة والإستمداد

والإنقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل به غيره هذه الأمور، ولا يشرك غيره به. اهـ.

وقال في الخلاصة المرضية:

روى السهروردي بسنده أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "والذي نفس محمّد بيده لئن شئت لأقسمنّ لكم أنّ أحب عباد الله إلى الله الذين يحبّبون الله إلى عباد الله ويحبّبون عباد الله إلى الله ويمشون في الأرض بالنصيحة"، قال: وهذا الذي ذكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله لأنّ الشيخ يحبّب الله تعالى إلى عباده حقيقة ويحبّب عباد الله إلى الله، ورتبة المشيخة من أعلى الرتب

في طريق الصوفية، ونيابة النبوّة في الدعاء إلى الله تعالى. فأمّا كوْن الشيخ يحبّب عباد الله تعالى إلى الله فلأنّ الشيخ يسلك بالمريد إلى طريق الإقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومَنْ صحّ اقتداؤه برسول الله صلّى الله عليه وسلّم واتّباعه أحبّه الله تعالى، قال الله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ (1).،

ووجهه كونه يحبّب الله إلى عباده أنّه يسلك بالمريد طريق التزكية والتحلية، فإذا تزكّت النفس انجلت مرآة العبد، وانعكس فيها أنوار العظمة، ولاح فيها جمال التوحيد، فأحبّ العبد ربّه لا محالة. والشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين، فعلى المشايخ وقار الله، وبهم يتأدّب المريد ظاهرا وباطنا. قال الله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ (2). .

فالمشايخ لمّا اهتدوا أُهِّلوا للإقتدار بهم، وجُعِلوا أئمّة للمتقين، فيَسُوسُ الشيخ نفوس المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح، فبذلك يصير المريد كالجزء من الشيخ كما أنّ الولد جزء من الوالد في الولادة الطبيعية، وتصير هذه الولادة الثانية ولادةً معنوية كما ورد عن عيسى عليه السلام: "لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين"، ومن صرف اليقين على الكمال يصل لهذه الولادة، وبهذه الولادة يستحقّ ميراث الأنبياء، ومن لم يصِلْه ميراث الأنبياء ما ولد.

وقال بعد كلام: ومِن شرط المريد أن لا يصحب مِنَ الشيوخ إلاّ مَن تقع له حرمة في قلبه، وأن يبايعه على المنشط والمكره. أهـ.

وقال في باب آداب الذكر الخامس: أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأنّه نائبه. أهـ.

وفي البحر المورود للشعراني:

أخذ علينا العهد أن لا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لِمَا نأمره به من الخير إلاّ إن كنّا نعلم منه يقينا أنّه لا يقَدِّم علينا في المحبّة أحدا من الخلق مطلقا حتى أهله وولده وراثة نبوية لا استقلالا.

قال: واعلم أنّه لولا علم الرسول صلّى الله عليه وسلّم أنّ لصحبة الناصح مدخلا في حصول الهداية والإنقياد بسرعة دون بطئ ما قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من أهله وولده والناس أجمعين". ومن المعلوم أنّ جميع الدعاة إلى الله تعالى من هذه الأمّة إنّما هُمْ نوّاب له صلّى الله عليه وسلّم، فلَهُمْ من الأدب معهم والمحبّة لهم بحكم الإرث نحو ما كان له صلّى الله تعالى عليه وسلّم وذلك ليحصل للمريد كمال الإنقياد، ويعتقد في شيخه أنّه أشفق عليه من نفسه كما أنّ النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم كذلك قال الله

تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (3). وأمّا إذا علم الشيخ من المريد تقديم أحد عليه في

المحبّة نفض يده منه.

ومن كلام العارف بالله تعالى سيّدي عدّى بن مسافر، أحد أركان الطريق، قدّس الله سرّه: إعلم أنّك لا تنتفع قَطّ بالشيخ إلاّ إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله، وهناك يجمعك في حضوره، ويحفظك في مغيبه، ويهذّبك بأخلاقه، ويؤيّدك في إطراقه، وينوّر باطنك بإشراقه، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفا لم تشهد منه شيئا من ذلك، بل تنعكس ظلمة باطنك فتشهد صفاته هي صفاتك، فلا تنتفع

منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء. وقد ذكر سيّدي علي بن وفا رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بالوصايا: إعلم أنّ قلوب الرجال أمثال الجبال، فكما أنّ الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلاّ الشرك بالله كما قال عزّ وجلّ: وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (4)، فكذلك قلوب الرجال، لا سيما الوليّ، لا يزيل قلبه إلاّ الشرك الواقع من تلامذته معه في إشراك أحد معه في المحبّة، لا يزيله إلا ذلك، لا تقصير في الخدمة ولا غير ذلك فافهم.

قال الشعراني: ثمّ لا يخفى عليك أنّ جميع الأشياخ إنّما طلبوا من المريد كثرة الإجلال والتعظيم لهم، والرضا بكلّ ما يرونه، تمرينا له وطلبا لترقّيه، إذ الشيخ كالسلّم للترقّي، يترقّى المريد بالأدب معه إلى الأدب مع الله تعالى، فمن لم يحكم باب الأدب مع شيخه لا يشمّ رائحة الأدب مع الله تعالى، فيستفيد المريد بالرضا عن شيخه إذا حرمه دنيا كان يترصّد حصولها مثل الرضا عن الحقّ تعالى إذا حرمه رزقا أو وظيفة، أو نزل عليه بلاء، أو أزال عنه نعمة.

ومتى لم يرض بحرمان شيخه لا يصلح له الرضا عن الحقّ تعالى إذا حرمه شيئا كان يحبّه، ويستفيد بصبره على غضب شيخه وهجره له، وثباته تحت هجره وقطيعته، الإدمان على تحمّل ذلك لو وقع من جانب الحقّ والعياذ بالله، ويستفيد بمراقبة شيخه له في الخدمة، وعدم غفلته عنه، وكثرة ملاحظته له، عدم الغفلة عن عبادة الحقّ جلّ وعلا وكثرة ملاحظته بالقلب وهكذا.

قال: وينبغي لك يا أخي أن تمتحن نفسك إذا أدّعَتْ أنّها تسمع لشيخها ما يأمرها به كما هو واقع من أكثر المريدين، فيقولون نحن أوّل من يطيعه، ثمّ إذا قال لهم شيخهم: طلّق زوجتك التي قلتَ أنّها تشغلك عن الله تعالى، وتحوجك إلى تناول الحرام والشبهات هو خير لك، أو ائتنا بشطر مالك لنفرّقه على إخوانك هؤلاء الفقراء، أو أسقط حقّك من سائر وظائفك من إمامة

أو خطابة وتدريس ووقادة، وفراشة وآذان، وخلوة وثياب ونحو ذلك، لا يرضى، بل يظهر على وجهه العبوسة حتى يشهد ذلك منه جميع الحاضرين ويفتضح، ولو أنه أجاب شيخه لكان أولى، فإنّ الأشياخ لا تغشّ أبدا، وماذا يفوت المريد إذا سمع لشيخه وصار الحقّ تعالى عوضا له عن كلّ شيء؟ وماذا حصل من باع جلوسه في حضرة ربّه عزّ وجلّ بقطعة دبغت بالدم والبول لا تساوي في السوق درهما ولا بعضه إذا قطّعت؟ فعلم أنّ كلّ من لم يعتقد في شيخه أنّه أشفق عليه من نفسه، وأنّه لا يأمر قَطّ بترك شيء إلاّ ليعطيه أنفس منه، فمحبّته نفاق، ولا يمكن للشيخ أن يطلعه على سرّ من الأسرار التي يترقّى هو بها، فإنّ من لم يصلح لأن يكون محلاّ للأسرار المكتومة عند الفقهاء يصير كأنّه ما صاحبهم، وكذلك إذا كان
الشخص يصحب الشيخ أكثر من ثلاثين سنة لا ينتفع بشيء من أخلاقه.

ثمّ قال بعد كلام: وقد سئل الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى يوما عن شيء من أسرار الفقراء فقال: والله لا آمنكم على إخراج ريح، فكيف آمنكم على أسرار أهل الطريق، ولهذا تجد الشيخ يأتمن عشرة آلاف نفس وأكثر، لا يفلح منهم أحد بعده لعدم الصدق، والله تعالى أعلم.

وفي جواهر المعاني:

وسألته رضي الله تعالى عنه عن قولهم رضي الله تعالى عنهم أن دائرة الوليّ أوسع من دائرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فأجاب رضي الله تعالى عنه بقوله: المراد بالوليّ أولياء هذه الأمّة فقط، والمراد منه مَن أُمِر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم، فَهُمْ الذين دوائرهم أوسع من دوائر الأنبياء، واتّساع الدوائر وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى، فكلّ رسول من الرسل غير نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم رسالته خاصّة بموطن أو جنس أو بلد لا يتعدّى إلى غيره، ورسالة نبيّنا صلّى الله تعالى عليه

وسلّم عامّة في سائر البلدان والأقطار وفي جميع الأجناس والأمم وفي جميع الأعصار، فالأولياء الداعون إلى الله تعالى مِن أمّته دعوتهم تعُمّ كعموم رسالة نبيّهم صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فلا تختصّ ببلد ولا جنس ولا أمّة، بل هي عامّة كعموم رسالة نبيّهم صلّى الله عليه وسلّم، فهذا اتّساع دائرة الوليّ عن دائرة النبيّ.

ثمّ هذه الدعوة إلى الله تعالى في حقّ الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر لقوله صلّى الله

عليه وسلّم: "مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر"، لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنّما هي بالإذن الخاص كإذن الرسالة، فمَن نهض إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سَرَتْ كلمته في جميع القلوب، ووقع الإقبال من الخلق عليه والاستجابة عنه، ووقع امتثال أمره ونهيه في الخلق، وحلى كلامه في القلوب، ومَن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله تعالى بالإذن العام وليس له شيء من الإذن الخاص لم ينتفع بكلامه، ولم

يقع عليه إقبال، فإنّ لسان الحقّ يقول له بلسان الحال في بساط الحقائق: ما أمرناك بهذا أو ما أنت له بأهل، بل إنما أنت فضولي. فمَنْ وقف هذا الموقف ابتُلِيَ بحظوظ نفسه من الرياسة والرياء والتصنّع وليس من الله في شيء. قال ابن الفارض رضي الله تعالى عنه:

فعالِمنا منهم نبيّ ومَن دعا ... إلى الحقّ مِنّا قام بالرسلية

قال ابن عطاء الله: مَن أُذِن له في التعبير فُهِمتْ في مسامع الخلق عبارتُه وحلَتْ لديهم أشارته. وحكاية الشيخ الجيلاني رضي الله تعالى عنه معلومة، قال: كنت بأمس صائما، فوضعت لي أمّ يحيى بويضات إلى فطوري على طرف السرير، فأتَتْ هِرّة فخطفتها، فأخذ النساء في البكاء على عادتهن إلى آخر الحكاية. ومَن ادّعى الإذن الخاصّ من الله تعالى وهو كاذب، وانبسط للخلق بالدعوة فإنّه يموت كافرا إلاّ أن يتوب، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بجاه النبيّ وآله أهـ.

وقال شيخ الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، المختار بن أحمد الكنتي:

وما قيل أنّه، يعني المريد، لا اختيار له إنّما ذلك في الأمور الدنيوية، فلا يدخل ما دخله بنفسه بل يدخل ما دخله بربّه وشيخه، فيكون مع سؤاله مفوّضا متأدّبا غير متكاسل ولا متساهل، ممتثلا لأمر الشيخ كائنا ما كان، وإن رأى فيه العطب فإنّ فيه النجاة، قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (5).

وقد ثبت وصحّ في الأثر أنّ الوليّ في قومه كالنبيّ في أمّته لأنّهم ورثتهم وللوارث ما للمورث. قال الجنيد: لولا أنّ الله تبارك وتعالى ستر عن العامّة حقائق الأولياء لهلكوا بعدم الإتّباع والاقتداء بهم، ولكانوا عليهم حجّة يوم القيامة، لكن الله تعالى بفضله ورحمته سترهم بهذه الصورة البشرية فلا يعرفهم إلاّ مَن هو مثلهم أو مَن أراد الله أن ينفعه ببركاتهم فيطوي عنه الصورة البشرية ويشهد الحقيقة الربانية، فيدرك إدراكا قطعيّا لا ظنيّا ولا حسبانيّا، فينتعش بمشاهدته، وتبقى مسافة الميسر إلى الدرجات العليّة فتكون

سرعتهم على قدر رقّة طباعهم وكثافتها، وعلى قدر التجلّيات وهمّة الشيخ وإقباله عليهم، ولا يكون إقباله عليهم إلاّ بقدر إقبالهم عليه، قال ابن عطاء الله: لا تطلب من الشيخ أن تكون ببالله، ولكن اطلب من نفسك أن يكون الشيخ ببالك، فبقدر ما يكون ببالك تكون ببالله، فذلك أوّل قَدَمٍ تضعه في السلوك. فمنهم من يرتقي في ساعة، ومنهم من يرتقي في يوم، ومنهم من يرتقي في شهر، ومنهم من لا يرتقي إلاّ في سنة، ومن لا يبلغ إلاّ بعد أمد مديد، يختصّ برحمته من يشاء، فمنهم المجذوب والسالك، ومنهم المطرود والهالك. اهـ.

وقال في بغية السالك:

وأما الحقوق المرتّبة للقدوة فأربعة، الأوّل: المحافظة على توقيره وتعظيمه، فالتزام الأدب معه في جميع الحركات والسكنات، فلا يوقع عليه الكلام بحضرته، ولا يتكلّم بحضرته إلاّ عن إذنه، ولا يتصرّف في شيء إلاّ بأمره ومشورته، ولا يرفع صوته في محلّه ولا يسترسل في الكلام، وأَنْ يتلمّح إشارته فليعمل بحسبها. الثاني: حسن الظنّ بالقدوة في القليل والكثير، والخطير والحقير، والحركات والسكنات فيما عُلِم أو أُشكِل، ومِن حُسْنِ الظنّ بالقدوة أن لا يوقّر غيره فينظره بعين النقص عن مرتبةِ سواه.

الثالث: الْتزام طاعته في كلّ مكروه ومحبوب، بقوّةِ عزمٍ وطيب نفس ومسارعة، وليعلم التلميذ أن الذي يشقّ على نفسه من طاعة قدوته عاقبة أمره للخير والبركة. الرابع: أن لا يؤثر نفسه على قدوته بشيء من الحظوظ الدنيوية والأخروية، بل يؤثره على نفسه بجميع ذلك، أمّا الأخروية فمِن عنده جاء أصلها، وأمّا الدنيوية فهي في جنب ما ناله على يديه من أمر الآخرة كشيء تافه لا قيمة له، ومن آثر نفسه على قدوته بشيء من الأشياء، ولو بحياة ساعة بعده، فَقَد بخسه حقّه، ولم يوفّه واجبه، ومِن توابع ذلك أن لا يكتم عليه شيئا مِن أحواله الظاهرة والباطنة، الأخروية والدنيوية، وإنْ كتمه شيئا فقد خانه. وعماد هذه الشروط كلّها وذروة سنامها أن يكون القصد في ذلك رضا الله عزّ وجلّ، قصدا مجرّدا من جميع الشوائب والأوهام، وليعلم أنّ رضا الله تعالى في رضا قدوته، فليلْتمسه ما استطاع. وأما التلميذ فيشترط فيه شروط، وتترتّب له حقوق، أما شروطه فأربعة، الأوّل: الْتزام عهد القدوة في ربط النفس للوفاء بوظائف السلوك جهده ووسع طاقته، ومَن لا عهد له لا تلميذ له.

الثاني: أن يجعل دنياه تبعا لآخرته، ومَن عرف ما يطلب هان عليه ما يترك، بصدق عزم، وقوّة جدّ، وصحّة قصد، وإخلاص يقين، ابتغاء مرضاة الله تعالى في طلب خلاصه من نفسه، وطمعا في الوصول إلى معرفة ربّه، وقبيح بمَن أراد الله وقصد المعرفة به أن يثني عنانه لغيره. الثالث: أن يحصل عنده العلم اليقيني يفرّق به ما بين قدره وقدوته، فلْيضِف كلّ كمالٍ للقدوة، وكلّ نقصٍ لنفسه.

الرابع: الاقتصار على قدوة واحدة، وهل الانقياد للقدوة إلاّ كالانقياد إلى الطبيب، ولا شكّ أنّ العلاج إذا اختلف، والمعاناة إذا تباينت، أنّ الخلاص من العلل متعذّر، ومَن استند إلى قدوة فهو القيِّم بالسياسة في تأديبه وتهذيبه، وهو أدرى بذلك من غيره، مع أنّ القدوة الكامل ربّما تعذّر وجوده اليوم فضلا عن أن يكون منهم عدد.

فإذا ظفر التلميذ بواحد منهم فلْيعلم أنّه قد ظفر بمراده فلا يبغي به بدلا، ومهمَا مالَ عن قدوته بظاهره وباطنه، ولو لمحة فإنّ ذلك و بالا عليه ونقصانا له، وأنّ محبّته لا تصفو، ولا يستعدّ باطنه لسراية حال القدوة. فإنّ التلميذ كلّما أيقن بتفرّد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبّته، والمحبّة هي الواسطة بين القدوة والتلميذ، فعَلَى قدر حُسن ظنّه به تكون محبّته، وعلى قدر محبّته تكون سراية حال الشيخ عنده. فالمحبّة علامة التعارف الحسّى الداعي إلى التآلف المعنوي، وبالله تعالى التوفيق.

وأمّا الحقوق المرتّبة له فأربعة، الأول: أن يتعرّض له القدوة أوّلا باستجلاب واستئلاف وحسن كلام، حتى إذا رأى أن الله عزّ وجلّ بعث إليه التلميذ مسترشداً بحُسن ظنّ وصدق إرادة، ضمّ عليه جناح التعليم والإشفاق والنصيحة بكلّ شيء ينفعه في رضا ربّه. وكلّ تلميذ مسترشدٍ ساقه الله تعالى إلى القدوة فلْيراجع القدوة النظر في معناه وليكثر اللجأ إلى الله تعالى أن يتولاّه فيه، وفي القول معه بحسن هداية، وجميل سياسة، ثمّ لا يتكلّم مع التلميذ إلاّ وقلبه ناظر إلى الله تعالى، مستعينا به على الهداية لصواب القول والعمل.

والثاني: حُسْن الخُلق، والصبر على وظائف التعليم، وجفاء التلميذ، وحمل أخلاقه، فالكامل يُسمَع عنده الناقص. قال الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (6)، والقدوة وارث النبوّة في وظائف الهداية. أهـ.

وقال السيد مُحَمَّد بن الشيخ المختار الكنتي رحمهما الله تعالى، مجيبا عن سؤال السائل عن معنى

قول ابن العربي (مِن شرط المريد إذا دخل منزل شيخه أن يجعل منزله مثل قبره لا يحدّث نفسه بالخروج منه إلى أن يموت):

مراده، والله تعالى أعلم، أنّ الحقّ تعالى لا يعامل بالثنيا إذ العبد بهجرته بائع لنفسه من ربّه. وَيَدُ الشيخ نائبة عن يَدِ الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ويدُه صلّى الله عليه وسلّم نائبة عن يدِه تعالى. قال، أخبارا عن البيعة،: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (7)، وقال تبيينا للبيعة وتنصيصا عليها: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ (8)، فبيّن الله تعالى معنى انعقاد البيع ولزومه، وسمّى الثمن والمثمون، والمشتري والبائع، فالثمن الجنة

والمثمون المؤمن وماله، والمشتري الحقّ تعالى، والبائع المؤمنون، فأكرم ببيعة دلاّلها جبريل، والمشتري فيها الجليل، والبائع عبده الجميل، وشاهداها ميكائيل وعزرائيل، وكاتبها إسرافيل، ووثيقة عهدها التنزيل، والكفيل عليها النبيّ الرسول. ولا خفاء أنّ عقد البيع على ما يوجب انحلاله بما يناقض المقصود مفسد لعقد البيع، وأنّ تسليم المبيع واجب، وما لا يصحّ تسليمه لا ينعقد عليه بيع، والمريد بائع لنفسه من ربّه، مسلّم له على يد شيخه، والمبيع إذا سلّم إلى المشتري وجب التخلّي عنه وإسلامه إلى المشتري يفعل به ما بدا

له، فتحديث المريد نفسه بالخروج من تحت يد الشيخ وكنف حضانته استقالة لبيعته نفسه إذ قد أخبر تعالى عمّا يخاطب به النفس المشتراة بقوله: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (9)، يعني التي سكنت عن النزوع والمنازعة، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (10) الذين لم يستقيلوا بيعتهم، ولم ينقضوا عقدتهم، وَادْخُلِي جَنَّتِي (11).

وقد انعقد إجماع مشايخ الصوفية على وجوب الاستسلام للشيخ، والإطراح بين يديه كالغسيل بين يدي الغاسل، إذِ الشيخ طبيب والمريد عليل، ومهما تحكّم العليل على الطبيب نفى عليه الطبّ، والخروج من عند الشيخ رجوع من المريد أدراجه، بل الشيخ هو المكلّف بتسريح المريد متى لاح له لائح الصلاحية للفطام، فإنّ الرضيع ومتى فطم قبل أوان الفطام تضرّر غاية الضرر، كما أنه إذا بلغ أمد الفطام كان الأصلح به الفطام، وليس ذلك بالموكل إلى الصبيّ، وإنّما هو إلى أوليائه ونظرهم، فكذلك المريد متى خرج بنفسه وفطمها عن الشيخ قبل أوان

فطامها فقدْ عرّضها للعطب، وجعلها نصب بالعنا والنصب، وقلّما أفلح المريد إذا فُطم قبل أوان فطامه، بل ومتى مات شيخه أو فصله عنه عارض، وكان له نائب أو خليفة، تعيّن عليه

ملازمته برغم ما كان عليه مع الشيخ، ومتى لم يخلّف نائبا ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه في بقيّة سيره، والله تعالى الموفّق المسدّد، وهو حسبنا ونعم المعين المسعد اهـ.
والله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ للصواب، وإليه سبحانه ا لمرجع والمآب.

1.سورة آل عمران، الآية 31.
2.سورة الأنعام، الآية 90.
3.سورة الأحزاب، الآية 6.
4.سورة مريم، الآيات 90 – 91 – 92.
5.سورة الأحزاب، الآية 36.
6.سورة الكهف، الآية 28.
7.سورة الفتح، الآية 10.
8.سورة التوبة، الآية 111.
9.سورة الفجر، الآية 27.
10.سورة الفجر، الآيتان 28 – 29.
11.سورة الفجر، الآية 30.

الفصل التاسع عشر

في تحذيرهم من مخالفة الشيخ بعد امتثال أوامره، حاضرا كان أو غائبا، والإعتراض عليه سرّا

وجهرا.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، إعلم أنّه لا شيء أضرّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والإعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله تعالى عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم وعدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه. قال في تحفة الإخوان: فالآداب التي تطلب من المريد في حقّ الشيخ أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا و باطنا، وعدم الإعتراض عليه في شيء فَعَلَهُ ولو كان ظاهره أنّه حرام، ويؤوّل ما أنبأهم عليه، وتقديمه على غيره، وعدم الإلتجاء لغيره من الصالحين.

ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف، ولا ينام بحضرته إلاّ بإذنه في محلّ الضرورات ككونه معه في مكان واحد، وأنْ يُكثِر الكلام بحضرته ولو باسطه، ولا يجلس على سجادته، ولا يسبّح بسبحته، ولا يجلس في المكان المعدّ له، ولا يلج عليه في أمر، ولا يسافر ولا يفعل فعلا من الأمور المهمّة إلاّ بإذنه، ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشيء كقلم أو أكل أو شرب بل يسلّم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره به، وأنْ لا يمشي أمامه ولا يساويه إلاّ بِلَيْلٍ مظلمٍ ليكون مَشْيُهُ أمامه صوْنا له عن مصادمة ضرر، وأنْ لا يذكره بخير عند
أعدائه خوفا من أن يكون وسيلة لقدحهم فيه.

ومنها أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره، وأن يلاحظ بقلبه في جميع أحواله سفرا و حضرا لِتَعُمّهُ بركتُه. ومنها أنْ لا يعاشر من كان الشيخ كريهه ومن طارده الشيخ
عنه، وبالجملة يجب أن يحبّ من أحبّه الشيخ ويكره من يكرهه الشيخ. ومنها أنْ يرى كلّ بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته.

ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه، ولا يقول لِمَ فَعَل بفلان كذا ولم يفعل بي وإلاّ لم يكن مسَلِّماً له قياده إذْ مِنْ أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهرا وباطنا، أخاطب بذلك أهل الله الصادقين.

ومنها أنْ يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلاّ لِقرينة صارفة عن إرادة الظاهر، فإذا قال له إقرأ كذا او صَلِّ كذا أو صُمْ كذا وجب عليه المبادرة، وكذا إذا قال له، وهو صائم، إفطر وجب الفطر، أو قال له لا تُصَلِّ كذا إلى غير ذلك.

واعلم أن الشيخ العارف ربّما باسط تلامذته وخفف عليهم العبادة، فإذا شمّ منهم رائحة

الصدق والإجتهاد ربّما شدّد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات، وتفنى في حبّ الله تعالى، وربما اختبرهم هل يصدقون معه أو لا.
ومنها ملازمة الورد الذي رتّبه فإنّ مدد الشيخ في ورده الذي رتّبه، فمَن تخلّف عنه فقد حُرِم المدد، وهيهات أن يصحّ في الطريق.

ومنها أن لا يتجسّس على أحوال الشيخ من عبادة او عادة فإنّ في ذلك هلاكه، والله تعالى أعلم، وأنْ لا يدخل عليه خلوة إلاّ بإذن، ولا يرفع الستارة التي فيها الشيخ إلاّ بإذن وإلاّ هلك كما وقع لكثير، وأن لا يزوره إلاّ وهو على طهارة لأنّ حضرة الشيخ حضرة الله تعالى، وانْ يُحسِن به الظنّ في كلّ حال، وأن يقدّم محبّته على محبّة غيره ما عدا الله ورسوله فإنّها المقصود بالذات ومحبّة الشيخ تابعة، وأنْ لا يكلّفه شيئا حتّى لو قَدِمَ من سفر لكان هو الذي يسعى ليسلّم على الشيخ ولا ينتظر أنّ الشيخ يأتيه للسلام عليه.
اهـ.
وفي الخلاصة المرضيّة:
ومِن شرط المريد أن لا يصحب من الشيوخ إلاّ مَن تقع له حرمة في قلبه، وأنْ يبايعه على المنشط والمكره، وأن لا يكتم عن شيخه شيئا ممّا يخطر له، وأنْ لا يعترض عليه فيما يكون منه، والصدق في طلب الشيخ، وأنْ لا ينظر في أفعال الشيخ ولا يتعدّى أمر شيخه ولا يتأول عليه كلامه، بل يقف عند ظاهر كلامه، ولا يطلب علّة الأمر الذي يأمره به بل يبادر إلى امتثال ما أمره به سواء عقل معناه أو لم يعقل، وليفعل ما أمره به، ومتى تأوّل على الشيخ ما أمره به أو يقول تخيّلتُ أنّك أردتَ كذا فليعلم أنّه
في إدبار، فليَبْكِ على نفسه فإنّه ما أتى على أكثر المريدين إلاّ من التأويل، ولا يطأ سجّادة شيخه برجله، ولا يلبس ثوبا لبِسَهُ شيخه إلاّ الشيخ إيّاه، ولا يسأله عن شيء سؤال من يطلب الجواب منه بل يجب عليه أن يقصّ ما وقع له فإنْ أجابه كان وإلاّ فلا، وإنْ وَصَفَ ذلك على أن يجيب عنه الشيخ فقد جعله سؤالا، وإذا جعله سؤالا فقد أساء الأدب، ولا يخون شيخه في أمر مأمور به، ويجب على المريدين أن لا يدخلوا على الشيوخ ولا يقعدوا بين أيديهم إلاّ على طهارة ظاهرا أو باطنا، مسلّمين مستسلمين هكذا شأنهم.

ومِن شَرْطِ المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل، إنْ غسل عضوا من أعظائه قبل عضوٍ آخر، أو حرّكه، أو تصرّف فيه كيف يشاء بما يرى مِن المصلحة فلا يخطر عليه خاطرُ اعتراضٍ ولو عاينه قد خالف الشريعة فإنّ الإنسان ليس بمعصوم، ولا يجلس بين يديه إلاّ مستوفزا كجلوس العبد بين يدي سيّده، وإذا أمره بفعل شيء فيتثبّت فيه حتى يعرف مراده ولا يبادر وهو غير عارف بما أمره به، ولا يتحمّل فيه قول قائل، وإذا عرف له عدوّا فليهجره في الله تعالى ولا يجالسه ولا يعاشره، وإذا رأى مَن يُثني عليه ويحبّه فيحبّه ويقضي حوائجه، وإنْ طلّق امرأة فمِنَ الأدب أن لا يتزوّجها من غير أن تحرم عليه، ويتتلمذ ويخدم كلّ مَنْ قدّمه عليه شيخه وإن كان أقلّ عِلْمٍ منه، ولا يقعد مقعدا حيث كان إلاّ ويتيقّن أنّ الشيخ يراه فليلزم ذلك، ولا يمشي أمامه إلاّ بِلَيْلٍ، ولا يُدِيم النظر إليه فإنّ ذلك يورث قلّة الأدب والحياء ويُخرِج الإحترام منَ القلب، ولا يُكثر مجالسته، ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره فيها، ولا يدخل عليه متى دخل عليه الاّ قبّل يديه وأطرق، ويتحبّب إليه بامتثال أمره ونهيه، وليكنْ حافظا شحيحا على عرضه، وإذا قدّم إليه
طعاما فليلقِه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وليقف خلف الباب، فإذا دعاه أجابه وإلاّ فليتركه حتى يفرغ، فإذا فرغ أزال المائدة فإنْ بقيَ مِن طعامه شيء وأمره بالأكل فليأكل ولا يؤثر بنصيبه أحدا، وليجتهد أن لا يراه إلاّ فيما يَسُرّه، ولا يتمنّى عليه، وليحذر مكر الشيخ فإنّهم يمكرون للطالب، فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه، فإنْ وقعتْ منه زلّة في حقّ أدبه مع الشيخ وعرف أنّه قد عرف بها وسامحه فيها ولم يعاقبه فليعلم أنّه قد مكر به وعلم أنّه لا يجيء منه شيء، ولهذا سكت عنه، وإذا عاقبه على الخطرة واللحظة وضايق

عليه أنفاسه فليستبشر بالقبول والفتح والرضا، ولا يبدي الله عليه إلاّ بسط له كلّما انبسط معه، فليزدد في قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والإحترام والإحتشام، كلّما زاد بسطة وخشوعا زاد فيه مهابة وجلالا.
ومِن شرط المريد أن لا يردّ على الشيخ كلامه ولو كان الحقّ بِيَدِ المريد فإنّ الشيخ إنّما يقول ما فيه مصلحته، فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماريه، ومتى وقع في شيء من ذلك أو خطر له نزاعه في خاطره فالنزاع، وإنْ كان في نفسه، هو عين الإعتراض، والإعتراض على الشيوخ حرام على المريدين وقوعه، فهذا

مريد مسخّر للشياطين، ساعٍ في هوى نفسه، سوءته مكشوفة عند سادات أهل طريق الله تعالى.
ومن شرط المريد إذا وجّهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره من غير تأمّل ولا توقّف، ولا يصرفه عنه صارف حتى قال بعض المشايخ لبعض المريدين: " أرأيت لو وجهّك شيخك في أمر فمررت بمسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع؟ " فقال: " أمضي لأمر الشيخ ولا أصلّي حتى أرجع إليه لو أحسنت ".، ولهم في ذلك خبر يستندون إليه، وهذا بشرط أن لا يخرج الوقت، فإنْ خشي خروج الوقت صلّى وذهب إليه.
ومِن شَرْط المريد الوفاء كلّ ما يشترط عليه الشيخ سواء كان ذلك صعبا أو سهلا، فإنّ طريق الله تعالى مجاهَدة ومكابدة وليس هي طريق الراحة، وليس للمريد أن يشترط على الشيخ، وإيّاك أنْ تعترض عليه بشيء من أقواله ولكن تنظر إليها بالإرادة وحُسن الظنّ، وتراعي الأدب ظاهرا وباطنا فإنّهم قالوا: الإعتراض على الشيوخ سُمّ قاتل وإنْ رأيتَ من الشيوخ ما يتراءى عندك أنّه غير مشروع فاتّهم نفسك وأحمله على قصور علمك ونظرك، فإنّ الشيخ يكون له دليل وبرهان قَصرَ فهمك على إدراكه، واعلم أنّ الشيخ أوْلى بِرِعاية الشريعة منك

وأشدّ اهتمام بها من غيره، وكلّما خطر لك شيء من هذا الجنس تذكّر قصّة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الإعتراض. والحقّ أنّك لو طلبت لصحّته وجها وتفكّرت لظفرتَ به غالبا، ولكن النفس لا تساعدك على هذا بل تغطّي عليك وجه الصحّة وإنْ كان واضحا بيّنا وتلقّنك وجه الفساد وتزيّنه وإنْ كان ضعيفا لتستوف حظّها. فلو صدر منك ذلك الفعل بعينه أو أقمتَ على صحّته دلائل مثل الجبال الرواسي وتساعد النفس فيه.
وفوق ما ذكرنا من الإعتراض أن يكون مسلّما بالظاهر معترضا بالقلب، فتنقطع الرابطة، ويقع بينه وبين الشيخ مفارقة معنوية، فلا ينفعه التسليم باللسان مع وجود الإنكار في الباطن إذِ الرابطة أمْر معنويّ لا يتعلّق باللسان وإنّما يتعلّق بالقلب، فإذا تمكّن الإنكار فيه زال اتّصال الباطن والمحكومية، وهو المعنى من الرابطة، فلا يبقى بين قلب المريد وبين قلب الشيخ علاقة فينسدّ طريق الفيض الذي كان يصل إلى قلبه من قلب الشيخ فلا يسري في باطنه مِن أحوال الشيخ فيكون بعيدا عن الشيخ في الحقيقة وإن كان قريبا فَكَمْ بينه
وبين من يكون بعيدا في الصورة قريبا في الحقيقة هيهات مثل هذه المحبة لا تزيد الاّ شقاوة على شقاوة وردّا على ردّ، فيعود الأمر على موضوعه بالنقص، ومثل هذا المريد يكون مع الشيخ

باللسان، وبالقلب مع النفس والشيطان فيُعَدّ مِن جملة الخدّاعين والمنافقين في الطريقة، والمريد إنّما يتعلّق بإرادة الشيخ ليتخلّص من الكفر الباطني ويشفى من المرض الخفيّ القلبي وإلاّ فهو مُسْلِم شرْعا لا شكّ في إسلامه.

وإذا حقّقت وجدته ترك الإعتراض على الله تعالى، فالشيخ يخرجه من هذه الورطة بحسن تربيته وإرشاده، وإن كان في قلبه نوع إنكار واعتراض على الشيخ فإن وقع في مضيق الإعتراض على الله تعالى كيف يخرج عنه، ومن يأخذ بيده فيحصل غرض النفس إذ مقصوده من الإعتراض على الشيخ ليس إلاّ أن تنقطع الرابطة، فإذا دخل عليه خاطر الإعتراض على الله تعالى وأراد الشيخ أن يغيّره عن هذه العقبة لا ينفذ فيه تصرّفه ولا ينجع كلامه فتزلّ قَدَمُ المريد وينحرف عن جادة الطريق إذِ الثبات ليس إلاّ بقوّة وِلاية الشيخ ومحكومية المريد، فيكون
الأمر كما تحبّ النفس وتشتهي.
اهـ ملخّصا.
وفي الإبريز للشيخ أحمد بن المبارك:
وسمعته، يعني القطب عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ رضي الله تعالى عنه، يقول: " لا ينبغي أن يُنظَر إلى ظاهر الوليّ ويوزن عليه فيخسر الوازن دنيا وأخرى، فإنّ في باطن الوليّ العجائب والغرائب وما مثاله إلا كخنشة صوف في وسطها حرير لا تظهر إلاّ في الآخرة، وغير الوليّ بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صوف والعياذ بالله ".
قال: ولنثبت أسبابا كثيرة في ظهور المخالفات على ظاهر الوليّ سمعناه من الشيخ رضي الله تعالى عنه مفرّقة فلنجمعْها هُنا فنقول: سمعته رضي الله تعالى عنه يقول: "كان لبعض الاولياء الصادقين مريد صادق فكان يحبّه كثيرا، وأطلعه الله على أسرار ولايته حتّى أفرط في محبّته وكاد يتجاوز بشيخه إلى مقام النبوّة، فأظهر الله تعالى على الشيخ صورة معصية الزنا رحمة بالمريد المذكور. فلمّا رآه رجع عن ذلك الافراط في الاعتقاد ونزّل شيخه منزلته ففتح الله حينئذ على المريد ".

قال رضي الله تعالى عنه: " ولو دام على اعتقاده الأوّل لكان من جملة الكافرين المارقين نسأل الله السلامة ". قال رضي الله تعالى عنه: " وهذا أحد الأسرار في الأمور التي كانت تظهر على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مِنْ نحوِ قوْلِه في قضيّة تأبير النخل: "لو لم تفعلوا صلحت"، ثمّ تركوا

التأبير فجاءت الثمر شيطا، أيّ غير صالحة.

ومِنْ نحو قوله صلّى الله عليه وسلّم: "رأيت في منامي أنا ندخل المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين ومقصرين"، ثم خرج النبي صلّى الله عليه وسلّم مع أصحابه الكرام رضي اله تعالى عنهم فصدّهم المشركون ولم يدخلوا إلاّ في عام آخر، ونحو ذلك، ففعل الله سبحانه هذه الأمور مع نبيّه الكريم لئلاّ يعتقد الصحابة فيه الألوهية، ولذا قال تعالى إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ (1) قال تعالى لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ (2)، ونحو ذلك، فإنّ المقصود مِن ذلك كلّه هو الجمع على الله سبحانه، والله تعالى أعلم ".

قال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: " أنّ الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونيّاتهم، فمَن صفَتْ نيّته رآه في عين الكمال وظهر له من الخوارق ما يسرّه، ومَن خبُثتْ نيّته فكان على الضدّ من ذلك، وفي الحقيقة ما ظهر لكلّ واحد إلاّ ما في باطنه مِن حُسْنٍ وقُبْحٍ، والوليّ بمنزلة المرآة التي تتجلّى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة، ومَن ظهر له مِنْ وليٍّ كمال ودلالة على الله تعالى فلْيحمَد الله تعالى، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه ".

قال ﷺ: " إذا أراد الله تعالى شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالوليّ سخّره الله سبحانه فيما هُمْ فيه مِن قُبح ومخالفةٍ، فيظنّون أنّه على شاكلتهم، وليس كذلك، حتّى أنّه يتصوّر في صور الولاية أنْ يقعد الوليّ مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنّونه أنّه شارب الخمر وإنّما تصوّرتْ روحه في صورة مِنَ الصور وأظهرت ما أظهرت، وفي الحقيقة لا شيء وإنّما هو ظِلّ ذاته تحرّك فيما تحركوا فيه، مثل الصورة التي تظهر في المرآة فإنّك إذا أخذتَ بالكلام تكلّمتْ، وإذا أخذتَ في الأكل أكلَتْ، وإذا أخذتَ في الشرب

شربتْ، وإذا أخذتَ في الضحك ضحكتْ، وإذا أخذتَ في الحركة تحرّكتْ، وتحاكيكَ في كلّ ما يصدر منك، وفي الحقيقة لم يصدر منها أكل ولا غيره لأنّها ظلّ ذاتك وليس بذاتك الحقيقية، فإذا أراد الله تعالى شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم في ظلّ ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون، والله تعالى الموفّق ".

وقال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: " أنّ الوليّ إنّما يعتبر مِنَ القاصدين إليه باطنَهم وأمّا ظاهرهم فلا عبرة به عنده.

والقاصدون على أربعة أقسام: قسمٌ يستوي ظاهره وباطنه في الإعتقاد، وهذا أسعدهم، وقِسْم

يستوي ظاهره وباطنه في الإنتقاد، وهذا أبعدُهم، وقِسْم ظاهره معتقد وباطنه منتقد، وهذا أضر الأقسام على الوليّ كالمنافق بالنسبة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأنّه إذا نظر إلى ظاهره يريد نفْعه منَعَه الباطل، وإذا أراد البُعْد منه حيث ينظر إلى باطنه أطمَعَه ظاهره ".

قال رضي الله تعالى عنه: " والوليّ يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر فيكون هذا القسم عنده بمثابة مَن جلس إليه رجلان أحدهما في جوف الآخر، فيقول الرجل الظاهر: أنت سيّدي، وأنا عند أمرك ونهيك وعلى طاعتك وتصييرك، ويقول الذي في الجوف: أنت لست بوليّ، والناس أخطؤوا فيما يظنّون فيك، وأنا على شكّ في أمرك وفيما يقول الناس فيك، ونحو هذا.

فالجاهل الذي لا يعرف البواطن يستوي في نظره هذا القسم والقسم الأول، فإذا رآى القسم الأوّل ربح وحصل له الخير الكثير من الوليّ قال في نفسه: ولِمَ لم يربح القسم الثالث مع أنّه يتأدّب ويخدم بنفسه، ويقف عند الأمر والنهي كالأوّل؟ فيقول: لعلّ الخلل والنقصان مِنَ الوليّ، فيكون هذا بابا واسعا للكلام في الأشياخ ودخول الوسوسة فيهم. وأما القِسْم الرابع: وهو ما يكون باطنه معتقدا وظاهره منتقدا، فلا يتصوّر إلاّ مع الجسد، نسأل الله تعالى السلام، والله تعالى أعلم ".

وقال ﷺ: " أنّ الوليّ الكامل غائب في مشاهدة الحقّ سبحانه لا يُحجب عنه طرفة عيْن وظاهره مع الخلق، فيستعمل الحقّ سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة، فمَن قسم له منهم رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر وأنطقه بالعلوم، وأظهر له ما لا يُكيّف مِن الخيرات. ومَنْ أرادَ بِه سوءا، ولم يقسم له على يده شيء أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف ".

وقال رضي الله تعالى عنه: " وما مثل الوليّ مع القاصدين إلاّ كحجر بني إسرائيل، فإذا كان بين يديْ أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة ".

وقال ر ضي الله تعالى عنه: " إنّ الوليّ الكبير فيما يظهِر للناس يعصى وهو ليس بعاص وإنّما روحه حجبت ذاته وظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية، لأنّها إذا أكلت حراما مثلا فإنّها بمجرّد جعلها في فمها فإنّها ترميه إلى حيث شاءت، وسبب هذه المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ بالله، وإذا رأيتَ

الوليّ الكبير ظهرتْ عليه كرامة فاشهد على الحاضرين بأنّ الله تعالى أراد بهم الخير، أو معصية فأشقاهم بشقاوتهم، وكما أنّ أرواحهم هي التي تتولّى كراماتهم كذلك التي تتولّى معاصيهم الظاهرة، والله تعالى أعلم ".

وقال رضي الله تعالى عنه: " إنّ الوليّ قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي فيستعمل أمورا تردّه إلى حسّه وإنْ كان فيها ما يُعاب عليه مِن باب إذا الْتقى ضرران ارتُكِبَ أخفّهما، فإذا رآه شخص ارتكب ذلك الأمر، ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله، ربّما بادر إلى الإنكار عليه فيُحرَم
بركته. وقد تقرّر في الشرع، أي في الشريعة المطهّرة، أنّ العضو إذا أصابته الأكلة وخيف على الذات منها فإنّه يباح قطعه لتسلم الذات مع أن العضو معصوم ولكنّه مِن باب إذا الْتقى ضرران ارتكِب أخفّهما، وكذلك الشخص إذا خاف على نفسه الهلاك مِن شدّة الجوع فإنّه يباح له أكل الميتة حتّى يشبع ويتزوّد منها، وغير ذلك مِن الفروع الداخلة تحت هذه القاعدة. وهذه الأمور التي تَرُدّ ذات الوليّ إلى حسّها هي المعتادة لها قبل الفتح، وكلّ ذات وما اعتادت، فافهم بالإشارة ففي التفصيل والتصريح وحشة، والله تعالى أعلم ".
اهـ ملخّصا.
وإلى معنى جميع ما تقدّم أشار شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، كما في جواهر المعاني، بقوله:
وأمّا ما يقطعه، يعني المريد عن أستاذه، فأمور، منها الأغراض، ومنها الإعتراض بالقلب واللسان، ومنها كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة، ومنها سقوط حرمته من القلب.
فأمّا الأغراض سواء كانت دنيوية أو أخروية وذلك أنّ الشيخ لا يُعرَفُ ولا يُصحب إلاّ لله عزّ وجلّ، والصحبة في أمرين: الأوّل أن يواليه لله تعالى بأن يقول هذا وليّ لله تعالى وأنا أواليه لله سبحانه، وسرّ ذلك في قوله صلّى الله عليه وسلّم، مخبرا عن الله تعالى،: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"، وفي طيّه "من والى لي وليّا لأجل أنّه وليّ اصطفيته واتّخذته وليّا"، وهذا هو السرّ الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى.

والأمر الثاني أنْ يعلم أنّ الشيخ مِن عبيد الحضرة، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب وما يفسد المريد فيها من الأوطار والأرب، فإذا علِم هذا يصحبه ليدلّه على الله تعالى وعلى ما يقرّبه إليه. والصحبة في هذين الأمرين لا غير، وأمّا مَن صحب لغيرهما فقد خسر الدنيا والآخرة. فإذا عرفتَ هذا فاعرف أنّ الربّ سبحانه وتعالى يعبد لا لغرض بل لكونه إلها يستحقّ الألوهيّة والعبوديّة لذاته لما هو عليه من محامد الصفات العليّة ومن الأسماء البهيّة، وهذه هي العبادة العليا، وكذلك الشيخ يصحب لا لغرض بل لتجليّة موالاته إلى
ولاية الله تعالى، ويتعرّف منه الآداب المرْضيّة وما يشين العبد في حضرة الله تعالى، وكلّ ما كان من متابعة الهوى ولو كان محمودا فهو شين على العبد في حضرة الله تعالى، ولهذا أمرت الأشياخ بقمع المريدين وجزرهم عن متابعة الهوى في أقلّ قليل لأنّ المريد في وقت متابعة الهوى كافر بالله تعالى صريحا لا تلويحا لكونه نصّب نفسه إلها وعصى أمر الله تعالى وخالفه، فهو يعبد غير الله تعالى على الحقيقة ليس من الله شيء، وإن قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحال كذبتَ بل أنت مشرك، ومن هذا القبيل خرج قوله
صلّى الله عليه وسلّم "ما تحت قبّة السماء إله يعبد من دون الله تعالى أعظم من هوى متّبع".
فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغيّر إذا لم يوافق هواه في غرضه فإنّ الشيخ أعرف بالمصالح، وأدرى بوجوه المضارّ والتلميذ جاهل بذلك، فإذا طلب منه غرضا مِن أيّ فنّ كان ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أنّ الشيخ مَنَعَهُ منه لأجل مصلحته ودفْعِ مفسدته، فإذا عوّد نفسه التغيير على الشيخ في مثل هذا طُرد عن حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ، فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغيره انقطع انقطاعا كليّا لا رجوع له أصلا.

وأمّا الإعتراض بالقلب أو باللسان فإنّه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده، فلا يعترض شيئا من أمور الشيخ فإن لم يوافق ما عنده من ظاهر العلم أوباطنه فليعلم أنّ هناك دقائق بين الشيخ وربّه لا يدريها التلميذ، والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربّه فإذا خالف صورة ظاهرة للشرع فليعلم أنّه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق.
وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ فإنّها مِن جهْلِه بالله تعالى وبمراتبه الخلْقيّة، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى تجلّى في كلّ مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحُكْمٍ لمْ يتجلّ به في غيرها من المراتب،

وذلك التجلّي تارة يكون كمالا في نسبة الحكمة الإلهيّة، وتارة يكون صورته صورة نقص في نسبة الحكمة الإلهيّة، فلا محيد لتلك المراتب من ظهور التجلّي فيها بصورة ذلك النقص لأنّ ذلك ناشئ عن المشيئة الربّانية، وكلّ تعلّقات المشيئة يستحيل تحوّلها لغير ما تعلّقت به، فلا بدّ لكلّ عارف من ظهور النقص في ذاته.

ثمّ أنّ ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال الدقائق التي بينه وبين ربّه، وتارة يلابسه معتمدا أنّه نقص وليس له في هذه الملابسة إلاّ معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث أن لا محيد للعبد عنه، فإذا رأى المريد مِن شيخه بشريّة تقتضي النقص إمّا شرعيّا أو ممّا يُخِلّ بالمروءة فليلاحظ هذه المعاني التي ذكرناها، وليعلم أنّ ذلك لا يُخرِج الشيخ عن حضرة ربّه، ولا يزحزحه عن محلّ قُرْبِه، ولا يحطّه عن كمال أدبه.

فإذا عرف هذا فلا يرفض شيخه لظهور البشرية، وكلّ مريد يطلب مرتبة مِن الحقّ يتعلّق بها للقرب والوصول يريد أن لا يظهر فيها نقص كان لسان حاله ينادي عليه: لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى لأنّ كلّ المراتب لا بدّ لها من نقص، فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحسّا بريئا من النقص بكلّ وجه، وبكلّ اعتبار إلاّ في ثلاث مراتب فقط لا ما عداها وهي الرسالة لمن دخل حضرتها، والنبوّة لمن دخل حضرتها، والقطبانيّة لمن دخل حضرتها، فإنّ هذه الثلاث لا صورة للنقص فيها، والباقي من المراتب يظهر فيها نقص في الغالب وقد لا يظهر، فإنّ هذه المراتب الثلاث ولو ظهر للمرء فيها صورة النقص فذلك هو غاية الكمال وإنّما ينتقصها المرء لجهله، وإليه يشير قوله صلّى الله عليه وسلّم "ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أفعله فو الله إنّي لأعلمهم بالله وأخشاهم له".

وأما سقوط حرمته فهو أكبر قاطع عن الله تعالى. وسقوط الحرمة هو عدم ظهور المبالاة إذا أمره أو نهاه.

ومِن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أنْ لا يشارك في محبّته غيره، ولا في تعظيمه، ولا في الإستمداد منه، ولا في الإنقطاع إليه بقلبه، ويتأمّل ذلك في شريعة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ مَن سوّى رتبة نبيّه محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع رتبة غيره من النبيّين والمرسلين في المحبّة والتعظيم والإستمداد والإنقطاع عليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافرا إلاّ أنْ تدركه عناية ربّانية بسبق محبّة إلهية.

فإذا عرفتَ هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه صلّى الله عليه وسلّم في المحبّة والتعظيم والإستمداد والإنقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل غيره به بهذه الأمور ولا يشركه. ومِن أكبر القواطع عن الله تعالى أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه لأنّ تلك الأنوار الإلهيّة الواردة على العبد بالأسرار والاحوال والمعارف والعلوم والترقّي في المقامات كلّ نور منها يحنّ إلى مركزه وهي الحضرة الإلهيّة، منها برز وفيها نشأ، ولكلّ شيخ من أهل الله تعالى حضرة لا يشارك فيها لغيره، فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور

التي ذكرناها ونُسِب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهيّة إغتاض ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه، وصورة ذلك في نسبة الحكمة الإلهيّة أنّ الله تعالى قضى في كتابه بنسبة كلّ ولد إلى أبيه قال تعالى: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ (3)، فمن نسب نورا إلى غير محلّه مِن الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب في حضرة الحقّ، وكذب على الله تعالى، والحضرة لا تحتمل الكذب، فلذا يطرد ويسلب والعياذ بالله تعالى.اهـ

. والله تعالى الموفّق بِمَنّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة القصص، الآية 56.

2.سورة آل عمران، الآية 128.

3.سورة الأحزاب، الآية 5.

الفصل العشرون

في تحذيرهم عن قصد الكشوفات الكونية والكرامات العيانية، وإعلامهم أنّ طريقتنا هذه طريقة شكر ومحبّة، وأهل هذا لا يشتغلون بالتشوف إلى ما يشغل عن الله تعالى، ولا يلتفتون إلى الكشوفات الكونية، ولا إلى الكرامات العيانية.

فلأجل كونهم محبوبين لا يحصل لهم شيء منها إلاّ نادرا، بل المحبوبون منهم لا يحصل لهم شيئا من ذلك البتّة لئلاّ يركنوا إليه فيجد الشيطان سبيلا إلى إغوائهم وإضلالهم فيريهم من الأباطيل ما

يكون استدراجا لهم كما يقع لكثير ممّن ركن إلى ذلك فَضَلَّ وأضَلّ، وهلك وأهلك، نعوذ بالله تعالى من الخسران. حتّى إذا أراد الله تعالى أن يفتح عليهم بفضله يفتح على شخص من غير شعور منه فتحا يحصل به على سعادة الدارين، جعلنا الله تعالى منهم بفضله، آمين.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، قال في الوصايا القدسيّة:

وينبغي أن يكون، يعني المريد الذاكر، صادقا يخلص بهمّة نفسه من التعلّقات بالكائنات، والميل إلى المتشهّيات والمستلذّات التي هي المعبودات الباطلة، ومن الميل إلى الكشوفات الكونيّة والكرامات العيانيّة فلا طائل تحتها، ويطلب الحقّ وحده، وينزّه طلبه من المزج بهوى النفس، فإنّ الميل إلى الكشوفات الكونيّة والكرامات من جملة هوى النفس وهواها، ومَن الْتَفَتَ إليها، وكان مقصده ومطمح نظره في ذكره تلك، فهو مدرج فيما بين

الممكورين، بل وإن وقعت بلا طلب يُخاف عليه مِن الإستدراج. قال الكبار: " إذا دخل السالك في بستانٍ، وقال طيور وأشجار ذلك البستان بألسنتهم: السلام عليك يا وليّ الله، فإنْ لم يفطن أنّه مُكِرَ به فقدْ مُكر به وهو لم يشعر ". وجميع المرشدين نفّروا المريدين من الميل إلى الكرامات العيانيّة، يقال أنّها حيض الرجال.

وقيل لأبي يزيد: " فلان يمشي في ليلة إلى مكّة "، فقال: " الشيطان يمشي في ساعة من المشرق إلى المغرب لعنة الله تعالى عليه ". وقيل له: " فلان يمشي على الماء "، فقال: " الطير يطير في الهواء، والسمك يمرّ على الماء ". أهـ.

وقال سهل بن عبد الله: " أكرم الكرامات أن تبدّل خُلُقاً مذموما من أخلاقك ".

وقال زين العابدين الخوافي في الوصايا: " ولا يدخل الخلوة لقصد كشفٍ كونيّ أو تحصيل كرامات عيانيّة، فإنّ مَن دخل الخلوة على هذه الأمانة ولا يراعي شرط الإخلاص يتصرّف فيه الشيطان ويلعب به ويتمسخر، ويُريه الأشياء الباطلة بصورة الحقّ ".

وقال: دخل واحد من الأصحاب في خراسان الخلوةَ بلا إذنٍ وبلا وقت، فجاء إليه الشيطان في صورة الخضر فقال: " له أتريد أن تحصل لك العلوم اللدنيّة؟ "، قال: " نعم "، وكان مائلا إلى أن يتكلّم بالمعارف على جريان اللسان، فقال له: " إفتح فاك "، ففتح فاه، فرمى الشيطان بزاقة في فيه، ثمّ بعد ذلك صنّف كتابا مشتملا على أبواب من المعارف، فلمّا وصل إلى الملاقات عَرَضَ عليّ ما صنّف وحكى واقعته، فقلت: " يا مسكين ذلك كان شيطانا قد جاء إليك في

صورة الخضر ولعب بك وشغلك عن طاعة الله تعالى وذِكْرِهِ، رُحْ واغسل الكتاب وتُب إلى الله تعالى من الإختيار ".

والشيطان يجيء على صور الصالحين كثيرا، و لا يقدر على التمثيل بصورة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال صلّى الله عليه وسلّم: "من رآني في المنام فقد رآني حقا فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي"، ولا بصورة الشيخ إذا كان الشيخ تابعا للنبيّ صلّى الله

عليه وسلّم، مأذونا بالإرشاد من شيخه المأذون، هكذا إلى حضرة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم. ويجيء كثيرا على صورة الجبّارين المتفقّهة، وعلى صورة المبتدعين، وعلى صورة المردة الكريهة المنظر، أصحاب القلانس في سنّ الست والسبع وإلى ثلاثة عشر وخمسة عشر، وعلى صورة الماكرين، ويجيء على صورة الكلب الأسود والذئب، وعلى صورة نورانيّة حمراء كَدِرَة اللون وبيضاء أيضا، وبين الحمرة والبياض لكن بياض لونه ليس بصاف يطلع على الوجه على السرعة وينطفئ، وعلى غير هذه الصورة أيضا، يعرفه المحترزون المستعيذون بالله

تعالى، المخلصون لله الصادقون في معاملاتهم مع الله تعالى، تلك الصور ينبئهم الحقّ سبحانه وتعالى عليها بواسطة شيخهم وتعريفه إيّاهم، وكيفية مداخله ومواقع إضلالهم وتلبيساتهم في الحضور والغيبة بعد صِحّة الرابطة.

قال: ولقد رأيته جاء إليّ بصورة الخضر في زاوية نور الأباد في خرسان في الخلوة، فقلت بعد كلام معه: " أريد أن أسمع منك حديثا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بلا واسطة كما سمع الشيخ ركن الملّة والدين علاء الدولة قدّس سرّه منك بلا واسطة، فتغيّر، ثمّ إذا افتتحت الحديث وقلت: قال رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم: "إذا رأيت الرجل حجوجا معجبا برأيه قد تمت خسارته" قام وهرب متغيّر الصورة الخضروية إلى صورة لصّ مكدّرة، فقصدتُ أخذَه فلم أدركه. قال: والمقصود من هذا التطويل التنبيه والتحذير حتّى لا يقع السالك المتبتّل، القاصد لرؤية الأشياء ووقوع خوارق العادات، في شبكة الشيطان، ولا يدخل الخلوة بلا إذن الشيخ قطعا.

قال بعض المشايخ: " مَن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ".

قال: ولقد رأيت مَن يدّعي الإرشاد قطع الشيطان عليه الطريق، وصار مِن أكبر وكلائه في الإضلال والإفساد في معرض الإرشاد. فالصدق والإخلاص، وعدم الإعجاب بشيء من

الفضائل المحقّقة الوجود، واتّهام النفس بالسوء على الدوام ورؤية التقصير، وعدم الإندراج في زمرة الكاملين، وحُسْن الظنّ بالله تعالى، والتحرّز عن الإستعجال في نَيْل الوصول، وتوطين النفس على التحمّل في الإعتزال عن العوام والأراذل، وعدم استحقار من آمن بالله تعالى ورسوله، وقِصَر الأمل، وملاحظة هجوم الأجل، ممّا يؤيّس الشيطان ويوقعه في الحرمان عن إيقاع الضرر في منافع الإيمان، ويدفعه عمّا يعوق للسالك في العروج إلى ذروة العرفان، نسأل الله تعالى علوّ الهمّة. أهـ.

قلت: وإذا فهمتَ ذلك فاعلم أنّ هذه الطريقة الأحمديّة الإبراهيميّة الحنيفيّة التجانيّة طريقة شُكر ومحبّة، الرياضة فيما تعليق القلوب بالحقّ سبحانه وإلزامها، والعكوف على بابه واللجأ إلى الله تعالى في الحركات والسكنات، والتباعد عن الغفلات المتخللة بين أوقات الحضور، وعبادته تعالى عن إخلاص العبوديّة والبراءة من جميع الحظوظ مع الإعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفيته للربوبيّة حقّها، وسكون ذلك في
القلب على ممرّ الساعات والأزمان. فبينما الواحد منهم في مقام التوبة والإستغفار من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين، فلذلك لا يكون الفتح على واحد منهم إلا هجوميّا لا تشوّف منه إليه، وحيث كان هذا فلا يكون إلاّ ربّانيّا لا يناله إلاّ الموقن العارف الحبيب الذي لا يستدرج بالكشوفات الكونيّة والكرامات العيانيّة لئلا يركن إليه ظنّاً منه أنّه قد حصل على طائل، فتزلّ قَدمُه في مهاوي الهلاك وهو غافل، ويَضلّ فيُضلّ ويهلك كما يقع لكثير من الضالّين المضِلّين الذين سلكوا الطريق واستعملوا الخلوات لأغراض فاسدة من غير
شيخ أصلا، أو بيد شيخ كذّاب غير واصل مأذون له في الإرشاد، ولم يعلموا أنّ المقصود من التربية هو تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السرّ وليس ذلك إلاّ بإزاحة الظلام منها، وقطْعِ علائق الباطل عن وجهتها، ثمّ قطْع الباطل عنها، تارة يكون بصفائها في أصل خلقتها بأن يطهّرها الله تعالى بلا واسطة، وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون، فقدْ كان الناس في تلك القرون متعلّقين بالحقّ باحثين عليه، إذا ناموا ناموا عليه وإذا استيقظوا استيقظوا عليه، وإذا تحرّكوا تحرّكوا فيه حتى إنّ من

فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم، إلاّ النادر، متعلّقة بالله تعالى وبرسوله،باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما، فلهذا كثر فيهم الخير وسطع في ذواتهم نور الحقّ سبحانه، وظهر فيهم

من العلم وبلوغهم درجة الإجتهادا ما لا يكيّف ولا يطاق، فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج إليها، وإنّما يلقّن الشيخ مريده وصاحب سرّه ووارث نوره فيكلّمه في أذنه فيقع الفتح للمريد بمجرّد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول، وتشوّقها إلى نهج الرشاد.

ويكون قطع الظلام من الذوات بتسبّبٍ من الشيخ وذلك فيما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيّات، وكسدت الهويات، وصارت العقول متعلّقة بالدنيا باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات واستيفاء اللذات، فكان الشيخ صاحب البصيرة يلقّن مريده ووارثه، فيعرفه وينظر إليه فيجد عقله متعلّق بالباطل ونيل الشهوات، ويجد ذاته تتّبع العقل في ذلك فتهلك مع اللاّهين وتسهوا مع الساهنين وتميل مع المبطلين، وتتحرّك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة من حيث أنّ العقل الذي هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحقّ، فإذا وجدَه في هذه الحالة أمَره بالخلوة وبالذكر، وبتقليل الأكل، فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هُمْ في عداد الموتى، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه، وبتقليل الأكل يَقِلّ البخار الذي في الدماغ فتقلّ الشهوة فيرجع العقل إلى التعلّق بالله تعالى وبرسوله، فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاته حمل السرّ.

فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة. ثمّ بقى الأمر على هذا مدّة إلى أن اختلط الحقّ بالباطل، والنور بالظلام، فصار أهل الباطل يريدون من يأتيهم بإدخال الخلوة وتلقين الاسماء على نيّة فاسدة وغرض مخالف للحقّ، وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات تُفضي بهذا إلى مكر من الله. أنظر الإبريز للشيخ أحمد بن المبارك.

إن قلتَ: قد ظهر لنا أنّ قصد الكشوفات الكونيّة والكرامات العيانيّة مذموم ومضلّ ومهلك، وأنّ طريقة شيخكم طريقة شكر فلذلك مَنّ الله تعالى بحفظهم من الأباطيل التي يضلّ بها الشيطان، ولكن نريد أن تزيدنا بيانا في ذلك، وتبيّن لنا أيضا الفرق بين طريقة الشكر التي هي طريقتكم وطريقة المجاهدة، حتى أنّ الأولى مدارها كلّها على الشكر والفرح بالمنعم مِن غير مشقّة ولا كلفة والأخرى مدارها على الرياضة والتعب والمشقّة والسهر والجوع وغيرهما، وأيّهما أوْلى؟ وهل هُمَا متوافقان على الرياضة؟ وإنّما يأمركم شيخكم بالشكر

بعد القرب للوصول أو عنده، أو هو أمرٌ بالشكر والفرح بالله تعالى من أول وهلة وحين البداية؟ وهل الطريقان يمكن سلوكهما لرجل واحد أو لا يمكن أن ينتفع بإحداهما إلاّ بالإعراض عن

الأخرى؟

أقول: والجواب، والله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ للصواب، نقَله الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز عن الشيخ القطب عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضي الله تعالى عنه:

أنّ طريقة الشكر هي الأصلية، وهي التي كانت عليها قلوب الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم، وهي عبادته تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحضوض، مع الإعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبيّة حقّها، وسكون ذلك في القلب على ممرّ الساعات والأزمان. فلمّا عَلِم منهم تبارك وتعالى الصدق أثابهم بما يقضيه كرمه من الفتح في معرفته ونيل أسرار الإيمان به عزّ وجلّ، فلمّا سمع أهل الرياضة ما حصل لهؤلاء مِن الفتح في معرفته ونيل أسرار الإيمان به عزّ وجلّ جعلوا ذلك هو مطلوبهم ومرغوبهم، فجعلوا يطلبونه

بالصيام والقيام والسهر ودوام الخلوة حتى حصلوا على ما حصلوا. فالهجرة بطريقة الشكر كانت من أول الأمر إلى الله وإلى رسوله لا إلى الفتح وللمكشوفات، والهجرة في طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل المراتب، والسير في الأوّلى سير القلوب وفي الثانية سير الأبدان. والفتح في الأولى هجومي لم يحصل من العبد تشوّف إليه، فبينما العبد في مقام طلب التوبة والإستغفار من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين.

والطريقتان على الصواب، لكن طريقة الشكر أصوب وأخلص، والطريقتان متّفقتان على الرياضة لكنّها في الأولى رياضة القلوب بتعلّقها بالحقّ سبحانه وإلْزامها العكوف على بابه، واللجأ إلى الله تعالى في الحركات والسكنات والتباعد عن الغفلات المتخللة بين أوقات الحضور، وبالجملة الرياضة فيها تعلّق القلب بالله تعالى عزّ وجلّ والدوام على ذلك وإن كان الظاهر غير متلبّس بكبير عبادة ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر، ويقوم وينام، ويقارب النساء، ويأتي بسائر وظائف الشرع التي تضاد رياضة الأبدان.

وقال مرّة أخرى، بعد قوله: والهجرة في طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل المراتب، ثم بعد الفتح منهم من يبقى على نيّته الأولى فينقطع قلبه مع الأمور التي يشاهدها في العوالم، ويفرح بما يرى من الكشف والمشي على الماء وطيّ الخطوة، ويرى أنّ ذلك هو الغاية، وهذا من الذين خلت قلوبهم من الله عزّ وجلّ في بداية الأمور ونهايتها، فهو الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (1)، ومنهم من تتبدّل نيّته بعد الفتح، ويرحمه الله تعالى ويأخذ بيده، فيتعلّق قلبه

بالحقّ سبحانه ويعرض عن غيره، وهذه الحالة التي حصلت لهذا بعد الفتح هي كانت البداية في طريق الشكر فيما بعد ما بين الطريقتين، وتباين ما بين المطلبين، وبالجملة فالسير في الأولى سير القلوب وفي الثانية سير الأبدان، والنيّة في الأولى خالصة وفي الثانية مشوبة، والفتح في الأولى هجوميّ لا تشوّف من العبد إليه فكان ربّانيّا وفي الثانية نِيلَ بحيلة وسبب، فانقسم إلى الوجهين السابقين.

والفتح في الأولى لا يناله إلاّ المؤمن العارف الحبيب القريب، بخلاف الفتح في الثانية فإنّك قد سمعت أن للرهبان وأحبار اليهود رياضات توصّلوا بها إلى شيء من الإستدراجات، وأما الجمع بينهما فيمكن للشخص أن يعلّق قلبه بالله عزّ وجلّ في سائر حركاته وسكناته، ويقيم ظاهره في المجاهدات والرياضات، والله تعالى أعلم. اهـ.

وإلى جميع ما تقدّم يشير كلام شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، كما في جواهر المعاني، حيث قال:

والأمر الثاني ممّا أصيك به، ترك المحرّمات المالية شرعا أكلا ولباسا ومسكنا، إلى أن قال: والأمر الذي لا بدّ منه بعد هذا، وهو بداية جميع الأمور ونهايتها، تعلّق القلب بالله تعالى والإنحياز إليه وترك ما سواه عموما وخصوصا، فإنْ قدِر العبد على ارتحال القلب إلى الله تعالى بكلّ وجه وعلى كلّ حال بحركة القلب حسّا فهو الغاية. اهـ. وكما قال أيضا:

والواجب في حقّ السالك أن يمسي ويصبح، ويظلّ ويبيت ليس له مراد إلاّ شيئان، الأوّل: هو الله عزّ وجلّ، إختيارا عن جميع الموجودات، واستغناء به عنها، وأنَفَةً من لحظها، وغيرة أن يختار سواه، وليكن الله عزّ وجلّ هو مبدأ مراده ومنتهاه، وأوّل مراده وآخره، ومفتتحه وختمه، ومستغرقا لقصر مراده عليه فيما بين ذلك كلّه حتى لا تبقى لمحة يريد فيها غيره لأنّ إرادة الغير إمّا طمع أو عبث، والثاني: من مرادات السالك أن يكون كلّه لله عزّ وجلّ خالصا رقية غيره، كامل التعلّق به سرّا وروحا وعقلا ونفسا وقلبا وقالبا حتّى لا

يكون منه ذرّة مختلفة عن الله تعالى، ويكون واقفا مع مراده عزّ وجلّ، منسلخا عن جميع الإردات والإختيارات والتدبيرات والحظوظ والشهوات والأغراض، واقفا في ذلك كلّه مع الله

سبحانه لا شيء منه لنفسه ولا بنفسه ولا مع نفسه، ولكن ذلك عبودية لله عزّ وجلّ من أجله، وإرادته لوجهه، وآداء لِحَقّ ربوبيّته لا ليعود عليه منه شيء، ولا يختر على الله عزّ وجلّ أن يكون له مراده بل لتخلص ربوبيّته ربّه لا قنوطا من خيره لئلاّ يكفر، ويحسن ظنّه به لِما هو عليه من كمال الصفات المحمودة. اهـ.

وإلى معنى جميع ما تقدّم يشير بعض كلام أملاه سيّد الوجود، وعلم الشهود، سيّدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلّم على واحد من أصحاب الشيخ ﷺ وأرضاه وعنّا به، يقظةً لا مناماً، ليأتي به إلى الشيخ ﷺ وأرضاه وعنّا به، حيث قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: قل له، يعني الشيخ رضي الله تعالى عنه، هنا تجرّد العبادة ينقسم إلى أربعة أقسام، العبادة الأولى: هنا هي التجريد والإنقطاع إلى الله تعالى بالأعمال الكاملة والإخلاص التام، ويكون هذا الإنقطاع من غير قصد، ويكون مراده بهذا الإنقطاع أن

يمجّد الله ويعظّمه ويسبّحه ويقدّسه ويحمد الله تعالى على الحالة التي هو عليها، ولا يقصد في عبادته شيئا، ولا ينظر فيها إلى شيء، فتصعد أفعاله إلى الله تعالى وتدخل على الباب المفتوح وتشتغل بتحوّل على ما ذكرناه أولا ولا يكون وقوف إلا التجلي لقوله تعالى: وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (2)، وأهل العمل الصالح هم الذين لم يقصدوا في أعمالهم شيئا من مصلحة ولا منفعة، ولا يسأل في عبادته إلاّ الإعانة والعافية الكاملة، يسألها لآخرته.

قل له خيار السؤال، إذا سأل أحدكم، فليسأله في العفو والعافية، وإذا كان قصده في تجريده وانقطاعه وصولا إلى مقام أو طلب علم أو سرّ، تطلع أعماله حتى ترد على الباب المغلق فتجلس تعاينه ينفتح ساعة ترجو صاحبها يرجع ويقول عبادتي لله لأطلب حاجة، فإذا أُلْهِمَ وقال هذا رجعت ودخلت عل الباب المفتوح، وإن لم يقل ما ذكر رجعت تلك الأعمال منقطعة كانقطاع الريح في الهواء، فتجول حتى تسكن بمعنى تنقلب عليه خسرانا.

إلى أن قال صلّى الله عليه وسلّم: قل لحبيبي التجاني كلّ هذه المعاني في القرآن العظيم، وقل له: هذا الكتاب يدلّك على ما أمرتك به، قلت لك: لا تقصد شيئا، ولا تجتهد في حرص على شيء. اجتهد في العبادة ومخالفة النفس، فالحرص والإجتهاد لا يكون إلاّ في العبادة لله عزّ وجلّ، ومخالفة النفس، والحرص فيما يقصده الإنسان في العبادة هو تأخير الفتح. قل له: هو تأخير الفتح، قل له: هو تأخير الفتح، قل له: هو تعويق الفتح إلى ثلاث مرات. اهـ.

والله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة الكهف، الآية 104.

2.سورة البقرة، الآية 82.

الفصل الحادي والعشرون

في تحذيرهم عن الإشتغال بالوقائع والركون إليها والتشوّف إلى حصولها، وإعلامهم بأنّ المريد الذي لم ير شيئا ولا يرى في واقعه ليس بأقلّ مرتبة ممّن رأى ويرى، بل أفضل.

فأقول، وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، إعلم أنّ هذا الفصل كالفرع من الذي قبله، وإنّما غرضنا في الإتيان به دفع وَهْم الجهّال والقاصرين من الطلبة.

فالتنصيص على عدم أفضلية من رأى أو يرى ممّن لم ير ولا يرى، وإعلامهم أنّ من لم ير ولا يرى أفضل لسلامته من مفسدة الدعوة التي يموت صاحبها، إن لم يتب، كافرا، ومن الركون إلى ما رأى، ومن الوقوف عنده القاطع به في تحصيل المقصود بالذات.

قال الإمام الشيخ أبو القاسم القشيري في رسالته:

وإذا لزم مريد استدامة الذكر والْتزام الخلوة، فإنْ وَجَدَ في خلوته ما لم يجدْ قلبه، إمّا في النوم وإمّا في اليقظة، أو بين اليقظة والنوم، مِن خطاب يُسمع أو معنى يُشاهد بما يكون نقصا للعادة فينبغي أن لا يشتغل بذلك البتّة، ولا

يسكُن إليه، ولا ينبغي أن ينتظر حصول أمثال ذلك فإنّ هذه كلّها شواغل عن الحقّ سبحانه، ولا بدّ في هذه الأحوال مِنْ وَصْفِ ذلك لشيخه حتّى يصير قلبه فارغا عن ذلك، ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سرّه، ويكتم على غيره أمرَه، وليُصَغِّرْ ذلك في عينيه فإنّ ذلك كلّه اختبارات والمساكنة إليها مكرٌ، فليحذر المريد مِنْ ذلك ومِنْ ملاحظتها، ولْيجعلْ همّته فوق ذلك. اهـ.

وقال زين العابدين الخوافي في الوصايا القدسيّة:

والضرّ الذي يحصل للسالك في إظهار واقعة لغير شيخه أكثر مِنْ أن يُحصى. مَن لم يُعوِّد النفس على كتمان الواقعات لا يقدر على كتمان الكرامات. فإذا تصدّى للإظهار أدّاه إلى الوقوف

والاستقصار، وعدم البلوغ إلى ذروة معارف الاولياء الكبار.قال بعضهم: صدور الأحرار قبور الأسرار.

ولقد رأى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم واحدٌ من الصوفيّة في واقعته أو منامه وسأل عن التصوّف بعد أن كان عنده أنواع من التعريفات التي قالتها الصوفيّة، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: " التصوّف ترْك الدعاوي وكتمان المعاني ".

وأيّ شيخ يُظهِر في واقعات مريديه ممّا لا يتعلّق بالتأديب والتربية فهو ساعٍ في حجاب مريده بالاعجاب، والأوْلى بحال المريد نفي ما رآه في واقعته فإنّ الواقعات أكثرها خيالات تربّى بها أطفال الطريقة، وليس من لم ير شيئا ولا يرى في واقعته بِأقلّ مرتبة ممّن رأى ويرى، بل أفضل، فإنّ ضعفاء اليقين إذا رأوا يقوى يقينهم، وأمّا القويّ الكامل فهو لا يلتفت إليها، فإنّه يعلم أنّ الدار الآخرة على ما بَيَّنَ الله سبحانه وبَيَّنَ رسولُه في أحاديثه، فهي كما وصف من الجنّة ونعيمها، والنار وجحيمها، ومِنَ الحساب لبعضٍ

وعدمه لبعضٍ، ووزن الأعمال وسائر الأحوال والأهوال، فلو لم تنكشف تلك الأمور فسترى يوم البعث والنشور، ولو انكشف خلاف ما وصل بتسويل الشيطان فيضمحلّ ذلك بنور الإيمان، فأيّ فائدة في كشفها، وأيّ ضرر في عدم كشفها لمن أراد العروج إلى معارج العرفان، والوصول إلى مشاهدة جمال الملك المنّان؟

وأمّا أمور هذه الدار، فكشْف أحوال الناس ممّا يشغل سرّ السالك بالحوادث والعوارض ومتى كان ملتفت الخاطر إلى الحادث فأنّى يستعدّ لظهور نور القديم وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

كان يقول الشيخ قدّس الله سرّه: " أيّ فَرْقٍ بيْن أن تعرف أحوال الناس بإخبارهم إيّاك وبيْن أن تعرف بكشفك؟ حادث عرف حال حادث؟ ماذا حصل لك في سلوكك؟ فأيّ شيء ينفعك هذا في طريق معرفة الحقّ سبحانه؟ ويقولون فلانا رآى العرش، ورآى جسما أعظم الأجسام وأعلاها وأصفاها، حادث رأى حادثا ". فكان قدّس سرّه وجازاه بالشفقة علينا خير الجزاء ينفّرنا غاية التنفير منَ الْإلتفات إلى المكاشفات الكونيّة والكرامات العيانيّة، وكنّا إذا حصل لواحد مِنّا شيء مِنَ الخوارق يبكي خوفا مِنَ الْإلتفات المكمون المدفون في النفس من

غير اطّلاع القلب عليه. فكان قدّس سرّه يُسَلِّينَا ويقول: " ما تبالون إذا لم تكونوا ملتفتين لا يضرّكم ". والمقصود مِنْ هذا التطويل أنّ السالك المُحِبّ الذاكر المشتاق لا يلتفت إلاّ إلى الإخلاص مِن عوالم التقييد إلى عوالم الإطلاق ليستعدّ لحزب الكريم الخلاّق.

وسأل صاحب الإبريز شيخه رضي الله تعالى عنهما عمّا يذكره سقراط وبقراط وأفلاطون وجالينوس وغيرهم من الحكماء وفلاسفة الكفر في العالم العلويّ مِثْل كلامهم في النجوم وسيْرها، ومواضع أفلاكها، وقولهم أنّ القمر في الفلك الأوّل، وعطارد في الثاني،
والزهرة في الثالث، والشمس في الرابع، والمرّيخ في الخامس، والمشتري في السادس، وزحل في السابع، إلى غير ذلك ممّا يحكمون به في القرانات وأمور تعديل الفلك، من أين لهم بذلك مع أنّه غيب محض إذ ليس ممّا يُدرَك بالحواس ولا بأدلّة النظر، وَهُمْ لا يستندون في ذلك إلى وحي من الله تعالى لبعض أنبيائه؟ وما يُحكى في ذلك عن سيّدنا إدريس على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام لا يَفِي بتفاصيل ما ذكروه مع أنّ النسبة إلى سيّدنا إدريس بَعُدَتْ مسافتها، والتواتر في طريقها مُنْتَفٍ بالضرورة، وخبر الآحاد فيها لا يُجدي شيئا
إذ هذا الخبر إنْ كان مِنَ الفلاسفة وهُمْ أهل كفر، وخبر الواحد لا يُقبل إلاّ مِنَ العدل، وإنْ كان مِن غيرهم فهذا الغير لا يُعلم كفره ولا إيمانه.
فقال له شيخه ﷺ: إنّ الله تعالى خَلَقَ الحقّ والنور وخلق له أهلا، وخلق الظلام والباطل وخلق له أهلا، فأهل الظلام يفتح لهم في الظلام ومعرفته وجميع ما يتعلّق به، وأهل الحقّ يفتح لهم في الحقّ ومعرفته وجميع ما يتعلّق به.

والحقّ هو الإيمان بالله تعالى، والاقرار بربوبيّته، والتصديق بأنّه يخلق ما يشاء ويختار، مع الإيمان بالأنبياء والملائكة وجميع ما يتعلّق برضاه سبحانه وتعالى. والظلام هو الكفر وكلّ قاطع عن الله سبحانه وتعالى، ومنه الدنيا والأمور الفانيّة والحوادث التي تكون فيها، كفاك دليلا على ذلك لَعْنُ النبي صلّى الله عليه وسلّم لها حيث يقول: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله وما والاه".
وأنّ الحقّ نور من أنوار الله تعالى تُسقَى به ذوات أهل الحقّ فتتشعشع أنوار المعارف في ذاتهم، وأنّ الباطل ظلام تُسقَى به ذوات أهل الباطل فتسْوَدُّ عقولهم وتعمى أبصارهم عن الحقّ، وتصمّ

آذانهم عن سماعه، بل لا يقع في عقولهم ولا يخطر ببالهم، وإنّما الحقّ عندهم بمنزلة شيء في طيّ العدم لم يسمع به قَطّ.

فغفلتهم عن الحقّ كغفلة ذي العقول عن مثل هذا الذي هو في طيّ العدم على الصفة السابقة، ولذلك يُفتَح على أهل الباطل في مشاهدة هذا العالم، سمائه وأرضه، ولا يشاهدون فيه إلاّ الأمور الفانيّة المتعلّقة بالأجرام الحادثة وهيآتها مثل ما يذكرونه في أحكام النجوم، مثل النجم الفلاني موضعُه في الفلك كذا، وإنّه إذا قارنه نجم كذا كان كذا وكذا.

وأمّا قبْر النبي صلّى الله عليه وسلّم، والنور المستمدّ منه إلى قبّة البرزخ، وذوات الأولياء العارفين بالله تعالى، وأرواح المؤمنين الكائنة بأفنيّة القبور، والحَفَظَة والكرام الكاتبين والملائكة الذين يتعاقبون فينا، وغير ذلك مِنْ أسرار الحقّ الموصلة إلى الله تعالى التي وضعها في أرضه، فلا يُفتَح لهم في معرفتها، ولا يقع في عقولهم أبدا، لأنّ الله تعالى ساقهم بالظلام، وقطَعَهم عن معرفته بالكليّة.

وكذلك لا يشاهد أهل الظلام شيئا مِنْ أسرار الحقّ سبحانه التي وضَعَها في سمائه، ولا يشاهدون شيئا مِنَ الملائكة، ولا يستمعون تسابيحهم، ولا يشاهدون الجنّة والقلم، ولا اللوح و أنوار الحروف الخارجة من القلم، وكذلك لا يعرفون الحقّ سبحانه الذي هو خالقهم. وبالجملة فقد حجبهم الحقّ سبحانه عن نفسه وعن كلّ ما يوصل إليه، وفَتَحَ عليهم في غير ذلك ممّا يضرّهم ولا ينفعهم.

وأمّا أهل الحقّ فلَهُمْ فتحٌ في أوّل الأمر وفي ثاني الأمر بجميع ما سبق فتْحُه لأهل الظلام في هذا العالم، سمائه وأرضه، فيشاهد صاحب هذا الفتح الأرضين السبع وما فيهنّ، والسموات السبع وما فيهنّ، ويشاهد أفعال العباد في دورهم وقصورهم، لا يرى ذلك ببصره وإنّما يراه ببصيرته التي لا يحجبها ستر ولا يردّها جدار، وكذلك يشاهد الأمور المستقبَلة بكلّ ما يقع في شهر كذا وسنة كذا، وأهل الظلام في هذا الفتح على حدّ السواء، ولذا يُقال: " الكشف أضعف درجات الولاية "، أيّ لأنّه يوجد عند أهل الحقّ ويوجد عند أهل الباطل،

وصاحبه لا يأمن على نفسه مِنَ القطيعة واللحوق بأهل الظلام حتّى لا يقطع مقامه و يتجاوزه.

وأمّا الفتح في ثاني الأمر فهو أن يُفتحَ عليه في مشاهدة أسرار الحقّ التي حجب عنها أهل الظلام، فيشاهد الأولياء العارفين بالله تعالى ويتكلّم معهم، ويناجيهم، على بُعْدِ المسافة، مناجاة

الجليس لجليسه، وكذا يشاهد أرواح المؤمنين فوق القبور، والكرام الكاتبين والملائكة، والبرزخ وأرواح الموتى التي فيه، ويشاهد قبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعمود النور الممتدّ منه إلى قبّة البرزخ.

فإذا حصلت لهم مشاهدة ذات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة حصل له الإيمان من تلاعب الشيطان به لاجتماعه مع رحمة الله تعالى وهو سيّدنا ونبيّنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم. ثمّ اجتماعه مع الذات الشريفة سببٌ إلى معرفته بالحقّ سبحانه ومشاهدة ذاته الأزليّة لأنّه يجد الذات الشريفة غائبة في الحقّ، هائمة في مشاهدته سبحانه، فلا يزال الوليّ ببركة الذات الشريفة يتعلّق بالحقّ سبحانه ويرتقي في معرفته شيئا فشيئا إلى أن تقع له المشاهدة وأسرار المعرفة وأنوار المحبّة، فهذا الفتح الثاني هو الفاصل بين أهل
الحقّ وأهل الباطل، وأمّا الفتح الأوّل فإنّه كما يقع لهم يقع لأهل الظلام، فيقع لهم الفتح في مشاهدة الأمور الفانيّة، ويتمكّنون من التصرّف فيها، فترى المبطل يمشي على البحر، ويطير في الهواء، ويُرزق من الغيب، وهو من الكافرين بالله عزّ وجلّ وذلك أنّ الله تعالى خلق النور وخلق منه الملائكة، وجعلهم أعوانا لأهل النور بالتوفيق والتسديد وخرق العوائد، وكذاك خلق الظلام وخلق منه الشياطين وجعلهم أعوانا لأهل الباطل بالإستدراج والمزيد في الخسران والتمكّن من الخوارق.
قال رضي الله تعالى عنه: وعلى هذا تخرج حكاية اليهوديّ الذي كان مع إبراهيم الخواص ﷺ في سفينة، وتعارفا وترافقا في العِشْرَة، فقال له اليهوديّ: " إنْ كنتَ صادقا في دينك فهذا البحر فَامْشِ فأنا ماشٍ عليه "، فتقدم اليهوديّ يمشي فوق الماء، فقال إبراهيم الخواص: " واذُلاّهُ إنْ غلبني اليهوديّ "، ثمّ رمى نفسه فوق البحر، فأعانه الله عزّ وجلّ ومشى مع اليهوديّ، ثمّ أنّهما خرجا من البحر، فقال اليهوديّ لإبراهيم: " إنّي أريد منك الصحبة في السفر "، فقال إبراهيم: " لك ذلك "، فقال اليهوديّ: " بشرط ألاّ

تدخل المساجد لأنّي لا أحبّها، ولا ندخل الكنائس لأنّك لا تحبّها، ولا ندخل مدينة لئلاّ يقول الناس اصطحب مسلم ويهوديّ، ولكن نجول في الفيافي والقفار ولا نتخذ زادا "، فقال إبراهيم: " لك ذلك ". فخرجا إلى الفلوات، ثمّ بقيا ثلاثة أيام لم يذوقا شيئا، فبينما هما جالسان إذ أقبل كلب يمشي إلى اليهوديّ وفي فمه ثلاث أرغفة فطرحها بين يديه وانصرف، قال إبراهيم: " فلم

يعرض عليّ أن آكل معه، فبقيت جائعا، ثمّ أنّه أتاني شابّ من أحسن الناس شبابا، وأطيبهم رائحة، وأحسنهم وجها، وأحلاهم منظرا، وفي يده طعام ما رؤي مثله،
فطرحه بين يديّ وانصرف، فعرضت على اليهوديّ أن يأكل معي فأبى، فأكلت "، ثمّ قال اليهوديّ: " يا إبراهيم إنّ ديننا ودينكم على الحقّ، وكلّ منهما يوصل وله ثمرة، إلاّ أنّ دينكم أرقّ وألْطف وأبهى وأحسن، فهل لك أن ندخل؟ "، قال: " فاسلم وكان مِن جملة أصحابنا المتحقّقين بالتصوّف ". هكذا ذكر الحكاية أبو نعيم في الحِلية في ترجمة إبراهيم الخواص.
قال سيّدي أحمد بن المارك: فسألت شيخنا عن ذلك، فقال: " خلا دار أبيهم، إنّما الشياطين تلعب بهم فظنّوا أنّ لعبادتهم ثمرة "، ثمّ ذَكَرَ الكلام السابق وكيف حال أهل الحقّ وكيف حال أهل الباطل، ولا مطلب للمرء وراءه، والله تعالى أعلم.
ثمّ قال رضي الله تعالى عنه: إنّ أصل علوم الفلاسفة، وما حكموا به في العالم العلويّ ونحو ذلك، هو أنّ رجلا كان في زمن سيّدنا إبرايم الخليل على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، فآمن به، وجعل يسمع منه أمورا تتعلّق بالفتح في ملكوت السماوات والأرض، ثمّ لم يزل ذلك دأبه إلى أن وقع له

هو أيضا الفتح، فوقف مع ما شاهد في العوالم، وانقطع عن الحقّ سبحانه، وخسر الدنيا والآخرة، وجعل يفرح بما شاهد في العالم العلويّ، ويذكر مواضع النجوم ويربط بها الأحكام، ورجع عن دين إبراهيم فتلقّى ذلك منه من أراد الله خذلانه إلى ان بلغ إلى الفلاسفة الملعونين.
قال ﷺ: إشتد غضب الله على ذلك الرجل لأنّه دلّ على غير الله تعالى، فهو من القاطعين عن الله تعالى.
قال ﷺ: إنّ فائدة الرسالة والنبوّة خصلة واحدة: وهي الدلالة على الله تعالى عزّ وجلّ والجمع عليه، حتّى أنّا لو فرضنا فرضا مستحيلا في ذاتٍ أُمِرَتْ بالرسالة والنبوّة، ثمّ جعلتْ تدلّ على غيره تعالى، أو جعلتْ تجمع الناس على نفسها وتقطعهم عن الحقّ سبحانه، فإنّها تنقلب إلى الوصف السابق في ذلك الرجل. هذا الفرض المستحيل ذكرناه على سبيل المبالغة للتنفير من الدلالة على غيره تعالى.
ثمّ قال رضي الله تعالى عنه، وكنّا نمشي على قنطرة باب الحديد، أحد أبواب فاس حرسها الله تعالى بِمَنِّهِ: " ما فائدة هذه القنطرة؟ "، قلتُ: " المشي عليها حتّى يخلص من المهوى إلى التي

تحتها، ويبلغ الماشي عليها إلى مقصوده من الأرض "، قال رضي الله تعالى عنه: " ولو ارتفعتْ منها هذه الفائدة كان ضررا محضا على الناس "، قلتُ: " نعم "، قال رضي اله تعالى عنه: " وكذلك الانبياء والمرسلون، والملائكة المقرّبون، وسائر عباد الله الصالحين، فائدتهم الدلالة على الله تعالى والجمع عليه، ولو ارتفعت منهم هذه الفائدة
كانوا على الصفة السابقة في القنطرة "، والله تعالى أعلم.

ثمّ قال: وقال رضي الله تعالى عنه: إنّ الكاملين مِن أهل الحقّ إذا سُئِلُوا عن مسألة مِن الحوادث التي ستقع لم يتكلّموا فيها إلاّ بالنزر مِن القوْل لأنّه أوّل الأمر شاهدوه، وقد شاهدوا الحقّ بعده فعلموا بطلانه، فَهُمْ يكرهونه ويكرهون الكلام فيه، ولأنّ الدنيا والحوادث الواقعة فيها مبغوضة عند الله تعالى، وَهُمْ مُبغِضُون ما يبغضه الحقّ سبحانه، وأيضا فلا يتكلّمون فيها إلاّ بالنزول عن درجتهم كما ينزل مِنَ الثريّا إلى الثرى، فإنّ درجة تلك الحوادث
هي درجة فتح أهل الظلام. وأيضا فإنّهم رضي الله تعالى عنهم لا يشاهدون إلاّ بأنوار الحقّ سبحانه، ونور الحقّ يرتفع فيه الزمان وترتيبه، ولا ماضٍ فيه ولا حال ولا مستقبل، فأكثر ما يعلم الوليّ بنور الحقّ أنّ الحادث الفلاني واقع لا محالة، وأمّا أنّه يقع يوم كذا فلا يحصل لهم إلاّ بالنزول إلى اعتبار الزمان وترتيبه، وهو من الظلام عندهم بالنسبة إلى نور الحقّ، ومثل من يفعل ذلك كمثل الشمس إذا نزلت من سمائها إلى الأرض وأخذت مرآة بين عينيها وجعلت تنظر بها. قال: فقلت فإنّ الحقّ سبحانه يعلم ما سيقع وترتيبه، ويعلم ما في الماضي وما في الحال وما في المستقبل، والوليّ ينظر بنوره، فينبغي أن يعلم ما سبق من غير نزولٍ إلى درجة الظلام، فقال رضي الله تعالى عنه: ذلك لأنّه تعالى أحاط بكلّ شيء علما، والربّ تعالى قويّ، والعبد ضعيف، وعلم العبد قاصر، وبالجملة فالعبد لا يقاس بربّه تبارك وتعالى، وقد قال سيّدنا الخضر لسيّدنا موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام: " ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلاّ كما نقصه هذا العصفور بنقرته من البحر ".

قال رضي الله تعالى عنه: وقد يتكلّم الوليّ بشيء من الحوادث المستقبلة، فيخبرها نازلا عن درجته، وليس ذلك بمعصيّة ولكنّه قصور همّة، وانحطاط عن الذروة العليّة، وسوء أدبٍ إنْ قصد إليها مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأنّ حالته عليه والصلاة والسلام لم تكن كذلك، على أنّ أكثر الأولياء الكاملين رضي الله تعالى عنهم إنّما يتكلّمون فيها غلبةً بِحُكْمِ القدَر، وتصريف الحقّ

إيّاهم سبحانه على مايريد، إذْ هُمْ رضي الله تعالى عنهم مظاهر الحقّ.
قال: قلت، وأكثر ضرر الخلق في معرفة الأولياء ومخالطتهم من هذا الباب، أمّا في المعرفة فإنّهم لا يفرّقون بين فتح أهل الظلام وفتح أهل الحقّ، فيحسبون أنّ كلّ ما زاد على علومهم من الكشوفات، وخرج عن طوقهم من الخوارق، كمالٌ وحقٌّ وولايةٌ من الله تعالى لمن ظهر ذلك على يديه. ففريق من الناس يعتقدون ولاية مَن يكاشف، ويعتقدون أنّه الغاية، وفريق آخر يعتقدون ولاية مَن استقام في الظاهر وداوم على الصيام والقيام وإنْ كان باطنه خاليا مِن الحقّ متعلّقا بغيره.
وأمّا في المخالطة فإنّ البعد بعدان يوفّقه الله تعالى للإجتماع مع وليّ كامل قد يكون غرضه من ذلك الوليّ عكس المطلوب من الوليّ، فإنّ المطلوب منه أن يُعَرِّفَ العبد بربّه، ويحذّره مِن القواطع التي مِن أعظمها حبّ الدنيا والميل إلى زخارفها، فإذا جعل العبد يطلب منه قضاء الحوائج والأوطار اليوم على اليوم والسنة على السنة، ولا يسأله عن ربّه ولا كيف يعرفه، مقَتَهُ الوليّ وأبغضه، فهو السالم إنْ نجا من مصيبة تنزل به من الوليّ، وذلك لأمورٍ أحدها: أنّ محبّته للوليّ ليست لله عزّ وجلّ وإنّما هي على حَرْفٍ،

والمحبّة على حَرْفٍ خسران مبين، يكون معها الوساوس وتحضرها الشياطين، ولا ينزل عليها نور الحقّ أبدا. ثانيها: أنّ الوليّ يراه في تعلّقه بالدنيا في عين القطيعة وهو يريد أن ينقذه منها، والعبد يطلب أن يزيده منها. ثالثها: أنّ الوليّ ساعفه في قضاء بعض الأوطار، وقابله ببعض الكشوفات، وقع للعبد المسكين غلط، فيظنّ أنّ هذا هو الذي ينبغي أن يقصد من الوليّ، وكلّ ذلك ضلال ووبال.
قال: وقد سمعت شيخنا رضي الله تعالى عنه يقول: إنّما مثل الوليّ كمثل رجل عَمَلُه صنعة الفخّار، فيه يحرّك يده، وتعمل جوارحه، ومع ذلك فعنده الخزائن التي يحتاج إليها الناس مِنْ طعامٍ وغيره، والخزائن، وإنْ كانت عنده، فقلبُه مُعرِض عنها، لا تقَع عنده بِبَال ولا تساوي عنده شيئا، ولا يُحبّ الكلام إلاّ في عمل الفخار وصنعته، ويكره غاية مَنْ يتكلّم معه في غيره، ويبغضه حتّى يخاف ذلك المتكلّم أن يناله ضرر من الرجل المذكور.
فإذا جاءه رجلان، وقد عَلِمَا حالته وبغضه للكلام في غير عمل الفخار، وأرادا منه شيئا من تلك الخزائن، فالموفّق منهما والكيّس هو الذي يتكلّم معه في عمل الفخار، ويسأل عن صنعته،

وكيف يعمل، ولا يزال هذا دأبه حتّى تناله مِنَ الرجل محبّة عظيمة، ومودّة كبيرة، فإذا سأله بعد ذلك شيئا من تلك الخزائن مكّنه منه ولا يقع له ضرر.

وغير الموفّق منهما هو الذي يأتي لذلك الرجل ويطلب منه أوّلا شيئا مِن تلك الخزائن، ويتكلّم معه فيها، فإنّه إنْ سَلِمَ مِن ضرب الرجل له بفخّارة على رأسه كان هو السعيد، وكان رِبْحُه هو سلامته لا غير. فهذا مثل الوليّ، لا صنعة له ولا حرفة له إلاّ لمعرفة الحقّ وما يوصل إليه، ولا يحبّ كلاما إلاّ فيه، ولا جمْعا إلاّ عليه، ولا وصولا إلاّ منه، ولا قربا إلاّ إليه، فمَن عرفه على هذا رَبِحَ منه الدنيا والآخرة، ومَن عرفه على غير هذا كان على العكس.

وقال رضي الله تعالى عنه: أنّ الفتح الأوّل، وإنِ اشترك فيه أهل الظلام وأهل الحقّ، لكن المقصود به مختلف، فإنّ المقصود به لأهل الظلام طردهم عن بابه، وصدّهم عن سبيله، لأنّه تعالى أبغضهم وقطعهم عنه، وعلّق قلوبهم بغيره، وأمدّهم بهذه الخوارق ابتلاء واستدراجا ليحسبوا أنّهم على شيء.

قلت: ولهذا أنشؤوا في الكرامات، حيث قالوا:

بعض الرجال يرى كون الكرامات ... دليل حقّ على نيل الكرامات

وإنّها عينُ بُشرى قد أتتك بها ... رسُل المهيمن مِن فوق السموات

وعندنا فيه تفصيل إذا علمتْ ... به الجماعة لم تفرح بآيات

كيف السرور والإستدراج يصحبها ... في حقّ قوم ذوي جهل وآفات

وليس يدرون حقّا أنّهم جهلوا ... وذا إذا كان مِن أقوى الجهالات

وما الكرامة إلاّ عصمة وجدت ... في حقّ قوم بأفعال ونيّات

تلك الكرامة لا تبغي بها بدلا ... واحذر من المكر في طيّ الكرامات

وأنشد غيره

ترك الكرامة لا يكون دليلا ... فأَصِخْ لقولي هو أقوم قيلا

... إنّ الكرامة قد يكون وجودها ... حظّ المُكَرَّم ثمّ ساء سبيلا

... فاحرص على العلم الذي كُلِّفْتَهُ ... لا تتّخذ غير الإله بديلا

ستْر الكرامة واجب متحقّق ... عند الرجال فلا تكن مخذولا

وظهورها في المرسلين فريضة ... وبها تنزّل وحيه تنزيلا

وإيضاح ذلك:
أنّ الوليّ يدعو إلى الله تعالى بشرعٍ صحيحٍ ثابتٍ قد تقرّر قبله مِنْ غيره مِنَ النبيّين، والنبيّ يدعو إلى الله تعالى بشرع غريب قد أتى به لم يتقدّمه فيه أحد مِنْ أهل عصره، فاحتاج إلى ظهور المعجزات الدالة وصحة ما جاء به. اهـ. أنظر كشف الران.
والله تعالى الموفّق بِمَنِّهِ إلى الصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثاني والعشرون
في إعلامهم أنْ لا بدّ لكلّ مريد صادق أن يقتصر على قدوة واحد، ولا يتشوّف ويلتجئ إلى غيره، ولا يزور وليّا من الأولياء الأحياء والأموات

أقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، إعلم أنّ الاقتصار على شيخ واحد لا يتعدّاه إلى غيره شرطٌ لازمٌ في طريق أهل الله، ولا بدّ لكلّ مريد صادق التزامه وإلاّ فلا سبيل له إلى الوصول البتّة إلاّ أن تدركه عناية ربّانيّة بِسَبْق محبّةٍ إلهيةٍ.
قال سّيدي أحمد بن المبارك في الإبريز:
وسمعته، يعني القطب عبد العزيز، يقول رضي الله تعالى عنه: إنّ العبد لا ينال معرفة الله حتّى يعرف سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم، ولا يعرف سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم حتّى يعرف شيخه، ولا يعرف شيخه حتّى يموت الناس في نظره فلا يراقبهم ولا يراعيهم، فَصَلِّ عليهم صلاة الجنازة وانزع من قلبك التشوّف إليهم.
وقال في موضع آخر: فإنّ المريد لا يجيء منه شيء حتّى لا يكون بقلبه غير الشيخ والله تعالى والرسول صلّى الله عليه وسلّم.
وقال في موضع آخر: وسرّه لا يطيقه إلاّ مَن كان فخّاره صحيحا بأنْ يكون صحيح الجزم، نافذ العزم، ماضي الإعتقاد، لا يُصغى لقول أحد من العباد، قد صلّى على ما عدا شيخه صلاته على الجنازة.
وقال صاحب الرائية:
ولا تَقْدُمْ مِن قبل اعتقادك أنّه ... مُرَبٍّ ولا أوْلى بها منه في العصر
فإنّ رقيب الإلتفات لغيره ... يقول لمحبوب السراية لا تسري

وقال في الإبريز:

قال الشيخ عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: أيّ لا تقدمَنّ على شيخ بقصد الدخول في محبّته حتّى تعتقد أنّه مِن أهل التربية، وأنّه لا أحقّ منه بها في زمنه. وإنّما وجب عليه ذلك لأنّ الشيخ الذي يرى من مريده الإلْتِفات إلى شيخٍ غيره يقطع عنه المادّة، والمريد الذي يدخل في صحبة شيخ وهو يرى أنّ في الوجود شيخا مثل شيخه وأكمل منه يبقى متشوّقا إلى ذلك الأكمل في اعتقاده، فيراه شيخه متشوفا إلى ذلك الأكمل عنه في اعتقاده فيقطع عنه المادّة فلا يكون بالأوّل ولا بالثاني.

قال: وقد رأينا مثل هذا في زماننا كثيرا والله يكون لنا وليّا ونصيرا.

وفي الباب الأحد والثمانين ومائة من المفتوحات المكيّة للشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي رضي الله تعالى عنه:

إنّما كان المريد لا يفلح قَطّ بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين إلَهَيْنِ، وعلى عدم وجود المكلّف بين رسولين، وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين. اهـ.

وقال في الخلاصة المرضيّة:

واعلم أنّ الاحتياج إلى شيخ واحد من وجوه لا تكاد تنضبط أو تدخل تحت الحصر، وَذَكَرَ منها: أنّ الطرق إلى الله تعالى كثيرة، وقد تعلّق كلّ شيخ بطريقة لا يتعدّاها ولا يخلطها بغيرها ليثبت الطالب على طريقة، ويمكنه أن يواظب عليها، ولا يتشوّش همّه، تارة يميل إلى هذه وتارة يميل إلى تلك فيكون مِن قبيل المُذَبْذَبِين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

والمبتدي غير مستقلّ بالاختيار، وعلى فرَض الاختيار ليس في وسعه الثبات عليه فإنّ الولاية في باطنه للنفس والشيطان، فإذا شرع في طريقه والتعلّق بها زيّن له الشيطان طريقة أخرى، وتساعده النفس وتُبَيِّنُ له بالبرهان أنّها أفضل من هذه، ومقصوده أن يزيله عن الأولى. فإذا زال واشتغل بأخرى زيّن له أخرى، إلى أن يميل الطالب وتسكن حرارة طلبه فيرجع القهقرى.

وإذا كان في حصن الشيخ وحُسْنِ ولايته فالشيخ يحفظ أحواله بقوّة ولايته المستفادة من قوّة الحضرة النبويّة، ويثبّته عليها بهمّته الصافية وكلامه المؤثر النافذ، فيرى بنور ولاية الشيخ أنّ الداخل عليه شيطان فيضعف الخاطر إذِ الشيطان لا يقوم في مقابلة نور ولاية الشيخ.

وقال بعد هذ الكلام: قال الشيخ جبريل الحزماباذي رحمه الله تعالى: ويتعيّن ربط القلب من

الشيخ من طريق الإرادة والمحبّة فتعلم أنّك في حمايته وولايته وظِلّ رعايته في جميع الأوقات فتمسك بهذه الطريقة بأمره وإرشاده، والله تعالى يحفظ أوقاتك وأحوالك

بواسطته، ويكون باطنك متوجّها إليه. فالأصل اتّصال الباطن وقوّة الرابطة حتّى لو قام أرواح الأولياء بإعنتك وتربيتك، وأرادوا أن يتصرّفوا فيك، لا يمكنهم لئلاّ نصير من قبيل المذبذبين بين ذلك. اهـ.

وقال قبل هذا الكلام: ومِن شرْطِ المريد أن لا يبقى في نفسه مقدار لكلّ شيء إلاّ لشيخه خاصة، ومتى كان عند المريد تتطلّع إلى شيخ آخر فلا تصفو محبّته، ولا ينفذ القول فيه، ولا يستعدّ با طنه لسراية حال الشيخ، فإنّ المريد كلّما أيقن بتفرّد الشيخ عرف قدره وفضله، وقوِيَتْ محبّته.

والتأليف هو الواسطة بين الشيخ وبين المريد، وعلى قدرة المحبّة يكون سراية الحال. فاحترام الشيخ توفيق وهداية وإهمال ذلك خذلان وعقوق، فدوامْ ربْطَ القلب بالشيخ بالإعتقاد والإستمداد على وصف التسليم والمحبّة والتحكيم واجب، ويكون في اعتقاده أنّ هذا المظهر هو الذي عيَّنَه الحقّ سبحانه للإفاضة عليه ولا يحصل له فيض إلاّ بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا مملوءة بالمشايخ. اهـ.

وقال الشيخ زين الدين الخوافي رضي الله تعالى عنه:

قد ورد في بعض الأحاديث، على ما أثبتته المشايخ في كتبهم، أنّ الشيخ في قومه كالنبيّ في أمّته، فلا بدّ للمريد أن يتوجّه إلى شيخه بربط قلبه معه، ويعتقد أنّ القبض لا يجيء إلاّ بواسطة، وإنْ كان الأولياء كلّهم هادين مُهتدين، يعتقدهم كلّهم ويدعو لهم، ولكن استمداده الخاصّ واستفادته يكونان من شيخه وحده، ويعلم أنّ استمداده من شيخه هو استمداده من النبي صلّى الله عليه وسلّم لأنّه نائبه وهو من الحقّ سبحانه وتعالى جلّ اسمه، سُنّة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لِسُنّة الله تبديلا. اهـ.

وقال شيخ الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، السيّد المختار الكنتي رضي الله تعالى عنه، لمّا سئل:

" هل يُخلّ بإرادة المريد أن يزور الصالحين الأحياء والأموات أو أحدهما فقط "، أنّه إن كانت زيارته رغبة عن شيخه أو احتقارا له فذلك ممّا يُخِلّ بإرادة، ويكون سببا لحرمانه وعدم الإنتفاع

بجميعهم، لأنّ ما جاز عن المثل يجوز على مماثله، بل لو رآه على معصية فنقص ذلك من نيّته واعتقاده لكان ذلك سببا لهلكته كما نَصَّ على ذلك جميع مشايخ السلف واتّفقوا عليه، وجُرِّبَ وصَحَّ. اهـ. وليس لذي جدال وخصومة تمسّك بقوله.

وأمّا على وجه التواصل وطلب الخير فلا قائل يمنع ذلك، ولا أنّه يضرّ به، وإنّما ذلك مِن مُحدثات القرن التاسع حين كثرت الدعوى، وغلب الهوى، وعمّ البلاء، وكثرت البدع، وانتشر الفساد، لأنّا نقول: أنّه رضي الله تعالى عنه قال في غير هذا المحلّ: والإطّراح بين يدي الشيخ في الظعن والمقام بحيث لا تملك معه نفسا ولا مالا في البدء والإختتام، وحُسْن التعلّق به في الهمّ والإهتمام، والإستغناء به عن جميع الآنام، وفي هذا المحلّ مكتوب حتّى ترى أنّ الله لم يخلق غيره في وقتك.

ونقول أيضا: أنّ التواصل في الله وفي الرحم ممّا أجمع المسلمون على وجوبه والتعليم واستماع الوعظ ونحوهما من الخير.

وشيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به لم يَنْهَ أهل طريقته عن شيء ممّا ذُكِرَ وإنّما نَهاهم عن الزيادة المعلومة بالقصد المعلوم، فهو والشيخ المختار وغيرهما مِن الشيوخ رضي الله تعالى عنهم أجمعين مجمعون على المنع من تلك الزيارة.

وإذا تقرّر هذا فلا يتوجّه هذا الكلام إلاّ على مَن عَمّ من الشيوخ منع مَن كان مِن المريدين الصادقين المجدّين المهيمين من زيارة غير شيخه مطلقا، ومِن حضور مجلس غير شيخه، ومِن سماع كلامه كالخلوتية وأمثالهم.

قال العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الدردير في تحفة الإخوان:

والخلاف في بعض آداب أهل العرفان، فالآداب التي تطلب من المريد في حقّ الشيخ أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا وباطنا، إلى أن قال: وتقديمه على غيره، وعدم الإلتجاء لغيره من الصالحين، ولا يزور وليّا من أهل العصر ولا صالحا، اللّهم إلاّ بإذنه، ولا

يحضر مجلس غير شيخه، ولا يسمع مِن سواه حتّى يتمّ سَقْيُهُ مِن ماء سرّ شيخه وخطابي بهذا الصادقين المجدّين المهيمين لا كلّ من تلقّى الذكر عليه بِقَصْدِ التبرّك. ومن أراد من المشايخ قصر كلّ مَن لقّنه الذكر عليه فهو مخطئ، ويعلم بذلك أنّه ليس بشيء في طريق الله تعالى. اهـ.

إنْ قلتَ: قد يتمسّك بعض القاصرين في العلم أو في الفهم أو فيهما، أو بعض الحسدة المردة

الذين ينكرون حسدا وعنادا بقوله: لا كلّ مَن تلقّى الذكر بقصد التبرّك ومن أراد من الأشياخ الخ ...

قلتُ: لا يتمسّك بهذا الكلام إلاّ مَن لا عقل له لوجوده.

أوّلها: أنّ الشيخ قد يعطي قاصده من الطلبة أذكارا من غير الأذكار اللازمة للطريقة، ومن غير أذكار الخصوص، ونحن نفعل ذلك والحمد لله.

ثانيها: أنّ قوله " وخطابي بهذا الصادقين " يردّ هذا المنكر لأنّه حيث جعل من ينتسب إلى شيخ ويتلقّى منه الأذكار ويتعلّق به ثمّ قصد غيره لزيارته والأخذ منه والتبرّك به غير صادق في دعواه والإنتساب إلى الأوّل وصحّة الأخذ منه فقد حصل مرادنا.

وثالثها: أنّا قدّمنا أوّلا أنّ شيخنا ﷺ وأرضاه وعنّا به لم يعمّم المنع لأنّه ما منع أحدا من أهل طريقته من التعلّم من جميع الأولياء والعلماء، ومن حضور مجالسهم، ولا مِن استماع مواعظهم وكلامهم، ولا من التواصل في الله وفي الرحم، ومع هذا كلّه فنحن والحمد لله معاشر الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية التجانية لا ننكر على من عمّم من الشيوخ رضي الله تعالى عنهم لأنّهم ما نَهَوْا وما أَمروا إلاّ عن إذنٍ ومشاهدةٍ لأنّهم أهل صدق ولا ينطقون إلاّ بما يشاهدون، ويأخذون عن الله تعالى وعن رسوله صلّى

الله عليه وسلّم الأحكام الخاصّة للخاصّة لا مدخل فيها للعامّة لأنّه صلّى الله عليه وسلّم يُلقي الأحكام العامّة للعامّة في حياته، إذا حرّم شيئا حرّمه على الجميع وإذا فرض شيئا فَرَضَه على الجميع، وهكذا سائر الأحكام الشرعية. فلمّا انتقل إلى الدار الآخرة، وهي كحياته صلّى الله عليه وسلّم سواء، صار يُلْقي إلى أمّته الأمر الخاصّ للخاصّ ولا مدخل لأمر العام للعام فإنّه انقطع بموته صلّى الله عليه وسلّم. قاله شيخنا أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، كما في جواهر المعاني.

وقال ابن عطاء الله ﷺ في مفتاح الفلاح:

والكامل أن يأخذ ويمسك إن شاء ويعطي إن شاء، فإنّه مع ما يلقى الله إليه في الحكم كصورة التلميذ بشيخه، فكما لا يُعترَض على التلميذ في الفعل الذي يأمره به شيخه، كذلك لا يُعترَض على الشيخ فيما يفعله بإذن عن الله إذا كان شيخا حقيقيّا. اهـ.

قلتُ: ويؤيّد هذا الكلام أنّ جميع أهل الفتح يشاهدون الملائكة، والكامل بينهم ينزل عليه مَلَكٌ

بالأمر والنهي، ولا يلزم من ذلك أن يكون ذا شريعة.

قال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز:

أنّه سأل شيخه عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى: وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (1)، هل تدلّ الآية على نبوّة السيّدة مريم؟ وهل ما قيل من نبوّة غيرها من النساء كأمّ موسى وآسيا امرأة فرعون، وسارة وهاجر وحوّاء صحيح أم لا؟ لأنّ مِنَ العلماء مَنْ ذهب إلى الأوّل، ومنهم مَنْ ذهب إلى الثاني، وحكى بعضهم الإجماع عليه

في السيّدة مريم فيكون غيرها أحرى، ومنهم مَن توقّف كالشيخ الأشعري رئيس أهل السُنّة والجماعة. واستدلّ الأوّلون بأنّ الملك لا ينزل إلاّعلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وقد صرّحت الآية بنزوله على مريم، وجعلوا هذا فارقا بين النبيّ والوليّ، فقالوا: النبي ينزل عليه الملك والوليّ يُلهم ولا ينزل عليه الملك.

وذَكَرَ أنّ شيخه قال رضي الله عنهما: أنّ الصواب مع أرباب القول الثاني، وهو نفي النبوّة عن نوع النساء، ولم تكن لله نبوّة في ذلك النوع أبدا، وإنّما كانت مريم صدّيقة. والنبوّة والولاية وإنِ اشتركتا أنّ كُلاّ منهما نور وسرّ من أسرار الله عزّ وجلّ، فَنُورُ النبوّة مباين لنور الولاية، وما به المباينة لا يُدرَك على الحقيقة إلاّ بالكشف، غير أنّ نور النبوّة أصل أصليّ ذاتي حقيقي مخلوق مع الذات في أوّل نشأتها، ولذا كان النبيّ معصوما في كلّ أحواله، ونور الولاية بخلاف ذلك لأنّ المفتوح عليه إذا نظر إلى من

سيصير وليّا يرى ذاتا وسائر الذوات،وإذانظر إلى ذات من سيصير نبيّا رأى نور النبوّة في ذاته سابقا، ورأى تلك الذات مطبوعة على أجزاء النبوّة السابقة التي سبقت في حديث "إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف"، فيكون صاحبها مطبوعا على قول الحقّ ولو كان مرّا، وعلى الصبر الذي لا يحسّ معه بألم، ولا تكون معه كلفة، وعلى الرحمة الكاملة، وعلى معرفة الله عزّ وجلّ على الوجه الذي ينبغي أن تكون المعرفة عليه، وعلى الخوف التامّ منه عزّ وجلّ خوفا يمتزج فيه الخوف الباطنيّ بالخوف الظاهريّ حتّى يدوم له الخوف في سائر أحواله،

وعلى بُغض الباطل بُغضا دائما، وعلى العفو الكامل حتّى يَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ وينفع مَنْ ضَرَّه، فهذه هي خصال النبوّة وأجزاؤها السبعة التي تطبع عليها ذات النبيّ قبل الفتح وبعده. وأمّا

ذات الوليّ فإنّها قبل الفتح مِنْ جملة الذوات ليس فيها شيء زائد، فإذا فُتِحَ عليها جاءتها الأنوار، فأنوارها عارضة، ولذا كان الوليّ غير معصوم قبل الفتح وبعده، وأمّا ما ذَكَرَهُ في الفرق بين النبيّ والوليّ مِنْ نزول المَلَكِ وعدمه فليس بصحيح، لأنّ الولي لا بدّ أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هُمْ عليه، ويخاطبهم

ويخاطبونه، وكلّ مَن قال أنّ الوليّ لا يشاهد الملك ولا يكلّمه فذلك دليل على أنّه غير مفتوح عليه. اهـ.

ثمّ قال الشيخ أحمد بن المبارك: قلت، وكذا قال الحاتمي رحمه الله تعالى في الفتوحات المكيّة في الباب الرابع والستين وثلاثمائة: خَلَطَ جماعة من أصحابنا، منهم الإمام أبو حامد الغزالي، في قولهم في الفرق بين النبيّ والوليّ، أنّ النبيّ ينزل عليه المَلَكُ والوليّ يُلْهَمُ ولا ينزل عليه الملك، قال: والصواب أنّ الفرق فيما ينزل به الملك، فالوليّ إذا نزل عليه الملك فقد يأمره بالإتّباع، وقد يخبره بصحّة حديث

ضعّفه العلماء، إلى أنْ قال الشيخ أحمد: إذا فهمتَ كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه في الفرق السابق علمتَ أنّ ما استصوبه الحاتمي رحمه الله تعالى في الفرق غيرُ ظاهرٍ لأنّ حاصله أنّ الوليّ لا يتنزّل عليه الملك بالأمر والنهي، ويلزم منه أنْ يكون ذا شريعة كما في قصّة مريم، فإنّ المَلَك نزل عليها بالأمر وليست نبية. اهـ.

قلتُ: وإذا كان المفتوح عليه على هذه المرتبة فلا يستبعد أن يكون منعه أهل طريقته عن زيارة الأولياء إِذْنا مِنَ الله تعالى، ومِن رسوله صلّى الله عليه وسلّم، بواسطة مَلَكٍ من الملائكة.

وقال الشعراني في أوّل الطبقات:

ثمّ أنّ العبد إذا دخل طريق القوم، وتبحّر فيه، أعطاه الله هناك قوّة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حدّ سواء، فيستنبط في الطريق واجبات، ومندوبات، ومحرّمات، ومكروهات، وخلاف الأوْلى، نظير ما يفعله المجتهدين. وليس إيجاد مجتهد باجتهاده شيئا لم تصرّح الشريعة بوجوبه أوْلى مِن إيجاب وليّ الله تعالى حُكْما في الطريقة لم تصرّح الشريعة بوجوبه، كما صرّح بذلك اليافعي وغيره.

وإيضاح ذلك أنّهم كلّهم عُدُول في الشرع، اختارهم الله تعالى لدينه، فمَن دقّق النظر عَلِمَ أنّه لا يخرج شيء من علوم الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة وهي وصلتهم إلى

الله عزّ وجلّ في كلّ لحظة، لكن استغراب من لا له إلمام بأهل الطريقة أنّ علم التصوّف علم الشريعة كونه لم يتبحّر في عِلْم الشريعة. اهـ.

وقال الشعراني في البحر المورود في المواثيق والعهود:

أخذ علينا العهد أن لا نمنع أحدا قَطّ عن زيارة أحد أقراننا، ومشايخ عصرنا إلاّ إنْ عَلِمْنا من طريق الكشف، الذي لا يدخله محو، أنّ فَتْحَهُم لا يكون إلاّ في بلدنا وعلى أيدينا، فحينئذ نمنعهم مِن زيارة غيرنا مِنَ الاشياخ، تقريبا للطريق عليهم لا حُبّا للرياسة على الناس، فإنْ لم نعلمْ أنّ فَتْحَهُم يكون على أيدينا فليس لنا مَنْعُهم.

قال: وكان سيّدي عليّ الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: ما زكّت الأكابر أنفسها إلاّ ليقرّبوا الطريق على أتباعهم وتلامذتهم لا غير، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: "أنا أوّل شافع وأوّل مشفّع" لتعلم أمّته أنْ لا أحد يشفع قبله فيأتونه أوّلا ولا يذهبون إلى نبيّ بعد نبيّ كغيرهم مِنَ الأمم، أو ممّن لا يبلغهم.

قال: وهذا الأمر مِن الشيخ في حقّ أكابر أصحابه الذين يُفرّقون بين المقامات، أمّا ضعفاء الحال فنقيّدهم علينا حتّى لا يذهبوا لغيرنا لأنّهم كالبهائم السارحة. اهـ.

قلتُ: هذا فصل المقال لأنّ كلام الشيخ الشعراني هذا ناصر لشيخنا مطلقا ولو عمّم المنع، لكن شيخنا رضي الله تعالى عنه لم يعمّم المنع إذْ لم يَنْهَهُم عن جميع ما قدّمنا.

ووجه كوْنه ناصرا لشيخنا أنّه قال: " أنّ الشيخ يمنع ضعفاء الحال من زيارة غيره مطلقا " إذا علم أنّ فتحهم لا يكون إلاّ على يديه أم لا، ويمنع أكابر أصحابه الذين يفرّقون بين المقامات إذا علم من طريق الكشف الذي لا يدخله محو أنّ الفتح عليه ما يكون إلاّ على يديه، ومتى حصل له ذلك العلم فله منْعُه مِن زارة غيره من الأولياء، ومع هذا كلّه، فَقَد

حصل لشيخنا هذا العلم القطعيّ في حقّ جميع أهل طريقته ضعفاء الحمال الذين هم والعوام منهم، والأكابر الذين يفرّقون بين المقامات مِن جهة جدّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قال في جواهر المعاني:

وأمّا أتباعه رضي الله تعالى عنه فقد أخبره سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم أنّ كلّ مَن أحبّه فهو حبيب للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا يموت حتّى يكون وليّا قطعا، وأمَرَهُ أنْ ينهى أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء منه والأموات، وكلّ مَن زار منهم ينسلخ عن طريقته، وذَكَرَ صلّى الله

عليه وسلّم له ﷺ
أنّ مَنْ تَرَكَ أوراده تحلّ به العقوبة، ويأتيه الهلاك. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، قال لي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مسألة غَفَلَ عنها الشيوخ، وهي كلّ مَن عرف شيخا وزار غيره لا ينتفع به ولا بغيره أصلا.
وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: قال لي سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم: إذا مرّ أصحابُك بأصحابي فليزوروهم فقط، وأما غيرهم من الاولياء فلا. اهـ.
وقال في الخلاصة المرضيّة:

ويجب على الشيخ أن لا يترك أصحابه يزورون شيخا آخر، ولا يجالسون أصحابه، فإنّ المضرّة سريعة للمريدين لأنّ لكلّ شيخ طريقة تخصّه لا يتعدّاها ولا يخلطها بغيرها، فيسمع المريد أصحاب ذلك الشيخ يذكرون عن شيخهم خلاف ما أمر به شيخه، فيختلف عليه الأمر، فيوقعه. فوجب على الشيخ سدّ هذا الباب على المريدين. ويتخيّل الناس والمريدون غير الصادقين أنّ الشيخ إنّما يمنع أصحابه من زيارة الشيوخ ومجالسة أصحابهم من أجل رياء وحسب، وهذا كلّه باطل وافتراء على الشيوخ.
قلت: ومِن هنا تعلم أنّه لا ينكر على شيخ منع أصحابه وأهل طريقته من زيارة الأولياء فقط، ويشدّد على ذلك الإنكار ويبالغ فيه إلاّ مَن كان مِنَ الأغبياء الجهلة الذين يعتقدون أنّ زيارة الأولياء كلّهم واجبة إجماعا أو في مذهب من المذاهب، ولم يعلموا أنّ غاية ما قيل فيها الجواز والإستحباب إنْ سلمت مِن محرّم أو مكروه بَيِّنٍ في أصل الشرع كاجتماع الرجال والنساء وتلك الأمور التي تحدث هناك، ولم يعلموا أنّ تضليلهم مَنْ مَنَعَ أصحابه مِن زيارة الأولياء لأسرار يعلمها يجرّهم إلى الكفر لأنّهم نسبوا أولياء الله
تعالى والعارفين وإمام أئمة دار التنزيل مالك بن أنس إلى الضلال، وكفاهم بذلك مِن الله تعالى خسرانا، إذْ قد رُوِيَ عن مالك أنّه قال: لا يُتوسّل بمخلوق أصلا، وقيل إلاّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم. أنظر تأسيس القواعد للشيخ أحمد زرّوق ﷺ. وإذا علمتَ أنّ الزيارة جائزة أو مستحبّة فاعلم أنّه لا اعتراض على شيخ مَنَعَ مريده عن فِعْلِ مباح مثلا.
قال في لواقح الأنوار القدسيّة في العهود المحمديّة:
فإيّاك يا أخي أن تبادر إلى الإنكار عليه إذا رأيت أحدا منهم يأخذ العهد على مريد بتركه المباح

وتقول كيف يأخذ العهد على مريده بتركه المباح مع أنّ الشارع أباحه له، فإنّك في واد وأهل الله في واد. اهـ.

قلت: وبما قدّمنا من كلام السادات الأولياء يعلم كلّ من له أدنى علم ومعرفة أنّه لا ينكر على الأولياء في أمرهم المريد بالإقتصار على قدوة واحدة، ونهيهم من انتسب إلى طريقهم عن زيارة الأولياء، إلاّ مَن لا خلاق له في طريق أهل الله، بل لا ينكر عليهم ذلك إلاّ من لم تبلغ قراءته باب الصيام في مختصر الشيخ خليل،

وإن بلغه فقد نادى على نفسه بالجهل وقلّة الفهم على رؤوس الأشهاد حيث لم يفهم قوله وفي النقل بالعمد الحرام ولو بطلاق بت الألوجه كوالد وشيخ، ولم يعلم أنّ المراد بالشيخ شيخ في الطريقة أخذ المريد على نفسه العهد أنّه لا يخالفه، وألْحَقَ بعضهم به شيخ العلم الشرعيّ. أنظر شرح الدردير وغيره.

حكى القشيري في رسالته:

أنّ شقيقا البلخي وأبا تراب النخشبي قد قدم على أبي يزيد، وقُدِّمتْ السفرة وشابّ يخدم أبا يزيد، وقال شقيق: "كُلْ معنا يا فتى "، فقال: أنا صائم، فقال: أبو تراب ولك أجر صوم شهر، فأبى، فقال شقيق: كُلْ ولك أجر صوم سنة، فأبى، فقال أبو يزيد: دعوا مَن سقط من عين الله، أخذ ذلك الشابّ بعد مدّة وقطعت يده بسرقة. اهـ.

ولذا كان الشيخ في الطريق إذا أمَرَ مريدا شَرَعَ في صوم تطوّع صار تمامه واجبا عليه في بعض المذاهب أن يفطر لأنّه يتعيّن عليه الفطر عند أهل الطريق قاطبة، ويجوز عند علماء الظاهر، ويكون به رابحا، وإنْ أبى خاب وخسر وافتضح كما وقع للشاب، فما ظنّك إذا منَعَه عن فِعْلِ أمْرٍ غايته الجواز والإستحباب.

ومع هذا كلّه فإنّ ساداتنا الأولياء لم يكن فيهم واحد مَنَعَ الناس كلّهم من الزيارة، لا مَنْعَ تحريم ولا كراهة، وحاشاهم من ذلك، وإنّما كلامهم مع المنتسبين إليهم ومَن أراد الإنتساب إليهم، وما منعوا المنتسبين إليهم أيضا من الزيارة مطلقا بل مِنَ زيارة الأولياء فقط.

وفي لواقح الأنوار القدسية:

سمعتُ سيّدي عليّا المرصفي يقول: لا ينبغي لمريد أن يزور ولا يُزار لِغَلَبَة الآفات عليه. فلا هو مرصد للتربية ليُقتدَى به ولا المَزُورُ مُعَدّ لتربيته، وربّما سمع مِن ذلك الشيخ الذي زاره كلمة

موافقة لهواه فتُسَرُّ بها نفسُه. قال: وأراد سيّدي مُحَمَّد الشنّاوي زيارة شخص مِنْ مشايخ عصره فشاور شيخه الشيخ مُحَمَّد بن أبي الحمايل رحمه الله تعالى، فنظر إليه شزرا وقال: يا مُحَمَّد لا ينبغي لمريد أن يأخذ عن شيخ إلاّ إذا عَلِمَ أنّه يكفيه مِن جميع الناس، فإن كنتُ لا أكفيك فكيف تقيّدتَ عَلَيَّ في الظاهر وباطنك بخلافه،

فقال: يا سيّدي التوبة، فتاب. اهـ.

وإلى معنى جميع ما تقدّم أشار كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، كما في جواهر المعاني، حيث قال:

ومِن الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أن لا يُشرك في محبّته غيره، ولا في تعظيمه، ولا في الإستمداد منه، ولا في الإنقطاع إليه بقلبه، ويتأمّل ذلك بشريعة نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ مَنْ سوّى رتبة نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم برتبة غيره مِنَ النبيّين والمرسلين في المحبّة والتعظيم والإستمداد والإنقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت

كافرا إلاّ أن تدركه عناية ربانية بِسَبْقِ محبّة إلهية، فإذا عرفتَ هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه صلّى الله عليه وسلّم في التعظيم والمحبّة والإستمداد والإنقطاع إليه بالقلب، فلا يُسوّي به غيره ولا يشرك.

قلت: ولولا خوف التطويل لجَلَبْنَا في هذا المقام ما لا يَسَعُه إلاّ تأليف، وفي ما ذكرناه كفاية لكلّ موفَّق سعيد، وأمّا غيره فكما قال فيه مولانا: مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (2)

والله تعالى الموفِّق بِمَنِّهِ للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

1.سورة آل عمران، الآيتان 42، 43.

2.سورة الكهف، الآية 17.

الفصل الثالث والعشرون

في إعلامهم بأنّ الوالد المعنويّ الذي هو الشيخ أرفع رتبة، وأوْلى بالبِرّ والتوقير، وأحقّ رعاية، وآكد دراية، وأقرب حسبا، وأوصل نسبا من الوالد الحِسيّ.

فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي بِمَنِّهِ إلى سواء الطريق، قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه، في شرحه على أسماء الله الحسنى عند قوله وأمّا قولُه " البرّ ": فهو اسم من أسمائه تعالى قال الله تعالى إنّه هو البرّ الرحيم، والبرّ معناه المُحسِن، وإحسانه تعالى لا يُحصى، ويُقال فلانٌ برّاً بأبويْه. وفي الخبر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين".

قيل أنّ الحسن بن عليّ بن أبي طالب ﷺ امتنع مِنَ الأكل مع والدته، فقالت له في ذلك، فقال: أخشى أن يقع بصرُكِ على شيء وأسبقكِ على أخْذِهِ ولا أشعر فأكون عاقّا لكِ، فقالت: يا بنيّ كُلْ معي وأنتَ في حلّ. وأنشدوا:

عليك ببرّ الوالدين فإنّه ... يقِيكَ مِنَ الأسواء يا طالب البرّ

لقد طال ما فاضوا عليك مودّة ... وقد طال ما نالوك ما كان مِنْ خير

ومن قارن الرحمن بالشكر شكره ... فحَقٌّ على ذي الشكر أن يألف الشكر

ويحكى عن أبي يزيد أنّه قال: كنتُ في ابتداء إرادتي صبيّا ولِي دون عشرة سنين، فكان لا يأخذني النوم بالليل، وكنتُ أصلّي، فأقسمَتْ علَيَّ والدتي ليلةً أنْ أبيتَ معها في الفراش وأنام، ولم أُرِدْ مخالفتها فنمتُ مع والدتي، وكانت يدي تحت جنبها لم أخرجْها مخافة أنْ تنتبِهَ، ولم يأخذْني النوم، فقرأتُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عشرة آلاف مرة، ثمّ تحرّكتْ وانتبهتْ، فلم تعمل يدي مدّة. وقيل في المعنى:

تمسّكْ بشكر الله والْزمْه دائما ... وإصلاح ذاتِ البَيْنِ يا طالب النجَا

وألْزم بِرَّ الوالديْن فإنّه ... من أركان هذا الدين كهف ومُلْتجَا

به أمَرَ الرحمن جلّ جلاله ... بادِرْ إلى ما قال بالحقّ والرجا

رأى موسى عليه السلام رجلا عند ساق العرش فتعجّب مِنْ عُلُوّ مكانه، فقال: يا ربّ بما بلغ هذا، قال: كان هذا لا يحسد أحدا وكان برّا بوالديْه. وأنشدوا:

إذا أنت لم تغفَلْ عنِ الشكر دائما ... وصلْتَ إلى الرحمن والروح والرضا

والْزم أباك الشكر بعد ثنائه ... فما لي أرى يا صاح قلبَك مُعْرِضَا

ثمّ قال: واعلم أنّ برّ الأصاغر من تلامذة الشيوخ والأساتيذ يكون أكثر مِن برّهِمْ لوالديْهم لأنّ الوالد يحمي ولدَه من آفات الدنيا والشيخ يحمي تلميذه من آفات الآخرة، والأب يربّي ولده

بِاللُّقْمَةِ الفانية والشيخ يربّي تلميذه باللقمة الدائمة. وفي ذلك شعر:

فررت للرحمن ممّا جنتْ يدي ... وأولي أولي الألباب من مهجتي فضلا

هُمْ خير خلق الله فأنعم بقربهم ... وقرّ بهم عينا وأكرم بهم نزلا

فحيّاهم الرحمن كلّ تحيّة ... فأكرم بهم فرعا وأكرم بهم أصلا

وقال غيره

لئن كنت بَرّا فزت بالبرّ والتقى ... ووافيت تقوى الله في السرّ والجهر

وفزت مع الأبرار في كلّ موطن ... وذاك سرور دائم أبدا يسري

وفي لواقح الأنوار القدسيّة في العهود المحمّديّة: أخذ علينا العهد العامّ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن لا نتهاون بمخالفة الوالدين لأغراض الدنيا ولو مباحة فنعدّها كأنّها واجبة أو مندوبة، ونتجنّب كلّ ما يكرهونه من حرام أو مكروه، وذلك أنّ الشارع لم يذكر للعقوق ضابطا يرجع إليه وإنّما ذكر أن لا نخالفهم فيما يطلبونه منّا.

ويحتاج العامل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق حقّ حتّى يعرّفه مقام الوالدين عند الله تعالى.

ثمّ قال واعلم يا أخي أن لا فرق في النهي عن مخالفة الوالدين بين والد الجسم ووالد القلب، بل مخالفة والد القلب أشدّ لأنّه ينقذه من النار أو ممّا يقرّب من النار، وأمّا والد الجسم فإنّه كان سببا في إيجاده في أسفل المراتب، فإنّه أوجده كالطينة أو كالحديد المصداة، فلم يزل والد القلب يلطّفه حتّى صار كالبلّوْر الأبيض أو كالذهب المصفّى.

وأيضا قالوا أبُ القلب كان سببا في مجاورته لأهل حضرة لله تعالى من الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين. وسمعت سيّدي عليّ الخواص يقول: " لا يقدر أحد أن يجازي شيخه على تعليمه أدبا واحدا في الطريق ولو خدمه ليلا ونهارا إلى أن يموت " اهـ.

قلت: والفرق بين شفقه الشيخ على التلميذ وبين شفقة الوالد على الولد جليّ ظاهر لأنّ الشيخ يدلّ التلاميذ على طريق السداد ويسلك بهم سبيل النجاة والرشاد ويجنّبهم عن طريق الشرّ والفساد، فأين هذه الشفقة من شفقة الوالدين على ولدهما التي غايتها الموت ولا بد منه. وشفقة الشيخ على التلاميذ ممّا يوجب الطرد والإبعاد والعطب أبد الآباد، وما أحسن قول القائل:

فضل المعلّم قدرٌ ليس يبلغه ... حُنُوّ أُمٍّ ولا يحويه فضْل أب
فذا يدبّر في الدنيا معيشته ... وذا يمكّنه من أرفع الرُّتَب
وقال في العرائس عند قوله تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا: " ومن الوالدين المشايخ الصوفيّة، وإحسان المريدين إليهم وضْع أعناقهم عند ساحتهم بنعت ترْك مخالفتهم في جميع الأنفاس مع نشر فضائلهم عن الخلق والدعاء لهم بمزيد القرب.
وقال: قال الجنيد: أمرني أبي بأمرٍ، وأمرني السريّ بأمر، فقدّمْتُ أمْر السريّ على أمر أبي، وكلّ ما وجدتُ فهو من براكاته ". اهـ.

وقال عند قوله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا: الإحسان بالوالدين إحترامهما وإجلالهما بإحترام الله تعالى وإجلاله. وأشياخ الطريقة والدون لأهل الإرادة، والاحسان بهم متابعةُ أمْرهم لمحبّة الله تعالى.
وقال عند قوله تعالى يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ: وأيضا يَدْعُ المريدين بأسماء مشايخهم ويدعوهم إلى منازلهم. اهـ.
قلت: ودعاؤهم في ذلك اليوم الشديد الذي تذهل فيه كلّ مرضعة عمّا أرضعت بأسماء المشايخ دون أسماء الآباء والأمّهات يكفي دليلا على ارتفاع رتبة المشيخة التي هي الولادة المعنويّة على رتبة الولادة الجسميّة التي هي ولادة الآباء والأمّهات، فوارد القلب إذا أرفع رتبة من والد الجسم، وممّا يدلّ أنّ رتبة ولد الجسم دون رتبة والد القلب أنّ ولادة الجسم تفتقر إلى ولادة والد القلب، وولادة
والد القلب لا تفتقر إلى ولادة والد الجسم، ولا ينفع والد الجسم ولده إلاّ إذا اتّصل ببعض الشيوخ ولو قل، ورزق الوالد إتّباع الوالد ولكنه لم يلحق مرتبة الوالد فيلحق الله الولد بدرجة الوالد الروحيّ لأنّه من جهة ولادة القلب المنضمّ مع القرابة. ويدلّ على ذلك أنّ الآباء والأمّهات يلحقون بدرجة الأبناء، لذلك قال في السراج المنير عند قوله تعالى وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ: ألحقنا بهم تفضّلا ذرّيتهم وإن لم يكن لذريّة أعمال لأنّه لعينٍ

يجازي ألف عينٍ وتُكرم. قال والذرّيات هنا تصدق على الآباء وعلى الأبناء، وإنّما المؤمن إذا كان عمله أكثر أُلْحِقَ به مَنْ دونه في العمل آباءً كانوا أو أبناءً وهو منقول على ابن عباس

وغيره. ويلحق بالذريّة من النسب الذريّة بالسبب، وهي المحبّة، فإنْ كان معها أخْذ علم أو عمل كانت أجدر، فتكون ذريّة الإفادة كذريّة الولادة لقول صلّى الله تعالى عليه وسلّم: "المرء مع من أحبّ" في جواب من سأل عمّن يحبّ ولم يلحق بهم.

هو يؤيد ما تدّقم أنّ صاحب العرائس قال عند قوله تعالى آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا: أشكل الأمر من تلك الطائفتين أيّهما تبلغ إلى درجة الولاية والمعرفة الموجبة مشاهدة الله وقربه التي لو وقعت ذرّة منها لأحد من هذه الأمّة لنَجَوْا بشفاعته من الناس سبعون ألفا بغير حساب أيّ، أخدموا آباءكم وأرحموا أولادكم فربّما يخرج منهم صاحب الولاية يشفع لكم عند الله تعالى. قال وحكمة الإبهام هاهنا لتشمل الرحمة والشفقة على الجمهور لتوقّع ذلك الوليّ الصادق.

قال: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: " لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا أطوعكم لله عزّ وجلّ من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة لأنّ الله سبحانه وتعالى يُشَفّع المؤمنين بعضهم في بعض، فإنْ كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله والديه إلى درجته لتقرّ بذلك عينه، وإنْ كان الوالد أرفع درجة من والده رفع الله الولد إلى درجته لتقرّ بذلك أعينهم. اهـ.

ويشهد لما قلنا أيضا أن صاحب العرائس قال عند قوله تعالى وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ: هذا إذا وقعت فترة الذريّة من العدم سليمة طيّبة طاهرة مستعدّة لقول معرفة الله ولم تتغيّر من تأثير صحبة الأضداد، لقوله عليه السلام: "كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يعرب عنه اللسان فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه".

فإذا بقيت على النعت الأوّل وصل إليها فيضُ مباشرةِ نورِ الحقِّ ولم يتمّ عليها الأحوال والأعمال ليوصلها الله تعالى إلى درجات آبائهم وأمّهاتهم الكبار من المؤمنين إذ هناك تمّ أرواحهم وعقولهم وقلوبهم ومعرفتهم وعلمهم بالله عند كشف مشاهدته وبروز أنوار جلاله ووصاله. قال وكذلك حال المريدين عند العارفين يبلغون إلى درجات كبراهم وشيوخهم، فآمنوا بأحوالهم وقبلوا كلامهم كما قال رويم قدّس الله تعالى روحه: " مَن آمن بكلامنا من وراء سبعين حجابا فهو من أهله "، وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "من أحبّ قوما فهو منهم"، وقال سبحانه وتعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ. ولا تعجب من ذاك فإنّه تعالى يبلغهم إلى أعلى

الدرجات، فإذا كانوا في منازل الوحش يَصِلُون إلى الدرجات العليا فكيف لا يَصِلُون إليها في مقام الوصلة. اهـ.

قلت: ومن جهة اعتبار ولادة الجسم فقط قال مولانا سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا، ومن جهة انضمام ولادة القلب مع ولادة الجسم قال مولانا سبحانه وتعالى: وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وهذا صريح في رفع الورد من درجات الوارد، وأمّا رفع المريد أو التلميذ إلى درجة الشيخ، فإمّا لولادة القلب وإمّا لكون الولد إذا
كان صالحا أو وليّا وكان الوالد من كبار الأولياء فانضمّت ولادة الجسم إلى ولادة القلب فإنّ مرتبته لا يلحقها غيره غالبا إلاّ أنّه عزيز الوجود، فلذلك قلّ أن يُرى وليّ كبير أو عالم عامل متبحّر متضلّع من جميع العلوم ابن عالم كذلك حتّى ضرب العلماء لِقِلَّتِه المثل لكلّ ما لا يوجد لعزّته ولما ذكرنا، قال ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه في لطائف المنن، لمّا ذكر ولادة الجسم وولادة القلب، قال: " إنّ تلك الأبوّة تفتقر إلى هذه، وهذه لا تفتقر إلى تلك ". كما سيأتي في آخر هذا الفصل إن شاء الله تعالى.
وقال في الخلاصة المرْضِيّة: " فالمشايخ لمّا اهتدوا وأُهِّلُوا للإقتداء بهم وجُعِلُوا أئمّة للمتّقين فيسوس الشيخ نفوس المريدين كما يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح، فبذلك يصير المريد كالجزء من الشيخ كما أنّ الولد جزء من الوالد في الولادة الطبيعيّة، وتصير هذه الولادة الثانية ولادة معنويّة كما ورد عن عيسى عليه السلام: (لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرّتيْن). وصدق اليقين على الكمال يحصل لهذه الولادة وإبهام يستحق ميراث الأنبياء، ومَن لم يَصِلْهم ميراث الأنبياء فما وُلِدَ.

فمن المشايخ من كثر أولاده ويأخذون عنه الأحوال ويدعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بواسطة الصحابة، ومنهم من تقلّ أولاده، ومنهم من ينقطع نسله ". اهـ.
فقال مُحَمَّد بن السيّد المختار الكنتي رضي الله تعالى عنه، مجيبا من سأله: " وأمّا حديث "من علّمك حرفا فهو مولاك" فصحيح صريح في تعظيم حرمة المعلّمين ووجوب توقيرهم وبرّهم والإحسان إليهم وإنافة منزلهم والتنمية بمكانتهم وإنزالهم من المتعلّمين منزلة الموالي الواجب احترامهم وخدمتهم على العبيد المتعيّن عليهم الإجلال بمواليهم كما يشهد

لهم حديث " بجّلوا المشايخ فإنّ تبجيلهم من تعظيم جلال الله ". على أنّهم متفاوتون في الرتب، فمرتبة معلّم الخير دون مرتبة المربّي إذِ المعلّم إنّما هو مرشد إلى إقامة رسوم التعبّد برعاية حدود الشريعة الظاهرة وإقامة الأحكام المتعلّقة بالحلال، والمربّي مرشدا إلى الإخلاص في التعبّد والقيام بحقوق العبوديّة وتهذيب الأخلاق وتنقيح الأحوال وتزكيّة الأعمال وتخلية النفوس من العيوب والأكدار وتحليتها بنفائس الأسرار والأنوار وتصفيّة القلوب من الحجب المانعة لها عن مطالعة الغيوب، فهذا الشيخ الوارث لنبيّه، الراشد
الداعي إلى السنن، المستقيم والمهيع السديد، المخرج من ظلمات الأهواء المضلّة والآراء المزلّة إلى أنوار التوفيق ومسالك التحقيق، فالأوّل دون الوالد في رتبة البرور والثاني أرفع منه وأولى بالبرّ والتوقير من وجوه أغفلناها خوف التطويل، وإلى هذا يشير سيّدي علي حرازم رضي الله تعالى عنه في جواهر المعاني حيث قال: إعلم أنّ أولى ما تتعلّق به المعرفة والدراية وتجب المحافظة لمكانه والرعاية مَن أتتك على يديه نتائج الهداية وواجهتك منه بإذن الله العناية إذ هو الأب والوالد وأحقّ من كلّ نسب، وتالله حيث كان لك السبب

في مداد إجادات ونيل مدد السعادات، فكان السبب في إخراجك من عدم الجهالة إلى وجود المعرفة، فيك حاله ومن مكان الغفلة والسدود إلى مكان التوجّه والورود، ومن مواطن الغوايا إلى منزلة الهدايا، ومن ظلمات المخالفة والعصيان إلى أنوار المتابعة والرضوان، ومن موقف الجفا والبعاد إلى كنف القرب والوداد، ومن درك القطيعة إلى درجة الوصل الرفيعة، ومن محلّ الإشراك والإمداد إلى مقام التوحيد والإفراد، فنقلك من وجود حسيّ إلى وجود قدسيّ، ومن وجود نفسانيّ إلى وجود رحمانيّ، ومن وجود كالعدم إلى وجود راسخ القدم، فأنزلك في
هذه المنازل المنيفة وأشرق عليك نور الحقيقة، فصرت موحّدا حقيقيّا وفزت فوزا أبديّا، فكانت الولادة المعنويّة أنفع من الولادة الحسّيّة، وأحقّ منها رعاية، وآكد منها درجة، وأقرب منها حسبا، وأوصل نسبا، كما قال ابن الفارض رضي الله عنه:
نسب أقرب في شرع الهوى ... بيننا من نسب من أبوي
وصارت معرفته أحرى من صفة أخرى.
وفي لواقح الأنوار القدسيّة: " والله لو وقف المريدون على الجمر بين يدي أشياخهم منذ خلق الله الدنيا إلى انقضائها لم يقوموا بواجب حقّ معلّمهم في إرشادهم إلى إزالة تلك الموانع التي

تمنعهم من دخول حضرة الله. وإذا كان العبد يحبّ من أعطاه العزيمة والبخور حتّى فتح المطلب ولا يكاد ببغضه مع كون ذلك مكروها لله عزّ وجلّ فكيف بمن يعطيه الإستعداد الذي يدخل به حضرة الله عزّ وجلّ حتّى يصير معدودا من أهلها، بل من ملوك الحضرة. والله إنّ أكثر الناس اليوم في غمرة ساهون، نسأل الله تعالى اللطف بنا وبهم. اهـ.

وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن عن شيخه أبو العباس رضي الله عنهما: " من لم يكن له أستاذ يصله بسلسة الإتّباع ويكشف له عن قلبه القناع هو في هذا الشأن لقيط لا أب له، دَعِيّ لا نسب له ". اهـ. ثمّ قال ابن عطاء الله ﷺ: " ومن نسب تلميذا إلى غير أستاذه كمن نسب ولدا إلى غير أبيه، وهذه الأبوّة أحقّ أن يرعى نسبها ويحفظ سببها، إذ تلك الأبوّة تفتقر إلى هذه، وهذه لا تفتقر إلى تلك ". اهـ. والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الرابع والعشرون

في فضل الذكر مطلقا، وفوائده، والحثّ عليه والترغيب فيه، من غير تعرّض لاجتماع له والجهر به، وغيره.

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم أنّ الذكر أشرف العبادات لأنّ سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلاّ ذكر الله تعالى. وفي لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار لشهاب الدين بن أحمد حجر العسقلاني رضي الله تعالى عنه أنّه، يعني أهل الجنّة، مداومون على الذكر فيها لأنّ سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلاّ ذكر الله تعالى فإنّه لا ينقضي، بل هو مستمرّ للمؤمنين في الدنيا

والآخرة، جعلنا الله من الذاكرين الفائزين الفرحين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وقال بعد كلام كثير، وقد روى عن أهل الجنّة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس، يقولون سبحان الله والحمد لله، متلذّذين لا متعبّدين كما يتلذّذ من به داء العطش بالماء البارد. وقال الإمام فخر الدين الرازي في أسرار التنزيل: إعلم أنّ جميع الطاعات تزول يوم القيامة، أمّا طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عن المؤمن، وكيف يمكن زوالهما عنه والقرآن يدلّ على أنّهم مواضبون على الحمد، والمواضبة على الحمد توجب المواضبة

على الذكر والتوحيد، وإنّما قلنا مواضبون على الحمد لقوله تعالى، حكاية عن المؤمنين في الجنّة: وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وقال: دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ الآية، لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة، فثبت أنّهم مواضبون على الحمد، والمواضبة على الحمد مواضبة على الذكر، فعَلِمْنا من هذا أنّ جميع العبادات زائلة عن أهل الجنّة إلاّ طاعة الذكر.

وقال بعض المفّسرين في قوله تعالى: دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، إنّها علامة بين أهل الجنّة وبين خدمهم في الطعام، فإذا أرادوا الطعام قالوا: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، فيحضرون لهم في الوقت ما يشتهون على الموائد كلّ مائدة ميل في ميل، على كلّ مائدة سبعون ألف صحفة، في كلّ صحفة ألوان من الطعام لا يشبه بعضها بعضا، فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله. قال: فذلك قوله تعالى: دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ. اهـ.

وإذا قُرّر هذا، فاعلم أنّ الذكر سبب السعادة في الدنيا والآخرة، ومطردة الشيطان، ويرضى الربّ، ويجلب الرزق وييسّره، ويكسب الذاكر مهابة، ويورث محبّة الله تعالى ومراقبته، ويورث الإنابة والقرب من الربّ، ويفتح باب المغفرة، ويورث العبد إجلالا لربّه، ويورث ذكر الله تعالى للعبد، وبه تحيا القلوب كما يحيا الزرع بالمطر، وهو قوت الأرواح وجلاء القلب من الصدى، ويورث النور في الفكر، ويحطّ الذنوب، ويزيل الوحشة بين العبد والربّ، وما يذكره العبد من نحو تسبيح وتكبير وتهليل وتحميد يذكرن بصاحبهن حول العرش، والعبادات

كلّها تزول عن العبد في الحشر والجنّة إلاّ ذكر الله تعالى، والتوحيد والحمد تقرّب إلى الله تعالى، وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه وحفوف الملائك به ونزولها لديه وغشيان الرحمة، وهو للإنسان شاغل عن الغيبة والكذب وكلّ باطل، والذاكر لا يشقى به جليسه ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة، والذكر مع البكاء سبب لنيْل ظلّ العرش الضليل، ومن شغله ذكر الله تعالى عن المسألة أُعطِيَ أفضل ما يُعطى السائلون، وهو غراس الجنان وسبب العتق من النيران والآمان من النسيان، وهو نور للعبد في دنياه ومنشور الولاية، وهو

يرقّي العبد إذا رسخ في القلب ويجمع على الذاكر قلبه ويقرّب من قلبه الآخرة ويبعد عنه الدنيا ويستعدّ لِما هو آت، ويثمر المعرفة والولاية والتوفيق والحماية، ويعدل عتق الرقاب والجهاد والقتل في سبيل الله وإنفاق الورق والذهب، وهو رأس الشكر ويدخل الجنّة ويذهب من القلب

القساوة، والذكر شفاء للقلوب، وهو أصل موالاة الله تعالى والغفلة أصل المعاداة، وهو رافع للنقم وجالب للنعم وموجب لصلاة الله تعالى وملائكته عليك، ومجلس الذكر رياض الجنّة ويباهي الله ملائكته بالذاكرين في السماء، وهو ينوب عن سائر الأعمال ويقوّي الجوارح ويفتح مغلق الأبواب، وهو أمن ونجاة وسيف، وهوسبب لتصديق الربّ لعبده. والذكر سدّ بين العبد وبين النار، والنار لا تبقى الأجزاء النابتة من الفضول والحرام، ويثبّت الأنوار في القلوب، والملائكة يستغفرون للعبد إذا لازمهم، والبقاع والجباه تتباهى به إذا مرّ بها، وهو شيمة المؤمن، وله لذّة أجلّ من لذّة المطعومات والمشروبات، ووجه الذاكر وقلبه يكسى في الدنيا نورا ونضرة، وفي الآخرة يكون وجهه أشدّ بياضا من القمر، وهو يرفع إلى أعلى الدرجات، والذاكر حيّ وإنْ مات والغافل ميّت وإنْ كان حيّا، ويورث الريّ من

العطش عند الموت: قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وقال: اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، وقال: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، وقال: وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وقال: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ إلى قوله: وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، إلى غير ذلك من الآيات. روى البخاري ومسلم عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "ألا أنبّئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله". وروى ابن حبان والإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم، وقال صحيح الإسناد مرفوعا: "أكثروا من ذكر الله حتّى يقول مجنون". وروى ابن ماجة وابن حبّان في صحيحه مرفوعا: "أنّ الله عزّ وجلّ قال أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحرّكت بي شفتاه".

وروى الترمذي وابن حبّان في صحيحه وابن ماجة وقال صحيح الاسناد: "أنّ رجلا قال يا رسول الله إنّ شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتثبّت به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله". وروى ابن أبي الدنيا والطبراني والبزّار عن معاذ بن جبل قال: "آخر كلام فارقتُ عليه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن قلت أيّ الأعمال أحبّ إلى الله قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله". وروى البخاري ومسلم مرفوعا: "مثل الذي يذكر ربّه والذي لا يذكره كمثل الحيّ والميّت"، ولفظ مسلم: "الذي يذكر الله تعالى".

وروى الطبراني والبيهقي مرسلا: "أذكروا الله تعالى ذكرا حتّى يقول المنافقون إنّكم مراؤون".
وروى ابن أبي الدنيا مرفوعا: "ما من يوم وليلة إلاّ ولله عزّ وجلّ في صدقة يمنّ بها على من يشاء من عباده وما مَنَّ الله تعالى على عبده بأفضل من أن يلهمه ذكره". روى الأمام أحمد والطبراني: "أنّ رجلا قال يا رسول الله أيّ المجاهدين أفضل وأعظم أجرا قال أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا قال فأيّ الصائمين أفضل أجرا قال أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا ثمّ ذكر الصلاة والزكاة والحجّ والصدقة كلّ ذلك ورسول الله صلّى الله عليه
وسلّم يقول أكثرهم لله تعالى ذكرا فقال أبو بكر يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكلّ خير وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أجلّ". وروى الطبراني والبيهقي بإسناد جيّد مرفوعا: "ليس يتحصّر أهل الجنّة إلاّ على ساعة مرّتْ عليهم ولم يذكروا الله تعالى فيها". وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه:أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سئل "أيّ العباد أفضل وأرفع درجة عند الله تعالى يوم القيامة قال والذاكرون الله كثيرا قيل يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه حتّى ينكسر وينخضب دما فإنّ
ذاكر الله تعالى أفضل منه درجة". وروى الطبراني مرفوعا: "من لم يكثر ذكر الله تعالى فقد برئ من الإيمان"، قال الحافظ المنذري حديث غريب.
وفي لواقح الأنوار القدسيّة: وسمعت سيّدي عليّا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: ما ثَمّ كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى، لأنّه يصير جليسا للحقّ كلّما ذكره. وقد اختلى مريد سنة كاملة فما رأى نفسه وقعت لها كرامة، فذكر ذلك لشيخه فقال: أتريد كرامة أعظم من مجالسة الله تعالى؟ ثمّ قال: ما رأيت أكثر حجابا منك، لك في الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بها؟ اهـ. فاعلم ذلك.

وقال القشيري: الذكر ركن قويّ في طريق الحقّ، بل هو العمدة في ذلك، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلاّ بدوام الذكر. وذكر اللسان يصل به العبد إلى ذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهوالكامل في حال سلوكه. وقال أبوعلي الدقّاق رحمه الله تعالى: الذكر منشور الولاية، فمن وُفِّق للذكر فقد أُعطِيَ المنشور ومن سلب الذكر عزل، وذكر الله تعال بالقلب سيف المريدين يقاتلون به أعداءهم وبه يدفعون الآفات التي تقصده، وإنّ البلاء إذا أضلّ العبد إذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحتد عنه في الحال كلّما يكرهه.

وقال ذو النون المصري: من ذكر الله ذكرا على الحقيقة نسي في جنبه كلّ شيء، وحفظ الله تعالى عليه كلّ شيء، وكان له عوضا عن كلّ شيء. وقال الشبلي رحمه الله تعالى: أليس الله تعالى يقول: "أنا جليس من ذكرني"؟ ما الذي استفدتم من مجالسة الحقّ؟. ومن خصائص الذكر أنّه غير مؤقّت، بل ما مِنْ وقت من الأوقات إلاّ والعبد مأمور بذكر الله تعالى، إمّا فرضا وإمّا نفلا. والصلاة، وإنْ كانت أشرف العبادات، فلا تجوز في بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات، قال الله تعالى: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ. ومن خصائص الذكر أنّه جعل في مقابلته الذكر، قال الله تعالى: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ. ونقل القشيري أنّ المَلَك يستامر الذاكر في قبض روحه.

وروى السهروردي بسنده أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال، حاكيا عن ربّه: "إذا كان الغالب على عبدي الإشتغال بي جعلت همّه ولذّته في ذكري فإذا جعلت همّه في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب في ما بيني وبينه لا يسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال الأبدال حقّا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفته به عنهم". وقال النووي: لكلّ شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله.

وقال القشيري: في الإنجيل (أذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصرتي لك فإنّ نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك). وقيل لراهب: أنت صائم؟ فقال: بذكره، فإذا ذكرتُ غيره أفطرتُ. وقيل: إذا تمكّن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فتجتمع عليه الشياطين فتقول: ما لهذا؟ فيقال إنسان.

ورأى الجنيد إبليسا في المنام فقال له: هل تقدر أن تمرّ على مجالس الذكر؟ فقال: كما أنّ أحد منّا يمرّ على أحد منكم ويمسّه ويصير مجنونا ومصروعا فمنّا مَنْ يمرّ على مجلس الذكر فيصير مصروعا ونسمّيه بيننا مأنوسا كما تسمّون المصروع بينكم مجنونا. وقال سهل بن عبد الله: ما رأيت معصية أقرب من نسيان هذا الربّ. وقيل: الذكر الخفيّ لا يرفعه المَلَك لأنّه لا اطّلاع عليه، فهو سرّ بين العبد وبين الله.

وقال الحريري رحمه الله تعالى: كان رجل من أصحابنا لا يكثر أن يقول الله الله، فوقع على رأسه جذع فانسلخ رأسه وسقط الدم، فاكتتب في الأرض الله الله. وقال بعضهم وصف لي ذاكرا في أجمة فأتيته، فبينما هو جالس إذا سبع عظيم ضربه واستلب منه قطعة، فغشي عليه وعليّ. فلمّا

أفاق قلت: ما هذا؟ قال: قيّض الله لي هذا السبع، فكلّما دخلتني فترة عضّني كما رأيتَ.
وقال سهل بن عبد الله: ما من يوم إلاّ والجليل سبحانه وتعالى ينادي: (عبدي ما أنصفتني أذكرك وتنساني أدعوك إليّ وتذهب إلى غيري وأُذهِب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ما تقول غدا إذا جئتني). قال القشيري رحمه الله تعالى: سمع الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يسأل أبا عليّ الدقّاق فقال: الذكر أتمّ أم الفكر؟ فقال أبو عليّ: ما الذي يقع للشيخ فيه؟ فقال الشيخ أبو عبد الرحمن: عندي الذكر أتمّ من الفكر، لأنّ الحقّ سبحانه وتعالى يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر، وما وصف به الحقّ أتمّ ممّا اختصّ به الحقّ،

فاستحسنه الشيخ أبو عليّ. وروى ابن أبي شيبة: "ما من آدميّ إلاّ ولقلبه بيتان، في أحدهما المَلَك وفي الآخر الشيطان، فإذا ذكر الله تعالى خنس وإذا لم يذكر الله وضع الشيطان منقاره في قلبه ثمّ وسوس". وقال ذو النون المصريّ: ذكر الله بالقلب سيف المريدين، به يقاتلون أعداءهم وبه يدفعون الآفات. وقال أبو سليمان الداراني: إنّ في الجنّة قيعان، فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار، فربّما يقف بعض الملائكة فيقال له: لِمَ وقفتَ؟ فيقول: فتر صاحبي.
وقال الحكيم الترمذي: ذكر الله يرطب القلب ويلينه، فإذا خلا عن القلب أصابته حزازة النفس ونار الشهوات فقسا ويبس وامتنعت الأعضاء من الطاعة. وقال أبو مدين التلمسانيّ: أقرب رحلة تكون للمريد: الذكر. وقال: ولا يصل أحد إلى الحضرة الإلهيّة إلاّ بالذكر. وقال: من دامت أفكاره صفت أسراره وكان في حضرة الله تعالى قراره.
وقال السبكي: كلّ من تساهل بالغفلة ولم تكن عليه أشدّ من ضرب السيوف فهو كاذب لا يجيء منه شيء في الطريق، فقد قال الشيخ أبو المواهب الشاذلي: إذا ترك العارف الذكر نفَسا أو نفسين قيّض الله له شيطانا فهو له قرين، وأمّا غير العارف فيسامح بمثل ذلك ولا يؤاخذ إلاّ بمثل درجة أو درجتين أو زمن أو زمنين أو ساعة أو ساعتين، على حسب المراتب. وقال: من نسى الذكر فقد كفر به كما ثبت في الخبر. وقال: وهذا نسيان يطلق على نسيان غفلة الجهل بالله تعالى والإشراك به، وعلى النسيان نفلة الإعراض عن الحقّ وطريقه، وكلاهما مذموم.

وقال سيّدي إبراهيم المتبولي: الذكر أسرع في الفتح من سائر العبادات. وقال: إنّ الحقّ تعالى لا يقرّب عبدا إلى حضرة الله تعالى إلاّ إن استحيا منه حقّ الحياء، ولا يصحّ له أن يستحي كذلك

إلاّ إن حصل له الكشف ورفع الحجاب، ولا يصحّ له الكشف ورفع الحجاب إلاّ بملازمة الذكر.
وقال: لا يحصل لأحد مقام الإخلاص الكامل إلاّ بالذكر، فإنّ أوّل ما يتجلّى للعبد، إذا اشتغل بالذكر، توحيد الفعل لله تعالى.
فإذا تجلّى له توحيد الفعل بالله سبحانه خرج كشفا ويقينا عن سهو كون الفعل له، وخرج أيضا عن طلب الثواب عليه وعن الكبر والعجب والرياء. وقال سيّدي عليّ الخوّاص: بمداومة الذكر تخمد الأمراض الباطنة من كبر وعجب ورياء ونفاق وسوء خلق وحسد وغلّ وحقد وحبّ رياسة وميل لتقبيل يد وقيام في المحافل، وتنقطع الخواطر الشيطانيّة، وتضعف الخواطر النفسانيّة.
وقال: بمداومة الذكر يزول الغمّ والهمّ الواقعان للناس في هذه الدار، فإنّ الغمّ والهمّ فيها إنّما هما بقدر الغفلة عن الله تعالى، فلا يلومنّ العبد إلاّ نفسه إذا ترادفت عليه الغموم والهموم، فإنّ ذلك إنّما هو جزاء بقدر إعراضه عن الله تعالى. فمن أراد دوام السرور فليداوم على الذكر. وقد يقنع بعض المريدين بمجلس الذكر صباحا ومساءا مع الغفلة عن الله تعالى فيما بينها ويحتجّ بحديث: "إذا ذكر العبد ربّه أوّل النهار ساعة وآخر النهار ساعة غفر له ما بينهما"، إذ المغفرة لا ترقّي فيها، ونهايتها أنْ تلحق المذنب بمن

لا يذنب ذلك الذنب لا أنّها تلحقه بمن يفعل الطاعات، فافهم. ومراد القوم دوام الترقّي مع الأنفاس في المقامات، ومع ذلك فلا يرون أنّهم قاموا بذرّة واحدة من واجب حقّ الله تعالى كما هومعروف عند أهل الطريق. وقال الشيخ أفضل الدين: يجب على الشيخ أن يأمر المريد أن يذكر الله بلسانه بشدّة وعزم، فإذا تمكّن من ذلك يأمره أن يستوي في الذكر بين قلبه ولسانه، ويقول: أثبت على استدامة هذا الذكر مستشعرا بأنّك بين يدي ربّك بقلبك، ولا تترك الذكر حتّى يحصل لك منه حال قويّ وتصير أعضاؤك كلّها ذاكرة لا تغفل عن ذكر الله
تعالى، ثمّ بعد أن يلقّنه بالذكر يأمره بالجوع على التدريج شيئا فشيئا لئلاّ تقلّ قواه فينقطع عن الذكر. وقال: إنّ الشيطان يركب أحدنا كلّما غفل عن ذكر الله تعالى، فلو كشف لأحدنا لرأى إبليس يركبه كما يركب أحدنا الحمارة ويصرّفها كيف يشاء طول الليل والنهار كلّما غفل، وينزل عنه كلّما ذكر.
وأجمع القوم على أنّ الذكر مفتاح الغيب وجاذب الخير وأنس المستوحش وجامع لشتات صاحبه، وقالوا أنّ البلاء إذا نزل على قوم وفيه ذاكر حاد عنه البلاء، وإذا غلب الذكر عن

الذاكر امتزج بروح الذاكر اسم المذكور حتّى أنّ بعض الذاكرين وقع على رأسه حجر فقطر الدم على الأرض واكتتب الله الله، ولو لم يكن من شرف الذاكر إلاّ أنّ الله لم يؤقّته بوقت لكان ذلك كفاية في شرفه.

وقال: أجمع القوم على أنّ فوائد الذكر لا تنحصر لأنّ الذاكر يصير جليس الحقّ تعالى، وحضرة الحقّ لا يَرِد عليها ويفارقها بغير مدد كلّما ورد شرطه، وهو الحضور.

قلتُ: وإذا أكثر العبد ذكر ربّه باللسان حصل له الحضور، وإذا حصل له كثرة الذكر مع الحضور صار الحقّ مشهوده، وهناك يستغني عن ذكر اللسان فلا يذكر باللسان إلاّ في محلّ يُقتدَى به فيه لا غيره، لا في حضرة شهود الحقّ سبحانه حضرة بهت وخرس يستغني صاحبها في الجمعية بالمدلول فقد استغنى العبد بالدليل، فافهم.

وإلي هذا الذكر أشار في ياقوتة الحقائق لقوله صلّى الله عليه وسلّم: تعظيمه في قلوبنا حياة أقوم بها وأستعين بها على ذكره وذكر ربّه، قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: طلب المصلّي من الله تعالى أن يكون تعظيمه للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم سببا في حياة قلبه بحلول ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلّى الله عليه وسلّم في قلبه، وهذا الذكر الذي طلبه بالتعظيم ليس هو ذكر اللسان المعهود في حقّ العامّة وإنّما هو الذكر الحقيقيّ الذي هو الغاية القصوى من الذكر، وهو إذا أخذ العبد فيه أخذ عن جميع دائرة حسّه

ووهمه، فليس في شعوره ووهمه وخياله إلاّ لله تعالى في حالة الذكر، هو بداية للمقرّبين، ونهايته أن يستهلك العبد في عين الجمع ويغرق في بحر التوحيد وليس في جميع عوالمه حسّ وإدراك وذوق وفهم وعيان وخيال وأنس ومساكنة وملاحظة ومحبّة وتعويل واعتماد إلاّ الله تعالى في محو الغير والغيريّة، في هذا الميدان ينمحق الذاكر والذكر ويصير في حالة أن لو نطق لقال: أن لا إله إلاّ أنا وحدي، لاستهلاكه في بحار التوحيد.

وهذه المرتبة في آخر مراتب الذكر، وصاحبها صامت جامد لا يذكر ولا يتحرّك، وإليها يشير بقوله صلّى الله عليه وسلّم: "من عرف الله كَلَّ لسانُه". وفيها يقول الشاعر:

ما إن ذكرتك اللهم يلعن ... سرّي وجهري وفكري عند ذكراك

حتّى كأنّ رقيبا منك يهتف بي ... إيّاك ويحك والتذكار ايّاكا

فاجعل شهودك من لقياك تذكرة ... والحقّ تذكاره إيّاك إيّاك
أما ترى الحقّ قد لاحت شواهده ... فواصل الكلّ من معناه معناك

لأنّ تعادم الذكر في جميع مراتبه كان وسيلة إلى الوصول إلى هذه المرتبة، فإذا وصلها انقطع الذكر من أصله وصار ذكرا على كلّ أحيانه، إستوى نومه ويقظته وحضوره وغيبته، واستوى الأمر عنده، كان مع الخلق أم كان وحده. وصاحب هذا الحال لو اجتمع في مكان مع جميع الخلق وأكثروا اللغط والصخب لم يعلم من خطابهم شيئا ولا يسمع في خطابهم إلاّ خطاب الحقّ سبحانه وتعالى يخاطبه، وفي هذا قيل:
بذكر الله تزداد الذنوب ... وتنطمس السرائر والقلوب
فترك الذكر أفضل كلّ شيء ... وشمس الذات ليس لها غروب
وهذه نهاية مراتب الذكر، ولذا جعله الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز هو آخر المراتب، قال سبحانه وتعالى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إلى قوله: وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ. فتلك الآية رتّب فيها سبحانه وتعالى مراتب أهل الإيمان، فالتي بعد الأخرى هي أعلى منها، وذَكَرَ الذاكر في آخرها لأنّها ليس مرتبة فوقها. اهـ. قلتُ: وكفى بهذه المرتبة شرفا للذكر والذاكرين، والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.
الفصل الخامس والعشرون

في الترغيب في الإجتماع للذكر والجهر به والحضّ والإعلام أنّه ما ينبغي التمسّك به لفضله والردّ على من ينكر على الذاكرين جماعة لجهله بالكتاب والسنّة وإجماع الأمّة.
فأقول وبالله تعالى التوفيق وهوالهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم أنّ الإجتماع للذكر حضّ عليه الشارع ورغّب فيه صلّى الله عليه وسلّم، وجرى به عمل أئمّة الطريق من أهل الله شرقا وغربا.

وروى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم مرفوعا، يقول الله عزّ وجلّ: "أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته ذكرته في ملأ خير منه". وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا قال: قال الله جلّ ذكره: "لا يذكرني العبد في نفسه إلاّ ذكرته في ملأ من الملائكة ولا يذكرني في ملأ إلاّ ذكرته في الرفيق الأعلى".
وأخرج الإمام أحمد، وروّاته ثقات، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم قال: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عزّ وجلّ لا يريدون بذلك إلاّ وجهه إلاّ ناداهم منادي من السماء أنْ قوموا مغفورا لكم قد بدّلتْ سيّئاتكم حسنات". ورواه يعلى والبزّار والطبراني، ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل، ورواه الطبراني عن سهل بن حنظلة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ما جلس قوم يذكرون الله عزّ وجلّ فيه فيقومون حتّى يقال لهم قوموا قد غفر لكم وبدّلت سيّئاتكم حسنات".

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "قلت يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر قال غنيمة مجالس الذكر الجنّة"، رواه أحمد بإسناد حسن. وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: "يا أيها الناس إنّ لله سرايا من الملائكة تحلّ وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنّة قالوا وأين رياض الجنّة قال مجالس الذكر فأغدوا وروحوا في ذكر الله وذكّروه أنفسكم من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر منزل الله عنده ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه"، رواه ابن

أبي الدنيا وأبو يعلى والبزّار والطبراني والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم صحيح الإسناد. والرتع هو الآكل والشارب في خصب وسعة. عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ليبعثنّ الله أقواما يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء قال فجثا أعرابيّ على ركبتيه فقال يا رسول الله صِفْهُم لنا نعرفهم فقال هم المتحابّون من قبائل شتّى وبلاد شتّى يجتمعون على ذكر الله تعالى ويذكرونه"، أخرجه الطبراني بإسناد حسن.

وعن عمرو بن عمبسة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيّون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عزّ وجلّ قيل يا رسول الله من هم قال هم جمّاع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله تعالى فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر"، رواه الطبراني، إسناده مقارب لا بأس به. وجمّاع، بضمّ الجيم وتشديد الميم، أيّ أخلاط من قبائل شتّى ومواضع مختلفة.

ونوازع جمْع نازع، وهو القريب، ومعناه أنّهم لم يجتمعوا والقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة وإنّما اجتمعوا لذكر الله تعالى. وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه

وسلّم قال: "إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا قالوا ما رياض الجنّة قال حِلَق الذكر"، أخرجه الترمذي. وأخرج الحسن البصريّ رضي الله تعالى عنه أنّه قال: "ذكر الله خير لا شكّ فيه يذهب بالذنب ولا ذنب فيه".

وعن أبي عبد الرحمن الجبلي، أحد التابعين، أنّه قال: إذا اجتمع قوم على ذكر الله تعالى خرج الشيطان وشيعته على باب المسجد يقول لهم: أنظروا هل قاموا بعد؟ فيقولون لا، فيضرب بيده، فيقولون: ما لك؟ فيقول: إنّما أخشى عليهم الرحمة أن تنزل فلا يعذّبون أبدا. ويكفي في أصليّة الإجتماع للذكر ما تقدّم في الفصل الذي قبل هذا الفصل من أنّ الجنيد رأى إبليس في المنام فقال: هل تقدر على أن تمرّ عل مجالس أهل الذكر؟ فقال: كما أنّ أحد منّا يمرّ على أحد منكم يمسّه ويصير مصروعا ومجنونا، فمنّا من يمرّ على مجالس الذكر فيصير
مصروعا ونسمّيه بيننا مأنوسا كما تسمّون مصروعا بينكم مجنونا. اهـ. وكفى بهذا منقبا لمجلس الذكر والذاكرين جماعة. وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبّان في صحيحه والبيهقي وغيرهم، عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله تعالى عنه قال: يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة: "سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم قيل من أهل الكرم يا رسول الله قال أهل مجالس الذكر". وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: "حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض".اهـ.
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلمّوا إلى حاجاتكم قال فيحفّونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا قال فيسألهم ربّهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي قال فيقولون يسبّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادة وأشدّ لك تحميدا وأكثر لك تسبيحا قال فيقول فما يسألوني قال يسألونك

الجنّة قال فيقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا ربّ ما رأوها قال فيقول فكيف لو أنّهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدّ عليها حرصا وأشدّ لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فممّ يتعوّذون يقولون من النار فيقولون وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها قال فيقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشدّ منها فرارا وأشدّ لها مخافة قال فيقول فأشهدكم

أنّي قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنّما جاء لحاجة قال هُم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"، رواه البخاري واللفظ له، ومسلم
ولفظه: "إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة سيّارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر إذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحفّ بعضهم بعضا بأجنحتهم حتّى يملؤوا ما بينهم وبين سماء الدنيا فإذا تفرّقوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله عزّ وجلّ وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبّحونك ويكبّرونك ويهلّلونك ويمجّدونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك جنّتك قال وهل رأوا جنّتي قالوا لا قال فكيف لو رأوا جنّتي قالوا ويستجيرونك قال وممّ يستجيروني قالوا من نارك يا ربّ قال وهل
رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم ممّا استجاروا قال يقولون يا ربّ فيهم فلان عبد خطّاء إنّما مرّ فجلس معهم قال فيقول وله غفرت هُمُ القوم لا يشقى بهم جليسهم"، إنتهى. وفي قواعد الشيخ أحمد زرّوق رضي الله تعالى عنه: إغضاء الحكم في العموم لا يغضي بجريانه في الخصوص، فاحتيج في الخاصّ لدليل يخصّه حتّى يتخصّص به، ومن ذلك الجهر بالذكر والدعاء والجمع فيهما.

أولاهما: ما الذكر، فدليله "من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه"، قيل ومن أدلّته كَذِكْرِكُمْ آَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا. وقال ابن عباس: "ما كنت أعرف انصراف الناس من الصلاة على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ بالذكر"، ورواه البخاري. والجهر في ذكر العبد وفي دبر الصلوات وبالثغور في الأسفار حتّى قال عليه الصلاة والسلام: "أربعوا على أنفسكم فإنّكم لا تدعون أصمّا ولا غائبا"، وقد جهر عليه الصلاة والسلام بأذكار وأدعية في مواطن جمّة، وكذلك السلف.
وصحّ قوله، جوابا لأهل الخندق (اللهمّ لا خير الاّ خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة)، وكلّ هذه دلالة على الجهر والجمع. لكن في قضايا خاصّة يكون وجودهما مستندا دليلا لاحتمال قصرها على ما وقعت فيه وكونها مقصودة لغيرها لا لذاته فلزم تمهيد أصل آخر. ثمّ قال الشيخ زرّوق ﷺ: قاعدة إثباب الحكم لقضيّة خاصّة لا يجري في عموم نوعها لاحتمال قصره على ما وقع فيه، سيما عند من يقول الأصل المنع حتّى يأتي المبيح.

والجهر بالذكر والدعاء والتلاوة أخصّ من الجمع فيها ولها لكونه مقصودا، بخلاف الأوّل فإنّه أعمّ من ذلك، فلزم طلب دليل يخصّه. فأمّا الجمع للذكر في المتفّق عليه من حديث أبي هريرة: "إنّ لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر"، الحديث، وفي آخره "فيسألهم ما يقول عبادي فيقولون يسبّحونك ويحمدونك ويكبّرونك ويهلّلونك ويمجّدونك"، الحديث، وهو صريح في باب الجمع عين الذك في الترغيب في سياقه.

وما وقع في آخره من أنّ فيهم من ليس منهم فيقول تعالى: "هم القوم لا بشقى جليسهم"، فأخذ منه جواز قصد الإجتماع لعين الذكر بوجه لا يسوغ تأويله، كحديث "ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه إلاّ حفّت بهم الملائكة وتنزّلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده".

والذكر يؤوّل بالعلم مرّة وبذكر الآلاء أخرى وحمل على ظاهره أيضا، فسقط التمسّك به في أعيان الأذكار كدلالته عل ما تؤول به لاحتماله.

قال فإن قيل: مجتمعون وكلّ على ذكره، فالجواب: إن كان سرّا فجدواه غير ظاهر، وإن كان جهرا فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره ممّا لا يسوغ في حديث الناس فضلا عن ذكر الله تعالى. فلزم جوازه، بل ندبه، بشرطه نعم. وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذكار بالتوحيد من أبعد البعيد، فتأويله غير مقبول لبعده عن الأفكار، إذ لا يخطر إلاّ بالأخطار، وذلك في مقاصد الشرع بعيد جدّا، فافهم.

ثمّ قال، بعد إتمام هذه القاعدة وإتمام قاعدة اخرى: فأمّا قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لقوم وجدهم يذكرون جماعة: (لقد جئتم ببدعة ظلما أو لقد فتم أصحاب محمّد علما)، بالجواب عنه: أنّه لم يبلغه حديث الترغيب فيه، أو أنه أنكر الهيئة ونحوها، وإلاّ فلا يصحّ إنكاره بهذا الوجه بعد صحّة الحديث. اهـ.

وفي مفتاح الفلاح لابن عطاء الله، الفصل الأوّل، في ما ورد في فضل الذكر والإجتماع عليه، وذكر رضي الله تعالى عنه الأحاديث التي استدلّ بها على ذلك، ثمّ قال بعد ذلك: باب الجهر بالذكر، إلى أن قال: ويروى أنّ الصدّيق كان يخافت في صلاته بالليل ولا يرفع صوته بالقراءة، وكان عمر يجهر في صلاته، فسأل رسول الله صلّى لله عليه وسلّم أبا بكر عن فعله فقال: الذي أناجيه يسمع كلامي، وسأل عمر فقال: أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان وأرى الرحمن، فأمر

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر برفع الصوت، وهو الجهر، ولم يأمر عمر بالإسرار، بل بخفض الصوت، وذلك ليس بالإسرار. وإذا كان هذا في القرآن، وهو فضل الذكر، فغيره كذلك.

قلت: تأمّل، رحمك الله تعالى، كيف استدلّ بعض الجهلة بقوله تعالى: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا على منع الجهر بالذكر، وخالف هذا الإمام الذي اشتهر علمه وولايته ومعرفته بالله تعالى وعموم النفع به ومؤلفاته لعباد الله تعالى في جميع بلاد الإسلام، ولقب لذلك بتاج الدين بن عطاء الله، مع أنّ قول ربّ العالمين وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ردّ فهمه السقيم وفكره العقيم، إذ لا سبيل يبتغي به
الجهر والمخافتة إلاّ الجهر برفق لئلاّ يتعطّل جهر الجاهد بغير رفق فيحصل له أمراض تعوقه عن الذكر وغيره كما سيأتي. ثمّ قال رضي الله تعالى عنه: وينبغي للذاكر، كان وحده، إن كان من الخاصّة، أن يخفض صوته بالذكر، وإن كان من العامّة أن يجهر به، وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقّهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة.
ثمّ قال رضي الله تعالى عنه: قال بعضهم مثل ذكر الواحد وذكر الجماعة كمؤذّن واحد ومؤذّنين جماعة، فكما أنّ صوت المؤذّنين جماعة يقطع جرم الهواء أكثر ممّا يقطعه صوت مؤذّن واحد كذلك ذكر جماعة على القلب أكثر تأثيرا وأشدّ قوّة في رفع الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده. وأيضا يحصل لكلّ واحد ثواب نفسه وثواب سماع الذكر من غيره، وشبّه الله تعالى القلوب القاسية بالحجارة في قوله تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً والحجارة لا تنكسر إلا بقوّة، فكذلك قساوة
القلب لا تزول إلاّ بالذكر القويّ. اهـ.

وفي شهيّة السماع: ومنه، يعني ومن أنواع الآداب التي تجمع للمتّصف بها خصال الخير، الفرار من الإسرار في الذكر. اهـ. وفي شرحه كشف القناع: وذلك لأنّ الذكر مع الإسرار لا يؤثّر في قلب السالك ولا يرقّيه كذكر الجهر. ثمّ قال: ومن كلام بعضهم: إذا ذكر المريد ربّه بشدّة وعزم مع الجهر طويت له مقامات الطريق بسرعة من غير بطء، فربّما قطع في ساعة ما لم يقطعه غيره في شهر أو أكثر، لكن ينبغي أن يكون الجهر برفق، فإنّه إذا كان بغير رفق ربّما بتربي فيتعطّل جهره بالكلّيّة. اهـ.

قلتُ: ومن هنا يظهر لكلّ موفّق سعيد بعض أسرار قوله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، حين كانوا يجهرون بالذكر جهرا شديدا يؤدّي إلى هذا الداء العضال الذي يبطل بحدوثه جهدهم بالكلّيّة: "أربعوا على أنفسكم فإنّكم لا تدعون أصمّا ولا غائبا"، ولم ينههم صلّى الله عليه وسلّم عن الجهر ولا عن الذكر ولو نهاهم عن الجهر لقال: أخفضوا أصواتكم وأسرّوا ذكركم ولا تجهروا به، ولو نهام عن الذكر لقال اسكتوا، ولكنّه صلّى اله عليه وسلّم ردّهم إلى الرفق على نفسهم بالجهر الذي لا يلحقهم معه ضرر يتأذّون
به، لأنّه صلّى الله عليه وسلّم سيّد الأطبّاء وأعقل العقلاء وأرحم بأمّته من الآباء والأمّهات كما وصفه مولاه بقوله تعالى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، وهذا السرّ العظيم من جملة أسرار هذا الحديث لا ما يقوله بعض الطلبة المدّعين أنّهم بلغوا المرتبة القصوى من العلم مع أنّهم ما بلغوا مرتبة التعلّم من صغار العلماء، ولا ما يقوله بعض الحسدة المردة الفسقة الفجرة الذين يحملون كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على غير محمله ويفسّرونه بآراء المضلّة، نعوذ بالله من الحسدة ومن كلّ ما يؤدّي إلى السلب والطرد.

ثمّ قال في كشف القناع: وسئل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى عمّا اعتاده الصوفيّة من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل، ذلك مكروه أم لا؟ فأجاب بأنّه لا كراهة في شيء من ذلك، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر وأحاديث تقتضي باستحباب الإسرار بذلك، والجمع بينهما أنّ ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن والأحاديث
الواردة باستحباب الإسرار بها. قال، أيّ السيوطي، بعدما ورد ما أورده من الأحاديث الواردة باستحباب الجهر: إذ تأمّلت ما أوردناه من الاحاديث عرفت من مجموعها أنّه لا كراهة البتّة في الجهر بالذكر. وأمّا معارضته بحديث "خير الذكر الخفيّ" فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث "المسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة"، وقد جمع النووي بينهما بأنّ الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذي به مصلّون أو النيام، والجهر أفضل في غير ذلك لأنّ العمل فيه أكثر، ولأنّ فائدته تتعدّى إلى السامعين ويوقظ قلب القارئ ويجمع همّه إلى

الحضور ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط. قال: وقال بعضهم: يستحبّ الجهر ببعض القرآن والإسرار ببعضه، لأنّ المسرّ قد يملّ فيأنس بالجهر، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار. قال: وكذلك تقول في الذاكر على هذا التفصيل، وبه ويحصل الجمع بين الأحاديث.
قال: فإن قلتَ قد قال الله تعالى: وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ، وقد قال تعالى ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وقد فسّر

الإعتداء بالجهر في الدعاء، فالجواب في الآية الأولى من ثلاثة أوجه، أحدها ما ذكره السادة الصوفيّة أنّ الأمر في الآية خاصّ بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم الكامل المكمّل، وأمّا غيره ممّن هو محلّ الوسواس والخواطر الرديئة فمأمور الجهر لأنّه أشدّ تأثيرا في دفعها. والجواب في الآية الثانية من وجهين، أحدهما أنّ الراجح في تفسير الإعتداء أن يجاوز المأمور به ويخترع دعوة لا أصل بها في الشرع، الثاني، على تقدير التسليم، فالآية في الدعاء لا في الذكر، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنّه أقرب إلى الإجابة، ومن
ثَمَّ استحبّ الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتّفاقا. اهـ.
ومن كلام سيّدي عليّ الخوّاص: ينبغي للمريد أن يذكر بقوّة تامّة مع الجهر فإنّه أشدّ تأثيرا في جمع شتات قلبه، وينبغي له أيضا أن يذكر مع جماعة، فإنّ ذكر الجماعة أكثر تأثيرا في رفع الحجب لكون الحقّ تعالى شبّه القلوب بالحجارة، ومعلوم أنّ الحجر لا ينكسر إلاّ بقوّة جماعة، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلاّ بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد لأنّ قوّة الجماعة أشدّ من قوّة شخص واحد. وأمّا من حيث الثواب، فلكلّ ثواب نفسه وثواب سماع رفقته. اهـ.
وفي البحر المورود في المواثيق والعهود للشيخ الشعراني: أخذ علينا العهد أن نكون هيّنين في يد إخواننا المسلمين ما لم يدعونا إلى مذموم شرعا، وفي الحديث الوارد في الأمر بتسوية الصفوف "ولينوا في يد إخوانكم"، واعلم يا أخي أنّ من جملة اللين أنّك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى عل طريقة المغاربة أو العجم أو الشنّاويّة، بفتح، أو الرفاعيّة أو غيرهم أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت ولا تخالفهم فتشوّش عليهم ولا تسكت فيفوتك أجر الذاكر.

وفيه: أخذ علينا العهد أن نبسط لكلّ من تعرّف بنا من أبناء الدنيا بساط التشوّق إلى طريق الفقراء وإلى محبّة ذكر الله صباحا ومساء، ليلا ونهارا، فإن أحب ذلك وواظب عليه قرّبناه وعددناهمن جملة الأصحاب، وإن لم يُجبْ إلى ذلك، فإن استثقل جلوسه معنا في مجالس الذكر

ونحوها، وتعلّل بالنوم مثلا عددناه من معارفنا لا من أصحابنا، ذلك لأنّ الصاحب شرطه أن يشرب من مسقاة صاحبه مع ارتفاع الحاجز بين قلبه وبين صاحبه كما يرتفع الحاجز بين الحوضين ويصيران حوضا واحدا وماء واحدا. أهـ.

وفيه: أخذ علينا العهد ... إلى أن قال: وينبغي للشيخ معاتبة كلّ من غاب من الفقراء عن صلاة الجماعة أو عن مجلس الذكر ولو بالنوم في البيت بحجّة الوفاء بحقّ العيال. وإذا كان الفقراء في مجلس وِرْدِهم فلا ينبغي لأحدهم الإنصراف إلاّ بإشارة شيخ المجلس وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، ومجلس الذكر أمر جامع يقين. اهـ.

وفيه: أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بتعظيم الذاكرين لله تعالى والذاكرات من نسبتهم إلى مجالسة الحقّ عزّ وجلّ حال ذكرهم في قوله تعالى: "أنا جليس من ذكرني"، أيّ أنا معه، ومن كان الحقّ تعالى معه لا ينبغي لمن له دين أن يتعرّض له بأن ينوي له سوءا في وقت من الأوقات، وهذا الأمر، وإن كان واجبا في حقّ المسلمين، فهوفي حقّ الذاكر أشدّ وجوبا. قال: وما رأينا أحدا آذى الفقراء والصالحين أو أنكر عليهم بغير طريق شرعيّ ومات على نعت استقامة أبدا. وفي الحديث القدسيّ "من آذى لي وليّا فقد آذنته بالحرب". اهـ.

قال: وعلامة الوليّ الذي لا شكّ فيه أن يكون مكثرا لذكر الله تعالى. ويؤيّده قول أبي عليّ الدقّاق رحمه الله تعالى: الذكر منشور الولاية فمن وفّق للذكر فقد أعطى المنشور. أهـ. قال: فعلم أنّه لا ينبغي لأحد أن يمنع الذاكرين من رفع الصوت بالذكر في المساجد ونحوها إلاّ بطريق شرعيّ يسوّغ له الإنكار فيها، كأن يشوّش على نائم أو مصلي أو مطالع في علم شرعيّ ونحو ذلك، فليبتعد المانع لهم نفسه، والله بكلّ شيء عليم. إنتهى كلام سيّدي عبد الوهّاب الشعراني رضي الله تعالى عنه، وهو نفيس.

وقال سيّدي جلال الدين السيوطي في السيف القاطع اللاّمع لأهل الإعتزال الشوانع: وبعد، فقد وقع السؤال بأنّ مشايخ الإسلام رضي الله تعالى عنهم سألوا عن جماعة صوفية يجتمعون في مجلس ذكر وتذكير ثمّ أنّ بعضهم يقوم ذاكرا هائما لوارد يحصل له، فهل يلام على ذلك مختارا كان أو غير مختار، أينكر عليه أو يمنع ويزجر أم لا؟ أفيدوا مع البسط أثبتم بالجنّة. فأجاب شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني بأنّه لا إنكار في ذلك، وليس لمانع منعه ويلزم المتعدي بذلك التعزير.

وكذا أجاب العلاّمة برهان الدين الانباسي بمثل ذلك، وزاد أنّ صاحب الحال مغلوب والمنكِر محروم ما ذاق لذّة التوحيد ولا صفا له المشرب، إلى أن قال: وبالجملة فالسلامة في التسليم للقوم. وأجاب بنحو ذلك أئمّة من الحنفية والمالكية وكتبوا على ذلك بالموافقة. قال الشيخ المطالع النقّال جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، بعد نقل هذه الأجوبة: وكيف ينكر الذكر قائما والقيام ذاكرا، وقد قال تعالى الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: "كان رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم يذكر الله تعالى على كلّ أحيانه". فإذا انضمّ إلى هذا القيام رقص أو وجد ونحوه فلا إنكار عليهم فإنّ ذلك من لذّات الشهود والمواجيد، وقد ورد في بعض طرق الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين قال له: "أشبهت خلقي وخلقي" من لذّة هذا الخطاب، ولم ينكر عليه ذلك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فكان هذا أصلا في الجملة في رقص الصوفية ووجدهم ممّا يدركونه من لذّات المواجيد.

وقد صحّ القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من أكابر الأئمّة، منهم شيخ الإسلام وسلطان العلماء عزّ الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى. قال الشيخ الفاضل الكامل يوسف العجمي في رسالته في فضل آداب الذكر سبعة عشرة، بعد عدّ الكلّ، قال: وهذه الآداب تصعب على المبتدي وتسهل على غيره، وكلّها إنّما تلزم الذاكر إذا كان واعيا في عقله ومختارا في ذكره، أمّا إذا غاب عن عقله فللغيبة أحكام، يدركها صاحبها أو لم يدركها.

وسلب الذكر اختيار الذاكر، فلا حرج على الذاكر ما دام هو مسلوب الإختيار كيف شاء على أنواع مختلفة كلّها محمودة وصاحبها مشكور عليها، فلها كلّها أسرار. فربّما يجري على لسانه الله الله، أو هو هو هو، أو لا لا لا لا لا لا، أو آ آ (بالمدّ)، أو اااااا (بالقصر)، أو آه آه آه آه آه، أو ها ها ها ها ها ها، أو ... ، أو عياط بغير حرف أو صرع وتخبيط.

فأدبه في ذلك الوقت أن يسلّم نفسه في وارده يتصرّف فيه كيف يشاء لأنّ الذاكر إذا نوى الذكر بقلبه وابتدأ بلسانه لفظ لا إله إلاّ الله ثمّ سلب اختياره في تلك النيّة فهو ذاكر الله تعالى على أيّ حالة كان لأنّ المنظور إليه هوالقلب والنيّة كما قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم ونيّاتكم"، وقال عليه السلام: "إنّما الأعمال بالنيّات"، وقال تعالى لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ،

والتقوى لا
تكون إلاّ بالقلب والنيّة، والأصل منعقد على النيّة. وكذلك بعد سكون وارده يكون في تسليمه بالسكون والسكوت ما استطاع متلقيا لوارده أيضا. ثمّ قال بعد ذلك: قد اعترض بعض الفضلاء على الذكر بالجهر مستدلاّ بقوله تعالى: وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: "خير الذكر ما خفي"، والجواب: أنّ الله تعالى خاطب عامّة عباده بمثل أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وخاطب الخاصّ بمثل قوله أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، وخاطب سيّد أهل الحضرة محمّدا
صلّى الله عليه وسلّم بعد أن عرّفه بربّه ونفسه، وأراه كيف مدّ الظلّ بمثل قوله تعالى: اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً، وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ، فمن لا يعرف ربّه ولا نفسه ولا أراه كيف مدّ الظلّ كيف يذكر ربّه في نفسه؟ أو كيف يرى مدّ الظلّ؟ بل هم المخاطبون بمثل قوله تعالى: اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وأمّا الذكر الخفيّ ما خفى عن الحفظة لا ما يخفظ به الصوت، وهو أيضا خاصّ به صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ومن له به إسوة.

فالذاكرون إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأوْلى في حقّهم رفع الصوت بالذكر والقوّة، وأمّا إذا كان الذاكر وحده، فإنْ كان من الخواصّ فالإخفاء في حقّه أوْلى، وإن كان من العوامّ فالجهر في حقّه أوْلى. وقد شبّه الغزالي رحمه الله تعالى ذكر شخص واحد وذكر جماعة مجتمعين بمؤذّن واحد وجماعة مؤذّنين، فكما أنّ أصوات الجماعة تقطع جرم الهوى أكثر من صوت رجل واحد فكذا ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا في رفع الحجب من ذكر شخص واحد، ومن حيث الثواب فلكلّ واحد ثواب نفسه وثواب ذكر رفقته.
وأمّا قولنا أكثر تأثيرا في رفع الحجب فلأنّ الله تعالى شبّه القلوب بالحجارة في قوله تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً، ومعلوم أنّ الحجر لا ينكسر إلاّ بقوّة، فقوّة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشدّ من قوّة ذكر شخص واحد، ولهذا قال نجم الدين الطبري قدّس الله روحه: أنّ القوّة شرط الذكر، واستدلّ بهذه الآية، والله تعالى أعلم.
وكذا سئل شيخ الإسلام ورأس المحدّثين والحفّاظ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني قدّس الله سرّه عن جماعة من المسلمين، طلبة علم وفقراء، يجتمعون في مسجد جماعة يصلّون الفريضة جماعة ثم يذكرون الله تعالى ويسبّحونه ويحمدونه ويكبّرونه بالوارد

في السنة الصحيحة المأثورة وغير ذلك عن السلف الصالح، ويختمون ذلك بقراءة الفاتحة ثمّ يذكرون الله لا إله إلاّ الله بهئة اجتماعيّة يصدر عنها رقّة في قلوبهم ووجْد وشغف وشوق واستغراق في وحدانيّة معبودهم، فمنهم من يسمع منه توحيد بلفظ الجلالة فقط

الله الله ومنهم من يسمع منه آه آه. فإذا انتهى بهم هذا الاستغراق ختم واحد منهم بلا إله إلاّ الله محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويختم بالفاتحة كذلك، ويختم باقي الجماعة كذلك، ثمّ يدعون ويتفرّقون، هذا دأبهم وحالهم. فأنكر عليهم شخص قائلا: هذا الاجتماع ورفع الصوت بالذكر بدعة، وقال آخر: هؤلاء كلاب يعوون، وقال آخر: الذكر بالجهر ليس له أصل لقوله تعالى: وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ، الآية، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "خير الذكر ما
خفي"، فهل يجوز ما يفعله هؤلاء بهذه الهيئة الذكر جهرا؟ أو هل يستحبّ أم لا؟ ثمّ أنّ بعض المنكرين أراد أن يدخل عليهم عند اشتغالهم بالذكر قارئ القرآن، فإذا لم يبطلوا بالذكر
ويستمعوا القرآن ويسكتوا فقد خالفوا قول الله تعالى فيدّعي عليهم حينئذ أنّهم خالفوا الله تعالى، فهل لهم ذلك أم لا؟ وهل يجب على الذاكرين حينئذ السكوت والإستماع ويأثموا إذا لم يستمعوا أم لا؟ وماذا يجب على المنكر عليهم ومن يؤذيهم بالقول والفعل؟ أفيدوا مثابين.
فأجاب رحمة الله عليه: نعم يجوز الذكر جهرا وإن كان الإسرار أفضل، ولا يلزم من كون الشيء أفضل من الشيء سلب الفضل عن المفضول، بل قضيّة ذلك أن يشتركا في أصل الفضل ويزيد أحدهما. وليس أفضليّة الذكر سرّا لذات السرّ خاصّة، ولا مفضوليّة الذكر جهرا لذات الجهر، بل أفضليّة السرّ في الذكر لبعده عن الرياء بحيث يِؤمن الرياء في الجهر للمحذور الأوّل عنه، وإنّما قلت انتفى المحذور الأوّل لأنّه إذا سلم الجاهر من الرياء لم يأمن من العجم، فإن آمن منه انتفى المحذور الثاني، فإن انضاف إلى ذلك إيقاف غافل أو تنبيه ذاهل لم
تبعد رجحانية الجهر.

قلتُ: قال في الخلاصة المرضيّة، قال حجّة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء: وعمل السرّ يزيد على عمل الجهر ضعفه، وعمل الجهر يزيد على عمل السر ضعفيْه إذا قصد به الإقتداء. اهـ. قال ابن حجر: أمّا من قال إنّ رفع الصوت بالذكر بدعة فلم يصب لأنّه ثبت في الصحيح من حديث ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه أنّ رفع الصوت بالذكر كان على عهد

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين ينصرف الناس من المكتوبة.
ثمّ قال: وأمّا من قال هؤلاء كلاب يعوون فقد أخطأ خطأ شنيعا، وقال: قولا يكاد قائله أن يقع في الكفر من جهة تشبهه أصوات الذاكرين بما ذكر ويستحقّ على إطلاق ذلك التعزيز البليغ اللائق بمثله. وأمّا من قال إنّ الذكر جهرا ليس له أصل فلم يصب أيضا، بل له أصل أصيل كما تقدّم تقريره كما ستأتي أدلّته.
قلتُ: وقوله " وكما ستأتي أدلّته " يعني من الأحاديث الصحيحة المصرّحة بترغيب الاجتماع للذكر والجهر به، فإنّه رضي الله تعالى عنه أخّر ذكرها ونحن قدّمنا ما أردنا إراده منها أوّل الفصل مع زيادة، فلا نعيد ذكرها. ثمّ قال: وأمّا من قصد قراءة القرآن عند الذين يذكرون الله تعالى ليمنعهم من الذكر فقصده غير صواب لأنّهم في عبادة، وقراءة القرآن عبادة، فلا تترك أحدهما للأخرى.
ثمّ إن كان ذكرا لازما يقع في مسجد قد جرت فيه عادة الناس باستمرار الصلاة فيه ويقع لمن يصلّي فيه تشويش على خشوعه وعبادته فينبغي مراعاة مصلحة المصلّين. وأمّا قول القائل: إذا لم يستمعوا القرآن خالفوا قول الله تعالى، فكأنّه يشير إلى قوله تعالى: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآَنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا، وقد اختلف العلماء في هذا الأمر هل لوجوب مطلق أو للندب أو للوجوب في بعض الصور دون بعض مع اتّفاق جمهورهم على أنّه مخصوص بحالة الصلاة، وزاد بعضهم وفي الخطبة، وقال بعضهم إنّما ذلك في الصلاة المفروضة،

أخرجه ابن جرير الطبري بإسناد رجاله ثقات ومن طريق طلحة بن عبد الله بن كرير قال رأيت عبد الله وعطاء يحدّثاني والقاصّ يقصّ، فقلت: ألا تسمعان؟ فنظرا إليّ ثمّ حدّثا، فقلت ذلك ثلاثا، فقالا: إنّما ذلك في الصلاة. وعن بض الفضلاء: أنّ الأمر خاصّ بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو المأمور بالإنصات عند نزول الوحي بقوله تعالى: فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآَنَهُ، قال ابن عبّاس: أيّ أنصت له، فكان بعد ذلك إذا جاء الوحي أنصت له، الحديث.
وعلى تقدير حمل الأمر على عمومه، فلا يليق بمن له دين أن يعمد إلى الناس في عبادة فيتسبّب في قطعها عليهم، وقال العلماء فيمن صلّى إلى غير سترة في طريق المارّة وكانت له مندوحة في أن يصلّي في غير ذلك المكان: أنّه لا إثم على المارّة لأنّ المصلّي تسبّب إلى ذلك، فكذلك هنا، إذا تعمّد قراءة القرآن عند من يذكر الله تعالى لاعتقاده أنّ استماع القرآن واجب فيقطع الذاكر

ذكره ويستمع القرآن لا يجب عليه في هذه الحالة أن يستمع، وقد قال العلماء في الداعي المستغرق في الدعاء: لا يشرع السلام عليه ولا يجب الردّ في ذلك
الحال، فكذلك هذا الذاكر إذا استغرق في ذكره، وإذا سقط عنه ما هو واجب لولا الذكر فيسقط الإستماع عنه وهو واجب عليه في هذه الصورة المذكورة. اهـ.
قلتُ: فلمّا أجاب ابن حجر ممّا تقدّم، كتب أئمّة من أهل المذاهب الأربعة بموافقة ما كتب وسلّموه واعترفوا بصحته، ونصّه، كما في السيف القاطع اللامع: " ونقل من خطوط ساداتهم ومواليا مشايخ الاسلام متّع الله تعالى بوجودهم الآنام وأدخلهم الجنّة بسلام بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم وآله.

فممّا كتبه سيّدنا مولانا قاضي القضاء شيخ الاسلام كمال الدين القادريّ الشافعيّ نفع الله تعالى بعلومه في الدنيا والآخرة (الحمد لله الذي خصّ أولياءه بلطائف النعم، وعمّ أصفياءه بمزيد الكرم، وكتب لهم السعادة من القدم، وأقامهم في الخدمة على قدم، وشغلهم بالذكر والفكر عمّا وجدوه كالعدم، والصلاة والسلام على المبعوث إلى العرب والعجم، والمبعوث بالخُلُق العظيم وكرائم الشيم، سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم المرسل إلى سائر الأمم، الذي كمّل الله تعالى به الأنبياء وختم، وعلى آله وأصحابه مصابيح الظلم، وبعد:
فقد وقفت على ما سطر أعلاه، من رفع الله قدره وأعلاه، وضاعف لمن ذكر فيه الثواب، وكر على من أنكر عليه أليم العذاب، وكيف وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في محكم الكتاب: ولكن إنما يتذكر أولوا الألباب، ولقد أجاد العلماء في الجواب، واهتدوا إلى الصواب، ومن وقف على ما فيه من الأحاديث الشريفة، وفهم منه الإشارات اللطيفة، عرف الحقّ الذي يجب اتّباعه والباطل الذي يتعيّن اجتنابه، فسلّم والتسليم أسلم والله تعالى بحقائق الأمور أعلم، تمّ وكمل).
وممّا كتبه سيّدنا ومولانا قاضي القضاء، شيخ الاسلام، نور الدين الطرابلسي الحنفي، نفع الله تعالى بعلومه في الدنيا والآخرة (الحمد لله العليّ الأعلى الجواب كذلك تمّ وكمل). وممّا كتبه سيّدنا ومولانا قاضي القضاء، شيخ الاسلام، شرف الدين الدميري المالكي، نفع الله تعالى بعلومه في الدنيا والآخرة (الحمد لله العالم بحقائق الأمور على ما هي عليه، وبعد: فقد وقفت على ما سطر في هذه الأوراق، وتأمّلت على ما بها ممّا عذب وراق، وما فيها من الألفاظ الحسنة الفصاح والأحاديث الشريفة الصحاح، وجواب الأئمّة الأعلام علماء

الدين والاسلام، ولا شكّ في صحّة أجوبتهم وما ذكروه ونقلوه وحرّروه، ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة، وأن يعاملنا بفضله أحسن المعاملة فإنّ الفقير لما أنزل الله تعالى إليه من خير فقير معترف بالعجز والتقصير، وليس أهلا لأن يجوز هذا الحال ولا أن يفوّه بمثل هذا المقام، ولم يسطّر ذلك إلاّ للإمتثال، قال ذلك تمّ وكمل).

وممّا كتبه سيّدنا ومولانا، قاضي القضاء، شيخ الاسلام شمس الدين الفتوحي الحنبلي، نفع الله تعالى بعلومه في الدنيا والآخرة (الحمد لله الذي بيده الفضل يؤتيه من يشاء، فرأيت جوابا مع سؤال من الله زيادة الأنعام كما أفاده ساداتنا وعلماؤنا ومواليا قضاة القضاء ومشايخ الإسلام متّع الله بهم الأنام وأدخلهم وإيّانا بسلام، والله سبحانه وتعالى للغيوب علاّم، تمّ وكمل، وبعد فإنّي أقول لمّا طالعت ما كتب في هذه الصحيفة من أقوال العلماء الأعلام الذين أجروا فيها لبيان الحقّ أقلام الاعلام جزاهم الله عنّا خير الجزاء

من دار السلام، فقبلته، وقد أصابوا فيما أجابوا وأجادوا فيما أفادوا وأنعموا فيها أمعنوا، والله بيده الفضل يؤتيه من يشاء وكمل. اهـ.

وفي لواقح الأنوار القدسيّة: فقد وقع للجنيد أنّ الإمام ابن شريح قال له: إنّ رفْع أصواتكم بالذكر يؤذي حلقتنا، فقال له: ينبغي مراعاة أقرب الطريقين إلى الله تعالى، وقال ابن شريح: فإذا وجب مراعاة طريقتنا لأنّها أقرب إلى الله تعالى من طريقتكم، فقال الجنيد: وما علامة القرب؟ قال ابن شريح: أن يكون الغالب عليه شهود، فقال الجنيد: هذا عليكم لا لكم، لأنّ الغالب عليكم إنّما هو مقام

أحكام دين الله تعالى لا الله، فقال ابن شريح: نريد حالة يقع الامتحان بها، فقال الجنيد: يا فلان، خذ هذا الحجر وألقه في حضرة هؤلاء الفقراء، فصاحوا كلّهم الله الله، ثمّ قال: خذ هذا الحجر وألقه بين هؤلاء الذين يطالعون العلم، فقالوا: حرام عليك، فقال ابن شريح: الحقّ معك يا أبا القاسم. وكان سيّدي عليّ الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: من علامة ترجيح ذكر الله تعالى على قراءة العلم نقله على الإنسان وهو يطالع في الروح وخفّة ذكر الله تعالى، فإنّ المشرف على الانتقال من هذه الدا جب عليه إستغنان ما هو الافضل، فلو

كان تعلّم مسائل الفقه والنحو والأصول لما انتقلت على لسان المحتضر، وأهل الله تعالى، لقصر أملهم، كانوا محتضرين في كلّ وقت.

وذكر الشعراني أيضا منلا عبد اللطيف، كبير المفتين في مدينة توريز، سعى في إبطال مجلس الذكر المتعلّق بالشيخ عمر في الجامع الكبير، وقال: المسجد إنّما جعل بالأصالة للصلاة، وكان يحضر ذلك المسجد نحو خمسة آلاف نفس، وقال الشيخ عمر: فإذا ذكرنا بخفض الصوت تمنعنا لذلك؟ قال: لا، فقال الشيخ عمر: معاشر الفقراء، أخفضوا أصواتكم بالذكر، ومن قوي عليه وأراد رفع الصوت فليرد وليكتمه ما استطاع،

ففعلوا، فحمل من ذلك المجلس في ذلك اليوم نحو خمسمائة نفس مرضى، واحترفت أكباد نحو أربعة عشرة نفس وخرجت من أجنابهم، فماتوا، قال شيخ ممّن حضر: فجسست بيدي على أكبادهم فوجدتها مشويّة محروقة فتتفتت كالكبد المشويّ على الجمر. فأرسل الشيخ إلى منلا عبد اللطيف وجماعة، وقال: هل يقول عاقل أنّ مثل هؤلاء الذين ماتوا لهم تفعل في الموت، فطبقت دار منلا عبد للطيف تلك الليلة عليه وعلى أولاده وعياله وبهائمه وغلمانه، فلم يسلم منه أحد وماتوا أجمعون، وكان يوما مشهودا في توريز.

فعلم أنّه ينبغي بطالب العلم أنّه يتلطّف في العبارة للذاكرين ولا يقوم عليهم كقيامه على من يخرجه من الدين، بل فعله ذلك أن ينكر أنّه كالمنع من الدين، ولو احتضر عظمة الله لما استطاع أن ينطق بكلمة واحدة في الذاكرين له، فلازم يا أخي محلّ الذكر وانصر أصحابه بالطريق الشرعيّ إكراما لله تعالى وتعظيما له. اهـ. كلام الشعراني ﷺ.

وفي شرح آخر أقرب المسالك لمذهب الامام مالك ورد: ليس أحد أبغض عند الله ممّن كره الذكر والذاكرين، وقال، بعد كلام: قد ورد ما يدلّ على عظم فضل الذاكر والذكر، وبغض الله تعالى من يبغض الذاكرين، وقال، بعد كلام: ورد "ما عاداني أحد ما عادى الذاكرين"، فنعوذ بالله من بغض أهل الله المشغولين بذكره. وبالضرورة من يذكر المنعم عليك الرؤوف الرحيم فإنّك تحبّه ولا يبغض ذاكره إلاّ لئيم وشقيّ، وكيف يكره من في قلبه إيمان ذاكر الكلمة الطيّبة والكلم الطيب والقول السديد والقول الصواب وكلمة التقوى ودعوة الحقّ؟. اهـ.

قلتُ: ولنا في هذا المقام من كلام الرجال ما يطول جلبه، وقد ذكرنا في كتابنا " سيوف السعيد " ما يشفي العليل ويروي الغليل، فراجعه إن شئت، وفي هذا القدر كفاية لكلّ من له عناية، وأمّا غيره، فكما قال فيه مولانا سبحانه وتعالى: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.

والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل السادس والعشرون

في ذكر أصل تلقين الأذكار وأخذ العهد والبيعة والمصافحة والمشابكة

فاقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم أنّ الأذكار سند، وكذا تلقينها. وفي التلقين وأخذ العهد والبيعة والمصافحة والمشابكة اسرار وفوائد يعلمها أهل الله تعالى، قال الله تعالى: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ الآية، وقال في العرائس: وفيه أشارة مجتمعة بعضها من بعض وفرّقها مختلفة وتعلّق بعضها ببعض من جهة الاستعداد والخلقة، فمن قتل واحدة منها أثّر قتلها في جميع النفوس، عالمة به أو جاهلة، ومن أحيا نفسا مؤمنة بذكر الله وتوحيده ووصف جلاله وجماله حتّى تحبّ خالقها وتحيا
لمعرفته وجميل مشاهدته أثّر حياتها وبركاتها في جميع النفوس فكأنّما أحيا جميع النفوس. قال: وفي الآية تهديد لأئمّة الضلال ووعد وشرف وثناء حسن لأئمّة الهدى. اهـ.
وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن، والطبراني، وغيرهما، عن يعلى بن شدّاد قال حدّثني أبي شدّاد بن أوس، وعبادة بن الصامت حاضر يصدّقه، قال: "كنّا عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال هل فيكم غريب يعني من أهل الكتاب فقلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب وقال إرفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلاّ الله فرفعنا أيدينا ساعة ثمّ قال الحمد لله اللهمّ
إنّك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنّة وإنّك لا تخلف الميعاد ثمّ قال أبشروا فإنّ الله قد غفر لكم"، قال ابن حجر العسقلاني رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني، وزاد فيها "ورفع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورفعنا وقال فيه ثمّ قال ضعوا أيديكم وأبشروا فقد غفر لكم". اهـ.

وروى الشيخ يوسف الكوراني، الشهير بالعجمي، في رسالته: "أنّ عليّ بن أبي طالب سأل النبيّ صلّى لله تعالى عليه وسلّم فقال يا رسول الله دلّني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها إلى عبادته وأفضلها عند الله تعالى فقال صلّى الله عليه وسلّم يا عليّ عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات فقال عليّ هكذا فضيلة الذكر وكلّ الناس ذاكرون فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يا عليّ لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله فقال عليّ كيف أذكر يا رسول الله

فقال صلّى الله عليه وسلّم غمّض عينيك واسمع منّي ثلاث
مرّات ثمّ قل أنت ثلاث مرّات وأنا أسمع فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم لا إله إلاّ الله ثلاث مرّات مغمّضا عينيه رافعا صوته وعليّ يسمع ثمّ قال عليّ رضي الله تعالى عنه لا إله إلاّ الله ثلاث مرّات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم يسمع". اهـ. وقال الشيخ أحمد زرّوق رضي الله تعالى عنه في قواعد لباس الخرقة ومناولة السبحة وأخذ العهد والمصافحة والمشابكة من علم الرواية إلاّ أن يقصد بها حال فتكون لأجله.
وقد ذكر ابن أبي حمزة أخذ العهد في باب البيعة وألحقه بأقسامها، وأخذ لباس الخرقة من أحاديث وردت فيخلعه عليه الصلاة والسلام عل غير واحد من أصحابه، ومبايعة سلمة بن الأكوع تشهد لايداع السرّ فيها، وكذلك مبايعته عليه الصلاة والسلام لأصحابه بعد تحقيق الإيمان وتقرّره في قوبهم إنّما هو لذلك، ويجري الإرث والتأسّي فيها كغيرها بلا نكير لجري الخلاف، ولا لزوم لوجه الإشتباه، والله تعالى أعلم، ووجهها وطريقها ليس هذا محلّه، نعم لمحبّ أو منتسب أو محقّ فيها أسرار خفيّة يعلمها أهلها، والله تعالى أعلم. اهـ.
قلتُ: وبعضها سيأتي في الفصل الذي بعد هذا الفصل إن شاء الله تعالى، والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل السابع والعشرون

في إعلامهم أنّ الذكر المعتبر عند أهل الله تعالى الذي يكون به الفتح والوصول إلى الله تعالى هو المأخوذ بإذنه والتلقين من شيخ واصل مرشد تتّصل صحبته وطريقته بالحضرة النبويّة لا ما يأخذه الانسان بنفسه.
فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهوالهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم أنّ الذكر المأخوذ عن غير شيخ أو عن شيخ غير مفتوح عليه، عارف هلاك صاحبه أقرب من سلامته، لا سيما أسماء الله تعالى. قال الشيخ أحمد بن المبارك: وسمعته، يعني عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، يتكلّم على الذين يذكرون أسماء الله في أورادهم، وقال رضي الله تعالى عنه: إنْ أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم، وإنْ أخذوها من غير عارف ضرّتهم، فقلت: وما السبب في ذلك؟ فقال رضي الله تعالى عنه: الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحقّ سبحانه، فإذا أردت أن

تذكر الإسم، فإنْ كان مع الاسم نوره الذي يحجب من الشيطان وأنت تذكره لم يضرّك، وإنْ لم يكن مع الإسم نوره الذي يحجب من الشيطان حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد. والشيخ إذا كان عارفا وهو في حضرة الحقّ دائما، وأراد إسما من أسماء الله الحسنى لمريده، أعطاه ذلك الاسم مع النور الذي يحجبه، فيذكره المريد ولا يضرّه.

ثمّ النفع به على النيّة التي أعطاها الشيخ ذلك الاسم بها، فإنْ أعطاه بِنِيّة إدراك الدنيا أدركها أو بنيّة إدراك الآخرة أدركها أو بنيّة معرفة الله تعالى أدركها، وأمّا إنْ كان الشيخ الذي يلقّن الاسم محجوبا فإنّه يعطي مريده مجرّد إسم من غير نور حاجب فيها، فيهلك المريد، نسأل الله تعالى السلامة. اهـ.

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: فعلى العبد ملازمتها، يعني الأحكام التكليفيّة المتفرّقة في الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة، والدؤوب على ما يقدر عليه منها بدوام معانقة الذكر معها، ويعني بالذكر الذي يكون بتلقين شيخ واصل لا الذي يأخذه العبد باختياره، مع دوام الإستناد بالقلب إلى شيخ واصل، فإنّ بدوامه على هذه الأمور يصل العبد إلى أن ينار له السرّ الربّانيّ الذي بسببه يصل إلى التطهير الأكبر المذكور أوّلا الذي هو غاية الغايات ومنتهى الرغبات المعبّر عنه في الإشارة عن الله تعالى، يقال

عنه: (من كشفت له عن صفاتي ألزمته الادب ومن كشفت له عن ذاتي ألزمته العطب)، وهذا العطب غاية منتهى الأرب، ومنتهى مطلب العبد، فإنّ هذا العطب هو محلّ الإستهلاك في الحقّ حيث يسلب العبد من أوصافه البشريّة ويلبس خلعة الإتّصاف بالأوصاف الربّانيّة. إنتهى ما أردنا نقله من كلامه رضي الله تعالى عنه وعنّا به.

وقال في تحفة الإخوان: والخلاف الخامس، يعني من أصول التقوى الحقيقية، دوام الذكر الذي لقّنه له شيخه لا يتجاوزه إلى غيره إلاّ بإذنه إلاّ الأوراد المخصوصة بطريق شيخه. ثمّ قال، بعد كلام: ومنها، يعني من الآداب التي تطلب من المريد في حقّ الشيخ، ملازمته الورد الذي رتّبه فإنّ مدد الشيخ في ورده الذي رتّبه، فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصحّ في الطريق.

ثمّ قال، بعد كلام: ومنها، يعني ومن الآداب التي تتعلّق بالمريد في نفسه: أن يأخذ بالأحوط في

العبادة، لا ينتظر بذكره وعبادته ثوابا ولا فتحا، وإنّما يعبد الله تعالى، إلى أن قال: لكنّه لا يشتغل إلاّ بأوراد الطريق وما أذن له فيه الشيخ. اهـ.

وقال السيّد محمّد الغوث رضي الله تعالى عنه في جواهره: فذكر العامّة كلمة الشهادة أو غيرها من التسبيحات، والذكر الخاصّ ممّا يكون في تلقين شيخ مرشد عارف بأدواء النفوس يكون أقوى في إزالة الحجب عند الملازمة عن قلب حاضر. اهـ.

وقال في كتاب التطورات: إعلم أنّ الصدر مملوء ومحشوّ بالأخلاق الظلمانيّة التي تظهر بها من بني آدم الآثار الخبيثة، فلا بدّ له أن يزكّى صدره بأخذ التلقين من الشيخ الكامل حتّى يدخل في طور القلب الذي هو مستعدّ للتزيّن بالأخلاق الحميدة والأنوار المشروحة بحسب الاستعداد، وإليه أشار ربّ العزّة بقوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا.

ومن دخل فيه بالخلاء عن الأخلاق الذميمة بواسطة التوحيد الجهريّ يرى شجرة التوحيد نورا مملوءا بأغصان الإثمار في العلم الإنسان بحسب الاستعداد، ثمّ يرى السماء مصفّى أو مملوءا بالنجوم، والقمر صافيا عن السحب المعنويّ، ويرى البساتين والجبال مع العيون وغير ذلك. فلا بدّ للسالك في وقت الطلب أن يتّقي الله بالتجرّد عن الأخلاق الذميمة حتّى يتزيّن قلبه بهذه المذكورات من أنوار ذاته الغيبيّة ويفي بعض أفعاله في نور أفعال الله تعالى فيظهر منه آثار الأخلاق الحميدة، كالتسليم والتفويض والتوكّل والقناعة وغيرها في

طريقه بالنظر إلى بعض المشارب ويرى بنظره وتوجّهه إلى مرآته ماذا كسب من الاستعداد إلى القيامة الوسطى، أعني فناء صفاته في نور صفات الله تعالى، بل إلى القيامة الكبرى، وهي الفناء في الله بحسب الاستعداد، وإليه أشار حبيب ربّ العزّة بقوله: "قلب المؤمن مرآة الله"، وإليه أشار ربّ العزّة بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ.

واعلم أنّ هذا النداء للمؤمنين الطالبين الداخلين في طريق الله تعالى لأجل مشاهدة أنوار الأفعال والصفات وغيرها يأخذ التلقين من الشيخ المأذون إلى أن ينتهي محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

وقال في الخلاصة المرضيّة: قال الشيخ جبريل الحرمباذي رحمه الله تعالى: وها هنا أصل أصيل يجب رعايته، فإنّ الذكر بدون رعايته لا يوصل إلى المقصود، وإن كان لا يخلو عن فائدة مّا، وهو أن يكون تلقين الذكر من شيخ مرشد تتّصل صحبته وطريقته بالحضرة النبويّة، فإنّ الذكر بدون

التلقين مثل النشاب الذي يشترى من صانعه، ومثل الذكر
يكون بتلقين الشيخ مثل النشاب الذي يؤخذ من السلطان، فإنّهما وإن تساويا في النشابيّة ودفع الخصم ولكن أين نشاب النبّال من نشاب السلطان في الناس والوقع وحماية صاحبه وولايته وكلّ من يتعلّق به، والله تعالى أعلم. اهـ.
وقال الشيخ أحمد المبارك في الإبريز أنّ شيخه عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ رضي الله تعالى عنه سئل، وهوحاضر، عن فائدة تلقين الورد الذي يعطيه الأشياخ، فقال رضي الله تعالى عنه للسائل: تسألني عن الصادقين أو عن الكاذبين؟ فقال: عن الصادقين، فقال رضي الله تعالى عنه: فائدته أنّ الله تعالى حفظ على
هذه الأمّة دينها بهذه الشريعة المطهّرة التي إذا فعلت في الظاهر حفظت الإيمان في الباطن، وأنّ الشيخ الصادق معمور الباطن بالمشاهدة مع الحقّ سبحانه حتّى أنّ المريد إذا قال لا إله إلاّ الله قبل أن يلقى الشيخ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل، والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته للحقّ، فإذا لقّن المريد صارت حالته في المزيد، فلا يزال يترقّى إلى أن يبلغ مقام الشيخ إن قدّر الله تعالى له ذلك.

ثمّ ضرب مثلا الحكاية الشهيرة التي وقعت لملك له ولد عزيز عليه، ثمّ نزل بحضر عظيم فجمع الأطبّاء لدواء ولده وتوعّدهم بوعد شديد إن لم يبرئوا ولده. فاتّفق الأطبّاء على أنّ دواء ولده في عدم أكل اللحم، فذكروا ذلك للولد فأبى عليهم وقال: لا أترك اللحم ولو خرجت روحي في هذه الساعة. فحار الأطبّاء ودهشوا في أمرهم ونزل بهم ما لا يطيقونه حيث امتنع الولد من إتّباع سبب الشفاء، وألحّوا عليه المرّة بعد المرّة لم يزده ذلك إلاّ نفورا.
فذهب رجل منهم واغتسل، وتضرّع إلى الله تعالى ونوى أن لا يأكل اللحم ما دام المريض لا يأكله، ثمّ جاء إلى المريض فقال له: لا تأكل اللحم، فامتثل أمره وسمع قوله وبرئ لحينه، فتعجّب بقيّة الأطبّاء من ذلك، فأخبرهم بما فعل. فقال رضي الله تعالى عنه: وأيضا، فإنّ أهل العرفان من أولياء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتا طاهرة قابلة لحمل سرّهم مطيقة له فإنّهم لا يزالون معها بالتربية بتلقين الذكر وغيره، ويكون هذا المطيق للسرّ هو مقصود الشيخ لا غير، فإذا جاء إلى الشيخ غيره ممّن ليس بمطيق وطلب
منه التلقين فإنّه لا يمتنع لأنّه لا يقطع على أحد، فلذا تجد الشيوخ يلقّنون كلّ أحد، مطيق كان

أم لا. مع فائدة أخرى تظهر في الآخرة، وذلك أنّه صلّى الله عليه وسلّم يكون بين يديه يوم القيامة لواء الحمد، وهو نور الإيمان. اهـ.

قال الإمام أبو الحسن عليّ الصعيدي العدوي في حاشيته على الخرشي: ذكر ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنّ عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن صفة لواء الحمد، فقال: "طوله ألف سنة وستّمائة سنة من ياقوته حمراء، وقضيبه من فضّة بيضاء وزجة من زمرّدة خضراء، له ثلاث ذوائب،

ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطر، الأوّل: بسم الله الرحمن الرحيم، والثاني: الحمد لله ربّ العالمين، والثالث: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، طول كلّ سطر مسيرة ألف عام، قال صدقتَ يا محمّد، ذكره الشهاب في شرح الشفاء". إنتهى.

ثمّ قال الشيخ عبد العزيز بن مسعود: وجميع الخلائق خلفه، من أمّته ومن غير أمّته مع سائر الأنبياء، وتكون كلّ أمّة تحت لواء نبيّها، ولواء نبيّها يستمدّ من لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهم مع أممهم على أحد كتفيه وأمّته المطهّرة على الكتف

الآخر، وفيها الأولياء بعدد الأنبياء، ولهم ألويّة مثل ما للأنبياء، ولهم من أتباع مثل ما للأنبياء ويستمدّون من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويستمدّ أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فالمريد إذا لم يكن مطيقا فإنّه ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقّنه. قال رضي الله تعالى عنه: ولا ينتفع منه بمجرّد التلقين فقط ومطلق تلفّظه للذكر، بل حتّى يتعلّم منه كيفية الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وينتفع منه بعض النفع في الباطن. اهـ.

قلتُ: ومن هنا يعلم كلّ موفّق سعيد أنّ طريقتنا هذه الأحمديّة الإبراهيميّة الحنيفيّة التجانيّة أسهل الطرق وأفضل، وأنّ وردنا أجلّ الأوراد وأفضل، وأنّ أهلها محبوبون ومرادون ومعتنى بهم لأنّ الحبيب المعظّم والمصطفى المكرّم سيّد الوجود وعلم الشهود سيّدنا محمّدا صلّى الله تعالى عليه وسلّم ضمن لولده الأكبر وخليفته الأشهر، شيخنا ووسيلتنا إلى ربّنا أحمد بن محمّد التجاني، سقانا الله من بحره بأعظم الأواني، أنْ لا يموت أحد ممّن تمسّك بأوراده بالتزام شروطها المعلومة إلاّ وليّا قطعا ضمانا لا خلف فيه.

وقد فهمت من كلام هذا القطب أنّ كلّ واحد من الأولياء لا مراد له ولا يكون مقصوده إلاّ مطيق حمل سرّه الذي هو وارثه، وأمّا غيره من تلامذيه فمنهم من صدق يحصل مراده، ومنهم

من لا، فويل ثمّ ويل لمن يرغب عن طريقة ضمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لجميع من أقبل عليها بالصدق بالولاية، إختار لنفسه بنفسه ما لا يعرف، هل يكون مقبولا به أو لا ولو كان ما اختاره صحيحا في نفسه، وما ذاك والله إلاّ الشقاوة والحرمان، نسأل الله تعالى السلامة والعافية في الدارين بمحض فضله وكرمه، والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب،
وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثامن والعشرون

في ذكر سندنا في الطريقة الأحمديّة المحمّديّة الإبراهيميّة الحنيفيّة التجانيّة.
فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم أنّي أذكر لك سند شيخنا رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين كان على الطريقة الخلوتيّة قبل أن يأذن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في هذه الطريقة الأحمديّة المحمّديّة.
وسندي، والحمد لله، متّصل إليه، ثمّ أذكر بعد ذلك سندنا إلى الشيخ رضي الله تعالى عنه، ثمّ إلى جدّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في هذه الطريقة.
أمّا سندنا الأوّل: فأقول، نظمني في السلسلة الصوفيّة ولقّنني أذكارها سيّدي محمّد الغالي، وهو لقّنه سيّدي الحاج عليّ برادة، وهو لقّنه أبو عبد الله الشريف سيّدي محمّد بن محمّد المشري، وهو لقّنه قطب زمانه وفريد عصره وأوانه شيخنا وقدوتنا إلى الله مولانا أبو العباس أحمد بن محمّد التجاني، وهو لقّنه الشيخ محمود الكردي، وهو لقّنه الشيخ الحنفي، وهو لقّنه قطب

الوجود السيّد مصطفى بن كمال الدين الكردي الصدّيقي، وهولقّنه الشيخ عبد اللطيف الخلوتي الجيلي، وهو لقّنه الشيخ مصطفى أفندي الأدنوي، وهو لقّنه الشيخ علي أفندي قرا باشا، وتخلّف عن والده مصطفى الطيبي أيّ هو الذي أجازه بالإرشاد، وهو لقّنه الشيخ إسماعيل الجرني المدفون بالقرب من مرقد سيّدي بلال الحبشي ﷺ بديار الشام، وهو لقّنه سيّدي عمر الفوادي، وهو لقّنه محي الدين القسطموني، وهو لقّنه الشيخ خير الدين النقادي، وهو لقّنه الشيخ جلبي سلطان المقدس الشهير بجمال الخلوتي، وهو لقّنه الشيخ محمّد بن
بهاء الدين الشرواني، وهو لقّنه سيّدي يحيى الباكوبي، وهو لقّنه الشيخ صدر الدين الجيابي، وهو

لقّنه سيّدي الحاج عزّ الدين، وهو لقّنه الشيخ محمّد بن أبرم الخلوتي، وهو لقّنه الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني، وهو لقّنه سيّدي جمال الدين التبريزي، وهو لقّنه الشيخ شهاب الدين محمّد الشيرازي، وهو لقّنه ركن الدين محمّد النجاشي، وهو لقّنه الشيخ قطب الدين الأبهري، وهو لقّنه الشيخ أبو النجيب السهروردي، وهو لقّنه الإمام الجنيدي بن محمّد سيّد الطائفة البغداديّة، وهو لقّنه سيّدي السريّ بن المفلس السقطي، وهو لقّنه

سيّدي معروف بن فيروز الكرخي، وهو لقّنه سيّدي داود الطائي، وهو لقّنه سيّدي حبيب العجمي، وهو لقّنه سيّدي الحسن البصري، وهو لقّنه الإمام عليّ بن أبي طالب، وهو لقّنه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو لقّنه جبريل عليه السلام، وهو لقّنه ربّ العزّة. فلمّا وقع له الفتح وأذن له صلّى الله عليه وسلّم في تلقين الخلق بعد أن كان فارّاً من ملاقاتهم لاعتنائه بنفسه وعدم ادّعاء المشيخة، إلى أن وقع له الإذن منه يقظة لا مناما لتربية الخلق على العموم والإطلاق، وعيّن له الورد الذي يلقّنه في سنة ستّ وسبعين ومائة وألف،

عيّن له صلّى الله عليه وسلّم الإستغفار والصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم، وهذا هو الورد في تلك المدّة، إلى رأس المائة كمّل الورد صلّى الله عليه وسلّم بكلمة الإخلاص، فعند هذا تنزّل للخلق والإفادة وإظهار الطريقة والإستفادة، وهذا بعد إخباره بعلوّ مقامه وارتفاع قدره ومكانه، وأخبره عليه الصلاة والسلام بفضل هذا الورد وقدره وما أعدّ الله تعالى لمن أحبّه من أتباعه وحزبه، وسيأتي هذا إن شاء الله مبيّنا مفصّلا في فصله.

ولمّا أذن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في هذه الطريقة الأحمديّة والسيرة المصطفويّة النبويّة وفتح الله تعالى له على يديه صلّى الله عليه وسلّم، وأخبره أنّه هو مربّيه وكافله، وأنّه لا يصل شيء من الله إلاّ على يديه وبواسطته صلّى الله عليه وسلّم، وقال له: لا منّة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق، فأنا واسطتك وممدّك على التحقيق، فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق.

وقال له: إلزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتّى تصل مقامك الذي وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة، واترك عنك جميع الأولياء. فمن حين قال له صلّى اله تعالى عليه وسلّم هذه القولة ترك جميع الطرق وترك الطلب من جميع الأولياء.

وأمّا سندنا إلى الشيخ رضي الله تعالى عنه ثمّ إلى جدّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم في هذه الطريقة وأذكارها فقد نظمني في سلكها ووصلني بسلسلة أتباعها ولقّنني أذكارها اللازمة، الشابّ العاقل والفتى الفاضل والعالم والعامل والتقيّ الكامل سيّدي عبد

الكريم بن أحمد الناقي، وهو لقّنه الشيخ الجليل والفاضل النبيل سيّدي مولود فال ذو الخلق الجميل، وهو لقّنه الشيخ العامل الناصح ذو العقل الراجح العالم التقيّ الصالح الذي لا يكون إلاّ في الأمر المهمّ لافظ سيّدي الحاج محمّد الحافظ، وهولقّنه تاج الأذكياء وإمام الأتقياء وسيّد الأقطاب والأولياء سيّدي وشيخي أحمد بن محمّد التجاني، سقانا الله من بحره بأعظم الأواني، وهو لقّنه سيّد الكونين وإمام الثقلين سيّد الوجود وعلم الشهود صلّى الله عليه وسلّم.

ولقّننيه أيضا سيّدي عبد الكريم، وهو لقّنه عبد الحليم، وهو لقّنه العالم التقيّ والصاحب الفرد الزكيّ، معدن أسرار الطريقة والجامع بين الشريعة والحقيقة، الذي تنتهي إليه المكارم والمعالي سيّدي وأستاذي محمّد الغالي، وهو لقّنه التلميذ الأشهر والخليفة الأكبر والنائب الوارث الأطهر وخادم حضرة العارف الربّاني، الذي يعرفه القاصي والداني، الذي قضى الله له في الدارين مراده، سيّدي الحاج عليّ حرازم براده، وهو لقّنه الفرد الأسعد قطب الأولياء سيّدي أحمد، وهو لقّنه سيّد الأنبياء والمرسلين وإمام جميع الملائكة

والمقرّبين.

ولقّننيه أيضا سيّدي عبد الكريم، وهو لقّنه سيّدي مولود الوليّ الحميم، وهو لقّنه النبيه العالي سيّدي محمّد الغالي، وهو لقّنه من يسعد به التقيّ والجاني سيّدي أحمد بن محمّد التجاني، وهو لقّنه سيّد الوجود وعلم الشهود سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

ولقّنني سيّدي محمّد الغالي، وهو لقّنه سيّدي أحمد التجاني، وهو لقّنه سيّدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقظة لا مناما.

إعلم أنّ سيّدي عبد الكريم ما قضى الله به سبحانه وتعالى على يديه إلاّ الأوراد اللازمة للطريقة، وهي الورد والوظيفة وذكر عصر يوم الجمعة، وأمّا الأذكار الخاصّة فما وجدت منها على يديه الاّ حزب السيفي مجرّدا عن حزب المغني بعد أن لازمته سنة كاملة مع زيادة أشهر. ثمّ لمّا أراد الله تعالى أن يمنّ عليّ بمحض فضله وكرمه ورحمته الواسعة، وينظمني في سلك أهل الطريقة الواصلين إلى إمام أهلها الفائزين بنيل جميع أذكارها من الإسم الأعظم الكبير والكنز المطلسم والياقوتة

الفريدة والمراتب الكائنة لها الظاهرة والباطنة

وأسرار الطريقة وخلواتها وما ينبغي ذكره وإفشاؤه وما لا ينبغي، ألقى في قلبي وقلب سيّدي عبد الكريم محبّة حجّ بيت الله الحرام وزيارة خير الأنام نبيّنا محمّد وزيارة إخوانه من الأنبياء الكرام وزيارة أصحابه البررة الكرام المختارين على الدوام عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام. وخرجنا من الوطن إلى جهة المغرب وطلب الزاد، وعرض له مرض فرجع إلى الوطن، فانتظرني ما قدر الله له ثمّ سافر إلى أرض ماشن بِنِيَّة انتظاري، ثمّ ردّني الله سالما، وخرجت على إثره لألحقه فما قدر الله بيننا اللقاء، ولكن بلّغني

إنسان في أرض ماش رسالته وقال لي: إنّ الشيخ عبد الكريم قال لي قل للشيخ عمر بن سعيد أنّي أسلّم عليه، وقل له منذ فارقته ما تجدد لي يوم إلاّ ومحبّته تزداد في قلبي. ثمّ لمّا وصلنا أرض التواق آهير سمعت أنّ سيّدي محمّد الغالي في مكّة المشرّفة مجاورا، ففرحت بذلك فرحا عظيما وسألت الله تعالى أن يرزقني ملاقاته، فاستجاب الله لي دعائي بمحض فضله وجمعني معه في مكّة المشرّفة بعد العصر بمقام إبراهيم، فتذكرنا قليلا وفرح بي فرحا عظيما وأكرمني لما تفرّس بي من الصدق، ودفع إليّ جواهر المعاني الذي عندي اليوم بقصد أن

أنظر إليه فيه، ومكثت معه حتّى فرغنا من أعمال الحجّ. وبعد إتمام المناسك إرتحلت معه إلى المدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، ودخلناها أوّل يوم من المحرّم، وجاورت معه تلك السنة في المدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وسلّمت له نفسي ومالي وألقيت إليه القياد، وبقيت أخدمه قدر ثلاثة سنين. وجدّدت الأخذ عنه، ولقّنني الأذكار اللازمة ونظمني في سلك أهل الطريقة. فلم يزل يلقّني الأذكار ويعطيني الأسرار، واكتسبت منه الأنوار على وفق الشريعة والحقيقة.

وفي الشهر التاسع في السنة الأولى، وهو شهر لله رمضان، قلت له، ونحن في المسجد النبويّ بعدالمغرب في الروضة المشرّفة بين منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومحرابه الشريفين: أشهد لي أنّي رأيتك، وقل لي شهدت لك أنّك رأيتني. ثمّ ذكر لي أنّه قال لسيّدنا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربّنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم الغوث الصمداني العارف الربّاني الشريف الحسنيّ سيّدي أحمد التجاني، سقانا الله من بحره بأعظم الأواني، أشهد لي أنّي رأيتك، وقال له شيخنا: أشهد لك أنّك رأيتني.

وشيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به اجتمع في حال بدايته ورحلته بالعارف بالله تعالى سيّدي الشريف الحسني مولاي الطيّب أخي العارف بالله تعالى سيّدي الشريف الحسني مولاي التهامي بزيل وازان، وكان قطبا، فلمّا اجتمع به شيخنا قال له: سمعت أنّ لك مزيّة عظيمة، فقال له: ما هي؟ قال له: من رآك يدخل الجنّة، قال: نعم، إلاّ أنّ المزيّة ليست لي، فقال له شيخنا: لمن هي؟ قال: للشيخ الثعلبي، لأنّ من رآه ومن رأى من رآه ومن رأى من رآه إلى سبعة أو ثمانية أو إثنا عشرة إنسانا، يدخل الجنّة، وأنا رأيت من رأى من رآه،

وقال شيخنا: أشهد لي أنّي رأيتك، وقال له: شهدت لك أنّك رأيتني. قال الفقير إلى مولاه الغنيّ الكريم القدير، جامع هذا الكتاب: أنا السادس بفضل الله تعالى. قلتُ: ورواية السبعة في الأجوبة الناصريّة، قال فيها: قد حدّثني الشيخ سيّدي محمّد بن ناصر عن شيخه في الفقه سيّدي عليّ بن يوسف عن شيخه سيّدي عبد الرحمن بن محمّد من بني مغرة عن سيّدي محمّد بن ناصر من أهل الرقية عن سيّدي عبد الكريم، وهو جدّ سيّدي عبد الرحمن المذكور، عن القطب الكامل إمام الأولياء وفخر العلماء سيّدي عبد الرحمن الثعلبي أنّه قال رضي الله عنه: من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنّة، يقول كلّ واحد من أهل السلسلة لصاحبها: أشهد لي أنّي رأيتك له. وأخبرني بعض من أثق به عن رواية السبعة التي في محاضرات الحسن اليوسي.
قلتُ: وقد حصل لي بفضل الله تعالى ما هو أعظم من هذا، وهو أنّي رأيت شيخنا التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به في واقعة من الوقائع وبيده حلّة من نور، وقال لي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: من رأى هذه الحلّة دخل الجنّة، ثمّ ألبسني إيّاها رضي الله تعالى عنه.
ثمّ لم أزل مع سيّدي محمّد الغالي رضي الله تعالى عنه في المدينة المنوّرة على سكانها أفضل الصلاة وأزكى السلام حتّى سخّر الله تعالى لي بمحض فضله شيخنا وسيّدنا ووسيلتنا إلى ربّنا أحمد بن محمّد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، وقال لسيّدي محمّد الغالي: قد أعطيت الشيخ عمر بن سعيد جميع ما يحتاج إليه من هذه الطريقة من الأذكار والأسرار، فلم يكن لك إلاّ تبليغه فقط.

فحينئذ امتثل أمر الشيخ رضي الله تعالى عنه، أخذ بيدي، بعد ما صلّينا العشاء في المسجد النبويّ، حتّى أوقفني بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تجاه القبر الشريف وأوصل إليّ ما أمره الشيخ وبلّغ إليّ ما حمّله قدوتنا بإبلاغه إليّ بين يدي هذا النبيّ الكريم ليكون شاهدا له أنّه

بلّغ وكمّل ما أمره به ولده صلّى الله عليه وسلّم، وهو شيخنا التجاني ﷺ وأرضاه وعنّا به وجازاه أفضل ما جازى بها شيخنا عن تلاميذه.

ولهذا إنْ شئت قلت أنّي أخذتها عن الشيخ التجاني بنفسه رضي الله تعالى عنه، ولما سيأتي أيضا في الفصل الذي بعد هذا الفصل إن شاء الله تعالى، إلاّ أنّ الفضل للواسطة جزاه الله تعالى خيرا، وكان كثيرا ما ينظر إليّ وأنا جالس معه فيقول: أشهد بالله أنّك تحبّ الشيخ. فلذلك أحبّني محبّة عظيمة حتّى أنّه كان كثيرا ما يقف بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لزيارته، ويطول قدر ما يتلو التالي من القرآن خمسة أحزاب، ثمّ أنّه يقول لي: بالله بالله الذي لا إله إلاّ هو أنّي لأقف مثل هذه الوقفة كثيرا بين يديه صلّى

الله عليه وسلّم وأشتغل إلاّ بالدعاء لك.

ولمّا بلغ أوان الفطام وانتهى ما قدّره الحليم العلاّم، جعلني خليفة من خلفاء الشيخ رضي الله تعالى عنه وعنّا به، وأذن لي في فعل جميع ما يفعله الخليفة، وأملى عليّ الإجازة، وكتبتُ، وهذا نصها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، يقول العبد الفقير إلى الله الراجي عفوه وكرمه، محمّد الغالي أبو طالب التجاني الحسني عامله الله برضاه في الدارين، إني اتّخذت عمر بن سعيد بن عثماني الفوتي أرضا الطوري إقليما الكدوي قبيلة حبيبا لي في

الدارين، ومن كان كذلك كان حبيبا لله ورسوله في الدارين، وأذنته في الورد المعلوم طريقتنا التجانيّة المحمّديّة الإبراهيميّة الحنيفيّة، وأذنته في صلاة الفاتح لما أغلق بنيّة مرتبتها الظاهرة والباطنة، وأذنته في تلاوة الفاتحة بنيّة كذا وكذا بما هي مشتملة عليه، وأذنته في تلقين الورد المعلوم بطريقتنا لمن طلبه من جميع المسلمين ذكرا كان أو أنثى صغيرا أو كبيرا طائعا أو عاصيا حرّا أو مملوكا، وأذنته أن يقدّم من طلبه إلى ستّة عشر رجلا، وكلّ واحد يقدّم أربعة بالشرط المعلوم، ومن خالف شرطنا فهو مرفوع عنه الإذن.

ونأمر كلّ واحد من المقدّمين أن ينظر إخوانه بعين العناية والتعظيم، وأن يحفظ نفسه من تغيير قلوبهم، وأن يجتهد في إصلاح أمورهم وقضاء حوائجهم الدنيويّة والأخرويّة كزيارة صحيحهم وعيادة مريضهم والشفقة على ضعيفهم، ويكون هذا كلّه لابتغاء مرضاة الله ورضا رسوله صلّى الله عليه وسلّم. وأقول: كلّ ما سمعتم من فرض الورد والوظيفة وذكر يوم الجمعة فهو من إملاء

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على شيخنا، وذكر رضي الله تعالى عنه أنّ الفضل الذي هو مرسوم بالنسبة إلى الذي هو مكتوم كنسبة نقطة إلى البحر المحيط لا يحلّ لنا
ذكره، وأذنته في تلقين أذكار سيّدنا رضي الله تعالى عنه كالسيفي والأسماء الإدريسيّة ويا من أظهر الجميل وياقوتة الحقائق، وفي الفاتحة بنيّة كذا وكذا، وكلّ ما في جواهر المعاني من أذكار سيّدنا، فقد أذنته في ذكره وفي إعطائه، ما عدا حزب البحر. وأذنته في جواهر المعاني نفسه، وأذنته في خلوات سيّدنا وفي إعطائها، وكذا في كلّ ما أذنته من إستخارة وصلاة وقرآن وغيرها. وأذنته في إعطاء صلاة الفاتح لما أغلق بنيّة مرتبتها الظاهرة الباطنة. إنتهى ما أملاه عليّ رضي الله تعالى عنه.

ثمّ بعد أن أكملت ما أملاه عليّ كتب بخطّ يديه: والحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، يقول كاتب هذه الحروف محمّد الغالي أبو طالب التجاني الحسني، عامله الله برضاه في الدارين، كلّ ما سطّر في هذه الورقة فهو من إملائنا على كاتبه، وقد أجزناه في جميع هذه الأسطر إجازة عامّة مطلقة، نفعه الله تعالى بذلك ورزقنا وإيّاه فضلها دنيا وأخرى، وأماتنا الله تعالى وإيّاه على عهد شيخنا ومحبّته ورضاه، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما.
وكان هذا يوم الإثنين بعد إثني وعشرين خلت من ذي الحجة بمكّة المشرّفة سنة مرشدا.اهـ.
قلتُ: قد أذن لي غيره بعدما تفرّقنا وأجازني في قراءة حزب البحر وفي إعطاءه وتلقينه كلّ ما أردت من الاخوان، والله تعالى الموفّق بمنه للصواب، وإليه سبحانه المرجع والمآب. << الفصل

الفصل التاسع والعشرون

في إعلامهم أنّ سيّدي محمّد الغالي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به صرّح لي مشافهة أنّي خليفة من خلفاء الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به لا من المقدّمين.
فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم، وفّقني الله تعالى وإيّاك لما يحبّه ويرضاه، أنّ الخلافة عبارة عن نيابة الشيخ الذي كان الخليفة خليفة عنه لأنّه يوصل إلى التلاميذ ما كان الشيخ يوصله إليهم من الأذكار والأوراد والأحزاب والأسرار والتوجّهات

والمقاصد والخلوات والآداب والعلوم والمعارف، والحاصل أنّه يفعل لهم ربّهم ما كان الشيخ يفعله، وله علينا من الحقوق جميع ما كان للشيخ عليهم بحكم الخلافة والنيابة.

فإن قلتَ: ما الفرق بين الخليفة والمقدّم؟ فالجواب: أنّ المقدّم من أمره الشيخ أو من أذن له بالإذن هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بتلقين الأذكار اللازمة مع بعض الأذكار التي يخصّ بها الخواصّ ومن له حدّ ينتهي إليه. ولكلّ مقدّم صادق مرتبة عظيمة تجب بها طاعته واحترامه كما ستأتي في الباب السابع والأربعين من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى.
وليس الخليفة كذلك، بل هو نائب عن الشيخ مطلقا، فلذلك كان المقدّمون وتلامذهم من جملة رعيّة الخليفة، تجب عليهم طاعة الخليفة لأنّ وجوب الإمتثال بالخليفة وحرمة مخالفته تجب على جميع أهل الطريقة، يستوي فيه من لقّنه الخليفة ومن لقّنه غيره لمرتبة الخلافة، فاعلم هذا واعمل عليه ترشد، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.
وإذا فهمت هذا، فاعلم أنّني لمّا طال مكثي مع سيّدي محمّد الغالي وأوقع الله سبحانه وتعالى، بمحض فضله، محبّتي في قلبه وأخذت بمجامع قلبه ولبّه واستوليت على قلبه وقالبه، إتّخذني صاحبا ورمى الناس عنه جانبا، واصطفاني خادما وحاجبا، وصرت له مؤنسا وطالبا، ورميت عنّي كلّما كنت من فنون العلم حافظا وكاتبا، وانسلخت عمّا كنت من المعارف والحقائق جامعا وكاسبا، لعلمي بأنّ ذلك يكون للمتروي وغيره جالبا، ومع هذا فلا أطلب منه شيئا من أسرار الطريقة الاّ وزجرني حتّى أكون من الطلب تائبا، إلى إن سخّر الله لي وساعدني على نيل ما كنت فيه راغبا، وقال، ونحن في المسجد النبويّ وقت الضحى نقدّم الناس ونجعلهم مقدّمين في إعطاء الورد: وأمّا أنت فخليفة من خلفاء الشيخ لا من المقدّمين. وبعد ذلك أخبرني رضي الله تعالى عنه أنّ الشيخ رضي الله تعالى عنه قال: أعطيت الشيخ عمر بن سعيد جميع ما يحتاج إليه من هذه الطريقة من الأسرار والأذكار، فلم يكن لك إلاّ تبليغه فقط.

وكان بعد ذلك كثيرا ما ينظر إليّ ونحن جلوس فيقول: أشهد بالله أنّك تحبّ الشيخ، ويقول: بالله الذي لا إله إلاّ هو أنّي أقف بين يدي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقوفا طويلا ولا يخرج من فمي إلاّ الدعاء لك. ورأيته رضي الله تعالى عنه، بعدما تفارقنا، في واقعة، وقلت له: يا سيّدي إنّك قد قلت أنّي خليفة من خلفاء الشيخ لا من المقدّمين، فقال لي رضي الله تعالى عنه: نعم، أنت خليفة.

ثمّ إذا تقرّر هذا، فاعلم أنّ لي شواهد تدلّ على أنّ جدّه سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحبّني، وعلى أنّي من ورثته صلّى الله تعالى عليه وسلّم ومن خلفائه. ولي شواهد أخرى أيضا تدلّ على أنّ الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به يحبّني محبّة تامّة، وعلى أنّي من الواصلين إليه ومن خلفائه رضي الله تعالى عنه.

أمّا التي من جهة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فمنها: أنّ الله جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه وصفاته تفضّل عليّ بمحض فضله وكرمه من علوم الشريعة والحقيقة تخلّقا وتحقّقا ما لا يمكن لي كتمه، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، قال ابن عبّاس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلّمون الناس معالم دينهم، وهو قول الحسن والضحّاك ومجاهد، أنظر الباب.

وقال تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ، وفي العرائس: أيّ جعلتكم خزائن جودي من المعرفة والمحبّة والولاية خلفاء العالم بعد مضيّ دهر الدهارير وتقلّب الفلك الدوار القرون الماضية فمن مقسم له الرسالة والنبوة والملك والشرف وما كان لهم في السبق وأولي الأمر يكون لكم يا خلفاء الأنبياء والصدّيقين هو الذي جعلكم خلفاء في أرضه كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وزاد شرفكم بشرف نبيّكم على الجمهور.

وقال، عند قوله تعالى وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي: قال محمّد بن حامد: لم تزل للأنبياء والأولياء خلفاء تخلفهم في من بعدهم من أمّتهم وأصحابهم، ويكون هديهم على هديهم، يحفظون على أمّتهم ما يضيّعونه من سنّتهم، فإنّ أبا بكر كان هو القائم بهذا المقام بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم. اهـ. وأنّا، والحمد لله، ممّن قام به.

ومنها: أنّني، والحمد لله، ما خالطت السلاطين ولا أحبّ من يخالطهم. وفي تبيين المحارم أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشرّ العلماء الذين يأتون الأمراء العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم"، رواه أنس رضي الله تعالى عنه. اهـ.

ومنها: أنّني، والحمد لله، قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي السراج المنير، وروي أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: "من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وخليفة كتابه". اهـ. وقال الطبراني في تفسيره: وروي عن

الحسن أنّه قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وخليفة كتابه". اهـ.

ومنها: أنّي رأيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم في واقعة وقال لي: (جعلك الله من خيار أهلها – أيّ أهل أمّتي – أو كما قال، فدنوت منه لما امتلأ قلبي من الفرح والسرور من ذلك القول وقلت له صلّى الله تعالى عليه وسلّم: قبلت ورضيت يا رسول الله صلّى الله عليك وسلّم.

ومنه: أنّ بعض الإخوان قال أنّه رأى صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو صلّى الله عليه وسلّم يقول: أثبتوا على ما أنتم عليه واطيعوا شيخكم عمر فإنّ ما أنتم عليه حقّ وصواب، أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم.

ومنها: أنّ بعض الإخوان بعث إليّ كتابا فيه ما نصّه: إعلم يا شيخنا أنّي رأيتك في المنام في ثوب أبيض، وسمعت قائلا يقول: هذا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فذا أقبل ونهضت إلى المكان الذي رأيتك فيه ووجدتكما قد تلاقيتما وعليكما ضباب ما رأيتكما، وسمعت صلّى الله عليه وسلّم يخاطبك بكلام صاف، وحفظت منه " أحبّك محبّة صادقة مع من حولك "، ولكن " مع من حولك " لا أدري هكذا قال أو قال كلاما كذا من هذا معناه، بخلاف " يحبّك محبّة صادقة "، ثمّ كشف الضباب ورأيتك في موضع مرتفع تريد النزول منه ولا تقدر كأنّ بك رعدة، وقال لك آخر: بك هيبة وبشرى، قلت: نعم. وتعاونتَ بي على الهبوط.

ومنها: أنّ بعض الإخوان ذكر لي أنّه رأى في المنام شخصا على سرير في بيت له بابان، وقال له ذلك الشخص: يا فلان، أتعرفني؟ فقال: لا، فقال: أنا محمّد خير الورى، ثمّ قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: إنّي أرسلت إلى شيخكم عمر، قل له إنّي أسلّم عليه، فليدْع عباد الله إلى دين الله، فليتبيّن كلّ ما أراد فإنّي الضامن له، ولا يكثر بأهل فوت فإنّهم غدرة، وكرّرها ثلاث مرّات. اهـ.

ومنها: أنّ رجلا من الأولياء كان بالمدينة المنوّرة كان على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وكان يرى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويسأله عن جميع ما يريده فيخبره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بما سأل، فطلبت منه أن يسأل لي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن حالي وما يؤول إليه أمري، وأخبرني بعد مدّة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخبره أنّ لي خصما شديد العداوة لي في بلدنا قد مات بعدي ينبغي لي أن أعفو عنه لاشتداد العذاب عليه، فعفوت على الخصم، ثمّ

أخبرني أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال له: لعمر إنّه
سينكس شيا فإذا تمّم النكس اجتمع بي.

ومنها: أنّ الشابّ الرابح والوليّ الصالح أخي وصنوى عليّ بن سعيد رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعه شيخنا التجاني وسيّدي محمّد الغالي رضي الله تعالى عنهما، وسيّدي أحمد التجاني ﷺ يتكلّم مع سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال أخي عليّ رحمه الله تعالى: لمّا أردت أن أسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن شيء ومنعني سيّدي محمّد الغالي، قلت لسيّدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه: كيف حالي يا سيّدي؟ فقال: لا تموت حتّى تكون وليّا، فعند ذلك قال سيّدي
محمّد الغالي رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: كيف حال أخي عمر يا رسول الله؟ فأجاب صلّى لله عليه وسلّم بقوله: أخوه عمر على يديّ بدأ وفيها ينتهي.
ومنها: أنّ الإمام العادل والوليّ الفاضل، محمّد بن العارف بالله عثمان فودي أخبرني أنّه أراد أن يستخير الله تعالى لي وينظر لي ما يكون في أموري قد سمع شخصا في واقعة له يقول: النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول لك: إعلم أنّ أمور عمر بن سعيد في يدي أتصرّف له فيها وما غفلت عنه، أو كما قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم.
ومنها: أنّي رأيت صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأنا أعظ الناس وأدعوهم إلى الله تعالى مرغّبا ومرهّبا، وهو صلّى الله تعالى عليه وسلّم حاضر ساكت مستمع حتّى قلتُ: ثمّ تأتي النار من جهة المغرب فتسوق الناس إلى المحشر، فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: لا، إنّما سكتُّ من أوّل كلامك إلى الآن لكونك مصيبا، ثمّ أردت أن أسأله عن ذلك فمنعتني الهيبة، فانتبهت.
ومنها: أنّي رأيت صلّى الله عليه وسلّم وأنا في فوث جلوا، فدنوت منه، فذكر لي أشياء، ومن جملتها أنّه قال لي: أنّهم – يعني أهل الأرض التي كنت فيها وقت الرؤية – لا يحبّون السعادة.

ومنها: أنّ بعض الصادقين من الإخوان رأى صلّى الله تعالى عليه وسلّم فأضمر ذلك الأخ في نفسه أنّه يطلب من النبي صلّى الله عليه وسلّم أشياء، فقال صلّى الله عليه وسلّم له قبل أن يسأل: فاطلب من الشيخ عمر بن سعيد كلّما تطلبه منّي.
ومنه: أنّي أدخلت بعض الإخوان الصادقين الخلوة، وأرسل إليّ، بعدما مضى له فيها أيّاما، مكتوبا كتب فيه ما نصّه: أمّا بعد، فقد رأيت صلّى الله تعالى عليه وسلّم فيها وهو يقول لي:

الحاج عمر أميني ما لم يخالط السلاطين ويداخل الدنيا، فإذا خالطهم وداخلهم فقد خانني، فاحذروهم.

ومنها: أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال لبعض الصادقين من الإخوان ذكر أنّه رآى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبيده صلّى الله عليه وسلّم لواء فأعطانيه صلّى الله عليه وسلّم.

ومنها: أنّ قاطنة المدينة رأيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم في بيتي وأنا معه صلّى الله عليه وسلّم، ولمّا أراد الإنصراف قلت له: يا رسول الله صلّى الله عليك وسلّم كيف تنصرف ولم تر أهل بيتي؟ فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: أنا مستعجل جدّا، ولكن الله سبحانه لا يريد أن يفعل شيئا يغيّر قلبك ويسوؤك فأحرى أنا، ثمّ أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أمرني فأتيت بهم كلّهم إلاّ شخصيْن.

ومنها: أنّ أمّها رحمة الله عليها رأت كأنّ القيامة قد قامت وهي على هذا الحال، ورأت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء إليّ وأخذ بيدي وذهب بي، وقالت: يا رسول الله أتذهب به وتتركني هنا؟ قال صلّى الله عليه وسلّم: لا أتركك، ولكنّي قد جعلت على نفسي عهدا على أن لا أقدّم عليه أحدا في هذا الوقت.

ومنها: أنّ بعض الإخوان الصادقين أخبرني أنّه توجّه إلي لله تعالى في ليلة من الليالي، وقرأ جوهرة الكمال سبعة مرات وصلى الفاتح لما أغلق مائة مرة وأهدى ثواب ذلك للنبي ﷺ، وقرأ مثل ذلك وأهداه للشيخ رضي الله تعالى عنه، ثمّ سأل الله تعالى أن يريه إيّاهما، ثمّ نام على طهارة، فوقف عليه شخص قال له: أنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد حضر بين يديك ومعه الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه، أما سمعت ما قالا؟ فقال له: سمعت أنّهما قالا نحن مع الشيخ عمر حيث كان لا نفارقه.

ومنها: أنّ بعض الإخوان الصادقين رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأراد أن يسلّم عليه صلّى الله عليه وسلّم فأعرض عنه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولامه لوما شديدا حتّى قال له: أنت كافر. وخاف ذلك على نفسه وقال: يا رسول الله صلّى الله عليك وسلّم، أنت الطيّب فما الحيلة في الخلاص؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم: إن أردت النجاة فلازم الشيخ عمر الذي كنت معه، وملازمته والجلوس معه أفضل من جلوسك في روضتي، ولا تخرج عن القرية التي هو فيها إلاّ بإذنه، أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم.

وأمثال هذه كثيرة، وفي هذا العدد كفاية.
وأمّا الشواهد التي كانت من جهة الشيخ رضي الله تعالى عنه فكثيرة، منها: أنّ لكلّ وليّ خلفاء يستنّون بسنّته. قال في العرائس، عند قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ، بيّن تعالى في هذه الآية أنّ النجباء والأولياء والأصفياء والأتقياء والأخيار والأوتاد والخلفاء يخلف بعضهم بعضا، قال: قوله تعالى: وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ لاقتداء البعض بالبعض في ديانته وأمانته وحجّته وبرهانه في العالمين للعالمين، إلى أن قال بعضهم: يخلف الوليّ وليّ

والصدّيق صدّيق، ويرفع درجات البعض على البعض لئلاّ تخلو الأرض من حجّة الله وأمانته.
وقال بعضهم: رفع بعضا فوق بعض درجات ليقتدي الأدنى بالأعلى ويتبع المريد المراد ليصل إليه. اهـ. وقال عند قوله تعالى: وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي، وفي الآية دليل على أنّ الأولياء خلفاء ونجباء ونقباء يستنّون بسنّتهم ويقتدون بأسوتهم ويبلغون إلى درجاتهم بصدق إرادتهم.
وقال: قال محمّد بن حامد لم تزل الأنبياء والأولياء خلفاء تخلفهم في من بعدهم من أمّتهم وأصحابهم ويكون هديهم على هديهم، يحفظون على أمّتهم ما يضيّعونه من سنّتهم، وأنّ أبا بكر كان هو القائم بهذا المقام بعد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم. أهـ.
ولا شك أنّي، والحمد لله، قائم بحفظ هذه الطريقة الأحمديّة الإبراهيميّة الحنيفيّة التجانيّة وحمايتها من كلّ ما يشينها والذبّ عنها وعن أهلها وتبيين ما عسى أن يندرس منها أو يضيع.
ومنها: أنّي رأيته رضي الله تعالى عنه في واقعة وبيده حلّة من نور، وقال لي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: من رأى هذه الحلّة دخل الجنّة ن ثمّ ألبسني إيّاها رضي الله تعالى عنه وعنّا به.
ومنها: أنّ الشابّ الصالح والأخ الرابح حبيبي وصنوي وقرّة عيني، عليّ بن سعيد أغضبني مرّة، فأرغمت أنف الشيطان بالإحسان إليه بتلقينه ذكرا من أذكار الطريقة، ثمّ ثانيا وفعلت مثل ذلك، ثمّ ثالثا وفعلت مثل ذلك.

وبعد أيّام جاء إليّ بعد الظهر وأخبرني أنّه رأى الشيخ رضي الله تعالى عنه في واقعة وتذاكرا قليلا، وذكر أنّ الشيخ رضي الله تعالى عنه قال له: أترك جميع الأذكار التي لقّنكها الشيخ عمر واطلب منه تلقينا جديدا، فالتلقين الأوّل ليس بتلقين. وقال للشيخ: يا سيّدي لقّني كذا وكذا، وعدّ أشياء من أذكار الطريقة وأسرارها، فقال الشيخ رضي الله تعالى عنه: أطلب من أخيك

الشيخ عمر جميع ما طلبته منّي، فقال له: يا سيّدي أعطني فإنّه لا يعطيني، فقال الشيخ رضي الله عنه: أطلب منه يعطيك، فقال له: يا سيّدي أعطني أنت لا
يعطيني، فنهره الشيخ ثمّ قال: أنت بالخيار، إنْ شئت أطلب منه وإن شئت لا تطلب، فإنّي لا أعطيك شيئا ولا يعطيك إلاّ هو. فلمّا حكى لي جميع ما جرى بينه وبين الشيخ رضي الله تعالى عنه قلت له: صدق الشيخ رضي الله تعالى عنه لأنّي ما لقّنتك شيئا منها على سبيل الأدب الحاصل منك، وأمّا الآن فاذكر لي جميع ما طلبته منه وصرفك إليّ، فأخبرني فلقّنته جميع ذلك رحمة الله تعالى علينا وعليه، آمين.

ومنها: أنّ بعض الصادقين من الإخوان رأى الشيخ رضي الله تعالى عنه في واقعة وطلب منه بعض الأذكار، فقال له: ممّن أخذت أذكار الطريقة؟ فقال: من الشيخ عمر الفوتي، وأشار إلي ناحية من النواحي، فرفع الأخ بصره ورآني، فقال: نعم.

ومنها: أنّ بعض الإخوان الصادقين رأى الشيخ رضي الله تعالى عنه في واقعة له ومع الشيخ رضي الله تعالى عنه من المنح والمواهب والأسرار والعلوم والمعارف الصادرة من الأسرار الإلهيّة ما لا تحيط به العقول، والشيخ رضي الله تعالى عنه يطلب من يدفعها إليه.

فلمّا علم الأخ ذلك قال للشيخ رضي الله تعالى عنه: ناولينها أحملها عنك يا سيّدي، فلم يلتفت إليه الشيخ رضي الله تعالى عنه. وهما على هذه الحالة، فجعل الشيخ ينادي يقول: ليتك تأتيني يا شيخ عمر، ويكرّر، فرفع الأخ بصره ورآني وقد سمعت نداء الشيخ، فأسرعت وأسرع وتسابقنا إلى الشيخ فأتيناه معا، فمدّ الشيخ رضي الله تعالى عنه يده المباركة إليّ وناولني تلك التحف كلّها، وقال الأخ: يا سيّدي، تناوله هذه التحف، قد كنت معك مدّة قبل إتيانه، فقال له الشيخ رضي الله تعالى عنه: قل " لا إله إلاّ الله ".

فلم ألبث أن صنّفت تأليفا عجيبا بشأن هذه الطريقة.

ومنها: أنّا كنّا في سفينة في البحر المالح بين جدّة ومصر هاجت الرياح فأشرفت السفينة على الغرق وأيقن كلّ من فيها بالهلاك، فأخذ أمّي الحاجّة فاطمة المدنية النعاسُ، فانتبهتْ وقالت: أبشر، فإنّي رأيت الآن الشيخ التجاني والشيخ محمّد الغالي فقال لي: بشّري الشيخ عمر وقولي له إنّا ما أتينا هذه السفينة إلاّ لنعلمه فإنّنا معه فلا يخف من شيء، لا يصيبه بأس، فانقطع الريح مكانه وسكن.

ومنها: أنّنا لمّا رجعنا من الحرمين حتّى بلغنا أرض برنو، ووقع بيني وبين سلطانها خلاف شديد، وسعى في قتلي غدرا، وأرسل بعض غلمانه ليلا لبيتي ليفتكوا بي، وساروا حتّى وصلوا البيت الذي كنت فيه أنا وعيالي، وكان فيه سور. فلمّا وصلوا إليه أعمى الله تعالى أبصارهم، فإذا رفعوا أبصارهم نحو السماء رأو السور، وإذا نظروا إلى لأرض لم يروا شيئا من بناء السور، يفعلون ذلك أربع ليال. فلمّا أعياهم الأمر قالوا: لا طاقة لنا على فعل ما أمرتنا به ليلا، فقال لهم: إفعلوا نهارا.

فأتوني، وأنا بين جماعتي، ووجدوا رجالا من رجال الغيب محدقي بنا مصلتين سيوفهم، فلمّا رأوا ذلك رجعوا إليه وأخبروه بما قد رأوا أيضا مرارا. فلمّا كان هذا، أتي واحد من أصهاره فراشه ليلا لينام، فإذا الشيخ رضي الله تعالى عنه وعنّا به قد ظهر له، يقظة لا مناما، وقال: ما لكم وللشيخ عمر لا تتركوا عبد الله في أرض الله؟ وكرّر هذا القول ثلاث مرّات ثمّ غاب.
وأراد ذلك الشيخ أن يضطجع فظهر له الشيخ أيضا يقظة وقال له: ما لكم وللشيخ عمر لا تتركوا عبد الله في أرض الله؟ وكرّر ثلاث مرّات ثمّ غاب، وأراد ذلك الرجل أن يضطجع فظهر له الشيخ أيضا يقظة وقال: ما لكم وللشيخ عمر لا تتركون عبد الله في أرض الله، وكرّر ثلاث مرّات ثمّ قال: قل لهم لَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ، الآية، قل لهم: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ، الآية، قل لهم: أصبروا فسياتكم مكاتبنا من كلّ جانب، فغاب عنه الشيخ رضي الله تعالى عنه.
ثمّ تهيّأت للسفر وأكرمني ذلك السلطان كرامة عظيمة على رغم أنفه، وقحطوا أربع سنين لم تنزل عليهم قطرة من السماء حتّى أكلوا الجيف وأوراق الأشجار والحمي والخيل وبني آدم، ثمّ تابوا ومطروا.
ومنها: أنّا لمّا مكثنا في أرض هوض ما مكثنا حتّى مرض الإمام العادل العالم أمير المؤمنين محمّد بل بن عثمان بن فودي رأى بعض الإخوان في منامه أنّ رجلا أتاه راكبا على فرس وقال له أين عمر بن سعيد؟ فقال له الأخ: ما مرادك؟ فقال: إنّ شيخه أحمد التجاني أرسلني إليه وقال لي قل له: ما يفعل في هذه لأرض الخربة؟
ومنها: أنّي شرعت في تصنيف " سيوف السعيد المعتقد لأهل الله تعالى كالتجاني على رقبة الشقيّ الطريد المنتقد الجاني " حتّى بلغ نصفه رأيت كأنّي في بئر عميق لا يرجى لي الخلاص منه

رأيت الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به ومدّ لي يده فمددت إليه يدي وأخذ بها وأخرجني.

ومنها: أنّ أهلي بنت أمير المؤمنين محمّد بل رأت الشيخ رضي الله تعالى عنه في وقت تصنيفي الكتاب المذكور في البيت الذي أصنفه فيه، ولم تكن لها معرفة بأنّي في تصنيفه.

ومنها: أنّها رأت في شهر رمضان عام بشرنا أنّ الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به أرسل إليها جملا وأمرها بالقدوم عليه على ذلك الجمل، فأخبرتني بذلك، وتوفّيتْ في ذي القعدة في ذلك العام.

ومنها: أنّها لمّا كانت في النزع قالت: هذا سيّدي الشيخ أحمد التجاني قد أتاني لأسير معه، فتوفّيت في تلك الليلة.

ومنها: أنّها لمّا توفّيتْ رأتها أمّ محمّد المكّي في تلك الليلة وقد أتت إلى بيتها وجلست في فراشي، وكان من عادتهنّ أن يجعل في البيت فراشين، فراش للزوج وفراشا للزوجة. فلمّا جلست في فراشي قالت: أين الشيخ؟ تعنيني، قالت لها أمّ محمّد المكّي: قد خرج. وقالت لها: قولي له جزاه الله عنّي خيرا، وقولي له أنا أشكره، وقد اجتمعت بالشيخ سيّدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه. رحمة الله عليها وعلينا وعلى جميع القرباء والأحباب.

ومنها: أنّه لمّا وصلنا أرض بشيكة، وسعى بعض من لا خير فيه في الإفساد بيني وبين سلطانها، وخاف جميع من معنا من الإخوان وتيقّن من كان ساكنا فيها على عدم نجاتنا، رأى بعض الإخوان شخصا جميل الصورة يقول له: أرسلَني الشيخ إلى تلميذه عمر وقال لي قل له أنا معه فلا يخف من كلّ بأس، فإنّ طريقته طريق سلامة بيضاء لا يصيبه شيء.

ومنها: أنّ أمّ أحمد الكبير أصابها وجع البطن وقد أخذت منّي الطريقة وأذكارها، فصارت تنادي وتستغيث بعبد القادر الجيلاني وتقول: يا عبد القادر على عادتها قبل أن تكون تجانيّة، فأخذها النعاس وسمعت قائلا يقول: دعي عبد القادر، ولكن قولي " يا أحمد التجاني " فإنّ الله يعافيك، وقالت ذلك وعوفيت من ساعتها.

ومنها: رؤيا الإمام العادل والعالم العامل الوليّ الفاضل أمير المؤمنين محمّد بل رحمه لله تعالى التي كتبها أرانيها، ونصّها: الحمد لله وصلّى الله تعالى على من لا نبيّ بعده، أمّا بعد، فإنّي رأيت في ما يرى النائم ليلة السبت رابع عشرة من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف من

الهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام أنّ القطب المكتوم والبرزخ المختوم وختم الأولياء الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه وعنّا به قدم بلدنا وهرع الناس إليه، ولمّا وصلت إليه وجدت عنده عنده الفالح السيد الرابح

عمر بن سعيد قائدا وهو يقول له: إنّ أهل هذا القطر لا يستفيدون علما إلى علمهم. قلت: والقائد نائب السلطان بذلك لأنّه يقودهم إلى الأمور التي يراد منهم فعلها، ويقودهم عن الأمور التي تطلب منهم تركها، وهذا هو الخليفة. ثمّ قال محمّد بل: فقلت للشيخ، بعد ما سلّمت عليه: أعلم أنّي من أحبابك وإنّما أحببتك لله تعالى لا لسبب ولا لعلّة بل وضعا إلهيّا والحمد لله، وكنت رأيت ذكر ختم الأولياء من كلام الخواصّ، فقال: فقد عرفته ورأيت ذكره في لواقح الأنوار، فقال: فقد عرفته، ثمّ قلت: قد سمعت من شيخنا أنّه التقى معك في

جانب داره بدغل وأشرت إلى ناحية الشمال، فسكت مليّا، ثمّ قال: حتّى صكة أنا أمرت بكتبها بالصاد، ثمّ قلت: إنّي أريد منك كما شهدتك هنا أن أشهدك في الجنّة، فذكرت هذه الكلمة ثلاث مرّات بجمع همّة، فدعا لي بذلك ثلاث مرّات، وفي آخرها سمعته يقول: طه طس، ولعلّه قال: يس، ثمّ قال: ص، ولعلّه قال: حم، ثمّ قال: ق، ثمّ مضيت إلى محلّي بقصد الرجوع إليه فبعث إليّ أن أبعث له دقيق حبّ الفجل للدواء، وذهبت إلى طلب حاجته، فانتبهت ولله الحمد في الأولى والآخرة، والسلام. اهـ.

قلتُ: ثمّ أنّه رحمة الله تعالى علينا وعليه ملأ إناءً كبيرا بحبّ الفجل وأتى به إليّ وقال لي: خذ ما أمرني شيخك بإتيانه له لأنّك خليفته ونائبه.

ومنها: أنّي حصل لي غمّ شديد وحزن لما أصابني، ورأيت في ما يرى النائم ليلة الخميس والثالث من شهر الله رمضان عام طم بشر من الهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام شخصا يقول إنّي رأيت القطب المكتوم والبزخ المختوم الشيخ أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه ولعلّه قال لي أنّ الشيخ رضي الله تعالى قال له جاء لرؤيتك وليزيل عنك ما أنت فيه من الهموم، ولكنّه

يبدأ بإزالة السحر الذي سحروك به، وكلّ أمر تدخل فيه فادخلْ فيه بالسنّة.

فإنْ قلتَ: قد أكثرتَ علينا من المنامات، قلتُ: إعلم أنّه لا يعترض علينا في إيرادها إلاّ من لا خلاق له في العلم والمعرفة ولوجوه، أحدها: أنّ الله قد أثبت الرؤيا الحضرة في كتابه وأثبتها

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سنّته.
أمّا الكتاب: فقوله سبحانه وتعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، قال في لباب التأويل: إختلفوا في هذه البشرى، فروي عن عبادة بن الصامت قال: "سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن قوله تعالى أَلَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له"، أخرجه الترمذي. اهـ.
وقال في السراج المنير: أمّا البشرى ففسّرت بأشياء منها الرؤيا الصالحة، فقد فسّرها في هذا التفسير من المفسرين ما لا يحصى، وأمّا السنّة فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "إذا قرب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستّة وأربعين جزء من النبوّة". وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "لم يبق بعدي من النبوّة إلاّ المبشّرات قيل وما المبشّرات قال الرؤيا الصالحة".

وروى النسائي عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه قال: "كشف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقال أيّها الناس إنّه لم يبق مبشّرات النبوّة إلاّ الرؤيا الصالحة يراها المسلم". وروى الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: "سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن قوله تعالى أَلَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له".
وروي عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: أَلَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قال: "ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غيرك منذ أنزلت. هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له"، قال الترمذي حديث حسن. وفي السراج المنير: وقال صلّى الله تعال عليه وسلّم: "ذهبت النبوّة وبقيت المبشّرات وقال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان".
وثانيها: أنّ من رأى النبيّ صلّى الله تعالى وسلّم في النوم فرؤياه حقّ لأنّ الشيطان لا يتصوّر بصورته. روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثّل الشيطان بي".

وأخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله ومن حديث أبا بكر، وأخرج الدرامي مثله من حديث قتادة، وروى البخاري أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: "من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي". وكذلك الشيخ الصادق.

قال زين الدين الخوافي في الوصايا القدسيّة: والشيطان يجيء على صورة الصالحين كثيرا ولا يقدر على التمثّل بصورة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال عليه السلام: "من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي"، ولا بصورة الشيخ إن كان الشيخ تابعا للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم مأذونا بإرشاد من شيخه المأذون هكذا إلى حضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.
وثالثها أنّ ساداتنا وأئمّتنا قد أثبتوا قبولها من الله تعالى عليه، قال عبد الله الخيّاط في الفتح المبين: فإن قلت قال صلّى الله عليه وسلّم: "ما بقى بعدي إلاّ المبشّرات الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له"، وفي الحديث "رؤيا المؤمن كلام يكلّم العبد ربّه في المنام وأوّل ما بدأ به صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان يرى الرؤيا فتجيء مثل فلق الصبح والأعمال بالنيّات". إنتهى.
وقال الشعراني في البحر المورود: أخذ علينا العهد إذا جاءتنا بشرى من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو من أحد من صالح المؤمنين أن نأخذها من من جاءت منه بالتصديق والقبول ولا نردّها هضما لأنفسنا كما يفعله بعضهم ذاهبا إلى أنّه لا يستحقّ مثل ذلك وإنّما يستحقّ التخويف بالنار ونحوها حتّى أنّه قال لمن قال له: رأيتك يا سيّدي في الجنّة: أما رأى إبليس أحد يسخر به غيري وغيرك؟ قال: وهذا الذي قلنا أولى ممّا فعله هذا لأنّ كوننا لا نستحقّ دخول الجنّة تحصيل الحاصل فإذا بشّرنا بأنّ الله تعالى غفر لنا أو أنّ
النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شفيع فينا أخذ ذلك من باب الفضل والمنّة، وهل عفو الله تعالى وشفاعة سيّد المرسلين عليه الصلاة والسلام إلاّ للمذنبين؟ ثمّ لا يخلى ذلك الشخص الذي أرسل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه شفع فيه، صالحا أو فاسقا، علّه يحصل له لذلك رقّة قلب فيتوب ويتنصّل لما كان فيه من المعاصي، سياسة نبويّة.

وقال: ولعلّ من ردّ البشرى إذا جاءته جنح إلى خوف الركون إليها كما عليه طائفة من العباد الذين لم تنكشف حجبهم، أمّا العارف فلا ركون له إلى شيء دون الله تعالى، وكلّ شيء جاءه، دنيا وأخرى وبرزخا، أخذه عن الله تعالى. وفي الحديث القدسيّ: "أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيرا". اهـ.

وقال: وقد حكي أنّ الجنّ خيّلت لسليمان بن داود أرضا من ذهب وحصباؤها الدرّ والياقوت ونحو ذلك لتفتنه بها عن عبادة ربّه، فلمّا وقع بصره عليها أخذها عن ربّه عزّ وجلّ وخرّ له ساجدا، فأثبتها الله تعالى له أرضا يراها بصره إلى أن مات،

مجازاة له على حسن ظنّه بربّه عزّ وجلّ وأخذه ذلك عنه دون الجنّ، فاعلم ذلك يا أخي، وإيّاك والتوقّف في قبول بشرى جاءتك عن أحد والمجادلة في صحّة الرؤيا، فربّما عوقبت يا أخي في نظير ذلك بالحرمان لتكذيبك والله بكلّ شيءعليم. اهـ. كلام الشعراني رضي الله تعالى عنه، وهوفي فصل المقام، فشدّ يدك عليه فإنّه نفيس.

وقال في كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجانّ: وسألوني عن الرؤيا الصادقة، هل هي من أقسام الوحي كما بلغنا عن علمائنا؟ فأجبتهم: نعم، هي من أقسام الوحي فيطلع الله تعالى النائم على ما جهله من معرفة الله تعالى والكون في يقظته، ولهذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أصبح يسأل أصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا هذه الليلة وذلك لأنّها آثار نبوّة في الجملة فكان يحبّ أن يشهدها في أمّته.

والناس في غاية من الجهل في هذه المرتبة التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعتني بها ويسأل عنها كلّ يوم، وأكثر الناس يستهزئ بالرائي إذا رآه يعتمد على الرؤيا الصادقة التي هي جزء من ستّة وأربعين جزءا من النبوّة، أيّ من نبوّة محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وذلك أنّ مدّة وحيه على لسان جبريل عليه السلام كانت ثلاث وعشرين سنة، وكان الوحي ينزل إليه في المنام قبل ذلك ستة أشهر، فانسبْها إلى ثلاث وعشرين سنة تجدها جزءا من ستة وأربعين جزءا، ولو أنّ زمن رسالته كانت ثلاثين لقال جزءا من ستين، فالمراد

بالحديث نبوّته لا مطلق النبوّة في حقّ غيره، فافهم ذلك أيّها الجانّ فإنّه نفيس. وقد أنشدوا في الرؤيا الصادقة:

... بالصدق تصدق رؤيا الصادقين ومن ... يصاحب الضدّ لم تصدق له رؤيا

الصدق بالعدوة القصوى منازله ... وهذه ضدّه بالعدوة الدنيا

هي النبوّة إلاّ أنّها قصرت ... عن نسخ شرع وهي رتبة عليا

إنّي رأيت سيوفا للهدى انتصبت ... وفي يميني سيف للهدى دنيا

فما تركت لها عينا ولا أثرا ... بذلك السيف في الأخرى وفي الدنيا

إنتهى.

وفي شهيّة السمّاع: ومنه، يعني ومن الأدب الذي يجتمع في المتّصف به خصال الخير، الفرار من التهاون بما يرى في المنام من الإعتبارات. وفي شرحه كشف القناع: لأنّ التهاون بذلك من الجهل. وقد عمل الصحابة والتابعون بما رأوه في منامهم من الاعتبارات كما هو مشهور في كتب الحديث. ولمّا قصّ عبد الله بن عمر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه رأى في منامه أنّه واقف على شفير جهّنم وهو خائف أن يقع، فقال له صلّى الله تعالى عليه وسلّم: "نِعْمَ الرجل عبد الله بن عمر لو كان يقوم من الليل"، فما ترك عبد الله بعدها
قيام الليل حتّى مات. اهـ.

قلتُ: والرؤيا التي أحتضرها أنّ عبد الله قصّ هذه الرؤيا لأخته أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهم وحفصة هي التي قصّتها لرسول الله صلّى بالله عليه وسلّم، وقال لها صلّى الله تعالى عليه وسلّم: "نِعْمَ العبد عبد الله"، الحديث. ثمّ قال في كشف القناع: ومن كلام سيّدي عليّ الخوّاص: لا يتساهل بما يراه في المنام إلاّ جاهل لأنّ جميع ما يراه المؤمن من وحي الله على لسان ملك الإلهام، وذلك لمّا عجز عن تحمّل أعباء الوحي في اليقظة وعن سماعه من الملك أتاه في النوم الذي هو الجزء
المشترك لأنّ الحكم الغالب فيه الروحانية لا للجسم، ومعلوم أنّ الأرواح من قسم الملائكة والملك له قوّة على سماع الحقّ تعالى بلا واسطة، قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ، ففهم من هذه الآية أنّه لو رفع حجاب البشريّة عن العبد لكلّمه الله تعالى من حيث كلّم الأرواح. وقد قال العارفون أنّ الإنسان إنّما سمّيَ بشرا لمباشرته للأمور التي تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح.
ومن كلامه: أنّ هذه الوقائع التي تقع للإنسان في المنام جند من جنود الله تعالى يقوّي بها إيمان صاحبها بالغيب إذا كان أهلا لذلك وإن كان نقصا في حقّ كامل الإيمان الذي لو كشف الغطاء لم يزدد يقينا، فإنّ من شرط المؤمن الكامل أن يكون ما وعد الله تعالى به أو توعّد عنده كالحاضر على حدّ سواء. اهـ.
والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثلاثون

في إعلامهم أنّ الله تعالى مَنَّ عليّ بمعرفة إسمه الأعظم الكبير للتحدّث بالنعمة، وأنّه موجود عند محقّقين من أهل الله تعالى، وأنّه مضروب عليه حجاب، وأنّه لا يطلع الله عليه إلاّ من اختصّه بالمحبّة واصطفاه بالعناية الأزليّة، وأنّ من عرفه وترك القرآن والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم واشتغل به يخاف عليه من الخسران دنيا وأخرى، وأنّه لا يصلح للدنيا ولا لطالبها.

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، قال شيخنا وسيّدنا ووسيلتنا إلى ربّنا، القطب المكتوم والبرزخ المختوم، أحمد بن محمّد الشريف الحسني التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، في الكتاب المكتوم: إعلم أنّ ثواب الإسم الأعظم الكبير لا شيء يعادله في الأعمال، ثمّ إنّه لا يناله إلاّ الفرد النادر مثل النبيّين والأقطاب ومن غيرهم لا يناله إلاّ الشاذّ النادر، وغالب ذلك الشاذّ أنّه من الصدّقين، وربّما ناله بعض الأولياء ممّن لم يبلغ مرتبة الصدّيقين. أهـ.

وقال بعض العارفين: وإدراك الإسم الأعظم إمّا أن يكون نقلا بأن يعلم من جهة أنّ الاسم الأعظم كذا على التقليد إمّا لنبيّ أو وليّ أو ملك أو منام. اهـ.

قلتُ: قد منّ الله عليّ معرفة الإسم الأعظم بجميع الوجوه المتقدّمة إلاّ من جهة الملك فلم أقطع بمعرفته من جهته، ولكنّي أظنّ بأنّي عرفته من جهة الملَك لرؤيا رأيتها، وقد عرفته من جهة سيّدي محمّد الغالي وأنا معه في المدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعرفته من جهته أيضا وأنا معه في مكّة المشرّفة.

وقد حصل لي على يديه بفضل الله تعالى علوم وأسرار من علوم الإسم وأسراره، وقد حصل لي معرفته أيضا مناما على يد بعض الرجال أرسله شيخنا أحمد بن محمّد التجاني رضي الله تعالى عنه إليّ مرادي الإسم الأعظم، قال: نعم، وذكر لي ما لا يكتب في الاوراق. وقد ازددت يقينا في معرفته بأنّ شخصين أتياني به وقد ذكر لهما عينه مناما. وقد حصل لي معرفته من كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولله الحمد في الاولى والآخرة.

وإذا تقرّر هذا، فاعلم أوّلا أنّ الإسم الأعظم مضروب عليه حجاب لا يطلع الله تعالى عليه إلاّ من اختصّه بالمحبّة واصطفاه بالعناية الازليّة، ولذا قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا

به: قال لي سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم أنّ الإسم الأعظم مضروب عليه حجاب ولا يطلع الله تعالى عليه إلاّ من اختصّه بالمحبّة.

وقال رضي الله تعالى عنه: كما تقدّم، إعلم أنّ ثواب الإسم الأعظم الكبير لا شيء يعادله في الاعمال، ثمّ إنّه لا يناله إلاّ الفرد النادر مثل النبيّين والاقطاب ومن غيرهم لا يناله إلاّ الشاذّ النادر، وغالب ذلك الشاذ أنّه من الصدّيقين، وربّما ناله بعض الاولياء ممّن لم يبلغ مرتبة الصدّيقين. اهـ.

قلتُ: وممّا يدلّ لك على أنّ عليه حجابا مضروبا كثرة اختلاف العلماء في وجوده وعدمه، وفي تعيينه عند القائلين بوجوده حتّى صار ذلك الاختلاف سببا في جهله وعدم معرفته، لأنّ كثرة الأقاويل في وجود الشيء وفي تعيينه يزيده غموضا وانبهاما لأنّ الواقف على ذلك الاختلاف يتحيّر تحيّرا يكون به جاهلا جهلا عظيما لعدم حصوله على طائل فيها. أنا أذكر لك بعض تلك الأقاويل لتحقيق ما قلنا.

فنقول، إعلم أنّ العلماء قد اختلفوا في الإسم الأعظم، وقال بعضهم لا وجود له، بمعنى أنّ أسماء الله تعالى كلّها عظيمة لا يجوز تفضيل بعضها على بعض، وإليه ذهب طائفة منهم: أبو جعفر الطبري وأبو الحسن الأشعري وابن حبّان، وحملوا ما ورد من ذكر الإسم الأعظم على أنّ المراد به عظيم، وكلّ أسمائه تعالى عظام. وقال بعضهم إلأعظيمة الواردة في الاخبار المراد بها مزيد ثواب الداعي لذلك، وذهب جمهور العلماء إلى أنّ لله تعالى إسما ممّا يسمّى الإسم الأعظم واختلفوا في تعيينه، وانتهت أقوالهم إلى واحد وعشرين قولا.

الأوّل: أنّه ممّا استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه.

والثاني: هو ما نقله فخر الدين عن بعض أهل الكشف.

والثالث: أنّه الله إذْ لا يطلق على غيره وهو المختار عند المعظم حتّى كاد أن ينعقد الاجماع عليه، وعزي للشيخ عبد القادر الجيلاني وقال: إنّما يستجاب لك إذا لم يكن غير الله في قلبك أنّه الرحمن الرحيم.

والرابع: أنّه الرحمن الرحيم.

والخامس: أنّ الرحمن الرحيم الحيّ القيّوم لحديث "إسم الله الأعظم في هاتين الآيتين وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وفاتحة آل عمران الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ".

والسادس: أنّه الحيّ القيّوم لحديث "الإسم الأعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه"، واختاره النووي وجماعة.

والسابع: أنّه الحنّان المنّان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام.

والثامن: أنّه بديع السماوات والارض ذو الجلال والاكرام.

والتاسع: أنّه لا إله إلاّ هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، قال الحافظ بن حجر هو الأرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.

والعاشر: أنّه ذو الجلال والإكرام.

والحادي عشر: أنّه ربّ.

والثاني عشر: أنّه مالك الملك.

والثالث عشر: دعوى ذو النون.

والرابع عشر: أنّه كلمة التوحيد.

والخامس عشر: ما نقل عن الفخر الرازي وزين العابدين أنّه سأل الله تعالى أن يعلّمه الإسم الأعظم فرأى في النوم هو الله الله الذي لا إله إلاّ هو ربّ العرش العظيم.

والسادس عشر: أنّه مخفيّ في الأسماء الحسنى يطلع عليه بعض الأصفياء.

والسابع عشر: أنّ كلّ إسم من أسمائه دعا العبد به ربّه مستغرقا بحيث لا يكون في ذكره مستحضرا غير الله تعالى، فإنّ من تأتّى له ذلك استجيب له، قال جعفر الصادق والجنيد وغيرهما.

والثامن عشر: أنّه اللهمّ، حكاه الزركشي.

والتاسع عشر: أنّه ألم، ذكره العزيزي.

والموفّي العشرين: الله حميد قهّار.

والحادي والعشرون: أنّه كمال المائة وليس من التسع والتسعين وأنّ كثيرا من معانيه في الاسماء التسعة والتسعين، قاله القطب عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ.

قلتُ: وإذا تأمّلت ما تقدّم وفهمته وحصل في ذهنك علمه، علمت يقينا أنّ الإسم الأعظم الكبير موجود عند المحقّقين من أهل الله تعالى، وعلمت أنّه مضروب عليه حجاب لا يطلع الله تعالى عليه إلاّ من اختصّه بالمحبّة من النبيّين وبعض الصدّيقين والأولياء كما تقدّم لما رأيت من

الأقوال الكثيرة التي تزيد الطالب معرفته حيرة على حيرة.
أخبرني سيّدي محمّد الغالي رضي الله تعالى عنه، وأنا معه في المدينة المنوّرة، أنّ رابعة العدويّة رضي الله تعالى عنها سألت فقيها من الفقهاء عن مسألة فأجابها بقوله: قيل كذا وقيل كذا وقيل كذا، إلى أن ذكر لها كثيرا من الأقوال، فقالت له رضي الله تعالى عنها: سألتك لتفيد علما فزدت جهلا وحيرة. اهـ. لأنّ قولك قيل في المسألة كذا وكذا وكذا من غير تحقيق الحقّ وتبيين الصواب لا يزيد الطالب إلاّ حيرة على حيرة.

وإذا تقرّر هذا، فاعلم، ثانيا، أنّ من عرف الإسم الأعظم وترك القرآن والصلاة على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّه يخاف عليه الخسران دنيا وأخرى، قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: قال لي سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم أنّ الإسم الأعظم مضروب عليه حجاب ولا يطلع الله تعالى عليه إلاّ من اختصّه بالمحبّة، ولو عرف الناس لاشتغلوا به وتركوا غيره، ومن عرفه وترك القرآن والصلاة على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم على ما يرى فيه من كثرة الفضل فإنّه يخاف على نفسه. اهـ.
وإذا فهمت هذا، فاعلم، ثالثا، أنّ الإسم الأعظم لا يصلح للدنيا ولا لطالبها، ومن عرفه وصرفه لطلب الدنيا خسر الدنيا والآخرة، قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى: قال ابن عدي حدّثنا عبد الرحمن القرشي قال حدّثنا محمّد بن زياد بن معروف قال حدّثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال حدّثني ثابت البنّاني عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "سألت الله الإسم الأعظم فجاءني جبريل عليه السلام به مخزونا مختوما" إلى أن قال:
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: "بأبي أنت وأمّي يا نبيّ الله علّمنيه
فقال صلّى الله عليه وسلّم يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء". اهـ.
وفي شرح القشيري عن الأسماء الحسنى عن قوله الْحَيُّ الْقَيُّومُ: وقال يوسف بن الحسن بلغني أنّ ذا النون يعلم إسم الله الأعظم، فخرجت من مكّة قاصدا إليه، فأوّل ما أبصرني رآني طويل اللحية وفي يدي ركوة كبيرة مؤتزرا بمئزر وعلى كتفي مئزر وتاسومة، فاستبشع منظري، فلمّا سلّمت عليه كأنّه ازدراني، فلمّا كان بعد يومين أو ثلاثة جاء رجل من أئمّة المتكلّمين فناظره بشيء من الكلام واستظهر على ذي النون في ذلك وغلبه، فاغتممت لذلك

وتقدّمت وجلست بين أيديهما وأسلمت المتكلّم إليّ وناظرته حتّى قطعته، ثمّ دقّقت عليه الكلام حتّى لم يفهم كلامي. قال: فأعجب ذو النون من ذلك، وكان شيخا وأنا شابّ، فقام من مكانه وجلس بين يديّ وقال: أعذرني فإنّي لم أعلم محلّك من العلم، فأنت أبرّ الناس عندي، وما زال بعد ذلك يبجّلني ويقرّبني على جميع أصحابه حتّى بقيت على ذلك سنة كاملة.

وقلت له بعد السنة: يا أستاذ، أنا رجل غريب وقد إشتقت إلى أهلي، وقد خدمت سنة ووجب حقّي عليك، لقد قيل لي إنّك تعلم اسم الله الأعظم، وقد جرّبتني وعلمت بي أهل لذلك، فإن كنت تعرفه فعلّمني إيّاه. فسكت عنّي ولم يجب بشيء، وأوهمني أنّه ربّما علّمني، ثمّ سكت عنّي ستّة أشهر. فلمّا كان ذلك قال: يا أبا يعقوب، ألست تعلم فلانا صديقا لي يقينا بالفسطاط الذي يأتينا، وسمّى رجلا، فقلت: بلى، قال: فأخرج إليّ طبقا فوقه مكبّه مشدود بمنديل، فقال لي: اوصل هذا إلى من سمّيت لك بالفسطاط.

قال: فأخذت الطبق لأؤدّيه، فإذا هو خفيف كأن ليس فيه شيء. فلمّا بلغت الفسطاط الذي بين الحبس والجزة قلت في نفسي: وجّهني ذو النون بهديّة إلى رجل بطبق ليس فيه شيء لأنظرنّ إلى مافيه، قال: فحللت المنديل وفتحت المكبّة فإذا فأرة وقد نفرت من الطبق فذهبت، قال: فاغتممت وقلت سخر بي ذو النون ولم يذهب وهمي إلى ما أردت في الوقت. قال: فرجعت إليه مغضبا. فلمّا رآني تبسّم وعرف القصّة وقال: يا مجنون، إئتمنتك على فأر فخنتني فكيف أئتمنك على إسم الله الأعظم، قم فارتحل ولا أراك بعدها أبدا. فانصرفت عنه. أهـ.

وروى ابن ماجة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "اللهمّ إنّي أسألك باسمك الطاهر المبارك الأحبّ إليك الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت وإذا استرحمت به رحمت وإذا استفرجت به فرّجت قالت: فقال ذات يوم يا عائشة هل علمت أنّ الله قد دلّني على الإسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب قالت: فقلت يا رسول الله صلّى الله تعالى عليك وسلّم بأبي أنت وأمّي علّمنيه فقال إنّه لا ينبغي لك يا عائشة قالت فتنحّيت وجلست ساعة ثمّ قمت فقبّلت رأسه ثمّ قلت يا رسول الله علّمنيه قال إنّه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلّمك أنّه لا ينبغي لك أن تسألني به شيئا للدنيا". اهـ.

إذا فهمت هذا علمت أنّ الإسم الأعظم لا يستعمل لشيء من أمور الدنيا إلاّ لضرر دنيوي متعلّق بالدين لا يصلح الدين إلاّ ذلك الأمر ولا يمكن إلاّ استعماله، فحينئذ لعلّه يستعمل

لذلك، والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه له المرجع والمآب.

الفصل الحادي والثلاثون

في إعلامهم أنّ الأولياء يرون النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقظة، وأنّه صلّى الله عليه وسلّم يحضر كلّ مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنّه يتصرّف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدّل منه شيء، وأنّه مغيّب عن الأبصار كما غيّبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها.

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، قال الشعراني في لواقح الأنوار القدسيّة في العهود المحمّديّة: فإن أكثرت من الصلاة والتسليم عليه صلّى الله عليه وسلّم فربّما تصل إلى مقام مشاهدته صلّى الله تعالى عليه وسلّم، هي طريق الشيخ نور الدين الشوني والشيخ أحمد الزواوي والشيخ محمّد بن داود المنزلاوي وجماعة من مشايخ العصر.

فلا يزال أحدهم يصلّي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبكثرة منها ويتطهّر من كلّ الذنوب حتّى يجتمع به يقظة في أيّ وقت شاء، ومن لم يحصل له هذا الاجتماع فهو إلى الآن لم يكثر من الصلاة على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم الإكثار المطلوب ليحصل له هذا المقام. قال: وأخبرني الشيخ أحمد الزواوي أنّه لمّا لم يحصل الاجتماع بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقظة واظب على الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سنة كاملة، أصلّي عليه كلّ يوم خمسين ألف مرّة.

وكذلك أخبرني الشيخ نور الدين الشوني أنّه واظب على الصلاة على النبيّ كذا وكذا يصلّي كلّ يوم ثلاثين ألف صلاة. قال: سمعت سيّدي عليّ الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: لا يكمل عبد في مقام العرفان حتّى يصير يجتمع برسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقظة ومشافهة. وممّن يراه يقظة من السلف الشيخ أبو مدين المغربي شيخ الجماعة، والشيخ عبد الرحيم القناوي، والشيخ موسى الزواوي، والشيخ أبو الحسن الشاذلي، والشيخ أبو العبّاس المرسي، والشيخ والسيّد أبو السعود بن أبي العشائر، وسيّدي إبراهيم المتبولي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وكان يقول: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، واجتمعت به يقظة نيّفا وسبعين مرّة.

أمّا سيّدي إبراهيم المتبولي فلا يحصى اجماعه لأنّه يجتمع به في أحواله كلّها، ويقول: ليس لي شيخ إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وكان أبو العبّاس المرسي يقول: لو احتجب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساعة ما عددت نفسي من المسلمين.

وقال في موضع آخر: وكان ورد الشيخ أحمد الزواوي أربعين ألف صلاة، وقال مرّة: طريقنا أن نكثر من الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى يصير يجالسنا يقظة ونصحبه مثل الصحابة، ونسأله عن أمور ديننا وعن الحديث، وعن الأحاديث ضعّفها الحفّاظ عندنا، ونعمل بقوله صلّى الله عليه وسلّم فيها. ومتى لم يقع لنا ذلك فلسنا من المكثرين للصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم.

وقال في خطبة الكتاب: فهو – أيّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم – الشيخ الحقيقي لنا بواسطة أشياخ الطريق أو بلا واسطة مثل من صار من الأولياء يجتمع به صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة، وقد أدركنا بحمد الله جماعة من أهل هذا المقام، كسيّدي عليّ الخوّاص والشيخ محمّد العدل والشيخ جلال الدين السيوطي وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين. إنتهى.

وذكر الشيخ أحمد بن المبارك، صاحب الإبريز، أنّه رأى رجلا يرى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة ويشم منه رائحة مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مدينة فاس، ثمّ قال: وسمعت هذا الرجل يقول: ذهبت إلى الحجّ، فلمّا زرت قبر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أخذتني حالة وقلت: يا رسول الله ما ظننت أنّي أصل إلى مدينتكم ثمّ أرجع إل فاس، فسمعت صوتا من قِبَل القبر الشريف وهو يقول: إن كنت مخزونا في هذا القبر فمن جاء منكم فليبق ههنا، وإن كنت مع أمتي حيث ما كانت فارجعوا إلى بلادكم، قال: فرجعت إلى بلدي.

اهـ. وذكر أنّ شيخه القطب عبد العزيز الدبّاغ رضي الله تعالى عنه قال: إنّ من يرى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من أولياء الله تعالى في اليقظة فإنّه لا يراه حتّى يرى هذا العالم كلّه ولكن لا ينظر واحد. قال وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: لكلّ شيء علامة، وعلامة إدراك العبد مشاهدة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة أن يشتغل الفكر بهذا النبيّ الشريف اشتغالا دائما بحيث لا يغيب عن الفكر ولا تصرفه عنه الصوارف ولا الشواغل، فتراه يأكل وفكره مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويشرب وهو كذلك، ويخاصم وهو كذلك،

وينام وهو كذلك، فقلت: وهل يكون هذا بحيلة وكسب؟ فقال: لو كان بحيلة وكسب من العبد

لوقعت له الغفلة عنه إذا جاءه صارف أو عرض شاغل، ولكنّه أمر من الله يحمل العبد إليه ويستعمله فيه ولا يحسن العبد من نفسه اختيارا فيه حتّى لو كلّف العبد دفعه ما استطاع، ولهذا كانت لا تدفعه الشواغل والصوارف، فباطن العبد مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وظاهره يتكلّم معهم بلا قصد ويأكل بلا قصد ويأتي لجميع ما يشاهده في ظاهره بلا قصد، لأنّ العبرة بالقلب وهو مع غيرهم.

فإذا دام العبد على هذا مدّة رزقه الله تعالى مشاهدة نبيّه الكريم ورسوله العظيم في اليقظة. ومدّة الفكر تختلف، فمنهم من تكون له شهرا، ومنهم من تكون له أقلّ، ومنهم من تكون له أكثر.

قال رضي الله تعالى عنه: ومشاهدة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمرها جسيم وخطبها عظيم، فلولا أنّ الله يقوّي العبد ما طاقها.

لو فرضنا رجلا قويّا عظيما إجتمع فيه قوّة أربعين رجلا، كلّ واحد منهم يأخذ بأذُن أسدٍ من الشجاعة والبسالة، ثمّ فرضنا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خرج على هذا الرجل، لانفلقتْ كبده وذابت ذاته وخرجت روحه، وذلك من عظمة سطوته صلّى الله عليه وسلّم. ومع هذه السطوة العظيمة ففي تلك المشاهدة الشريفة من اللذة ما لا يكيّف ولا يحصى حتّى أنّها عند أهلها أفضل من دخول الجنّة، وذلك لأنّ من دخل الجنّة لا يرزق جميع ما فيها من النعم، بل كلّ واحد له نعيم خاصّ به، بخلاف مشاهدة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فإنّه إذا حصلت له المشاهدة المذكورة سقيت ذاته بجميع نِعَم أهل الجنّة ويجد لذّة كلّ لون وحلاوة كلّ نوع كما يجد أهل الجنّة في الجنّة، وذلك قليل في حقّ من خلقت الجنّة من نوره صلّى الله عليه وسلّم وشرّف ومجّد وعظّم وعلى آله وصحبه. اهـ.

قلتُ: ولا ينكر رؤية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقظة إلاّ من لا شعور له بمقامات العارفين، ولا اطّلاع على ديوان الصالحين.

فها أنا أُلَخِّصُ لك شيئا من ذلك ذكره صاحب الإبريز، ناقلا عن الشيخ عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ أنّه قال: الديوان بِغَار حراء الذي كان يحتنث فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل البعثة، فيجلس الغوث خارج الغار ومكّة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى، والأربع أقطاب عن يمينه، وهم مالكيّة على مذهب مالك بن أنس ﷺ، وثلاث أقطاب عن يساره، واحد من

كلّ مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه، ويسمّى قاضي الديوان وهو في الوقت مالكيّ أيضا من بني خالد القاطنين بناحية البصرة، واسمه سيّدي محمّد

عبد الكريم البصراوي. ومع الوكيل يتكلّم الغوث، ولذلك سُمِّي وكيلا لأنّه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان. والتصرّف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكلّ واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرّفون تحته، وصفوف ستّة من وراء الوكيل، وتكون دائرتها من القطب الرابع إلى الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة، فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة، وهذا هو الصفّ الأوّل، وخلفه الثاني على صفته وعلى دائرته، وهكذا الثالث إلى أن يكون السادس آخرها.

ويحضره النساء، وعددهن قليل وصفوفهم ثلاثة وذلك من جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة الصفّ لأوّل في فسح هناك بين الغوث والأقطاب الثلاثة. ويحضره بعض الكمّل من الأموات، ويكونون في الصفوف مع الأحياء ويتميّزون بثلاث أمور، أحدها أنّ زيّهم لا يتبدّل بخلاف زيّ الحيّ وهيئته، فمرّة يحلق شعره ومرّة يجدّد ثوبه وهكذا، وأمّا الموتى فلا تتبدّل حالتهم.

فإذا رأيت في الديوان رجلا على زيّ لا يتبدّل فاعلم أنّه من الموتى، كأنْ تراه محلوق الشعر ولا ينبت له شعر فاعلم أنّه على تلك الحالة، وإن رأيت الشعر على رأسه على حال لا يزيد ولا ينقص ولا يحلق فاعلم أيضا أنّه ميّت ومات على تلك الحال. ثانيها أنّه لا تقع معه مشاور في أمور الأحياء لأنّه لا تصرّف لهم فيها وقد انتقلوا إلى عالم آخر في غاية المباينة لعالم الأحياء، وإنّما تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات.

ثالثها أنّ ذات الميّت لا ظلّ لها، فإذا وقف الميّت بينك وبين الشمس فإنّك لا ترى له ظلاّ، وسرّه أنّه يحضر بذات روحه لا بذاته الفانية الترابيّة، وذات الروح خفيفة لا ثقيلة وشفّافة لا كثيفة. قال لي ﷺ: وكم مرّة أذهب إلى الديوان أو إلى مجمع من مجامع الأولياء وقد طلعت الشمس فإذا رأوني من بعيد إستقبلوني فأراهم بعين رأسي متميّزون، هذا بظلّ وهذا لا ظلّ له.

والأموات الحاضرون في الديوان ينزلون إليها من البزخ يطيرون طيرا بطيران الروح، فإذا قربوا من موضع الديوان بنحو مسافة نزلوا إلى الأرض ومشوا على أرجلهم إلى أن يصلوا إلى الديوان تأدّبا مع الأحياء وخوفا منهم. قال: وكذا رجال الغيب إذا زار بعضهم بعضا فإنّه يجيء بسير روحه

فإذا قرب من موضعه تأدّب ومشى مشي ذاته الثقيلة تأدّبا وخوفا. وتحضره الملائكة وهم من وراء الصفوف. ويحضره أيضا الجنّ الكمّل وهم الروحانيون، وهم من وراء الجميع، وهم لا يبلغون صفّا كاملا.

وفائدة حضور الملائكة والجنّ أنّ الأولياء يتصرّفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها، ويستعينون بالملاكة والجنّ في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول إليها. قال: قال وفي بعض الأحيان يحضره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. فإذا حضره صلّى الله عليه وسلّم جلس في موضع الغوث وجلس الغوث في موضع الوكيل وتأخّر الوكيل للصفّ.

وإذا جاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم جاءت معه الأنوار التي تطاق وإنّما هي أنوار محرقة مفزعة قاتلة لحينها، وهي أنوار المهابة والجلالة والعظمة حتّى أنّا لو فرضنا أربعين رجلا بلغوا في الشجاعة مبلغا لا مزيد عليه ثمّ فوجئوا بهذه الأنوار فإنّهم يصعقون لحينهم، إلاّ أنّ الله تعالى يرزق أولياءه القوّة على تلقّيها، ومع ذلك فالقليل منهم هو الذي يضبط الأمور التي صدرت في ساعة حضوره صلّى الله عليه وسلّم. وكلامه صلّى الله عليه وسلّم مع الغوث.

إلى أن قال: قال ﷺ: وإذا حضر النبيّ صلّى الله عليه سلّم في الديوان وجاءت معه الأنوار التي لا تطاق بادرت الملائكة الذين مع أهل الديوان ودخلوا في نوره صلّى الله عليه وسلّم، فما دام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الديوان لا يظهر منهم ملك، فإذا خرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الديوان رجع الملائكة إلى مراكزهم.

إلى أن قال: وسألته ﷺ هل يحضر الديوان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل سيّدنا إبراهيم وسيّدنا موسى وغيرهما من الرسل على نبيّنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام؟ فقال ﷺ: يحضرونه في ليلة واحدة في العام، قال: قلت: فما هي؟ قال: ليلة القدر، فيحضروه في تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ويحضروه الملأ الأعلى من الملائكة المقرّبين وغيرهم، ويحضره سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم، ويحضر مع أوزاجه الطاهرات وأكابر صحابته الأكرمين ﷺ أجمعين.

وقال، بعد كلام، أنّه سمعه – أعني الشيخ عبد العزيز الدبّاغ رضي الله تعالى عنه – يقول: قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره، إلى أن قال: قال ﷺ: وقد يحضر سيّد الوجود صلّى لله

عليه وسلّم في غيبة الغوث ويحصل لأهل الديوان من الخوف والجزع من حيث أنّهم يجهلون العاقبة في حضوره صلّى الله عليه وسلّم ما يخرجهم عن حواسّهم حتّى أنّهم لو طال ذلك أيّاما كثيرة لانهدمت العوالم.

قال: قال ﷺ: وإذا حضر سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم مع غيبة الغوث فإنّه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والحسن والحسين وأمّهما فاطمة، تارة كلّهم وتارة بعضهم ﷺ أجمعين. قال: قال: وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة اللاّتي يحضرن الديوان في جهة اليسار كما تقدّم وتكون مولاتنا فاطمة أمامهن ﷺ وعنهنّ. قال: قال ﷺ: وسمعتها ﷺ تصلّي على أبيها صلّى الله عليه وسلّم ليلة من الليالي وهي تقول: " اللهمّ صلّ على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون.

اللهمّ صلّ على من هو إمام الأنبياء والمرسلين، اللهمّ صلّ على من هو إمام أهل الجنّة عباد الله المؤمنين "، وكانت تصلّي عليه صلّى الله عليه وسلّم لكن لا بهذا اللفظ وإنّما أنا استخرجت معناه. اهـ. ملخّصا مختصرا.

وفي الإبريز أيضا: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: إنّي رأيت سيّدنا إبراهيم خليل الرحمن على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام يطلب الدعاء الصالح من سيّدي منصور رضي الله تعالى عنه.

وفيه قال – يعني شيخه عبد العزيز بن مسود الدبّاغ رضي الله تعالى عنه: وأمّا من رأى سيّد الوجود صلّى لله عليه وسلم في المنام فإنّ رؤياه تنقسم إلى قسمين، أحدهما ما لا تغيّر فيه، وذلك بأن يراه على الحالة التي كان صلّى الله عليه وسلّم عليها في دار الدنيا التي كان الصحابة ﷺ يشاهدونه صلّى الله عليه وسلّم عليها، ثمّ إن كان الرائي من أهل الفتح والعرفان والشهود والعيان فإنّ الذي رآى هو ذاته الشريفة، وإن لم يكن من أهل الفتح فتارة تكون رؤياه كذلك، وهو النادر، وتارة، وهو الكثير، يرى صورة ذاته

الشريفة لا عين ذاته، وذلك لأنّ لذاته الطاهرة صورا بها يرى صلّى الله عليه وسلّم في أماكن كثيرة في المنام وفي اليقظة وذلك لأنّ لذاته صلّى الله عليه وسلّم نورا منفصلا عنها قد امتلأ به العالم كلّه، فما من موضع منه إلاّ وفيه النور الشريف، ثمّ هذا النور تظهر فيه ذاته عليه السلام كما تظهر صورة الوجه في المرآة، فإنّ النور بمثابة مرآة واحدة ملأت العالم كلّه والمرتسم فيها

وهو الذات الكريمة، فمن هنا كان يراه عليه السلام رجل بالمشرق وآخر بالمغرب وآخر بالجنوب وآخر بالشمال وأقوام لا يحصون في أماكن مختلفة في

آن واحد، وكلّ يراه عنده، وذلك أنّ النور الكريم الذي ترسم فيه الذات مع كلّ واحد منهم. والمفتوح عليه هو الذي إذا رآى الصورة التي عندهم تبعها ببصيرته ثمّ يغرق بنورها إلى محلّ الذات الكريمة، وقد يقع هذا لغير المفتوح عليه بأن يمنّ عليه تعالى برؤية الذات الكريمة وذلك بأن يجيئه عليه السلام إلى موضعه كما إذا علم منه عليه السلام كمال المحبّة والصدق فيها، فأمر المسألة موكول إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فمن شاء أراه ذاته ومن شاء أراه صورتها.

وله صلّى الله عليه وسلّم ظهور في صور أخر وهي صور عدد الأنبياء المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وصور عدد الأولياء من أمّته من لدن زمانه عليه السلام إلى يوم القيامة. والعدد المذكور الصحيح فيه أنّه غير معلوم، وقيل أنّه مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، فله عليه السلام من الصور التي يظهر فيها مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، ومثل هذا العدد في أولياء أمّته عليه السلام، فله عليه السلام الظهور في مئتي ألف وثمانية وأربعين ألفا لأنّ الجميع مستمدّ من نوره عليه السلام، ومن هنا يقع كثيرا للمريدين رؤيته عليه السلام في

ذوات أشياخهم. اهـ.

وقال محي الدين بن العربي الحاتميّ ﷺ في الباب الثالث والستين وأربع مائة في الفتوحات المكّيّة: رأيت في كشف جميع الأنبياء والمرسلين وأهمّهم مشاهدة عين من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحقّ تعالى في صعيد واحد، وصاحبت منهم، غير محمّد صلّى الله عليه وسلّم، جماعة منهم الخليل عليه السلام، قرأت عليه القرآن كلّه باستدعائه ذلك منّي، فكان يبكي في كلّ موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لي منه خشوع عظيم، وأمّا موسى عليه السلام فأعطاني علم الكشف والإيضاح عن

الأمور وعلم تقليب الليل والنهار، وأمّا هود عليه السلام فثبت على يديه أوّل دخولي في طريق القوم. وذكر أنّه ما اجتمع بأحد من الأنبياء أكثر من عيسى عليه السلام، وقال: كلّما اجتمعت به دعا لي بالثبات في الدين حيّا وميّتا، وكان لا يفارقني حتّى يدعو لي بذلك، وكان يقول لي: يا حبيبي، وأمرني أول اجماعي عليه بالزهد التجريد، وكان من زهّاد الرسل وأكثرهم سياحة، وكان حافظا للأمانة لم تأخذه في الله لومة لائم، ولذلك عادته اليهود. اهـ.

قلتُ: قد ذكر الشيخ عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ، كما في الإبريز، أنّ الوليّ إذا كان مفتوحا عليه فإنّه يشاهد في المقام الثاني من مقامات الفتح الملائكة والديوان والأولياء الذين يعمرونه، ويشاهد مقام عيسى عليه السلام وكلّ من انضاف إليه وكان على شاكلته، ثمّ مقام موسى عليه السلام وكلّ من معه، ثمّ مقام إدريس عليه السلام وكلّ من معه، ثمّ مقام يوسف عليه السلام وكلّ من معه، ثمّ مقام إبراهيم عليه السلام وكلّ من معه، ثمّ مقام ثلاثة من الرسل متقدّمين، منهم من كان قبل إدريس ومنهم من تأخّر عنه، أسماؤهم غير
معروفة. إلى أن قال: ولا يزال المفتوح عليه على خطر عظيم وهلاك قريب حتّى يشاهد مقام سيّدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فإذا شاهده حصل له الهناء وتمّ له السرور. وقال في آخر الكتاب: فإذا حصلت له – يعني المفتوح عليه – مشاهدة ذات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. اهـ.

وقال الشيخ جلال الدين السيوطي ﷺ في تنوير الحلك في إمكان رؤية النبيّ والملَك: قد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأنّ طائفة من أهل العصر ممّن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك وادّعوا أنّه

مستحيل، فألّفتُ هذه الكراسة في ذلك، ونبدأ بالحديث الصحيح الوارد في ذلك. أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثّل الشيطان بي"، وأخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله من حديث أبي بكرة، وأخرج الدراني مثله من حديث أبي قتادة.

قال العلماء: إختلف في قوله فسيراني في اليقظة، فقيل معناه فسيراني في القيامة وتعقب بأنّه لا فائدة في التخصيص لأنّ كلّ أمّته يرونه يوم القيامة، من رآه منهم ومن لم يره. وقيل المراد: من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائبا، فيكون مبشّرا له أنّه لا بدّ أن يراه في اليقظة قبل موته. وقال قوم: هو على ظاهره، فمن رآه في النوم فلا بدّ أن يراه في اليقظة بعيني رأسه وقيل بعين قلبه، حكاهما القاضي أو بكر بن العربي.

وقال الامام أبو محمّد بن أبي جمرة في تعليقه على الأحاديث التي انتقاها من البخاري: هذا الحديث يدلّ على من رآه صلّى الله تعالى عليه وسلّم فسيراني في اليقظة، وهل هذا على عومه في حياته وبعد مماته أو هذا كان في حياته، وهل كذلك كلّ من رآه مطلقا أو خاصّ بمن فيه

الأهلية والإتّباع بسنّته عليه السلام. اللفظ يعطي العموم، ومن يدّعي الخصوص فيه بغير مخصّص منه صلّى الله عليه وسلّم فمتعسّف.

وقال: وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعموم وقال علي ما أعطاه عقله: وكيف يكون من قد مات يراه الحيّ في عالم المشاهدة؟ قال: وفي هذا القول من المحذور وجهان خطران، أحدهما عدم التصديق بقوله الصادق صلّى الله عليه وسلّم الذي لا ينطق عن الهوى، والثاني الجهل بقدرة القادر وتعجيزها، كأنّه لم يسمع في سورة البقرة قصّة البقرة كيف قال الله تعالى: اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا، وقصّة إبراهيم عليه السلام في أربع من الطير، وقصّة عزير.

فالذي جعل ضرب الميّت ببعض البقرة سببا في حياته، وجعل دعاء إبراهيم سببا لإحياء الطيور، وجعل تعجّب العزير سببا لموته وموت حماره ثمّ لإحيائهما بعد مائة سنة، قادر أن يجعل رؤيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم في النوم سببا لرؤيته في اليقظة. وقد ذكر عن بعض الصحابة، وأظنّه ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما، أنّه رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في النوم فتذكّر هذا الحديث وبقي متفكّرا فيه، ثمّ دخل على بعض أزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أظنّها ميمونة، فقصّ عليها قصّته فقامت وأخرجت له مرآته صلّى الله عليه

وسلّم، قال رضي الله تعالى عنه فنظرت في المرآة فرأيت صورة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولم أرى لنفسي صورة. قال: وقد ذكر عن السلف والخلف إلى هلمّ جرّا عن جماعة ممّن كانوا رأوه صلّى الله عليه وسلّم في النوم، وكانوا ممّن يصدّقون هذا الحديث، فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوّشين فأخبرهم بتفريجها ونصّ لهم عن الوجه الذي يكون منه فرجها، فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص. قال: والمنكر لهذا لا يَخْلُ أن يصدّق بكرامات الأولياء أو يكذّب بها.

فإنْ كان هو ممّن يكذّب بها فقد سقط البحث معه فإنّه يكذّب بما أثبتته السنّة بالدلائل الواضحة. وإن كان مصدّقا بها فهذه من ذلك القبيل لأنّ الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء عديدة في العالمَيْن: العلويّ والسفلي فلا ينكرها مع التصديق بذلك. اهـ. كلام ابن أبي جمرة.

وقال: وقوله أنّ ذلك عامّ وليس بخاصّ بمن فيه الأهلية والإتّباع لسنّته عليه السلام مراده وقوع

الرؤيا الموعود بها في اليقظة على الرؤيا في المنام ولو مرّة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذي لا يخلف، وأكثر ما يقع ذلك للعامّة قبيل الموت عند

الإحتضار، فلا تخرج روحه من جسده حتّى يراه وفاءً بوعد. وأمّا خيرهم فتحصل لهم الرؤيا في طول حياتهم، إمّا قليلا وإمّا كثيرا حسب اجتهادهم ومحافظتهم على السنّة، والاختلاف بالسنّة مانع كبير. وقال ابن الحاج في المدخل: رؤيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم في اليقظة باب ضيّق وقلّ من يقع له ذلك إلاّ إن كان عل صفة عزيز وجودها في هذه الأزمان، بل عدمت غالبا، مع أنّنا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم.

وقال: قد أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة وعلّل ذلك بأنْ قال: العين الفانية لا ترى العين الباقية، والنبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في دار البقاء والرائي في دار الفناء. وقد كان سيّدي أبو محمّد بن أبي جمرة يحلّ هذا الإشكال ويردّه بأنّ المؤمن إذا مات يرى الله وهو لا يموت، والواحد منهم يموت في كلّ يوم سبعين مرّة. اهـ.

وقال القاضي شرف الدين هبة لله بن عبد الرحيم البارزي في كتاب توثيق عرى الإيمان: قال البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء بعدما قبضوا وردّت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربّهم كالشهدء. وقد رأى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ليلة المعراج جماعة منهم، وأخبر، وخبره صدق، أنّ صلاتنا معروضة عليه وأنّ سلامنا يبلغه وأنّ الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء.

قال البارزي: وقد سمع عن جماعة من الأولياء، في زماننا وقبله، أنّهم رأوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقظة حياة بعد وفاته، وقال الشيخ صفاء الدين بن أبي منصور في رسالته والشيخ عفيف الدين اليافعي في روض الرياحين: قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه أبو عبد الله القرشي: لمّا جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر توجّهت لأدعو الله فقيل لي: لا تدع، فما يسمع لأحد منكم في هذا الأمر بعد دعاء. وسافرت إلى الشام.

فلمّا وصلت إلى قرب ضريح الخليل عليه السلام تلقّاني الخليل، فقلت: يا رسول الله إجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم، ففرّج الله تعالى عنهم. قال اليافعي: وقوله " تلقّاني الخليل " قول حقّ لا ينكره إلاّ جاهل لمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماوات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبيّ صلّى الله عليه

وسلّم إلى موسى عليه السلام في الأرض ونظره أيضا و جماعة من الأنبياء في السموات وسمع منهم مخاطبات.

وقد ثبت أنّ ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدّي. اهـ.

وقال الشيخ سراج الدين بن الملقّن في طبقات الأولياء: قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الظهر فقال لي: يا بنيّ لِمَ لا تتكلّم؟ فقلت: يا أبتاه أنا رجل أعجميّ كيف أتكلّم مع فصحاء بغداد؟ فقال: إفتح فاك، ففتحته، فتفل فيه سبعا وقال: تكلّم على الناس وادعو إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة. فصلّيت الظهر وجلست، وحضرتني خلق كثير فارتج عليَّ.

فرأيت عليّا قائما بإزائي في المجلس، فقال: يا بنيّ لم لا تتكلّم؟ إلخ. وقال أيضا في ترجمة الشيخ خليفة النهر ملكي: كان كثير الرؤيا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكان يقول أنّ أكثر أفعاله متلقّاة بأمر منه إمّا يقظة وإمّا مناما، رآه في ليلة واحدة سبعة عشرة مرّة قال له في أحداهنّ: يا خليفة لا تضجر منّي.

وقال الشيخ عبد الغفّار بن نوح القرمني في كتاب التوحيد: من أصحاب الشيخ أبي يحي أبي عبد الله الإسوائي، المقيم بإخميم، كان يخبر أنّه رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في كلّ ساعة حتّى لا تكاد تمرّ ساعة إلاّ ويخبر عنه. قال في التوحيد أيضا: كان للشيخ أبي العبّاس المرسي وصلة بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ويجاوبه إذا تحدّث معه.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن: قال رجل للشيخ أبي العبّاس المرسي يا سيّدي صافحني بكفك هذه، فقال: والله ما صافحت بكفّي هذه إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وقال الشيخ صفاء الدين بن أبي منصور في رسالته، والشيخ عبد الغفار في التوحيد: حُكي عن الشيخ أبا الحسن الونائي قال: أخبرني الشيخ أبو العبّاس الطنجي قال: وردت على سيّدي أحمد بن الرفاعي فقال: ما أنا شيخك إنّما شيخك عبد الرحيم بقنا، رُحْ إليه.

فسافرت إلى قنا فدخلت على الشيخ عبد الرحيم فقال لي: أعرفت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قلت: لا، قال لي: رحْ إلى بيت المقدس حتّى تعرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

فرحت إلى بيت المقدس، فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسيّ مملوءة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فرجعت إلى الشيخ، فقال لي: أعرفت رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم؟ قلت: نعم، قال الآن كملت طريقتك، لم تكن الأقطاب أقطابا والأوتاد أوتادا والأولياء أولياء إلاّ بمعرفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وقال الشيخ صفاء الدين: رأيت الشيخ الجليل الكريم أبا عبد الله القرطبي أجلّ أصحاب الشيخ القرشيّ، وكان أكثر إقاماته بالمدينة النبويّة، وكان له بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وصلة وأجوبة وردّ السلام. حمّله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رسالة للملك الكامل وتوجّه بها إلى مصر وأدّاها ودعا إلى المدينة.

وقال اليافعي في روض الرياحين: أخبرني بعضهم أنّه يرى حول الكعبة الملائكة والأنبياء، وأكثر ما يراه ليلة الجمعة وليلة الإثنين وليلة الخميس، وعدّ اليّ جماعة كثيرة من الأنبياء، وذكر أنّه يرى كلّ واحد منهم في موضع معيّن يجلس فيه حول الكعبة ويجلس معه أتباعه من أهله ومراتبه وأصحابه، وذكر أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم يجتمع عليه من أولياء الله تعالى خلق لا يحصي عددهم إلاّ الله تعالى ولا يجتمع على سائر الأنبياء.

وذكر أنّ إبرهيم وأولاده يجلسون بقرب باب الكعبة بحذاء مقامه المعروف، وموسى وجماعة من الأنبياء بين الركنين اليمانين، وعيسى وجماعة منهم في جهة الحجر. ورأى نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم جالسا عند الركن اليماني مع أهل بيته وأصحابه وأولياء أمّته.

وحكي عن بعض الأولياء أنّه حضر مجلس فقيه، فروى ذلك الفقيه حديثا، فقال له الوليّ: هذا باطل، فقال الفقيه: من أين لك هذا؟ فقال: هذا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم واقف على رأسك يقول أنيّ لم أقل هذا الحديث.

وفي كتاب المنح الإلهيّة في مناقب السادات الوفائيّة لابن فارس قال: سمعت سيّدي عليّا رضي الله تعالى عنه يقول: كنت، وأنا ابن خمس سنين، أقرأ القرآن عل رجل يقال له الشيخ يعقوب، فأتيته يوما فرأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقظة لا مناما وعليه قميص أبيض قطن، ثمّ رأيت القميص عليّ، فقال لي: إقرأ، فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح، ثمّ غاب عنّي. فلمّا بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيته صلّى الله عليه وسلّم قبالة وجهي فعانقني، وأما بنعمة ربّك فحدّث، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت. اهـ.

وفي بعض المجامع، حجّ سيّدي أحمد الرفاعي، فلمّا وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد:

في حال البعد روحي كنت أرسلها ... تقبّل الأرض عنّي وهي نائبتي

وهذه نوبة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
فخرجت اليد الشريفة من القبر فقبّلها.
ولم تمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه وذلك لأنّه صلّى الله عليه وسلّم، وسائر الأنبياء، أحياء ردّت إليهم أرواحهم بعدما قبضوا وأذن لهم في الخروج من القبور والتصرّف في الملكوت العلويّ والسفليّ.

وقد ألّف البيهقي جزءا في حياة الأنبياء، وقال في دلائل النبوّة: أحياء عند ربّهم كالشهداء.
وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي: المتكلّمون المحقّقون من أصحابنا أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم حيّ بعد وفاته، وأنّه يسرّ بطاعة أمّته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وأنّه تبلغه صلاة من يصلّي عليه من أمّته. وقال: الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئا.
وقد مات موسى في زمانه وأخبر نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه رآه في السماء الرابعة ورآى آدم وإبراهيم.
وإذا صحّ لنا هذا الأصل قلنا نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم قد صار حيّا بعد وفاته وهو على نبوّته. اهـ.
وقال القرطبي في التذكرة في حديث الصعقة نقلا عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنّما هو انتقال من حال إلى حال، ويدلّ ذلك أنّ الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا. وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحقّ من ذلك.
وقد صحّ أنّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنّه صلّى الله عليه وسلّم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء، ورآى موسى قائما يصلّي في قبره، وأخبر صلّى الله عليه وسلّم أنّه يردّ السلام على من يسلّم عليه، إلى غير ذلك ممّا يحصل من جملته القطع بأنّ موت الأنبياء إنّما هو راجع إلى أن غيّبوا عنّا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء، وكذلك الحياة في الملائكة، فإنّهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد إلاّ من خصّه الله تعالى بكرامة. اهـ.

وأخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس أنّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون". وأخرج البيهقي عن أنس عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: "إنّ الأنبياء لا يتركون بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلّون بين يدي الله تعالى حتّى ينفخ في الصور"، وروى سفيان الثوري في الجامع قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن

المسيّب قال: "ما مكث نبيّ في قبره أكثر من أربعين ليلة حتّى يرفع"، قال البيهقي فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله تعالى.

وروى عبد الرزاق في مصنّفه عن الثوري عن أبي المقدام عن سعيد بن المسيب قال: "ما مكث نبيّ في الأرض أكثر من أربعين يوما"، وأبو المقدام هو ثابت بن هرمز الكوفي شيخ صالح.

وأخرج ابن حبّان في تاريخه والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ما من نبيّ يموت ويقيم في قبره إلاّ أربعين صباحا".

وقال إمام الحرمين في النهاية ثمّ الرافعي في الشرح: روي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "أنا أكرم على ربّي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث"، زاد إمام الحرمين "أكثر من يومين"، وذكر أبو الحسن بن الزغواني الحنبلي في بعض تصانيفه حديث "أنّ الله لا يترك نبيّا في قبره أكثر من نصف يوم"، وقال الإمام بدر الدين بن الصاحب في تذكرته " فصل في حياته صلّى الله عليه وسلّم بعد موته في البرزخ ": وقد دلّ على ذلك تصريح المشايخ وإيماؤهم، ومن القرآن قوله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. هذه الحالة، وهي الحياة في البرزخ بعد الموت، حاصلة لآحاد الأمّة من الشهداء، وحالهم أعلى وأفضل ممّن لم تكن له هذه المرتبة لا سيما في البرزخ، ولا تكون رتبة أحد من الأمّة أعلى من مرتبة نبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بل إنّما حصلت لهم هذه المرتبة بتزكيته وتبعيّته، وأيضا فإنّما استحقّ هذه الرتبة بالشهادة، والشهادة حاصلة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أتمّ الوجوه، قال عليه الصلاة السلام: "مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم

يصلّي في قبره"، وهذا صحيح في إثبات الحياة لموسي، فإنّه وصفه بالصلاة وأنّه كان قائما، مثل هذا لا توصف به الروح وإنّما يوصف به الجسد. وفي تخصيصه بالقبر فإنّ أحدا لم يقل أرواح الأنبياء مسجونة في القبر مع الأجساد وأرواح الشهداء والمؤمنين في الجنّة. وفي حديث ابن عبّاس: "سرنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مكّة والمدينة فمررنا بواد فقال أيّ واد هذا فقلنا واد الأزرق فقال كأنّي أنظر إلى موسى واضعا إصبعه في أذنيه له جؤار إلى الله تعالى بالتلبية مارّا بهذا الوادي ثمّ صرنا حتّى أتينا على ثنية قال

كأنّي أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبّة صوف مارّا بهذا الوادي ملبّيا"، وسئل هنا كيف

ذكر حجّهم وتلبيتهم وهم أموات وفي الأخرى وليست دار عمل؟ فأجيب بأنّ الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون، فلا يبعد أن يحجّوا ويصلّوا ويتقرّبوا بما ستطاعوا، وإنّهم، وإن كانوا في الأخرى، فإنّهم في هذه الدنيا، التي هي دار العمل، حتّى إذا فنيت وأعقبتها الأخرى، التي هي دار الجزاء، إنقطع العمل. هذا لفظ القاضي عياض رضي الله تعالى عنه.

فإذا كان القاضي عياض يقول أنّهم يحجّون بأجسادهم ويفارقون قبورهم، فكيف يستنكر مفارقة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم لقبره؟ فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أنّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم حيّ بجسده وروحه، وأنّه يتصرّف ويسير حيث يشاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدّل منه شيء، وأنّه مغيّب عن الأبصار كما غيّبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله رفع الحجاب عمّن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك ولا داعي إلى
التخصيص برؤية المثال. اهـ. ما أردنا نقله من كلام السيوطي ملخّصا.
قلتُ: وإذا نظرت وتحقّقت بجميع ما تقدّم من أوّل الفصل إلى هنا ظهر لك ظهورا لا غبار عليه أنّ اجتماع القطب المكتوم والبرزخ المختوم شيخنا أحمد بن محمّد التجاني سقانا الله تعالى من بحره بأعظم الأواني ورزقنا جواره في دار التهاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به بسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقظة لا مناما وأخذه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به عن سيّدنا جدّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مشافهة منه صلّى الله عليه
وسلّم إليه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، وأعاد علينا من بركاته دنيا وبرزخا وأخرى وحضور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعه الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم بأجسادهم وأرواحهم عند قراءة جوهرة الكمال وعند أيّ مجلس خير أو أيّ مكان شاؤوا، ولا ينكره إلاّ الطلبة الجهلة الأغبياء والحسدة المردة الأشقياء، لا مهديّ إلاّ من هداه الله تعالى.

وأمّا نشر الثياب فإنّما يفعل لعدم طهارة جزما أو ظنّا أو شكّا كأن يبسط المصلّي ثوبا طاهرا على فراش غير طاهر ليصلّي عليه كما هو في كتب الفقه، وذلك ظاهر. وقد سألت عن ذلك سيّدي محمّد الغالي الشريف الحسني التجاني رضي الله تعالى عنه بعد المغرب ونحن في المدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلا والسلام في مسجده صلّى الله عليه وسلّم، فأجابني: أنّه قال للشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به يوما: يا سيّدي، إنّا نخاف في بعض المواضع عدم

طهارتها أو طهارة فراشها فكيف نصنع إذا أردنا الذكر؟ فقال: إنّ الشيخ قال له " أبسطوا شيئا طاهرا على ما تخافون عدم طهارته واجلسوا عليه ".
هذا هو الحقّ، والحقّ أحقّ أن يتّبع، والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثاني والثلاثون

في ذكر شرائط طريقتنا الأحمديّة الأبراهيميّة الحنيفيّة التجانيّة.
وأقول، وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم أنّ شروط طريقتنا هذه ثلاث وعشرون شرطا، فمن استكملها كلّها ولم يتخلّف عنه واحد منها فهو من أهل الطريقة الفائزين المحبوبين المقرّبين الأعلين، ومن لم يستكملها واستكمل أحد وعشرين شرطا من الشروط التي أعدّها على الترتيب الذي ستراه فهو من الرابحين المحبوبين وإنْ لم يساوي الأولى، ومن لم يستكملها فليس من أهل الطريقة.
الأوّل، كون الشيخ الذي يلقّن الأذكار مأذونا له بالتلقين من القدوة أو ممّن أُذِن له إذْنًا صحيحا.
والثاني، أن يكون طالب التلقين خالي عن ورد من أوراد المشايخ اللاّزمة لطرقهم أو منسلخا عنه إن كان موجودا غير راجع إليه أبدا.

والثالث، عدم زيارة واحد من الأولياء الأحياء والأموات، قال في جواهر المعاني: إعلم أنّ هذا الورد العظيم لا يلقّن لمن له ورد من أوراد المشايخ رضي الله تعالى عنهم إلاّ إن تركه وانسلخ عنه ولا يعود إليه أبدا، فعند ذلك يلقّنه مَن له الإذْن الخاصّ وإلاّ فليتركه هو وورده لأنّ أوراد المشائخ كلّهم رضي الله تعالى عنهم على هدى وبيّنة، وكلّها مسلكة وموصلة إلى الله تعالى.
وهنا منّا ليس تكبّرا واستعلاء على المشايخ، كلاّ وحاشا ومعاذ الله، بل هذا الشرط مشروط في طريقتنا لا غير، فمن أراد الدخول فيها فلا بدّ له من هذا الشرط ولا خوف عليه من صاحبه أيّا كان من الأولياء الاحياء والأموات، وهو آمن من كلّ ضرر يلحقه في الدنيا والآخرة، ولا يلحقه ضرر لا من شيخه ولا من غيره ولا من الله ورسوله بوعد صادق لا خلف فيه، ومن أبى الخروج عن ورد شيخه الذي بيده فلا شيء عليه ويترك وردنا ويمكث على ورده وطريقته فهو على

هدى من ربّه كما قدّمنا.

وكلّ من أذنته وأمرته بتلقين الورد وإعطاء طريقتنا فلا يلقّن أحدا إلاّ بهذا الشرط، فإن خالف وفعل فقد رفعت عنه الإذن لا ينفعه في نفسه ولا من لقّنه إيّاه، فليحكم هذا الشرط ويعمل عليه. وكذلك من أخذ وردنا ودخل في طريقتنا لا يزور أحدا من الأولياء الأحياء والأموات أصلا. وأمّا ما ذكره أئمّة الطريق من أنّ الشيخ لا بدّ أن يكون مأذونا في التلقين والارشاد وأنّ التلميذ لا بدّ له من التقيّد بشيخ واحد وأنه لا يزور فقد تقدّم ما فيه كفاية في الفصل الثاني عشر وفي الفصل التاسع عشر من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى.

والرابع، دوام المحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والأمور الشرعيّة. وفي الجزء الأوّل من جواهر المعاني: وشرطه المحافظة على الصلوات في أوقاتها في الجماعة إن أمكن. وقال في أوّل الرسائل: وشرطه المحافظة على الصلوات في الجماعة والأمور الشرعيّة.

والخامس، دوام محبّة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات وخليفة الشيخ في جميع ما كان للشيخ على التلاميذ من الحقوق والشروط كالشيخ وكلّ من لم يكن من أهل الطريق مقدّما كان أو غيره محبّا للخليفة كما كان يجب عليه أن يكون للشيخ فليس من الطريقة في شيء، وهذا يكون للمقدّم في حقّ من لقّنه. وإذا فهمت هذا، فالمحبّة الصادقة، كما في الإبريز وغيره، أن يكون التلميذ صحيح الجزم نافذ العزم ماضي الاعتقاد لا يصغى لأحد من العباد قد صلّى على من عدا شيخه صلاته على الجنازة. اهـ. قال في الإبريز: إنّ العبد لا ينال معرفة الله تعالى حتّى يعرف سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم، ولا يعرف سيّد الوجود حتّى يعرف شيخه، ولا يعرف شيخه حتّى يموت الناس في نظره فلا يراقبهم ولا يراعيهم. فَصَلِّ عليهم صلاة الجنازة وانزع من قلبك التشوّق إليهم. اهـ.

وفيه: وسألته رضي الله تعالى عنه عن المحبّة، هل لها من أمارة وعلامة؟ فقال رضي الله تعالى عنه: لها أمارتان، الأمارة الاولى أن تكون راحة المريد في ذات شيخه فلا يتفكّر إلاّ فيها ولا يجرى إلاّ لها ولا يهتّم إلاّ لها ولا يفرح إلاّ بها ولا يحزن إلاّ عليها حتّى تكون حركاته وسكناته سرّا وعلانية حضورا وغيبة في مصالح ذات الشيخ وما يليق بها ولا يبالي بذاته ولا بمصالحها.

الأمارة الثانية، الأدب والتعظيم لجناب شيخه حتّى لو قدّر أنّ شيخه في بئر وهو في صومعة

لرأى بعين رأسه هو الذي في البئر وأنّ شيخه هو الذي في الصومعة لكثرة استلاء تعظيم الشيخ على علمه. إنتهى. وفيه: أنّه سئل عن المريد الذي يزيد إذا حضر الشيخ وينقص إذا غاب بما نصّه: سيّدي إذا صحب المريد شيخا كاملا عارفا بربّه وادّعى أنّه يربّيه بهمّته ثمّ إذا غابت بشريّة الشيخ، بموت أو سفر، يجد المريد ضعفا من نفسه في الحال والعلم والعمل، فما معنى تربيته له بالحال والهمّة وانتفاعه به مع ضعف انتفاعه به إذا بعد عنه؟

فأجاب رضي الله تعالى عنه: أنّ همّة الشيخ الكامل هي نور إيمانه بالله عزّ وجلّ، وبه يربّي المريد ويرقى من حالة إلى حالة، فإن كانت محبّة المريد للشيخ من نور إيمانه أمدّه الشيخ حضر أو غاب، ولو مات ومرّت عليه الآلاف من السنين، ومن هنا كان أولياء كلّ قرن يستمدّون من نور إيمان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويربّيهم ويرقّيهم عليه أفضل الصلاة والسلام لأنّ محبّتهم فيه محبّة صافية خالصة من نور إيمانهم.

وإن كانت محبّة المريد في الشيخ من ذات المريد لا من إيمانه انتفع به ما دام حاضرا، فإذا غابت الذات وقع الانقطاع. وعلامة محبّة الذات أن تكون محبّته في الشيخ لتحصيل نفع أو لدفع ضرر دنيوي أو أخروي، وعلامة محبّة الإيمان أن تكون خالصة لوجه الله لا لغرض من الأغراض، فالمريد إذا وجد النقص عن نفسه عند غيبة الشيخ فالتقصير منه لا للشيخ، والله أعلم. اهـ.

وفي بغية السالك: الثالث – يعني من حقوق القدوة على التلميذ – إلتزام طاعته في كلّ مكروه ومحبوب بقدوة عزم وطيب نفس ومسارعة، وليعلم التلميذ أنّ الذي يشقّ على نفسه من طاعة قدوته عاقبة أمره الخير والبركة. الرابع، أن لا يؤثر نفسه عل قدوته بشيء من الحضوض الدنيويّة والأخرويّة، بل يؤثره على نفسه بجميع ذلك. أمّا الأخروية فمن عنده جاء أصلها، وأمّا الدنيويّة فهي في جنب ما ناله على يديه من أمر الأخرى شيء تافه لا قيمة له.

ومن آثر نفسه على قدوته بشيء من الأشياء، ولو بحياة ساعة بعده، فقد بخسه حقّه ولم يوفّه واجبه. ومن توابع ذلك أن لا يكتم عنه شيئا من أحواله الظاهرة والباطنة، الأخرويّة والدنيويّة، وإن كتمه شيئا فقد خانه، وعماد هذه الشروط كلّها وذروة سنامها أن يكون القصد في ذلك كلّه رضى الله عزّ وجلّ قصدا مجرّدا من جميع الشوائب والأوهام، وليعلم المريد أنّ رضا الله تعالى في رضا قدوته، فليلتمسه ما استطاع. اهـ. وقال صاحب الرائيّة:

وفِرَّ إليه في المهمّات كلّها ... إنّك تلقي النصر في ذلك الفرّ

وقال في العوارف: وليعتقد المريد أنّ الشيخ باب فتحه الله تعالى إلى جناب كرمه منه يدخل ومنه يخرج وإليه يرجع وينزل الشيخ حوائجه ومهمّاته الدينيّة والدنيويّة، ويعتقد أنّ الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به، ويرجع في ذلك إلى الله تعالى للمريد كما يرجع المريد إليه. وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة فلا يتصرّف الشيخ في المريد بهواه، فهو أمانة لله تعالى عنده، ويستغيث إلى الله تعالى بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه، قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ

أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا، فإرسال الرسول يختصّ بالأنبياء والوحي كذلك، والكلام من وراء حجاب بالإلهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ. اهـ.

وقال أيضا: ومن الأدب مع الشيخ أنّ المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتّى يتبيّن له من حال الشيخ أنّه مستعدّ له ولسماع كلامه، فكما أنّ للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لأنّه مخاطبة إلى الله تعالى فللقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط

لأنّه من معاملة الله تعالى، ويسأل الله تعالى، قبل الكلام مع الشيخ، التوفيق لما يحبّه من الآداب.

وفي الإبريز: وقد سمعت الشيخ رضي الله تعالى عنه يقول: الشيخ للمريد في درجة لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإيمانه معلّق به، وكذا سائر أموره الدينيّة والدنيويّة، وأرباب البصائر يشاهدون ذلك عيانا.

قال: وكنت أخرج معه ﷺ كثيرا وأنا لا أعرف درجته، فكان يقول لي: مثلك مثل من يظلّ يمشي على أعالي أسوار المدينة وشرفاتها مع ضيق المحلّ الذي تجعل فيه رجلك وبُعْد محلّ السقوط، فلم أفهم معنى هذا الكلام إلاّ بعد حين. فكان بعد ذلك إذا جرى هذا الكلام على خاطري يحصل لي منه روع عظيم وخوف شديد.

وقلت له ذات يوم: إنّي أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها، فقال لي: ما هي؟ فذكرت له ما حضر، فقال لي رضي الله تعالى عنه: لا تخف من هذه الأشياء، ولكن أكبر الكبائر في حقّك أن تمرّ عليك ساعة ولا أكون في خاطرك، فهذه هي المعصية التي تضرّك في دينك ودنياك. اهـ.

وقد مرّ من هذا المقام في الفصل السابع عشر والفصل الثامن عشر والفصل التاسع عشر ما

فيه كفاية، فراجعه إن شئت.

والسادس، عدم الأمن من مكر الله تعالى، قال الله تعالى: أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ، وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: أبشروا أنّ كلّ من كان في محبّتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أيّ حالة كان ما لم يلبس حلّة الأمان من مكر الله.

وفي جواهر المعاني: وسألته رضي الله تعالى عنه عن حقيقة المكر، فأجاب بقوله: حقيقة المكر هو إظهار النعمة على العبد وبسطها له ثمّ يدرجه إلى غاية الهلاك في تلك النعمة، ويقول سبحانه وتعالى: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ، وصفة العبد أن يكون دائما خائفا من ربّه لا يأمن على نفسه بحال ويطمئنّ قلبه من خوف عذاب الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ

مَأْمُونٍ، والإيمان له جناحان كالطائر، جناح، وهوالأوّل، وهو الخوف وهو توجّع القلب من شدّة الوعيد. وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: "المؤمن من يرى ذنوبه كأنّه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه". والجناح الثاني، وهو الرجاء في الله سبحانه وتعالى بأن يغفر له ولا يعذّبه ولا يتوقّع فيه الأمان.

فإذا تمحّض الرجاء وحده بلا خوف كان أمنا، والأمن من مكر الله تعالى عين الكفر بالله تعالى، فإذا تمحّض الخوف وحده كان يأسا من الله عزّ وجلّ، واليأس من الله عزّ وجلّ عين الكفر بالله، والسلام. في هذا المعنى يقول الإمام التستري:

ولا تريّن في الأرض دونك مؤمنا ... ولا كافرا حتّى تغيب في القبر

فإنّ ختام الأمر عنك مغيّب ... ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

،، والسلام. اهـ.

ومعنى البيت الأوّل، كما في الإبريز: ولا تريّن أيّها المريد في الأرض مؤمنا أو كافرا أدنى منك منزلة وأخفض منك عند الله مرتبة، بل أعكس الأمر وقل إنّك دون كلّ أحد واستمرّ على ذلك إلى أن تموت. قال أبو يزيد البسطامي ﷺ: ما دام العبد يظنّ أنّ في الخلق من هو شرّ منه فهو متكبّر، قيل: متى يكون متواضعا؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع لكلّ أحد على قدر معرفته بربّه وبنفسه. وقال في العوارف: وقد سئل ابن اسباط غاية التواضع؟ فقال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلّا رأيته خير منك.

ورأيت شيخنا ضياء الدين بن النجيب، وكنت معه في سفره إلى الشام، وقد بعث بعض أبناء الدنيا طعاما على رؤوس الأسارى من الإفرنج وهم في قيودهم، فلمّا مدّت السفر والأسارى ينتظرون الأواني حتّى تفرغ، قال للخادم: أحضر الأسارى حتّى يقعد على السفرة مع الفقراء، فجاء بهم وأعدّهم على السفرة صفّا واحدا، وقام الشيخ من سجّادته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم، فاكل وأكلوا، وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله سبحانه والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبّر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله.

وقال الشيخ أبو الحسن عليّ بن عتيق بن مؤمن القرطبي رحمه الله تعالى: رأيت الشيخ الفقيه أبا محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن معين، وكان من الفقهاء العلماء، يوما وهو يمشي في يوم شتاء كثير المطر والطين، فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها، قال: فرأيته قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظر ليجوز وحينئذ يمشي هو، فلمّا قرب منه الكلب رأيته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي فوقه، قال: فلمّا جاوزه الكلب وصلت إليه فوجدت عليه كآبة، فقلت: يا سيّدي رأيتك الآن صنعت شيئا استغربته، كيف رميت نفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي؟ فقال لي: بعد أن عملت له طريقا تحت تفكّرت وقلت: ترفّعت عن الكلب وجعلت نفسي أرفع منه، بل هو والله أرفع منّي وأولى بالكرامة، لأنّي عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له، فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه، وأنا الآن أخاف المقت من الله إلاّ أن يعفو عنّي لأنّي رفعت نفسي على من هو خير منّي.

وقال ذو النون رضي الله تعالى عنه: من اراد التواضع فليوجّه نفسه إلى عظمة الله تعالى فإنّها تذوب وتصغر، ومن نظر إلى عظمة الله تعالى وسلطانه ذهب عنه سلطان نفسه لأنّ النفوس كلّها صغيرة عند هيبته، فإذا حصل العبد على هذا المعنى من التواضع تواضع للخلق لا محالة لرؤية نسبتهم من الحقّ تعالى، ولذلك قال في العوارف: ومتى فإذا حصل العبد على هذا المعنى من التواضع الخاصّ على بساط القرب لا يتوفّر حظّه من التواضع للخلق.

ومعنى البيت الثاني، فكما في الإبريز، أنّ الخاتمة مجهولة وجهلها يقتضي ما سبق، وهو أن لا يرى أحدا دونه، فإن كان الشخص ذا خسر فلا إشكال في خوفه، وإن كان ذا عمل صالح فإنّه لا يأمن مكر الله، قال ابن العربي الحاتميّ رضي الله تعالى عنه: ومن آدابهم مع الله تعالى، وقليل

فاعله، أن يعتقد الانسان أنّ لله نظرات في كلّ زمان إلى قلوب عباده يمنحهم فيها من معارفه ولطائفه ما شاء، فإذا فارق شخصا ساعة واحدة وأعرض عنه نفسا واحدا وهو جالس معه ثمّ عاد إليه فإنّه يتهيّأ للقائه بالخدمة والتعظيم لعلّ نظرة حصلت له من تلك
النظرات وحصل بها فوقه. فإن كان الأمر كذلك، يعني بأن حصلت له نظرة من تلك النظرات، فقد وفّى معه الآداب، وإن لم يكن غير ذلك، يعني بأن لم يحصل له شيء من تلك النظرات، فقد تأدّب مع الله تعالى حيث عامله بما تقتضيه المرتبة الإلهيّة، وهذا مقام عزيز قلّ أن ترى له ذائقا.
وكذلك أيضا إذا شاهدوا عاصيا في حال عصيانه ثمّ زال عن تلك المعصية فإنّهم لا يعتقدون فيه الإصرار، ويقولون: لعلّه تاب في سرّه، ولعلّه ممّن لا تضرّه المعصية لاعتناء الباري به في عاقبة أمره.

ومن نظر نفسه خيرا من أحد من غير أن يعرف مرتبته ومرتبة ذلك الآخر بالغاية لا بالوقت فهو جاهل بالله عزّ وجلّ، مخدوع لا خير فيه ولو أعطى من المعارف ما أعطى. وقال أبو طالب
المكّي رضي الله تعالى عنه: ومن حقوق العارفين علمهم بأنّ الله عزّ وجلّ يخوّف عباده بما يشاء من عباده الأعلين يجعلهم نكالا للأدنين، ويخوّف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده، حكمة له وحكما منه.
فعند الخائفين في علمهم أنّ الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوّف بهم المؤمنين ونكّل بطائفة من الشهداء خوّف بهم الصالحين وأخرج جماعة من الصدّيقين خوّف بهم الشهداء، والله أعلم بما وراء ذلك، فصار من أهل كلّ مقام عِبَر لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويف وتهديد لأصحابهم، وهذا داخل في وصف من أوصافه وهو ترك المبالاة بما ظهر من العلوم والأعمال، فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام ولا نظر أحد من أهل الأحوال إلى حال ولا أمن مكر الله عزّ وجلّ عالم به في كلّ الأحوال.
وقال أبو حامد رضي الله تعالى عنه: إنّ الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حدّ المعقولات والمألوفات، ولا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس وحسبان فضلا عن التحقيق والإستيقان، وهذا الذي قطع قلوب العارفين إلى الطامّة الكبرى هو ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك. ثمّ قال، بعد كلام طويل: قال بعض العارفين: لو حال بيني وبين من عرفته خمسين سنة بالتوحيد إسطوانة، فمات، لَمَا قطعت له بالتوحيد، لأنّي لا أدري ما ظهر له من التغليب.

وقال بعضهم: لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام لأنّي لا أدري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة إلى باب الدار.
وكان سهل يقول: خوف الصدّيقين من سوء الخاتمة عند كلّ خطو وكلّ حركة وهُم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال تعالى: وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ. وقال: وكان سهل يقول: المريد يخاف من المعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر.
وكان أبو يزيد يقول: إنّي إذا توجّهت إلى المسجد فكأنّ في وسطي زنّار أخاف أن يذهب إلى البيعة أو لبيت النار حتّى أدخل المسجد فينقطع عنّي الزنّار، فهو دأبي كلّ يوم خمس مرّات. قال الشيخ أحمد بن المبارك رضي الله تعالى عنه: ووقعت حكاية غريبة من هذا المذهب سمعتها من الشيخ رضي الله تعالى عنه، سمعته يقول: لاقيت بمكّة شرّفها الله أبا الحسن عليّا الصغائي الهندي فوجدته على حالة غريبة وذلك أنّه إذا أراد أن يخطو خطوة يرفع رجله ويرتعد في الهواء ثمّ يردّها فترتعد ثمّ يعيدها إلى ناحية الخطوة فترتعد ولا يكمل
الخطوة حتّى يقول من رآه ما به إلاّ الجنون، ثمّ هكذا في كلّ خطوة. وكذا إذا رفع طعاما إلى فيه يقع له مثل ذلك فيمدّ يده لناحية فمه فترتعد ثمّ يردّها لناحية فمه فترتعد، ولا يجعل اللقمة في فيه حتّى يرحمه كلّ من يراه، وهكذا يقع له مثل ذلك إذا أراد أن يضطجع. وبلغ به الحال إلى أن وقع له ذلك في كلّ حركة اختياريّة منسوبة إليه، حتّى وقع له مثل ذلك في تغميض الجفن وفتحه.

فلمّا رأيت منه ذلك أكربني وأحزنني غاية حتّى رحمته، فقلت له: يا أبا الحسن ما هذه الحالة التي أنت عليها وقد جعلك الله تعالى من أوليائه وخواصّ أصفيائه ومن كبراء العارفين به ومن أهل الديوان، وذاتك سليمة صحيحة لا علّة فيها؟ وقال: ما ذكرت هذا الذي حلّ بي لأحد سواكم وسأذكره لكم، وهو أنّ الله تعالى، وله الحمد، أطلعني على مشاهدة فعله في مخلوقاته، فأنا أرى فعله ساريا في الخليقة عيانا لا يغيب عليّ منه شيء، ثمّ أطلعني الله تبارك وتعالى، وله الحمد بمحض فضله، على أسرار فعله وقضائه وقدره في خليقته، فأنا أشاهد
تلك الأفعال وأعلم لِمَ كانت، وأعلم أسرار القدر فيه بحيث لا يخفى عليّ شيء من تلك الأسرار، ثمّ نظرت إلى فعله فيّ فوجدته قد حجبني عن مشاهدته ومشاهدة أسراره، فوقع في ظنّي أنّه ما حجبني عن مشاهدته إلاّ لشرّ أراده بي بأن يكون سخطه تعالى مقرونا بفعل من أفعالي

فحجبني عن الجميع حتّى لا أعلم الذي يكون هلاكي به فأجتنبه، فلذا صرت خائفا من كلّ فعل اختياريّ منسوب لي، يجوز في كلّ فعل من أفعالي الاختياريّة أن يكون هو سبب هلاكي، فما من فعل من أفعالي إلاّ وأنا خائف منه، فلذا صرت أتضرّع إلى الله تعالى بظاهري وباطني وأستحضر الخوف من الذي أريد أن أقدم عليه وأسأله تعالى أن لا يكون ذلك الفعل سببا لهلاكي، والحركة الأولى في مدّ رجلي فعل فأرتعد منها فأخاف فأردّها وأرتعد خوفا من الردّ، وهكذا في كلّ فعل. قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: فما زلت أذكّره بالله عزّ وجلّ وأذكر له سعة رحمته وقوله في الحديث القدسيّ "أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما شاء فإن ظنّ بي خيرا أعطيته خيرا" الحديث، وهو يسمع لكلامي حتّى ظننت أنّه سيرجع عن حالته تلك، ثمّ عاوده ظنّه وبقى على حالته، وكلّ من رآه يرحمه ويدعو له بتعجيل الراحة لهذه أو

لهذه. قال رضي الله تعالى عنه: وتمنّيت أن يراه أهل الحجاب ويعلمون بسرّ حاله وشدّة خوفه من الله عزّ وجلّ وعظيم مراقبته له سبحانه في كلّ حركة وسكون حتّى يعلموا ما هم عليه من الانهماك في الشهوات والقطيعة عن الله عزّ وجلّ. إنتهى.

وقال في جواهر المعاني: وإذا تكلّم أحد بما يشير إلى الدعوة وثناء منه على نفسه قابله بالعكس، يعني قابله الشيخ أحمد التجاني ﷺ بالعكس، وجعل يتكلّم في عيوب النفس ودسائسها، ويظهر له خسائسها ودقائقها وما اشتملت عليه من العيوب والنقائص والرذائل التي هي شأنها ووصفها ولا

تحبّ أن تتّصف إلاّ بأوصاف الربوبيّة كالكبر والعظمة مع أنّها لا تحصى معائبها، ولها من النقائص مثل ما لله من الكمالات، يعني لا نهاية، لولا أنّ الله يحول بين المرء وبينها لهلك، ولو أنّه خلّى سبيلها لكفر بالله كما كفر بأنعمه. ويقول: إذا أراد الله تعالى إهلاك عبد وكله إليها لم يزده شيئا وإذا أراد به رحمه عرّفه نعمته وألهمه شكرها وجنّبه كفرها وذلك هو أصل كلّ خير، وما جاءه أحد مظهرا للرجاء غافلا عن اللجأ إلاّ خوّفه من سطوة الله تعالى وقهره وسرعة نفوذ قضائه وأمْره حتّى يذهب خائفا مذعورا.

إلى أن قال: وإذا ذكر له أحد عن نفسه عملا صالحا لامه على ذكره أو عرّفه بما جهل عن أمره، فأخرج له دسائس ذلك العمل وعلّله حتّى يتبيّن له أنّه معلول مدخول، لا يترك لأحد شيئا يعتمد عليه ولا عملا يستند إليه ولا حالة يأنس بها ولا الركون لشيء إلاّ لفضل الله تعالى

ورحمته. وكثيرا ما يستشهد بقوله: ما عندنا إلاّ فضل الله ورحمته وشفاعة رسول صلّى الله عليه وسلّم. اهـ.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: أقول لكم أنّ سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم ضمن لنا أنّ من سبّنا ودام عل ذلك ولم يتب لا يموت إلاّ كافرا، وأقول للإخوان أنّ من أخذ وردنا وسمع ما فيه من دخول الجنّة بلا حساب ولا عقاب، وأنّه لا تضرّه معصية، أنّ من سمع ذلك وطرح نفسه في معاصي الله عزّ وجلّ لأجل ما سمع واتّخذ ذلك حبالة إلى الأمان من عقوبة الله في معاصيه، ألبس الله تعالى قلبه بغضنا حتّى يسبّنا، فإذا سبّنا أماته الله تعالى كافرا، فاحذروا من معاصي الله تعالى ومن عقوبته.

ومن قضى الله تعالى عليه بذنب منكم، والعبد غير معصوم، فلا يقربنّه إلاّ وهو باكي القلب خائف من الله عزّ وجلّ. والسلام. وأخبرني سيّدي محمّد الغالي أنّ الشيخ رضي الله تعالى عنه كثيرا ما ينشد لهم:

وآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف

ولا جاهل إلاّ من الله آمن ... ولا عارف إلاّ من الله خائف

والسابع، أن لا يصدر منه سبّ ولا بغض ولا عداوة في جانب الشيخ رضي الله تعالى عنه.

والثامن، مداومة الورد إلى الممات.

والتاسع، الإعتقاد، قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: ومن أخذ عنّي الورد المعلوم، الذي هو لازم للطريق، أو عمّن أذنته، يدخل الجنّة هو ووالداه وأزواجه وذريّته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب بشرط أن لا يصدر منهم سبّ ولا بغض ولا عداوة، ويديم محبّة الشيخ إلى الممات، وكذلك مداومة الورد إلى الممات.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: كلّ من أخذ وردنا يبعث من الآمنين ويدخل الجنّة بغير حساب ولا عقاب هو ووالداه وأزواجه وذريّته المنفصلة عنه لا الحفدة بشرط الإعتقاد وعدم نكث المحبّة وعدم إلأمن من مكر الله كما قدّمنا.

والعاشر، السلامة من الإنتقاد. قال في جواهر المعاني: وممّا كتب به سيّدنا وشيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلّى الل عليه وسلّم، إلى ان قال: وأمّا ما ذكرت من أنّك تطلبني أن أخبرك ببعض الأمور ليطمئنّ قلبك وتزيد محبّتك

ويدوم سرورك

فأقول لك: الأولى من ذلك الكرامة التي شاعت عند المعتقد، على رغم المنتقد، وهي أعظم خير يرجى وأفضل عدّة للعامل تترجّى، وهي أنّ كلّ من أخذ وردنا وداوم عليه إلى الممات أنّه يدخل الجنّة بغير حساب ولا عقاب هو ووالداه وأزواجه وذريّته إن سلم الجميع من الإنتقاد.

قلتُ: كلّ من أراد أن يعترض على شيخنا في شيء من هذه الشروط فعليه بالوقوف على ما أودعناه في الفصل الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى فسيجد فيها ما يردّه أتمّ مردّ.

والحادي عشر، كون التلميذ مأذون في الذكر بتلقين صحيح ممّن كان له إذن صحيح من القدوة أو ممّن أذن له. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: قلت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هذا الفضل خاصّ بمن أخذ عنّي الذكر مشافهة أو هو لكلّ من أخذه ولو بواسطة؟ فقال لي: كلّ من آذنته وأعطى فكأنّه أخذ عنك مشافهة، وأنا ضامن لهم. فقلت: فليطالع من في قلبه حبّ الإعتراض الفصل الثالث والعشرين من هذا الكتاب.

الثاني عشر، الإجتماع للوظيفة وذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة. قال في جواهر المعاني: ومن الاوراد اللازمة للطريقة: الوظيفة، إلى أن قال: وإن كانوا جماعة في بلد من الإخوان يجتمعوا لها ويقرؤون جماعة، وهو شرط فيها. ومن الأوراد اللازمة للطريقة ذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة مع الجماعة إن كان له إخوان، ولا بدّ من اجتماعهم وذكرهم جماعة. وإن كان لك اعتراض فطالع الفصل الحادي والعشرون من هذا الكتاب المبارك والفصل الخامس من كتابنا سيوف السعيد المعتقد، ستجد فيها ما يقطع أعناق المنكرين إن شاء الله تعالى.

والثالث عشر، أن لا تقرأ جوهرة الكمال إلاّ بالطهارة المائيّة. قال في جواهر المعاني: ولا تقرأ جوهرة الكمال إلاّ بالطهارة المائيّة لا بالترابيّة لأنّ النبيّ صلّى اله عليه وسلّم والخلفاء الأربعة يحضرون عند قراءتها. وإن كان في قلبك خاطر إنكار من حضور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والخلفاء الأربعة عند أيّ مجلس أو مكان شاء فعليك بالفصل الذي قبل هذا الفصل من هذا الكتاب المبارك.

وفي لواقح الأنوار القدسيّة للشيخ الشعراني: ويحتاج المصلّي، يعني على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، إلى طهارة وحضور مع الله تعالى لأنّها منجاة لله تعالى كالصلاة ذات الركوع والسجود.

وتقدّم في الفصل التاسع عشر أيضا قول ابن عطاء الله: لا يعترض على الشيخ في ما يفعله بإذن عن الله تعالى. وقول الشيخ الشعراني: أنّ العبد إذا دخل طريق القوم وتبحّر فيه أعطاه الله عزّ وجلّ هناك قوّة الاستنباط نظير الأحكام الإلهيّة الظاهرة على حدّ سواء، فيستنبط في الطريق واجبات الخ، فراجعه.

والرابع عشر، عدم وقوع المقاطعة بينه وبين جميع الخلق ولا سيما بينه وبين إخوانه في الطريقة. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به في الرسالة الاولى من جواهر المعاني: وشرطه المحافظة على الصلوات في الجماعات والأمور الشرعيّة، وإيّاكم ولباس حلّة الامان من مكر الله في الذنوب فإنّها عين الهلاك، وترك المقاطعة مع جمع الخلق وآكد ذلك بينكم وبين الإخوان، يعني في الطريقة، وزوروا في الله تعالى وواصلوا في الله تعالى وأطعموا في الله تعالى ما استطعتم في غير تعسير ولا كدّ. اهـ.

وقال في لواقح الأنوار القدسيّة: لقد ذكرنا في البحر المورود أنّ الواجب على المريد إكرام كلّ من كان شيخه يحبّه وموالاته، وإنّ من كره أحدا من جماعة شيخه بغير طريق شرعيّ فهو كاذب في دعواه صحّة الأخذ عنه، وذلك دليل على تمكّن المقت منه، ولو أنّهم صحّ لهم الأخذ عن شيخهم لأحبّوا كل من كان شيخه يحبّه. اهـ. وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخبره بأنّه صلّى الله عليه وسلّم يؤذيه ما يؤذي أصحابه.

وقال رضي الله تعالى عنه في الرسائل: وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، وإيّاكم ثمّ إيّاكم أن يهمل أحدكم حقوق إخوانه ممّا هو جلب مودّة أو دفع مضرّة إعانة على كربة، فإنّ من ابتليَ بتضييع حقوق الإخوان ابتلي بتضيع الحقوق الإلهيّة، والله سبحانه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. أهـ.

وقال في موضع آخر: وليكن شديد الإهتمام بحقوق إخوانه في طريقته التي لا يمكنه التأخّر عنها، إلى أن قال: إستدراك ما قلناه من مراعاة حقوق الإخوان فليكن ذلك في غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بما تيسّر وأمكن في الوقت، إلاّ أن يكون في بعض العوارض يخاف من أخيه العداوة والقطيعة أو فساد القلب فليسرع لإصلاح قلبه فإنّ ذلك يستجلب الرضا من الله تعالى.

وفي تحفة الإخوان والخلاّن في آداب أهل العرفان: وأمّا الآداب التي عليه، يعني الأخ في الطريقة، في حقّ إخوانه أن يكون محبّا لهم، كبيرهم وصغيرهم، وأن لا يخصّص نفسه بشيء دونهم، وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، وأن يعودهم إذا مرضوا، وأن يسأل عنهم إذا غابوا، ويبدأهم بالسلام وطلاقة الوجه، وأن يراهم خيرا منه، وأن يطلب منهم الرضا، وأن لا يزاحمهم على أمر دنيوي بل يبذل لهم ما فتح عليه به، يوقّر الكبير ويرحم الصغير، ويعضدهم على ذكر الله تعالى ويتعاون معهم على حبّ الله تعالى ويرغّبهم في ما يرضى الله تعالى، كافّا
عن عيوبهم مسامحا لهم في ما وقع منهم، وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه ظاهرا وباطنا لا يعاتبهم على شيء صدر منهم، يعادي من يعاديهم ويحبّ من يحبّهم، يرشدهم إلى الصواب إن كان كبيرا أو يتعلّم منهم إن كان صغيرا، لا يوسّع على نفسه وهم في ضيق، يخدمهم ولو بتقديم النعال لهم، وأن يكون بشوشا لهم في مخاطبته ومحاورته. اهـ.
وقال في جواهر المعاني: وأمّا رحمه الديني فإنّه من أعظم الناس مواصلة وأكثرهم بروا وإحسانا لأهل جانبه، يواسي إخوانه وأصحابه وكلّ من له معرفة في الله بأنواع المواساة ويحسن إليهم، فيطعم جائعهم ويشمل ضائعهم ويكسو عاريهم ويرقد فقراءهم ويعين ضعفاءهم، إذ هو رضي الله تعالى عنه أشدّ اهتماما بأهل الأخوّة الدينيّة، يتألّم لمصابهم أكثر ممّا يتألّم لذوي نسبه، ورحمه أعظم الناس عنده قربا أكثرهم في الله تعالى حبّا، فيقرّب الإنسان عنده ذلك ولو كان من أبعد الأجانب ويبعد عنه القريب ولو كان من الأقارب، تجده يستعظم
حقوقهم ويرى أنّ القيام بما غير مستطاع. سمعته غير ما مرّة يقول: من ابتلي بتضييع حقوق الاخوان إبتلاه الله تعالى بتضييع الحقوق الالهيّة، نسأل الله تعالى السلامة والعافية من هذه البليّة العظيمة. اهـ.

والخامس عشر، عدم التهاون بالورد، كتأخيره عن وقته من غير عذر ونحوه. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: ومن أخذه وتركه تركا كليّا أو تهاون به حلّت به عقوبة، ويأتيه الهلاك، وهذا بإخبار منه صلّى الله عليه وسلّم لشيخنا رضي الله تعالى عنه.
وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمّديّة التي شرّفها الله تعالى على جميع الطرق أمّنه الله في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه، لا من الله تعالى ولا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا من شيخه أيّا كان،

من الأحياء أو من الأموات. وأمّا من دخل زمرتنا وتأخّر عنها تحلّ به المصائب دنيا وأخرى، ولا يعود أبدا.

والسادس عشر، عدم التصدّر للإعطاء من غير إذْن صحيح بالإعطاء. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، كما في جواهر المعاني: ذكر أهل الكشف أمورا إنّ من فعل واحدة منها ولم يتب منها يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى، وهي دعوى الولاية بالكذب، وادّعاء المشيخة: وهو التصدّر لإعطاء الورد من غير إذن. إنتهى المراد منها هنا.

السابع عشر، إحترام كلّ من كان منتسبا إلى الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به، ولا سيما الكبار أهل الخصوصيّة من أهل هذه الطريقة. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به: إنّ لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت في العلوّ عند الله تعالى إلى حدّ يحرم ذكره، ليس هو ما أفشيته لكم، ولو صرّحت به لأجمع أهل الحقّ والعرفان على كفري فضلا عمّن عداهم.

وليست هي التي ذكرت لكم بل هي من ورائها، ومن خاصيّة تلك المرتبة أنّ من لم يتحفّظ على تغيير قلبي من أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله تعالى عن قربة وسلبه ما منحه.

والثامن عشر، الطهارة البدنيّة والثوبيّة إن أمكن.

والتاسع عشر، طهارة المكان.

والموفّى عشرين، الجلوس واستقبال القبلة، إلاّ لسفر ولو قريبا جدّا أو كان في جماعة.

والحادي والعشرون، عدم الكلام إلاّ لضرورة. قال في جواهر المعاني: وشرطه المحافظة على حضور الصلوات في أوقاتها في الجماعة إن أمكن، والطهارة البدنيّة والثوبيّة والمكانيّة، والجلوس واستقبال القبلة وعدم الكلام إلاّ لضرورة. وفي تحفة الإخوان: وللذكر آداب لا بدّ من ملاحظتها، أن يكون على طهارة كاملة من حدث وخبث، وأن يستقبل القبلة إن كان وحده وإلاّ تحلّقوا، وإن ضاق بهم المجلس اصطفّوا. اهـ. وفي الخلاصة المرضيّة: الثاني من آداب الذكر: الغسل أو الوضوء، الثالث: السكوت.

ثمّ، بعد كلام، ذكر الجلوس على مكان طاهر مستقبل القلبة إن كان وحده. وهنا إنتهت الشروط اللازمة العامّة.

والثاني والعشرون، لمن قدر عليه، إستحضار صورة القدوة بين يديه من أوّل الذكر إلى آخره ويستمدّ منه. وأعظم من ذلك وأرفع وأكمل وأنفع، إستحضار صورة المصطفى صلّى الله عليه

وسلّم. قال في جواهر المعاني: وشرطها الخاصّ، لمن قدر عليه، أن يستحضر صورة القدوة وأنّه جالس بين يديه من أوّل الذكر إلى آخره ويستمدّ منه، وأعظم من هذا وأرفع وأكمل وأنفع أن يستحضر صورة المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وأنّه جالس بين
يديه صلّى الله عليه وسلّم بهيبة ووقار وإعظام وإكبار، ويستمدّ منه بقدر حاله ومقامه. اهـ.
قلتُ: والمراد باستحضار صورته المذكورة هنا النوع الثاني من التعلّق بجنابه صلّى الله عليه وسلّم، وهو كما ذكره القطب محمّد بن عبد الكريم السمّان على قسميْن، الأوّل: إستحضار صورته صلّى الله عليه وسلّم والتأدّب لها حالة الاستحضار بالجلال والتعظيم والهيبة والوقار، فإن لم يستطع فيستحضر الصورة التي رأيتها في النوم، وإن لم تكن رأيته قطّ في منامك ففي حال ذكرك له صلّى الله تعالى عليه وسلّم تصوّر كأنّك بين يديه متأدّبا

بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء، فإنّه يراك ويسمعك كلّما ذكرته لأنّه متّصف بصفات الله، وهو سبحانه جليس من ذكره، وللنبيّ صلّى الله عليه وسلّم نصيب وافر من هذه الصفات لأنّ العارف وصفه وصف معروف، فهو صلّى الله عليه وسلّم أعرف الناس بالله تعالى. الثاني من التعلّق المعنويّ: إستحضار حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف الكمال الجامعة بين الجلال والجمال المتحلّية بأوصاف الله تعالى الكبير المشرقة بنور الذات الالهية آباد الآباد.
فإن لم تستطع فاعلم أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم الروح الكلّيّ القائم بطرفيّ حقائق الوجود القديم والحادث، فهو حقيقة كلّ من الجهتين ذاتا وصفاتا لأنّه مخلوق من نور الذات جامع لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثّراتها حكما وعينا، ومن ثَمّ قال الله تعالى في حقّه: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.
وإنّما كان صلّى الله عليه وسلّم برزخا بين الحقيقة والحقية الخلقية لأنّه حقيقة الحقائق جميعها، ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش وقد علمت أنّ العرش غاية المخلوق إذ ليس فوقه مخلوق. فعند استوائه صلّى الله عليه وسلّم فوق العرش كانت المخلوقات تحته بأسرها وربّه فوقه، فصار برزخا بالمعنى لأنّه موجود من الحقّ والخلق موجودون منه، فهو المتّصف بكلتا الوصفين من كلتا الجهتين صورة ومعنى حكما وعينا. قال صلّى الله عليه وسلّم: "أنا من الله والمؤمنون منّي".

فإذا علمت ما ذكرته لك سهل عليك استحضار هذا الكمال المحمّديّ إن شاء الله تعالى. ثمّ اعلم، وفّقنا الله وإيّاكم وأذاقنا من هذا المشرب الصافي، أنّ للحقيقة المحمّديّة ظهورا في كلّ عالم،

فليس ظهوره في عالم الأجسام كظهوره في عالم الأرواح لأنّ غالب الأجسام لا يسع ما يسعه عالم الأرواح، وليس ظهوره في عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى لأنّ عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح وأوسع، وليس ظهوره في الأرض كظهوره في السماء، وليس ظهوره في السماء كظهوره عن يمين العرش، وليس ظهوره عن يمين العرش كظهوه عند الله تعالى

حيث لا أين ولا كيف، فكلّ مقام أعلى يكون ظهوره فيه أتمّ وأكمل من المقام الأوّل، ولكلّ ظهور جلالة وهيبة يقبلها المحلّ حتّى أنّه يتناهى إلى محلّ لا يستطيع أن يراه فيه أحد من الأنبياء والملائكة والأولياء، وذلك معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: "لي مع الله تعالى وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل". فارفع يا أخي همّتك لتراه في مظاهر العلياء المعاينة الكبرى أينما هو، فافهم الإشارة.

وأوصيك يا صافي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ولو كنت في أوّل الأمر متكلّفا في الاستحضار، فعن قريب تألف روحك فيحضرك صلّى الله تعالى عليه وسلّم عيانا تحدّثه وتخاطبه فيجيبك ويحدّثك ويخاطبك، فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم إن شاء الله تعالى، قال صلّى الله عليه سلّم: "أكثركم عليّ صلاة أقربكم منّي يوم القيامة".

وإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما نتيجة الصلاة عليه بالقلب والروح والسرّ؟! وهل تكون إلاّ معه وعنده تعالى؟ لأنّ نتيجة العمل الظاهر، وهو الصلاة عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، الفوز بالمكان: وهو الجنّة، ونتيجة الباطن، وهو التعلّق والإقبال ودوام الاستحضار، صورة ومعنى الفوز بالقرب بالمكانة: فهو عند الله تعالى نزل في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف، فافهم الإشارة تقع على البشارة.

واعلم أنّ الوليّ الكامل كلّما ازدادت معرفته في الله تعالى سكن وثبت لوجوده عند ذكره لأنّ الله تعالى لا ينساه، وكلّما ازدادت معرفته في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اضطرب وظهرت الآثار عند ذكر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وذلك أنّ معرفة الوليّ بالله تعالى على قدر قابليّته ومحبّته في الله تعالى، ومعرفة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نشأت من معرفة الله تعالى على قدر قابليّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

ولأجل هذا لا يطيق أن يثبت له وتظهر الآثار كلّما ازداد الوليّ معرفة بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان أكمل من غيره وأمكن في الحضرة الإلهيّة وأطلق في معرفة الله تعالى على الإطلاق.

ثمّ اعلم أنّ كلّ من رآه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الأولياء في تجلّ من التجلّيات الإلهيّة لابسا خلعة من خلعة الكمال فإنّه صلّى الله عليه وسلّم يتصرّف بتلك الخلعة على الذي رآه بها، وهي له هديّة من الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فإن كان قويّا أمكن له لبْسُها على الفور في الدنيا، وإلاّ فهي مدّخرة له عند الله تعالى يلبسها
متى يقوى استعداده. أمّا في الدنيا وامّا في الأخرى فمن حصلت له تلك الخلعة ولبسها في الدنيا والآخرة تكون هذه الفتوة له من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فكلّ من رآى ذلك الوليّ أيضا في تجلّ من التجلّيات وعليه تلك الخلعة النبويّة فإنّ ذلك الوليّ يخلعها ويتصدّق بها نيابة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ذلك الرائي الثاني تنزل من المقام المحمّديّ للوليّ خلعة أخرى أكمل من تلك الخلعة عوض ما تصدّق به عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهكذا إلى ما لا نهاية له ولم تزل هذه الفتوة دأبه وعادته لسائر من

يراه من الأولياء أبدا الآبدين. وهذه كيفيّة أخرى من التعلّق الصوري، وهي أن تلاحظ أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ملء الكون، بل عينه، وأنّه نور محض، وأنّك منغمس في ذلك النور مع تغميض عين البصر لا البصيرة، فإذا حصل لك الإستغراق في هذا النور والتلاشي والعينيّة فتتّصف حينئذ بمقام الفناء فيه، ومن حصل له مقام الفناء فيه ذاق محبّته وهو أحد قسميّ التعلّق الصوري، وكيفيّته أن تتّبعه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وتلازم الشوق والمحبّة له حتّى تجد ذوق محبّته صلّى الله عليه وسلّم في جميع وجودك قلبا وروحا وجسما
وشعرا وبشرا كما تجد سريان الماء البارد في وجودك إذا شربته بعد الظمأ الشديد. هذا، وإنّ حبّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم فرض على كلّ أحد، قال تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ()، وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: "لن يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه وماله وولده"، وإن لم تجد في جميع وجودك هذه المحبّة التي وصفتها فاعلم أنّك ناقص الإيمان، فاستغفر الله وتضرّع إليه، وتُبْ من ذنوبك، وتولّع واطلب الحبّ بدوام ذكر النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم والتأدّب معه والقيام بما
أمر مع الإجتماع عمّا نهانا لعلك تنال ذلك فتحشر معه، لأنّه القائل صلّى الله تعالى عليه وسلّم: "المرء مع من أحبّ".
وإذا تحقّقت مقام الفناء فيه صلّى الله تعالى عليه وسلّم فليكن فناؤك عن الفناء هو المقام

المحمود، فعند ذلك تلقى ما يفاض عليك منها، أيّ من الصورة التي ظهر من النور، وكيفيّته أن تلاحظ عند توجّهك إليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه المتوجّه لنفسه حتّى تتلاشى فيه، وكذلك إذا صلّيتَ عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم لاحظ أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم هوالمصلّي لا أنت، لأنّ جميع الأشياء خلقت

من نوره صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وفي كلّ ذرّة من الذرّات دقيقة منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وتظهر تلك الدقيقة بحسب حال الذي هي فيه، وأنت من جملة الأشياء، وفيك سرّ منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فالمتوجّه منك له صلّى الله عليه وسلّم ذلك السرّ الكامن فيك. ولم تزل كذلك من مقام إلى مقام حتّى ينقلك الله تعالى إلى مقام البقاء به صلّى الله عليه وسلّم، فعند ذلك تكون إنسانا كاملا وارثا الحقيقة جامعا الكمالات المصطفوية، فاحمد الله تعالى على ما أولاك وأعطاك وكن طالبا مقام العبوديّة غارقا في بحار
الأحاديّة عارفا بتصرّفات الواحديّة. اهـ.
والثالث والعشرون، إستحضار معاني ألفاظ الذكرإن كانت لك قدرة على فهمها، قال في جواهر المعاني: ويستحضر على ذلك معاني ألفاظ الذكر إن كانت له قدرة على فهمها، وإلاّ فليستمع لما يذكره بلسانه ليشتغل فكره عن الجولان في غير ما هو بصده ويعينه على الحضور. اهـ. وقال في الخلاصة المرضيّة: الحادي عشر، يعني من آداب الذكر، إحضار معنى الذكر بقلبه مع كلّ مرّة. اهـ.
والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.
الفصل الثالث والثلاثون
في بيان الأذكار اللازمة للطريقة الأحمديّة المحمّدية الأبراهيميّة الحنيفيّة التجانيّة.
فأقول، وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق، إعلم أنّ أوراد شيخنا رضي له تعالى عنه التي يلقّنها لكافّة الخلق كثيرة، منها ما كان لازما للطريقة ومنها غيره.
أمّا الأذكار اللازمة، منها: الورد، وهو استغفار الله مائة مرّة، والصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأيّ صيغة كانت مائة مرّة، ثمّ الهيللة مائة مرّة.

وهذه الأذكار بعينها هي التي رتّبها له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمره بتلقينها لكلّ من طلبها من المسلمين على أيّ حالة كان، كبيرا أو صغيرا ذكرا أوأنثى حرّا كان أو غيره طائعا أو

عاصيا، لا يمنعها عن أحد طلبها. وكون الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بصلاة الفاتح لما أغلق أفضل وأكمل، لِما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم الذي لا يقدّر قدره إلاّ الذي أمتنّ به من فيض فضله. ووقته: بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى، وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء.

ومن فاته في هذين الوقتين لعذر فالنهار كلّه وقت والليل كذلك. ومن فاته وردٌ فليتداركه على ممرّ الدهر.

ومن الأذكار اللازمة للطريقة: الوظيفة، وهي (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم) ثلاثين مرّة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرّة، ولا يكفي في الوظيفة غيرها، وهي (اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحقّ بالحقّ والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم)، ثمّ (لا إله إلاّ الله) مائة مرّة، ثمّ جوهرة الكمال إثنتا عشرة مرّة، وهي (اللهمّ صلّ

وسلّم على عين الرحمة الربّانية، والياقوتة المتحقّقة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكوّنة، الآدمي، صاحب الحقّ الربّاني، البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكلّ متعرّض من البحور والأواني، ونورك اللامع الذي ملأتَ به كونك الحائط بأمكنة المكان، اللهمّ صلّ وسلّم على عين الحقّ التي تتجلّى منها عروش الحقائق، عين المعارف الأقوم صراطك التامّ الأسقم، اللهمّ صلّ وسلّم على طلعة الحقّ بالحقّ، الكنز الأعظم، إفاضتك منك إليك، إحاطة النور المطلسم، صلّى الله عليه وعلى آله صلاةً تعرّفنا بها إياه).

وتكفي قراءة هذه الوظيفة في وقت واحد، إمّا في الصباح وإمّا في المساء، وإنْ قُرِئَتْ في الوقتيْن فحَسَنٌ. وقتها كالورد، وهما حينئذ في الوقت مشتركان يقدّم الإنسان أيّهما شاء. ومن أراد أن يفعل الوظيفة بهذه الكيفيّة التي سنذكرها فله ذلك، وهي الإستغفار بأيّ كيفيّة كانت مائة مرّة، وصلاة الفاتح لما أغلق مائة مرّة، والهيللة مائة مرّة. وهذه الكيفيّة هي الأصل، وخفّفت بالكيفيّة التي يفعلها الإخوان الآن. أخبرني سيّدي محمّد الغالي أنّ بعض الإخوان يفعلها بالكيفيّة الأصليّة إلى الآن ولا يستعملون غيرها.

ومن أراد أن يفعلها مرّة كذا ومرّة كذا فله ذلك. وشرطها أن تُقرأ مع الإخوان في الطريقة مجتمعين إن كانوا موجودين غير مسافرين، وإن كانوا مسافرين فلا يلزمهم الإجتماع بذكرها، بل

إن شاؤوا. وإن كانوا غير موجودين في البلد فإنّ الإنسان يقرؤها وحده، وتُقضَى إن فاتت كالورد. ومحلّ القضاء في الكلّ إن لم يكن لعذر كمرض وحيض ونفاس، وإن كان لِما ذُكِر فلا قضاء، ويستحبّ القضاء إن كان المرض خفيفا من غير لزوم.

ولا تقرأ جوهرة الكمال إلاّ بالطهارة المائيّة من الحدث والخبث وطهارة الثوب والمكان، ويكون الذاكر بها جالسا، فإن فُقِد شرطٌ من هذه الشروط فإنّها لا تقرأ في الوظيفة، وتقرأ صلاة الفاتح لما أغلق بدلها عشرين مرّة.

ومن الأذكار اللازمة للطريقة: ذكر الكلمة المشرّفة بتمامها بعد عصر يوم الجمعة، وهو: لا إله إلاّ الله، أو الذكر الفرد، وهو: الله الله الله، بالإثبات من غير نفي.

وإن كان في البلد إخوان وكانوا غير مسافرين فإنّهم يجتمعون للذكر ويذكرون بعد صلاة العصر إلى الغروب، وإن شاؤ وا يؤخّرون ولا يبدؤون بعد صلاة العصر حتّى يبقى بين ابتدائهم وبين الغروب قدر ساعة بقدر الإمكان، وإن شاءوا يبتدؤون بقراءة الوظيفة، إن لم يكونوا قد قرؤوها، ثمّ يفعلون الذكر الذي يفعل بعد عصر يوم الجمعة، ويكون على كلّ حال متّصلا بالغروب.

وإن شاؤوا يذكرون الكلمة الشريفة بتمامها من أوّل الذكر إلى آخره أو يقتصرون على الذكر الفرد من أوّل الذكر إلى آخره، ويبتدؤون بالكلمة بتمامها ويختمون في آخر الذكر بالذكر الفرد. وعلى أيّ وجه من هذه الوجوه ذكروا أجزأ. وإن كانوا مسافرين فلا يلزمهم الإجتماع وإنّما عليهم حينئذ أن يذكر كلّ واحد منهم الكلمة الشريفة بكمالها أو الذكر الفرد على أيّ وجه كان من الوجوه المتقدّمة ألفا وخمسمائة أو ألفا وستمائة مرّة.

والمنفرد الذي لم يكن له في البلد إخوان هكذا، وإن شاء المسافرون أن يجتمعوا ويذكروا جماعة بلا عدد فلهم ذلك. وفيه فضل عظيم لأنّ المرّة الواحدة من صلاة الفاتح لما أغلق وقت السحر تعدل خمسمائة مرّة منها في غير وقت السحر، لكن إذا طلع الفجر ولم يفرغ من الورد فإنّه لا يجزي ولو كان الباقي مرّة واحدة من الهيللة، وحينئذ فلا بدّ من إعادة الورد مرّة ثانية لأنّه قدّم قبل وقته المحمود له ترخيصا وتسهيلا، فإذا حضر وقته قبل الفراغ منه لزم ابتداؤه.

وأمّا في الوظيفة فإنّ ذلك غير مضرّ إلاّ إذا كان يقرؤها صباحا ومساءا فإنّه يعيدها مرّة ثانية لأنّها صارت حينئذ كالورد. وللمسافر إذا صلّى الظهر أن يقدّم ورد المساء ويفعله بعد صلاة الظهر لمشقّة تدركه في التأخير. ويقول الذاكر بعد الفراغ من الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه

وسلّم من الورد والوظيفة: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مرّة واحدة، ويقول، بعد الفراغ من المائة في الهيللة: (محمّد رسول الله عليه سلام الله)، وإن شاء قال: سيّدنا محمّد رسول الله عليه سلام الله، بزيادة التسييد، فحسن.

وفي القواعد الزرّوقيّة: ما خرج مخرج التعليم وقف به على ما ورد من غير زيادة ولا نقص، فلذا رُوي أنّ رجلا كان يذكر دبر كلّ صلاة (سبحان الله والحمد لله والله أكبر) مائة مرّة من كلّ واحدة، فرأى كأنّ قائلا يقول: أين الذاكرون في دبر الصلوات؟ فقام، فقيل له: إرجع فلست منهم، إنّما هذه المزيّة لمن اقتصر على الثلاث والثلاثون، فكلّما ورد عدد اقتصر عليه، وكذا اللفظ.

نعم، أختُلِف في زيادة (سيّدنا) في الواردة من كيفيّة صلّى الله تعالى عليه وسلّم وإلاّ وجهه أن يقتصر على لفظه حيث تعبّد به، ويزاد حيث ما يزاد الفضل في الجملة. اهـ. وفي مطالع المسرّات شرح دلائل الخيرات، عن قول المؤلّف في الصلاة الحادية عشر (سيّدنا): الصحيح جواز الإتيان به، أيّ تلفّظ السيّد والمولى ونحوهما ممّا يقتضي التشريف والتوقير والتعظيم في الصلاة على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وإيثار ذلك على تركه.

ويقال في الصلاة وغيرها إلاّ حيث تعبّد بلفظ ما روى فيقتصر على ما تعبّد به أو في الرواية فيؤتى بها على وجهها. وقال البرزلي: ولا خلاف أنّ كلّ ما يقتضي التشريف والتوقير والتعظيم في حقّه صلّى الله عليه وسلّم أنّه يقال بألفاظ مختلفة حتّى بلغها ابن العربي مائة فأكثر. وقال صاحب مفتاح الفلاح: وإيّاك أن تترك لفظ (السيادة). اهـ.

وفي الفتح المبين شرح كنز الأسرار: قال سيّدي عبد الرحمن الفاسي في حاشيته على دلائل الخيرات، قال الأبي في شرح مسلم: وما يستعمل في هذا المقام من لفظ (المولى) و (السيّد) حسن وإن لم يرد واختار المجد اللغوي ترك ذلك في الصلاة إتباعا للفظ الحديث والإتيان به في غير الصلاة. وقال ابن عبد السلام: الإتيان بهما ينبني على الخلاف: هل الأول امتثال الأمر أو سلوك طريق الأدب؟ وسُئِل السيوطي عن حديث: (لا تسيّدوني في الصلاة)، فأجاب: أنّه لم ير ذلك؟ قال: وإنّما لم يتلفّظ به صلّى الله عليه وسلّم لكراهية الفخر، ولهذا

قال: "أنا سيّد ولد آدم ولا فخر"، وأمّا نحن، فيجب علينا تعظيمه وتوقيره، ولهذا نهانا الله تعالى أن نناديه باسمه فقال: لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا. وقال الحطّاب:

الذي يظهر لي ويفعله في الصلاة وغيرها، الإتيان بلفظ (السيّد). ويختار العارف بالله تعالى سيّدي أحمد زرّوق ما اختاره المجد اللغوي صاحب القاموس. اهـ.

ثمّ قال: والذي جرى عليه عمل الأئمّة زياد (السيادة) في غير الوارد وتركها فيما ورد إتباعا للفظ وفرارا من الزيادة فيه لكونه خرج مخرج التعليم ووقوفا عند ما حدّ لهم. قلتُ: وهذا عين ما في قواعد زرّوق. ثمّ قال الحطّاب: وعلى هذا درج صاحب دلائل الخيرات رضي الله تعالى عنه، فإنّه أثبت اللفظ الوارد من غير زيادة سيّادة، وزادها في غير الوارد، لكن هذا بحسب الوضع في الخط. أمّا من حيث الآداء فالأولى أن لا تعرى عنها في الوارد وغيره.

قال: وسئل شيخنا العيّاشي حفظه الله تعالى عن زيادة السيادة في الصلاة على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فقال: السيادة عبادة. قال: قلت وهو بيّن لأنّ المصلّي إنّما يقصد بصلاته تعظيمه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فلا معنى حينئذ إذ هو عين التعظيم. وفي الحِكَم: (ما الشأن وجود الطلب إنّما الشأن أن ترزق حسن الأدب لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه).

قال الشيخ يوسف العجمي في رسالته: قد اعترض على إفراد (لا إله إلاّ الله) دون (محمّد رسول الله)، وأجاب: بأنّ محمّدا رسول إقرار، والإقرار يكفي ولو مرّة واحدة في العمر، مع أنّ قول العبد (لا إله إلاّ الله) كقول الرسول هو عين إثبات رسالته، ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: "أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله" ولم يقل (محمّد رسول الله) لتضمّن هذه الشهادة بالرسالة. اهـ.

ويقول بعد الفراغ من الورد أو الوظيفة: (إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما)، ثمّ يقول: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. ويبتدئ حضرة يوم الجمعة بالبسملة مع الفاتح، ثمّ (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم) ثلاث مرّات، ثمّ صلاة الفاتح ثلاث مرّات، ثمّ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ الآية، ثمّ صلّى الله عليه وسلّم الخ، ثمّ سُبْحَانَ رَبِّكَ الآية،

ويختمها بالبسملة مع الفاتحة، ثمّ صلاة الفاتح ثلاثا، ثمّ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ الآية، ثمّ صلّى الله الخ، ثمّ سُبْحَانَ رَبِّكَ الخ. ومَن زاد في الورد وفي الوظيفة أو نقّص تحقيقا أو شكّا فإنّه يجبر بالإستغفار مائة مرّة. وأمّا من شرع في الورد أوالوظيفة ثمّ أقيمت الصلاة، فإنّه يصلّي مع الجماعة، فإذا سلّم يبني ولا يستأنف، بل يتمّم ما بقى له بمجرّد السلام قبل أن يحدث شيئا من الأذكار، فإذا تمّم

بذكر الأفكار التي تفعل دبر الصلوات.
وكذلك إذا حضر بين يديه طعام خفيف أو شراب وقد شرع في الذكر، فإنّه يأكل أو يشرب ثمّ يتمّم من غير استئناف. وأمّا الثقيل فلا، وإن فعل استأنف. وأمّا المسبوق في الوظيفة فإنّه يبتدئ بالذكر الذي وجد الذاكرين يقرؤونه، فإذا تمّموا يقضي ما فاته. مثاله: أن يجدهم قد شرعوا في قراءة جوهرة الكمال أو لم يبق لهم الاّ ستّ مرّات، فإنّه يقرأ ما بقي معهم، فإذا فرغوا يبتدي الإستغفار ثمّ بصلاة الفاتح ثمّ بالهيللة ثمّ بجوهرة الكمال ستّ مرّات، فقد أتمّ الوظيفة. فليَقِسْ على هذا كلّ ذكر وجدهم فيه.

وأمّا الدعاء بعد إتمام الذاكر ورده فمعلوم مشهور في هذه الملّة المحمّديّة. وفي لواقح الأنوار في الأدعية والاسرار للشيخ شهاب الدين أحمد القسطلاني: ينبغي للداعي أن يترصّد الأزمان والأحوال الشريفة، كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة، إلى أن قال: وعند شرب ماء زمزم وصياح الديك، يعني في السحر، لقوله عليه السلام: "يأتي ربّنا – وفي رواية ينزل ربّنا – وقت السحر إلى سماء الدنيا فيقول هل من داع" الحديث، واجتماع المسلمين، وفي مجالس الذكر. أهـ.
وأمّا مدّ اليدين حالة الدعاء ومسح الوجه بهما فقد قال أيضا في ذلك الكتاب: وينبغي للداعي أن يعتني بآداب الدعاء، ثمّ عدّدها إلى أن قال: وأن يمدّ يديه ولا يقبضهما لأن الله تعالى ذمّ أقواما يقبضون أيديهم فقال تعالى: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ، قيل أنّ معنى الآية لا يمدّونها في الدعاء، واختلفوا في كيفيّة مدّ اليدين، فقيل يدعو الله تعالى ببطون كفّيه، وقيل بظهورها، وقيل إن كان بسؤال دفع البلاء يدع بظهورهما وإن كان في طلب حاجة سأل ببطونهما.
روى مسدّد أنّ عبد الرحمن بن محيريز قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إذا سألتم الله عزّ وجلّ فأسألوه ببطون أكفّكم ولا تسألوه بظهورها". واختلفوا في استحباب رفع بصره إلى السماء، هل هو أفضل مِن جعْل وجهه إلى الأرض أم لا على قولين، الراجح الأوّل لأنّ السماء قبلة الداعين، ولأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم دعا هكذا يوم بدر، وينبغي أيضا، كما قاله الخطّابي، أن يكشف يديه في حال رفعهما ولا يدعهما مغطّاتين.

قال أبو سليمان الداراني: كانت ليلة باردة، وكنت في المحراب، فأقلقني البرد، فجالت يدي من البرد، يعني في الدعاء. قال: وبقِيَت الأخرى ممدودة. فغلبتني عيناي، فإذا تلك اليد المكشوفة قد صوّرت من الجنّة، فهتف بي هاتف: يا أبا سليمان، قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت

الأخرى مكشوفة لوضعنا فيها، فآليت على نفسي أن لا أدعوا إلاّ ويداي مكشوفتان حَرّاً كان أو بردا.

وأن يسمح بهما وجهه، فعن عمر رضي الله تعالى عنه: "كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطّهما حتّى يمسح بهما وجهه"، رواه الترمذي. إنتهى. وفي العهود المحمّديّة: أخذ علينا العهد العامّ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن لا نرفع بصرنا إلى السماء حال دعائنا، نغضّ بصرنا أو ننظر إلى الأرض، وكذلك لا ندعوا في قلبنا وهو غافل فإنّ في ذلك من سوء الأدب ما لا يخفي لاتباع الشريعة واتباع العرف في ذلك وإلاّ فالجهات كلّها في حقّ الله تعالى واحدة.

وإن كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقلّب وجهه في السماء لأنّها طريق نزول الوحي المعهود، كما أنّه التفت في صلاته ينظر على الغير الذي أرسل قاصدا ينظر منه خبر القوم، فهو التفات إلى مخلوق ونظر إلى مخلوق من جبريل وغيره، فافهم، فإنّ الله تعالى مدحه قبل ذلك بقوله عند ليلة الاسراء: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، يعني: ما جاوز حضرة الخطاب. وقد سمعت سيّدي عليّا الخوّاص يقول في حديث "كانت خطيئة أخي داود النظر" يعني إلى غير الله تعالى بغير إذن من الله تعالى. إنتهى.

وأمّا رفع اليدين إلى السماء فإنّهما آلة يقبل بهما صدقات الحقّ تعالى التي تصدق الحق بها عليه ويضمّهما إلى بعضهما كالمغترف بهما ماء، كما قال الشيخ أحمد الزاهد، والله تعالى أعلم. وروى مسلم والنسائي وغيرهما مرفوعا: "لينتهيّن أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء وفي الصلاة إلى السماء أو ليخطفنّ الله أبصارهم".

وقال ابن جزيّ في قوانين الأحكام الشرعيّة ومسائل الفروع الفقهيّة على مذهب إمام المدينة مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما: وآداب الذكر سبعة، الوضوء له، وتقديم ذكر الله تعالى، والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبله، ورفع اليدين فيه، والإلحاح بالتكرار، والإخلاص. والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الرّابع والثلاثون

في ذكر بعض أذكار الطريقة غير اللازمة التي يعطي بعضهما بالإذن والتلقين للخواصّ من أهل

الطريقة دون العوامّ منهم، وبعضها لا يؤذن فيها إلاّ للخواصّ منهم.
فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق:
منها ياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيّد الخلائق وهي: (الله الله الله اللهمّ أنت الهو الذي لا إله إلاّ أنت العليّ في عظمة انفراد حضرة أحديتك التي شئت فيها بوجود شؤونك وأنشأت من نورك الكامل نشأة الحقّ وأنطتها وجعلتها صورة كاملة تامّة تجد منها بسبب وجودها من انفراد حضرة أحديتك قبل نشر
أشباحها وجعلت منها فيها بسببها انبساط العلم وجعلت من أثر هذه العظمة ومن بركتها شبح الصورة كلّها جامدها ومتحرّكها وأنتطها بإقبال التحريك والتسكين وجعلتها في إحاطة العزّة من كسونها قبلت منها وفيها ولها وتشعشعت الصورة البارزة بإقبال الوجود وقدّرت لها وفيها ومنها ما يماثلها ممّا يطابق أرقام صورها وحكمت عليها بالبروز لتأدية ما قدّرته عليها وجعلها منقوشة في لوحها المحفوظ الذي خلقت منه ببركات وحكمت عليها ممّا أردت لها وبما تريد بها وجعلت كلّ الكلّ في تلك وجعلت هذا الكلّ من كلّك وجعلت الكلّ قبضة من نور

عظمتك روحا لما أنت أهل له ولما هو أهل لك أسألك اللهمّ بمرتبة هذه العظمة وأطلاقها في وجد وعدم أن تصلّي وتسلّم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ والنور الساري الممدود الذي لا يدركه دارك ولا يلحقه لاحق الصراط المستقيم ناصر الحقّ بالحقّ اللهمّ صلّ وسلّم على أشرف الخلائق الإنسانيّة والجانّيّة صاحب الأنوار الفاخرة اللهمّ صلّ وسلّم عليه وعلى آله وعلى أولاد وأزواجه وذرّيّته وأهل بيته وإخوانه من النبيّين والصدّيقين وعلى من آمن به واتّبعه من الاوّلين والآخرين اللهمّ اجعل صلاتنا عليه مقبولة لا مردودة
اللهمّ صلّ وسلّم على سيّدنا ومولانا محمّد وآله اللهمّ واجعله لنا روحا ولعبادتنا سرّا واجعل اللهمّ محبّته لنا قوتنا استعين بها على تعظيمه اللهمّ واجعل تعظيمه في قلوبنا حياة أقوم بها وأستعين بها على ذكره وذكر ربّه اللهمّ واجعل صلاتنا عليه مفتاحا وافتح لنا بها يا ربّ حجاب الاقبال وتقبّل منّي ببركة حبيبي وحبيب عبادك المؤمنين ما أنا أؤدّيه من الأوراد والأذكار والمحبّة والتعظيم لذاتك الله الله الله آه آه آمين هو هو هو آمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد آمين.
ومنها الصلاة الغيبيّة في الحقيقة الأحمديّة، ونصّها: (اللهمّ صلّ وسلّم على عين ذاتك العليّة بأنواع كمالاتك البهيّة في حضرة ذاتك الأبديّة على عبدك القائم بك منك لك إليك بأتمّ

الصلوات الزكيّة المصلّي في محراب عين هاء الهوّيّة التالي السبع المثاني بصفاتك النفسيّة المخاطب بقولك واسجد واقترب الداعي بك لك بإذنك لكافّة شؤونك العلميّة فمن أجاب اصطفى وقرب المفيض على كافّة من أوجدته بقيّوميّة سرّك المدد الساري في كلّيّة أجزاء موهبة فضلك المتجلّي عليه في محراب قدسك وأنسك بكلمات ألوهيتك في عوالمك وبرّك

وبحرك فصلّ اللهمّ عليه صلاة كاملة تامّة بك ومنك وإليك وعليك وسلّم اللهمّ عليه سلاما تامّا عامّا شاملا لأنواع كمالات قدسك دائميْن متّصليْن على خليلك وحبيبك من خلقك عدد ما في علمك القديم وعميم فضلك العظيم ونُبْ عنّا بمحض فضلك الكريم في الصلاة عليه صلاتك التي صلّيت عليه في محراب قدسك وهوّيّة أنسك وعلى آله وصحابة رسولك ونبيّك وسلّم عليهم تسليما عدد إحاطة علمك.

ومنها الحرز اليماني، وهو الحزب السيفي، ونصّه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهمّ أنت الله الملك الحقّ المبين القديم المتعزّز بالعظمة والكبرياء المتفرّد بالبقاء الحيّ القيّوم القادر المقتدر الجبّار القهّار الذي لا إله إلاّ أنت أنت ربّي وأنا عبدك عملت سوءا وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر ذنوبي كلّها فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت يا غفور يا شكور يا حليم يا كريم يا صبور يا رحيم اللهمّ إنّي أحمدك وأنت المحمود وأنت للحمد أهل وأشكرك وأنت المشكور وأنت للشكر أهل على ما خصصتني به من مواهب الرغائب وأوصلت إليّ

من فضائل الصنائع وأوليتني به من إحسانك وبوّأتني به من مظنّة الصدق عندك وأنلتني به من منتك الواصلة إليّ وأحسنت به إلي كلّ وقت من دفع البليّة عنّي والتوفيق لي والإجابة لدعائي حين أناديك داعيا وأناجيك راغبا وأدعوك متضرّعا مصافيا ضارعا وحين أرجوك راجيا فأجدك كافيا وألوذ بك في المواطن كلّها فكن لي جارا حاضرا حفيّا بارّا وليّا في الأمور كلّها ناظرا وعلى الأعداء كلّهم ناصرا وللخطايا والذنوب كلّها غافرا وللعيوب كلّها ساترا لم أعدم عونك وبرّك وخيرك وعزّك وإحسانك طرفة عين منذ أنزلتني دار الاختبار والفكر

والاعتبار لتنظر ما أقدّم لدار الخلود والقرار والمقامة مع الأخيار فأنا عبدك فاجعلني يا ربّ عتيقك يا إلهي ومولاي خلّصني من النار ومن جميع المضارّ والمضالّ والمصائب والمعائب والنوائب واللوازم والهموم التي قد ساورتني فيها الغموم بمعاريض أصناف البلاء وضروب جهد القضاء إلهي لا أذكر منك إلاّ الجميل ولم أرَ منك إلاّ التفصيل خيرك لي شامل وصنعك لي كامل

ولطفك لي كافل وبرّك لي غامر وفضلك عليّ دائم متواتر ونعمك عندي متّصلة لم تخفر لي جواري وأمنت خوفي وصدّقت رجائي وحقّقت آمالي وصاحبتني في أسافري وأكرمتني في أحضاري وعافيت أمرضاي وشفيت أوصابي وأحسنت منقلبي ومثواي ولم تشمت بي أعدائي وحسّادي ورميت من رماني بسوء وكفيتني شرّ من عداني فأنا أسألك يا الله الآن أن تدفع عنّي كيد الحاسدين وظلم الظالمين وشرّ المعاندين واحمني تحت سرادقات عزّك يا أكرم الأكرمين وباعد بيني وبين أعدائي كما باعدت بين المشرق والمغرب واخطف أبصارهم عنّي بنور قدسك واضرب رقابهم بجلال مجدك واقطع أعناقهم بسطوات قهرك وأهلكهم ودمّرهم تدميرا كما دفعت كيد الحسّاد عن أنبيائك وضربت رقاب الجبابرة لأصفيائك وخطفت أبصار الأعداء عن أوليائك وقطعت

أعناق الأكاسرة لأتقيائك وأهلكت الفراعنة ودمّرت الدجاجلة لخواصّك المقرّبين وعبادك الصالحين يا غيّاث المستغيثين أغثني على جميع أعدائك فحمدي لك يا إلهي واصب وثنائي عليك متواتر دائم من الدهر إلى الدهر بألوان التسبيح والتقديس وصنوف اللغات المادحة وأصناف التنزيه خالصا لذكرك ومرضيا لك بناصع التحميد والتمجيد وخالص التوحيد والتقرّب والتقريب والتفريد وإمحاض التمجيد بطول التعبّد والتعديد لم تعن في قدرك ولم تشارك في ألوهيتك ولم تعلم لك ماهية فتكون للأشياء المختلقة مجانسا ولم تعاين إذا حبست الأشياء على

العزائم المختلفات ولا خرقت الأوهام حجب الغيوب إليك فاعتقد منك محدوا في مجد عظمتك لا يبلغك بعد الهمم ولا ينالك غوص الفطن ولا ينتهي إليك بصر ناظر في مجد جبروتك ارتفعت عن صفات المخلوقين صفات قدرتك وعلا عن ذكر الذاكرين كبرياء عظمتك فلا ينتقص ما أردت ان يزداد ولا يزداد ما أردت أن ينتقص لا أحد شهدك حين فطرت الخلق ولا ندّ ولا ضدّ حضرك حين برأت النفوس كلّت الألسن عن تفسير صفتك وانحسرت العقول عن كنه معرفتك وصفتك وكيف يوصف كنه صفتك يا ربّ وأنت الله الملك الجبّار القدّوس الأزليّ الذي لم يزل ولا يزال

أزليّا باقيا أبديّا سرمديّا دائما في الغيوب وحدك لا شريك لك ليس فيها أحد غيرك ولم يكن إله سواك حارت في بحار بها ملكوتك عميقات مذاهب التفكّر وتواضعت الملوك لهيبتك وعنت الوجوه بذلّة الاستكانة لعزّتك وانقاد كلّ شيء لعظمتك واستسلم كلّ شيء لقدرتك وخضعت

لك الرقاب وكَلَّ دون ذلك تحبير اللغات وضلّ هنالك التدبير في تصاريف الصفات فمن تفكّر في إنشائك البديع وثنائك الرفيع وتعمّق في ذلك رجع طرفه إليه خاسئا حسيرا وعقله مبهوتا وتفكّره متحيّرا أسيرا اللهمّ لك الحمد حمدا كثيرا دائما متواليا متوترا متضاعفا
متّسعا متّسقا يدوم ويتضاعف ولا يبيد غير مفقود في الملكوت ولا مطموس في المعالم ولا منتقص في العرفان فلك الحمد على مكارمك التي لا تحصى ونعمك التي لا تستقصي في الليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر وفي البرّ والبحار والآصال والعشيّ والإبكار والظهيرة والأسحار وفي كلّ جزء من أجزاء الليل والنهار اللهمّ لك الحمد بتوفيقك منذ أحضرتني النجاة وجعلتني منك في ولاية العصمة فلم أبرح في سبوغ نعمائك وتتابع آلائك محروسا بك في الردّ والامتناع ومحفوظا بك في المنعة والدفاع عنّي اللهمّ إنّي أحمدك إذ لم تكلّفني فوق طاقتي

ولم ترض منّي إلاّ طاعتي ورضيت منّي من طاعتك وعبادك دون استطاعتي وأقلّ من وسعي ومقدرتي فإنّك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت لم تغب ولا تغيب عنك غائبة ولا تخفى عليك خافية ولم تضلّ عنك في ظلّ الخفيّات ضالّة إنّما أمرك إذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون اللهمّ لك الحمد مثل ما حمدت به نفسك وأضعاف ما حمدك به الحامدون وسبّحك به المسبّوحون ومجّدك به الممجّودون وكبّرك به المكبّرون وهلّلك به المهلّلون وقدّسك به المقدّسون ووحّدك به الموحّدون وعظّمك به المعظّمون واستغفرك به المستغفرون حتّى يكون لك منّي وحدي في كلّ طرفة عين وأقلّ من ذلك مثل حمد جميع الحامدين وتوحيد أصناف الموحّدين والمخلصين وتقديس أجناس العارفين وثناء جميع المهلّلين والمصلّين والمسبّحين ومثلما أنت به عالم وأنت محمود ومحبوب ومحجوب من جميع خلقك كلّهم من الحيوانات والبرايا والأنام إلهي أسالك بمسائلك وأرغب إليك بك في بركة ما أنطقتني به من حمدك ووفّقتني إليه من شكرك وتمجيدي لك فما أيسر ما كلّفتني به من نعمائك ومزيد الخير على شكرك ابتدأتني بالنعم فضلا وطوْلا وأمرتني بالشكر حقّا وعدلا ووعدتني عليه أضعافا ومزيدا وأعطيتني من رزقك واسعا
كثيرا اختيارا ورضى وسألتني عنه شكرا يسيرا لك الحمد اللهمّ على إذ انجيتني وعافيتني برحمتك من جهد البلاء ودرك الشقاء ولم تسلمني لسوء قضائك وبلائك وجعلت ملبسي العافية وأوليتني البسطة والرخاء وشرعت لي ايسر القصد وضاعفت لي أشرف الفضل مع ما عبّدتني به من الحجّة الشريعة وبشرتني به من الدرجة العالمية الرفيعة واصطفيتني بأعظم دعوى وأفضلهم

شفاعة وأرفعهم درجة وأقربهم منزلة وأوضحهم حجّة سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وأصحابه الطيّبين الطاهرين اللهمّ صلّ على محمّد

وعلى آل محمّد واغفر لي ما لا يسعه إلاّ مغفرتك ولا يمحقه إلاّ عفوك ولا يكفّره إلاّ تجاوزك وفضلك وهب لي في يومي هذا وليلتي هذه وساعتي هذه وشهري هذا وسنتي هذه يقينا صادقا يهوّن عليّ مصائب الدنيا والآخرة أحزانهما ويشوقني إليك ويرغّبني فيما عندك واكتب لي عندك مغفرة وبلّغني الكرامة من عندك وأوزعني شكرها أنعمت به عليّ فإنّك أنت الذي لا إله إلاّ أنت الواحد الأحد الرفيع البديع المبديء المعيد السميع العليم الذي ليس لأمرك مدفع ولا عن قضائك ممتنع وأشهد أنّك ربّي وربّ كلّ شيء لا إله إلاّ أنت فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة العليّ الكبير المتعال اللهمّ إنّي أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد والشكر على نعمك وأسألك حسن عبادتك واسألك من خير كلّ ما تعلم وأعوذ بك من شرّ ما تعلم وأستغفرك من شرّ كل ما تعلم إنّك أنت علاّم الغيوب وأسألك أمنا لي ولأحبابي وأعوذ بك من جور كلّ جائر ومكر كلّ ماكر وظلم كلّ ظالم وسحر كلّ ساحر وبغي كلّ باغ وحسد كلّ حسد وغدر كلّ غادر وكيد كلّ كائد وعداوة كلّ عدو وطعن كلّ طاعن وقدح كلّ قادح وحيل كلّ محتال وشماتة كلّ شامت وكشح كلّ كاشح اللهمّ بك أصول على الاعداء
والقرناء وإيّاك أرجو ولاية الاحباب والاولياء والقرباء فلك الحمد على ما لا استطيع إحصاءه ولا تعديده من عوائد فضلك وعوارف رزقك وألوان ما أوليتني به من إرفادك وكرمك فإنّك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت الفاشي في الخلق حمدك الباسط بالجود يدك لا تضاد في حكمك ولا تنازع في أمرك وسلطانك وملكك ولا تشارك في ربوبيّتك ولا تزاحم في خليقتك تملك من الأنام ما شاء ولا يملكون منك إلاّ ماتريد اللهمّ أنت الله المنعم المتفضّل القادر المقتدر الجبّار القهّار القاهر المقدّس بالمجد في نور القدس ترديت بالمجد والبهاء

وتعاظمت بالعزّة والعلاء وتأزرت بالعظمة والكبرياء وتغشّيت بالنور والضياء وتجلّلت بالمهابة والبهاء لك المنّ القديم والسلطان الشامخ والملك الباذخ والجود الواسع والقدرة الكاملة والحكمة البالغة والعزّة الشاملة فلك الحمد على ما جعلتني من أمّة محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم وهو أفضل بني آدم عليه السلام الذين كرّمتهم وحملتهم في البرّ والبحر ورزقتهم من

الطيبات وفضلتهم عل كثير من خلقك تفضيلا وخلقتني سميعا بصيرا صحيحا سويّا ما سالما معافي ولم تشغلني بنقصان في بدني عن طاعتك ولا بآفة في جوارحي ولا عاهة
في نفسي ولا في عقلي ولم تمنعني كرامتك إيّاي وحسن صنيعك عندي وأفضل منائحك لديّ ونعمائك عليّ أنت الذي أوسعت عليّ في الدنيا رزقا وفضلتني على كثير من أهلها تفضيلا فجعلت لي سمعا يسمع آياتك وعقلا يفهم إيمانك وبصرا يرى قدرتك وفؤادا يعرف عظمتك وقلبا يعتقد توحيدك فإنّي لفضلك عليّ شاهد حامد شاكر ولك نفسي شاكرة وبحقّك عليّ شهادة وأشهد أنّك حيّ قبل كلّ حيّ وحيّ بعد كلّ حيّ وحيّ بعد كلّ ميّت وحيّ لم ترث الحياة من حيّ ولم تقطع خيرك عنّي في كلّ وقت ولم تقطع رجائي ولم تنزل بي عقوبات النقم ولم تغيّر عليّ وثائق
النعم ولم تمنع عنّي دقائق العصم فلو لم أذكر من إحسانك وإنعامك عليّ إلاّ عفوك عنّي والتوفيق لي والاستجابة لدعائي حين رفعت صوتي بدعائك وتحميدك وتوحيدك وتمجيدك وتهليلك وتكبيرك وتعظيمك وإلاّ في تقديرك خلقي حين صوّرتني فأحسنت صورتي وإلاّ في قسمة الارزاق حين قدّرتها لي لكان في ذلك ما يشغل فكري عن جهدي فكيف إذا فكّرت في النعم العظام التي أتقلّب فيها ولا أبلغ شكر شيء منها فلك الحمد عدد ما حفظه علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك في خلقك وعدد ما وسعته رحمتك من جميع خلقك وعدد ما أحاطت به قدرتك وأضعاف ما

تستوجبه من جميع خلقك اللهمّ إنّي مقرّ بنعمتك عليّ فتمّم إحسانك إليّ في ما بقي من عمري كما أحسنت إليّ في ما مضى منه برحمتك يا أرحم الراحمين اللهمّ إنّي أسألك وأتوسّل إليك بتوحيدك وتمجيدك وتهليلك وتكبيرك وتسبيحك كما لك وتدبيرك وتعظيمك وتقديسك ونورك ورأفتك ورحمتك وعلمك وحلمك وعلوّك ووقارك وفضلك وجلالك ومنّك وكمالك وكبريائك وسلطانك وقدرتك وإحسانك وامتنانك وجمالك وبهائك وبرهانك وغفرانك ونبيّك ووليّك وعترته الطاهرين أن تصلّي على محمّد وعلى سائر إخوانه الانبياء والمرسلين وأن لا تحرمني رفدك وفضلك
وجمالك وجلالك وفوائد كراماتك فإنّه لا يعتريك لكثرة ما قد نشرت من العطايا عوائق البخل ولا ينقص جودك التقصير في شكر نعمتك ولا تنفذ خزائنك مواهبك المتّسعة ولا يؤثّر في

وجودك العظيم منحك الفائقة الجليلة الجميلة الأصيلة ولا تخاف ضيم إملاق فتكدى ولا يلحقك خوف عدم فينقص من جودك فيض فضلك إنّك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير اللهمّ ارزقني قلبا خاشعا خاضعا ضارعا وعينا باكية وبدنا صحيحا صابرا ويقينا صادقا بالحقّ صادعا وتوبة نصوحا ولسانا ذاكرا وحامدا وإيمانا صحيحا ورزقا حلالا طيّبا واسعا وعلما نافعا وولدا

صالحا وصاحبا موافقا وسنا طويلا في الخير مشتغلا بالعبادة الخالصة وخلقا حسنا وعلما صالحا متقبّلا وتوبة مقبولة ودرجة رفيعة وامرأة مؤمنة طائعة اللهمّ لا تنسني ذكرك ولا تولني غيرك ولا تؤمّني مكرك ولا تكشف عنّي سترك ولا تقنطني من رحمتك ولا تبعدني من كنفك وجوارك وأعزّني من سخطك وغضبك ولا تؤيّسني من رحمتك وروْحك وكن لي أنيسا من كلّ روعة وخوف وخشية ووحشة وغربة واعصمني من كلّ هلكة ونجّني من كلّ بليّة وآفة وعاهة وخصّة ومحنة وزلزلة وشدّة وإهانة وذلّة وغلبة وقلّة وجوع وعطش وفقر وفاقة وضيق وفتنة ووباء وبلاء

وغرق وحرق وبرق وسرقة وحرب وبرد ونهب وغيّ وضلال وضلالة وهامة وزلل وخطايا وهمّ وغمّ ومسخ وخسف وقدف وخلّة وشلّة ومرض وجنون وجذام وبرص ونقص وهلكة وفضيحة وقبيحة في الدارين إنّك لا تخلف الميعاد اللهمّ ارفعني ولا تضعني وادفع عنّي ولا تدفعني وأعطني ولا تحرمني وزدني ولا تنقصني وارحمني ولا تعذّبني وفرّج همّي واكشف غمّي وأهلك عدوّي وانصرني ولا تخذلني وأكرمني ولا تهنّي واسترني ولا تفضحني وآثرني ولا تؤثر عليّ واحفظني ولا تضيّعني فإنّك على كلّ شيء قدير يا أقدر القادرين ويا أسرع الحاسبين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم أجمعين يا ذا الجلال والاكرام اللهمّ أنت أمرتنا بدعائك ووعدتنا بإجابتك وقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا يا ذا الجلال والاكرام إنّك لا تخلف الميعاد اللهمّ ما قدّرت لي من خير وشرعت فيه بتوفيقك وتيسيرك فتمّمه لي بأحسن الوجوه كلّها وأصوبها وأصفاها فإنّك على ما تشاء قدير وبالاجابة جدير نعم المولى ونعم النصير وما قدّرت لي من شرّ وحذّرتني منه فأصرفه عنّي يا حيّ ويا قيّوم يا من قامت السماوات والأرضون بأمره يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه يا من أمره إذا أراد شيئا أن

يقول له كن فيكون سبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون سبحان الله القادر القاهر القويّ العزيز الجبّار الحيّ القيّوم بلا معين ولا ظهير برحمتك أستغيث اللهمّ هذا الدعاء

ومنك الاجابة وهذا الجهد منّي وعليك التكلان ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم والحمد لله أوّلا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله ربّ العالمين. اهـ.

ومنها: حزب المغني يقرأ بعد قراءة حزب السيفي وهو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إلهي بك أستغيث فأغثني وعليك توكّلت فأكفني يا كافي أكفني المهمّات من أمور الدنيا والآخرة ثلاثا يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما إنّي عبدك ببابك ذليلك ببابك أسيرك ببابك مسكنك ببابك صنيعك ببابك يا ربّ العالمين الطالح ببابك يا غيّاث المستغيثين مهمومك ببابك يا كاشف كرب كلّ المكروبين وأنا عاصيك يا طالب المستغفرين المقرّ ببابك يا غافر المذنبين المعترف ببابك يا أرحم الراحمين الخاطئ ببابك يارب العالمين الظالم ببابك البائس الخاشع ببابك أرحمني يا مولاي ثلاثا إلهي ثلاثا إلهي أنت

الغافر وأنا المسيئ إلا الغافر مولاي مولاي مولاي إلهي أنت الرب وأنا العبد وهل يرحم العبد إلا الرب مولاي مولاي إلهي أنت القوي وأنا الضعيف وهل يرحم الضعيف إلا القوي مولاي مولاي إلهي أنت العزيز وأنا الذليل وهل يرحم الذليل إلا العزيز مولاي مولاي إلهي أنت الكريم وأنا اللئيم وهل يرحم اللئيم إلا الكريم مولاي مولاي إلهي أنت الرزاق وأنت المرزوق وهل يرحم المرزوق إلا الرزاق مولاي مولاي إلهي أنا الذليل أنا الحقير أنت العلي أنت العفو أنت الغفور أنت الغفار أنت الحنان أنت المنان أنا المذنب أنا الخائف أنا

الضعيف إلهي الأمان الأمان في ظلمة القبر وضيقته إلهي الأمان الأمان عند سؤال منكر ونكير وهيئتهما إلهي الأمان الأمان عند وحشة القبر وشدته إلهي الأمان الأمان في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة إلهي الأمان الأمان يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات والأرض إلا من شاء الله إلهي الأمان الأمان يوم زلزلت الارض زلزالها إلهي الأمان الأمان يوم تشقق السماء بالغمام إلهي الأمان الأمان يوم تطوي السماء كطي السجل للكتاب إلهي الأمان الأمان يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار الإلهي الأمان

الأمان يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا الأمان الأمان يوم ينادي المنادي من بطنان العرش اين العاصون وأين المذنبون وأين الخاسرون هلموا للحساب وأنت تعلم سري وعلانيتي فأقبل معذرتي إلهي آه من كثرة الذنوب والعصيان آه من كثرة الظلم والجفاء

آه من النفس المطرودة آه من النفس المطبوع بالهوى آه من الهوى آه من الهوى أغثني يا غياث المستغيثين أغثني عن تغيير حالي اللهم إني عبدك المذنب المجرم المخطأ أجرني من النار يامجير يا مجي يا مجير اللهم إن ترحمني فأنت أهل وإن تعذبني فإنا أهل

فأرحمني يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة ويا أرحم الراحمين ويا خير الناصرين وا خير الغافرين حسبي الله وحده برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما الحمد لله رب العالمين اهـ.

ومن أوراده: سورة القدر، ومنها سورة الاخلاص، ومنها آخر الحشر.

ومن أوراده التي يقرؤها في الصباح والمساء حزب البحر وهو:

بسم الله الرحمن الرحين يا علي ويا عظيم يا حليم ويا عليم أنت ربي وعلمك حسبي فنعم الرب ربي ونعم الحسب حسبي تنصر من تشاء وانت العزيز الرحيم نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب فقد ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذي في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسول إلا غرورا فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر يا موسى وسخرت النار لإبراهيم وسخرت الجبال والحديد لداوود وسخرت الريح والشياطين والجن

والانس لسليمان وسخرت الثقلين لمحمد عليه الصلاة والسلام سخر لنا كل بحر و لك في الارض والسماء والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الاخرة وسخر لنا كل شيء يامن بيده ملكوت كل شيء كهيعص كهيعص أنصرنا فإنك خير الناصرين وافتح لنا فإنك خير الفاتحين واغفر لنا فإنك خير الغافرين وارحمنا فإنك خير الراحمين وارزقنا فأنك خير الرازقين واهدنا ونجنا من القوم الظالمين وهب لنا ريحا طيبة كما هي في علمك وأنشرها علينا من خزائن رحمتك واحملنا بما حمل الكرامة مع السلامة العافية في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير الله يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا وكن لنا صاحبا في سفرنا وخليفة في أهلنا واطمس على وجوه أعدائنا وأمسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضى ولا المجيء إلينا ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنا يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يس والقرآن الحكيم إنك

لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوم ما أنذر آباؤهم فهم غافون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يومنون إنا جعلنا في اعناقهم أغلالا فهي إلى
الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون شاهت الوجوه شاهت الوجوه شاهت الوجوه وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما طسم طسم حمعسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان حم حم حم حم حم حم حم الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينتصرون حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير بسم الله بابنا تبارك حيطاننا يس سقفنا كهيعص كفايتنا حمعسق حمايتنا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ثلاثا ستر

الله مسبول علينا وعين الله ناظرة إلينا بحول الله لا يقدر علينا والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم حسبي الله لا إله إلا هو عليه
توكلت وهو رب العرش العظي بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
قلت وإنما كررت ما كرر ثلاثا وكتبته كذلك ليستريح الواقف عليه بذلك لعل الله يرحمني لأجل خلقه.
ومن أوراده العظيمة الذي يذكرها مرة في الصباح ومرة في المساء الأسماء الإدريسة وهي:
سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه ورازقه وراحمه سبحانك يا إله الآلهة الرفيع جلاله يا الله المحمود في كل فعاله يا رحمن كل شيء وراحمه يا حي حين لا حي في ديمومية ملكه

وبقائه يا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤديه واحد الباقي أو كل شيء وآخره يا دائم فلا فناء ولا زوال لملكه وبقائه لا صمد من غير شبيه فلا شيء كمثله يا باري فلا شيء كفؤه يدانيه ولا إمكان لوصفه يا كبير أنت الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته يا باري

النفوس بلا مثال خلا من غيره يا زكي الطاهر من كل آفة بقدسه يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله يانقا من كل جور لم يرضه ولم يخالطه فعاله يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما يا حنان يا منان ذا الإحسان قد عم كل الخلائق يا ديان العباد كل يقوم خاضعا لرهبته ورغبته يا خالق ما في السماوات والارض كل إليه ميعاد يا رحيم كل صريح ومكروب وغياثه معاذه يا تام فلا تصف الالسن كنه جلاله وعزه وملكه يا مبدع البدائع لم يبغ في إنشائها عون من خلقه يا علام الغيوب فلا يفوت شيء من حفظه يا حليم ذا الأنات فلا يعادل شيء من خلقه يا معيد ما أفناه إذا برز الخلائق بدعوته من مخافته يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه يا عزيز المنيع الغالب على جميع أمره فلا شيء يعادله يا قاهر ذا البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه يا قريب المتعالي فوق كل شيء علو ارتفاعه يا مذل كل جبار عنيد بقهر عزيز سلطانه يا نور كل شيء وهداه أنت الذي فلق الظلمات بنوره يا عالي الشامخ فوق كل شيء علو إرتفاعه يا قدوس الطاهر من كل شيء سوء فلا شيء يعادله من جميع خلقه يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته يا جليل المتكبر على كل شيء فالعدل
أمره والصدق وعده يا محمود فلا تبلغ الأوهام كنه فنائه ومجده يا كريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شيء عدل يا عظيم ذا الثنا الفاخ والعز والمجد والكبرياء لا يزول عزه يا قريب المجيب المتداني كل شيء قربه يا عجيب أعجب الصنائع فلا تنطق الألس بكل آلائه وثنائه ونعمائه يا غياثي عند كل كربة ومجيبي عند كل دعوة ومعاذي عند كل شدة ورائي حين تقطع حيلتي. اهـ.

ويقرأ هذا الدعاء عند كمال الأسماء وهو: اللهم إني أسألك بحق هذه الاسماء الشريفة وشرفها وكرامتها أن تصلي على سيدنا مُحَمَّد وأسألك إيمانا وأمنا من عقوبات الدنيا والآخر وأن تحبس عني أبصار الظلمة المريدين لي السوء وأن تصرف قلوبهم من شر ما يضمرونه إلى خير ما لا يملكه غيرك اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد مني وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله تعالى على خير خلقه مُحَمَّد وآله الطيبين الطاهرين برحمتك يا

أرحم الراحمين. اهـ.

ومن أوراده العظيمة العديمة النظير فاتحة الكتاب بالخاصية المعلوم التي هي أعظم الاسرار والكنز المطلسم الذي لم يظفر به أحد من خواص الأبرار سوى شيخنا وسيدنا فقد تفضل به عليه النبي المختار.

ومن أوراده صلاة رفع الأعمال وهي: اللهم صلي على سيدنا مُحَمَّد النبي عدد من صلى عليه من خلقك وصل على سيدنا مُحَمَّد النبي كما ينبغي لنا أن نصلي عليه وصل على سيدنا مُحَمَّد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه. إنتهى.

ومن أوراده رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك ارجى عندي من عملي ثلاثا ثلاثا في الصباح والمساء.

ومن أوراده رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وظيفة اليوم والليلة ثلاثا ثلاثا صباحا ومساء: لا إله إلا الله الله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلا الله له الملك وله الحمد لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن أوراده رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به إستغفار سيدنا الخضر على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وهو: اللهم إني أستغفرك من كل ذنب ثابت إليك معه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عل فاستغنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته في ضياء النهار أو سواد الليل في ملأ أو خلا وسرا أو علانية يا حليم. اهـ. يقرأ في الصباح والمساء بقدر الطاقة.

ومن أوراده العظيمة التي يذكرها في الصباح والمساء المسبعات العشرة المعلومة عند الخاصة والعامة وهي: الفاتحة مع البسملة سبعا ثم المعوذتان مع البسملة سبعا سبعا ثم الاخلاص مع البسملة سبعا ثم الكافرون مع البسملة سبعا ثم آية الكرسي سبعا ثم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر و حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما علم وملء ما علم وزنة ما علم سبعا ثم اللهم صلّ على سيدنا مُحَمَّد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وحبه وسلم سبعا ثم اللهم اغفر لي ولوالدي وللمومنين والمومنات والمسلمين

والمسلمات الأحياء منهم والأموات سبعا ثم اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا

والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهل أنت غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبعا. إنتهى.

ومن أوراده رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به ما ورد في صحيح البخاري وهو: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق. اهـ. بقدر طاقة وسيدنا رضي الله تعالى عنه يأمر به عند النوم.

ومن أوراده دبر الصلوات الفاتحة أربعا ثم آية الكرسي مرة ثم اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الارض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو إلى آخرها ثم يضع يده على عينه ويقرأ سورة الاخلاص مرة ثم يضعها على صدره ويقرؤها ثم أعوذ بكالمات الله التامات من شر ما خلق بسم الذي لا يضر مع إسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثا ثم تبارك الهى من الدهر إلى الدهر وتعاليت الهى من الدهر إلى الدهر وتقدست الهى من الدهر إلى الدهر وأنت ربي ورب كل شيء لا إله إلا أنت ياأكرم ألاكرمين والفتاح بالخيرات إغفر لي ولعبادك الذين آمنوا بما إنزلت على رسلك ثم سبحان تأزر بالعظمة سبحان من تردي بالكبرياء سبحان من تفرد بالوحدانية سبحان من إحتجب بالنور سبحان من قهر العباد بالموت وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى أله وصحبه وسلم تسليما. يذكر جميع ما تقدم بالصفة المذكورة دبر الصلوات.

ومن إوراده آية الكرسي في الصباح والمساء ثم لقد جاءكم رسول إلى أخرها سبعا ثم أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا ثم حزب البحر في الصباح والمساء وكذلك المسبعات العشر في الصباح والمساء كما تقدم ثم يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك السر ويا عظيم العفو ويا حسن التجاوز يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ويا سامع كل نجوى ويا منتهى كل شكوى ويا كريم الصفح ويا عظيم المن ويا مقيل العثرات ويا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها يا ربي ويا سيدي ويا مولاي ويا غاية رغبتي أسالك أن

لا تشوه خلقتي ببلاء الدنيا ولابعذاب النار. أهـ. على قدر الطاقة في الصباح والمساء. وكذلك الاسماء الادرسية بقصد التحصن وكذلك آية الكرسي سبعا بقصد التحصن وآية الحرص وهي

لقد جاءكم سبعا بقصد التحصن في الصباح والمساء وكذلك السيفي للتحصن مرة في الصباح والمساء ثم لا إله إلا الله يا دافع يا مانع يا حفيظ يا حكيم مائة مرة في الصباح والمساء.

ومن أوراده دعاء ذكره أبو طالب في قوة القلوب وهو: أنت الله لا إله إلا أنت رب العالمين أنت الله لا إله إلا أنت الحي القيوم أنت الله لا إله إلا أنت العلي العظيم أنت الله لا إله إلا أنت العفو الغفور أنت الله لا إله إلا أنت مبدي كل شيء وإليك يعود أنت الله لا إله إلا أنت لم تلد ولم تولد أنت الله لا إله إلا أنت العزيز الحكيم أنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أنت الله لا إله إلا أنت مالك يوم الدين أنت الله لا إله إلا أنت خالق الخير والشر أنت الله لا إله إلا أنت خالق الجنة والنار أنت الله لاإله إلا

انت الواحد الاحد الصمد أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الاحد الفرد أنت الله لا إله إلا أنت عالم الغيب والشهادة أنت الله لا إله إلا أنت الملك القدوس أنت الله لا إله إلا أنت السلام المؤمن المهيمن أنت الله لا إله إلا أنت العزيز الجبار المتكبر أنت الله لا إله إلا أنت الخالق البارى أنت الله لا إله إلا أنت الاحد المصور أنت الله لا إله إلا أنت الكبير المتعال أنت الله لا إله إلا أنت القادر المقتدر أنت الله لا إله إلا أنت الحليم الكريم أنت الله لا إله إلا أنت أهل الثناء والمجد أنت الله لا إله إلا أنت

تعلم السر وأخفى أنت الله لا إله إلا أنت فوق الخلق والخليقة أنت الله لا إله إلا أنت الجبار المتكبر. أهـ. يذكر مرة في الصباح ومرة في المساء ودبر الصلوات.

ومنها:سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم. أهـ. يذكر في كل وقت من غير حصر بعدد ولأ وقت.

ومنها: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، مائة مرة في كل يوم.

وأما الادعية التي أجراها الله على لسانه فمنها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهم إني أسالك أن تصلي وتسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى أله عدد ما في علمك وأن تعطيني وتعطي فلانا كذا وكذا جمعا أو فردا من كل ما شئت من إبتداء خلقك إلى انتهاء يوم القيامة في كل مقدار طرفة عين لكل واحد على انفراده عشرين فيضة من بحر رضاك وأن تعطي كل واحد في فيضة أوفر حظ ونصيب من كل خير سألك منه سيدنا مُحَمَّد نبيك ورسولك صلى الله تعالى عليه وسلم ما علمتُ من ذلك وما لم أعلم من خيرات الدنيا والاخرة والنجاة من شر استعاذك منه سيدنا مُحَمَّد نبيك

ورسولك صلى الله تعالى عليه وسلم ما علمت من ذلك وما لم أعلم من شرور الدنيا والاخرة ومغفرة جميع ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر في الدنيا والاخرة وأداء جميع تبعاتنا من خزائن فضلك وكرمك لا من حسناتنا والذي في كل فيضة غير الذي في الاخرى وهذا كله غير الذي تقدم وأسالك أن تعطيني وكل واحد منهم جميع ذا وذاك وأن تجيبني وكل واحد منهم في جميع ذا وذاك بمحض فضلك وكرمك. اهـ. وهذا في غير عموم أهل التوحيد.

وأما في عمومهم فتصل فيه إلى خيرات الدنيا والاخرة فقط ولا تزيد النجاة، ثم تتمادى على الدعاء وتقول والذي في كل فيضة غير الذي في الاخرى لأن الدعاء بما بقى لعموم أهل التوحيد دعاء بما علم أن الله تعالى لا يفعله، فهو كمن يسال من الله تعالى النبوة والرسالة بعد نبينا سيدنا مُحَمَّد ﷺ، فهو إذا لم يكن كافرا لم يبعد من الكفر لأن الله عز وجل مضى حكمه بذلك وأخبرنا به وان من سال الله تعالى مناقضة ما مضى به حكمه كان داخلا في الكفر به لأنه سأل من الله جورا وهو قدوس عن الجور فهو يريد من الله عز وجل
أن لا يكون قدوسا لكون ما مضى به حكمه هو عين العدل ونقيضه عن الجور. وهذا الدعاء فيه ثلاث مراتب: مرتبة لجميع الموحدين، ومرتبة لنفس الداعي ومن أراد تخصيصه، ومرتبة لجميع من أحسن إليه أو كان بينهما محبة أو كان له حق عليه. فمن أراد الدعاء بمرتبة من المراتب الثلاث فليركّب لكل واحد ما يناسبه من المطالب، فأفهم.
ومن أدعيته رضي الله تعالى عنه لجميع المطالب ونصه: اللهم إني أسألك بما وارته حجب جلالك من سبحات وجهك التي لو ظهرت للوجود لتدكدك الوجود وانحرف وصار محض العدم فأسالك بتلك السبحات وجلالتها وعظمتها أن تصلي وتسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى أل سيدنا مُحَمَّد وأن تعطيني كذا وكذا ويسمى حاجته. أهـ.
ومن أدعيته رضي الله تعالى عنه وأرضله وعنا به حزب التضرع والابتهال وقرع باب الملك المتعال.

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به تقرأ الفاتحة سبعا بالبسملة والتعوذ مرة ثم صلاح الفاتح لما أغلق مرة ثم تقول: إلهي وسيدي ومولاي هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه وعصيانه وسوء فعله وعدم مراعاة آدبه حالي لا يخفي عليك وهذا ذلي ظاهر بين يديك ولا عذر لي فأبديه لديك ولا حجة لي في دفع ما ارتكبته من معاصيك وعدم طاعتك وقد ارتكبت ما ارتكبه غير جاهل

بعظمتك وجلالك وسطوة كبريائك ولا غافل عن شدة عقابك وعذابك وقد علمت أني متعرض بذلك لسخطك وغضبك ولست في ذلك مضادا لك ولا معاندا ولا متصاغرا بعظمتك وجلالك ولا
متهاونا بعزك وكبريائك ولكن غلبت عليّ شقوتي وأحدقت بي شهوتي فارتكبت ما ارتكبت عجزا عن مدفعة شهوتي فحجتك عليّ ظاهرة وحكمك نافذ وليس لضعفي من ينصرني منك غيرك وأنت العفو الكريم والبر الرحيم الذي لا تخيّب سائلا ولا ترد قاصدا وأنا متذلل لك متضرع لجلالك مستمطر جودك ونوالك مستعطف لعفوك ورحمتك فأسألك بما أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك ومجدك ومرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك أن ترحم ذلي وفقري وتبسط رداء عفوك وسلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساوئ والمخالفات وعلى
كل ما فرّطت فيه من حقوقك فإنك أكرم من وقف ببابه السائلون وأنت أوسع مجدا وفضلا من جميع من مدت إليه ايدي الفقراء المحتاجين وكرمك أوسع ومجدك أكبر وأعظم من أن يمد إليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه فترده خائبا فاغفر لي وارحمني واعف عني فإنما سألتك من حيث انت لاتّصافك بعلو الكرم والمجد وعلو العفو والحلم والحمد إلهي لو كان سؤالي من حيث أنا لم أتوجه إليك ولم أقف ببابك لعلمي بما أنا عليه من كثرة المساوئ والمخالفات فلم يكن عزائي في ذلك إلا الطرد واللعن والبعد ولكن سألتك من حيث أنت معتمدا

على ما أنت عليه من صفة المجد والكرم والعفو والحلم لما وصفت به نفسك من الحياة على لسان رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم أن تمد إليك يد فقيرة فتردها صفرا وأن ذنوبي وإن عظمت وأربت عن الحصر والعد فلا نسبة لها في سعة كرمك وعفوك ولا تكون نسبتها في كرمك مقدار ما تبلغ هبئة من عظمة كورة العالم فبحق كرمك وعفوك وحلمك اللاتي جعلتهن وسيلة في استمطاري لعفوك وغفرانك أعف عني واغفرلي بفضلك وعفوك وإن كنت لست أهلا لذلك فإنك أهل أن تعفو عمن ليس أهلا لعفوك وكرمك فأنت أهل أن تمحو في كل طرفة عين جميع ما لمخلوقاتك من
جميع المعاصي والذنوب يا مجيد يا كريم يا عفو يا رحيم يا ذا الفضل العظيم والطول الجسيم.

أهـ. ثم صلاة الفاتح مرة. ثم قال رضي الله تعالى عنه:وآكد التوجه به الثلث الأخير من الليل فإنه وقت يبعد فيه الرد من الله تعالى، وينبغي أن يدعو به في أوقات الاجابة المعلومة، وأن يجمع همته، فقد قال سيدنا رضي الله تعالى عنه: همة الانسان قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت في طلبه على الجادة المستقيمة بحيث لا ينالها في طلبه سآمة ولا رجوع عنه ولم تصعب عليها صعوبة طلبه ولم ينالها شك ولا تردد في نيله بل كانت
باعتقاد أن تناله أو تموت في طلبه إتصلت بمطلوبها ولو كانت وراء العرش.
ومن أذكار الطريقة التي هي مكفّرة للذنوب هذا الاستغفار وهو: اللهم أني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك فيه وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ فتقويت بها على معاصيك وأستغفرك الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته ولكل معصية ارتكبها ولكل ذنب أحاط به علم الله. اهـ.

ومن ذكار الطريقة التي تثمر تعلق القلب بالله تعالى بالانحياش إليه والرجوع إليه وترك كل ماسواه عموما وخصوصا هذا الدعاء يلازم بعد كل صلاة ثلاثا أو سبعا ثم يمر به على قلبه في غير الصلوات ويحمل نفسه عليه حتى يصير له ذلك حالا وهو: اللهم عليك معولي وبك ملاذي وإليك التجائي وعليك توكلي وبك ثقتي وعلى حولك وقوتك اعتمادي وبجميع مجاري أحكامك رضائي وبإقراري بسريان قيومتك في كل شيء وعدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوتي. اهـ.
فإذا داوم عليه كلّما رأى من أحوال النفس ما لا يطابق هذا الدعاء ذكّر نفسه بمعاني هذا الدعاء وصبر نفسه على حمله سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى برفض كل ما سواه، وهذا باب كبير من العلم يعلمه من ذاق أدنى شيء من علم الرجال ويعلم قدره فلا تهمله.
ومن أذكار الطريقة التي يتضرع بها العبد إلى مولاه هذا الدعاء وهو: إلهنا أنت المحرك المسكن لكل ما وقع للوجود من الخيرات والشرور في حكمك الحل والعقد لجميع الامور وبيدك وعن مشيئتك تصاريف الأقدار والقضاء المقدور وأنت تعلم بعجزنا وضعفنا وذهاب حولنا وقوتنا عن تباعدتنا مما يحل بنا من الشرور وعن اتصلنا بما نريد الوقوع فيه من الخيرات أو ما يلائم أغراضنا في جميع الامور وقد وفقنا ببابك والتجأنا لجنابك ووقفنا على أعتبابك مستغيثين بك في صرف

ما يحل بنا من الشرور وما ينزل بنا من الهلاك مما يجري به تعاقب الدهور مما لا قدرة لنا على تحمله ولا قوة بنا على طلبه فضلا عن وجله وأنت العفو الكريم والمجيد الرحيم الذي ما استغاث بك مستغيث إلا أغثته ولا توجه إليك مكروب يشكو كربه إلا فرجته ولا ناداك ذو ضر من أليم بلائه إلا عافيته ورحمته وهذا مقام المستغيث بك والملتجئ إليك

فارحم ذلي وتضرعي بين يديك وكن لي عونا وناصرا ودافعا لكل ما يحل بي من المصائب والأحزان ولا تجعل عظائم ذنوبي حاجبة لما ينزل إلينا من فضلك ولا مانعة لما تتحفنا به من طولك وعاملنا في جميع ذنوبنا بعفوك وغفرانك وفي جميع زلاتنا وعثراتنا برحمتك وإحسانك فإنّا لفضلك راجون وعلى كرمك معولون ولنوالك سائلون ولكمال عزك وجلالك متضرعون فلا تجعل حظنا منك الخيبة والحرمان ولا تنلنا من فضلك الطرد والخذلان فإنك أكرم من وقف ببابه سائلون وأوسع مجد من كل من طمع فيه الطامعون فإنه لك المن الأعظم والجناب الأكرم وأنت أعظم

كرما وأعلى مجدا من أن يستغيث بك مستغيث فترده خائبا أو يستعطف أحد نوالك متضرعا إليك فيكون حظه منك الحرمان لا إله إلا أنت يا علي يا مجيد ياكريم يا واسع الجود يا بر يا رحيم. اهـ. تكرر من قولك لا إله إلا أنت الخ عشرين مرة وتقرأ صلاة الفاتح قبل الشروع في الدعاء عشر مرات وعشر مرات بعد الفراغ منه، فإن المداوم على هذا الدعاء في كل ليلة سبعا أو خمسا أو ثلاثا يجد التيسير في جميع الأمور والخلاص في كثير من الشرور.

والمداومة عليه في كل ليلة سبعا أو خمسا أو ثلاثا تدفع كثيرا من المصائب والأحزان، وإن تحتّم نزولها نزل به لطف عظيم فيها. اهـ.

وأما كيفية التوسل به ﷺ وبجدّه صلى الله تعالى عليه وسلم فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصلّ على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح مائة مرة وأهد ثوابها لرسول الله ﷺ بنية الحاجة التي تريدها ثم تقول: يا ربّ توسلت إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا مُحَمَّد ﷺ في قضاء الحاجة التي أريدها مائة مرة ثم تقول

اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بجاه القطب الكامل سيدي أحمد بن التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا وتسمي حاجتك بعينها عشرا ثم تصلي على رسول الله صلى عليه وسلم بصلاة الفاتح مرة ثم تقول: اللهم أعطيني كذا وكذا وتسمي حاجتك بعينها ثم تصلي على رسول

الله ﷺ بصلاة الفاتح أيضا ثلاثا. اهـ.

وأما كيفية الإستخارة، فإنك تصلي ركعتين بالفاتحة والكافرون والإخلاص فإذا سلمت فاقرأ الفاتحة مرة ثم الإخلاص مرة ثم صلاة الفاتح مرة ثم دعاء الإستخارة المشهور وهو: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فأصرفه عني وأصرفني عنه وقدر لي الخير حيث كان ثم رضّني به، وتسمى حاجتك. فإذا أكملت الدعاء فصلّ بصلاة الفاتح مرة واحدة ثم أعد الدعاء ثم صلّ على النبي ﷺ بصلاة الفاتح مرة وافعل هكذا حتى تكمل الدعاء مخللا بصلاة الفاتح. فإذا أكملت سبعا على الوصف المقدم فاقرا الإخلاص ثلاثا ثم أعد الركعتين ثانيا بالوصف المتقدم من أوله إلى آخره ثم أعدهما ثالثا كذلك، وقد تم العمل. اهـ.عن شيخنا رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ مشافهة. ولا يقع بعد هذا الإستخارة إلا الخير التام، والسلام، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

وأما كيفية استشارته رضي الله تعالى عنه فإنه قال ﷺ وأرضاه وعنا به: من أراد أن يشاورني وكان بيني وبينه بعد فليصلّ على النبي ﷺ مائة مرة ثم يذكر حاجته وهو مشخص نفسه بين يدي، فالجواب ما يقع في قلبه. إنتهى.

ونقل عنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به دعوة " يا حي ويا قيوم "، وكيفيتها أن تقرأ هذين الإسمين ألف مرة وبعد ذلك تقرأ الدعاء ثلاث مرات أو سبع مرات وتدعو بعد ذلك بما تريد من تسيير رزق أو فهم سر أو غير ذلك مما لله تعالى فيه رضا، وهذا هو الدعاء المبارك: اللهم يا حي ويا

من نسبت له الحياة ولا منسوب لغيره مما نسبه إلى نفسه تعاظمت سبحانك أسماؤك وتنزهت عن المسيمات وتعظمت ذاتك عن المثال والشريك والنظير والصاحبة والوزير فإنك الحق أبدا والصمد في حياتك الأبدية فانبسطت الحياة من حياتك أنت الباقي فلك البقاء الدائم بعد فناء المخلوقين وكمالك البقاء ولعبادك الفناء فأمرك يا إلهي نافذ وحكمك ليس له معاند فقد ذهبت الأفراد وانهزمت الأنداد وانقمعت الملحودون بوجود بقائك في ديمومية حياتك يا حي ويا قيوم

أسألك بهذه الحياة الأبدية أن تحيني حياة موصولة بالنعم وأحيني بين العلم حياة يكون بها مدد وسعه وأسعدني بتوفيق من رقائق إسمك الحي القيوم وحفني برقيقة من رقائق إسمك الله الحي القيوم حتى تمحو عني الشقاء وتدخلني دائرة السعداء يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب يا حي يا قيوم يا من قامت السموات والارض بأمره يا من قيوميتة قائمة بأهل السموات والارض في الطول والعرض وبما لا نعلمه وبما أنت أعلم به يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

ومنها: اللهم إني أسألك بعظمة الألوهية وبأسرار الربوبية وبالقدرة الأزلية وبالقوة والعزة السرمدية وبحق ذاتك المنزهة عن الكيفية والشبيهية وبحق النور المطلق والبيان المحقق والحضرة الأحدية والحضرة السرمدية والحضرة الإلهية اللهم إني أسألك بسطوة الألوهية وبثبوت الربوبية وبعزة الوحدانية وبقدم الكينونة وبقدس الجبروتية وبدوام الصمدية وبحق ملائكتك أهل الصفة الجوهرية وبحق عرشك الذي تغشاه الأنوار وبما فيه من الأسرار وأسألك اللهم باسمك القديم الأزلي وهو الله الله الله أنت الله العظيم الأعظم الذي خضعت له
السماوات والأرض والملك والملكوت والجبروت أن تعينني وتمدني بعزة من قهرمان جبروتك وأسألك اللهم باسمك الفرد الجامع لمعاني الأسماء كلها أسماء الذات وأسماء الصفات الذي لا يشبهه كل اسم في تأثيره وهو الله الله الله سميت به ذاتك ولم يسم به أحد غيرك مدني بقوة منه تأخذ بها الأرواح والانفاس وتتصرف به في المعاني والحواس اللهم إني أسألك باسمك الله الله العظيم الأعظم الكبير الأكبر الذي من دعاك به أجبته ومن سألك به أعطيته وأسألك اللهم باسمك الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم إلا ما قضيت
حاجتي يا قدوس يا قدوس قدسني من العيوب والآفات وطهرني من الذنوب والسيئات يا الله ياالله ياالله نوريني بنورك ولا تجعلني ممن تخشى قلوبهم بظلام الظلمات يا رب العالمين اللهم إني أسألك بثبات إسمك وهو الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى الذي هذه الأسماء منه وهو منها اللهم يا من هو هكذا ولا يكون هكذا أحد غيرك اجعلني من المتقين ومن عبادك الصالحين وأوليائك المحسنين إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل فاهدني بنورك إليك أقمني بصدق العبودية بين يديك أسألك

بخفيّ خفيّ لطفك بلطيف لطيف صنعك بجميل جميل سترك بعظيم عظيم عظمتك بسر سر أسرار قدرتك بمكنون مكنون غيبك تحصنت باسمك تشفعت بمحمد رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم واللهم أجذبني إليك يا سيدي ويا مولاي وارزقني الفناء فيك عني ولا تجعلني مفتونا بنفسي محجوبا بحسي واعصمني في القول والفعل اللهم يا من كسى قلوب العارفين من نور الألوهية فلم تستطع الملائكة رفع رؤوسهم من سطوة الجبروتية يا من قال في محكم كتابه العزيز وكلماته الأزلية أدعوني أستجب لكم اللهم استجب لنا ما ذكرنا وعلمنا وما نسينا استجب لنا دعاءنا فضلا

منك آمين آمين آمين يا من يقول للشيء كن فيكون الله نور السماوات والأرض إلى أن ترفع اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد وأن تفعل بنا يا رب العالمين ما أنت له أهل إنك أهل التقوى وأهل المغفرة إنك على كل شيء قدير يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد كثيرا إلى يوم الدين. أهـ. وكيفية الدعوة: أن تتلو الإسم الشريف وهو اسم الجلالة **44** مرة وعلى رأس كل مرة تتلو الدعوة مرة فيكون الخارج في قراءة الدعوة ألف مرة والاسم **44** مرة. وكيفية التلاوة في السبحة أن تتلو في أصباعك **44** مرة من الاسم وتذكر الدعوة ثم ترسم في السبحة واحد ثم تتلو الاسم ثانيا في أصابعك **44** مرة وتذكر الدعوة عقبه ثم ترسم في السبحة ثانيا وهكذا تفعل حتى تكمل عشرة أدوار في السبحة وقد كملت **44** ألف مرة من الاسم ومن الدعوة ألف مرة ويكون ذلك متواليا ولا يشتغل بشيء دونها ما عدا الفرائض والضروريات وإذا لم تستجب في الأولى تعمل ثانيا وثالثا حتى تستجاب الدعوة وهكذا وردها الأكبر. اهـ.

قلت: وله رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أدعية وأذكار تحوي أسرارا وأنوارا وتوجيهات تكتبت بنور الأحداق لا تكتب في الأوراق وإنما تذكر مشافهة لمن حسن أدبه وفاق. والله سبحانه الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

رماح حزب الرّحيم

الجزء الثاني

تأليف الشيخ الإمام سيدي

عمر بن سعيد الفوتي

فهرس كتاب

فصول الجزء الثاني.

1.في ذكر آداب الذكر وما يراد منه

2. في ذكر فضل شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وبيان أنه هو خاتم الأولياء وسيد العارفين وإمام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث وأنه هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيث لا يتلقن واحد من الأولياء من كبر شأنه ومن صغر فيضا من حضرة النبي إلا بواسطته رضي الله تعالى عنه من حيث لا يشعر به ذلك الولي وحيث كان الأومر هكذا فإياك يا أخي الإنكار على مثل هذا السيد العظيم والإمام الأعظم الكريم قد أجمع أئمة الإسلام والمسلمين وجميع الأولياء والعارفين على أم الاعتقاد ربح والانكار خسران واعلم أنا ما قدمنا لك الفصول التي قدمناها أول هذا الكتاب المبارك وذكرنا فيها ما على المنكرين وأطنبنا فيها بعض الإطناب إلا نصيحة لك وتحذيرا من أن تكون مع السالكيم بالانتقاد إن لم تكن مع الرابحين بالاعتقاد

3. في بيان أن من أعمال البر ما يقتضي غفران الذنوب الكبائر والصغائر وفي بيان جواز مغفرة الله تعالى لعبده جميع ذنوبه الماضية التي فعلها والمستقبلة التي سيفعلها، وأن الولي قد يعلم ولايته وقد لا يعلمها، وقد يعلم أنه مأمون العاقبة.

4.في فضل المتعلقين به رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بأي وجه من وجوه التعلقات وما أعد الله تعالى لهم، وفضل الأذكار اللازمة للطريقة، وما أعد الله لتاليها على الإجمال.

5.في ذكر فضل الأذكار اللازمة للطريقة على التفصيل ودلائلها في الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

6.في ذكر فضائل الأذكار غير اللازمة التي يختص بها الخواص من أهل الطريقة

7. في شرح معاني الأذكار اللازمة للطريقة لأن إحضار القلب عند الذكر مطلوب من الذاكر والحضور لا يمكن إلا بمعرفة معاني الأذكار والحضور هو روح الأعمال واحتياج الذاكر إلى معني ما يذكر إذن أمر ضروري لا محالة وحيث كان الأمر كذلك ينبغي لنا أن نذكر شيئا من معانيها

8. المقاصد التي تبنى عليها الأذكار اللا زمة للطريقة فقط

9. في بيان تسمية طريقتنا هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنفية التجانية.

10.في ذكر الدليل على الخلوات وشرطها المعتبر عند الصوفية

11. في ذكر بعض خلوات هذه الطريقة

12. في الجواب عنه رضي الله تعالى عنه في مسائل متفرقة أخذها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفاها ما من واحدة منها إلا وفيها من الفضل والأسرار ما لا يحيط به إلا مولاه الكريم الوهاب وجده عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام قد يعترض فيها بعض من لا قدم له في العلم ومرادنا تنبيهه على قصور علمه وسوء فهمه لأنها كلها منصوص عليها في مذهب إمامه وغيره من المذاهب وإن كنا قد قدمنا أن أصحاب الفتح الأكابر لا يتقيدون بمذهب من مذاهب المجتهدين بل يدورون مع الحق عند الله تعالى أينما دار

13. في إعلامهم أنه يجب عليهم طاعة المقدمين في إعطاء الورد ويحرم عليهم مخالفتهم.

14.في إعلام المقدمين في إعطاء الورد إذنا صحيحا ممن له الإذن الصحيح عن شيخه المأذون بالتلقين والإرشاد لا سيما من بلغ منهم مرتبة الخلافة باستخلاف من كان خليفة لأنه لا بد لكل من يدعو إلى الله تعالى وكان صادقا في دعواه من الصبر على إساءة إخوانه كما صبر من كان قبله من الدعاة إلى الله تعالى حين أوذوا

15. في أمر الإخوان المنتسبين إلى طرق الله تعالى أن يتحملوا إذاية المنكرين والمعترضين عليهم وعلى ساداتهم الأولياء اقتداء بأنبياء الله تعالى ورسله والتأسي بهم

16.في إعلامهم خصلة تسهل لهم صحبة الخلائق أجمعين

17. في إعلامهم أنه ينبغي لكل إنسان أن يجتهد في خلاص نفسه ويشمر ويقوم بساق الجد والاجتهاد في عبادة ربه ولا يعوقه عنها عائق ولا يشغله عنها شاغل من أهل ووالد وولد ووطن وصديق وداروعشيرة ومال وغير ذلك مما يعوق عن الإقبال على الله والإدبار عما سواه ولو أداه ذلك إلى مفارقة الأوطان بل وضرب الأعناق

بالهجرة والجهاد وإعلاهم أن الهجرة واجبة في هذا الزمان على كل من كان في بلد تعمل في المعاصي جهارا من غير مبالاة بها ولا يمكنه تغيير ذلك كما تجب الهجرة من بلاد الكفار ولكنها قسمين كبرى وصغرى فالكبرى هي المعنوي التي في القلوب والصغرى هي الحسية التي تشغل

بالأبدان وها أنا أبين الهجرتين كليهما مع تبيين الجهاد الأكبر وأما الجهاد الأصغر فلا أتعرض له لظهوره زأبدأ بالجهاد والهجرة الأكبرين وبعد الفراغ منهما أبين الهجرة الصغرى ولكني أمهد مهادا يعلم به من سيقف عليه بطلان قول من يقول: أن الهجرة قد انقطع
وجوبها واستدل على ذلك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم:" لا هجرة بعد الفتح " أه
18. في ذكر الأسباب الموجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل الطارئة على هذه الأمة المحمدية من غير شعور لأكثرهم وهي منحصرة في ثلاثمائة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل
19. في إعلامهم أنه يجب على كل مكلف يريد أن يخلص نفسه من سخط الله تعالى وغضبه وأن يفوز برضاه وأن يبادر إلى التوبة النصوح وأنها مقبولة قطعا إذا صحت باستكمال شروطها وآدابها
20. في بعض كلامه ووصاياه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به ونذكرها في هذا الفصل تبركا بها والاستفادة منها واستمدادا من نفحاته الشريفة وبركاته المنيفة لعل الله تعالى يرزقنا حظا وافرا بجاهه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وجاه جده ﷺ
21.

الفصل الفصل الخامس والثلاثون

في ذكر آداب الذكر وما يراد منه

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن للذكر آدابا لابد من مراعاتها، ثم اعلم أن المراد من الذكر تحقيق الأنس بالله تعالى والوحشة من الخلق، وآدابه اثنان وعشرون: خمسة منها سابقة على التلفظ بالذكر أولها النوبة وحقيقتها ترك ما لا يعنيه قولا وفعلا وإرادة، والثاني أن يكون على طهارة كاملة من حدث وخبث، والثالث السكوت والسكون، والرابع أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر همة شيخه ويستحضره ويلاحظه ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب، ولو نادى شيخه بلسانه
بالاستغاثة عند الاحتياج جاز، قال الشيخ جبريل الخرماباذي قدس الله سره العزيز: فإذا ابتدأ

بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمد منه إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية، وقلب النبي ﷺ دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية، فالذاكر إذا تصور شيخه واستمد من ولايته تفيض الامدادات من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ﷺ ثم تفيض من قلب سيد المرسلين ﷺ على قلوب المشائخ على الترتيب حتى ينتهي إلى شيخه، ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على استعمال الآلة أي

الذكر إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يورث ويقع محصلا للغرض وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر، قال ﷺ: " الذكر سيف الله" ولكن أين للسيف ضرب إلا بقوة مستفادة من حضرة نبي السيف فإذا استمد من شيخه جاءه المدد ليقوله تعالى: {وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر}، الخامس أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه، واثنا عشر منها في حال الذكر أولها الجلوس على مكان طاهر متربعا أو كجلوسه في صلاة مستقبل القبلة إن كان

وحده وإن كانوا جماعة فيتحلقون، وفرق بعض المتأخرين بين المبتدي والمنتهي فقال: إن المبتدي يكون جلوسه كجلوسه في الصلاة والمنتهي يكون متربعا، الثاني أن يضع راحتيه على فخذيه، والثالث تطييب مجلس الذكر والبدن والفم وبعد الرائحة الكريهة لأن مجالس الذكر لا تخلو عن الملائكة وعن مؤمني الجن، والروحانيون لا يقبلون الرائحة الكريهة فبانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد كما هو مشاهد بالذوق، والرابع ليس اللباس الطيب حلا ورائحة، والخامس أن يكون المكان مظلما حتى أن لو كان هناك سراج أطفأه إن كانوا في خاصة أنفسهم

وهذا إن أمكن المكان المظلم، والسادس تغميض العينين لأنه أسرع في تنوير قلبه، فبتغميض عينيه ينسد عليه طرق الحواس الظاهرة، وانسداد الحواس الظاهرة سبب لفتح حواس القلب، والسابع أن يخيل خيال شيخه بين عينيه وهذا آكد الآداب، والثامن الصدق وهو استواء السر والعلانية، والتاسع الإخلاص وهو تصفية العمل من كل شوب بأن يفرغ قلبه عما سوى الله تعالى حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ولا ثوابا ولا ترقيا وإنما يذكر الله تعالى حبا في الله كما قال:

أحبك لا لي بل لأنك أهله *** ومالي في شيء سواك مطامع وبالصدق والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصديقية وهي أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه، وإن لم يظهره كان خائنا والله لا يحب الخائنين، والعاشر أن يذكر بهمة تامة ويميل برأسه إلى الجهة اليمنى

بلا ويرجع باله إلى جهة يساره وبلا الله إلى جهة القلب وهي اليسار تحت الثدي الأيسر ويقتطفها من سرته إلى قلبه حتى تنزل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الرديئة ويخفف ويمد الألف مدا طبيعيا أو أكثر ويفتح الهاء من إله ويسكن الهاء من الله، قال الشيخ يوسف العجمي رحمه الله تعالى: قد اعترض بعض الفضلاء على الذكر بالجهد مستدلا

بقوله تعالى: {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة} وقوله ﷺ: " خير الذكر ما خفي " وأجاب الشيخ يوسف المذكور فقال: إن الله تعالى خاطب عباده بمثل قوله {أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت} وخاطب الخاصة بقوله {أفلا يتدبرون القرآن} وخاطب سيد أهل الحضرة مُحَمَّدا ﷺ بعد أن عرفه بنفسه وبربه بقوله {واذكر ربك في نفسك} فمن لا يعرف نفسه ولا ربه فكيف يذكر ربه في نفسه بل هم المخاطبون بقوله تعالى {واذكروا الله ذكرا كثيرا} وأما الذكر الخفي فهو ما خفي عن عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت وهو أيضا
خاص به وبمن له إسوة وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل: لو أن هذا خفض صوته فقال النبي ﷺ دعه فإنه أواه والأواه الرقيق القلب [وروى] أن الناس كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر فإذا خفيت أرجل إليهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن قووا الذكر أي ارفعوا أصواتكم قال الشيخ يوسف المذكور والجمع بين الآية والحديث السابقين اللذين استدل بهما وبين الحديث والاثران الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع
الصوت بالذكر بالقوة وأما إذا كان الذاكر وحده فإن كان من الخواص فالأولى في حقه الإخفاء وإن كان من العوام فالأولى في حقه رفع الصوت. والحادي عشر إحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة ويصغي حال الذكر بقلبه مع كل مستحضرا للمعنى حتى كان قلبه هو الذاكر وهو يسمعه. والثاني عشر نفي كل موجود من القلب سوى الله تعالى بلا إله إلا الله ليتمكن تأثير لا إله إلا الله بالقلب ويسري إلى الأعضاء.

وخمسة بعد الفراغ من الذكر، الأول أنه إذا ختم سكت وسكن واستحضر الذكر لإجرائه على قلبه مترقبا لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد في لمحة ويغمره وجوده في لحظة ما لا تغمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة، وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو سخاء أو كشف أو محبة أو غير ذلك، فإذا سكت وسكن وكتم نفسه مرارا دار الوارد في جميع عوالمه فيجب عليه

التمهل حتى يتمكن وإلا ذهب، والثاني مراقبة الله تعالى حتى كأنه بين يديه، والثالث أن يجمع حواسه بحيث لا تتحرك منه شعرة كحال الهرة عند اصطياد الفأر، والرابع
يزم نفسه مرارا حتى يدور الوارد في جميع عوالمه لأنه أسرع لتنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشياطين لأنه إذا زم نفسه وعطل حواسه وصار يشبه الميت والشيطان لا يقصد الميت، والخامس عدم شرب الماء إثر الذكر ولا في أثنائه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات والشوق والتهييج إلى المذكور وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة وأقل ذلك أن يصبر نحو نصف ساعة فلكية، وكلما كثر كان أحسن، حتى أن الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية اهـ ملخصا من الوصايا القدسية وتحفة الإخوان والخلان والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الفصل السادس والثلاثون

في ذكر فضل شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وبيان أنه هو خاتم الأولياء وسيد العارفين وإمام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث وأنه هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيث لا يتلقن واحد من الأولياء من كبر شأنه ومن صغر فيضا من حضرة النبي إلا بواسطته رضي الله تعالى عنه من حيث لا يشعر به ذلك الولي وحيث كان الأومر هكذا فإياك يا أخي الإنكار على مثل هذا السيد العظيم والإمام الأعظم الكريم قد

أجمع أئمة الإسلام والمسلمين وجميع الأولياء والعارفين على أم الاعتقاد ربح والانكار خسران واعلم أنا ما قدمنا لك الفصول التي قدمناها أول هذا الكتاب المبارك وذكرنا فيها ما على المنكرين وأطنبنا فيها بعض الإطناب إلا نصيحة لك وتحذيرا من أن تكون مع السالكيم بالانتقاد إن لم تكن مع الرابحين بالاعتقاد
فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أنه ينبغي لنا أن نورد هنا كلا من قبل الشرع في هذا الفصل الذي نريد الشروع فيه لأن بعض من لم يكن له في العلم ولا في نفحات أهل الله من خلاق قد يورد علينا إيرادين أولهما أنه يقول: الشيخ رضي الله تعالى عنه

وأرضاه مدح نفسه وزكاها وذلك مذموم ثانيهما أمه يقول أن قول الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق

على جميع الخلائث من نشأة العالم إلى النفخ والصور ويدخل فيه جميع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فيكون أفضل من جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وذلك باطل، وكذا قوله ﷺ وأرضاه وعنا به لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور وكذلك قوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إذا جمع الله تعالى خلقه في الموقف ينادي مناديا على صوته يسمعه كل من في الموقف يا أهل المحشر هذا إمامكم الذي كان مددكم منه وكذا قوله ﷺ وأرضاه وعنا به: روحه ﷺ وروحي

هكذا مشيرا بإصبعيه السبابة والوسطى، روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورحي تمد العارفين والأقطاب والأولياء من الأزل إلى الأبد وكذا قوله ﷺ وأرضاه وعنا به: قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور وكذا قوله ﷺ وأرضاه وعنا به: إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه من كبر شأنه ولا من صغر وأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا وكذلك قوله رضي الله تعالى عنه

وأرضاه وعنا به: أعمار الناس كلها ذهبت مجانا إلا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق فقد فازوا بالربح دنيا وأخرى ولا يشغل بها عمره إلا السعيد. فيقول المعترض: هذه الأقوال تقتضي تفضيله هو وأهل طريقته على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فالجواب والله تعالى الموفق بمنه للصواب: أن الإيراد الأول غير وارد لأن هذا كما قال الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في الصواعق على النواعق ليس من باب الافتخار ولا تزكية النفس بل لهم في هذا وجهان أحدهما أن هذا من باب التعريف بحاله إذا جهل مقامه قال النووي في الأذكار من باب مدح الإنسان مدحه وذكر محاسنه: اعلم أن ذكر محاسنه فردان مذموم ومحمود فالمذموم أن يذكره للافتخار ولإضهار الارتفاع وشبه ذلك والمحبوب أن يكون فيه مصلحة دينية وذلك بأن يكون آمرا بالمعروف أو ناهيا عن المنكر أو ناصحا او مشيرا بالمصلحة أو معلما أو مؤدبا أو واعضا أو مذكرا أو مصلحا بين اثنين أو يدفع عن نفسه أو نحو ذلك فيذكر محاسنه ناويا

بذلك أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله واعتماد ما يذكره وأن هذا الذي أقوله لا تجدوه عند غيري فاحتفظوا به فقد جاء في مثل هذا كثير من النصوص كقول النبي صلى الله عليه

وسلم: " أنا النبي لا كذب أنا سيد ولد آدم ولا فخر أنا أول من تنشق عنه الأرض ويدخل الجنة وأنات أعلمكم بالله وأتقاكم له أبيت عند ربي " الحديث، وأشباه هذه كثيرة وقاتل يوسف عليه الصلاة والسلام {اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم} وقال شعيب ستجدني إن شاء الله من الصالحين وقال عثمان ﷺ حين حصر كما رويناه في صحيح البخاري ومسلم قال: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال من حفر رومة فله الجنة أنا حفرتها وصدقوه فيما قال وروينا في صحيحيهما عن سعد بن أبي وقاس ﷺ أنه شكى أهل
الكوفة إلى عمر بن الخطاب ﷺ وقالوا لا يحسن الصلاة فقال سعد والله إني أول من رمى بسهم في سبيل الله ولقد كنا نغزوا مع رسول الله صلى الله عنليه وسلم وذكر تمام الحديث وروينا في صحيح مسلم عن علي ﷺ أنه قال: والذي برأ النسمة إنه لعقد رسول الله ﷺ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق وروينا في صحيح مسلم عن أبي وائل قال: خطبنا عبد الله بن مسعود ﷺ وقال: والله لقد أخذت من رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة ولقد علم أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أني لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم ولو أعلم أحدا أعلم مني لرحلت إليه وروينا ي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن الدية فقال: على الخبير سقطت يعني نفسه وذكر تمام الحديث ونضائر هذا كثيرة لا تنحصر كلها محمولة على ما ذكرنا آخر كلام النووي. وقال صاحب الكشاف عند قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: {قال لا ياتيكما طعام ترزقانه إل نبأتكما بتاويله ذلك مما علمني ربي} الآية، فيه أن العالم إذ جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده لم يكن من باب التزكية وقال أيضا في

موضع آخر: لا تذم التزكية إذا كانت لغرض صحيح في الدين وطابقت الواقع بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له اعدل في القسمة: " ومن يعدل إذا لم أعدل " وقوله: " والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض " واستدل لذلك بما أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: ألست أحق الناس ألست أول من أسلم ألست صاحب كذا.

وبما أخرجه ابن أبي شيبة عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أنه قيل له وهو محصور: إن فلانا ذكر كذا وكذا قال عثمان: ومن أين وقد اختبأت عند الله تعالى عشرا إني لرابع الإسلام وقد زوجني رسول الله ﷺ ابنته ثم ابنته وقد بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه فما مسست بها ذكري ولا تغنيت ولا سببت ولا شربت خمرا في جاهلية ولا إسلام وقال رسول الله ﷺ: " من يشتري هذه التربة ويزيدها في المسجد له بيت في الجنة " فاشتريتها وزدتها في المسجد.

وبما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال على منبره: وأنى أنا فقأت عين الفتنة ولولم أكن يكم لقوتل فلان وفلان وأهل النهروان وأيم الله لولا أن تتكلموا وتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق لكم على لسان نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال: سلوني فإنكم لا تسألون عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا حدثتكم به.

وبما أخرجه ابن أبي شيبة عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال على المنبر: أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ وأنا الصديق الأكبر لم يقلها أحد قبلي ولا يقولها أحد بعدي إلا كذاب مفتر ولقد صلت قبل الناس سبع سنين. وبما أخرجه ابن أبي شيبة عن زيد بن يشع قال: بلغ علينا أن أناسا يقولون فيه فصعد المنبر فقال: أنشد الله رجلا سمع من النبي ﷺ شيئا إلا قام فقام نفر فقالوا: نشهد أن رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وبما أخرجه ابن سعد في الطبقات عن مُحَمَّد بن المرتفع قال: سمعت ابن الزبير يقول: يا معشر الحجاج سلوني فعلينا كان التنزيل ونحن حضرنا التأويل. وبما أخرجه ابن سعد عن سعيد بن عبد الرحمن عن أبيه قال تفاخر قوم من قريش فذكر رجل ما عنده فقال معاوية للحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: ما يمنعك من القول فما أنت بكليل اللسان قال: ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة الأولى محضها ولبابها ثم قال: فيم الكلام وقد سبقت مبرزا *** سبق الجياد من المدى المتنفس وبما اخرجه ابن سعد عن أبي عون قال: فخرت عائشة على صفية فقال رسول الله ﷺ:" ألا قلت أبي هارون وعمي موسى " عليهما السلام. ورأيت في مجموع شيخنا الإمام تقي الدين الشمني رحمه الله تعالى قال: نقلت من خط الشيخ كمال الدين الدميري فقال: نقلت من خط كمال الدين بن هشام قال: رأيت بخط الشيخ جمال الدين بن مالك

رسالة إلى الملك الظاهر بيبرس صورتها: من الفقير إلى رحمة ربه مُحَمَّد بن مالك ينهي إلى السلطان أيد الله جنوده وابد سعوده أنه أعلم أهل زمانه بعلوم القرآن والنحو واللغة وفنون الأدب وسرد باقي القصة.

وقال أبن رشيق في عمدته: لا يحسن مدح الإنسان نفسه في غير الشعر إلا منافرة. الوجه الثاني أن هذا من باب التحدث بنعمة الله شكرا وامتثالا لقوله تعالى: {وأما بنعمة ربك فحدث}
وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: {وأما بنعمة ربك فحدث} قال: إذا أصبت خيرا فحدث إخوانك.
وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في رواية المسند والبيهقي شعب الإيمان عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر " وأخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي نصر قال: كان المسلمون يرون ان من شكر النعمة أن يحدث بها.
وأخرج البيهقي عن الجريدي قال: كان يقول أن تعداد النعم من الشكر. واخرج البيهقي عن يحيى بن سعيد قال: كان تعداد النعم أن يحدث بها. وأخرج عن سعيد بن منصور في سننه عن عمر بن عبد العزيز قال أن ذكر النعمة شكر.
وأخرج البيهقي عن أبي الحاوري قال: جلس الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذاكران النعم يقولان: أنعم الله تعالى علينا في كذا أنعم الله تعالى علينا في كذا.واخرج ابن أبي شيبة عن أبي صالح كان عمر بن ميمون إذا لقي الرجل من إخوانه قال: رزق الله تعالى البارحة من الصلاة كذا وكذا ورزق الله تعالى البارحة من الخير كذا وكذا.
وقد عرف العلماء الشكر بأنه اعتقاد بالجنان وذكر باللسان وعمل بالأركان وأنشدوا على ذلك أفادتكم النعماء مني ثلاثة*** يدي ولساني والضمير المجبا وقال هنا العلامة الشيخ شمس الدين بن القيم: الشيء الواحد تكون صورته واحدة وينقسم إلى محمود ومذموم فمن ذلك التحدث بالنعمة شكرا والفخر بها، فالأول المقصود به إظهار فضل الله تعالى وإحسانه ونعمته وإفشاؤها وفيه حديث:" التحدث بالنعمة شكر وكتمها كفر ".

ومما أورده ما أخرجه ابن سعد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: فضلت على نساء النبي صلى اله عليه وسلم وبعشر قيل ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكرا قط غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله تبارك وتعالى براءتي من السماء وجاء جبريل

بصورتي من السماء في حريرة وقال: تزوجها فإنها امرأتك وكنت أغتسل أنا وهو في إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بواحدة من نسائه غيري وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري وقد ينزل عليه الوحي وهو معي ولم ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري وقبض الله تعالى نفسه وهو بين سحري ونحري ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها ودفن في بيتي. وقال ابن عدي في الكامل عن ابن عباس قال: قال سعد بن معاذ ثلاث أنا فيهن رجل وفي ما سوى ذلك أنا واحد من الناس ما سمعت حديثا من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من عند الله تعالى ولا كنت في صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها ولا كنت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول وما يقال لها حتى أنصرف عنها قال ابن عباس: أن هذه الخصال لم أكن أحسبها إلا في نبي وإن سعد المأمون من الفزع.

وأخرج ابن سعد عن عائشة قالت: أعطيت خصالا ما أعطيتهن امرأة ملكني رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين وأتاه الملك بصورتي في كمه فنظر إليها وبنى بي في تسع سنين ورأيت جبريل عليه السلام ولم تره امرأة غيري وكنت أحب نسائه إليه وكان أبي أحب أصحابه إليه ومرض في بيتي فمرضته وقبض ولم يشهده غيري والملائكة.

وفي تذكرة الشيخ تاج بن مكتوم قال سيف الدين بن عبد الله المعروف بابن الأبطش في تاريخه وتوفي سنة أربع وأربعين: ومن عجب الشعر أن مدح النفس مهجن للقائل وإن كان حقا وذلك لأنهم أرادوا تخليد أخبارهم فلا يصلون إلى ذلك إلا بالتدوين ولا ديوان لهم إلا الشعر، وكل من أخبرك عن نفسه بأمر يحتاج إلى معرفته لولا أخباره ما عرفته فليس بقبيح ذكره وإن اتصل بمدحه ولهذه العلة مدحت الأنبياء أنفسها مع تواضعها اهـ وأما الإيراد الثاني فالجواب والله تعالى الموفق بمنه للصواب أن العلماء كما قال جلال الدين السيوطي أيضا في

الكتاب السابق قد افترقوا في مثل هذا فرقتين: فمنهم من جعل ذلك اصطلاحا عرفيا، ومنهم من قال: هو موكول إلى تخصيص العقل وحاصله أنه من العام الذي أريد به الخصوص الذي تعذر بيانه في علم أصول الفقه وذكر لذلك أمثلة وشواهد إلى أن قال: ومنها قوله تعالى: {تدمر كل شيء بأمر ربها} أطبق العلماء على أن هذا من العام المراد به الخصوص لأنها لم تدمر الملائكة ولا العرش ولا الكرسي ولا السماوات ولا الأرض ولا الجبال ولا بقية من كان من البشر سوى عاد، ومنها قوله تعالى: {وأوتيت من كل شيء} أطبقوا على أنه من ذلك وأن المراد

من كل شيء يؤتاه جنسها من الملوك لا من كل شيء على الإطلاق فإنها لم تؤت ما أوتيه سليمان، ومنها قوله تعالى: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم} وقوله تعالى: {أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله} وقوله: {ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس} كلها من العام المراد به الخصوص، ومنها الله خالق كل شيء، أجمعوا على أنها مخصصة بالعقل فإن الذات المقدسة والصفات الشريفة لمولانا جل وعلا غير داخلة في هذه، ومنها قوله تعالى: {كل شيء هالك إلا وجهه} أجمعوا على أنها خصص منها العرش والكرسي والجنة والنار وما فيها

والأرواح أو مؤولة، ومنها قوله ﷺ: "أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهرها أحد" [أخرجه البخاري] وأطبقوا على أن هذا الكلام خاص بمن هو في عالم الشهادة الذين هم بين أظهر الناس دون من هو في عالم الغيب كالخضر وإلياس إن ثبت وجودهما وإبليس ومن عمر من الجان، قال ابن الصلاح في فتاويه: الحديث فيمن يشاهده الناس ويخالطونه لا في من ليس كذلك كالخضر، قال النووي: وقال الحافظ بن حجر في شرح البخاري: الحديث مخصوص بغير الخضر كما خص منه إبليس بالاتفاق، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر" [أخرجه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء] فهذا من العام المراد به الخصوص قطعا لأنه لا سبيل إلى دخوله ﷺ وسائر الأنبياء في هذا العموم ولا الخضر إن سلم وجوده، ومنها ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف قال: حدثنا شريك عن إسحاق عن عاصم بن ضمرة قال: خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما حين قتل علي فقال: يا أهل الكوفة لقد بين أظهركم رجل قتل الليلة لم يسبقه الأولون بعلم ولا تدركه الآخرون، كان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا بعثه في سرية كان جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجعوا حتى يفتح الله عليه. وقال: حدثنا عبد الله بن نمير عن إسماعيل بن أبي خالد عن هبيرة بن مريم قال: سمعت الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه بعد وفاة علي فقال: فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، وهذا الكلام من الحسن بن بنت رسول الله ﷺ من العام المراد به الخصوص قطعا، فإن العقل يخص من لفظ الأولين سيد المرسلين وسائر الأنبياء وجبريل الجائي بالوحي وسائر الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلم يقصد

الحسن بتفضيل أبيه في العلم عن أحد من هؤلاء ولا مساواته معاذ الله بل ولا قصد تفضيله عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، إنما أراد من سوى هؤلاء لا يمتري في ذلك عاقل، وكذلك يخص من قوله: ولا يدركه الآخرون عيسى ابن مريم عليه السلام، وكل هذا موكول إلى تخصيص العقل لا يحتاج إلى التصريح إذ لا يمتري فيه عاقل، وإنما يتوهم دخول مثل ذلك في اللفظ من اشتدت عرانينه في الجهل ولم تكن له خبرة بأساليب الكلام ولا له اطلاع على عبارات العلماء وتحقيقاتهم ولا علم قواعد أصول الفقه وعلوم البلاغة، ومن هو بهذه المثابة لا يلتفت إلى توهماته الفاسدة بل يترك وهذيانه ينعق مع الناعقين بل ينهق مع الناهقين، ومن ذلك قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: ولولا الشعر بالعلماء يزرئ *** لكنت اليوم أشعر من لبيد ولولا خشية الرحمن ربي *** حسبت الناس كلهم عبيدي فهل يتوهم عاقل قط أن عبارة الشافعي هذه يدخل فيها أحد مشايخه كمالك وسفيان ومسلم بن خالد الزنجي، أو من قبلهم كالأوزاعي وأبي حنيفة فضلا عن التابعين فضلا عن الصحابة فضلا عن الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم معاذ الله لا يتوهم هذا إلا جاهل كامل الجهل مختل العقل لم يعلم بشيء من العلم ولا نوّر الله تعالى قلبه بشيء من نور الحكمة. انتهى كلام السيوطي رحمه الله تعالى. وإذا علمت ما تقدم وفهمته علمت أن كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه لا يتوجه إلى الصحابة أصلا رضي الله تعالى عنهم، ومما يؤيد ذلك أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به صرّح بأن الصحابي أفضل من غيره ولو بلغ ذلك الغير ما بلغ في المعرفة بالله تعالى.

وفي جواهر المعاني: وسألته رضي الله تعالى عنه عن تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه وعن القطب من غير الصحابة فأجاب ﷺ بقوله: اختلف الناس في تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه على القطب من غير الصحابة، فذهب طائفة إلى تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه على القطب من غير الصحابة، وذهب طائفة إلى تفضيل القطب، والراجح تفضيل الصحابي على القطب بشاهد قوله ﷺ: "إن الله اصطفى أصحابي على سائر العالمين سوى النبيين والمرسلين" وقوله ﷺ: "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" وقوله ﷺ: " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " الحديث. وقوله تعالى: {كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر} الآية وهذا من شدة اعتناء الله بنبيه ﷺ خصوصية له والله تعالى ولي التوفيق أهـ. ويؤيد ذلك أيضا قول

سيدي علي حرازم في جواهر المعاني بعد إيراه ما سمع من الشيخ رضي الله عنهما وأرضاهما وعنا بهما من فضائل صلاة الفاتح لما أغلق أنه ﷺ قال للشيخ رضي الله تعالى عنه: يفهم مما تقدم أن صاحب الصلاة يعني صلاة

الفاتح لما أغلق له فضل أكثر من جميع من تقدمه من عباد الله المؤمنين لكون جميع صلواتهم على النبي ﷺ وجميع أذكارهم وأورادهم تضاعف له كما تقدم في فضل صلاة الفاتح .. إلخ إلا نوعا واحدا وهو قول دائرة الإحاطة فلا مدخل له هنا ولا يتناوله هذا التضعيف ثم قال: إن الشيخ ﷺ وأرضاه وعنا به بقوله ﷺ: هو كما ذكرتم من تضعيف الأعمال لصاحبها ولكن كل واحد من الصحابة الذين بلغوا الدين مكتوب في صحيفته جميع أعمال من بعده من وقته إلى آخر هذه الأمة فإذا فهم هذا ففضل الصحابة لا مطمع

فيه لمن بعدهم ولو كان من أهل هذا الفضل المذكور من هذا الباب لمرتبة الصحابة وقال: ثم ضرب مثلا ﷺ لعمل الصحابة مع غيرهم قال: عملهم مع غيرهم كمشي النملة مع سرعة القطاة قال سيدي حرازم ﷺ وأرضاه وعنا به وصدق رضي الله تعالى عنه فيما مثل به لأنهم ﷺ حازوا قصبة السبق بصحبة سيد الوجود ﷺ قال في حقهم صلى الله تعالى عليه وسلم:" إن الله اصطفى أصحابي على سائر العالمين ما عدا النبيين والمرسلين " قال ﷺ: " لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد

أحدهم ولا نصيفه " انتهى. ومما يؤيد ذلك أيضا قول الشيخ ﷺ وأرضاه وعنا به أن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور .. إلخ، لأن من لانتهاء الغاية في هذا المحل يعلم ذلك كل من له أدنى معرفة بعلم النحو لأن من تكون بمعنى إلى ومثلوا لذلك بنحو رأيته من ذلك الموضع فجعلته غاية لرؤيتك أي محلا للابتداء قال في الفريدة: من ابتدئ بها وبين علل *** بعض وللفضل أتت وللبدل والنص للعموم أو مثل إلى *** وعن وفي وعند والبا وعلى وقال بعضهم: أتت من بمعنى الباء وعند وفي وعن وللفعل معنى ربما والانتهاء

والمعنى أن جميع الأولياء من حيث انتهاء عصر الصحابة وإذا تمد هذا فلنشر إلى المقصود بالذات فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن أفراد الأحباب من الصديقين والأغواث وجواهر الأقطاب وبرازخ الأغواث يعلمون أن مقام خاتم الأولياء الذي يكون مقامه ختم المقامات يفوق جميع مقامات الولاية ولا يكون فوقه إلا مقامات الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام وذلك الخاتم هو سيد الأولياء وممدهم وإن لم يعلموا عينا، قال الشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي رضي الله تعالى عنه: فكل نبي من لدن آدم إلى آخر

ما منهم أحد يأخذ النبوة لا من مشكاة خاتم النبيين وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود وهو قوله: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" أي: لم يكمل بدنه العنصري بعد فكيف من دونه من أنبياء أولاده، وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما خلق النور المحمدي كما أشار له صلى الله عليه وسلم بقوله: "أول ما خلق الله تعالى نوري" جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جمعا أحديا قبل التفضيل في الوجود العيني وذلك في مرتبة العقل الأول، ثم تعينت الأرواح في مرتبة اللوح المحفوظ الذي هو النفس الكلية

وتميزت بظاهرها النوري فبعث الله الحقيقة المحمدية الروحية النورية إليهم نبأهم عن الحقيقة الأحدية الجمعية الكمالية، فلما وجدت الصور الطبيعية العلوية من العرش والكرسي ووجدت صور مظاهر تلك الأرواح ظهرت تلك البعثة المحمدية إليهم ثانيا فآمن من الأرواح من كان مؤهلا للإيمان بتلك الأحدية الجمعية الكمالية، ولما وجدت الصور الطبيعية العنصرية ظهر حكم ذلك الإيمان في كمّل النفوس البشرية فآمنوا بمحمد ﷺ، فمعنى قوله: "كنت نبيا" أنه كان نبيا بالفعل عالما بنبوته انظر شرحه، ثم قال الحاتمي أي وشارح

كلامه: وغيره من الأنبياء ما كان نبيا بالفعل ولا عالما بنبوته إلا حين بعث بعد وجوده ببدنه العنصري واستكماله شرائط النبوة فاندفع بذلك ما يقال من أن كل واحد بهذه المثابة من حيث أنه كان نبيا في علم الله تعالى السابق على وجوده العيني صورة وآدم بين الماء والطين، ثم قال الحاتمي أي وشارحه: وكذلك خاتم الأولياء كان وليا بالفعل عالما بولايته وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلا بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف بها من أجل كون الله تعالى

تسمى بالولي الحميد، وخاتم الأولياء هو الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب العارف باستحقاق أصحابها ليعطي كل ذي حق حقه وهو حسنة من حسنات سيد المرسلين مُحَمَّد ﷺ مقدم الجماعة، انتهى كلام الحاتمي رضي الله تعالى عنه. وقال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني في الرسالة المباركة في الموضع الذي عدّ فيه علوم الأولياء الخاصة بهم ومنها علوم صفات خاتم الأولياء في كل قرن وصفة خاتمهم الأكبر وعلم الصفات التي يستحق بها الختمية

كما يستحق سيدنا مُحَمَّد ﷺ أن يكون خاتم الأنبياء كلهم
في الشرائع أي لا في التلقي كما هو شأن عيسى عليه السلام اهـ. وقال في درر الغواص على فتاوي شيخه علي الخواص: وسألته يعني عليا الخواص رضي الله تعالى عنه عن قول الشيخ محي الدين بن العربي ﷺ اجتمعت في مشهد أقدس بجميع النبيين والمرسلين ولم يكلمني أحد منهم ولم يفرح بي إلا هود عليه السلام بكلامه وفرحته به دون غيره ثم ذكر أنه أجابه بكلام من جملته أن هودا عليه السلام يعلم أن لهذه الأمة المحمدية ختمين جامعين لكل رتبة ومقام وارث وولاية بأحدية جمعها وتنوع وحدتها حتى تستغرق كل نعت ووصف وإمداد
واستمداد أحديا كان أو واحديا بسر تنزله وإحاطته بعوالمه المطلقة والمقيدة وما هو خصيص به أصلا وفرعا حكما وعينا سعة وضيقا قيدا وإطلاقا حتى أن كل ولي كان أو يكون إنما يأخذ من هذين الختمين اللذين يكون أحدهما خاتم ولاية الخصوص والآخر يختم به ولاية العامة فلا ولي بعده إلى قيام للساعة وقد أخبر العارف عن نفسهأنه أحد الختمين إلى أن قال هذا ما ظهر لي من الجواب في هذا الوقت والله أعلم أهـ.

قلت وإذا فهمت كلام هؤلاء علمت أن خاتم الأولياء متصف فيما وصفناه أول الفصل وإن أكابر الأولياء مجمعون على أنه سيوجدوعل أنه سيدهم وممدهم وأنه هو الواسطة بينهم وبين سائرالأنبياء وإنما أخفى الله تعالى عنهم معرفة عينه فقط وأما قوله: وقد أخبرالعارف عن نفسه أنه أحد الختمين فهو كذلك قال في الفتوحات المكية أنه رأى حائطا من ذهب وفضة كمل إلى موضع لبنتين إحداهما من ذهب وأخرى من فضة فانطبع ﷺ في موضع تينك اللبنتين وقال ﷺ: وكنت لا أشك في أني أنا الرائي ولا أني أنا المنطبع في موضعهما وبي
كمل الحائط ثم حبرت الرؤية بانختام الولاية بي وذكرتها للمشايخ والكاملين والمعاصرين وما قلت من المرئي فعبروها بما عبرتها به أهـ. ولذلك تعرض للمتكلم على الأسئلة المائة والخمسين سؤالا التي ذكر الحكيم الترمذي أنه لا يعرف الجواب عنها ولا الختم وإذا تأملت ما أسلفنا علمت أن الختمية التي تكون للخاتم الأكبر لم تثبت لأحد من الشيوخ قبل شيخنا رضي الله تعالى عنهم أجمعين لأن سيدي عليا الخواص قد بين أنه إنما اعتمد على كلام محيي الدين ﷺ لقوله: وقد أخبر العارف عن نفسه أنه أحد الختمين وأنت خبير بأن
محيي الدين ﷺ لم يعتمد بكونه ختما على قاطع وإنما اعتمد على هذه الرؤية ونحوها ويؤيد ما

قلنا ويشهد له أنه صرح بعد ذلك بأنه لم يكن هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم والخاتم المحمدي المعلوم وذلك أنه ﷺ رأى مقاما فوق مقامات الأقطاب كلها ما فوقه إلا مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فظن أنه له واطمأنة نفسه به غاية الاطمئنان والفرح وأنشد: بنا ختم الله الولاية فانتهت *** إلينا فلا ختم يكون لها بعدي وما فاز بالختم الذي لمحمد *** من أمته والعلم إلا أنا وحدي فبينما هو كذلك إذ سمع

منايا يقول له: ليس لك ما ظننت وتمنيت وإنما هو لولي في آخر الزمان ليس ولي أكرم على الله تعالى منه فعند ذلك قال: سلمت الأمور إلى خالقها ومكونها ولقد طال ما جلت ببصيرتي في الغيوب لأطلع عليه وعلى مقامه واسمه واسم بلده ومكانه وكيف حاله فما أطلعني الله تعالى على شيء منه ولا شممت له رائحة أصلا أهـ. قلت: وهذا الكلام من الحاتمي فيه تصريح بأنه تبرأ من ادعاء الختمية الكبرى وإنها لم توجد لواحد ممن تقدم من السادات الذين مضوا قبل زمانه وإنها إنما تكون لولي في آخر الزمان.

ومما يؤيد ذلك أن العارف بالله تعالى الشيخ المختار الكنتي رضي الله تعالى عنه: قال في كتاب الطرائق أن القرن الثاني عشر من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام يشاكل قرنه صلى الله إليه وسلم من وجوه أحدها أن فيه خاتم الأولياء كما في قرنه ﷺ خاتم الأنبياء ثانيها أن أتباع هذا الولي المجدد الخاتم يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما أن أصحاب ذلك النبي الخاتم الماحي يامرون بالمعرف وينهون عن المنكر ويومنون بالله وحده ويجاهدون الأمم الضالة كما أن هؤلاء يجاهدون

النفس والهوى والشيطان الجهاد الأكبر، قال الرسول ﷺ:"رجعنا إلى من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا: وما الجهاد الأكبر قال: جهاد النفس والهوى " ثالثها الإشارة إلى أن هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السالفة سو القرون الثلاثة لورود النص فيها بأفضليتها قال ﷺ:ط خير القون قرني ثم الذين يلونهم " الحديث، ثم فسر ذلك ﷺ بقوله:" خير هذه الأمة أولها وآخرها " أهـ.

فانظر رحمنا الله وإياك إلى هذا الكلام وتأمله راشدا تجده مصرحا بختمية شيخنا التجاني ﷺ وأرضاه وعنا به لأن الشيخ المختار ﷺ ما ادعى الختمية الكبرى لنفسه مع أنه أهل ذلك القرن ومحيي الدين بن العربي ﷺ مات في القرن السابع وشيخنا التجاني ﷺ ولد عام خمسين ومائة

وألف ووقع له الإذن من النبي ﷺ يقظة لا مناما بتربية الخلق على العموم والإطلاق سنة ألف ومائة وست وتسعين قال: أخبرني سيدي مُحَمَّد الغالي ﷺ وأرضاه وعنا به أن الشيخ ﷺ وأرضاه وعنا به عاش وهو في المرتبة الختمية ثلاثين سنة وإذا تأملت هذا علمت أن الختمية لم تثبت لأحد قبل شيخنا ﷺ وأرضاه وعنا به وأن أحدا ما ادعاها وثبت على ادعائها لنفسه، وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي أحمد بن مُحَمَّد الشريف الحسني التجاني ﷺ وأرضاه وعنا به قال: قد أخبرني سيد الوجود ﷺ بأني أنا القطب المكتوم منه إلي مشافهة يقظة لا مناما فقيل له وما معنى المكتوم فقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: هو الذي كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين إلا
سيد الوجود ﷺ فإنه علم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها وأكبر من هذا أن النبي ﷺ قال: " إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها أدخله الله الجنة" وما اجتمعت في نبي ولا ولي قبله إلا في سيد الوجود ﷺ، وأما الأقطاب الذين بعده حتى الحجة العظمى ابن العربي الحاتمي فإنما يعلمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين، وبه ختم الله الأقطاب المجتمعة فيهم الأخلاق الإلهية وهذه الأخلاق لا يعرفها إلا من ذاقها ولا تدرك بالوصف

ولا يعرف ما فيها إلا بالذوق، وقال ﷺ وأرضاه وعنا به أن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور وخصصت بعلوم بيني وبينه منه إلي مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة، وقال ﷺ وأرضاه وعنا به: أنا سيد الأولياء كما كان ﷺ سيد الأنبياء، وقال ﷺ وأرضاه وعنا به: لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم
إلى النفخ في الصور، وقال ﷺ وأرضاه وعنا به: إذا جمع الله خلقه في الموقف ينادي مناديا على صوته حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل الحشر هذا إمامكم الذي كان ممدكم منه، قال في جواهر المعاني: وسألته ﷺ عن حقيقة الولاية فأجاب ﷺ بما نصه: الولاية عامة وخاصة، فالعامة هي من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، والخاصة من سيد الوجود ﷺ إلى الختم، والمراد بالخاصة هي من اتصف صاحبها بأوصاف الحق الثلاثمائة على الكمال ولم ينقص منها

واحد، إن لله ثلاثمائة خلق من
اتصف بواحد منها دخل الجنة وهذا خاص بسيد الوجود ﷺ ومن ورثه من أقطاب هذه الأمة الشريفة إلى الختم هكذا قال، ونسبة للحاتمي ﷺ، ثم قال سيدنا ﷺ: ولا يلزم من هذه الخصوصية التي هي الاتصاف بالأخلاق على الكمال أن يكونوا كلهم أعلى من غيرهم في كل وجه، بل قد يكون من لم يتصف بها أعلى من غيره في المقام وأظنه يشير إلى نفسه ﷺ وبعض الأكابر من الصحابة لأنه أخبره سيد الوجود ﷺ بأن مقامه أعلى من جميع المقامات اهـ.

وقال ﷺ وأرضاه وعنا به: القطب المكتوم هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء، فكل ولي لله تعالى من كبر شأنه ومن صغر لا يتلقى فيضا من حضرة نبي إلا بواسطته ﷺ من حيث لا يشعر به وممده الخاص به، إنما يتلقاه منه ﷺ، ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشربا معهم منه ﷺ، قال ﷺ وأرضاه وعنا به مشيرا بإصبعه السبابة والوسطى: روحي وروحه ﷺ هكذا، روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء عليهم
الصلاة والسلام وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد، وسبب ذلك أن بعض أصحابنا تجاور مع بعض الناس في قوله ﷺ وأرضاه وعنا به: كل الشيوخ أخذوا عني بالغيب، فحكى له ذلك فأجاب ﷺ وأرضاه وعنا به: نسبة الأقطاب معي كنسبة العامة مع الأقطاب، وقال ﷺ وأرضاه وعنا به: الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى يعني أهل عصره، أما أنا فقدماي هاتان وجمعهما ﷺ وكان متكئا فجلس وقال: على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم
إلى النفخ في الصور، قلت وقد أجبرني شيخي وسيدي مُحَمَّد الغالي أبو طالب الشريف الحسيني وأنا معه في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام أن الشيخ ﷺ وأرضاه وعنا به قال ذات ليلة في مجلسه: أين السيد مُحَمَّد الغالي؟ فجعل أصحابه ينادون: أين السيد مُحَمَّد الغالي؟ على عادة الناس مع الكبير إذا نادى أحدا، فلما حضر بين يدي الشيخ قال ﷺ وأرضاه وعنا به: قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى، وقال سيدي مُحَمَّد الغالي وكان لا يخافه لأنه من أكابر أحبابه وأمراتهم: يا سيدي أنت في الصحو

والبقاء أو في السكر والفناء فقال ﷺ وأرضاه وعنا به: بل أنا في الصحو والبقاء وكمال العقل ولله الحمد، وقال: قلت: ما تقول في قول سيدي عبد القادر ﷺ: قدمي هذه على رقبة كل ولي

لله تعالى فقال: صدق ﷺ يعني أهل عصره، وأما أنا فأقول: قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور، قال: فقلت له: يا سيدي فكيف تقول إذا قال أحد بعدك مثلما قلت؟ فقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: لا يقوله أحد بعدي، قال فقلت له: يا سيدي قد حجرت على الله تعالى واسعا لم يكن

الله تعالى قادرا على أن يفتح على ولي فيعطيه من الفيوضات والتجليات والمنح والمقامات والمعارف والعلوم والأسرار والترقيات والأحوال أكثر مما أعطاك، فقال ﷺ وأرضاه وعنا به: بلى قادر على ذلك وأكثر منه ولكن لا يفعله لأنه لم يرده، ألم يكن قادرا على أن ينبئ أحدا ويرسله إلى الخلق ويعطيه أكثر مما أعطى مُحَمَّدا ﷺ؟ قال: قلت: بلى لكنه تعالى لا يفعله لأنه ما أراده في الأزل، فقال ﷺ وأرضاه وعنا به: وهذا مثل ذلك، ما أراده في الأزل ولم يسبق به علمه تعالى.

فإن قلت: ما صورة برزخية القطب المكتوم المعبر عنه عند العارفين والصديقين وأفراد الأحباب وجواهر الأقطاب بجوهر الجواهر وبرزخ البرازخ والأكابر فالجواب والله تعالى الموفق بمنه للصواب: اعلم وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه إن الحضرات المستفيضة سبع: الأولى حضرة الحقيقة الأحمدية وهي في جواهر المعاني غيب من غيوب الله تعالى فلم يطلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والأحوال العلية والأخلاق الزكية، فما ذاق منها أحد شيئا ولا جميع الرسل والنبيين اختص ﷺ وحده

بمقامها إلى أن قال: فما نال منها أحد اختص بها ﷺ لكمال عزها وغاية علوها، والثانية حضرة الحقيقة المحمدية فمنها كما في جواهر المعاني كل مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين إلى أن قال: وكل ما أدركه جميع الموجودات من العلوم والمعارف والفيوضات والتجليات والترقيات والأحوال والمقامات والأخلاق إنما هو كلله من فيض حقيقته المحمدية.

والثالثة الحضرة التي فيها حضرات ساداتنا الأنبياء على اختلاف أذواقهم ومراتبهم وأهل هذه الحضرة هم الذين يتلقون كل ما فاض وبرز من حضرة الحقيقة المحمدية كما قال شيخنا ﷺ وأرضاه وعنا به مشيرا إلى أهل هذه الحضرة بقوله: إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله تعالى عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء وبقوله ﷺ وأرضاه وعنا به: روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء إلا أن لخاتم الأولياء مشربا من النبي ﷺ مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا

اطلاع لهم عليه
الآن كما سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى. والرابعة حضرة خاتم الأولياء الذي يتلقى جميع ما فاض من ذوات الأنبياء لأنه ﷺ وأرضاه وعنا به هو برزخ البرازخ كما قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به مشيرا إلى هذه الحضرة بقوله: إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور وخصصت بعلوم بيني وبينه منه إلي مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة وبقوله: أنا

سيد الأولياء كما كان ﷺ سيد الأنبياء وبقوله ﷺ وأرضاه وعنا به: لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور. وبقوله ﷺ وأرضاه وعنا به إذا جمع الله تعالى خلقه في الموقف يناد مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من في الموقف ك يا أهل المعشر هذا إمامكم الذي كان مددكم منه.
وبقوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى: روحي وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد. وبقوله ﷺ وأرضاه وعنا به: إن القطب المكتوم هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء فكل ولي لله تعالى من كبر شأنه ومن صغر لا يتلقى فيضا من حضرة نبيي إلا بواسطته رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به من حيث لا يشعر به، ومدده الخاص به إنما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ولا اطلاع لأحد من
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشربا معهم منه ﷺ. والخامسة حضرة أهل طريقته الخاصة بهم وإلى هذه الحضرة أشار الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بقوله: لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا: يا ر بنا ما أعطيتنا شيئا، أو بقوله ﷺ وأرضاه وعنا به: لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ما عدا أصحاب رسول الله ﷺ.

وبقوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: كل الطرائق تدخل عليه طريقتنا فتبطلها وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره. وبقوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله تعالى على جميع

الطرق آمنه الله تعالى في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الأموات، وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى ولا يفلح أبدا.

قلت: هذا لأنه قد ثبت أول هذا الفصل أن صاحبها ﷺ وأرضاه وعنا به هو الختم الممد الذي يستمد منه من سواء من الأولياء والعارفين والصديقين والأغواث، ومن ترك المستمد ورجع إلى الممد فلا لوم عليه ولا خوف بخلاف من ترك الممد ورجع إلى المستمد. وبقوله ﷺ وأرضاه وعنا به: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم وضمنه ﷺ أمرا لا يحل لي ذكره ولا يعرف إلا في

الآخرة. قلت: وجه تقديم حضرة أهل طريقتنا على الحضرة التي فيها حضرات الشيوخ الذين هم أهل الطرق من ساداتنا الأولياء ﷺ بين ظاهر لأن أهل طريقته هم أول من يفيض عليهم ما يستمده من الحضرة المحمدية ومن حضرات ساداتنا الأنبياء عليهم من الله تعالى أفضل الصلاة وأتم السلام، ومن هنا صار جميع أهل طريقته أعلى مرتبة عند الله تعالى في الآخرة من أكابر الأقطاب وإن كان بعضهم في الظاهر من جملة العوام المحجوبين كما سيأتي بيانه في آخر هذا الفصل وفي الفصل الثامن والثلاثين إن شاء الله تعالى أعني الصادقين

منهم، وأما الكاذبون فما توجه الكلام إليهم. والسادسة: الحضرة التي فيها حضرات ساداتنا الأولياء رضي الله تعالى عن جميعهم وهي مستمدة من حضرة خاتمهم الأكبر جميع ما نالوا وإليها يشير قول شيخنا أحمد ﷺ وأرضاه وعنا به كما في جواهر المعاني بقوله: فلكل شيخ من أهل الله تعالى حضرة لا يشاركه فيها غيره اهـ.

والسابعة: الحضرة التي فيها حضرات تلاميذهم، وإذا تحرر هذا فأني أرتب لك سبع دوائر على ترتيب الحضرات أولها الدائرة الأحمدية المحمدية المحيطة بالكل وقد تقدم أن لا حظ لأحد مما في داخلها لعلوها، والثانية التي في داخلها دائرة الحقيقة المحمدية الممدة ولها بابان: باب في أعلاها يفيض منه على سادتنا الأنبياء ما فاض من ذات سيد الوجود ﷺ وعليهم أجمعين، وباب من جهة اليمين يتلقى منه خاتم الأولياء مدده الخاص به من غير برزخية أحد بينه وبين سيد الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ولا اطلاع لأحد

على ذلك الفيض. الثالثة التي في داخلها دائرة حضرات سادتنا الأنبياء كما تتراها مصورة ولها باب من جهة الأعلي يفيض منه على حضرة الخاتم ما فاض منها. والرابعة التي في داخلها دائرة حضرة الخاتم ولها بابان باب من جهة اليمين يفيض منه على حضرة أهل طريقته خاصة وباب من جهة الشمال يفيض منه على حضرة الشيوخ التي فيها حضراتهم عامة لكن الفيوضات التي تفيض من دائرة حضرة الخاتم إلى دائرة أهل طريقته خاصة أكثر وأفضل وأعظم وأجزل وأضخم وأغزر من الفيوضات التي تفيض منها إلى دائرة حضرات ساداتنا الشيوخ أهل الطرق من ساداتنا

الأولياء ﷺ بل ما يفيض من دائرة حضرة الخاتم إلى دائر حضرات الشيوخ بالنسبة إلى ما يفيض من دائرة حضرة الخاتم إلى حضرة أهل طريقته الخاصة بهم كنسبة نقطة إلى البحر المحيط ومن هنا أيضا فضل أهل طريقته على غيرهم. والخامسة التي في داخلها دائرة حضرة أهل طريقته ولها باب يفيض منه عليهم خاصة ما فاض من الخاتم من مدده الخاص به الفائض من الحقيقة المحمدية الذي لا شعور لساداتنا الأنبياء به ومن هنا يظهر فضلهم أيضا على غيرهم لاختصاصهم بهذا الفيض مع مشاركتهم غيررهم في سائر الفيوضات التي تفيض من حضرة الخاتم على الدوان مع كونه نصيبهم وحظهم منها أكثر وأغزر أيضا من نصيب غيرهم منها بل نصيب غيرهم منها إذا نشب إلى نصيبهم يكون كنسبة نقطة أو بسقة إلى البحر المحيط كما تقدم وإلى هذا يشير ما يأتي في فصل فضل المتعلقين به ﷺ وفصل سبب تسمية طريقته الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية لأن لأهلها لطفا من الله تعالى خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم لاعتناء مولاهم الكريم بهم في أزله كاعتنائه بخاتم أولياءه لأنه تعلى كما اصطفى هذا الخاتم المحمدي بالغوثية والختمية اصطفائية محضة لا تعلق لها بسبب من الأسباب وخصه بهذه المرتبة التي قصر عن إدراكها جميع الأقطاب والأغواث بغير علة، كذلك اصطفى أهل طريقته في الولاية والتقريب والمحبوبية والقبول عنده تعالى والتأهيل لهذا الخاتم وطريقته وتخصيصهم وجعله نصيبهم وجعلهم نصيبه اصطفائية محضة ولا تعلق لها بسبب من الأسباب بل كما سبق له في الأزل العناية بالختمية وبجميع ما نال كذلك سبقت لهم في الأزل العناية بالولاية والفضل وأهلية محبته وموافقته فلذلك وقعت لهم محبته وموافقته ومن تلك الأهلية اتبعوه وقبلوا أمره ووضعوا رقابهم تحت قدمه ولولا تلك العناية الأزلية كان

حالهم كحال الأعداء المنكرين المنتقدين المحرومين لكن الأمر كما قال تعالى: {الفضل بيد الله يوتيه من يشاء} ومن هذه الحيثية كان فضلهم على غيرهم كفضله ﷺ وأرضاه وعنا به على غيره من الأولياء لأن فضل التابع على قدر فضل المتبوع ومن هنا فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيرهم على الإطلاق بعد ساداتنا الأنبياء على جميعهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ولهذا عظمهم الله تعالى بقوله: {ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدات والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء}.

وفي عرائس البيان: بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية تخصيص الولاية بعد تخصيصه النبوة والرسالة وصرح في بيانه أن الولاية اصطفائية محضة كما أن النبوة والرسالة اصطفائية محضة لا تتعلقان بسبب من الأسباب من العرش إلى الثراء، وكما أنه وتعالى أحب الأنبياء والرسل كذلك أحب الأولياء والأصفياء محبة بلا علة، وكما أن الله سبحانه خص نبينا ﷺ بالرسالة بغير علة إلى أصحابة وجميع الخلائق من الجن والإنس والملك كذلك خص أصحابه بشرف الولاية بغير سبب من جهته ولا جهده وصحة ذلك قوله تعالى: {ما عليك من

حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء}. قال صاحب العرائس: بل كما سبق في الأزل العناية له بالرسالة كذلك سبقت لهم في الأزل العناية بالولاية فلذلك وقعت لهم الصحبة والموافقة ومن جهة تلك الأهلية تلقوه وقبلوا أمره ووضعوا رقابهم تحت قدميه، ولولا تلك العناية الأزلية لكان حالهم كحال هؤلاء الأعداء لكن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء فمن الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام بتأييده له ونصر أصحابه بقوله تعالى: {هو الذي أيدك بنصره وبالمومنين} ولما بلغ شرفهم إلى هذه المرتبة أوصى الله نبيه عليه السلام

بمراعاتهم وراعاية حالهم وتربيتهم بقوله تعالى: {ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدات والعشي يريدون وجهه} الآية لا تمنع هؤلاء صحبتك لو كان في لحظة لأجل حرصك بإسلام الطالبين طردهم فإن هدايتهم عندي وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء من هؤلاء الفقرا مثل بلال وصهيب وسلمان وعمار وحذيفة ونضائرهم من أصحاب الصفة الذين يدعون الله لوصولهم إليه كل صباح ومساء لشوقهم إلى جماله ومحبتهم اللحوق به وهذا معنى قوله يريدون وجهه أهـ.

قلت: ولما ثبت وظهر واتضح مما تقدم في هذا الفصل أن شيخنا سيدي أحمد بن مُحَمَّد التجاني

رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به هو خاتم الأولياء كما أن جده ﷺ هو خاتم الأنبياء ثبت فضله على جميع الأولياء بعد رسول الله ﷺ لأن فضله على الأولياء حينئذ كفضل خاتم الأنبياء ﷺ على جميع الأنبياء، ولما كان الأمر كذلك فلا شك أن فضل أهل طريقته على غيرهم من أهل طرق هذه الملة المحمدية يكون كفضل هذه الأمة المحمدية على جميع أمم الأنبياء عليهم كلهم من الله تعالى أفضل الصلاة

وأزكى السلام كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى في آخر هذا الفصل وفصل فضل المتعلقين به رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وفصل سبب تسمية طريقته رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بالطريقة المحمدية الإبراهيمية الحنيفية إن شاء الله تعالى.ويكفي في تأييد ذلك ما تقدم من قول الشيخ المختار الكنتي رضي الله تعالى عنه أن القرن الذي فيه القطب المكتوم والبرزخ المختوم والختم المحمدي المعلوم شيخنا أحمد بن مُحَمَّد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وذلك القرن هو القرن الثاني عشر من الهجرة المحمدية على

صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام يشاكل قرنه صلى الله تعالى عليه وسلم من وجوده، أولها أن فيه خاتم الأولياء كما أن في قرنه ﷺ خاتم الأنبياء، الثاني أن أتباع هذا الولي المجدد الخاتم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات كما أن أصحاب ذلك الخاتم الماحي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وحده ويجاهدون الأمم الضالة كما أن هؤلاء يجاهدون النفس والهوى والشيطان الجهاد الأكبر، قال الرسول ﷺ: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد

الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس والهوى". الثالث الإشارة إلى أن هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السالفة سوى القرون الثلاثة الوارد في النص بأفضليتها، قال ﷺ: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم" الحديث. ثم فسر ذلك ﷺ بقوله: خير هذه الأمة أولها وآخرها اهـ.

قلت: وهذه البشارة للطائفة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية التجانية أعظم من الدنيا وما فيها، هنيئا لأهل هذه الطريقة الصادقين فقد حازوا شرف الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك أن تحيينا عليها وتميتنا عليها وتحشرنا في زمرة أهلها بجاه من تفضل بها عليه النبي المختار وبجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم آمين يا رب العالمين. والسادسة دائرة حضرة الشيوخ التي فيها حضراتهم كما

ستراها مصورة وفيها باب لأهل طرقهم.
والسابعة التي في داخلها دائرة أهل طرقهم كما ستراها مصورة، وحضرة أهل كل طريقة تستمد من شيخهم، والشيوخ يستمدون من الخاتم فصار الكل مستمدا منه، وإن رأى غيره أنه يستمد من رسول الله ﷺ أو من نبي من الأنبياء فهو من حيث عدم شعوره بالاستمداد منه لا من حيث حقيقة الأمر، وذلك كمثل من رأى من الأكابر أنه يأخذ عن الله علما أو سرا ولم يشعر بواسطة من رسول الله ﷺ.

وإذا نظرت إلى ما أسلفناه وأعطيته من التأمل حقه ودققت فيه النظر وفهمته حقيقة الفهم حصلت على طائل في حقيقة برزخية الخاتم لأن دائرة حضرته رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به هي المتوسطة بين الدوائر، فوقها ثلاث وتحتها ثلاث لا يصل شيء إلى الثلاث التي تحتها إلا باستمداد أهلها من حضرته رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به.
قلت: قد حبب إلي أن أنشئ هنا قصيدة مناسبة لما تقدم ولما سيأتي لهذا الفصل وفي الفصل الذي بعده وفي فصل سبب تسمية هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية وفي فصل فضل الأذكار اللازمة وفي فصل فضل الأذكار غير اللازمة أجراها الله تعالى على خاطري يفرح بها الموفق المستمد السعيد على رغم أنف المخذول الشقي المنتقد البعيد، فبتوفيق الله وتأييده أقول، وبحوله وقوته على الأعداء أصول وهي: يا رائم الخيرات روم رجالها *** يا مبتغي الأنوار ثم ظلالها إن رمت نيل ولاية بكمالها *** وهداية فأجب نداء رجالها أو
رمت إدراك المعالي كلها *** روم البرازخ نيل طيف خيالها يدعوك داعي حضرة غوثية *** ختمية لا يرتقي لقلالها يدعوك داعي حضرة لعلوها *** خضعت بها الأغواث روم جمالها يدعوك داعي حضرة خفيت على الـ *** أغواث طلعة شمسها وهلالها يدعوك داعي حضرة من فيضها *** ما نال كل الأوليا بخصالها يدعوك داعي حضرة من مفزع الـ *** أقطاب والأغواث يمن ثمالها يدعوك داعي حضرة من فضلها *** إن الأكابر أذعنوا لكمالها يدعوك داعي حضرة أعناق كل *** الأولياء تطأطأت لنعالها يدعوك داعي حضرة حبية *** خلية موروثة بخلالها يدعوك داعي حضرة

مفتوحة *** فياضة مشدودة بحبالها يدعوك داعي حضرة مكنونة *** من غير جنس رجالها ورحالها يدعوك داعي حضرة لطفية *** قهرية قتالة بشبالها يدعوك داعي حضرة أسرارها ***

وعلومها لا يهتدى بمثالها يدعوك داعي حضرة من حاد عن *** ها مبغضا يرديه مدح جالها
يدعوك داعي حضرة من زاغ عن *** ها جاحدا يهلكه سهم ثمالها يدعوك داعي حضرة يسمى
لها *** محبوب للمطرود سم نبالها يدعوك داعي حضرة أصحابها *** يتعاونون على التقى لمآلها
يدعوك داعي حضرة عشاقها *** يتعاضدون لربهم بنصالها يدعوك داعي حضرة فردية ***
وهبية فضلية لنوالها
يدعوك داعي حضرة أحبابها *** قد حبهم مولاهمُ بشمالها يدعوك داعي حضرة من خاضها
*** بشروطها يدرك جميع نمالها يدعوك داعي حضرة من خاض فيه *** ها صادقا يغشاه ظل
ظلالها يدعوك داعي حضرة لرجالها *** روح وريحان وشرب زلالها يدعوك داعي حضرة أبدالها
*** فانوا الخصوص فكيف حال نبالها يدعوك داعي حضرة جودية *** لا منتهى لدقافها
وعيالها يدعوك داعي حضرة فياضة *** من حضرة الرحموت فيض رجالها يدعوك داعي حضرة
أورادها *** يسقون سر بحورها بسجالها يدعوك داعي حضرة خلانها *** هذا النبي يحبهم لفعالها
يدعوك داعي حضرة خدامها
*** جيران هذا المصطفى لجلالها يدعوك داعي حضرة أتباعها *** بعد الصحابة فضلت لا ثالها
يدعوك داعي حضرة سلاكها *** إخوان صحب مُحَمَّد لكمالها يدعوك داعي حضرة فقراؤها ***
رفقاء صحب مُحَمَّد بهزالها حمد المثال بيمنها وبنيلها *** ونبيها وإمامها ونوالها وبنيل ما فيها من
الأفكار والـ *** دعوات والأسرار ثم نقالها وهذه صورتها كما ترى.

فإن قلت: كيف يكون الولي المتأخر أفضل من الأولياء الكبار المتقدمين الذين شاع فضلهم وذاع وطار صيتهم شرقا وغربا كالشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبي الحسن الشاذلي ونحوهما ﷺ أجمعين، قلت: من حيث كان النبي المتأخر مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من إبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله وغيرهم من الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

قال أبو المواهب التونسي رضي الله تعالى عنه: واحذروا من قولكم ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء فإنهم ما ذهبوا حقيقة وإنما هم ككنز صاحب الجدار، وقد يعطي الله من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأول، فإن الله تعالى قد أعطى مُحَمَّدا ﷺ ما لم يعط الأنبياء قبله ثم قدمه في المدح عليهم اهـ.

وقال الشيخ أحمد زروق رضي الله تعالى عنه في تأسيس القواعد: النظر للأزمنة والأشخاص من حيث هو أصل شرعي لا أمر جمالي، حيث قال الكفار: {لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم} فرد الله تعالى عليهم بقوله: {أهم يقسمون رحمة ربك} الآية. وقالوا: {وقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} فرد الله تعالى عليهم بقوله: {قل او لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم} الآية.

فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقت ولا شخص إلا من خصه الله تعالى به، والأولياء في ذلك تبع الأنبياء لأن الكرامة شاهد المعجزة، والعلماء ورثة الأنبياء في الحرمة والرحمة وإن تباينا في أصل الفضل فافهم اهـ. وفيه: أن وجود الجحد مانع من قبول المجحود أو نوعه لنفور القلب عنه، والتصديق مفتاح الفتح لما صدق به وإن لم يتوجه إذ لا دافع فالمتوقف مع الفقه يتعين عليه تجويز المواهب والفتح من غير قيد بزمان ولا مكان ولا عين لأن القدرة لا تتوقف أسبابها على شيء وإلا كان محروما بما قام به جحوده ثم هو

إن استند إلى أضل معذور وإلا فلا عذر له بإنكار ما لا علم له به فسلم تسلم اهـ. قلت: وما حمل من أنكر بلوغ شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به هذا المقام الذي هو الختمية الكبرى التي لم يبلغها أحد من الأولياء إلا ظنهم أن حصول هذا المقام لأحد بعد المشايخ المتقدمين ممنوع شرعا ومستحيل عقلا وكلا الأمرين منتف واعتقاد من اعتقد أن بلوغه رضي الله تعالى عنه هذا المقام لا يصح لا يلزم منه كون معتقده في نفس الأمر كذلك قد تقدم أن الشيخ الشعراني رضي الله تعالى عنه قال في العهود المحمدية: إن رد العلماء على

الصوفية هو لدقة مدارك الصوفية عليهم لا غير، فلا يلوك من الرد عليهم فساد قولهم في نفس الأمر كما قال الغزالي: كنا ننكر على القوم أمورا حتى وجدنا الحق معهم، قال تعالى: {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله} وقال تعالى: {وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم} هو مما يؤيد قول الإمام الغزالي قول الإمام أبي القاسم الجنيد: كان عندي وقفة في قولهم يبلغ الذاكر في الذكر إلى حد لو ضرب بالسيف لم يحس إلى أن وجدنا الأمر كما قالوا.

قلت: ولو شاء الله تعالى لرزق جميع إخواننا المؤمنين مثل ما رزقنا نحن وجميع الإخوان بفضله من الإيمان بختمية هذا الختم والتصديق ببرزخيته وقبول ما يبرز منه من العلوم والانتساب إلى طريقته والتعلق بأذياله ولكنه تعالى لما لم يؤلهم لذلك صرفهم عن التصاريف ولو شاء الله تعالى لأطلعهم

على ما أطلعنا وجذبهم به إلى هذا الختم المكتوم والبرزخ المختوم ولكنه تعالى قضى على قوم بالضلال والهلاك فصرفهم عن هذا السيد بعدا وطردا ولعنا وخذلانا وصرف عنه آخرين لا لتبعيدهم عن رحمته تعالى ولا لطردهم ولكنه تعالى حجبهم عن

معرفة مقامه لكونه القطب المكتوم كما تقدم فظنوا أن لا مقام يجاوز مقاماتهم فقل: كل على قدر مقامه ورحم قوم بتعليمهم مقام القطب المكتوم والختم المحمدي المعلوم، فمنهم من عرف عينه وانتسب إليه ومنهم من لا ولم ينكر والأمر بيده تعالى كما قال جل وعلا: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} وفي عرائس البيان: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة} على سبيل واحد من توحيده ومعرفته وقربه ومشاهدته، ولكن حكمته الأزلية وعلمه القديم يغرقهم في طرق المعارف وأعطى كل واحد منهم
سبيلا يسلك فيه من معرفة ذاته وصفاته جميعا فيسيرون إليه بسبيل الصفات وطرق معارف الذات على حسب مذاقهم ومشاربهم، فبعض في المعرفة وبعض في التوحيد وبعض في المحبة وبعض في العشق وبعض في الشوق وبعض في الإرادة وبعض في الحالات وبعض في المعاملات، ولا يشبه حال المريدين حال المتوسطين ولا حال المتوسطين حال العارفين ولا حال العارفين حال الأنبياء والمرسلين وباختلاف قدر علومهم ومعرفتهم لم يرتفع الاختلاف بينهم، قال الله تعالى: {ولا يزالون مختلفين} أي في الأحوال والمقامات والأفعال والأقوال. {
إلا من رحم ربك} يبلغه إلى مقام الغيبة عنه في ولهه في أنوار القدم وفنائه في سطوات الأزل أيضا إلا من يبلغه مقام الصحو والتمكين حتى يطلع على الكل ولا يخالفهم فيما هم فيه لأنه في مقام الاتصاف ونعت التمكين خارج عن التلوين ولذلك خلقهم أي طباعهم مجبولة باختلاف طرق المقامات ودرجات الحالات وهذه سنة الله تعالى جرت في الجميع، قال تعالى: {قد علم كل أناس مشربهم} أهـ.

وكما قال أيضا سبحانه وتعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما أتاكم فاستبقوا الخيرات على الله مرجعكم جميعا فينبؤكم بما كنتم فيه تختلفون} قال في العرائس: إن الله تعالى جعل في بحار القدم والبقاء الشرائع ليورد الأوراح القدسية ومشارب القيود العارفة به وسواقي العقول الصادرة من نوره ولكل واحد منها شرعة من تلك البحار، فلبعض شرعة العلم ولبعض شرعة القدرة، ولبعض شرعة الصمدية، ولبعض

شرعة الحكمة، ولبعض شرعة الكلام والخطاب، ولبعض شرعة المحبة والمعرفة، ولبعض شرعة العظمة والكبرياء، ثم جعل لها منهاجا من الصفات إلى الخيرات ومن الذات إلى الصفات ومن الصفات إلى الصفات ومن الذات إلى الذات ومن الأسماء إلى النعوت ومن النعوت إلى الأسماء ومن الأسماء إلى الأفعال ليعرفه كل واحد بقدر ذوقه وشربه وطريقه وجعل بينهم تباعدا وتقاربا، قال تعالى: {قد علم كل أناس مشربهم} فمن وافق شربه شرب صاحبه لم يقع بينهما خلاف في الشرعة والمنهاج، ومن لم يكن شربه موافقا لشرب صاحبه لم يعرف أحدهما مكان الآخر ويكون بينهما نزاع وذلك من غيرة الله تعالى عليهم وعلى نفسه ليلا يركن بعضهم إلى بعض فلا يطلع عليه أحد سواه، ألا ترى كيف وصف مزاج الأبرار من مزاج المقربين وفرق بينهم بالمشارب والسواقي وكيف خص بعضا بالرحيق المختوم بقوله تعالى: {يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك} وفي ذلك رحمة منه على الجمهور لتفاوت فوائد استنباطهم علوم الغيبة من قرآن الله تعالى. قال ﷺ:"اختلاف العلماء رحمة " ولاختبارهم في طريقهم في حقائق العبودية وعرفان الربوبية.

قال: وهذا معنى قوله تعالى: {ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة} يعني شيوخا وأكابر بغير المريدين والسالكين ولكن ليبلوكم في ما أتاكم من المقامات الشريفة والأصول السنية كيف تخرجون من دعواكم بحقيقة عبوديتي وتخرجون جواهر العلوم من كتابي وحكمتي. قال: ثم خاطبهم جميعا بقوله: {فاستبقوا الخيرات} عرفهم مكان تقصيرهم أي ما أدركتم مني في جنب ما عندي لكم كقطرة في بحر سارعوا إلى خيرات مشاهدتي وجميل عطياتي.

قال: ثم أفدهم مما وجدوا إلى عين جلال بقوله: {إلى الله مرجعكم جميعا} أي إليه مرجعكم لافتقاركم من مقاماتكم إليه لزيادة القربة والمعرفة، وهناك يظهر تفاضل درجاتكم وما غاب عنكم من دقائق أسراري ونودر لطائفي. قال: وهذا معنى قوله تعالى: {فينبؤكم بما كنتم فيه تختلفون} أهـ. قلت: وسيبين غدا في المحشر تفاضل الأولياء والعارفين والصديقين واللأغواث وتفاوت درجاتهم ومراتبهم بإظهار الله الفاضل وتمييزه المفضول فيظهر عين الفاضل ويعرف من غير نزاع ولا خلاف، كما أنه تعالى سيرفع كل أشكال في ختمية شيخنا أحمد بن مُحَمَّد التجتني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به ويبين أنه هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم والختم المحمدي المعلوم إذا نادى مناديا على صوته يسمعه كل من في الموقف: يا أهل المحشر هذا

إمامكم الذي كان مددكم منه ويزول حينئذ كل نزاع كما أشار إلى جميع ما ذكرنا هذا العارف مبينا بعض معاني هذه الآية الشريفة على طريق الإشارة. ثم قال: وقال هذا الأستاذ في قوله تعالى: {ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة} أي ولو شاء الله لسوى مراتبكم ولكن غاير بينكم ابتلاء وفضل بعضكم على بعضا امتحانا أهـ.

قلت: ومن تأمل هذا الكلام من هذا العارف تفجر له من هذه الآية الكريمة بعض الأسرار التي تحمل أكابر العارفين فأحرى الأولياء على إنكار بعض المراتب التي ينالها بعض الأفراد منهم لأن بعض مراتب أفراد الصديقين لا شعور لبعض الصديقين بها ولا شعور لأفراد الصديقين ببعض مراتب الأغواث ولا شعور لبعض الأغواث ببعض مراتب جواهر الأغواث ولا شعور بجواهر الأغواث ببعض مراتب جواهر الجواهر الذين هم برازخ الجواهر ولا شعور لبرازخ الجواهر ببعض مراتب برزخ البرازخ هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم والختم المحمدي المعلوم.
والأسرار التي تحملهم على الاختلاف والنزاع كثيرة منها اختلاف المشارب ومنها تباعد مقامات تلك المشارب ومنها إرادة تكفير مشايخ هذه الأمة وإن كان بعضهم وأتابعهم أفضل من بعض وأتباعهم ليكون اختلافهم رحمة لها. قال أبو يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه: الطرق إلى الله تعالى بعدد الخلق لكن السعيد من هدي إلى طريق من تلك الطرق.
ومنها أن الله تعالى غاير بينهم ابتلاء ومنها أنه فضل بعضهم على بعض إمتحانا ومنها غيرة الله تعالى على بعضهم من أن يطلع عليهم وعلى مقاماتهم غيره تعالى كالقطب المكتوم والبرزخ المختوم شيخنا وسيدنا أحمد بن مُحَمَّد التجاني رضي الله تعالى عنه قبل ظهوره، ومنها إرادة الله تعالى جعل أهل طريقة كل شيخ محصورين بعدد معلوم عنده في أزله فلذلك يحجبهم عن معرفة غيره ومنها إرادته تعالى تفضيل من شاء على من شاء فيخصهم بطريقة سيد الأولياء وبالتعلق به والتمسك بأوراده وأذكاره والتوجه إلى الله بتوجهاته والتأدب بآدابه

والانتظام في سلكه والدخول في زمرته واللحوق بدرجته ومجاورته في الملئ الأعلى مع أصفيائه وأحبته وليجب مع من يجيب يوم يدعو الله تعالى كل أناس باسم شيخهم ويدعوهم إلى مجاورة شيخهم في منزلته قال تعالى: {يوم ندعوا كل أناس بإمامهم}. قاتل في عرائس البيان بعد أن تكلم بكلام في معاني الآية: وأيضا يدعو المريدين بأسماء مشايخهم ويدعوهم إلى منازلهم ولينال منه الحظ الأوفر مما ينال منه أولاده الذين هم أهل طريقته المتمسكون بأوراد وهو اللحوق

بدرجته.

قال في السراج المنير عند قوله تعالى: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم} أي الصغار والكبار فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإيمانه تبعا لأحد أبويه بإيمان أي: سبب إيمان حاصل منهم ولو كان في أدنى درجات الإيمان ولكنهم ثبتوا عليه إلى أن ماتوا وذلك شرط اتباعهم الذريات. {

ألحقنا بهم} فضلا منا عليهم ذرياتهم وإن لم يكن للذرية أعمال لأنه لعين تجازى ألف عين وتكرم، والذريات هنا تصدق على الآباء والأبناء، وأن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل آباء كانوا أو أبناء وهو منقول عن ابن عباس وغيره. ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة، فإن كان منها أخذ العلم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الإفادة كذرية الولادة وذلك لقوله ﷺ: "المرء مع من أحب" في جواب من سأل عمن يحب القوم ولما يلحق بهم اهـ.

وقال في العرائس أيضا: هذا إذا وقع فطرة الذرية من العدم سليمة طيبة طاهرة مستمدة لقبول معرفة الله تعالى ولم تتغير من تأثير صحبة الأضداد لقوله عليه السلام: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" فإذا بقيت على النعت الأول ووصل إليها فيض مباشرة ألحق ولم تتم عليها الأحوال والأعمال يوصلها الله تعالى إلى درجة آبائهم وأمهاتهم الكبار من المؤمنين إذ هناك يتم أرواحهم وعقولهم وقلوبهم ومعرفتهم وعلمهم بالله تعالى عند كشف مشاهدته وبروز أنوار جلاله ووصاله.

قال: وكذلك حال المريدين عند العارفين يبلغون إلى درجات كبرائهم وشيوخهم ما آمنوا بأقوالهم وقبلوا كلامهم كما قال رويم قدس الله تعالى سره: من آمن بكلامنا هذا وراء سبعين حجابا فهو من أهله. وقال النبي ﷺ: "من أحب قوما فهو منهم". وقال سبحانه وتعالى: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين} قال: ولا تعجب من ذلك فإنه تعالى يبلغهم إلى أعلى الدرجات.

قال: فإذا كانوا في منازل الوحشة يصلون إلى الدرجات العلية فكيف لا يصلون إليها في مقام الوصلة. قلت: وإذا كان الأتباع يدعوهم الله تعالى بأسماء مشايخهم ويدعو أهل كل طريقة إلى منازل شيخهم ويلحقهم بدرجته ظهر بأدنى تأمل أن أتباع ختم الأولياء المختصين بطريقته

المتعلقين به المتمسكين بأوراده وأذكاره لا يلحق درجتهم غيرهم إن كانوا من أكابر العارفين والصديقين والأغواث ما عدا أصحاب رسول الله ﷺ كما مر وكما سيأتي.

ومن هنا كان عوام أهل طريقتنا الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية أفضل من غيرهم كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وجميع ما تقدم إنما هو في بعض الأسرار التي حجب بها بعض الأولياء عن معرفة مراتب بعض مع معرفة الكمّل منهم أن مقام ختمهم الأكبر يفوق جميع مقامات الولاية، واتفاقهم على أن جميع الأولياء من كان ومن سيكون إلى يوم القيامة إنما يستمدون منه رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين كما تقدم ذلك أول الفصل.

وأما أهل الظلام والغباوة والضلالة والطغيان فلم يمنعهم من التعلق بشيخنا أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به مع ظهور فضله وفضل طريقته وفضل أهلها كظهور الشمس وقت الظهيرة صيفا رضي الله تعالى عنه وعنهم وأرضاهم وعنا به إلا الطرد عن رحمة الله تعالى والحرمان واللعن والشقاوة والخسران.

خرجت مع سيدنا مُحَمَّد الغالي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به ذات يوم من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم لزيارة شهداء أحد رضوان الله تعالى عليهم، فلما فرغنا من زيارتهم ورجعنا قلت له: يا سيدي أنا أورد عليك اعتراضات على شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به على تقدير أني منكر عليه وأعوذ بالله تعالى من ذلك وكن أنت مجيبا عليها، فقال لي رضي الله تعالى عنه: قل ما بدا لك. فشرعت في الإيراد والاعتراض وهو رضي الله تعالى عنه يدفع الإيرادات والاعتراضات ويحل الإشكالات.

فلما قربنا من دخول المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم قلت له: يا سيدي إني لا أزال أتعجب ممن اطلع على فضل هذا الشيخ وعلى فضل طريقته رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وعلى فضل أهلها ونظر إلى جواهر المعاني وكان معه من له الإذن الخاص في تلقين أذكارها ونظم من طلبها في سلسلة أتباعها ثم تريث قدر لحظة ولم يكن من زمرة أهلها، ونظر إلي فقال لي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: تعجب مثلك من مثل هذا أعجب وأغرب عندي.

فقلت: لم؟ فقال لي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أي الملل والكتب والأنبياء خير وأفضل؟. قلت: الإسلام والقرآن ومُحَمَّد ﷺ. فقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: لما بعث

الله تعالى مُحَمَّدا ﷺ وأنزل عليه القرآن وأمره بدعوة الخلق إلى التوحيد والإسلام فكيف كان حالهم معه ﷺ؟ قلت: انقسموا قسمين، أما السعداء فآمنوا به ونصروه وقاتلوا بين يديه فحازوا به شرف الدنيا وعز الآخرة، وأما الأشقياء فكذبوه وقاتلوه فخسروا به دنيا ولعنوا وطردوا برزخا وأخرى.

فقال لي رضي الله تعالى عنه وأعاد علينا من بركاته: كيف يتعجب من يعلم هذا مما تعجبت منه؟ وأنت تعلم أن سيدنا أحمد رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به إنما كان خليفة لهذا النبي صلى الله عليه وسلم لا غير، وجميع ما حوته هذه الطريقة من الأنوار والأسرار والمواهب والتحف والعلوم والمعارف والمقامات والفيوضات والأوراد والأحزاب والدعوات والتوجهات والمقاصد والخلوات والكشوفات والتجليات وما يفشى وما لا يفشى أرزاق مقسومة، فمن قدر له شيء منها يوفقه الله تعالى له، ومن لا فلا، ولكل لقمة آكل قسمت له فلا يأكلها غيره

اهـ. قلت: ولا شك أنهم لما جهلوا مرتبة الإسلام الذي هو أشرف الملل وأفضلها وأرفعها وأعلاها وأعظمها عند الله تعالى وجهلوا ما انطوى عليه الإيمان من المنازل والمقامات والدرجات والأحوال والأخلاق والآداب والأنوار والأسرار وأعرضوا عنه وطعنوا فيه وقالوا للمؤمنين استهزاء إن أنتم إلا في ضلال كبير كما أخبر ربنا سبحانه وتعالى وكما قال أيضا سبحانه وتعالى: {وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون} وقال تعالى أيضا: {وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه}، ولما لم يشاهدوا من الأنبياء والرسل إلا هياكل

بشرية وعموا عن إدراك حقائقهم واختصاصهم بما خصوا به من فناء حظوظهم فيهم وبقاء أشباحهم وهياكلهم رحمة للخلق قالوا في حق جميعهم أنهم إنما بهم سحر أو جنون كما قال تعالى: {كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون} كما قالوا في حق نبينا ﷺ: {يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون}.

قال في السراج المنير: وذكر القرطبي أن المشركين كانوا يقولون للنبي ﷺ مجنون به شيطان وهو قولهم: {يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون} فأنزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم: {ما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون} ولما جهلوا أمر القرآن وما انطوى عليه من بحار عجائب الربوبية وأخبار غرائب أسرار الصفة القدسية قالوا فيه: {إن هذا إلا سحر يوثر إن هذا إلا قول

البشر} هذا عادة السلفة وأهل الجهل والغباوة الذين قاسوا بآرائهم الفاسدة حال الأنبياء والصديقين، ولو شاهدوا ذرة من حالهم لماتوا

حسرة من الشوق إليها لكن سبق لهم الشقاء الأزلي لحجبهم عن جمال أحوالهم وأنوار أسرارهم وبقوا بظنونهم المختلفة وقياساتهم الفاسدة في الأشكال والهياكل واحتجبوا عن رؤية الأرواح وطيرانها في الملكوت والجبروت وتكبروا على أولياء الله من قلة معرفتهم بنفوسهم ومن قلة إدراكهم فلا جرم أن الله يضلهم بما يهدي به أحبابه، ويهلكهم بعين ما يكرم به أصفيائه، كما قيل: إن بين العبد وبين الله بحرين: بحر النجاة وبحر الهلاك قد يهلك في بحر النجاة خلق كثير كما قال تعالى: {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا} وقال تعالى: {ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا} قال تعالى: {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون} وقال تعالى: {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا} وقال تعالى: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يومنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى} وقال تعالى: {وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون} وقال تعالى: {وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا} فقد ظهر مما تقدم أن الله سبحانه وتعالى يهدي بشيء أقواما ويضل به آخرين، ويسعد بشيء أقواما ويهلك به آخرين كالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم وكتبهم

ونبينا مُحَمَّد ﷺ والقرآن ودين الإسلام فإن جميع ما ذكر خير كله لا شر فيه لكنه تعالى لم يوفق من أراد هلاكهم بتصريف الأنبياء والرسل وأتباعهم كفروا بالرسل وأعرضوا عنهم فكان هلاكهم في ذلك فذلك حال الأولياء مع من عاصرهم ومن يأتي بعدهم. وإذا فهمت هذا يا أخي فاعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن القطب المكتوم والبرزخ المختوم والختم المحمدي المعلوم شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ أحمد بن مُحَمَّد الشريف الحسني التجاني رضي الله تعالى عنه

وأرضاه وعنا به بحر لنجاة كل من تعلق به بأي وجه
من وجوه التعلقات كما سيأتي في الفصل الثامن والثلاثين إن شاء الله تعالى، كما أنه سفينة لنجاة من يغرق في بحر الهلاك، وإياك أن تهلك في بحر النجاة أو في سفينة النجاة من بحر الهلاك إن لم تربح بهما والسلام. قلت: وبما قررنا يظهر أنه ما بقي إلا منع فضل الله تعالى والإنكار لوجود العناد، والمنكر عنادا لا يعتبر لأنه لا يقبل ما ظهر ولا تضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال في أمره.
قال الشيخ أحمد في تأسيس القواعد: إنكار المنكر إما أن يستند لاجتهاد ولحسم ذريعة أو لعدم التحقيق أو لضعف الفهم أو لقصور العلم أو لجهل المناط أو البساط أو الانبهام لوجود العناد، فعلامة الكل الرجوع للحق عند تعينه إلا الأخير فإنه لا يقبل ما ظهر ولا تضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال في أمره اهـ. فإن قلت: ماذا يكون جوابك في قول الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. قلت: جوابي ما قاله الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: يعني أهل عصره. فإن قلت: من وافق شيخكم في ذلك.

قلت: وافقه الشيخ عبد القادر بنفسه رضي الله تعالى عنه. وفي كتابه ذكر مناقبه وكان يقول رضي الله تعالى عنه: أنا بحر لا ساحل له، أنا دليل الوقت اهـ. ووافقه كثير من الأئمة الأعلام، قال ابن باديس رضي الله تعالى عنه في سينيته المسماة بالنفحات القدسية: وبالجيلي فابدأ فذلك قطبهم *** ومنه استمدوا في الإضافة والقبس ثم تمادى على مدحه رضي الله تعالى عنه إلى أن قال: فأضحى أمير الأولياء بعصره *** له الحكم والتصريف في المنح والحبس قال شارحه المعروف بأحمد بن مُحَمَّد المعروف بابن الحاج: أشار في هذا البيت إلى أن هذا
الشيخ صار في وقته إمام الأولياء يقتدون به وسيدهم يرجعون إليه في ما يحتاجون إليه من الأمور، وأن الله تعالى ولاه عليهم وحكمه فيهم وصرفه في شؤونهم اهـ. وفي الكتاب السابق سئل الشيخ عقيل المنبجي رضي الله تعالى عنه يوما: من القطب في ذلك الوقت؟ فقال: هو في وقتنا هذا بمكة مخفي لا يعرفه إلا الأولياء وسيظهر هنا ـ وأشار إلى العراق ـ فتى أعجمي شريف يتكلم على الناس ببغداد يعرف كراماته الخاص والعام وهو قطب وقته يقول: قدمي هذا على رقبة كل ولي لله تعالى أهـ.
وفيه: وكان الشيخ أبو البركات بن صخر الأموي رضي الله تعالى عنه يقول: أخذ الشيخ عبد

القادر العهد على كل ولي في زمانه ألا يتصرف في حالة باطن ولا ظاهر إلا بإذنه أهـ. وفي حياة الحيوان للشيخ الدميمري عند ترجمة الذباب: فعليك بالاعتقاد وترك الانتقاد على المشايخ العارفين والعلماء العاملين والمؤمنين الصالحين فإن حرابهم مسمومة فكل من تعرض لهم لم يسلم فسلم تسلم ولا تنتقد فتندم، واقتد بإمام العارفين ورأس الصديقين وعلامة العارفين في وقته الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني ﷺ.

وقال الشيخ أحمد زروق في تأسيس القواعد: إثبات الحكم للذات ليس كإثباته بعوارض الصفات فقوله عليه الصلاة والسلام:" سلمان منا أهل البيت" لاتصافه بمجامع النسب الدينية حتى لو كان الإيمان منوطا بالثريا لأدركه. وقد قيل في قوله عليه الصلاة والسلام:" الأقربون أولى بالمعروف" يعني إلى الله تعالى إذ لا توارث بين ملتين فلمعتبر أهل النسب الديني وفرعه مجد دائم إن انضاف إلى الطيني كان له مؤكدا فلا نلحق رتبة صاحبه بحال وبذا أجيب عن قول الشيخ أبي مُحَمَّد عبد القادر رحمه الله تعالى: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله في
زمانه لأنه جمع من علوي النسب وشرف العبادة والعلم ما لم يكن لغيره من أهل وقته أهـ. قلت: قد أخبرني بعض من لقي الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أنه رجع يوما من المسجد يوم الجمعة إلى بيته فلما بلغ باب بيته جلس وحوله جماعات فقال: الحمد لله الذي بلغني في هذا الوقت مرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني وزادني على ما أعطاه أربعين مقاما. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضه وعنا به: أعطاني الله في السبع المثاني ما لم يعطه إلا للأنبياء.
وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إن الله أعطاني ما لم يعطه لأحد من الشيوخ أبدا فضلا منه وجودا بلا استحقاق شيء عليه بل في سابق علمه قضى بذلك فلله الحمد ومزيد الشكر.
وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أعطاني الله تعالى الشفاعة في أهل عصري من حين ولادتي إلى حين مماتي. وعن تلميذه الأكبر وخادمه الأشهر العارف الأطهر أبي الحسن سيدي الحاج علي حرازم بالراده جامع جواهر المعاني: إن الله أعطى للشيخ الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين مماته وزيادة عشرين سنة بعد وفاته.

قلت: وقد أخبرني سيدي مُحَمَّد الغالي أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به توفي عام يشكر **1230** من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام وعلى هذا فكل مؤمن له اليوم وهو عام ألف ومائتين وإحدى وستين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل

الصلاة وأزكى السلام أكثر من إحدى عشرة سنة فهو داخل في هذه الشفاعة الأحمدية التجانية قطعا هنيئا ثم هنيئا لهذه الأمة المحمدية وويل ثم ويل لمن حرم من هذا الخير العظيم الذي ينال من غير عمل ولا كلفة ولا مشقة لأجل الإنكار والانتقاد وإذاية أهل طريقته أحينا الله على محبته وأماتنا عليها وحشرنا في زمرته بجاهه عند ربه وجاه جده خير الأنام وسر خليقة الملك العلام. وقال ﷺ وأرضاه وعنا به: كل الطرق تدخل في طريقة الشاذلي رضي الله تعالى عنه إلا طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحنيفية فإنها مستقلة بنفسها فلا ينبغي التفرد بها لأنه أعطاها لنا منه إلينا وقال: لا يصلك شيء إلا على يدي وهو الذي ربانا وأوصلنا حتى بلغنا المنى صلى الله عليه وسلم حمدا وشكرا لله تعالى. وقال ﷺ: كل الطرق تدخل عليها طريقتنا فتبطل وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا به من ترك وردا من أوراد الشيخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله على جميع الطرق أمنه الله تعالى في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله عز وجل ولا من رسول الله ﷺ ولا من شيخه أين كان من الأحياء أو من الأموات، وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى ولا يعود أبدا.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: لو بحت بما علمنيه الله تعالى لأجمع أهل العرفان على قتلي.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به يتحدث لأصحابه بما أنعم الله تعالى عليه وتفضل: بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ يليه إعلامكم أن فضل الله لا حد له وأن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وأقول لكم أن مقامي عند الله تعالى في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه من كبر شأنه ولا من صغر وأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه على أكابر الفحول ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقا. وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا

عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي ووراء ذلاك مما ذكر لي فيهم وضمنه ﷺ أمرا لا يحل لي ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن سيد الوجود ﷺ ضمن لنا أن من سبنا وداوم على ذلك ولم يتب لا يموت إلا كافرا وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: سمعت في الحضرة أنه لا يصل إلي أحد بسوء أبدا وكذا بقي في عصمته وصيانة ربه

حتى لقي الله تعالى. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أن النبي ﷺ أخبره بقوله عليه الصلاة والسلام: بعزة ربي يوم الإثنين ويوم الجمعة لم أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعي سبعة أملاك وكل من رآك في اليومين تكتب الملائكة اسمه في ورقة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة.

وقد أخبرني بعض من لقيه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أنه ما تنزل إلى إفادة الخلق بعدما أخبره ﷺ بذلك إلا بعد قوله للنبي ﷺ: إن كنت بابا لنجاة كل عاص مسرف على نفسه تعلق بي فنعم وإلا فأي فضل لي فقال له ﷺ: أنت باب لنجاة كل عاص تعلق بك وحينئذ طابت نفسه لذلك أهـ.

قلت: ومن أهم ما ينبغي ذكره ليتنبه له كل موفق الدائرة العظيمة التي أوقع الله تعالى فيها هذا الشيخ العظيم وأهل طريقته وحزبه الصميم ويتبين لكل ناظر في هذا المحل أنه لا ينكر فضله رضي الله تعالى عنه وعلى جميع الأولياء وفضل أهل طريقته على غيره من أهل سائر الطرق ولا يستغربه إلا من غفل عن هذه الدائرة العظيمة وجهل أنها هي دائرة طريقه وفيها يسبح أهلها وكان مسجونا في سجن عقله جاهلا بسعة فضل ربه وكونه مختارا فيفضل من يشاء ويعطي من يشاء لا يسأل عما يفعل فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء

الطريق: اعلم أن لله سبحانه وتعالى دائرة تسمى الدائر ة الفضلية وتلك الدائرة مكنوزة من وراء خطوط الدوائر التي هي دوائر الأمر والنهي والجزاء خيرا أو شرا والاعتبارات واللوازم والمقتضيات فإن هذه الدائر هي دوائر عموم الخلق وتلك الدائرة الفضلية هي دائر اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى فيضعها لمن يشاء من خلقه وهذه الدوائر جعلنا سبحانه وتعالى عنده فيضها فائض من بحر الجود الكرم لا يتوقف فيضها على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيأته فقط ولا يبالي بمن كان فيها وفي العهود أم لا

أنتهج الصراط المستقيم أم سقط في المعاصي في الطريق الوخيم ولا يبالي فيها لمن أعطى ولا على ما إذا أعطى ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع وفيها أوقع الله تعالى هذا الشيخ الأحمدي المحمدي الإبراهيمي وجعلها سبحانه وتعالى دائر أهل طريقته وأوقعهم فيها فضلا منه سبحانه وتعالى وجودا وكرما لشدة عنايته بهذا الشيخ العظيم الذي جمع له بين مقام المحبة والخلة الناشئتين من هذه الدائرة التي بها اتخذ الله تعالى نبيه مُحَمَّدا ﷺ حبيبا وسيدنا إبراهيم عليه

السلام خليلا لوراثته إياهما من هذين النبيين ولذلك كانت طريقته رضي الله تعالى عنه طريقة المحبة والشكر. قال تعالى: {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم} وقال ﷺ لمن قال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر " أفلا أكون عبدا شكورا" أو كما قال ﷺ، وكانت أسهل الطرق على الإطلاق وكان أهلها محبوبين مقبولين على أية حالة كانوا ما لم يلبسوا حلة الأمان من مكر الله ومن بحرها سخر الله تعالى له جده

سيده ومولانا رسول الله ﷺ حتى أحبه محبة لا تعرف ولا تكيف ومن بحرها جعله الله تعالى القطب المكتوب والبرزخ المختوم الخاتم المحمدي المعلوم ومركزا يتفجر منه في جميع الأغواث الفيوض والعلوم سيبين ذلك في المحشر تصديقا بالنبي المعصوم إذا نادى مناديه بالمحشر: هذا إمامكم الذي كان مددكم منه ومن بحرها تفضل عليه مولانا رسول الله ﷺ بكيفيات منه ما تفضل به على غيره ومن بحرها تفضل عليه مولانا رسول الله ﷺ بدائر الإحاطة التي هي خاصة به ﷺ وبمقامه

ومن بحرها تفضل عليه مولانا رسول الله ﷺ بالكنز المطلسم الذي هو خاص به ﷺ وبمقامه ومن بحرها تفضل عليه ومولانا رسول الله ﷺ بالخريدة الفريدة التي هي خاصة به ﷺ ومن بحرها تفضل عليه ومولانا رسول الله ﷺ بإطلاقه رضي الله تعالى عنه في إعطاء جميع أوراده من الاسم الأعظم الكبير وما دونه لمن شاء ومعها ممن شاء وكذا جميع من قدمه الشيخ رضي الله تعالى عنه في إعطائها ومن قدمه من قدمه هكذا الأمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن

عليها وكان يقول رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ومن هنا يعلم كل من له أدنى علم ومعرفة أن أهل طريقة الختم المحمدي أفضل من غيرهم

لوجهين أحدهما أنه لما كان إمام أهلها رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وبرزخ البرازخ وشيخ المشايخ المأخوذ منه جميع الطرق المتقدمة كان أهل طريقته الخاصة به أفضل من غيرهم وراثة أحمدية مُحَمَّدية وثانيهما أنه لما كان دائرة الإحاطة الذي هو سره هو الساري في جميع أسماء الله تعالى الظاهرة والباطنة والاسم الذي لا يلقنه إلا القطب و الكنز المطلسم
الذي ما أنزل في القرآن ولا في جميع الكتب الإلهية مثله والخريدة الفريدة ليس فوقها إلا الاسم الأعظم الكبير وكل ما سواه فهو دونها كنوز مطلسمات فيها من العلوم والأسرار الذخائر ما ليس في غيرها من جميع الأذكار ونال هذا الخاتم من أسرارها وعلومها وخباياها ما لم ينله غيره من أكابر الأغواث وكذا كان مأذونا من جده رسول الله ﷺ في إعطاء جميع ما ذكر وهو رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به تفضل بتلك الأسرار والأذكار وأسرارها وعلومها وخباياها وظاهرها وباطنها ومفشوها ومكتومها على أهل طريقته لكل

منهم ما يناسب حاله ومقامه وقابليته واستعداده كان أهل طريقته أفضل من غيرهم بلا ريب وسيأتي في فصل فضائل المتعلقين به الذي هو الثامن والثلاثون من هذا الكتاب طرف من هذا المعنى وقد أودعها في فصل سبب تسمية طريقتنا هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية ما ينبه بهذا المعنى على فضل أهلها على غيرهم بعضه على طريق التصريح وبعضه على طريق الإشارة والرمز كقوله: فلنذكر هنا بعض ألفاظ أذكار هذه الطريقة للإشارة إلى أنها بلغت الغاية القصوى في الفضل وأن مرتبة أهلها لا يبلغها غيرهم بحال ما
وأنها أحمدية على التحقيق فنقول: اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد إلى قوله: حتى لحظة سكوني وهذا في غير الأذكار اللازمة للطريقة فإنها لا تمنع ممن قبل شروطها على أي حالة كانت كما تقدم،
وفي هذه الدائرة الفضلية قال مولانا جل وعلا: {ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} وقال: {قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} وقال: {يستبشرون بنعمة من الله وفضل} وقال: {وكان فضل الله عليك عظيما} وقال: {أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله} وقال: {واسألوا الله من فضله} وقال: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله} وقال: {فسوف ياتي الله بقوم

يحبهم ويحبونه} إلى قوله: {ذلك فضل الله يوتيه من يشاء} وقال: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين} {ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا} وقال: {يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين

آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل} وقال حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام: {ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون} وقال: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا} وقال: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم} وقال: {إن فضله كان عليك كبيرا} وقال: {قل فبفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو مما يجمعون} وقال: {إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله} وقال: {وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله} وقال: {لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم} وقال: {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}.

وروى البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر يقول: إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى تنصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أعطي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين، قال أهل التوراة والإنجيل: ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا، قال: هل ظلمتم من أجركم شيئا؟ قالوا: لا، قال:

فذلك فضلي أؤتيه من أشاء وفي رواية: فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ربنا، الحديث.

والأحاديث الدالة على هذه الدائرة كثير جدا وإنما نبهنا على هذه الدائرة مع أننا قد أودعنا في الفصول المتقدمة ما ينفر كل من له أدنى عقل وبصيرة من الإنكار لكون غرضنا في هذا الكتاب سد باب الإنكار على السادات الأخيار. قال تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد} والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل السابع والثلاثون

في بيان أن من أعمال البر ما يقتضي غفران الذنوب الكبائر والصغائر وفي بيان جواز مغفرة الله تعالى لعبده جميع ذنوبه الماضية التي فعلها والمستقبلة التي سيفعلها، وأن الولي قد يعلم ولايته وقد لا يعلمها، وقد يعلم أنه مأمون العاقبة.

فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم وفقنا الله تعالى وإياك لما يحبه ويرضاه أنا وضعنا هذا الفصل في هذا المحل تتمة للفصل المتقدم وتمهيدا للفصل الذي بعد هذا الفصل لعلك تنجو من الانتقاد الذي يؤدي إلى تكذيب نبيك المعصوم مُحَمَّد ﷺ وتكذيب ساداتك الأولياء العارفين ومن الحرمان الآن من أنكر شيئا عوقب بحرمانه. وفي دلائل الخيرات: وعنه ﷺ أنه قال: "من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، ومن صلى عليّ عشر صلوات صلى الله تعالى عليه مائة، ومن صلى عليّ مائة مرة صلى الله تعالى عليه ألف مرة، ومن صلى عليّ ألف مرة حرم الله جسده على النار". قال الفاسي في مطالع المسرات: أي نار جهنم أي: جعله حراما عليها أي ممتنعا فلا سبيل لها إليه وهو كناية على كمال النجاة من النار مطلقا بحسب ظاهر اللفظ فيقتضي غفران الذنوب الكبائر والصغائر.

وقد جاءت أحاديث في أعمال البر تقتضي ذلك أيضا كالحج فقد ثبت فيه أحاديث تقتضي تكفيره للذنوب الكبائر والصغائر فاختلف في ذلك العلماء، فقال قوم: إن كل ما جاء في ذلك إنما هو في الصغائر وإنها مقيدة بحديث "ما اجتنبت الكبائر" المخرج في الصحيحين إلى أن قال: وحكى ابن العربي وغيره على ذلك الإجماع وأن الكبائر وإنما تكفر بالتوبة. قال ابن دقيق العيد: وفيه نظر. وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة بعد نقله: وفيه نظر. وظواهر الأحاديث تقتضي خلاف ذلك سيما حديث "أن الله غفر لأهل عرفة وضمن عنهم التبعات" وهو حديث صحيح اهـ.

وصرح قوم بجواز تكفير الكبائر والصغائر بالأعمال الصالحة بفضل الله تعالى منهم ابن المنذر فيما نقله ولي الدين العراقي في تكملة شرح التقريب لوالده وأبو نعيم الأصبهاني فيما نقله ابن حجر في شرح فتح الباري مفسرا به حديث الترمذي وغيره: "من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت له ذنوبه وإن كان فر من الزحف" ومشى على ذلك في كتاب الرضا من فتح الباري أيضا وكذلك السيوطي في الكلام على حديث مسلم: من قتل

كافرا والباجي في المنتقى في حديث التأمين والقاضي عياض في الإكمال ونقل كلامه الشيخ أبو زيد الثعالبي في كتابه جامع الفوائد واستحسنه وجعله قاعدة عظيمة في كل ما ورد من الوعد الجميل في القرآن والأحاديث من أن من عمل كذا وكذا دخل الجنة كما نقله الشيخ أبو زيد أيضا في تفسيره وفي كتابه العلوم الفاخرة في أمور الآخرة كلام الفخر الرازي وقال بذلك أيضا القرطبي في المفهم ونقل كلامه الأبي ثم نقل كلام ابن العربي وزينه ثم نقل كلام اختيار بن بزيزة تكفي الطاعات للكبائر واحتجاجه بقوله: ثم قال: قلت: الجاري على مذهب الأشعرية أنه يجوز مغفرة الكبائر دون توبة وصحة تكفير الحج لها ونقله الشيخ

السنوسي في تكمله الكمال وأقره ونقل القول بذلك ابن التين الصفاقسي في شرح البخاري والبدر الدماميني في حواشيه وكذا قال بذلك أيضا ابن عرفة في ما نقله عنه السيد الشريف السلوي والبسيلي في تقييدهما في التفسير وقد ألف في هذه المسألة الشيخ أبو العباس أحمد بابا أقيت ونقل نصوص الأئمة المسلمين كلهم وغيرهم ثم قال: وأقول الذي يتبادر للفهم ويظهر للنظر هو القول الثاني وهو جواز غفران الكبائر كالصغائر ببعض الأعمال المقبولة بفضل الله تعالى لأمور أحدها ما ثبت من قواعد أهل السنة وأصولهم أن الله تعالى بفضله وكرمه سبب لنجاة من شاء لعباده العاصين عملا صالحا يعمله وقولا طيبا يقوله من أي أنوع الطاعات سيما التي جاءت الأخبار أنها تكفر الذنوب ثانيها ما قاله الأئمة أن ظواهر الشرع هي الجادة عند اختلاط الآراء واشتباك الأقوال إن لم تخالف الأدلة العقلية ولا شك أن ما جاء في الأحاديث من تكفير الأعمال للذنوب كثير جدا بحيث لا يحيط بها أحد ثم ذكر جماعة الفوافي الخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب من حفاظ المتأخرين ثم قال: وليس رد جميع الأحاديث الواردة في ذلك بحديث:" ما اجتنبت الكبائر " والحكم عليها بالتقييد به بينا سيما منها ما لا يمكن تقييده به ثم ذكر أحاديث كثيرة مما لا يمكن تقييده ثم إلى غيرها من الأحاديث في المعنى التي لو تتبعت لجاء منها أوراق عدة بعضها صحيح وبعضها ضعيف ولا يمكن تقييدها بحديث ": ما اجتنبت الكبائر " أصلا لأنها صريحة في تكفير الكبائر صراحة لا تقبل التقييد ثم ذكر تأويل حديث "ما اجتنبت الكبائر " ثم ذكر وجودها أخر في تقوية هذا القول الثاني ذكر في خامسها ما جاء في روايات كثيرة عن الصالحين وتواتر في رؤيتهم خلقا من الناس في المنام بعد موتهم فتذكر كل أحد أنه غفر له بسبب عمل خاص وقد كان

مات على غير توبة ثم سرد من ذلك جملة صالحة ثم قال: وغيرها مما يكثر في ذه المنامات وإن كانت لا يستدل بها على الأحكام الشرعية كما قال المحققون: ونقضوا لأجله ما وقع كثيرا لأبي الأصبغ بن سهل في أحكامه منها ما قاله الإمام القدوة المحقق نخبة العلماء أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله في موافقاته وكذا عز الدين بن عبد السلام قبله في فتاويه والشيخ البسيلي في نكت التفسير: لكنها مما يستأنس بها ويتقوى رجاء العاصي بها على رفقة لعله يحصل له مثل ذلك اعتمادا على فضله تعالى اهـ ما نقله في مطالع المسرات ونقلته منه ملخصا.

ثم قال: والذي يظهران خلافهم لم يتوارد على محل واحد وإن المانعين لتكفير الكبائر السيئات بالحسنات إنما يعنون مطلق الحسنات التي في قوله تعالى: {إن الحسنات يذهبن السيئات} ونحوه مما ورد فيه تكفير السيئات من غير تصريح فيه بتكفير الكبائر ولا بخروجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه ونحو ذلك وهذا هو الذي تقتضيه قاعدة السنة من عدم الموازنة والإبطال، وإن المجيزين لتكفير الكبائر بالأعمال الصالحة إنما يعنون ما ورد فيه نص بتكفيره لها أو من شاء الله تعالى أن يغفر له ذنوبه كلها بعمل صالح عمله.

ومن قاعدة السنة أن الله تعالى يغفر ذنوب من يشاء بلا توبة فضلا من الله تعالى ورحمة، ومن فضله ورحمته غفر له بسبب العمل الذي عمله وترتبه لذلك فيقبله منه بفضله ومنته اهـ. وقال في كتاب الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة: وبعد فهذه أحاديث نبوية تتبعتها من كتب غريبة ومشهورة وكلها داخلة تحت معنى واحد وهو العمل بما ورد الوعد فيه بغفران ما تقدم من الذنوب وما تأخر على لسان الصادق المصدوق ﷺ وقد رتبتها على الأبواب ليسهل كشفها على الطلاب وسميتها بالخصال الكفرة للذنوب المتقدمة

والمتأخرة، وقبل الشروع في إيراد الحديث فقد أردت أن أذكر شيئا من كلام الأئمة هناك في جواز وقوع ذلك، فمن ذلك أن الأئمة رضي الله تعالى عنهم تكلموا على قوله ﷺ في أهل بدر "أن الله تعالى اطلع عليهم وقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" بالجزم، والرواية الأخرى: "لعل الله" وقوله: اعملوا للتكريم، والمراد أن كل عمل عمله البدري لا يؤاخذ به. وقيل أن أعمالهم السيئة تقع مغفورة كأنها لم تقع. وقيل أنهم محفوظون فلا تقع منهم سيئة.

ومما يدخل في هذا المعنى ما ورد في صوم يوم عرفة فإنه يكفر ذنوب سنتين الماضية والمستقبلة فهو دال على وجود التكفير قبل وقوع الذنب. ومن ذلك ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن

عائشة ﵂ قالت لرسول الله ﷺ: ادع لي، فقال: "اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنوبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت" الحديث.

وقال لعمر رضي الله تعالى عنه: "غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما هو كائن إلى يوم القيامة" فدعاء المعصوم ﷺ بذلك لبعض أمته دال على جواز وقوع ذلك، وإذا علم أن الله تعالى مالك كل شيء له ما في السماوات وما في الأرض وما بينها وما تحت الثرى لم يمنع أن يعطي ما شاء لمن شاء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قلت: والأحاديث التي أوردها نوردها إن شاء الله تعالى آخر الكتاب في فصل مكفرات الذنوب هنالك ولكني أورد لك أحاديث تبين لك أن ما يأتي ذكره في الفصل الذي يأتي بعد هذا الفصل لا ينتقده إلا من كان منتقدا على النبي ﷺ لأن الأذكار التي نذكرها هي التي ذكر فيها النبي ﷺ ما سيذكر في ذلك الفصل ومن قال أن ذلك يوجب الأمن من مكر الله تعالى وما يوجب إلا من من مكر الله تعالى لا ينبغي أن يذكروا أنه الكذب فكلامه متوجه إلى رسول الله ﷺ لا إلينا فنقول وبالله تعالى

التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: عن أنس كان رسول الله ﷺ ف 6 ي مسيره فقال: استغفروا فاستغفرنا فقال: أتموها سبعين مرة فأتممناها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:"ما من عبد ولا أمة استغفر الله سبعين مرة إلا غفر له سبع مائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبع مائة ذنب " رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي والأصبهاني.

وروى أبو داوود في سننه والطبراني في كتاب الدعاء وأبو يعلى وابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:"أتاني آت من ربي فقال: {من يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا} رحيما وقد كانت شقت عليهم الآية التي قبلها من يعمل سوء يجز به فأردت أن أبشر أصحابي قال: قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ثم استغفر غفر له؟ قال: نعم قلت يا رسول الله: وإن زنى وإن سرق ثم استغفر غفر له؟ قال: نعم ثم قلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال: نعم على رغم أنف عويمر ثم قال

كعب بن ذهل: وأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه. وروى بن جرير وابن المنذر من طريق عن ابن عباس في قوله تعالى: {ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما} قال: أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته فمن أذنب ذنبا صغيرا

كان أو كبيرا ثم استغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو كانت ذنوبه أعظم من السماوات والأرض والجبال.

وروى الطبراني مرفوعا: من صلى صلاة واحدة صلى الله تعالى عليه عشرا ومن صلى علي عشرا ص 3 لى الله تعالى عليه مائة مرة ومن صلى مائة مرة كتب الله تعالى بين عينية براءة من النفاق وبراءة من النار واسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء. وروى الترمذي عن ابن مسعود قال النبي ﷺ إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة.

,اخرج البزار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: " قال الله تبارك وتعالى عمودا من نور بين يدي العرش فإذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز ذلك العمود فيقول الله تبارك وتعالى: اسكن فيقول كيف أسكن ولم تغفر لقائلها؟ فيقول قد غفرت له فيسكن عند ذلك. وعن أنس قال رسول الله ﷺ: " إذا قال العبد المسلم لا إله إلا الله خرقت السماوات حتى تقف بين يدي الله عز وجل فيقول الله عز وجل: اسكني فتقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلها فيقول الله عز وجل: ما أجريتها على لسانه إلا وقد غفرت له رواه أبو منصور

الديلمي في مسند الفردوس، قوله خرقت أي قطعت وجاوزت. وفي الفردوس عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:"مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله لا أعذب من قالها ". وعن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:" إني لأعلم كلمة ليقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم الله جسده على النار رواه الحاكم.

وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ:" رأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله فأخذت بيده وأدخلته الجنة ". وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:" ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم وكأني أنظر إلى أهل لا إله إلا الله وهو ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ".

وفي رواية:" ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا عند القبور " رواه الطبراني والبيهقي. وروى أبو منصور الديلمي وقال متصل الإسناد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" حضر ملك الموت رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد له حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد شيئا ثم فك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فقال: وجبت

لك الجنة بقولك كلمة إخلاص " انتهى.

قلت: وسيأتي في فصل فضائل الأذكار اللازمة وفصل فضائل الغير اللازمة وفصل مكفرات الذنوب من الأحاديث كثير مما يؤيد هذا المقدم وإذا تحر هذا وفهمته وأعطيته حقه من التأمل ظهر لك ظهورا لا غبار عليه أنما سنورده في الفصل الذي بعد هذا الفصل لا ينتقد إلا من يريد الانتقاد على رسول الله ﷺ الصادق المصدوق ﷺ لا علينا لأن الفضائل التي سنذكرها في ذلك الفصل لذاكر أذكار طريقتنا هذه هي التي ذكر فيها النبي ﷺ ما سمعته من الأحاديث المتقدمة قريبا ومن قال إن ذلك يوجب إلا

من مكر الله وما يوجب ذلك لا ينبغي أو قال إنه كذب أو جنون فكلامه متوجه إلى النبي المعصوم ﷺ وحينئذ فقد استرحنا لكفره وكذا المستهزئ الذي يقول أنظروا إلى الذين دخلوا الجنة أو الذين جاوزوا الصراط والذين غفر الله لهم جميع ذنوبهم أو الذين صاروا أولياء الله لاستهزائهم بشعائر الدين وبآيات الله وبأحاديث رسول الله ﷺ قال تعالى: {قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} وأما نحن معاشر فقراء الطريقة الأحمدية المحمدية فلا كلام لنا معهم إذ لا

يتوجه شيء من كلامهم إلينا لأنا لا نأمن من مكر الله وكيف نأمن وعدم الأمن من مكر الله تعالى شرط لازم في طرقتنا هذه ومن خالف وأمن ينسلخ عنها ولا يموت إلا كافرا والعياذ بالله تعالى أنظر الفصل الثاني والثلاثين من هذا الكتاب المبارك إن قيل بقي عليك إيرادان الأول: من مقتضى كلام شيخكم أنه علم أنه مأمون العاقبة وإن عاقبته لا تتغير والولي لا يبلغ ذلك المقام.

الثاني: إنا نرى ممن أحب الشيخ التجاني وأهل طريقته وأوراده ولم تر فيهم الولاية وذلك يدل على أن ما قيل: كل من أحبه وأخذ طريقته لا يموت حتى يكون وليا قطعا باطل. قلت: وهذان الإيرادان مردودان على موردهما ودالان على أنه من الجهلة لأن ساداتنا الأولياء والعلماء نصوا على أن الولي قد يكون مأمون العاقبة وأنه لا تتغير عاقبته وقد يعلم ذلك وعلى أن الولي لا يشترط في كونه وليا أن يعلم أنه ولي بل يجوز أن يعلم الولي أنه ولي وقد يجهله، وقد يشترط أيضا في كونه وليا أن تكون له كرامة ظاهرة وإذا كان الولي نفسه يجهل

أنه ولي فكيف يحكم بعدم ولايته غيره أنه ولي. قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه في رسالته: واختلف أهل الحق في الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا، فكان الإمام أبو

بكر بن فورك يقول: لا يجوز ذلك لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن، وكان الأستاذ أبو علي الدقاق يقول بجوازه وهو الذي نؤثره ونقول به وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء حتى يكون كون كل ولي يعلم أنه ولي واجبا لكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك كما يجوز أن لا يعلم بعضهم.

فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته كرامة له انفرد بها وليس كل كرامة لولي تجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء، بل لو لم تكن للولي كرامة ظاهرة لم يقدح عدمها بكونه وليا بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات لأن النبي مبعوث إلى الخلق فللناس حاجة إلى معرفة صدقه ولا يعلم إلا بالمعجزة وبعكس ذلك حال الولي فإنه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضا العلم بأنه ولي والعشرة من أصحابه صدقوا رسول الله ﷺ فيما أخبرهم به من أنهم من أهل الجنة.

قلت: وكذا شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن مُحَمَّد رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به صدق الرسول ﷺ فيما أخبره به من أنه هو وجميع أحبابه وأهل طريقته من أهل الجنة، ونحن معاشر الفقراء الأحمدية المحمدية التجانية صدقنا كذلك ولله الحمد. قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه: وقول من قال: لا يجوز ذلك لأنه يخرجهم من الخوف فلا بأس أن يخافوا تغير العاقبة، والذين يجدون في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه يزيد ويرقى على كثير من الخوف، وقال بعد كلام: يجوز أن يكون
من جهة كرامات ولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة وأنه لا تتغير عاقبته فتلحق هذه المسألة بما ذكرنا أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولي اهـ. وفي الإبريز: أن ابن العربي الحاتمي ﷺ قال في الفتوحات المكية في الباب الرابع والستين وثلاثمائة: أن الولي إذا نزل عليه الملك فقد يأمره بالاتباع ويخبره بصحة حديث ضعفه العلماء، وقد ينزل عليه بالبشرى من الله تعالى وأنه من أهل السعادة والأمان كما قال تعالى: {لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة} اهـ.

وقال الشيخ الشعراني في كشف الحجاب والران على وجه أسئلة الجان: وسألوني: أيما أفضل الأولياء عندكم؟ من كان كثير الكرامة أو من كان قليلها، فأجبتهم: الفضيلة لها جهتان: جهة تتعلق بالولي وجهة تتعلق بأهل عصره، فجهة الولي في نفسه أن يكون على الكتاب والسنة لا يخرج عنهما قيد شبر، وأما جهة أهل عصره فإنه كلما كثر تكذيبهم له كثرت كرامته، فأكثر الأولياء كرامة من كثر تكذيب قومه له، وأقلهم كرامة من كثر تصديق قومه له، لأن الرسول إنما

يبعث لإقامة الحجة على أهل الضلال وكذلك أتباعه من الأولياء ومن هداه الله لا يتوقف في إجابة الداعي إلى حضرته على ظهور كرامة أبدا. قد أنشدوا في الكرامات: بعض الرجال يرى كون الكرامات *** دليل حق على نيل المقامات وأنها غير بشرى قد أتتك بها *** رسل المهيمن من فوق السماوات وعندنا فيه تفصيل إذا علمت *** به الجماعة لم تفرح بآيات كيف السرور والاستدراج يصحبها *** في حق قوم ذوي جهل وآفات وليس يدرون حقا أنهم جهلوا *** وذا إذا كان من أقوى الجهالات وما الكرامة إلا عصمة وجدت *** في حق قوم بأفعال ونيات تلك الكرامة لا تبغي به بدلا *** واحذر من المكر في طي الكرامات وأنشدوا: ترك الكرامة

لا يكون دليلا *** فاسمع لقولي فهو أقوم قيلا أن الكرامة قد يكون وجودها *** لحظ المكرم ثم ساء سبيلا فاحرص على العلم الذي كلفته *** لا تتخذ غير الإله بديلا ستر الكرامة واجب متحقق *** عند الرجال فلا تكن مخذولا وظهورها في المرسلين فريضة *** وبها تنزل وحيه تنزيلا وإيضاح ذلك: أن الولي يدعو إلى الله تعالى بشرع صحيح ثابت قد تقرر قلبه من غيره من النبيين والنبي يدعو إلى الله تعالى بشرع غريب قد أتى به لم يتقدمه أحد من أهل عصره فاحتاج إلى ظهور المعجزات الدالة على صدقه وصحة ما جاء به اهـ.

وقال في فرائد الفوائد: وقد يفترقان يعني المعجزة والكرامة أيضا في أن دلالة المعجزة على النبوة قطعية وأن النبي يعلم أنه نبي، والكرامة ظنية ولا يعلم مظهرها أو من ظهرت على يده أنه ولي. وقد قال القشيري: الذي نقول به جواز علم الولي بولايته وتكون معرفته تلك كرامة ظاهرة في حقه إذا أطلعه الله تعالى على ما وهبه وهذا هو الراجح وعليه جماهير العلماء. قال ابن فورك: لا يجوز أن يعلم أنه ولي لأن ذلك يسلبه الخوف ويوجب له الأمن فهذا مذهب ضعيف لأن من كان بالله تعالى أعرف كان من الله تعالى أخوف.

وقال ابن مغزال ذلك وفاقا لأبي علي الدقاق وأبي القاسم القشيري وردا على من نازع في ذلك بأنه ينافي الخوف لأن التحقيق أن علم الولاية لا ينافي الخوف، ألا ترى أن العشرة المبشرين بالجنة عالمون بأنهم من أهلها مع ذلك كان عندهم من الخوف ما لا يحد اهـ. قلت: ومع جميع ما تقدم فإنا نطمع برحمة من رحمته سبقت الغضب وفيض من لا يخص من طلب ونحن وإن كنا لسنا أهلا لأن نرحم فربنا الكريم أهل لأن يرحم فكيف لا وقد قوي رجاؤنا بقوله تعالى: {قل

كل يعمل على شاكلته} وبقوله تعالى: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه أجرا عظيما} ويا لله الحجب من قوم بهت يلوموننا في حسن ظننا بربنا ويطلبون منا سوء الظن به بعد ما سمعوا الله تعالى يقول في كتابه: {وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أدراكم فأصبحتم من الخاسرين} ورسوله ﷺ يقول:" خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله تعالى " أو كما قال مما هذا معناه: وفى كيف لا نحسن ظننا بملك كريم يرضى من عبده العمل اليسير ويثيبه الخير الكثير.

وفي السراج المنير عند قوله تعالى: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك مثقال حبة يضاعفها} وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة: بلغني عنك أنك تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف حسنة قال أبو هريرة: بل سمعته يقول:" إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن ألفي أف حسنة ثم تلا هذه الآية. ثم قال في السراج: ويؤتي أي يعطي صاحب الحسنة من لدنه أي من عند الله تعالى سبيلا التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل أجرا عظيما أي عطاء جزيلا أهـ.

ومن تأمل هذا علم أنه لا ينكر ما سنذكره في الفصل الذي بعد هذا الفصل إلا من جهل سعة فضل الله تعالى وكيف لا نحسن ظننا وقد أعلمنا أنه لا يعطي عبدا من عباده الأمان ظن به تعالى إن خيرا فخير وإن شرا فشر ثم أمر بحسن الظن به بقوله كما في الحديث القدسي: أنا عند ظني بي فليظن بي خيرا ". وفي البحر المورود في المواثيق والعهود للشيخ الشعراني رضي الله تعالى عنه: أخذ علينا العهود أن نحسن ظننا في الله عز وجل ولا نسيء الظن به ولو فعلنا من معاصي أهل الإسلام ما فعلنا واعلم يا أخي أن حسن الظن بالله تعالى هو محط رحال

الأولين والآخرين ولذلك ختمنا به عهود هذا الكتاب الخاص بالمريدين، وقد حث الحق عز وجل على حسن الظن به بقوله في الحديث القدسي: " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا " والمراد به العبد المسلم دون الكافر بالإجماع وفي الحديث بشرى عظيمة من الله عز وجل لأن في الظن نوع ترجيح إلى جانب العلم الشامل لذلك الظن الخير أو الشر ولكن الحث تعالى ما وقف هنا لأن رحمته عز وجل سبقت غضبه بل قال سبحانه وتعالى معلما لعباده" فليظن بي خيرا " بصيغة الأمر فكل مسلم لم يظن بالله تعالى خيرا فقد عصى أمره سبحانه وتعالى وجهل ما

يقتضيه الحرم الإلهي يوم القيامة حين يبسط الحق تعالى بساط الكرم فتدخل جميع الذنوب في حواشيه وتقول الملائكة عليهم الصلاة والسلام ما بقي لغضب ربنا موضع. لكن هنا دقيقة وهي أن المراد من حصول حسن الظن إنما هو حالة طلوع الروح لأن الحكم لها وهو أمر مغيب عنا لا نعرف هل نوفي به أم لا، وأما قبل طلوع الروح فلا مدار عليه وإن كان محمودا أيضا. ومن هنا خاف الأكابر من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى فافهم، فعلم أن الواجب على كل مسلم دوام حسن الظن ليلا ونهارا فإنه عنوان السعادة لكن يكون ذلك بميزان الشريعة.

قال: فإن قبل أن بعض العلماء يقول إن ترجيح جانب الرجاء وحسن لا يؤمر به العبد إلا إذا كان محتضرا وإلا فترجيح جانب الخوف أولى في حقه فالجواب أنا نقول أن الوفاة حاضرة عند العبد في كل نفس من أنفاسه وليس هو على يقين من الحياة نفسا واحدا فهو محتضر حينئذ على الدوام فلا يجوز له سوء الظن بالله تعالى أبدا في نفس من الأنفاس لاحتمال أن يكون ذلك النفس هو آخر العمر فتخرج على تلك الحالة فيلقى ربه وهو ظان به السوء فيجني ثمرة ذلك من أنواع العقوبات والخزي في البرزخ يوم القيامة نسأل الله تعالى العافية فيما يعود

على العبد إلا ظنه بربه عز وجل إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فعلم أن من ظن بربه عز وجل خيرا فإنه يشاهد من كرمه سبحانه وتعالى ما لم يخطر له على بال. قال الشعراني: فإن ظننت أنه لا يضيعك في الدنيا ولا يكلك إلى نفسك طرفة عين فعل، وإن ظننت به أنه يوفي عنك ما عليك من حقوق العباد في الأموال والأعراض ولا يؤاخذك بحقوقه تعالى فعل، وإن ظننت به أنه يميتك على التوحيد وكمال الإيمان والأحوال فعل، وإن ظننت أنه لا يفتنك في قبرك بل يلقنك حجتك فعل، وإن ظننت به أنه لا يريك أهوال يوم القيامة بل تقوم من قبرك فتركب على

براق أعمالك إلى الجنة فعل، وإن ظننت به أنه لا يحاسبك على شيء ولا يسألك عن تقصير فعل، وإن ظننت به أنه يثبت قدميك على الصراط ولا يوقعك في نار جهنم فعل، وإن ظننت به أنه يدخلك الجنة برحمته ويعطيك فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فعل فالحمد لله رب العالمين اهـ كلام الشعراني رضي الله تعالى عنه.

انظر أخي رحمك الله تعالى وتأمل مناسبة هذا الكلام بما ستراه مذكورا في الفصل الذي بعد هذا الفصل وتأمله راشدا تعلم أنه لا ينكر ما فيه إلا المحرومون بسوء ظنهم بربهم وسوء أدبهم بنبيهم وسوء أدبهم بأولياء الله تعالى والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثامن والثلاثون

في فضل المتعلقين به رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بأي وجه من وجوه التعلقات وما أعد الله تعالى لهم، وفضل الأذكار اللازمة للطريقة، وما أعد الله لتاليها على الإجمال.

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم يا أخي وفقنا الله تعالى وإياك لما يحبه ويرضاه أن أهل هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية محبوبون مقبولون على أي حالة كانوا ما لم ينسلخوا عنها ولم يلبسوا حلة الأمان من مكر الله تعالى. وقد أخبرني سيدي مُحَمَّد الغالي رضي الله تعالى عنه أن واحدا من أصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه كان جالسا في مسجد من مساجد فاس صانها الله تعالى من كل بأس وكان بجانبه واحد من الفقهاء فقال لصاحب الشيخ رضي الله تعالى عنه: إنكم تعمرون

المساجد بأبدانكم ولا تعمرونها بقلوبكم فقال له صاحب الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: نحن محبوبون مقبولون على أي حالة كنا فخاف من هذه القولة ورجع إلى الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به خائفا وجلا مشفقا على نفسه وذكر له القصة كلها، فقال له رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: نعم أنتم محبوبون مقبولون على أي حالة كنتم، فهلا قلت له: نحن محبوبون مقبولون على أي حالة كنا على رغم أنوفكم.

وقد تقدم أن بعض من لقيه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أخبرني أنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به ما تنزل لإفادة الخلق بعدما أمره جده رسول الله ﷺ بذلك إلا بعد قوله للنبي ﷺ: إن كنت بابا لنجاة كل عاص مسرف على نفسه تعلق بي فنعم وإلا فأي فضل لي؟ فقال له ﷺ: أنت باب لنجاة كل عاص تعلق بك وحينئذ طابت نفسه لذلك.

وأخبرني سيدي مُحَمَّد الغالي أبو طالب الشريف الحسني التجاني أنه سأل الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به عن سبب الفضل الذي كان في أذكاره، فقال له رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: لأجل انتهى. وهذا ظاهر لكل من عرف الله تعالى أوقعه في دائرة الفضيلة التي تقدم ذكرها وعرف أنها دائرة أهل طريقتنا، وإذا فهمت هذا يا أخي فاعلم وفقني الله وإياك لنيل

هذا الخير العظيم والفوز العميم إن الله تعالى بفضله وكرمه تفضل على المتعلقين بهذا القطب المكتوم والبرزخ المختوم بأمور ضمنها لهم جده ومحبه وحبيبه سيد

الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ يقظة لا مناما وأكثر تلك الأمور لا يحل ذكره ولا إفشاؤه ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة. وذكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به منها جلة كافية يستبشر بها المعتقد على رغم أنف المنتقد، فلذلك أرادنا أن نذكر منها هنا ما يسعنا ذكره ونمسك عن ما ينبغي كتمه، فالتي رأينا أن نذكر منها تسعا وثلاثين فضيلة، أربعة عشر منها تحصل لجميع من تعلق به بالتسليم والاعتقاد وتعظيمه ومحبته وترك الاعتراض عليه والانتقاد وحبة أهل طريقته واحترامهم وتعظيمهم وعدم إذايتهم،

والبقية يختص بها أهل طريقته المتمسكون بأوراده. فلنبدأ بالقسم الأول فنقول: الأولى أن جده ﷺ ضمن لهم أن يموتوا على الإيمان والإسلام، والثانية أن يخفف الله تعالى عنهم سكرات الموت، والثالثة لا يرون في قبورهم إلا ما يسرهم، والرابعة أن يؤمنهم الله تعالى من جميع أنواع عذابه وتخويفه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنة، والخامسة أن يغفر الله تعالى لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر، والسادسة أن يؤدي الله تعالى عنهم جميع تبعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله عز وجل لا من حسناتهم،

والسابعة أن لا يحاسبهم الله تعالى ولا يناقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة، والثامنة أن يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم القيامة، والتاسعة أن يجيزهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة، والعاشرة أن يسقيهم الله تعالى من حوضه ﷺ يوم القيامة، والحادية عشرة أن يدخلهم الله تعالى الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، والثانية عشرة أن يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس وجنة عدن وسبب ضمانه ﷺ كل ما ذكر رضي

الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به لما رأى ما صدر له من جده ﷺ من المحبة وصرح له بها تذكر أصحابه ومن وصله إحسانهم وأهل طريقته وكتب كتابا وطلب فيه لنفسه ولهم ولغيرهم ممن لا أطيل بذكرهم جميع هذه المطالب وجعله في يد رسول الله ﷺ، فلما نظر ﷺ إلى المكتوب أجاب بأنه ﷺ ضمن له جميع ما طلب، وقد طلب جميع هذه المطالب أيضا منه ﷺ بغير كتاب مشافهة وضمن له ﷺ جميع ما طلب.

وزبدة السؤال: أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن لي جميع هؤلاء أن أموت أنا وكل حي منهم على الإيمان والإسلام وأن يؤمننا الله تعالى وجميعهم من جميع عذابه وعقابه وتهويله وتخويفه ورعبه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنة وأن يغفر لي ولجميعهم جميع ما تقدم وما تأخر وأن يؤدي عنا وعنهم جميع تبعاتنا وتبعاتهم وجميع مظالمنا ومظالمهم من خزائن الله عز وجل لا من حسناتنا وحسناتهم وأن يوفقنا عز وجل وجميعهم من جميع محاسبته ومناقشته وسؤاله عن القليل والكثير يوم القيامة وأن يظلني الله

تعالى وجميعهم في ظل عرشه يوم القيامة وأن يجيزني ربي وكل واحد من المذكورين على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة وأن يسقيني الله تعالى وإياهم من حوض سيدنا مُحَمَّد ﷺ يوم القيامة وأن يدخلني ربي وجميعهم الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى وأن يجعلني ربي وجميعهم مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس ومن جنة عدن وأسأل سيدنا رسول الله ﷺ بالله تعالى أن يضمن لي ولجميع الذين ذكرتهم في هذا الكتاب جميع ما طلبت من الله لي ولهم في هذا الكتاب بكماله كله

ضمانا يوصلني وجميع الذين ذكرتهم في هذا الكتاب لكل ما طلبت من الله لي ولهم في هذا الكتاب والسلام. فأجاب ﷺ بقوله الشريف: كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانا لا يتخلف عنك وعنهم أبدا إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في أعلى عليين وضمنت لك جميع ما طلبت ضمانا لا يتخلف عليك الوعد فيه والسلام.

ثم قال رضي الله تعالى عنه: وهذا كله وقع يقظة لا مناما ثم قال: أنتم وجميع الأحباب لا تحتاجون إلى رؤيتي إنما من يحتاج إلى رؤيتي من لم يكن حبيبا ولا أخذ عني ذكرا ولا أكلت طعامه وأما هؤلاء فقد ضمنهم لي بلا شرط رؤية مع زيادة أنهم معي في عليين ولا ظان أن عليين وعموم الجنة على حد سواء بل النسبة بينهما أن لو خرجت حبة عنب أو غيرها من الثمار التي في الجنة الأولى إلى الدنيا فضلا عن الحور العين لأطفأت نور الشمس ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الثانية إلى الأولى لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم وهكذا إلى أن

ذكرا سبعة رضي الله تعالى عنه والفردوس هي السابعة وعليون فوق الفردوس ولو خرجت حبة عنب أو غيرها إلى الفردوس لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم عن كل ما عندهم وعليون مقام الأنبياء وأكابر الأولياء من هذه الأمة ومن اهتدى من الأمم السابقة من غير نبوة من عداهم

فاعرف النسبة بين عليين والجنات وقس عليه كل ما خلق الله تعالى في الجنة من حور وقصور وغيرها فإذا تأملت هذا عرفت قدر درجة عليين في الجنات وأي نسبة بينها وبين الجنات وقد تفضل لي ﷺ حتى ضمن لي دخول من ذكرهم إليهم بلا حساب ولا عقاب

واستقرارهم فيها وأما من رآني فقط فغايته أن يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ولا مطمع له في عليين إلا أن يكون ممن ذكرهم وهم أحبابنا ومن أحسن إلينا ومن أخذ عنا ذكرا فإنه يستقر في عليين معنا وقد ضمن لهم هذا بوعد صادق لا خلف فيه إلا أني استثنيت من عاداني بعد المحبة والإحسان فلا مطمع له في ذلك فإن كنتم متمسكين بمحبتنا فأبشروا بما أخبرتكم به فإنه واقع لجميع الأحباب قطعا، والثالثة عشر: أن النبي ﷺ يحب كل من كان محبا له رضي الله تعالى عنه، والرابعة عشرة: أن محبه ﷺ لا يموت حتى
يكون وليا قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: قد أخبرني سيد الوجود ﷺ أن كل من أحبني فهو حبيب للنبي ﷺ ولا يموت حتى يكون وليا قطعا، وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: قال لي سيد الوجود أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين أنت حبيبي ومن أحبك حبيبي وكل من أخذ وردك فهم محرر من النار. وقال ﷺ: أبشروا أن كل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله.
وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: وأما من كان محبا ولم يأخذا الورد فلا يخرج من الدنيا حتى يكون من الأولياء. فلنجعل هذا آخر القسم الأول ونشرع في ما اختص به أهل طريقته المتمسكون بأذكاره فنقول: والخامسة عشر أن أبوي آخذي ورده وأزواجه وذريته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب مع أن أحدا منهم لم يكن له تعلق به بوجه من وجوه التعلقات وإنما نالوا هذا الفضل العظيم والخير الجسيم بسبب هذا الآخذ المتمسك بأذكاره اللهج بها قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: ومن أخذ عني الورد المعلوم الذي هو لازم

للطريقة أو عن من أذنته يدخل الجنة هو ووالداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه ولا الحفدة بلا حساب ولا عقاب بشرط ألا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة ويداوم محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات وكذا مداومة الورد إلى الممات ثم قال رضي الله تعالى عنه: قلت لرسول الله ﷺ هذا الفضل هل هو خاص بمن أخذ عني الذكر مشافهة أو هو لكل من أخذه ولو بواسطة؟ فقال لي: كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنما أخذ عنك مشافهة وأنا ضامن لهم وهذا الفضل

شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآني أو لم يرني.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: كل من أخذ وردنا يبعث من الآمنين ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالداه وأزوجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بشرط الاعتقاد وعدم نكث المحبة وعدم الأمن من مكر الله تعالى كما قدمنا ويكون من الآمنين من موته إلى دخول الجنة. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به يخاطب من سأله من أصحابه أن يبشره: وأما ما ذكرت من أن أخبرك ببعض الأمور ليطمئن قلبك وتزيد محبتك ويدوم سرورك فأقول لك الأولى من تلك الكرامة التي شاعت وذاعت عند المعتقد على رغم أنف المنتقد وهي أعظم خير يرجى وأفضل موعدة للعاقل تترجى وهي أن كل من أخذ وردنا وداوم عليه إلى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالداه وأزواجه وذريته إن سلم الجميع من الانتقاد.

والساسة عشر أنهم تلاميذ للنبي ﷺ. والسابعة عشر أن النبي ﷺ سماهم أصحابا له صلى الله عليه وسلم قال رضي الله تعالى عنه: قال لي سيد الوجود ﷺ: أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين أنت حبيبي وكل من أحبك حبيبي وفقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأصحابك أصحابي وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار

أهـ. قلت: ولهذا صار أهل طريقته صحابيين بهذا المعنى حتى قال ﷺ في حقهم مثلما قال في الصحابة رضي الله تعالى عنهم إذ قال لشيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به يقظة لا مناما: قل لأصحابك لا يؤذوني بإذاية بعضهم بعضا، وقال في حق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: " لا تؤذوني في أصحابي " أو كما قال.

والثامنة عشر أن كل من يؤذيهم فإنه يؤذي النبي ﷺ وذلك أن كمحاورة وقعت بين رجلين من أصحابه فأمر أن يصلحوا بينهما فورا ثم أخبر رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أنه وقع لي الأمر بالصلح بينهما من النبي ﷺ واخبره عليه الصلاة والسلام بأنه يؤذيه ﷺ ما يؤذي أصحابه رضي الله تعالى عنهم.

والتاسعة عشر أن الإمام المهدي المنتظر أخ لهم في الطريقة قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى الإمام المهدي إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء أهـ.

قلت:قد أخبرني سيدي مُحَمَّد الغالي أبو طالب الشريف الحسني أن واحدا من أصحاب الشيخ قال لآخر بحضرة الشيخ أن الإمام المهدي يذبحنا إذا ظهر فقال له الشيخ ﷺ: لا يذبحكم لأنهم أخ لكم في الطريقة وإنما يذبح علماء السوء وقال: إذا جاء المنتظر يطلب من أصحابنا الفاتحة أهـ. وقد أخبرني أيضا ونحن في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام بأنه إنما جاور الحرمين الشريفين لأمور منها أنه يترصد ظهور الإمام المهدي وهو حاضر لعل الله يمن عليه بأخذ الإمام هذه الطريقة على يديه وقد تركته هناك مجاورا

رضي الله تعالى عنه. الموفية عشرين أن أهل طريقته كلهم أعلى مرتبة من أكابر الأقطاب قال ﷺ وأرضاه وعنا به: لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الأكابر ما عدا أصحاب رسول الله ﷺ. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله تعالى لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا: يا ربنا ما أعطيتنا شيئا.
وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه ﷺ أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة. وفي بعض الرسائل وقال قدس الله تعالى روحه: إن الله تعالى أعطاني يعني له ولأصحابه ما لم يعطه لأحد من الشيوخ ولا يعطيه لأحد من بعدهم أبدا فضلا منه وجودا بلا استحقاق شيء عليه سبحانه بل في سابق أزله قضى بذلك فله الحمد ومزيد الشكر
والله يرزق من يشاء بغير حساب. وقد أخبرني سيدي مُحَمَّد الغالي رضي الله تعالى عنه: أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: قال يوما في مجلسه من كان يحبني لله تعالى ولرسوله فليحبني ومن كان يحبني لغرض فبالله الذي لا إله إلا هو أنا عامي صرف لم يكن لي شيء وغافله سيدي مُحَمَّد الغالي حتى قبل رجله وقال: مرحبا بالعامي الصرف الذي فاق أصحابه أكابر الأقطاب فأجابه الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بقوله: نعم وأي شيء في ذلك عند الله تعالى.

قلت: ولا عجب أن يكون غير المفتوح عليه في الدنيا أكمل وأكبر في الآخرة من المفتوح عليه في الدنيا. وفي الإبريز: وسمعته يعني القطب عبد العزيز بن مسعود الدباغ ﷺ يقول: شأن الفتح عجيب وأمره كله غريب وكم من عبد لله محبوب عند الله تعالى يمنعه الله سبحانه من الفتح رحمة به وذلك أن في الفتح أمورا إذا شاهدها المفتوح عليه قبل أن تطيب ذاته وأن تصل ففي ساعة

يرجع نصرانيا وفيه أهو إذا شاهدها يرجع يهوديا، وكم من رجل لا يفتح عليه إلا عند خروج روحه، وكم من رجل يموت غير مفتوح عليه ويبعثه الله تعالى على
حالة هي أكمل وأكبر من المفتوح عليه. وقال مرة لبعض أصحابه: هذا هو الحمل الكبير الذي خزنوه في هذا التابوت ـ يشير إلى المعنى السابق ـ ثم قال: وسمعته ﷺ يقول لهذا الحبيب أن لك حسنات عظيمة جسيمة إذا رأيتها غبطتك فيها. ومرة قال له: هل لك أن تقسم معنا حسناتك فإني لا أزال أتعجب منها ومن عظمها اهـ.
قلت: وبفهم هذا الكلام أيضا يظهر لكل موفق سعيد منصف وجه كون عوام أهل طريقتنا هذه أعلى مرتبة في الآخرة من أكابر الأقطاب والأغواث فأحرى من دونها لأنه قد تقدم أن أهل كل طريقة يدعون يوم القيامة باسم شيخهم ويدعون إلى مجاورته، قال تعالى: {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}. وتقدم أيضا أن المريدين يبلغون إلى درجات كبرائهم وشيوخهم ما آمنوا بأحوالهم وفقهوا كلامهم كما قال سبحانه وتعالى: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم} وبفهم هذا الكلام أيضا يظهر سر قوله ﷺ لشيخ أهل طريقتنا

هذه: فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأصحابك أصحابي، فعلم ﷺ أن بين أصحابه ﷺ وبين أصحاب هذا الشيخ ﷺ مناسبة تامة وبتلك المناسبة كانوا عند الله تعالى أكبر من أكابر العارفين والأغواث وإن كانوا في الظاهر من جملة العوام. قلت: وشواهد هذا في الشرع لا تحصى، قال تعالى: {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء} وقال تعالى: {ليلة القدر خير من ألف شهر}.
والحادية والعشرون أن في الأذكار اللازمة للطريقة صيغة من صيغ الاسم الأعظم قد من الله تعالى علي بمعرفتها على يد سيدي مُحَمَّد الغالي ونحن في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام وهذه الصيغة ليست بصيغة الاسم الأعظم الكبير التي هي خاصة به ﷺ، ومن أخذ هذه الصيغة بسند متصل له نصف ثواب الكبير.
قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أن الفضل المذكور في الاسم الكبير خاص بالصيغة التي هي خاصة به ﷺ ولا يلقنها ولا يأذن فيها إلا القطب الجامع، وأما غيرها من صيغ الاسم ففيها النصف من ثواب الكبير، ثم قال رضي الله تعالى عنه: وهذا الفضل الكبير لكل من أخذ صيغة من صيغ الاسم الأعظم بسند متصل، وأما من عثر عليه في كتاب أو غيره وذكره من غير إذن

فثوابه حرف بعشر حسنات فقط لا غير اهـ.
والثانية والعشرون أن في أذكار هذه الطريقة الاسم الأعظم الكبير الذي هو خاص به ﷺ قد من الله تعالى علي به وأنا في المدينة المنورة كما تقدم ولله تعالى الحمد. والثالثة والعشرون أن آحادهم آمنون من السلب. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: ومن خواص دائرة الإحاطة أن من علمه الله تعالى إياه أي لفظه دون أسراره كان مأمونا من السلب لا يقدر عليه أحد وإن كان لم يفتح عليه بالولاية ولا يقدر على سلبه إلا القطب.

والرابعة والعشرون أن لكل واحد من أصحابه فرد فرد حظا من ثواب الاسم الأعظم الكبير الذي هو دائرة الإحاطة ولو لم يعرف الاسم فضلا عن ذكره وذلك أنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به مهما ذكر كلمة من كل ذكر على الإطلاق ذكر معه سبعون ألف ملك وذكر كل ملك بسبعة آلاف كلمة كل كلمة بعشر حسنات وقد تفضل سيدنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه بهبة هذا الفضل العظيم لأصحابه وذلك في شهر الله جمادى الثانية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف رزقنا الله تعالى من ذلك حظا وأجرا بمحض فضله آمين.
والخامسة والعشرون أنهم ينالون من ثواب الأذكار العالية من الاسم الأعظم الكبير وما دونه ما لا يناله من أكابر العارفين والأقطاب قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه بعد ذكره ثواب الأقطاب الذين كانوا قبله من ذكر الاسم الأعظم وثواب أهل طريقته من ذكرهم الاسم الأعظم ومن ذكرهم الكنز المطلسم: ولعلك ترى أن ما في مراتب القطب من قبلنا يقل دونه ثواب الواحد من أصحابنا في الاسم الأعظم وذلك من قلة التأمل وإذا تأملت ثواب القطب من قبل هذا الوقت مع ثواب مرة واحدة من أصحابنا بان لك أن ثواب القطب من قبلنا بالنسبة إلى ثواب مرة واحدة من ذكر واحد من أصحابنا كنقطة في البحر المحيط ولما قيل له رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: بم نالوا ذلك؟ قال: من أجلي. قلت: وسره يظهر في قوله ﷺ له رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: وفقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأصحابك أصحابي فعلم صلى الله عليه وسلم أن بين أصحابه ﷺ وبين أصحاب هذا الشيخ رضي الله تعالى عنه مناسبة تامة ولتلك المناسبة كانوا عند الله من الأكابر وإن كانوا في الظاهر من جملة العوام.

والسادسة والعشرون أن الله تعالى يعطيهم من عمل كل عامل تقبل الله تعالى منهم أكثر من مائة ألف ضعف مما يعطي صاحب ذلك العمل قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: كل من

عمل عمل صالحا من أعمال البر وتقبل منه يعطينا الله تعالى ولأصحابنا على ذلك العمل أكثر من مائة ألف ضعف مما يعطي صاحب ذلك العمل سواء قل ذلك العمل أو كثر مفروضا كان أو غير مفروضا ونحن رقود ولله الحمد أهـ.

سبحان الملك المختار الذي قال: {لا يسأل عما يفعل} وقال {فعال لما يريد} وقال: {وترزق من تشاء بغير حساب} وقال: {والله يرزق من يشاء بغير حساب} وقال: {إن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء} وعليك بالنظر إلى الفصول المتقدمة أول الكتاب وإلى دائرة الفضيلة التي تقدم ذكرها لعلك تنجو من الإنكار الذي يؤدي إلى الطرد والسلب.

فإن قلت: قد أفدت وأفهمت ونصحت ورغبت وحذرت وأتيت من الدليل بما يشفي الغليل ولكني أخاف أن يعترض عليك بعض القاصرين بقوله تعالى: {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} قلت: لا يعترض علي بتلك الآية الكريمة إلا من لا إلمام له بعلم الشريعة والحقيقة ولا دراية له بالكتاب والسنة ولا معرفة له بإجماع الأمة. قال في السراج المنير عند هذه الآية: وقال ابن عباس: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة أي وإنما هو في صحف موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام بقوله: {ألحقنا بهم ذرياتهم} فأدخل الأبناء في الجنة بصلاح الآباء.

وقال عكرمة: إن ذلك لقوم موسى وإبراهيم عليهما السلام وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما يروى أم امرأة رفعت صبيا لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ فقال: نعم ولك أجر. وقال رجل للنبي ﷺ: إن أمي أنسلت نفسها فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم. قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير ثانيها وثالثها أن النبي ﷺ يشفع

لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها ثم لأهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير رابعها أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير خامسها أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بعمل الغير سابعها قال تعالى في القصة الغلامين اليتيمين: {وكان أبوهما صالحا} فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما ثامنها أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع

وهو من عمل الغير تاسعها أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها أن الحج المنذور أو الصوم يسقط بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادي عشرها المدين الذي امتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب ﷺ وانتفع بصلاة النبي ﷺ وبرئة ذمته بقضاء دينه وهو من عمل غيره ثاني عشرها أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده:" ألا رجل يتصدق فيصلي معه " فقد حصل له فضل الجماعة بفعل

الغير ثالث عشرها أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير رابع عشرها أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير خامس عشرها أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها أن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره. سابع عشرها الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره.

ثامن عشرها أن الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد هو انتفاع البعض بالبعض. تاسع عشرها أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} وقال تعالى: {ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات} وقال تعالى: {ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض} فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير.

عشرونها أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجال ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له.

الحادي والعشرون أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له. ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف تؤول الآية على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة أهـ كلام صاحب السراج. والثانية والعشرون أن من آحادها من إذا رآه شخص كل يوم الاثنين أو يوم الجمعة فإن الرائي يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب وراثة أحمدية تجانية. قلت: قد تقدم أني رأيت في يد الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به حلة من نور وقال لي: من رآها يدخل الجنة ثم ألبسني إياها.

والثالثة والعشرون أن منها من إذا رآه شخص وقال له الرائي: اشهد لي أني رأيتك، وقال له المرئي: شهدت لك أنك رأيتني، فإن الرائي يدخل الجنة كما تقدم أيضا أن هذا حصل لي من سيدي مُحَمَّد الغالي. والرابعة والعشرون أن لهم في المحشر موضعا في ظل العرش يكونون فيه وحدهم. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أن أصحابنا لا يدخلون المحشر مع الناس ولا يذوقون مشقة ولا يرون محنة من تغميض أعينهم إلى الاستقرار في عليين.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أن أصحابنا يوم القيامة ليسوا مع الناس في الموقف بل هم مكتنفون في ظل العرش في موضع وحدهم ولا يقدم عليهم أحد في دخول الجنة إلا الصحابة رضي الله تعالى عنهم. والخامسة والعشرون أنهم في أعلى عليين، وأما أحبابه الذين ليسوا من أهل طريقته وأوراده فغاية أمرهم كونهم في عليين. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أصحابي في جواره ﷺ في أعلى عليين مع أولي العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والسادسة والعشرون أن لهم برزخا وحدهم، وفي بعض الرسائل: وأخبرنا أيضا قدس الله تعالى روحه أن لهم برزخا وحدهم يستظلون به وهذا كله من كثرة الاعتناء بهم لما خصهم الله تعالى به من محبته ومعرفته. والسابعة والعشرون أنهم لا يحضرون أهوال الموقف ولا يرون صواعقه وزلازله بل يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلون مع المصطفى ﷺ في الزمرة الأولى مع أصحابه ويكون مستقرهم في جواره ﷺ في أعلى عليين مجاورين أصحابه ﷺ، فسبحان من تفضل بما يشاء على من يشاء اختيارا

منه لا تحكم عليه في شيء. والثامنة والعشرون أن أكثرهم يحصل له في كل يوم فضل زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم في روضته الشريفة وزيارة جميع أولياء الله تعالى والصالحين من أول الوجود إلى وقته. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أعطاني رسول الله ﷺ صلاة تسمى بجوهرة الكمال من ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال: هذه هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زاره في روضته الشريفة وكأنما زار أولياء الله تعالى والصالحين من أول الوجود إلى وقته.

والتاسعة والعشرون أن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة يحضرون مع أهل هذه الطريقة كل يوم. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أن النبي ﷺ قال: أن من قرأها سبعا فأكثر يحضره صلى الله تعالى عليه وسلم والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها. قلت: قد من الله تعالى على إخواننا في

الطريقة بأنها تذكر في الوظيفة اثنتي عشرة مرة فإنها تكفي أهل الكسل. والخامسة والثلاثون أن النبي ﷺ يحبهم محبة خاصة غير التي تقدمت لهم وجميع الأحباب في القسم الأول.
قال رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: أن من لازمها في كل يوم أزيد من سبع مرات فإنه ﷺ يحبه محبة خاصة ولا يموت حتى وليا. قلت: وهذا الفضل أيضا حاصل لأهل الكسل لاشتمال الوظيفة عليه إلا إذا كانوا لا يقرأونها في الوظيفة. الموفية ثلاثين أن لهم علامة يتميزون بها عن غيرهم ويعرف بها أنهم تلاميذ رسول الله ﷺ وفقراؤه وهي أن كل واحد منهم مكتوب بين عينيه مُحَمَّد ﷺ، وعلى قلبه مما يلي ظهره مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه الطريقة

التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية. والحادية والثلاثون أن لهم من الله تعالى لطفا خاصا بهم.
أخبرني سيدي مُحَمَّد الغالي أبو طالب الشريف الحسني الذي قال له جده سيد الوجود سيدنا مُحَمَّد ﷺ: من نظر إلى وجهك غفر الله تعالى له أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به قال لأهل هذه الطريقة: منّ الله تعالى لطفا خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم، ولذلك قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أن صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها.
والثانية والثلاثون أن كل من لم يحترمهم وكان يؤذيهم طرده الله تعالى عن قربه وسلبه ما منحه وذلك أنه ﷺ يغار لأهل هذه الطريقة غيرة خاصة كما كان ﷺ يغار لأصحابه، لأن أهلها فقراؤه وتلاميذه كما أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كذلك، ولذا قال ﷺ له رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إذا أمر أصحابك بأصحابي فليزوروهم فقط وأما غيرهم من الأولياء فلا وذلك كله لشدة اعتنائه بأهلها لأجل حبيبه وولده الذي قال له: أنت ولدي حقا وقال له: أنت حبيبي ومن أحبك حبيبي
وقال ﷺ لبعض أصحبه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أنت ابن الحبيب ودخلت في طريقة الحبيب وقال ﷺ لمن أرسله إلى الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به يقظة لا مناما: قل لحبيبي التجاني. ولشدة محبته ﷺ فيه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أخبره أن كل من أحبه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به لا يموت حتى يكون وليا وضمن صلى الله تعالى عليه وسلم له ﷺ أن كل من سبه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وداوم على ذلك لا يموت إلا كافرا.

وهذه المحبة منه لشيخنا رضي الله تعالى عنه هي التي سرت منه ﷺ إلى أهل طريقته حتى قال ﷺ له رضي الله تعالى عنه: قل لأصحابك لا يؤذوني بإذاية بعضهم بعضا. وقد تقدم أنه ﷺ أمر الشيخ رضي الله تعالى عنه أن يصلح بين اثنين من أصحابه وكان قد وقعت بينهما خصومة وأخبرهم النبي ﷺ أنه يؤذيه ﷺ ما يؤذي أصحابه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وذلك لشفقته ﷺ عليهم ولئلا يصيبهم ضرر من إذاية بعضهم بعضا لأن من آذى واحدا منهم فقد آذاه ﷺ كما قال ﷺ في حق أصحبه رضي الله تعالى عنهم: لا تؤذوني في أصحابي أو كما قال ولهذا قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أن لنا مرتبة عند الله تناهت في العلو عند الله إلى حد يحرم ذكره ليست هي ما أفشيته لكم ولو صرحت بها لأجمع أهل الحق والعرفان على كفري فضلا عمن عداهم وليست هي التي ذكرت لكم بل هي من ورائها ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يتحفظ على تغيير قلبي بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله تعالى عن قربه وسلبه ما منحه نعوذ بالله من الطرد والسلب بعد

العطاء أهـ. والثالثة والثلاثون أنهم لا يذوقون حرارة الموت وهي المعبر عنها بسكرات الموت وسيأتي أن من دام على قراءة الحزب السيفي صباحا ومساء لا يذوق حرارة الموت أصلا بل تخرج روحه وهو لا يدري ولا يتوجع وإن من داوم على قراءة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كل يوم مائة مرة فإنه لا يذوق سكرات الموت أصلا وداوم بعضهم على ذلك فمات وهو ساجد في الصلاة.

والفرق بين هذا وبين ما تقدم في القسم الأول هو أن أهل القسم الأول يسهل عليهم وهؤلاء لا يذوقون أصلا ورأسا والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب

الفصل التاسع والثلاثون

في ذكر فضل الأذكار اللازمة للطريقة على التفصيل ودلائلها في الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن الاستغفار من أهم الأبواب التي يعتنى بها ويحافظ على العمل بها، قال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

وقال ابن وهب: من عظمة ذنوب نفسه لم يطمع في الرضا وكان غاية أمله أن يطمع في العفو ومن كملت معرفته لم بر نفسه إلا في هذه المنزلة. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله

تعالى عنه: عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب واعتبر استغفار النبي ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبك وما تأخر هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلوا من العيب والذنب في وقت من الأوقات أهـ.

وكان إبراهيم الخليل عليه السلام كثير التلاوة والبكاء فبكى يوما بكاء شديدا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم إن ربك يقول لك هل رأيت خليلا يعذب خليله؟ فقال: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي. وإذا كان هذا حال إبراهيم عليه السلام مع نبوته وخلته فما حال العاصي مع زلته وخطيئته فحاسب نفسك قبل أن تحاسب ومهد لها قبل أن تعذب وجاهدها الجهاد الأكبر وقل عند ذبحها باسم الله والله أكبر فالعاقل يقيم هذا الميزان على نفسه حتى يتبين له من أي الفريقين هو كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.

وإذا فهمت هذا فاعلم أن الآيات والأحاديث قد حضت على الاستغفار، أما الآيات فكثيرة منها قوله تعالى: {ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار} وقوله تعالى: {ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما} وقوله تعالى: {ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما} وقوله تعالى: {وما كان الله معذبهم وهو يستغفرون} وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: {فقلت استغفروا ربكم إنه
كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا} وقوله تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم} وقوله تعالى: {سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء} إلى أن قال: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم} وقوله تعالى: {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا} ولآيات في الاستغفار كثيرة وأما الأحاديث فكثيرة معروفة لا يمكن استقصاؤها

ولكن أشير إلى طرف منها فأقول: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: عن رسول الله ﷺ قال: " ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له " وفي رواية لمسلم:" ينزل الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول: أنا الملك من ذا الذي يدعوني

فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر " وفي رواية: "إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه" وروى

ابن جرير وابن المنذر وابن حاتم عن ابن عمر أنه كان يحيي الليل صلاة يقول: يا نافع أسحرنا؟، فيقول: لا. فيعاود للصلاة، فإذا قال نافع: نعم يستغفر الله ويدعو حتى يصبح. وروى أبو داوود في سننه والطبراني في كتاب الدعاء وأبو يعلى وابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أتاني آت من ربي فقال: من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما، وقد كانت شقت عليهم الآية التي فيها: {من يعمل سوءا يجز به} فأردت أن أبشر أصحابي" قال: قلت: يا رسول الله وإن زنى
وإن سرق ثم استغفر غفر له؟ قال: نعم، قلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ثم استغفر غفر له؟ قال: نعم، ثم ثلثت، قال: نعم على رغم أنف عويمر. ثم قال كعب بن ذهل: وأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه. وروى ابن جرير وابن المنذر من طريق عن ابن عباس في قوله: {ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله} قال: أخبر الله تعالى عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو كانت ذنوبه أعظم من السماوات والأرض والجبال.
وروى ابن جرير وعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود قال: كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنبا أصبح قد كتبت له كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البول شيئا منه قرضه بمقراض. فقال رجل: لقد آتى الله بني إسرائيل خيرا. فقال ابن مسعود: ما آتاكم خير مما آتاهم، جعل الله الأرض طهورا. وقال: {ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما}.

وروى ابن جرير عن حبيب بن ثابت قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن مغفل فسألته عن امرأة فجرت فحملت ولما ولدت قتلت ولدها، فقالت: ما لها؟ فقال: لها النار، فانصرفت وهي تبكي فدعاها فقال: ما أرى أمرك إلا أحد أمرين، {من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما} فمسحت عينها ثم مضت. وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي ﷺ: "أنزل الله تعالى أمانين لأمتي: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار".

وفي ترغيب الطالب إلى أشرف المطالب عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: عجبت لمن يهلك ومعه النجاة. قالوا: وما هي؟ قال: الاستغفار. قال: وقرأ: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}. وروى عن محكول: ما دام في الناس خمسة عشر يستغفر كل واحد منهم الله في اليوم خمسا وعشرين مرة لم يهلكوا بعذاب عام. وفي ترغيب الطالب قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أني عجبت ممن يشكو ضيق الرزق ومعه مفاتيحه. قيل له: وما هي؟ قال: الاستغفار.

وقد نبه عليه قوله تعالى: {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا}. وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم".

وروى أبو داود والترمذي عن مولى لأبي بكر رضي الله تعالى عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة"، قال الترمذي: ليس إسناده بالقوي. وروى الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم ولو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك

بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة". وروى ابن ماجة بإسناد جيد عن عبد الله بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا". وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال فيما يحكيه عن ربه عز وجل: "إذا أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنوبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب.

ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب قد غفرت له فليفعل ما يشاء". وفي رواية: "اعمل ما شئت قد غفرت لك". وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: "يا معشر

النساء أكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار، قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العثير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن، قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال: شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث

الأيام لا تصلي ". وروى ابن حنبل والحاكم وقال: صحيح الإسناد. عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: "قال إبليس لعنه الله: وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني ". وفي ترغيب الطالب روى بإسناد لا بأس به عن الزبير رضي الله تعالى عنه أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أحب أن تقل ذنوبي. فقال له النبي ﷺ: "استغفر الله دائما تقل ذنوبك".

وفي ترغيب الطالب: وروى أن رسول الله ﷺ قال: "أكثروا من الاستغفار فإن الاستغفار يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وكما تأكل الشاة الخضرة وإن صحيفة المرء إذا عرج بها إلى السماء ولم يكن فيها استغفار لم يكن لها نور وإذا طلعت وفيها الاستغفار كان لها نور يتلألؤ وإن لم يكن فيها إلا استغفار يسير، وما جلس قوم بمجلس لهو ثم ختموه بالاستغفار إلا كتب لهم مجلسهم ذلك استغفار كله".

وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أذنب فقال له النبي ﷺ إذا أذنبت فاستغفر ربك قال فإني أستغفر ربي ثم أعود فأذنب قال: فإذا أذنبت فاستغفر ربك فقال في الرابعة: استغفر ربك عز وجل حتى يكون الشيطان هو المخسأ.

وروى صاحب الفردوس عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ:" ما من عبد يختم صحيفته عند مغيب الشمس بالاستغفار إلا محي ما دونها " وروى أبو منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إن لكل صدئ جلاء وإن جلاء القلوب الاستغفار ". وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" ما لقي عبد ربه عز وجل في صحيفته بشيء خير له من الاستغفار " أهـ. والأحاديث الواردة في فضل الاستغفار كثيرة جدا وفي ما ذكرناه كفاية. وأما فضل الصلاة على النبي ﷺ فمعلوم مشهور بين المسلمين ويكفي في ذلك قوله تبارك وتعالى: {إن الله وملائكته

يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} وأما الأحاديث الواردة في فضلها فكثيرة مشهورة. روى مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعا: " من صلى علي واحدة صلى الله تعالى عليه بها عشرا ". وروى الترمذي:" من صلى علي واحدة كتب الله له بها عشر حسنات ".

وروى الإمام أحمد والنسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه:" البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله تعالى عليه بها عشرا " وفي رواية " عشر صلوات ". وروى الطبراني مرفوعا: " من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة ومن صلى علي مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء ".

وروى الإمام أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا: " إن جبريل قال لي: ألا أبشرك أن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه ". وروى الإمام أحمد مرفوعا بإسناد حسن: من صلى على النبي ﷺ واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة. وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا: " حيث ما كنتم فصلوا فإن صلاتكم تبلغني ".

وروى أبو حفص بن شاهين:" من صلى علي في يوم الجمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة.

وروى البيهقي بإسناد حسن:" إن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة". وروى الطبراني مرفوعا:" من قال جزى الله عنا مُحَمَّدا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح" وفي رواية: ألفي صباح " وروى الطبراني مرفوعا: " من قال اللهم صل على مُحَمَّد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي ".

وفي لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار لشهاب الدين أحمد القسطلاني ويحكي عن سفيان الثوري قال: رأيت رجلا من الحجاج يكثر الصلاة على النبي ﷺ فقلت له: هذا موضع الثناء على الله عز وجل فقال: ألا أخبرك أني كنت في بلدي ولي أخ قد حضرته الوفاة فنظرت فإذا وجهه قد اسود وتخيلت أن البيت قد أظلم فأحزنني ما رأيت من حال أخي فبينما أنا كذلك إذ دخل علي رجل البيت وجاء إلى أخي ووجه الرجل كأنه سراج منير فكشف عن وجه أخي ومسح بيده فزال ذلك السواد وصار وجهه كالقمر فلما رأيت ذلك فرحت وقلت له: من أنت جزاك

الله تعالى خيرا عما صنعت فقال: أنا ملك موكل بمن يصلي على النبي ﷺ أفعل به هكذا وقد كان أخوك يكثر من الصلاة على النبي ﷺ وكان قد ﷺ. وروى: إذا كان يوم القيامة يجيء أصحاب الحديث ومعهم المحابر فيقول الله تعالى لهم: أنتم أصحاب الحديث طالما كنتم تكتبون الصلاة على النبي ﷺ انطلقوا إلى الجنة. رواه الطبراني.

وعن الشيخ علي بن عبد الكريم الدمشقي قال: رأيت في المنام مُحَمَّدا بن الإمام زكي الدين المنذري بعد موته عند وصول الملك الصالح وتزيين المدينة له فقال لي: فرحتم بالسلطان قلت: نعم فرح الناس به فقال: أما نحن فدخلنا الجنة وقبلنا يده يعني النبي ﷺ وقال: أبشروا كل من كتب بيده قال رسول الله ﷺ: فهم معي في الجنة.

وحكى أبو اليمن بن عساكر عن أبي العباس بن عبد الدائم وكان كثير النقل لكتب العلم على اختلاف فنونه أنه حدثه من لفظه قال: كنت إذا كتبت في كتب الحديث وغيرها أكتب لفظ الصلاة دون لفظ التسليم فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: لم تحرم نفسك أربعين حسنة؟ قلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا جاء ذكري تكتب صلى الله عليه ولا تكتب وسلم وهو أربعة أحرف كل حرف بعشر حسنات قال: وعدهن رسول الله ﷺ أو كما قال أهـ.

وروى الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه وقال الترمذي حسن صحيح عن كعب بن عجرة قال: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت قلت: الربع قال: ما شئت وإن زدت فهم خير لك قلت: النصف قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: إذن تكفى همك ويغفر ذنبك وفي رواية لهم إذن يكفيك الله هم دنياك وآخرتك. وقوله: فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال الحافظ المنذري: أي كم أجعل لك من دعائي صلاة عليك أهـ.

قال الشيخ أبو المواهب الشاذلي: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ما معنى كعب بن عجرة: فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: أن تصلي عليّ وتهدي ثواب ذلك إلي لا لنفسك. وفي لواقح الأنوار للقسطلاني: وحكى الشيخ أبو حفص عن الحسن السمرقندي فيما يرويه عن بعض الأسانيد عن أبيه قال: وقف رجل في الحرم وكان كثير الصلاة على النبي ﷺ حيث كان بين الحرم وعرفة ومنى فقلت له: أيها الرجل إن لكل مقام مقالا فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالتطوع بالصلاة سوى أنك تصلي على النبي صلى الله عليه

وسلم؟ فقال: إني خرجت من خراسان حاجا إلى هذا البيت وكان والدي معي فلما بلغنا الكوفة اعتل والدي وقويت به العلة فمات، فلما مات غطيت وجهه بإزاري ثم غبت عنه وجئت إليه فكشفت وجهه لأراه فإذا صورته كصورة الحمار، فلما رأيته كذلك عظم همي وتشوشت بسببه وحزنت حزنا شديدا وقلت في نفسي: أظهر للناس هذا الحال الذي صار والدي فيه، فقعدت عنده مهموما فأخذتني سنة من النوم فنمت، فبينما أنا نائم إذ رأيت في منامي كأن رجلا دخل علينا وجاء إلى والدي وكشف عن وجهه فنظر إليه ثم قال لي: ما هذا الهم العظيم الذي أنت فيه؟ فقلت:

وكيف لا أهتم وقد صار والدي بهذه المحنة، فقال: أبشر إن الله عز وجل أزال عن والدك هذه المحنة. قال: ثم كشف الغطاء عن وجهه فإذا هو كالقمر الطالع فقلت للرجل: بالله من أنت فقد كان قدومك مباركا؟ فقال: أنا المصطفى ﷺ، فلما قال ذلك فرحت فرحت عظيما وأخذت بطرف ردائه ﷺ فلففته على يدي وقلت: بحق الله يا سيدي يا رسول الله ألا أخبرتني بالقصة، فقال: إن والدك آكل الربا وإن من حكم الله عز وجل أن من أكل الربا يحول الله صورته عند الموت كصورة الحمار إما في الدنيا وإما في الآخرة، ولكن

كان من عادة والدك أن يصلي عليّ في كل ليلة قبل أن يضطجع إلى فراشه مائة مرة، فلما عرضت له هذه المحنة من أكل الربا جاءني الملك الذي يعرض عليّ أعمال أمتي فأخبرني بحال والدك فسألت الله تعالى فشفعني فيه. فاستيقظت فكشفت عن وجه والدي فإذا هو كالقمر ليلة البدر فحمدت الله تعالى وشكرته وجهزته ودفنته وجلست عند قبره ساعة، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذا أنا بهاتف يقول لي: أتعرف هذه الوضاءة التي حفت والدك ما كان سببها؟ قلت: لا، قال: كان سببها الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

فآليت على نفسي أني لا أترك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ على أي حالة كنت وفي أي مكان كنت اهـ. وفي لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ ليلا ونهارا، و نذكر لإخواننا ما في ذلك من الأجر والثواب ونرغبهم فيه كل الترغيب إظهارا لمحبة رسول الله ﷺ، وإن جعلوا لهم وردا كل يوم وليلة وصباحا ومساء من ألف صلاة إلى عشرة آلاف صلاة كان ذلك من أفضل الأعمال.

قال: وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: صلاة الله تعالى على عباده لا يدخلها العدد لأنه ليس لصلاته ابتداء ولا انتهاء وإنما دخلها العدد من حيث مرتبة العبد المصلي لأنه مقيد محصور بالزمان، فتنزل الحق تعالى للعبد بحسب شاكلة العبد وأخبر له تعالى يصلي على عبده بكل مرة عشرا فافهم.

ويؤيد ما قلناه كون العبد يسأل الله تعالى أن يصلي على نبيه دون أن يقول: اللهم إني صليت على مُحَمَّد مثلا، لأن العبد إذا كان يجهل رتبة رسول الله ﷺ فرتبة الحق تعالى أولى، فعلم أن تعداد الصلوات على النبي ﷺ إنما هو من حيث سؤالنا نحن الله تعالى أن يصلي عليه فيحسب لنا كل سؤال مرة ويحتاج المصلي عليه إلى طهارة وحضور مع الله تعالى لأنها مناجاة لله كالصلاة ذات الركوع والسجود وإن لم تكن الطهارة لها شرطا في صحتها وصاحبها بين يدي الله عز وجل في محل القرب ويسأل الله أن يصلي على
نبيه وإن كان الفضل لمحمد ﷺ أصالة فإنه هو الذي سن لنا أن نصلي عليه ليحصل للمصلي الصلاة من الله تعالى، فمن واضب على ما ذكرناه كان له أجر عظيم وهو هنا أولى ما تقرب به متقرب إليه ﷺ وما في الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وأخرى مثل مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم، فمن خدمه على الصدق والمحبة والصفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد، وكانت هذه طريقة الشيخ نور الدين الشوني، وكانت
طريقة الشيخ العارف بالله تعالى أحمد الزواوي، فكان ورد الشيخ نور الدين الشوني كل يوم عشرة آلاف صلاة، وكان ورد الشيخ أحمد الزواوي أربعين ألف صلاة. وقال لي مرة: طريقتنا أن نستكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ حتى يصير يجالسنا يقظة ونصحبه مثل الصحابة ونسأله في أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ وتعمل بقوله ﷺ فيها، ولما لم يقع ذلك لنا فلسنا من المكثرين للصلاة عليه ﷺ.

قال: واعلم يا أخي أن طريق الوصول إلى حضرة الله تعالى من طريق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أقرب الطرق، فمن لم يخدمه ﷺ الخدمة الخاصة به وطلب دخول حضرة الله تعالى فقد رام المحال ولا يمكنه حجاب الحضرة أن يدخل وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير واسطة فافهم.

فعليك يا أخي بالإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ ولو كنت سالما من الخطايا، فإن غلام السلطان أو عبده إذا سكر لا يتعرض له الوالي بخلاف من لم يكن غلاما له ويرى نفسه فوق خدام السلطان وعبيده وغيرهم ولا يدخل من دائرة الوسائط. وما رأينا قط أحدا يتعرض لغلام الوالي إذا سكر أبدا إكراما للوالي، وكذلك خدام النبي ﷺ لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة إكراما لرسول الله ﷺ فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله

عليه وسلم الاستناد الخاص، وقد كان في زمن شيخنا الشيخ نور الدين الشوني من هو أكثر علما وعملا منه ولكنه لم يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ كما كان يكثر الشيخ فلم يكن ينقص له علمه وعلمه إلا التقرب الذي فيه الشيخ نور الدين فكانت حوائجه مقضية وطريقته ماشية وسائر العلماء والمجاذيب تحبه والله ليس مقصود كل قاصد من جميع الناس على ذكر الله إلا للمحبة في الله تعالى ولا جمعهم على الصلاة على رسول الله ﷺ إلا المحبة فيه فافهم.

قال الشعراني: وقد قدمنا أوائل العهود أن صحبة النبي ﷺ الصحبة البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتى يصلح العبد لمجالسته ﷺ وإن من كانت له سريرة سيئة يستحيي من ظهورها في الدنيا والآخرة لا تصلح له صحبة مع رسول الله ﷺ ولو كان على عبادة الثقلين كما لم تنفع صحبة المنافقين ومثل ذلك تلاوة الكفار القرآن ولا ينتفعون بها لعدم إيمانهم بأحكامه.

روى الثعلبي في كتاب العرائس: أن لله تعالى خلقا وراء جبل قاف لا يعلم عددهم إلا الله ليس لهم عبادة إلا الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال الشعراني: وقد حبب إلي أن أذكر لك يا أخي جملة من فوائد الصلاة على رسول الله ﷺ تشويقا لك لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخاصة ويصير شغلك في أكثر أوقاتك الصلاة على سول الله ﷺ وتصير تهدي ثواب كل عمل عملته في صحيفة رسول الله ﷺ كما أشار إليه كعب بن عجرة: إني أجعل لك صلاتي كلها أي أجعل لك ثواب أعمالي

فقال له النبي ﷺ: إذن يكفيك الله هم دنياك وآخرتك من ذلك وهو أهمها صلاة الله تعالى وسلامه وملائكته ورسله على من صلى وسلم عليه وتكفير الخطايا وتزكية الأعمال ورفع الدرجات ومنها مغفرة الذنوب واستغفار الصلاة عليه لقائلها ومنها كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد والكيل بالمكيال الأوفى ومنها كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته عليه كلها له

كما تقدم ومنها محو الخطايا وفضلها على عتق الرقاب ومنها النجاة من سائر الأهوال وشهادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له بها يوم القيامة ووجوب

الشفاعة ومنها رضى الله تعالى ورحمته والأمان من سخطه والدخول تحت ظل العرش ومنها رجحان الميزان في الآخرة وورود الحوض والأمان من العطش ومنها العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت ومنها كثرة الأزواج في الجنة والمقام الكريم ومنها رجحانها على أكثر من عشرين غزوة وقيامها مقامها، ومنها زكاة وطهارة ونمو المال ببركتها ومنها أنه تقضى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر، ومنها أنها عبادة ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى، ومنها أنها علامة على أن صاحبها من أهل الجنة،
ومنها أن الملائكة تصلي على صاحبها ما دام يصلي على النبي ﷺ، ومنها أنها تزين المجلس وتنفي الفقر وضيق العيش ومنها أنه يلتمس بها مظان الخير، ومنها أن صاحبها أولى الناس به ﷺ يوم القيامة، ومنها أنه ينتفع هو ووالده بها وبثوابها وكذلك من أهديت في صحيفته، ومنها أنها تقرب إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ، ومنها أنها نور لصاحبها في قبره ويوم حشره وعلى الصراط، ومنها أنها تنصر على الأعداء وتبرئ القلوب من النفاق والصدأ، ومنها رؤية النبي ﷺ في
المنام وإن أكثر منها في اليقظة وهي من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعا في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأمور التي لا تخفى اهـ. وعن حذيفة قال: الصلاة على النبي ﷺ تدرك الرجل وولده وولد ولده، ذكره ابن بشكوال اهـ. ويحكى أن الشبلي رحمه الله تعالى قال: مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: يا شبلي مرت بي أهوال عظيمة وذلك أنه ارتج علي عند السؤال فقلت في نفسي: من أين أتى علي؟ ألم أمت على الإسلام؟ فنوديت: هذه عقوبة إهمالك لسانك في الدنيا.

فلما هم بي الملكان حال بيني وبينهما رجل جميل الشخص طيب الرائحة فذكرني حجتي فقلت: من أنت يرحمك الله تعالى؟ قال: أنا شخص خلقت من صلاتك على النبي ﷺ وأمرت أن أنصرك في كل كرب، ذكره ابن بشكوال أهـ، انظر لوامع الأنوار للقسطلاني. وقال في الفتح المبين: الصلاة على سيد السادات من أهم المهمات في جميع الأوقات لمن يريد القرب من رب الأرضين والسماوات وأنها تجلب الأسرار والفتوحات وتصفي البواطن من جميع الكدورات وأنها

تتأكد في حق أهل البداية وأرباب الإرادات وأصحاب النهايات ويستوي في الاحتياج إليها الطالب والسالك والمريد المقارب والعارف الواصل، الطالب تربيه والعارف تبقيه بعدما تفنيه، وإن شئت قلت: الطالب تعينه على السلوك، والمريد ترفعه عند الشكوك، والعارف تقول له: ها أنت وربك، وإن شئت قلت: الطالب تزيده قوة، والمريد تكسبه الفتوة، والعارف تمسكه في مقام الهيبة، وإن شئت قلت: الطالب تحمله والمريد تكمله والعارف تلونه، وإن شئت قلت: الطالب تحبب إليه الأعمال، والمريد تكسبه الأحوال، والعارف تثبته في مقامات لا تزال، وإن شئت قلت: الطالب تكسبه استنارة، والمريد تمده بالعبارة، والعارف تغنيه عن الإشارة، وإن شئت قلت: الطالب يقوى بها إيقانه، والمريد يكثر منها إيمانه، والعارف يزداد منها عيانه، وإن شئت قلت: الطالب تثبته والمريد تزيده والعارف تعينه وإن شئت قلت الطالب تكسبه الإطراق والمريد تفيض عليه الإشراق والعارف تؤيده عند التلاق وإن شئت قلت الطالب تزداد بها أنواره والمريد تفيض منها أسراره والعارف يستوي لربه ليلا ونهارا وإن شئت قلت الطالب تحببه إليه الأعمال والمريد تصحح لديه الأحوال والعارف تؤيده عند الوصال وإن شئت قلت الطالب تزيده تشوقا والمريد تطربه تملقا والعارف يستمد منها تحققا وإن

شئت قلت الطالب تكسبه النشاط والمريد تحميه من الانحطاط والعارف يتأدب بها على البساط وإن شئت قلت الطالب تكسبه الأنوار والمريد تكشف له الآثار والعارف تلزمه الاضطرار ولا يكون له مع غير الله قرار وإن شئت قلت الطالب تشومه بالمنامات والمريد بالكرامات والعارف تحوله في المقامات وإن شئت قلت الطالب تؤيده بالثبوت والمريد تطلعه على غيب الملكوت والعارف تهيمه بالجبروت وإن شئت قلت الطالب تشوقه إلى اللقا والمريد تدعوه للملتقى والعارف تزيده تحققا اهـ.

ولنورد هنا قصيدة الشيخ الحضرمي لما ضمنها رحمه الله تعالى من إغراء الأحباب على ملازمة خدمة هذا الجناب والتمسك بهذا الركاب وإدامة قرع هذا الباب وهي هذه: صلاة ثم تسليم مجدد *** على الهادي إمام الخلق أحمد إذا ما شئت في الدارين تسعد *** فكثر بالصلاة على مُحَمَّد وإن صلين فابغ الأجر فيها *** وشفع بالصلاة على مُحَمَّد وإن شئت القبول بها يقينا *** فختم بالصلاة على مُحَمَّد فلا صوم يصح ولا صلاة *** لمن ترك الصلاة على مُحَمَّد وفعلك كله عقباه خير *** إذا صليت فيه على مُحَمَّد وقم في الليل وادع الله وارغب *** لربك بالصلاة

على مُحَمَّد وقل يا رب لا تقطع رجائي *** وكن لي بالصلاة على مُحَمَّد فعجل بالمتب على عبيد *** توسل بالصلاة على مُحَمَّد يخاف ذموبه لكن ويرجو *** أمانا بالصلاة على مُحَمَّد فكن لي عند خاتمتي فإني *** سألتك بالصلاة على مُحَمَّد فما تتضاعف الحسنات إلا *** بتكريرب الصلاة على مُحَمَّد وإن أبصرت قوما ليس فيهم *** منيب بالصلاة على مُحَمَّد فجنب عنهم واطلب سواهم *** وذكر بالصلاة على مُحَمَّد فما الخيرات والبركات جمعا *** ترى إلا الصلاة على مُحَمَّد فما الخيرات والبركات إلا *** جميعا بالصلاة على مُحَمَّد وخف مولاك في سر وجهر *** وصل على

الشفيع لنا مُحَمَّد وإن كانت ذنوبك ليس تحصى *** تكفر بالصلاة على مُحَمَّد وإن جاء الممات ترى أمورا *** تسرك بالصلاة على مُحَمَّد وعند القبر تظفر بالأماني *** وترحم بالصلاة على مُحَمَّد ولا تخشى من الملكين رعبا *** إذا سألاك قل لهما مُحَمَّد رسول الله حقا اتبعنا *** وآمنا وصدقنا مُحَمَّد وفي ضيق الضريح لك اتساع *** وتلهم بالصلاة على مُحَمَّد وفي يوم الحساب إذا بعثنا *** نأمن بالصلاة على مُحَمَّد وتأتي الحوض تشرب منه كأسا *** فتروى بالصلاة على مُحَمَّد وتدخل جنة لا موت فيها *** بما قدمت من ذكرى مُحَمَّد فهذا كله من فضل ربي *** هدانا بالصلاة على مُحَمَّد وتنعم بالنعيم وحور عين *** بدار جارنا فيها مُحَمَّد وتنظر وجه ربك ذي الجلال *** بحظك للصلاة على مُحَمَّد فتحمده وتشكره كثيرا *** على فضل الصلاة على مُحَمَّد رسول أبطحي هاشمي *** شفيع المذنبين غدا مُحَمَّد سلام طيب أرج بهيج *** على المختار سيدنا مُحَمَّد أيا هادي الأنام ويا شفيعا *** ويا خير البرية يا مُحَمَّد عسى منك القبول لحضرمي *** يخصك بالتحية يا مُحَمَّد قلت: أيا هادي البرايا يا حبيبي *** عمادي ناصري غوثي مُحَمَّد تول أمور عبد وهو عمر *** لوعد منك يصدق يا مُحَمَّد فأنت حياة نفسي ماء عيني *** وقوت الروح أي والله أحمد ويا خير البرايا كن شفيعا *** له دون انقطاع يا مُحَمَّد فائدة في اعتبار كثرة الملائكة وأنهم أكثر جند الله تعالى ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال:" أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع " وروي أن بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وكل عشر ملائكة الأرض الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة سماء الدنيا وكل هؤلاء عشر مكلائكة السماء الثانية ثم على هذا الترتيب إلى السابعة ثم الكل في مقابلة الكرسي نزر قليل ثم هؤلاء عشر

ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف سرادق طول السرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرض وما بينهما فإنما تكون شيئا يسيرا وقدرا صغيرا وما من مقدار موضع قدم منها إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجلي بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحفون حول العرش كقطرة في بحر ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى وقيل: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين ومكبرين ومن ورائهم سبعون ألفا قياما قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا اليمين على الشمال ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لم يسبح به الآخر ثم كل هؤلاء في ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل عليه السلام نزر قليل. وقيل: بين القائمتين من قوائم العرش خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام، وقيل في عظم العرش أن له ثلاثمائة وستة وستين قائمة قدر كل قائمة كالدنيا ألف مرة، وبين القائمتين ستون ألف صحراء في كل صحراء ستون ألف عام، وفوق العرش سبعون حجابا في كل حجاب سبعون ألف عام وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام، وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام،

وكذلك ما فوق الحجب السبعين من عالم الرقا بتشديد الراء والقاف فإن هؤلاء الملائكة كلهم يصلون عشرا على من صلى على النبي ﷺ مرة واحدة هكذا دائما أبدا كثر أو قلل، هذا في غير صلاة الفاتح لما أغلق، وأما هي فإن من صلى بها مرة واحدة كتب له بكل صلاة صدرت من كل ملك في العالم بستمائة ألف صلاة مع صلاة كل ملك عليه عشرا فهذا في عموم المؤمنين، وأما صلاة الفاتح لما أغلق فلها ثلاث مراتب: مرتبة ظاهرة ومرتبة باطنة ومرتبة باطن الباطن، وكنت أردت أن أبينها كلها في هذا المحل وأذكر منها العجائب والغرائب

لكن منعني من ذلك عدم استحقاق أكثر الناس معرفة ما هنالك، فها أنا أكتفي بذكر بعض ما في جواهر المعاني من ذكر بعض ما جمعته المرتبة الظاهرة فقط، فأقول وبالله تعالى التوفيق: قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: وأما صلاة الفاتح لما أغلق فإني سألته صلى الله عليه وسلم عنها فأخبرني أولا بأنها بستمائة ألف صلاة فقلت له: هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: نعم يحصل في كل مرة منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة.

وسألته ﷺ: هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في الحديث لكل صلاة وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحها للمصلي على النبي ﷺ؟ فقال ﷺ: يقوم منها في كل صلاة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة وعدد السنة طائر واحد كما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان إلى أن تعد ثمانية مراتب، وستمائة وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان إلى أن

تعد سبع مراتب، وسبعمائة ألف ألف ألف ألف لسان إلى أن تعد خمس مراتب، فهذا مجموع عدد الألسنة، وكل لسان يسبح الله تعالى بسبعين لغة في كل لحظة وثوابها للمصلي على النبي ﷺ في كل مرة، هذا في غير الياقوتة الفريدة وأما فيها فإنه يخلق في كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة كما تقدم.

ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فسألته ﷺ عن حديث أن الصلاة عليه ﷺ تعدل ثواب أربعمائة غزوة وكل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا؟ فقال ﷺ: صحيح. فسألته ﷺ عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق مرة أربعمائة غزوة أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة؟ فقال ﷺ ما معناه أن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة، وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة

بأربعمائة غزوة، ثم قال بعده ﷺ أن من صلى بها ـ أي بالفاتح لما أغلق الخ ـ مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك بستمائة ألف صلاة من أول الدهر إلى وقت تلفظ المصلي بها أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع صلوات المصلين عموما من ملك وجن وإنس، وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة، وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات وأن الله يصلي عليه وملائكته بكل صلاة عشر مرات.

قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة فكيف من صلى مرات ماذا له من الفضل عند الله تعالى؟ وهذا حاصل في كل مرة منها. ثم قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: وأخبرني صلى الله

تعالى عليه وسلم أنها لم تكن من تأليف البكري ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله تعالى دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من

النور، ثم قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الإنس والجن والملائكة. ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: يكتب لذاكر الفاتح لما أغلق ستة آلاف مرة من ذكر كل حيوان وجماد وذكر الجمادات هو ذكرها للاسم القائم بها لأن كل ذرة في الكون لها اسم قائمة به، وأما الحيوانات فأذكارها مختلفة، والمرة الواحدة من الفاتح لما أغلق تعدل من كل ذكر ومن كل تسبيح ومن كل استغفار ومن كل دعاء في الكون صغيرا أو كبيرا سنة آلاف مرة، وهذا ما أخبر به سيد الوجود صلى
الله تعالى عليه وسلم سيدنا رضي الله تعالى عنه من فضل صلاة الفاتح لما أغلق، ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: وخاصية الفاتح لما أغلق أمر إلهي لا مدخل فيه للعقول، فلو قدرت مائة ألف أمة في كل أمة ألف قبيلة في كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم مائة ألف صلاة على النبي ﷺ من غير الفاتح وجمع ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق.
ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: اعلم أنك إذا صليت بصلاة الفاتح لما أغلق مرة واحدة كانت بستمائة ألف صلاة من كل صلاة وقعت في العالم من جميع الجن والإنس والملائكة ثم إذا ذكرت الثانية كان فيها ما في الأولى وصارت الأولى بستمائة ألف صلاة من صلاة الفاتح لما أغلق ثم إذا ذكرت الثالثة كان فيها ما في الأولى من الصلوات ويزاد لها الفتح لما أغلق ستمائة ألف مرتين فهي اثنا عشر مائة ألف ثم سر على هذا التضعيف إلى العشرة ثم إلى مائة وواحدة كان في الواحدة ما في الأولى قبلها وفيها صلاة الفاتح لما أغلق

ستمائة ألف متضاعفة مائة مرة وذلك ستون ألف ألف من الفاتح لما أغلق وسر على هذا المنوال إلى ألف وواحدة فيكون فيها ما في الأولى من الألوف وفيها ستمائة من الفاتح لما أغلق ألف مرة متضاعفة وذلك ستمائة ألف ألف وهكذا على هذا المنوال وهضا الضابط فإذا ذكرها في الوقت السحر يكون كل واحدمنها بخمسمائة فإذا ذكرها ألفا وواحدة كان في الواحدة بعد

الألف ثلاثمائة ألف ألف ألف ثلات مراتب وأما في الألف وواحدة فيكون فيها مائة وخمسون ألف ألف ألف أربع مراتب وأربعمائة وخمسون ألف ألف ألف ثلاث مراتب فهذا خاص بوقت السحر

وأما في غيره فهو ما ذكره أولا من التضعيف السابق ثم قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: قال رسول الله ﷺ: ما صلى علي أحد بأفضل من صلاة الفاتح لما أغلق. وقال رضي اله تعالى عنه: لو اجتمع أهل السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع وما فيهن على أنم يصفوا ثواب الفاتح لما أغلق ما قدروا أهـ.

قلت: اعلم أني كنت عازما على أن لا أذكر من فضل هذه الصلاة إلا ما في جواهر المعاني كما تقدم ولما أتممت ما فيه منعتني الشفقة على الصادقين من أهل هذه الطريقة من ذلك فأردت أن أزيد على ما في جواهر المعاني شيئا قليلا من ثواب مرتبتها الظاهرة ليزدادوا تمسكا بها وثبتا عليها ونشاطا في ذكرها رغبة فيها في أهلها واعتراضا عن كل شيطان من الإنس والجن مارد وجهول معاند حاسد يريد أن يصدهم عن كل خير ويوقعهم في كل شر ونمسك عن التوغل فيها وعن ذكر فضل مرتبتها الباطنة وعن باطن الباطن لئلا يدعي معرفة ذلك والإذن فيه من

ليس كذلك على أن من ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان كما قيل: من تحلى بغير ما هو فيه *** فضحته شواهد الامتحان لأن من ادعى معرفة مراتبها وكونه مأذونا فيها يطلب منه إظهار حقائقها وتبيين مقاصدها وإبداء أسرارها وكيفية إدراكها وبم يدرك ثوابها فإن بين كل المطلوب فهو كما قال وإلا فهو دجال من الدجاجلة مفتر كذاب: هكذا هكذا وإلا فلا لا *** طرق الجد غير طرق المزاح وإذا فهمت هذا فاعلم أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به قال: اعلم أنه ﷺ أمرني أن أفصح وأبين عن حكم المرتبتين الظاهرة

والباطنة في صلاة الفاتح لما أغلق وعن المرتبتين الظاهرة والباطنة في الفاتحة بنية الاسم الأعظم فها أنا ممتثل أمره ﷺ فيما أمرني به ولكني أقدم مقدمة قبل المقصود تكون مهادا له لاحتياح الناظر إليها إذ لا يفهم ما في المراتب الأربع إلا من عرف هذه المقدمة وهي أن أرواح

الموجودات كلها ناطقها وصامتها ومتحركاتها وساكنها حيوانها وجمادها كلها بالنسبة إلى الله عز وجل على حد سواء وإنما اختلفت خواصها في النطق والصمت والحكة والسكون والحيوانية والجمادية بتخصيص إلهي صدر ذلك التخصيص عن المشيئة

الإلهية وهذا في الأرواح كلها وإنما الاختلاف بينها حاصل بالأجسام التي تلبسها الأرواح لا في الأرواح لأن الأرواح كلها متحركة ناطقة حيوانية عالمة عارفة عابدة لله تعالى ذاكرة دائما أبدا سرمدا بلا فتور وهذا العلم كله غيب عن إدراكات البشرية والجانية لا تعلمه ولا يعلمه إلا الصديقون والأقطاب والنبيون لا غير ومن سواهم لا علم له به حتى الأولياء لا يعلمونه ولا يعلمه إلا من وصل إلى مقام الصديقية فقط ثم اعلم أن الأرواح في هذا على حد سواء حتى أرواح البشر والجن والكفار وأصحاب الحجاب من المؤمنين فإن أرواحهم

تنال هذا الأمر الذي ذكرناه ولا يعلمونه من نفوسهم لكنه مستور عنهم فإنه أجمع أهل الكشف على أن لكل فرد من الجن والإنس في غيب ذات نورانية متصلة بذات ذلك الشخص يخيط من نور تلك الذات النورانية هي التي تعبد الله تعالى حق عبادته في الغيب وتفعل ما تفعله الأرواح لأجل أن الروح من الجن والإنس انحصرت في قارورة الجسم وتلطخت بأوساخه فانحجبت عن مطالعة الغيب فصارت تلك الذات النورانية نائبة عنها في الغيب تفعل ما تفعله جميع الأرواح ولا علم لجميع الجن والإنس بهذا حتى علماؤهم وإنما يدركه أرباب الكشف والشهود وليس للجن والإنس انتفاع بهذه العبادة لأن هذه الذوات لم تخلق إلا لعبادة الله عز وجل فقط دون طمع وبذلك يتحقق قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} فتعالى الله أن يخلقها لعبادته فتتخلف ولكن طرأ على أرواح المكلفين وأجسامهم حكم القبضتين في الأزل حيث قال في قبضة: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وفي قبضة هؤلاء للنار ولا أبالي وطرأ عليها حكم قوله تعالى: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} ولا معارض لله تعالى في حكمه ولا منازع في مراده في كل ما أرد بخلقه وهذا موقف أصحاب الكشف بالغيب والعلماء

بالله تعالى ولا يستنكف عغن هذا العلم وينكره إلا ظاهري جامد على ظاهره فهم في حجاب وسجن لا يعبأ بقولهم ولا بإنكارهم قال ابن عطاء الله في الحكم الكائن في الكون: ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته محصور في هيكل ذاته مسجون بمحيطات الأكوان وقال صلى الله عليه وسلم: "إن من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا به لا ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله تعالى " وبما ذكرنا يتحقق قوله سبحانه وتعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده} وهذا التسبيح صريح لا ضمني كما يظنه أهل الظاهر بل هو

عند الصديقين كما ذكرنا. ثم اعلم أن الأرواح كلها لها القوة الإلهية تجلى الله تعالى عليها بصفة كلامه، فكل روح في الكون هي قادرة على النطق بجميع ألفاظ الأكوان كلها في لفظة واحدة وكل الصديقين يعلمون هذا ولا يجهلونه، ولا يجهله إلا أهل الظاهر لأنهم سجونون في سجن العقل فالروح والجسد عندهم مهما تكلم بكلمة حجبت عن غيرها حتى يفرغ من تلك الكلمات، وعند أرباب الكشف أن الأرواح كلها قادرة على أن تذكر جميع ألفاظ الكون في كلمة واحدة فتكون تتكلم في الكلمة الواحدة بأمور كثيرة متباينة إلى غير نهاية أدركوا هذا كشفا وذوقا فإن الله عز وجل هو الذي تجلى في الأرواح بذلك وأقدرها عليه وليس ينكر هذا إلا من أنكر قدرة الله تعالى في الأمور الخارقة للعادة وجعل غاية قدرة الله تعالى في الأمور العادية فقط، وصاحب هذا العلم جاهل بالله تعالى وليس هذا المحل محل البحث في إيمانه وكفره وكيف يتأتى لأحد أن يغفل عن قوله تعالى: {ويخلق ما لا تعلمون}. قلت: وقول الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: ولا يستنكف عن هذا العلم ولا ينكره إلا ظاهري جامد على ظاهره، وقوله: ليس ينكر هذا إلا من أنكر قدرة الله تعالى في الأمور الخارقة للعادة ..

إلى آخره قول حق وصدق يعلمه كل من له قدم في الشريعة والحقيقة. قال في السراج المنير: وبيان التأويل واللفظ له عند قوله تعالى: {وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله} فإن قلت: الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت: إن الله تعالى قادر على إفهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى بإلهامه لها قال: ومذهب أهل السنة أن لله علما في الجمادات والحيوانات ولا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده}

وقال تعالى: {والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه} فيجب على المرء الإيمان به وبكل علمه إلى الله تعالى اهـ. وفي السراج: روى النبي ﷺ كان بثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل: انزل عني فإني أخاف أن تؤخذ عليّ فيعاقبني الله تعالى بذلك، فقال له جبل حراء: إلي إلي يا رسول الله، ثم قال في اللباب: روى مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن".

وعن علي قال: "كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول: "السلام عليك يا رسول الله" أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب. وروى

البخاري عن جابر بن عبد الله قال: كان في مسجد رسول الله ﷺ جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله ﷺ في خطبته، فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل رسول الله ﷺ فوضع يده عليه، وفي رواية: صاحت النخلة صياح الصبي، يسكت حتى استقرت قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر،

قال مجاهد: ما ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله تعالى وذلك يشهد لما قلنا اهـ.

وقال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز: وسمعته يعني القطب الشيخ عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضي الله تعالى عنه يقول في أحاديث تسبيح الحصى وحنين الجذع وتسليم الحجر وسجود الشجر ونحوها من معجزاته ﷺ: إن ذلك هو كلامها تسبيحها دائما، وإنما سأل النبي ﷺ ربه أن يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك منها، قال: فقلت له: وهل فيها حياة وروح؟ فقال: لا، قلت: قد أثبت لها الحياة صاحب مطالع

المسرات عند قول الشيخ الجزولي: وما سبح لك من شيء فكل شيء يسبح لله تعالى، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، سبح لله ما في السماوات، وهل هذا التسبيح بلسان الحال أو بلسان المقال اختلف في ذلك إلى أن قال: بعض المشايخ كان يقول أنه بلسان المقال فيثبته زائدا على تسبيح الحال وإلا فهو لابد منه في كل شيء: وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه واحد والتسبيح المقالي إن كان على كلام نفساني فهو يستلزم الإدراك، والإدراك يستلزم الحياة ولابد إلا أنه إدراك خاص مشروط بحياة خاصة لا نعرفها بغير نية ولا مزاج، ومن قاعدة أهل السنة أن البنية مشروطة للحياة، وأما مجرد اللفظ المشتمل على الحروف والأصوات فهو يستلزم الحياة والإدراك عند الشيخ أبي الحسن الأشعري اهـ. وقال الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه: اعلم أن سر الحياة سرى في الماء فهو أصل العناصر والأركان ولذلك جعل الله تعالى من الماء كل شيء حي وما ثم إلا وهو حي فإنه ما من شيء إلا وهو حي فإنه ما من شيء إلا وهو يسبح بحمد الله تعالى فلا نفقه تسبيحه إلا بكشف إلهي ولا يسبح إلا حي فكل شيء حي.

وقال أيضا: جعل الله تعالى صور العالم تسبح بحمده ولكن لا نفقه تسبيحهم لأنا لا نحيط بما في العالم من الصور، وفي شرحه: لا نحيط عند الحجاب بما في العالم أي بشيء مما في العالم من الصور إحاطة تؤدينا إلى فهم ما يجري على ألسنتها في مراتبها الحسية والمثالية والروحية، وأما إذا من الله سبحانه الكشف عن تلك الصور بالإحاطة بها فقد نعلم ألسنتها ونفقه تسبيحها.

قال الشيخ رضي الله تعالى في آخر الباب الثاني عشر من الفتوحات المكية المسمى بالجماد والنبات: عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف أياها في العادة فلا يحس بها مثلما يحس بها الحيوان فإن الكل عند أهل الكشف حيوان ناطق، غير أن هذا المزاج الخاص يسمى إنسانا لا غير ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد سمعنا الأحجار تذكر الله تعالى لسان طلق تسمعه آذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله تعالى بما ليس يدركه كل إنسان، وقد قال في موضع آخر منه: وليس هذا التسبيح بلسان الحال كما يقوله أهل
النظر ممن لا كشف له. وقال رضي الله تعالى عنه في جواب السؤال الرابع والخمسين: فأما حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصوامت فهو عند العامة من علماء الرسوم حديث حال أي يفهم من حاله كذا وكذا حتى أنه لنطق بما أفهم هذا الفهم منه قالت القوم في مثل هذا: قالت الأرض للوتد: لم تشقني؟ قال الوتد لها: سلي من يدقني فهذا عندهم حديث حال وعليه خرجوا قوله تعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده} وقوله تعالى: {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها} إباية حال، وأما عند أهل الكشف فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان يسمعه العاقل بأذنه في عالم الحس لا في عالم الخيال كما يسمع نطق المتكلم من الناس اهـ. ولنعد إلى كلام القطب عبد العزيز فيقول: ثم قال ﷺ: ولكن المخلوقات كلها ناطقها وصامتها إذا سئلت عن خالقها قالت بلسان فصيح: الله تعالى هو الذي خلقني فافتراق المخلوقات إلى ناطق وصامت وحيوان وجماد بالنسبة إلى المخلوقات فيما يعرف بعضهم من بعض، وأما بالنسبة إلى الخالق سبحانه فالكل به عارف وله عابد وخاشع وخاضع فإن الجمادات لها وجهتان: وجهة إلى خالقها وهي فيه عالمة به

عابدة له قانتة، ووجهة إلينا وهي أيضا لا تعلم ولا تسمع ولا تنطق وهذه هي التي سأل النبي ﷺ ربه أن يرفعها عن الحاضرين حتى تظهر لهم الوجهة الأخرى إلى الخالق سبحانه، وباعتبار وجهة الخالق قال تعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده} قال: ومن هذا المعنى أجابني عن حكاية سيدنا داوود على نبينا وعليه الصلاة والسلام مع الضفدع لما استكثر السيد داوود عليه السلام تسبيحه لربه عز وجل فشاهد الضفدع المذكور يسبح طول عمره لا يفتر طرفة عين فاستصغر سيدنا داوود عليه السلام حالته التي كان استكثرها فقال رضي
الله عنه في الجواب: أن سيدنا داوود عليه السلام شاهد من الضفدع حالته في الوجهة إلى الحق

سبحانه وهي حالة الباطن فإن التسبيح فيها دائم لا فتور فيه. ثم قال رضي الله تعالى عنه: أن للأرض علما هي حاملته وعارفة به كما يحمل أحدنا كتاب الله عز وجل ويعرفه وكذا لكل مخلوق من الجمادات علم هو حامل له.

قال الشيخ أحمد بن المبارك: فقلت: فتكون عاقلة عالمة كيف وهي جماد؟ فقال رضي الله تعالى عنه: إنما كانت جمادا في أعيننا وأما بالنسبة إلى خالقها سبحانه فهي به عارفة وما خلا مخلوق أي مخلوق كان عن قوله: الله ربي، فهي سارية في كل مخلوق، وما خلا مخلوق أي مخلوق كان عن الخضوع لخالقه سبحانه والخوف منه والخشية له والوجل من سطوته والناس يظنون حيث وجدوا أنفسهم جاهلين ما عليه الأرض وغيرها من الجمادات أنهم يمشون على جماد ويجيئون ويذهبون على موات وذلك هو الذي أخلاهم وأهلكهم ولو علم الناس ما عليه الأرض ما أمكن

أحدا أن يعصي الله عليها أبدا قال: قال رضي الله تعالى عنه: وقد كنت قبل أن يفتح علي مع سيدي مُحَّد اللهواج وكان مفتوحا عليه وذكر أنهما مرا على عين تجري قال: فأخذت السنارة وجعلت فيها خبزا وأردت أصطاد الحوت لكثرته بتلك العين فرميت السنارة فيها وبقرب عنصر الماء حجرة كبيرة فسمعتها تقول بالصياح: الله الله فما فرغت حتى صاح كل حجر هناك ثم صاح كل حوت وصاح الحوت الذي أكل الطعام في الصنارة ومعنى ذلك الصياح الله الله أما تتقي الله يا من اشتغل بالاصطياد؟ قال: فقلت: وهل سمعتم قولها الخارق للعادة بلغة العرب أم بلغة الجمادات؟ فقال رضي الله تعالى عنه: بلغة الجمادات ولها لغات وألسن تليق بذواتها وسماعنا لها يكون بالذات كلها لا بالأذن الذي في الرأس فقط. ثم قال رضي الله تعالى عنه وكنت ذات يوم جالسا تحت زيتونة فينما أنا كذلك إذا بجميع الحجر صغيره وكبيره والأشجار والأغصان تسبح الله تبارك وتعالى بلغتها فكدت أهرب مما سمعت وجعلت أنظر إلى بعض الأحجار فأسمع منها أصواتا عديدة فقلت: حجر واحد وله أصوات عديدة فتأملته فإذا هو معجون اجتمعت فيه عدة أحجار فلذلك تعددت الأصوات فيه قلت: وقد حصل له هذا أوائل فتحه رضي الله تعالى عنه أهـ. وقال في السراج المنير عند قوله تعالى: {أولم يرو إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله} وكان الحسن يقول أما ظلك فيسجد لربك وأما أنت فلا تسجد لربك بئس ما صنعت. وعن مجاهد: ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي. وقيل ظل كل شيء يسجد لله تعالى سواء كان ذلك الشيء ساجدا أم لا أهـ. قال في لباب التأويل: وقال

مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله تعالى سواء كان ذلك الشيء يسجد لله تعالى أم لا ويقال أن ظل الكافر ساجد لله تعالى وهو غير ساجد لله تعالى أهـ.

وقال صاحب اللباب والسراج واللفظ له عند قوله تعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده}: وقال إبراهيم النخعي: وإن من شيء جماد وحي إلا يسبح بحمد حتى صرير الباب ونقيق السقف. وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح لله تعالى حيا كان أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده يدل على ذلك ما روي عن بن مسعود: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فتفل ﷺ في الإناء ثم قال: " حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى " ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه صلى
الله تعالى عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. قال في اللباب أخرجه البخاري.
وعن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال:" إن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن " قال في اللباب أخرجه مسلم. وعن ابن عمر أنه ﷺ كان يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء وفي اللباب أخرجه البخاري ففي هذه الأحاديث دليل على أن الجماد يتكلم وأنه يسبح.
قال بعض أهل المعاني: تسبيح السماوات والأرض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح قال البغوي: والقول الأول هو المنقول عن السلف. وقال ابن الخازن في لباب التأويل: والقول الأول هو الأصح لما دلت عليه الأحاديث وأنه منقول عن السلف قال البغوي: واعلم أن لله تعالى علما في الجمنادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه إليه أهـ.

وفي لباب التأويل عند قوله تعالى: {ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب} قيل: معنى سجودها الطاعة فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفها بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة أهـ. وفي السراج المنير في هذا المحل: روي عن عمر بن دينار قال: سمعت رجلا يطوف بالبيت وهو يبكي فإذا هو طاوس فقال: أعجبت من بكائي؟ قلت: نعم قال: ورب الكعبة إن هذا القمر يبكي من خشية الله تعالى ولا ذنب له أهـ.
وفيه أيضا عند قوله تعالى: {ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأررض والطير صافات

كل قد علم صلاته وتسبيحه} روي أن أبى ثابت قال: كنت جالسا عند أبي جعفر الباقر فقال: أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قال: لا قال: فإنهن يقدسن الله ربهن ويسألنه قوت يومهن. قال بعض العلماء: إنا نشاهد من الطيور وسائر الحيوانات أعمالا لطيفة يعجز عنها كثير من العقلاء فإذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وبيانه أنه تعالى ألهمها الأعمال اللطيفة من وجه أحدهاأن الدب يرمي
بالحجارة ويأخذ العصا ويرمي الإنسان حتى يتوهم أنه مات فيتركه وربما عاد ويشمه ويتجسس نفسه ويصعد الشجر أخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه تعريضا بالواحدة وصدمه بالأخرى ثم ينفخ فيه فيذر قشره ويتغذى به. وعن الفأر في سرقته أمور عجيبة ثانيها أمر النحل وما لها من الرئاسة والبوت المهندسة التي لا يتمكن من بنائها أفاضل المهندسين ثالثها انتقال الكركي من طرف من أطراف العالم إلى الطرف الآخر طالبا ما يوافقها من الأهوية ويقال: من خواص الخيل أن كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتا ما والتماسيح تفتح أفواهها لطائر

يقع عليها يقال له القطقاط وينظف ما بين أسنانها وعلى رأس ذلط الطائر كالشوكة فإذا هم التمساح بالتقام ذلك الطائر تأذى من تلك الشوكة فيفتح فاه فيخرج ذلك الطائر. والسلحفاة تتناول بعد أكل الحية سعترا جبليا ثم تعود وقد عوفيت من ذلك. وحكي عن بعض الثقات المجربين للصيد أنه شاهد الحباري تقاتل الأفعى وينهزم عنها إلى بقلة يتناول منها ثم يعود ولا يزال كذلك وكان ذلك الشخص قاعدا في كن وكانت البقلة قريبة من مسكنه فلما اشتغل الحباري بالأفعى قلع البقلة فعاد الحباري إلى منبتها فلم يجدها فأخذ يدور حول منبتها دورانا
متتابعا حتى خر ميتا فعلم الشخص أنه يعالج بأكلها من اللسعة وتلك البقلة هي الكركاز البري. وابن عرس يستظهر في مقاتلة الحية بأكل السراب فالنكهة السرابية تنفر عنها الأفعى والكلاب إذا داوت بطونها أكلت سنبل القمح وإذا خرجت داوت الجراحة بالسعتر الجبلي. رابعها القنافذ قد تحس بالشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل إلى جحرها وكان رجل بالقسطنطينية قد أثرى بسبب أنه ينذر بالريح قبل هبوبها وينتفع الناس بإنذاره وكان السبب فيه قنفذا في داره يفعل الصيغ المذكور فيستدل به.
والخطاب صناعة في اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فإن أعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين وإذا فرغ بالغ في تعهد الفراخ وتأخذ ذرقتها بمناقرها وترميها من

العش. والغرانيق تصعد في الجو عند الطيران فإن حجب بعضها عن بعض سحاب أو ضباب أحدثت عن أجنحتها خفقا مسموعا يتبع به بعض بعضا وإذا باتت على جبل فإنها تضع رؤوسها تحت أجنحتها إلا القائد فإنه ينام مكشوف الرأس فيسرع انتباهه وإذا سمع حسا صاح.

وحال النمل في الذهاب إلى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا أمر عجيب وإذا كشف عن بيوتها الساتر الذي كان يسترها وكان تحته بيض لها فإن كل نملة تأخذ بيضة في فمها وتذهب في أسرع وقت. والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتب طبائع الحيوان والمقصود من ذلك أن الفضلاء من العقلاء يعجزون عن أمثال تلك الحيل وإذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يقال أنها تسبح الله تعالى وتثني عليه وإن كانت غير عارفة بسائر الأمور التي يعرفها الناس ويؤيد هذا قوله تعالى: {ولكن لا تفقهون تسبيحهم} وقوله ﷺ:" إن نوحا عليه
السلام أوصى ابنه عند موته بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو كن في حلقة مبهمة قصمتهن والسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل الخلق ". وقال الغزالي في الإحياء روي أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال له رسول الله ﷺ: فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال: فقلت: وما هي يا رسول الله قال: قل: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن يضيء الصبح تأتيك الدنيا راغمة
صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه أهـ. وفي لباب التأويل والسراج المنير عند قوله تعالى: {وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير} روي عن كعب الحبار أنه قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب، وصاحت فاختة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنها تقول: يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا، وصاح طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: كما تدين تدان، وصاح هدهد

فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: من لا يرحم لا يُرحم، وصاح صرد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: كل كائن حي ميت وكل جديد بلل، وصاح خطاف فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: قدموا خيرا تجدوه، وهدلت حمامة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملأ سمائه وأرضه، وصاح

قمري فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: سبحان ربي الأعلى، قال: فالغراب يدعو على العشار، والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا وجه الله، والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن كانت الدنيا همه، والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس ويقول أيضا: سبحان المذكور بكل لسان، والبازي يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده. وعن مكحول قال: صاح دراج عند سليمان فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: الرحمن على العرش استوى. وروي عن فرقد السنجي قال: مرّ سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول: أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وهو بالفتح والمد التراب. وقال أبو عبيدة: وهو الدروس. وفي حديث صفوان: إذا دخلت بيتي فأكلت رغيفا وشربت عليه ماء فعلى الدنيا العفاء. وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس: إنا سائلوك عن سبعة أشياء فإن أخبرتنا آمنا وصدقنا، قال: اسألوا تفقها ولا تسألوا تعنتا، قالوا: أخبرنا ما يقول القنبر في صفيره والديك في صعيقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وما يقول الزرزور والدراج، قال: نعم، أما القنبر فيقول: اللهم العن مبغضي مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وأما الديك فيقول: اذكروا الله يا غافلين، وأما الضفدع فيقول: سبحان الله المعبود في لجج البحار، وأما الحمار

فيقول: اللهم العن العشار، وأما الفرس فيقول: إذا التقة الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وأما الزرزور فيقول: اللهم إني أسألك قوت يوم يا رزاق، وأما الدراج فيقول: الرحمن على العرش استوى. قال: فأسلم اليهود وحسن إسلامهم. وروي عن جعفر بن مُحَمَّد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي قال: إذا صاح النسر قال: يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس أنس، وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغضي مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وإذا صاح الخطاف قرأ: {الحمد لله رب العالمين} ويمد {ولا الضالين} كما

يمد القارئ اهـ. قلت: ويكفي في الرد على المنكر قوله تعالى: {قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم} الآية، حتى أثبت لها أهل المعاني أنواعا من البلاغة في هذا الكلام الموجز حيث نادت ونبهت وسمت وأمرت ونصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وأعذرت ووجهة، نادت يا نبهت ها سمت النمل أمرت ادخلوا نصت مساكنكم حذرت لا يحطمنكم خصت سليمان

عممت جنوده أشارت وهم أنذرت لا يشعرون ولما كان هذا أمرا معجبا لما فيه من جزالة الألفاظ وجلالة المعاني تسبب عنه قوله: {فتبسم ضاحكا من قولها} أي: لما أوتيته من الفصاحة والبيان وسرورا بما

وصفته من العدل في أنه هو وجنوده لا يؤذون أحدا وهم يعلمون وبما آتاه الله تعالى من سمعه كلام النملة وإحاطته اهـ، انظر السراج المنير. وفي لباب التأويل والسراج المنير واللفظ له عند قوله تعالى: {وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين} وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للمسير واصطحب من الجن والإنس والشياطين والطير والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم

وكان ينحر في كل يوم مدة مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا ويعطي النصر على جميع من ناوأه وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم، قالوا له: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال: بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به، قالوا: فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال: مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل وأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم

خرج منها صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسنا تزهو خضرتها فأحب النزول ليصلي ويتغذى فلما نزل قال الهدهد: إن سليمان اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فنظر إلى طول الدنيا وعرضها يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال إلى الخضرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد من هداهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور فقال هدهد اليمن ليعفور: من أين أقبلت وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داوود عليهما السلام، فقال: ومن سليمان؟ قال: ملك الجن والإنس والشياطين والطير

والوحوش والريح وذكر له من عظمة ملك سليمان وما سخر الله له من كل شيء فمن أين أنت؟ فقال له الهدهد الآخر: أنا من هذه البلاد ووصف له ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنا عشر ألف قائد، تحت كل قائد مائة ألف مقاتل، ثم قال: فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى

ملكها، قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، فقال الهدهد الثاني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى ملك بلقيس وما رجع إلى سليمان إلا بعد العصر وكان سليمان قد نزل على غير ماء.

قال ابن العباس: وكان الهدهد دليل سليمان على الماء وكان يعرف الماء ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر الأرض ثم تجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء إلى أن قال: فلما دخل على سليمان وقت الصلاة سأل الإنس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموه فتفقد الهدهد فلم يجده فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال: أصلح الله تعالى الملك ما أدري أين هو ولا أرسلته إلى مكان، فغضب سليمان عند ذلك وقال: {لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو لياتيني بسلطان مبين} إلى أن قال: ثم دعا بالعقاب سيد الطير فقال له: عليّ بالهدهد الساعة، فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة في يد الرجل ثم التفت يمينا وشمالا فإذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمين فانقض عليه العقاب يريده، فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بهدوء ناشده وقال: أسألك بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه ثم قال: ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك أو يذبحنك فقال: أو ما استثنى نبي الله؟ قال: بلى قال: أو ليأتيني بسلطان مبين، قال الهدهد: قد نجوت إذا، ثم طارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام فلما انتهيا إلى المعسكر تلقاه النسر والطير فقالا له: أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله عليه السلام، قالا: بلى قال: أو ليأتيني بسلطان مبين، قال: قد نجوت إذا، ثم طار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله ثم قال: فلما قرب منه الهدهد أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال له: أين كنت لأعذبنك عذابا

شديدا قال له الهدهد: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلما سمع سليمان ذلك منه ارتعد وعفا عنه ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ اهـ. ثم قال في السراج: {فقال أحطت} أي علما بما لم تحط به وجئتك أي الآن من سبأ بنبأ أي خبر يقين أي محقق، فقال سليمان: وما ذلك؟ قال: {إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم} ولما كان الهدهد في

خدمة أقرب أهل ذلك الزمان إلى الله تعالى فحصل له من النورانية ما حصل له، قال مستأنفا معجبا: {وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم} ثم تسبب عن ذلك ضلالهم فلهذا قال: {فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم} فإن قيل: من أين للهدهد التهدي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكاره سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه، أجيب بأنه لا يبعد أن يلهمه الله تعالى ذلك كما ألهم غيره من الطيور وسائر الحيوانات المعارف اللطيفة التي لا يكاد ذوو العقول الراجحة يهتدون لها خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة، ثم قال: ولما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان: سننظر أصدقت فيه فنعذرك أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم قال: إذا ألقيته إليهم تول أي تنح عنهم إلى مكان تسمع فيه كلامهم ولا يصلون معه إليك فانظر ماذا يرجعون أي يردون من الجواب اهـ. ثم قال في اللباب والسراج واللفظ له: فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام.

قال قتادة: فوافاها في قصرها وقد غلقت الأبواب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعت تحت رأسها فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها، وقيل: نقرها فانتبهت فزعة. وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها.

وقال وهب بن منبه وابن زيد: كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدهد إلى الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم بها، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر إليها فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة اهـ. ثم قال صاحب الإبريز: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: إن الثور إذا رأى ثورا آخر تكلم معه بما وقع له في سائر يومه فيقول له: رعيت عشية كذا وكذا وشربت ماء كذا وكذا وبقي في خاطري كذا، فيجيب الآخر بمثل ذلك ويتحدثان بما شاء الله تعالى وفي كلامهما تقطيع وتقدير بمنزلة الحروف والمخارج من كلامنا ولكن ذلك محجوب عنا وكذا كلام سائر

الحيوانات والأشجار والأحجار كما أنه حجب عنها سماع كلامنا بمخارجه وحروفه المقطعة بل لا يسمعون منه إلا صياحا وأصواتا، وأما من فتح الله عليه فإنه يسمع كلامها ويفهم معناه ويعرف التقطيعات التي فيه وفهمه بالروح، والروح تعرف المقاصد والأغراض قبل النطق بها، ومادمت لم تر مفتوحا عليه من العجم ومفتوحا عليه من العرب وهما يتحدثان سائر يومهما يتكلم هذا بعجميته ويجيب الآخر بعربيته فإنك لم تر شيئا.

قال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: كم مرة أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء فأرجع من غير قضائها لما أسمع من ذكر الماء لاسم الجلالة اهـ. ومما يؤيد كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به في قول الشيخ الورتجيني في عرائس البيان عند قوله تعالى: {يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}: إن الله سبحانه أوجد الخلق بقدرته القديمة الأزلية والمشيئة السابقة والإرادة القائمة بذاته وعلمه وحكمته فخرج الكون من العدم مما ظهر عليها صفات القدم فباشر أنوار قدرته الوجود فأثرت قدرته ومباشرتها في الأشياء الأرواح الحضرية والعقول الربانية والألسنة الحيارية والمعرفة الأبدية ورفع الحجاب من بينها وبين معادن القدرة ومصادر الفعل فشاهدت الأشياء مصادرها فاهتزت أرواحها بنعت عشقها إلى معادها وتكلمت ألسنتها بقدس خالقها وتقديس بارئها وتسبيح صانعها وذلك من حياة ناقصة شائعة من تأثير الحياة الأزلية فالكل في حياتها قائمة بتلك الحياة مسبحة لصانعها بتلك الألسنة وذلك من استيلاء غواشي أنوار القدرة وسبحات العظمة عليها فالسماوات تسبح له بلسان العظمة والأرض تسبح له بلسان القدرة ومن فيهن يسبح له من ذوات الأرواح والحياة بألسنة الصفات والأفعال على قدر مراتبهم وجميع الأشياء تسبح له الناميات والجمادات بالظاهر من قول أهل الرسوم لا من قول أهل المعرفة يسبح بلسان الأوصاف والأسماء والنعوت والعارفون به من بينهم يسبحون له بالألسنة الذاتية لأنهم في شروق شموس الأزل وأنوار طلوع أقمار الآباد ولكن لا يعرف تسبيح الجميع إلا من تجلى الحق لسره وروحه وعقله وقلبه وصورته بجميع الذات والصفات والأشياء الغيبية روحانية ملكوتية تسبح الحق بها بلغات غيبية وإشارات أزلية ولا يسمعها إلا أهل

شهود الغيب الذين ينطقون بالحق ويسمعون بالحق ويعقلون بالحق ويعرفون الحق بالحق وينظرون بالحق إلى الحق وتصديق ما ذكرنا في تسبيح الجمادات ما روى أنس بن مالك قال: كنا عند

رسول الله ﷺ فأخذ كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن في يد أبي بكر حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد عمر فسبحن حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في أيدينا فما سبحن في أيدينا " والدليل على صدق هذا الحديث قوله تعالى: {يا جبال أوبي معه} أو سبحي معه ومعروف أن الجبال

تسبحن بتسبيح داوود عليه السلام. وعن جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه قال: مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل النبي ﷺ فسبحن ثم دخل الحسن والحسين فتناولا منه فسبح العنب والرمان ثم دخل علي رضي الله تعالى عنه فتناول منه فسبح أيضا ثم دخل رجل من أصحابه فتناول فلم يسبحن فقال جبريل: إنما يأكل هذا نبي أو ولد نبي.

وأصدق التصديق قوله سبحانه في آخر الآية: {إنه كان حليما غفورا} ومن حلمه وغفرانه أنه عرف المخلوقات كلها نفسه بصفاته القديمة الأزلية ولولا حلمه وغفرانه ما كان الكون ولم يكن لسان يذكره ولكن بكرمه ورحمته وهب للكل من سلطانه وبرهانه لسانا يسبح بحمده وحمده شامل لكل ذرة وثناؤه في لسان كل ذرة سبحان الغني المحسن وهب عطاءه العميم والكرم القديم بغير استحقاق من الكون ولا يبالي.

قال أبو عثمان المغربي: المكونات كلها يسبحن الله باخلاف اللغات ولكن لا يسمع تسبيحها ولا يفقه عنها ذلك إلا العلماء الربانيون الذي فتحت أسماع قلوبهم أهـ. قلت: ويكفي في هذه المسألة قوله تعالى: {قالو أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء}. قلت: وإذا تقرر واتضح وظهر صحة كلام الشيخ ظهورا لا غبار عليه وتبين جهل من لعله قد يعترض عليه فلنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول: ثم قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فإذا عرفت هذا فاعلم أن أرواح جميع الموجودات فردا فردا من كل ما سوى الله تعالى في كل لمحة من الزمان

مشتغلة بأمور لا تنفك عنها حتى طرفة عين وتلك الأمور هي صلاة الفاتح لما أغلق وفاتحة الكتاب وجميع القرآن والاسم الذي خلقها به والاسم الأعظم الكبير والتسبيح الخاص بها، وقولنا: الاسم الذي خلقها به إذ لكل روح اسم من أسماء الله تعالى خلقها به وبه قوامها لا تشترك روحان فأكثر في اسم واحد فهي في كل كمقدار طرفة عين تذكر هذه الأمور بتمامها وإذا عرفت هذا عرفت ما تذكره بعد هذا وهذا أوان الشروع في المقصود فسلم الأمور ولا تنكر فإذا

أخذناه من وجه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل هو في تحقيقه ووضوحه أشد وضوحا من الشمس في وقت الظهيرة صيفا: أما المرتبة الظاهرة في الفاتح لما أغلق مهما قرأها أحد بشرطها كتب الله له فيها أن يؤخذ جميع تلك الأذكار من تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد واستغفار وصلاة عليه ﷺ وقراءة القرآن وغيره من الكتب الإلهية كلها مثل التوراة والإنجيل مثلا من أول منشأ العالم إلى بروز تلك الصلاة من الذاكر وتجمع تلك الجمعية المذكورة وتتضاعف ستة آلاف مرة ثم تحسب ألسنة جميع المخلوقات من كل ما سوى الله تعالى وتتضاعف فيها تلك الجمعية بعد مضاعفتها ستة آلاف مرة وتتضاعف أيضا على

عدد ألسنة جميع العوالم من كل ما سوى الله تعالى ثم تتضاعف مضاعفة ثالثة على قدر مرتبة كل لسان فإن من الألسنة من ليس له من ذكره إلا مرة واحدة من كل لفظ وفيهم من له التضاعف مائة مرة في كل كلمة من كل ذكر وفيهم من له عشرة آلاف وفيهم من له ألف ألف إلى عشرة آلاف ألف إلى مائة ألف ألف ألف إلى ألف ألف ألف إلى ما وراء ذلك مما يكثر ذكره ثم تحسب كل لفظة على حدتها بعد التضاعف المذكور ويجري القانون في ثوابها على قدر ما ذكر في رسم الشروع من كون كل صلاة عليه ﷺ خواصها في الشروع وكل صلاة بحوراء وقصر في الجنة وعشر درجات وعشر حسنات ومحو عشر سيئات والطائر الذي يقوم منها على صورة ما ذكر في الحديث يسبح الله تعالى إلي يوم القيامة وثوابه للمصلي وعشر صلوات من الله تعالى من جميع الملائكة وهذه الصلوات من الله تعالى في غير التي تأتي في المرتبة الباطنة فإن تلك ليست هذه وفي كل صلاة أيضا يخلق منها ملك ينغمس في بحر الحياة ثم يخرج فينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكا يستغفر للمصلي إلى يوم القيامة ثم في كل صلاة ثواب أربعمائة غزوة وثواب أربعمائة حجة مقبولة واما كل تسبيحة وتحميدة وتهليلة فكلها فيها ثواب القرآن وأما ثواب القرآن في هذا فهو غير ما عند أهل الظاهر فثواب القرآن في هذا أنه لو اجتمعت الأذكار كلها من كل روح في العالم فردا فردا من أي ذكر كان وجميع أسماء الله تعالى الظاهرة والبطنة وجميع الحسنات من جميع الموجودات في العالم فردا فردا وجميع العبادات في العالم من جميع الأرواح في جميع العالم فردا فردا وجمعت هذا الثواب الذي ذكرناه كله لم يعادل ثواب حرف من القرآن وهذا في غير الفاتحة وأما الفاتحة فثوابها ثواب ختمة من القرآن كاملة في كل مرة وفيها أيضا في كل مرة منها من الحور والقصور ألف

ألف حوراء يعني ألف ألف ألف ثم ألف ألف أخرى ثم ستمائة ألف وسبعة آلاف وكسر هذا العدد فيها كله كامل من الحور والأبكار ومثله من القصور وفيها ثواب قيام ليلة القدر كاملا وفيها أيضا أكثر ما سبح به ربنا في جميع كورة العالم من جميع الأذكار كلها وجميع القرآن من كل تال ومن كل روح من كل ما سوى الله تعالى وهذا كله في الفاتحة من كل قارئ لها والأذكار المحسوبة في كورة العالم من كل روح من أول منشأ العالم وقت بروز صلاة الفاتح لما أغلق من ذاكرها هذا الذي ذكر في الفاتحة بعد مضاعفتها بالمضاعفات الثلاث التي تقدمت وكل
سلكة في القرآن أيضا من كل قارئ من منشأ العالم إلى وقت بروز الصلاة بالفاتح لما أغلق من ذاكرها تتضاعف أيضا تلك السلكة من القرآن من كل تال على قدر المضاعفات الثلاث المتقدمة ويكون حكم ثواب تلك السلكة على قدر ما ذكرنا آنفا في ثواب القرآن عند أهل الظاهر وخذ بجميع الأذكار هذا القياس وهذا المهيع واعمل به في المضاعفات الثلاث المتقدمة ولا يستثنى من هذه الجمعية التي في الفاتح لما أغلق من جميع ما ذكر في الفاتحة والقرآن وجميع الأذكار إلا الاسم الأعظم وأذكاره ﷺ فلا مدخل لهذين في صلاة الفاتح
لما أغلق لعلوها عنها لكن بحسب لسانه ﷺ مع ألسنة الأكوان في المضاعفات فإن له ﷺ مائة ألف لسان وأربعة وعشرين ألف لسان وكل لسان من ألسنته ﷺ إذا جمعت له آية واحدة من القرآن وتسبيحة واحدة من أي ذكر لم يعادلها ذكر جميع العالم من كل ذكر وتلاوة الفاتحة والقرآن من أول منشأ العالم إلى النفخ في الصور من كل ما ذكروه ومن كل ما قرأوه قرآنا وفاتحة ومن كل ما عبدوه من أول العالم وجودا إلى النفخ في الصور لم يعادلوا تسبيحة واحدة من تسبيحته أو آية من تلاوته فضلا عن

الفاتحة ثم من بعده ﷺ كل إنسان على قدر مبلغ ثوابه فما عسى أن يكون الأمر إذا حسبت الجمعية التي ذكرناها قبل كلها إلى لسان واحد من ألسنته ﷺ وما عسى أن يكون ثوابه ذلك فكيف إذا أضيف الجمعية العظمى إلى كل لسان من ألسنته ﷺ فما عسى أن يبلغ ثوابها؟
وكذلك لسان أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول جبريل لنبينا ﷺ: لو حدثتك بفضائل عمر في السماء ما لبث نوح في قومه ما نفذت فضائل عمر وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر فما عسى أن يكون الأمر إذا تلى
أبو بكر رضي الله تعالى عنه تلك الجمعية كلها بلسانه وكان ثوابه فيها على قدر رتبته وأعطي

ذلك كله لصاحب الفاتح لما أغلق في كل مرة فما عسى أن يكون ثوابه؟ وكذا في الملائكة العالين الذين هم وراء العرش إذا ذكر كل واحد منهم تلك الجمعية بلسانه ستة آلاف مرة وهو أبعد من أبي بكر الصديق بكثير لا حصر له وكذا إن تلا كل لسان من ألسنته ﷺ تلك الجمعية ستة آلاف مرة فما عسى أن يحسب ثوابها وكل لسان من كل نبي يتلو تلك الجمعية كل لسان منهم ستة آلاف مرة وهو أبعد من الملائكة العالين وهم خارجون عن الحصر

والعد وهذا الثواب كله بتمامه في كل مرة من صلاة الفاتح لما أغلق فانظر ما جمعت من الثواب وهذا آخر مرتبتها الظاهرة أهـ. تكميل: بقي علينا من الكلام على مرتبتها الظاهرة في الفاتح لما أغلق ثم اعلم أن عدد الأرواح لا يوقف له على غاية لأن عدد العوالم الإلهية ثمانية آلاف عالم،العرش بكل ما في جوفه عالم واحد من هذه العوالم وفي جوفه الكرسي والفلك الأطلس وفلك الكواكب الثابتة والسماوات السبع والأرضون والجنة والنار وكلها مملوءة بالمخلوقات وأرض السمسمة واسعة جدا لو وضع العرش فيها بجميع ما في جوفه لكان كحلقة

ملقاة في فلاة وهي مملوءة بما لا يحصي عدده إلا الله تعالى ثم هي كل مقدار طرفة عين يتزايد الخلق فيها تزايدا لا عد له منذا خلقت إلى الأبد وأهلها لا يموتون وكل من خلق فيها بقي إلى الأبد وأول نشأتها حين كون الله طينة آدم عليه الصلاة والسلام ومن حين أنشأها الله تعالى والخلق يتزايدون فيها تزايدا لا يقع عليه عدد من كثرته وفيها من أعداد عوالم المخلوقات ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى وهي على هذا المهيع إلى ألأبد وكل أهلها مع الثمانية آلاف بجميع ما فيهم من المخلوقات داخلون تحت حيطة الفاتح لما أغلق ولأهل

أرض السمسمة مجبولون على تعظيم الله عز وجل وعبادته وزمنها مخالف لزمننا منذ خلقت فإن مقدار اليوم عندنا تمر عليهم فيه سنون وفي كل نفس يحدث الله تعالى فيها من الخلق ما لا يعلمه إلا الله تعالى وفي كل نفس يحدث الله تعالى فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون مثل الملائكة وهكذا إلى الأبد بلا نهاية ثم في عالمنا وغيره كل ذرة على انفرادها لها روح لا تفتر عن ذكر الله تعالى ولا عن عبادته من حيوان وجماد حتى أوراق الأشجار ورقة ورقة وحتى الحصى والرمل والهباء فردا فردا وحتى قطر المطر فردا فردا وحتى حبوب

الثمار المأكولة وغير والمأكولة فردا فردا وكل ما هلك من أجساد هذه المخلوقات بموت أو هدم أو أكل بقية أرواحها لا تفنى لأن الأرواح خلقت للأبد فهي على حالها منذا خلقت لم تفتر عن

ذكر الله تعالى في الأمور التي ذكرناها وكذا من المخلوقات التي لها أرواح والحروف المكتوبة فما من حرف يوضع في محل أي محل كان إلا ألبسه الله تعالى روحا جديدة تذكر الله تعالى بتلك الأذكار التي قدمناها وكذا آثار الأقدام والمشي وكذا آثار العيدان في الجدران والتراب إذا حركتها الرياح كل فرد من ذلك له روح حيث انطمثت تلك الأجسام بموت

أو هلاك بقيت أرواحها إلى الأبد لا تفنى بفنائها فانظر في هذا كم في الأشجار من أوراق متجددة في كل عام وحبوب متجددة في كل عام بل وجميع ما يصور الخلق في الأواني عودا ومعدنا نحاسا وغيره أو طينا أو آجرا أو زليجا أو دورا أو جدرانا كل شيء من ذلك له روح حكمها حكم ما تقدم ذكره باقية إلى الأبد لا تموت بموت جسدها وهدمه وهذا كله من منشأ العالم إلى الأبد منسحب عليه هذا الحكم ثم كل تلك الجمعية العظمى التي تقدمت في أول المرتبة الظاهرة تتضاعف على هذه الألسنة في جميع العوالم ثم في ستة آلاف أخرى في مراتب الذاكرين

كما قدمنا فإن مرتبة النبي إذا ذكر تلك الجمعية كلها كل كلمة منه لا يقدر قدرها في الثواب ولا يحصى ثوابها من كل من كان من الأنبياء له لسان واحد ومن كل من كان قطبا فإن كل قطب من الأنبياء والصديقين له ثلاثمائة لسان وستة وستون لسانا وغير القطب له لسان واحد وانظر الملائكة العالين في عددهم وهم لا يحصى عددهم فإن السماوات السبع والأرضين السبع مملوءة بالملائكة وإن أضيفت إلى ملائكة الكواكب الثابتة كان نزرا قليلا، وكذا نسبة ملائكة الفلك الثامن إلى الأطلس على هذا المهيع وكذا الفلك الأطلس مع الكرسي على هذا المهيع والكرسي مع العرش على هذا المهيع، إن حول العرش ستمائة ألف سرادق والسرادق هو الصور بعد ما بين كل سرادق وسرادق قدر مسافة السماوات والأرض وذلك ثلاثة عشر ألفا وخمسمائة سنة وكلها مملوءة بالملائكة، ومن وراء السرادقات مائة ألف صف وسبعون ألف صف من الملائكة وكل هذه الملائكة في ملائكة الصور نزر قليل، ثم من وراء العرش سبعون حجابا محيطة به كإحاطة بيضة النعامة غلظ كل حجاب سبعون ألف عام سيرا، وسعة كل ما بين حجاب وحجاب مسيرة سبعين ألف عام هواء، وكل ذلك الهواء مملوء بالملائكة لا تجد فيها قدر الأنملة

فراغا، وبين الحجاب الأول والعرش سبعون ألف عام هواء كله مملوء بالملائكة، ومن وراء العرش حجاب عالم الرقا، وكل حجاب فوق حجاب مثل الحجب التي فوق العرش حتى قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي إبراهيم المتبولي إن كشفه انتهى إلى مشاهدة سبعمائة حجاب وراء العرش يعني مثل الحجب السبعين في القدر والسعة، ثم عالم الرقا كله حجب مثلما تقدم في السبعين حجابا إلى الطوق الأخضر المحيط بكورة العالم، ووراء الطوق الأخضر حجب كثيرة بين كل حجاب وحجاب سبعون ألف حجاب كلها مملوءة بالملائكة، وكل ملائكة الحجب من العرش إلى الطوق

الأخير الأخضر إلى ما وراءه كلهم عالون، ومرتبة كل ملك من العالين في الثواب كمرتبة النبي أو أقل بكثير أو تقرب منه، ولكل ملك من العالين سبعون لسانا فإذا زادت تلك الجمعية المتقدمة على كل لسان من ألسنة الملائكة العالين على كثرتهم إلى غير نهاية كم يكون ثوابه؟ وهذا في كل مرة من الفاتح لما أغلق.

إلحاق: ثم من جملة ما تتلوه الأرواح ولا تفنى عنه دعاء: يا من أظهر الجميل من أول العالم إلى الأبد، ثم التسبيح الذي يقدس الله تعالى به نفسه دائما تذكره الأرواح لا تفتر عنه، فأما: يا من أظهر الجميل فذكر في الحديث أن الله تعالى يعطي لذاكره في كل مرة ثواب جميع الخلائق وهو عام لجميع الخلق في العوالم كلها من كل عابد وذاكر، فإذا كانت الأرواح تذكره من حين خلقت إلى الأبد ثم أخذت جمعية ذلك من كل روح وجماد وضوعف بالمضاعفات الثلاث المتقدمة كم يبلغ ثوابه؟ ومثله التسبيح الذي يقدس الله تعالى به نفسه دائما تذكره

الأرواح لا تفتر عنه. وذكر في الحديث أن ثوابه في كل مرة أن يعطيه الله تعالى عبادة أهل السماوات والأرض فإذا جمعت أذكار الأرواح بها كلها من حين أنشأ الله تعالى العالم إلى الأبد وضوعف بالمضاعفات الثلاث كم يبلغ ثوابه؟ وفي هذين الذكرين يا من أظهر الجميل والتسبيح الذي يقدس الله تعالى به نفسه يستغرق جميع الثواب حتى ثواب الأنبياء والأقطاب والصديقين من غير ما يذكرونه بالاسم الأعظم فلا مدخل له فيه والباقي من الثواب كله داخل ويدخل فيه ثواب أعمال قلوبهم فإن ثواب عمل الصديقين بإعطاء حقوق التجليات أبدا ووظائف

لو أضيف أعمال الجن والإنس وكثير من العوالم من منشأ العالم إلى قيام الساعة ما بلغت من عمل الصديق مقدار طرفة عين، وجميع الصديقين لا يبلغ ثوابهم ثواب قطب واحد، وجميع

الأقطاب من غير الأنبياء لا يبلغ ثوابهم ثواب نبي واحد من أعمال القلوب وهو حاصل لكل ذكر في هذين الذكرين فاعتبارهما في هذه الجمعية مع المضاعفات الثلاث كم تبلغ؟ ثم اعتبر أعمال جميع الملائكة العالين وثوابها من حين أنشأ الله تعالى العالم إلى النفخ في الصور وهو داخل في ثواب يا من أظهر الجميل واعتبر بقدر الجمعية التي تذكره جميع المخلوقات لا تفتر عنه من حين أنشأ الله تعالى العالم إلى الوقت التي ذكرت فيه صلاة الفاتح واعتبر جمعيته بالمضاعفات الثلاث من كل ملك عال وانظر كم بلغ ثوابه، انتهى ما أردنا ذكره من المرتبة الظاهرة في الفاتح لما أغلق. واعلم أن ما ذكرناه من فضل مرتبتها الظاهرة بالنسبة لما لم نذكره منها كنقطة في بحر، ثم اعلم أن ما ذكرناه فيها لا ينال إلا بما هو معلوم عند أهله وذلك لا يكتب في كتاب بل لا يكاد يذكر لخواص خواص الخواص فضلا عن أن يذكر للعوام، وأما ما في مرتبتها الباطنة فلا نذكر شيئا منه في هذا الكتاب المبارك ولو

بالإشارة وفي وقت آخر يفعل الله تعالى ما يريد. وأما فضل الهيللة فمعلوم مشهور في هذه الملة المحمدية كما جاء في الكتاب والسنة، أما الكتاب فقد قال تعالى لسر خليقته وأفضل بريته صلى الله عليه وسلم: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} وقال في ذم أهل النار: {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون}. وأما السنة فقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة، روى مالك بن أنس عن طلحة بن عبيد الله أن رسول الله ﷺ قال: "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله". وروى ابن منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر". وروى أبو منصور الديلمي أيضا عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثمن الجنة لا إله إلا الله وثمن النعمة الحمد لله". وروى صاحب الفردوس من غير إسناد عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبا".

وروى الموصلي وأبو منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا إله إلا الله تمنع العبد من سخط الله عز وجل ما لم يؤثروا صفقة دنياهم فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم وتركوا لا إله إلا الله ردت إليهم وقال الله عز وجل: كذبتهم". وروى صاحب الفردوس عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: "لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله فإنها خفيفة

على اللسان ثقيلة في الميزان لو جعلت لا إله إلا الله في كفة وجعلت السماوات والأرض في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله".

وروى النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا قال: قل لا إله إلا الله قال: إنما أريد شيئا تخصني به قال: يا موسى لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله.

وروى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يؤتى برجل يوم القيامة ثم يؤتى بالميزان ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس مثل هذا. وأمسك بإبهامه على نصف أصبعه. فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله فتوضع في كفة أخرى فترجح بخطاياه وذنوبه" قال الفشني في شرحه على الأربعين النووية عند قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"

الحديث. فصل: في الكلام عن لا إله إلا الله وبعض فضائلها: اعلم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يعتقدوها ويقولوها فقال سبحانه: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} وذم مشركي العرب بقوله: {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون} وقال ﷺ لعمه أبي طالب: "قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها يوم القيامة" فلا إله إلا الله كلمة التقوى كما فسرها ﷺ.

وفي حديث عثمان رضي الله تعالى عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرمه الله تعالى على النار" فقال عمر رضي الله تعالى عنه: أنا أحدثك ما هي كلمة الإخلاص التي لازمها مُحَمَّد وأصحابه. قال سهل النستري رحمه الله تعالى: ليس لقول لا إله إلا الله ثواب إلا النظر إلى وجه الله عز وجل والجنة ثواب الأعمال.

وقيل أن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر ينتفي عنه ظلمة الكفر ويثبت في قلبه نور التوحيد وإذا قالها المؤمن في كل يوم ألف مرة فكل مرة تنفي عنه شيئا لم تنفه المرة الأولى وهي أفضل الذكر كما قاله النبي ﷺ وهي أدب الناسكين وعمدة السالكين وعدة السائرين وتحفة السابقين. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: يفتح الله أبواب الجنة وينادي مناد من تحت العرش: أيتها

الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت؟ فتنادي الجنة وكل ما فيها: نحن لأهل لا إله إلا الله، وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب:

لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله وأنا أمتلئ بمن جحد لا إله إلا الله وليس غيظي وزفيري إلا على من أنكر لا إله إلا الله قال فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول: أنا لأهل لا إله إلا الله وناصرة لمن قال: لا إله إلا الله ومحبة لمن قال لا إله إلا الله والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا إله إلا الله.

وقال بعضهم: الحكمة في قوله تعالى: {إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت} أن يوم القيامة يتجلى نو لا إله إلا الله فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر لأن أنوار تلك أنوار مجازية ونور لا إله إلا الله نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة. وجاء في الآثار أن العبد إذا قال: لا إله إلا الله أعطاه الله تعالى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل: والسبب أنه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد على كل كافر وكافرة فلا جرم يستحق الثواب بعددهم.

وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى: {وبير معطلة وقصر مشيد} فقال: البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول لا إله إلا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة أن لا إله إلا الله. وقيل في قوله تعالى: {وقولوا قولا سديدا} يعني قول لا إله إلا الله. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في الطريق ويقول: " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ". وقال سفيان بن عيينة: ما أنعم الله على العباد بنعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله وأن لا إله إلا الله في الآخرة كالماء في الدنيا.

وذكر سفيان الثوري رحمه الله: أن لذة قول لا إله إلا الله في الآخرة كلذة شرب الماء البارد في الدنيا. وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى: {وأصبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة} أنه لا إله إلا الله. وقيل أن كل كلمة يصعد بها الملك إلا قول لا إله إلا الله فإنه يصعد بنفسه دليله قوله تعالى: {إليه يصعد الكلم الطيب} أي قول لا إله إلا الله {والعمل الصالح يرفعه} أي الملك يرفعه إلى الله تعالى حكاه الرازي.

وحكى أيضا: أنه إذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله لإن صلاتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا إخلاص في شيء منها أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذكر الله تعالى والمؤمن لا يذكرها إلا عن صميم قلبه. وفي الخبر يقول الله تعالى: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. ويقال: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الأبواب السبعة على كل عضو من الأعضاء السبعة.

حكي عن الإمام الرازي رحمه الله تعالى أن رجلا كان واقفا بعرفة فكان في يده سبعة أحجار فقال: يا أيتها الأحجار اشهدوا لي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّدا رسول الله فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة وألقى نفسه على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فما قدروا ثم سيق إلى الثاني فكان الأمر كذلك وهكذا الأبواب السبعة فسيق به إلى العرش فقال الله سبحانه وتعالى: عبدي أشهدت الأحجار فلا يضيع
حقك وأنا شاهد على شهادتك بتوحيدي ادخل الجنة فلما قرب من أبواب الجنان وجد أبوبها مغلوقة فجاءت شهادة لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل الجنة. وروى القرطبي بسنده أن اتلنبي ﷺ قال: " حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئا ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فقال وجبت لك الجنة بقول كلمة الإخلاص يعني لا إله إلا الله. وفي الحديث: من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة.
وفيه أيضا: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا نشورهم وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. والأحاديث والآثار في فضلها كثيرة شهيرة وفي هذا كفاية أهـ. وأما فضل قول الذاكر: عليه سلام الله بعد قوله في المرة الأخيرة من كلمة الشهادة لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ فسيأتي في الفصل الموفي أربعين في ذكر فضائل الأذكار غير اللازمة للطريقة عند تعرضنا لذكر فضل السلام عليه وذكر فضل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله

وبركاته. وأما فضل أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم فروى أبو يعيى الموصلي والطبراني عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات فقال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت له ذنوبه وإن كان فر من الزحف ".

وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه خمس مرات غفر له وإن كان عليه مثل زبد البحر " أهـ. وأما فضل جوهرة الكمال فقد قال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: أن رسول الله ﷺ ذكر لها خواص منها: المرة الواحدة تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات ومنها من قرأها سبعا فأكثر يحضره رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها ومنها أن من لازمها كل يوم

أزيد من سبع مرات يحبه النبي ﷺ محبة خاصة ولا يموت حتى يكون من الأولياء، وقال الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: من داوم عليها سبعا عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي ﷺ. وقال ﷺ وأرضاه وعنا به: أعطاني رسول الله ﷺ صلاة تسمى جوهرة الكمال كل من ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال هذه هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زاره في قبره يعني في روضته الشريفة وكأنما زار أولياء اله والصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك.

وأما فضل: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ورب العالمين ففي لباب التأويل عند هذه الآية: وقيل العرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوا ولا ينحلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: من احب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ورب العالمين. والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الأربعون

:

في ذكر فضائل الأذكار غير اللازمة التي يختص بها الخواص من أهل الطريقة

اعلم ان جميع أذكار هذه الطريقة بل وغيرها لا ينال شيئا من أسرارها المطلوبة منها إلا من كان له الإذن الصحيح حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ كما تقدم في الفصل الثالث والعشرين من هذا الكتاب المبارك وذلك ان الشيخ ﷺ لا يذكر إلا ما رتبه له رسول الله ﷺ، قال ﷺ كما في جواهر المعاني: لا أذكر ذكرا إلا ما رتبه لي رسول الله ﷺ ثم اعلم أنها لا تذكر إلا بالطهارة المائية إلا

لعذر كالأذكار اللازمة، قال في جواهر المعاني: وسألته رضي الله تعالى عنه عمن احتلم في السفر ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه هل يذكر جميع ما عنده من الأوراد فأجاب رضي الله تعالى عنه بقوله: أنه يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسيفي وغيره إلا الفاتحة بنية الاسم فلا يقرؤها ولو طال الحال إلى الأبد إلا بطهارة مائية كاملة ثم قال ﷺ: قد سألت سيدنا رسول الله ﷺ هل أذكر الاسم الأعظم بالتيمم للمرض إذا أصابني ولم أقدر على الوضوء قال: لا إلا أن تذكر بالقلب دون اللسان ثم قال سيدنا رضي

الله تعالى عنه: هذا حكم من احتلم في السفر وأما من احتلم في الحضر والصحة فلا يذكر شيئا من أوراده إلا إذا اغتسل، ثم قال بعد كلام وأما ذكر الفاتحة بنية الاسم فلا يقرؤها بالتيمم لا في السفر ولا في الحضرولو طال إلى الأبد أهـ. وإذا فهمت هذا فلنشرع في المقصود بحول الملك المعبود فنقول: وأما فضل ياقوتة الحقائق ففي جواهر المعاني أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به ذكر أن من داوم على قراءتها تضمن له خير الدنيا والآخرة وأن من ذكرها مرتين في الصباح ومرتين في المساء غفرت له ذنوبه الكبائر والصغائر

بالغة ما بلغت ولا يقع له وهم في التوحيد لكن بالإذن الصحيح منه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أو ممن أذن له. وأما حزب السيفي فله اثنتا عشرة ألف خاصية، قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: قال جبريل للنبي ﷺ للسيفي اثنتا عشرة ألف خاصية ستة آلاف في الدنيا وستة آلاف في الآخرة فمن داوم على قراءته حصلت له الخواص بأجمعها الدنيوية والأخروية أهـ.

وقال السيد مُحَمَّد عوث الله في جواهره: اعلم أن السيفي آية من آيات الله تعالى فيها عجائب لا تحصى وغرائب لا تنكر وأكثر أهل الله وجدوا الفيض الفياض من هذا الدعاء وصاروا منه

محفوظين بالحظ الأوفر. وعن الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أن له أسماء عديدة منها: سيف الله ويمين الله وقدرة الله ويد الله وبرهان الله وصمصام الله والحزب اليماني وحزب الله وسهم الله وحرز البررة والحزب الأعظم والحزب السيفي اهـ. وقال الشيخ أبو عبد الله الأندلسي: اعلم أن من كان سعيدا في الدنيا والآخرة يصل إليه هذا الدعاء المبارك.

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أن حزب السيفي وصلاة الفاتح لما أغلق يغنيان عن جميع الأذكار حيث كانت، وما توجه متوجه ولا تقرب متقرب إلى الله تعالى بأفضل منهما وأما السيفي فهو للنبي ﷺ وله ستون ألف كرامة اهـ. ومرادي أن أذكر من كراماته الأخروية فقط شيئا قليلا يمكن لي ذكره وإفشاؤه فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: منها: أن من لازم قراءته صباحا ومساء يحبه الله محبة خاصة، ومنها أن من كتبه وعلقه عليه يعد من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وإن لم
يذكره، ومنها أن من لازم قراءته صباحا ومساء لا يكتب عليه ذنب، ومنها أن من لازم قراءته صباحا ومساء غفر الله تعالى ما تقدم من ذنبه، ومنها أن من قرأه في سنة لا تكتب ذنوبه تلك السنة، ومنها أن من قرأه مرة يعطى عبادة سنة ومرتين يعطى عبادة سنتين وثلاثا يعطى عبادة ثلاث سنين وهكذا على هذا المهيع، ومنها أن الله تعالى يعطي قارئه ثواب صوم رمضان، ومنها أن الله تعالى يعطي قارئه مرة مثل ثواب قيام ليلة القدر بالغا ما بلغ في كل مرة، ومنها أن من قرأه إحدى وأربعين مرة فإن الله تعالى يرزقه كرامات الأولياء ويجعله
مصباحا لهم في أي مكان بإذن الله تعالى، ومنها أن من قرأه كل صباح ثلاث مرات إلى تمام أربعين صباحا نال كرامة الأولياء وصار عزيزا مكرما بين الخلائق لا يخاصم ولا يدافع، ومنها أن من قرأه إحدى وأربعين مرة صباحا متواليا بلغه الله تعالى مرتبة الولاية وكان من أولياء الله تعالى الذين يتصرفون في الغيب، ومنها أن من أراد رؤية نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أو واحد من أهله أو أقاربه فليقرأه إحدى وأربعين مرة فإنه يراه بإذن الله تعالى، ومنها أن من قرأه على نفسه ووالده إحدى وأربعين مرة لا يرون في الدنيا شدة

ولا في الآخرة مشقة، ومنها أن من قرأه مرة واحدة أنجاه الله تعالى من موت الفجأة، ومنها أن من قرأه أربعين مرة لإحضار الخضر يحضره الخضر رضي الله تعالى عنه، ومنها أن المداوم على قراءته لا يخرج من الدنيا إلا مع الإيمان ولو كانت أعماله لا تصلح ولو كانت ذنوبه مثل زبد

البحر غفر الله تعالى له بفضله وتاب عليه توبة نصوحا، ومنها أن من داوم على قراءته خلق الله تعالى له شخصا حسن الوجه فإذا دنا أجله جاء إليه ذلك الشخص وجلس قبالته فينظر إليه فيعجبه حسنه وجماله ويسبح الله ثم تخرج روحه من غير تعب ولا مشقة وهو لا
يتوجع ولا يدري بشيء، ومنها أن الملكين إذا جآه في قبره ليسألانه عن حاله يأمر الله تعالى هذا الحرز يجاوب عنه بأحسن جواب، ومنها أنه إذا قام يوم القيامة يخرج من قبره ووجهه كالقمر ليلة نصفه ببركته، ومنها أنه إذا قام من قبره أول ما يصافح النبي ﷺ، ومنها أنه إذا حضر للميزان أمر الله تعالى أن لا يحاسبوه ويقول أنه كان يداوم في الدنيا على قراءة الدعاء، ومنها أنه إذا وصل إلى الصراط جعل الله تعالى هذا الحرز مركبا على الصراط ويقول اركبني واعبر على الصراط في أقل من لمح البصر وقيل: يحمله ملك
ويمر به فإذا سلم يقول له: من أنت؟ فيقول: دعاؤك الذي كنت تدعو به في الدنيا، ومنها أن النبي ﷺ يأمر الزائرين إذا أتوه لزيارته بإكرام قارئ هذا الدعاء، ومنها أن من داوم على قراءته خلده الله تعالى في الجنة ببركته، ومنها أنه لا يكون لأحد خلعة ولا أعلى درجة أكثر من قارئ هذا الحرز، ومنها أن الله تعالى يهب له بكل حرف من هذا الدعاء درجة في الجنة ببركته، ومنها أن من كتبه وسقى محوه للصبي يفتح له باب التحصين، ومنها أن من قرأه معتقدا بركته حضره سبعون ألف ملك فإذا قال: اللهم أنت الملك الحق

المبين إلى قوله: لا إله إلا أنت سجدت الملائكة كلهم لله عز وجل وسألوه أن يقضي حاجة الداعي، اهـ ما أردنا ذكره وقد جمعنا بعض خواصه وكراماته في تأليف مستقل مفيد فانظره فإن فيه ما يكفيك إن شاء الله تعالى. وأما حزب المغني فإنه يقرؤ بعد قراءة حزب السيفي لكن إن قرأت حزب السيفي مرة واحدة ولم تزد فإنك تقرأ حزب المغني مرة واحدة، ومن فضائل حزب المغني أن من لازم قراءة حزب السيفي صباحا ومساء يحبه الله تعالى محبة خاصة كما تقدم ومن لازم تلك المحبة الخاصة أن الله تعالى يمتحن صاحبها بالفقر ونحوه ولا يمنع بفضل
الله تعالى من ذلك الامتحان إلا قراءة حزب المغني بعد قراءة حزب السيفي على الوصف المتقدم. وأما سورة القدر فإنها مثل السيفي في الثواب كما أخبر به الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به عن سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ. وأما سورة الإخلاص فقد روي في فضلها أحاديث كثيرة، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن

رجلا سمع رجلا يقرأ: {قل هو الله أحد} يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن" وفي رواية قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أصحابي أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم فقالوا: أينا يطيق ذلك؟ فقال: {قل هو الله أحد} ثلث القرآن". وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ فقال: "أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد} حتى ختمها".

وروى الترمذي وقال: حسن غريب عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: "من قرأ كل يوم مائة مرة {قل هو الله أحد} محا الله عنه ذنوبه خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين" وفي رواية عنه عن النبي ﷺ قال: "من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ {قل هو الله أحد} مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول الرب تبارك وتعالى: يا عبدي ادخل على يمينك الجنة".
وروى الترمذي ايضا عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال: يا رسول الله إني أحب هذه السورة {قل هو الله أحد اله الصمد} قال حبك إياها أدخلك الجنة. وروى الترمذي أيضا وقال حديث حسن صحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلا يقرأ {قل هو الله أحد الله الصمد} فقال رسول الله ﷺ: وجبت لك الجنة. وروى أبو يعلى أن أنس بن مالك رضي اله تعالى عنه قال:قال رسول الله ﷺ:" من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة ".
وروى مسدد وأبو بكر بن أبي شيبة والنسائي بإسناد صحيح عن مهاجر بن الحسن قال: سمعت رجلا يحدث قال: إني لأسير مع النبي ﷺ في ليلة مظلمة فسمع قارئا يقرأ قل يا أيها الكافرون فقال: أما هذا فقد برئ من النفاق فسمع قارئا يقرأ قل هو الله أحد فقال: أما هذا فقد كفر له فكففت راحلتي لأنظر من الرجل فأبشره فنظرت يمينا وشمالا فما رأيت أحدا.

وروى الطبراني عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ قال:" من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح انتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى.
وروى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال:" من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى

الله له ثلاثة قصور في الجنة فقال عمر: إذن تكثر قصورنا فقال ﷺ: فضل الله أوسع من ذلك ".

وروي أنه ﷺ قال:" من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره ومن وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة " وقد أفرت أحاديثها بالتأليف وفي هذا القدر كفاية لأولي الألباب. قال في السراج المنير: ولها أسماء كثيرة وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى أحدها أنها سورة التفريد ثانيها سورة التجريد، ثالثها سورة التوحيد، رابعها سورة الإخلاص خامسها سورة النجاة سادسها سورة الولاية سابعها سورة النسبة لقولهم: انسب لنا ربك ثامنها سورة المعرفة تاسعها

سورة الجمال عاشرها سورة القشقشة حادي عشرها سورة المعوذة ثاني عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الأساس قال: أسست الماوات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد رابع عشرها المانعة لأنها تمنع فتنة القبر ولهجات النار خامس عشرها سورة المحتضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرأت سادس عشرها المنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها سابع عشرها سورة البراءة من الشرك ثمن عشرها المذكرة لأن تذكر العبد خالص التوحيد تاسع عشرها سورة النور لأنها تنور القلب العشرون سورة الحصن قال ﷺ:" إذا قال العبد

الله قال الله: دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي ". وروى مسلم عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ بعث رجلا في سرية فكان يقرأ في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يفعل ذلك فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال ﷺ: أخبروه أن الله يحبه " نسأل الله بفضله وكرمه أن يحبنا ونحبه حتى نلقاه على ذلك وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كما في جواهر المعاني: ورد في الحديث الشريف أن من قرأ

سورة الإخلاص مائة ألف مرة أعتقه الله من النار وبعث مناديا ينادي يوم القيامة من كان له دين على فلان فليأتني أؤديه عنه وليفعل ما يقدر عليه كل يوم حتى يكمل وتلاوتها تكون مع البسملة في كل مرة واستقبال القبلة وعدم الكلام في وقت الذكر وفيها عدد ثلاثة وثلاثين ألف سلكة وثلاثمائة ألف سلكة وثلاث وثلاثين سلكة وثلث سلكة وبينهما عشرة آلاف قصر في الجنة أهـ.

وأما آخر سورة الحشر وهو: لو أنزلنا إلى آخر السورة فله فضائل كثيرة وروى الترمذي وقال حديث غريب عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال:" من قرأ حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كذلك ". وروى أبو منصور الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" اسم الله الأعظم في ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ".

وعن أبي هريرة ﷺ قال سألت خليلي أبا القاسم رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال: عليك بآخر سورة الحشر فأكثروا قراءتها فأعدت عليه فأعاد ". أهـ. ومن قرأها كل صباح بدون الاستعاذة غفر الله له ذنوبه وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا وكذلك في المساء. وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: ومن مكفرات الذنوب الدوام على قراءة آخر الحشر فإن صاحبها يغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وروى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" من قرأ آخر سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ". وأما حزب البحر فهو من إملاء رسول الله ﷺ على شيخ الطريقة والحقيقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه ثم أخذه شيخنا وسيدنا أحمد بن مُحَمَّد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به عن النبي ﷺ وقيل إن فيه اسم الله الأعظم وفيه خاصية التحصين في البر والبحر مع الإذن الصحيح من أربابه وفيه كيفيات

في قراءته وفي تحصينه ومن أرادها فليطلبها من أربابها ويأت البيوت من أبوابها أهـ ما في جواهر المعاني. قلت: فها أنا أذكر لك بعض فضائله وخواصه: أما فضله فيتبين بوجوده أولها: أن معظمه مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وقد تضمن نحو من ستة وثلاثين آية من كتاب الله تعالى ومن الأذكار المأثورة ست أحاديث ونحوا من أربعين اسما من أسماء الله تعالى، وقال بعض أكابر الأولياء أن فيه اسم الله الأعظم في ثلاث مواضع.

وثانيها: انتشاره وشهرته في الأقطار حتى لقد اتهم وأمجد وغار وطار في الآفاق كل مطار وشاع في البدو والحضر وسار في الناس مسير الشمس مشرقا ومغربا والقمر وشاما وحجازا ومصرا وكم ترى من بلدة هو يقرأ في مساجدها ونواحيها وكم من قرية هو مشهور فيها، وقد حفظه الكثير

من الصالحين والأولياء والصديقين يكررونه في الحاجات عند الضرورات في المساء والبكرات ويستعيذون به عند المخلوقات قد حفظه الأكابر والعلماء واعتنى به الأحبار والصلحاء وقد صار تمام على الصدور وجعل حرزا على النحور وعلى الدواب والحيوان ومسطورا في البيوت والجدران وشاع في الناس وذاع وملئت به الأفواه والأسماع والأماكن والبقاع كما قيل: وأنهم حزب الأحمدية مشرقا *** كبدر تمام في الأنام وأنجدا وسار به من لا يسير مشمرا *** وفاه به من لا يفوه مرددا وتسمعه إن شئت شرقا ومغربا *** وشهرته في الخلق كالنجم موقدا وفي الركب إن ساروا تلوه تبركا *** وفي القوم إن خافوا به يأمن العدا وفي الطفل إن رقى تجده مباركا *** وفي الحاج إن يرجى ترى النجح قد يدا وفي البحر فاذكره يريك عجائبا *** وتيسير أسباب وأمر مسددا ترى البحر مطوا عاتري الريح لينا *** ترى اللطف من قرب ترى
الوقت مسعدا فأكرم بهذا من دعاء مبارك *** عظيم حجاب ظاهر النفع والجدا وإنما قلت: واتهم حزب الأحمدية مع أن الشارح صاحب القصيدة إنما قال: وإنهم حزب الشاذلية لكون شيخنا أحمد التجاني ﷺ أخذ هذا الحزب عن النبي ﷺ مشافهة يقظة لا مناما فلذلك نسبته إليه ﷺ وإلى أهل طريقته ﷺ أجمعين ولهذه الكثرة والانتشار سر باطن وعناية من الله تعالى ولولا وجود نفع به وتجربة لمنافعه لما كان هذا الانتشار.

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا *** حتى يروا عنده آثار إحسان والوجه الثالث تجربته في الحالات وعند الضرورات وهذا باب واسع فكثير من الناس وجدوا له بركة وحالة صادقة وأمورا ظاهرة، وحكايات تجربته كثيرة منتشرة يضيق الوقت عن ذكرها. قال بعضهم: وقد اتفق لي منه أمور في بعض الحالات ولا سيما في الحروب يطول ذكره. وأما بعض خواصه فقد جاء عن الشيخ أنه قال: لو قرئ حزب ببغداد لما أخذت.
وهو العدة الوافية والجنة الواقية التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب، وما قرئ في مكان إلا سلم من الآفات وحفظ من حوادث العاهات وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ولأهل النهايات أنوار صافية، ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله دعوته وفرج كربته ورفع بين الناس قدره وشرح بالتوحيد صدره وسهل أمره ويسر عسره وكفاه شر الإنس والجن وأمنه من شر طوارق الليل والنهار فلا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه، وإذا قرأه عند جبار أمن من شره، ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله تعالى عن خلقه وأمنه من حوادث دهره ويسر عليه

أسباب السعادة في حركاته وسكناته، ومن أراد أن يبلغ مراده فليقرأ عقب كل صلاة الصبح سورة يس عشر مرات ثم يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة فإن الله تعالى يبلغه مراده بإذنه، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته في القلوب. قال بعض العلماء: من كتبه على شيء كان محفوظا بحول الله تعالى وقوته ومن استدام قراءته لا يموت غريقا ولا حريقا ولا بريقا ولا شريقا، وإذا احتبس الريح عن أهل السفينة وذكروه جاءت الريح الطيبة بإذن الله تعالى، ومن كتبه على سور مدينة أو حائط دار مديرا عليها حرس الله تعالى تلك

المدينة من شر طوارق الحدثان والآفات وله منفعة جليلة في الحروب وهو دعاء النصر والغلبة على سائر الخصوم. قال الشيخ أحمد زروق: وأما التصرف بهذا الحزب فهو بحسب النية والهمة يتصرف به في الجلب والدفع وينوي المراد عند قوله: وسخر لنا هذا البحر كما قال ابن عباد رحمه الله تعالى فيما رأيته بخطه وهو صحيح. ولولا خوف التطويل وإفشاء ما ينبغي كتمه لذكرت هنا العجائب والغرائب وفيما ذكرناه كفاية.

وأما الأسماء الإدريسية فلها خواص عظام وفضائل كثيرة ومن أرادها فعليه بمطالعة كتاب الجواهر الخمس لسيدنا مُحَمَّد الغوث مع شارحه سيدي مُحَمَّد الشناوي رضي الله عنهما. وأما فضل فاتحة الكتاب فقد ورد في الحديث أنها أعظم آي القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم إلى غير ذلك مما ورد في فضلها من الأحاديث المشهورة فمن أراد ذلك فليطلبها في محالها.

وأما ما أخبر به الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: فقد ذكران: قارئ الفاتحة بنية الاسم الأعظم يكتب له بكل مرة سبعون ألف مقام من كل ما خلق الله تعالى في الجنة وعند التلفظ بها يتلقاه من فيه أربعة من الملائكة الكرام ويقولون له وهو أعلم: إن فلانا ذكر اسمك، فيقول لهم: اكتبوه من أهل السعادة واكتبوه من جوار مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم وتذكره معه الملائكة في جميع عوالمه وذكر كل ملك يتضاعف بعشر مرات ويكتب ذلك لتالي الفاتحة بالنية المذكورة ويكتب له مع ذلك ثواب الفاتحة لكل حرف مائتا حسنة ولا يكتب

عليه سيئة ويكون من المحبوبين والمقربين وهذا من الأسرار العلية المكتومة، فاعرف ولا تجهل أهـ.

وقال أيضا رضي الله تعالى عنه: وأما المرتبة الظاهرة في ذكر الفاتحة بنية الاسم فهي للشخص نفسه في ذكر نفسه أربعة آلاف آلاف آلاف آلاف مرة من ذكر صلاة الفاتح لما أغلق ومعها مئتا ألف ألف ألف مرة من الفاتح لما أغلق هذا في ذكر نفسه وأما في ذكر الملائكة معه فله

بكل لفظة من لسان كل ملك في كورة العالم اثنان وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف مرة من الفاتح لما أغلق واعتبر صلاة الفاتح لما أغلق بما قدمناه فيها فله فيها جميع ما
قدمنا في مرتبتها الظاهرة والباطنة وثواب كل مرة من ذكره ومن ذكر كل لسان من كل ملك في كورة العالم ولعلك ترى أن ما في مراتب القطب من قبلنا يقل دونه ثواب الواحد من أصحابنا في الاسم الأعظم وذلك من قلة التأمل وإذا تأملت ثواب القطب من قبل هذا الوقت مع ثواب مرة واحدة بأصحابنا بان لك أن ثواب القطب من قبلنا بالنسبة إلى ثواب مرة واحدة من ذكر واحد من أصحابنا كنقطة في البحر المحيط.
قال ررضي الله تعالى عنه ولا يعرف كمية الزمان الماضي لكن الله عز وجل لما خلق روح الإنسان أقامها سبحانه وتعالى في حجر تربيته يلاطفها بالمحاسن والتكريم والإعزاز لها أقامها الله تعالى في هذا الحال تسعمائة ألف عام وثمانين ألف عام ثم قال: ثم اطلعت على زمان في الغيب مضى بعد هذا وقدره ثلاثمائة ألف ألف ألف عام وسبعون ألف ألف ألف عام وثمانية آلاف ألف ألف عام وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف عام أخرى أهـ.

فاعلم أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به قال أيضا: ثم إن الفاتحة لها ثلاث مراتب الأولى هي المرتبة الظاهرة والثانية هي المرتبة الباطنة والثالثة هعي مرتبة باطن الباطن وكلها في ثواب الفاتحة وهذا من غير ما تقدم، أما المرتبة الظاهرة ففي الفاتحة مرة واحدة ثواب كل ما ذكر به ربنا من منشأ الحقيقة المحمدية صلى الله تعالى عليه وسلم إلى وقت تلفظ التالي بالفاتحة فكل ما ذكر ربنا في جميع العوالم من كل ما أحاط به علمه من خلقه الموجودين وما يخلقه من الخلق بعد الفاتحة المذكورة فكل تسبيح وقع في الوجود في
جميه تلك المدة وكل ذكر ذكر به ربنا في جميع العوالم يعطى ثوابه لتالي الفاحة مرة واحدة من أي ذكر كان ما عدا ثواب تلاوة الاسم الأعظم في جميع العوالم فلا مدخل له تحت تلاوة الفاتحة إلا إذا تلا الفاتحة بنية الاسم الأعظم فيدخل تحتها ثواب جميع الاسم الأعظم من كل تال في الوجود وفي مرتبتها الظاهرة أيضا ثواب ختمة من القرآن وفيها أيضا أن يحسب جميع حروفها وحروف جميع القرآن ويعطى لتاليها بكل حرف من ذلك سبعة أبكار من الحور العين وبسعة قصور في الجنة وهكذا دائما كلما تلا.
وفي الجواهر: قلت: وقد قيل أن حروف القرآن ثلاثمائة ألف وإحدى وعشرون ألفا وخمسة

وسبعون حرفا فإذا ضربتها في سبعة وهي عدد الحور العين لكل حرف سبعة يخرج ألف ألف ومائتا ألف وسبع وأربعون ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرون حوراء أهـ. وفي سورة القدر ثلاثمائة ألف وستون ألفا لكونها فيها فضل صيام رمضان وكل يوم منه باثني عشر ألفا وإذا جمع هذا العدد مع الأول يكون ألفي ألف وستمائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وعشرين أهـ.

فهذا في غير الصلاة وأما في الصلاة فيتضاعف مرتين إن صلى جالسا وأربع مرات إن صلى قائما وهذا للفذ فإذا قرأها في صلاة الجماعة فيتضاعف بمائة وثمان مرات فإذا نظرت على عدد الركعات سبعة عشر ركعة بين النهار والليل يصير ثمانية عشر مائتا وستا وثلاثين أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف وهو ألف ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر ومثله تسبيح العالم ومثله قيام ليلة القدر ومثله عبادة سنين ومثله ختمات من القرآن والحاصل أن من قرأها في صلاة الجماعة يعطى من الأجر في اليوم الواحد أربعة آلاف ألف ألف مرتبتان وسبعمائة ألف ألف مرتبتان وستا وثمانين ألف ألف مرتبتان وثلاثة وستين ألفا وتسعمائة حوراء مع الأجر المتقدم من تسبيح العالم وختماتى القرآن إلى غيرها قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: وفي الحديث من صلى خلف الإمام فقراءة اللإمام له قراءة ثم قال سيدنا رضي الله تعالى عنه: وهذا لمن لا يفهم معنى التفسير وأما من فهم التفسير فيضاعف له الأجر مرتين وهو مائتا حسنة لكل حرف ثم قال سيدنا رضي الله تعالى عنه: ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة يعني قارئ الفاتحة ثم قال رضي الله تعالى عنه وهذكا في غير نية الاسم وأما قراءة الفاتحة بنية
الاسم فلا يحيط بفضلها إلا الله ولا يستعظم هذا في جنب الكريم ﷻ فإن فضل الله لا حد له والسلام. ثم قال رضي الله تعالى عنه: قال لي سيد الوجود ﷺ: ويجاورني في عليين وهذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة. قلت: وما ذكرت هنا من فضل الفاتحة بالنسبة لما لم أذكره كنقطة في بحر لا يعلمه إلا الله تعالى. وأنا فضل صلاة رفع الأعمال فقد ورد في بعض الآثار أن من صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بها عضرا في الصباح وعشرا في المساء رفع له مثل عمل أهل ألأرض.

وأنا اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك إلى آخره فهو من مكفرات الذنوب وفي الحديث كما في المستدرك أن رجلا شكى إلى رسول الله ﷺ كثرة الذنوب فقال له رسول الله ﷺ:" قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي فقال ذلك أعدها فأعادها فقال

أعدها فقال قد غفر الله لك.

وأما فضل وظيفة الليل والنهار وهي: لا إله إلا الله والله أكبر إلى آخره فمن ذكرها في الصباح ثلاثا لا يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي ومن ذكرها في المساء كذلك لا يكتب عليه ذنب في تلك الليلة حتى يصبح. وأما استغفار الخضر على نبينا وعليه السلام فقد قال سيدنا رضي الله تعالى عنه: من ذكره غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وأما المسبعات العشر فقد قال الشيخ أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي أنها من الأوراد العظيمة التي جرت عادة الصالحين والعباد على قراءتها يقرؤنها ويضيفونها إلى وظائفهم وأورادهم قديما وحديثا غدوة وغشية ولم يزل الشيوخ رضي الله تعالى عنهم يأمرون إخوانهم واصحابهم بقراءتها ويحضونهم عليها وقد أسند حيثها أبو طالب المكي في القوت عن كرزين وبرة قال: من الأبدال عن أخ له من أهل الشام عن إبراهيم التيمي عن الخضر عن المبي ﷺ أهـ.

وفي الأحياء فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في المنام كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلته الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه في الجنة قال: سألت الملائكة: لمن هذا كله؟ فقالوا: للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمارها وسقوه من شرابها قال: فأتاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم عليّ وأخذ بيدي فقلت: يا رسول الله إن الخضر أخبرني أنه سمع منك حديثا قال: صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس

الأبدال وهو من جنود الله تعالى فقلت: يا رسول الله فمن قبل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رأيته في المنام هل يعطى شيئا مما أعطيته؟ فقال: والذي بعثني بالحق نبيا إنه يعطي العامل بهذا وإن لم يرني وإنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه السيئات إلى سنة والذي بعثني بالحق نبيا لا يعمل بهذا إلا من خلقه الله عز وجل سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله تعالى شقيا.

وذكر الشيخ أبو طالب المكي أن إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى مكث أربعة أشهر لا يطعم ولا يشرب بعد هذه الرؤية اهـ. وقال العلماء من أهل الحقائق: إن في قراءتها بالغداة والعشي أسرار نورانية للسالكين من أهل البدايات وأنوارا ربانية للسالكين من أهل النهايات، ومن استدام قراءتها فتح الله تعالى عليه أبواب الخيرات والزيادات وأطفأ عنه حرارة الشهوات الترابية ورزقه

البركة في دينه ودنياه وآخرته ونوّر باطنه بأنوار السعادة وجمّل ظاهره بآثار السيادة وأغنى فقره ويسّر عسره وسهّل أسبابه وكشف ضره وكفاه شر كل طاغ وباغ
وحاسد وحرسه من شر الشيطان الرجيم وفيها اسم الله الأعظم وذاكرها لا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ولا يسأل بها شيئا إلا أعطاه ما سأله وفوائدها كثيرة وأسرارها جليلة يعرفها أهل التفريد من الأصفياء ويشهدها أهل التجريد من الأولياء اهـ. وأما فضل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله وأن عيسى إلى آخره ففي البخاري عن عبادة بن الصامت عنه ﷺ: "من قال أشهد أن لا إله إلا الله إلى آخره أدخله الله الجنة من أي أبوابها الثمانية شاء على ما كان منه من عمل".

وأما الأذكار التي بعد الصلاة فالفاتحة تقدم فضلها وآية الكرسي من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت. وأما سورة الإخلاص فقد تقدم فضلها. وأما: أعوذ بكلمات الله الخ فمن ذكرها ثلاثا في الصباح وثلاثا في المساء لم يضره السم. فضل: تباركت إلهي إلى آخره فمن ذكره دبر كل عمل كان مقبولا. وأما: لقد جاءكم رسول إلى آخره فمن ذكرها سبعا في الصباح وسبعا في المساء لم يضره سم ولا سحر ولا يلحقه ضرر من جانب جن ولا إنس ولا غيرهما ولا يموت موت الفجأة ولا يموت ما دام يذكرها.
ثم أعوذ بكلمات الله التامات تقدم فضلها ثم حزب البحر تقدم فضله. وأما: يا من أظهر الجميل ففي جواهر المعاني: قال بعضهم: جاء به جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال له: أتيتك بهدية قال: وما تلك الهدية؟ قال: فذكر هذا الدعاء فقال ﷺ: ما ثواب هذا الدعاء؟ قال له جبريل: لو اجتمعت ملائكة السماوات السبع على أن يصفوه ما وصفوه إلى يوم القيامة وكل واحد يصفه بما لا يصفه الآخر فلا يقدرون عليه.
ومن جملة ذلك أن الله تعالى يقول: أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في السماوات السبع وفي الجنة والنار والعرش والكرسي وعدد القطر والمطر والبحار وعدد الحصى والرمل. ومن جملتها أيضا أن الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق. ومن جملتها أيضا أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبيا كلهم بلغوا الرسالة إلى غير ذلك وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ هو عبد الله بن عمرو بن العاص من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، صححه الحاكم ورواته كلهم مدنيون اهـ.

ثم الأسماء الإدريسية تقدمت في الإخلاص كذلك. ثم السيفي كذلك. لا إله إلا الله يا دافع إلى آخره. ثم الدعاء الذي ذكره أبو طالب المكي وهو: أنت الله لا إله أنت إلى آخره فضله: من ذكره يكتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون سيدنا مُحَمَّدا ﷺ وإبراهيم وموسى في دار الجلال وله ثواب العابدين في السماوات والأرضين اهـ.

وأما فضل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إلى آخره فمن ذكره مرة واحدة يكتب عند الله تعالى من الذاكرين ويكون أفضل من ذكره بالليل والنهار وينظر الله تعالى إليه ومن نظر الله تعالى إليه لم يعذبه ومحا عنه ذنوبه ويكون له غرسا في الجنة وأيضا زوّجه الله تعالى من الحور العين اهـ هكذا في جواهر المعاني.

قال رضي الله تعالى عنه في رسالته: ومن مكفرات الذنوب: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ملئ ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم فإن المرة الواحدة منها وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى. قال في الرسالة التي أرسلها إلى بعض أحبائه من تجار فاس: واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملئ ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في

ذكر الله اهـ. قلت: وهذه الأذكار هي الباقيات الصالحات عند جمهور المفسرين وفضلها معلوم مشهور في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: {المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا} ووردت أحاديث تدل على أن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات منها ما رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كلمات قلهن قبل أن يحال بينك وبينهن فإنهن الباقيات الصالحات وإنهن كنز الجنة" قلت: وما

هن يا رسول الله؟ قال: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" رواه ابن ماجة والمنذري من طريق عمرو بن راشد. وأخرج الطبراني في كتاب الدعاء عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: "هن الباقيات الصالحات من قال لا إله إلا الله والله أكبر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله من قالهن خمس مرات أعطاه الله تعالى خمس مسائل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وأرشدني

وارزقني".

وأخرج أحمد بن حنبل وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس والترمذي وحسنه المنذري: عن رجل من بني سليم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليس لهن عدل من القول وهن الباقيات الصالحات سبحان الله نصف الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ولا إله إلا الله تملأ ما بين السماء والأرض عدل أي مثل".

وأخرج النسائي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "خذوا جنتكم من النار قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات معقبات ومجنبات وهن الباقيات الصالحات" من فضائلها أنها أحب الكلام إلى الله تعالى وأفضله عنده ومصطفاه ومقاليد السماوات والأرض. وأخرج أحمد بن حنبل عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: "أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت".

وأخرج أحمد بن حنبل عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: "أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر". وأخرج الإمام أحمد والحاكم والضياء عن أبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله اصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فمن قال: سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحطت عنه عشرون خطيئة ومن قال: الله أكبر مثل ذلك ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل من قبل نفسه كتب له ثلاثون

حسنة وحطت عنه ثلاثون خطيئة". وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله اختار لكم من الكلام أربعا ليس القرآن وهي من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر". روى الحرث بن أسامة بسند منقطع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سئل عثمان بن عفان ﷺ عن مقاليد السماوات والأرض فقال: قال رسول الله ﷺ: " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر له مقاليد السماوات والأرض ولا حول ولا قوة

إلا بالله من كنوز العرش". ومنها أنها تجزئ عن القرآن. وأخرج البيهقي في الكبير وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا

رسول الله إني لا أحسن شيئا من القرآن فعلمني ما يجزيني عنه قال: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله" فذهب ثم رجع فقال: هؤلاء لربي فمالي؟ فقال: "قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني واعف عني"، فلما ولى الرجل قال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد ملأ

يده من الخير" رواه المنذري مختصرا. ومنها أنها تقوم مقام الصلاة النافلة أخرج السعيد بن منصور في سننه موقوفا بسند رواته ثقات ومُحَمَّد بن نصر المروزي عن طارق بن شهاب قال: دخلت على سلمان رضي الله تعالى عنه في حصن بالقادسية وهو يعالج علجة له على أن تصلى ثم قال سلمان: ينزل الناس ثلاث منازل فمنهم من له ولا عليه ومنهم من عليه ولا له ومنهم من لا له ولا عليه فقلت: أي شيء له ولا عليه ومن عليه ولا له ومن لا عليه ولا له فقال: يا ابن أخي يغتنم الرجل ظلمة الليل وغفلة الناس فيقوم فيصلي فهذا الذي له ولا عليه

ويغتنم الرجل ظلمة الليل وغفلة الناس فيقوم فيسعى في معاصي الله عز وجل فهذا الضي عليه ولا له وينام الرجل حتى يصبح فهذا الذي لا له ولا عليه قال: فأعجبني ما سمعت منه فقلت: لأصحبنه فخرجت معه فكنت لا أستطيع أن أفضله في عمله حتى إذا كان الليل طرح لبدة فتكأ عليها فجئت فتكأت إلى جنبه وكانت لي ساعة الليل أقومها قال: فاستيقظت فإذا هو نائم وكان إذا قام من الليل قال: سبحان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر حتى إذا أقبل الفجر قام فتوضأ ثم صلى ركعات يسيرة ثم جلس فصلينا قلت: يا أبا عبد الله

كانت لي ساعة من الليل أقومها فلما استيقظت فإذا أنت نائم فقال: ما نمت الليل قلت: رأيتك تذكر الله عز جل قال: يا ابن أخي فإن تلك الصلاة فعليك بالقصد فإنه أفضل ورواه الطبراني والمنذري. وقال الشيح نظام الدين الأربلي: من توظأ وعنده أبوه وأستاذه أو شيخه أو من يكون أفضل منه فيترك الركعتين ويقرأ آية الكرسي و سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فيجزئه.

ومنها أن الصلاة كلها ذكر الله تعالى والباقيات الصالحات من أعظم ما فيها قال تعالى: {وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر} والصلاة مشتملة على التكبير والتسبيح والتحميد والتهليل قال النووي: اعلم أن الصلاة التي هي ركعتان يشرع فيها إحدى عشرة تكبيرة والتي هي ثلاث ركعات سبع عشرة تكبيرة والتي هي أربع ركعات اثنتان وعشرون

تكبيرة فإن في كل ركعة خمس تكبيرات تكبيرة للركوع وأربعة للسجدتين والرفع منهما وتكبيرة الإحرام وتكبيرة القيام من التشهد الأول وإذا حسبت تكبيرات الفرائض والنوافل الرواتب وغيرها من النوافل المشروعة في الأحوال وأغراض مما هو خاص باليوم والليلة وقفت على عدد كثير وكذلك التسبيحات والتحميدات والتهليلات. ومنها أنها تقوم مقام الصدقة وتفضلها وفي الصحيح: "أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة " ومن حديث الطبراني "لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر أفضل ".

والصحيح أن هذا موقوف وحيثه أيضا: " من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها " وأخذ بقضية هذه الأحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا: إن الذكر أفضل من الصدقة بعدده من المال، ويدل له أيضا حديث أحمد النسائي أنه ﷺ قال لأم هانئ: "قولي: سبحان الله تعالى مائة تسبيحة فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل واحمدي الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة ومسرجة تحملين عليها في سبيل الله تعالى وكبري الله تعالى مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة
بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله تعالى مائة تهليلة ولا أحسبه إلا قال: تملأ ما بين السماء والأرض ولا يرفع لأحد يومئذ مثل عملك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت". وأخرج البيهقي في شعب الإيمان وابن حنبل بإسناد حسن والترمذي والحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في الدرجات وخير لكم من إعطاء الذهب والورق خير من أن لو غدوتم إلى عدوكم فضربتم رقابهم وضربوا رقابكم" قالوا: بلى يا رسول الله قال: "فاذكروا الله كثيرا".
وأخرج مسدد بسند رواته ثقات عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي من أنفق بعددهن في سبيل الله. ومنها أنها تقوم مقام الصوم وتفضله، أخرج الشيخ أبو مُحَمَّد بن حبان وأبو منصور الديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما سبحت ولا سبح الأنبياء قبلي بأفضل من: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر".

ومنها أنها تقوم مقام الحج وتفضله بكثير لأن الجهاد أفضل من الحج وذكر الله أفضل من الجهاد ورأس الذكر الباقيات الصالحات. وأخرج أبو منصور الديلمي في كتابه مسند الفردوس عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أيها الناس اذكروا الله على كل حال فإنه ليس من شيء أحب إلى الله عز وجل ولا أنجى للعبد من كل سيئة في الدنيا والآخرة من ذكر الله عز وجل".

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: "الإيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "حج مبرور". وأخرج الإمام أحمد بسند رجاله رجال الصحيح عن ماعز رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: "إيمان بالله وحده ثم الجهاد ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها".

وذكر بعضهم عن مجاهد أن آدم عليه السلام طاف بالبيت فلقيته الملائكة ثم صافحته وسلمت عليه وقالت: بر حجك يا آدم طف بهذا البيت فإنا قد طفنا قبلك بألفي عام فقال لهم آدم عليه السلام: ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال آدم: وأنا أريد أن أقول أيضا: ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حج آدم عليه السلام فطاف بالبيت سبعا فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا: بر حجك يا آدم إنا قد حججنا بهذا البيت قبلك بألفي عام قال: فما كنتم تقولون في الطواف؟ قالوا: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال آدم: فزيدوا فيها: ولا حول ولا قوة إلا بالله فزادت الملائكة فيها ذلك، ثم حج إبراهيم عليه السلام بعد بنائه البيت فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم: ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا: كنا نقول قبل أبيك آدم: سبحان الله والحمد لله ولا

إله إلا الله والله أكبر فزاد فيها أبوك: ولا حول ولا قوة إلا بالله فقال إبراهيم: زيدوا فيها: العلي العظيم فقالت الملائكة ذلك. ومنها أنها تقوم مقام الجهاد وتفضله، أخرج إسحاق بن راهويه موقوفا عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله أفضل من ذكر الله قالوا: ولو الجهاد في سبيل الله؟ قال: قال: ولو ضرب بسيفه قال: ولذكر الله أكبر.

ورواه أبو بكر عن أبي شيبة مرفوعا، وعند عبد بن حميد بسند صحيح ولفظه: عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من النار من ذكر الله تعالى" قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله تعالى؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب بسيفك حتى ينقطع قائلها ثلاثا".

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وأن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فإذا أحب الله عبدا أعطاه الإيمان فمن ضن بالمال أن ينفقه وهاب الليل أن يكابده وخاف العدو أن يجاهده فليكثر من: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن متقدمات متجنبات متعقبات وهن الباقيات الصالحات.
رواه البيهقي ورواه الطبراني مختصرا والمنذري ثم قال: وفي رفعه مقال. ومنها أنها من أثقل الأعمال في الميزان، وفي الصحيح: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم". وأخرج أبو داوود الطيالسي بسند فيه راو لم يسم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بخ بخ خمس ما أثقلهن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يموت فيحتسبه والده" وهكذا رواه أحمد بن حنبل ومسدد لكن له شاهد صحيح عن أبي
سالم. وأخرج الطبراني في كتاب الدعاء والبزار بإسناد حسن عن ثوبان ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بخ بخ خمس ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه". ومنها أنها من موجبات المغفرة، أخرج سعيد بن منصور موقوفا بسند رواته ثقات عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله تحاتت خطاياه كما

تحات ورق الأشجار" أخرج الترمذي وابن ماجة عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ للعباس: "يا عم ألا أصلك ألا أحبوك ألا أنفعك قلت: بلى يا رسول الله؟ قال: يا عم صل أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا انقضت القراءة فقل: الله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله خمس عشرة مرة قبل أن تركع ثم اركع فقها عشرا ثم

ارفع فقلها عشرا ثم اسجد فقلها عشرا ثم ارفع فقلها عشرا ثم اسجد الثانية فقلها عشرا ثم ارفع فقلها عشرا قبل أن تقوم فذلك خمس وسبعون في كل ركعة وهي
ثلاثمائة بأربع ركعات فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج غفرها الله تعالى لك قال: يا رسول الله من يستطيع أن يقولها قال: إن لم تستطع أن تقولها في كل يوم فقلها في جمعة وإن لم تستطع أن تقولها في جمعة فقلها في شهر فلم يزل يقول له حتى قال: قلها في سنة " قال الترمذي هذا حديث غريب ومنها أنها من موجبات النجاة من النار أخرج أبو يعلى الموصلي وأبو منصور الديلمي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال: صدق عبدي لا إله
إلا أنا وأنا أكبر فإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي" رواه الحاكم وقال هذا حيث صيح ولم يخرجاه.

وأما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فمن بعض فضائله أن من داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت وقد أخبرني سيدي مُحَمَّد الغالي رضي الله تعالى عنه وأنا معه في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول أن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلا أهـ. قلت: قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة أهـ.
وفي تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار: قد ورد في فضل السلام عليه صلى الله عليه وسلم أحاديث ومما روي في ذلك عن وهب بن منبه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال:" من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة " وفي رواية:"ما سلم عليك أحد يا مُحَمَّد إلا سلمت عليه عشرا" وسلام الرب جلا جلاله على عبده عنايته به وتأمنه له من عذابه
فاستحضر يا أخي أن رب العزة بجوده وكرمه المستغني عنك وعن جميع خلقه سبحانه يرد عليك السلام ويناجيك بالتحية والإكرام ومن أين بلغت هذا المقام مع بعدك وقطيعتك وقلة حيائك من ربك

ومع ذلك لما سلمت على أكرم خلقه وأهل وده سترك سلامه عن قبائحك وكنت أهلا عند ربك لأن يرد عليك السلام فسبحان من عم جوده وإحسانه جميع خلقه وظهر عزه وسلطانه في سمائه وأرضه فلا رب غيره ولا معبود سواه: سلام على الداعي إلى الله أحمد *** سلام على الهادي الشفيع مُحَّد سلام على من شق طفلا فؤاده *** فطهر عن غي الرجيم المبعد سلام على المختار من آل هاشم *** وأكرم مولود وأطيب مولد ومما روي في فضل السلام عليه أنه عليه الصلاة والسلام قال: "ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه " وهذا الحديث العظيم

فيه عناية وتكرمة للمحبين من أمته عليه الصلاة والسلام وهو تشريف للمسلمين على سيد الأنام صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ما دامت الليالي وأليام فاستحضر يا أخي رحمك الله تعالى زادك وزادني الله تعالى لهذا النبي الكريم زيادة في التبجيل والتكريم مخاطبتك والسلام عليك من نبيك وحبيبك وشفيعك وكيف جعله مولاه رحمة في حياته ورحمة في بعثه ولم ينس أمته في جميع أحواله فإياك أن تغفل عن منفعتك وعن السلام عليك من نبيك وربك لأنك إذا سلكت على نبيك في أي وقت وحال سلك عليك ربك ومنحك منه الإقبال ورد عليك السلام

نبيك وحبيبك وشفيعك عند ذي الجلال صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما. ومما روي في فضل السلام عليه أنه قال: السلام على أفضل من عتق الرقاب وهذا الحديث الكريم ينظر فيه هنا مع ما قدمناه قبل في قوله عليه السلام: " من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة " فظاهره أن عتق الرقبة أفضل من السلام الواحد فإنه عليه الصلاة والسلام جعل العشر التسليمات عليه تقوم مقام عتق الرقبة وهذا الحديث الآخر ظاهره أن السلام الواحد أفضل من عتق رقاب متعددة فكلامه عليه الصلاة والسلام حق وصدق ولابد من تحققه ويستحيل فيه أن يتوهم خلاف ذلك

قال: ولعل الجواب عن هذا أن الرقبة الواحدة التي قام مقامها السلام عليه عشر مرات من ولد إسماعيل قال: كذا أظنه ورد في بعضها والحديث الآخر الذي اقتضى أن السلام الواحد عليه أفضل من عتق الرقاب تكون من غير ولد إسماعيل. قلت: ويمكن هنا جواب آخر وهو أن يحمل اختلاف الروايات على اختلاف مراتب المسلمين عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قال:

فهذا منة من الله سبحانه على هذه الأمة المحمدية لأن عتق الرقبة لله تعالى ورد فيه أن من أعتق رقبة أعتق الله تعالى بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه فإن قال المحب:

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته حصل له العتق من النار برقبة واحدة وباقي ذلك ثواب ورفع درجات عند الله تعالى مع سلام النبي عليه السلام ورده على المسلم عليه ثم بسلام رب العزة جلا جلاله عليهوهو يرجع إلى تأمينه وتبشيره بالإنعام عليه فاشكروا عباد الله مولاكم على إحسانه إلينا ومنته علينا بمن بعثه إلينا رحمة ﷺ وفي فضل السلام عليه عليه أفضل الصلاة والسلام:"إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغون السلام عليه إليه ﷺ تسليما كثيرا.
وأما ما بقي من الأذكار فقد ذكر مع كل واحد فضله وكيفية استعماله والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب

الفصل الحادي والأربعون

في شرح معاني الأذكار اللازمة للطريقة لأن إحضار القلب عند الذكر مطلوب من الذاكر والحضور لا يمكن إلا بمعرفة معاني الأذكار والحضور هو روح الأعمال واحتياج الذاكر إلى معني ما يذكر إذن أمر ضروري لا محالة وحيث كان الأمر كذلك ينبغي لنا أن نذكر شيئا من معانيها فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن الوظيفة تشتمل على جميع الأذكار اللازمة للطريقة فلنقتصر على ذكر معانيها فنقول: أن مغنى الغفر في اللغة الستر الحاجز بين الشيئين وغفران الله تعالى للعبد ستره إيا عن العقوبة أو عن حالة يستحق بها العقوبة ومعنى أستغفر الله أطلب من الله سترا حاجزا بيني وبين العقوبة أو بيني وبين حالة أستحق بها العقوبة وذلك الستر يعطيه الله تعالى للعبد على يد اسمه الغفار ولذلك كانت مادة السؤال بلفظ الاستغفار لأن العطاء الإلهي كما قال الحاتمي لا يكون إلا

على يد سادن من سدنة الأسماء فتارة يعطي الاسم الله على يد اسم الرحمن فيخلص العطاء الواصل إلى المعطى له على يديه من الشوب الذي لا يلائم الطبع في الوقت أو لا ينيل الغرض الذي كان يعطى له فلا يلائمه في المال ويخلص أيضا مما أشبه الشوب الغير الملائم أو المنيل من موجبات الكدورة الحالية والمآلية كلها وتارة يعطي اسم الله يد الاسم الواسع أو على يد الحكيم

فينظر في الأصلح في الوقت أو على يد الوهاب فيعطي لينعم ولا يكون مع الوهاب تكليف المعطى له بعوض على ذلك العطاء من شكر باللسان أو اعتقاده بالجنان أو عمل بالأركان ووجوب شكر النعم إنما هو لأجل عبودية المعطى له لا لتكليف الواهب أو على يد الجبار فينظر في الموطن وما يستحقه أو على يد الغفار فينظر المحل المعطى له وما هو عليه من الأحوال فإن كان على حالة يستحق بها العقوبة فيستره الله سبحانه وتعالى بالاسم الغفار عن العقوبة أو كان على حال لا يستحق بها العقوبة فيسمى المعطى له معصوما على التقدير الثاني بشرط أن يكون من الأنبياء معتنى به على التقدير ومحفوظا على التقدير بشرط ان يكون من الأولياء اعلم أن بعض هذه الأسماء المذكورة له دخل في كل من الفعل والقبول كالرحمن فإن كان من الإعطاء وقابلية المحل له من مقتضيات الرحمة الرحمنية وكذلك الحكيم فإن كل واحد منهما بحسب الحكمة وكذلك الوهاب فإن الكل مواهبه وظاهر أن الواسع يعم الكل بخلاف الجبار والغفار لأن أثرهما الجبر والستر فالجبار والغفار من حيث أنفسهما لا يقتضيان إلا الفعل وإذا عرفت هذا عرفت حكمة أمر الله عبده أن يسأله حصول هذا المطلب العظيم على يد اسمه الغفار المفهوم من لفظ الاستغفار وإنما قال: أستغفر الله وعلق الفعل باسم الله ولم يقل أستغفر الغفار لوجهين أحدهما أن المعطي في جميع هذه الصور هو الله

أحدية جمعه جميع الأسماء من حيث أنه خازن وجامع لما هو مخزون عنده في خزائنه العلمية التي هي حقائق الأشياء وأعيانها الثابتة المنتقشة بكل ما كان وما يكون مما يخرج ما يكون مخزونا عنده من الغيب إلى الشهادة ومن القوة إلى الفعل إلا بقدر معلوم ومقدار معين على يد اسم خاص بذلك الأمر المخزون عنده المراد إعطاؤه فأعطى كل شيء خلقه على يد الاسم العدل وإخوانه وثانيهما أن الذاكر الذي أراد الشروع في الاستغفار لما كان المطلوب في حقه الوقوف في مقام العبودية التي هي إخلاص العبودية لله والتبري من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها وسكون ذلك في القلب على ممر الساعات والأزمان ولا يتأت له ذلك إلا إذا كان مستغرقا في مشاهدة الله تعالى في مرتبة ألوهيته ناسب تعليق فعل الاستغفار باسم الله المفهم مرتبة الألوهية وهي عكوف الوجود على عبادته سبحانه وتعالى بالخضوع تحت كبريائه وعظمته وجلاله والتذلل لكمال عزه والخمود تحت قهره بتسليم القيام إليه يفعل ما يشاء ويكحم ما يريد لا منزع له في حكمه والله هو الذي خضع له

الوجود كله بالعبادة والتذلل والخمود تحت قهره والتصاغر لعظمته وكبريائه وليس في الوجود شيء يشذ عن هذا قاصيه ودانيه فهو الاله الذي قهر جميع الموجودات بسطوته وقهره وإنفراده بعظمته وكبريائه وعلوه وجلاله ولهذا ناسب تعقيب الاسم المفهم مرتبة لعظمته تعالى بقوله العظيم لأن العظمة أمر وجودي في ذاته فهو عظيم سبحانه وتعالى لا يحل به الاحتقار بوجه من الوجوه وكل من دونه إذا تبدت له عظمته ذاب ذلا وتصاغرا وصعق هيبة وإجلالا له والعظيم هو الذي لا نسب لأحد معه في علوه شأنه وجلالة قدره ذاتا وصفاتا وأسماء وأسماء وأفعالا هو العلي في عظمته فوق كل عظمة لغيره والعظيم في علوه على كل ما لا يليق

بذاته فكل توجه لا يشعر صاحبه بعظمة الربوبية وذلة العبودية فيه فهو تلاعب فبذلك وقع الجواب عن عدم انتفاع كثير بأدعية وأذكار صحيحة الوعد بالإجابة مجربة عند أهل الصدق والإخلاص ولما كان العبد لا يرى نفسه ولو بلغ ما بلغ متأهلا لأن يطلب من ربه إلا التخلي عن الرذائل والتجلي بالفضائل لعله يليق بخدمة ربه رب الأرض والسماوات والتحلي لا يحصل إلا لمن وصل إلى أول المقامات الذي هو مقام التوبة ومن كان هذا منظره لا يفارق الاستغفار والاعتراف بالعجز رجع إلى الاعتراف بالألوهية لله تعالى ثانيا لعجزه عن الثبوت لمبادئ العظمة المفهومة من الاسم العظيم لأن من تبدت له عظمة الله تعالى ذاب ذلا وتصاغرا وصعق هيبة وإجلالا بقوله لا إله أي لا معبود بحق إلا هو ولكنه لم يقدر أن يصرح باسم الجلالة فيقول الذي لا إله إلا هو لأنه إما أن يكون من أهل البداية أو من أهل النهاية فإن كل من أهل البداية فتقدم الاسمين الشريفين اللذين هما اسم الله واسم العظيم يغني عن إعادة ذكر اسم الله لظهرور المذكور أو تعينه عند الذاكر تعيينا لا يقبل إلى اشتراك بالغير والسوى فلم يبق له إلا الترقي إلى مقام أعلى من ذلك المقام كما هو المقصود الأعظم في
الذكر فلزم الانتقال من التصريح إلى الإضمار للاستغراق الذاكر في مشاهدة المذكور ولذلك رجع من مرتبة الألوهية التي وصفها بالعظمة إلى مرتبة الهوية وهوية الحق كما في الإنسان الكامل غيبة الذي لا يمكن ظهوره ولكن باعتبار جملة الأسماء والصفات وكأنها إشارة إلى باطن الواحدية لعدم اختصاصها باسم ونعت أو مرتبة أو وصف أو مطلق ذات بلا اعتبار أسماء وصفات بل الهوية إشارة إلى جميع ذلك على سبيل الجملة والانفراد وشأنها الإشعار بالبطون والغيوبة وهي مأخوذة من لفظة: هو الذي للإشارة إلى الغائب وهو في حق الله تعالى إشارة

إلى كنه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته مع الفهم بغيوبية ذلك، قال: ومن قال قولي: إن الهوية غيب ذات الواجد *** ومن المحال ظهورها في الشاهد فكأنها نعت وقد وقعت على *** شأن البطون وما لذا من جاحد واعلم أن هذا الاسم أخص من اسمه الله وهو سر اسم الله ألا ترى أن اسم الله ما دام هذا الاسم موجودا فيه كان له معنى يرجع به إلى الحق وإذا فك منه بقيت أحرفه غير مفيدة لمعنى وإذا حذفت الألف من اسم الله يبقى لله ففيه الفائدة وإذا حذفت اللام الأولى يبقى له وفيه الفائدة وإذا حذفت اللام الثانية يبقى هو والأصل في هو أنها
هاء واحدة بلا واو وما ألحقت به الواو إلا من قبيل الإشباع والاستمرار العادي جعلهما شيئا واحدا فاسم هو أفضل الأسماء. قال: اجتمعت ببعض أهل الله بمكة زادها الله تعالى شرفا في آخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة فذكر في الاسم الأعظم الذي قال النبي ﷺ: إنه في آخر سورة البقرة وآل عمران وقال أنه كلمة هو وأن ذلك مستفاد من ظاهر كلام النبي ﷺ لأن الهاء آخر قوله وأول سورة آل عمران وهذا الكلام وإن كان مقبولا فإني أجد للاسم الأعظم رائحة أخرى وما أوردت ما قاله هذا العارف إلا تنبيها على
شرف هذا الاسم وكون الإشارة النبوية وقعت عليه من الجهة المذكورة أنه أعظم الأسماء، واعلم أن هو عبارة عن حاضر في الذهن يرجع إليه الإشارة من شاهد الحسن إلى غاية الخيال وذلك الغائب لو كان غائبا عن الخيال لما صحت الإشارة إليه بلفظة هو فلا تصح الإشارة بلفظ هو إلا إلى الحاضر، ألا ترى أن الضمير لا يرجع إلا إلى أقرب مذكور إما لفظا وإما قرينة وإما حالا كالشكل والقصة وفائدة هذا أنه يقع الوجود المحض الذي يصح فيه عدم ولا شيء به العدم من الغيوبة والفناء لأن الغائب معدوم من الجهة التي لم يكن مشهودا فيها فلا

يصح هذا في المشار إليه بلفظ هو فعلم من هذا الكلام أن الهوية هي الوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجودي شهودي لكن الحكم على ما وقعت عليه بالغيبة هو من أجل أن ذلك غير ممكن بالاستيفاء فلا يمكن استيفاؤه ولا يدرك فقيل أن الهوية غيب لعدم الإدراك لها فافهم لأن الحق ليس له غيب غير شهادته ولا شهادة غير غيبه بخلاف الإنسان وكل مخلوق كذلك فإن له شهادة وغيبا لكن شهادته بوجه واعتبار وغيبه من وجه وباعتبار، وأما الحق فغيبه عين شهادته وشهادته عين غيب فلا غيب عنده ولا شهادة بل له في نفسه غيب يليق به وشهادة

تليق به كما يعلم ذلك لنفسه ولا يصح تعقل ذلك لنا إذ لا يعلم غيبه وشهادته على ما هو عليه إلا هو سبحانه وتعالى. وإن كان من النهاية فذكره الذكر الحقيقي الذي هو الغاية القصوى وهو الذي إذا أخذ العبد فيه أخذ من جميع دائرة حسه فليس فوقه مرتبة، وصاحب هذه المرتبة كلما قال: أستغفر الله العظيم يزداد استغراقا ثم يعقبه بقوله: الذي لا إله إلا هو لغلبة الهوية السارية في جميع الوجود عليه فما يقدر أن ينطق باسمه هيبة وإجلالا ولولا أن الله تعالى يتفضل على كل واحد من أهل هذا المقام بمنه وكرمه ويحفظ لهم أعمالهم
الظاهرة والباطنة شريعة وحقيقة في صحوهم ومحوهم لما جرى على لسانه ذكر فأحرى أن يقدر على أن يقول: أستغفر الله العظيم على الدوام ويصرح بهذين الاسمين العظيمين فبفضله تعالى أعقبهما باسمين من أسماء الجمال وهما: الحي القيوم حتى أجراهما على لسان الذاكر بقوله: الحي القيوم لأن فيهما تأثيرا رافعا داء الهم والكرب لأن صفات الحياة متضمنة لجميع صفات الأفعال ومستلزمة لها، وصفة القيومية مستلزمة لجميع صفات الأفعال لأن معنى القيوم الدائم القائم بتدبير الخلق وحفظه على أحسن الأحوال وأجمعها ولهذا كان الاسم الأعظم

الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وهو الاسم الحي القيوم في إحدى الأقوال، والحياة التامة تضاد جميع الآلام والأسقام ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويضر بالأفعال فلهذا الاسم الحي القيوم تأثير عظيم خاص في إجابة الدعوات وكشف الكربات ولهذا كان ﷺ إذا اجتهد في الدعاء قال: حي قيوم.
وبما قررناه يظهر لك حكمة الإتيان بهذه الأسماء في هذا الاستغفار على هذا الترتيب العجيب والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وأما معنى صلاة الفاتح لما أغلق ففي جواهر المعاني قوله: اعلم أن هذه الكلمة تقولها العرب جرت في ألسنتها أنها تخاطب الله تعالى بها في جميع أدعيتها وهي جارية منهم بجري الاستغاثة والتضرع وهذا الابتهال هو طلب التعجيل في إجابة الدعاء كان يقول: عجّل إجابتي أو عجّل إغاثتي يا الله هذا هو المراد بها عند العرب اهـ ما في جواهر المعاني.
اعلم أن الصلاة في حق الله تعالى على نبيه ﷺ وصف قائم بذاته على الحد الذي يليق بعظمته وجلاله هو أمر فوق ما يدرك ويعقل فإن الوصف الوارد في حق كل موجود وأن اشترك في اللفظ

والاسم فالحقيقة مباينة في حق الموجودات، فالصلاة في حقنا عليه عليه الصلاة والسلام هي الألفاظ البارزة من ألسنتنا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى في ما ينبئ عن تعظيم نبيه ﷺ منا وليست صلاته سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ ولا تكيف صلاته، ألا ترى أن السجود المعهود في حق الآدمي لله تعالى لا

يماثل سجود الجمادات والحيوانات والأشجار فردا فردا فإن لكل واحد من تلك الأفراد سجودا يليق بحاله فإن السجود في حق جميعها مماثل في الاسم والإطلاق والحقيقة مفترقة في جميعها وسجود كل واحد غير سجود الآخر. وأما صلاة الملائكة على النبي ﷺ فتعلقها في حقهم كتعلقها في حقنا على سيدنا مُحَمَّد.

أما سيداته وتفضيه على جميع الخلق فأشهر من نار على علم واظهر من الشمس وقت الظهيرة من غير سحاب صيفا ,يكفي في تبيين سيادته شهادة الله تعالى أن بعثه ﷺ رحمة للعالمين حيث قال جل وعز من قائل: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} ويكفي أيضا في بيان سيادته اختصاصه بالشفاعة العظمى في الموقف الأكبر من بين الخلائق ولم ينازعه في هذه المرتبة واحد من أكابر الرسل عليه وعليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام وإلى هذا أشرت بقولي في قصيدتي التي مدحته بها ﷺ بأسماء سور القرآن كلها حيث

قلت فيها: نهظت وقت كمون الكون جاثية *** إلى الشفاعة دون الخوف والكيد كفته خيرا على أهل السماء وأهل *** الأرض قاف وأحقاف لذي أود ويكفي في سيادته قوله تعالى: {وإنك لعلى خلق عظيم} وقوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} وقوله تعالى: {فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} وقوله تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} من غير زيادة قيد وأما من زعم أنه يطيع الله تعالى من غير أن يطيع خليفته مُحَمَّدا ﷺ فقد خسر مع

الخاسرين وهلك مع الهالكين ولا يطيع الله تعالى أحد حتى يطيع مُحَمَّدا ﷺ وأما من أطاع مُحَمَّدا ﷺ فقد أطاع الله تعالى وإلى هذا يشير ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال:يا رسول الله من فضيلتك عند الله تعالى أن طاعتك طاعته فقال:" من يطع الرسول فقد أطاع الله " أهـ.

وقوله تعالى: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم} أي إنما يبايعون الله بمبايعتهم إياك يد اله فوق أيديهم يريد عند البيعة لأن يد الرسول هي النائبة عن الله تعالى ويكفي بيان سيادته ﷺ قوله: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " وقوله ﷺ:"كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " وقوله ﷺ:" آدم فمن دونه من الأنبياء يوم القيامة تحت لوائي وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم:" أنا أول مشفع وأول من تنشق عنه الأرض " وسيأتي إن شاء الله تعالى في أثناء تفسير

ألفاظ صلاة الفاتح لما أغلق وتفسير ألفاظ جوهرة الكمال ما ينبه على سيادته وعلو قدره إن شاء الله تعالى. الفاتح لما أغلق من صور الأكوان فإنها كانت مغلقة في حجاب البطون وصورة العدم وفتحت مغاليقها بسبب وجوده ﷺ وخرجت من صورة العدم إلى صورة الوجود ومن حجابية البطون إلى نفسها في عالم الظهور إذ لولا هو ما خلق الله موجودا ولا أخرجه من العدم إلى الوجود فهذا أحد معانيه والثاني أنه فتح مغاليق الرحمة الإلهية بسببهم انفتحت على الخلق ولولا أن الله تعالى خلق سيدنا مُحَمَّدا ﷺ ما رحم

مخلوقا فالرحمة من الله تعالى لخلقه بسبب نبيه ﷺ والثالث من معانيه كانت القلوب مغلقة على الشرك مملوءة به ولم يجد الإيمان مدخلا لها ففتحها بدعوته ﷺ حتى دخلها الإيمان وطهرها عن الشرك وامتلأت بالإيمان والحكمة أهـ. والمعنى أنه فتح الله تعالى به على عباده أنواع الخيرات وأبواب السعادات الدنيوية والأخروية وبين لأمته ما أوحى إليه بتفسيره وتيسيره وإيضاحه أو فتح بحكمته ما أغلق أي التبس وانبهم أو فتح النبوة أول الأنبياء أو النور فأول ما خلق الله تعالى نوره أو باب الشفاعة أو

باب الجنة ولا تفتح لأحد قبله أهـ من مطالع المسرات. قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه: قوله: والخاتم لما سبق من النبوة والرسالة لأنه ختمها وأغلق بابها ﷺ فلا مطمع لأحد فيها بعده وكذا الخاتم لما سبق من صور التجليات الإلهية التي تجلى الحق سبحانه وتعالى بصورها في عالم الظهور لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أول موجود أوجده الله تعالى في العالم من حجاب البطون وصور العماء الرباني ثم ما زال يبسط صور العالم بعدها في ظهور أجناسها بالترتيب القائم على المشيئة الربانية جنسا بعد جنس إلى أن

كان آخرها ما تجلى به في عالم الظهور الصورة الآدمية على صورته ﷺ وهو المراد بالصورة

الآدمية فكما افتتح به ظهور الوجود كذلك أغلق به ظهور صور الموجودات ﷺ وعلى آله وبعبارت قال رضي الله تعالى عنه: أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا مُحَمَّد ﷺ ثم نسل الله تعالى أرواح العالم من روحه ﷺ والروح ههنا الكيفية التي بها مادة الحياة في الأجسام وخلق من روحه ﷺ الأجسام النورانية كالملائة ومن ضاهاهم وأما الأجسام الكثيفة الظلمانية فإنها خلقت من النسبة الثانية من روحه ﷺ فإن لروحه ﷺ نسبتين أفاضهما على الوجود كله فالنسبة الأولى نسبة النور المحض ومنه خلقت الأرواح كلها والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها والنسبة الثانية من نسبة روحه ﷺ نسبة الظلام ومن هذه النسبة خلق الأجسام الظلمانية كالشياطين وسائر الأجسام الكثيفة والجحيم ودركاتها كما أن الجنة وجميه درجاتها خلقت من النسبة النورانية فهذه نسبة العالم كله إلى روحه ﷺ.

قوله: ناصر الحق بالحق قال رضي الله تعالى عنه في شرح ياقوتة الحقائق: إن الحق في اللفظين هو الله تعالى ومعناه أنه نصر الله تعالى بالله سبحانه نهض إلى نصرة الله تعالى حيث توجه إليه أمر الله تعالى بالنصرة له فنهض مسرعا إلى نصرة الله تعالى بالله تعالى اعتمادا وحولا وقوة واستنادا واضطرارا إلى الله سبحانه وتعالى وقياما به على كل شيء فهذا هو الوجه الأول والوجه الثاني أن الحق في اللفظ الأول هو دين الله الذي أمر الله تعالى بتبليغه وإقامته وهو دين الإسلام نصره بالحق أداة وآلة يعغني أنه لم ينصر الإسلام
بباطل ولا تحيل ولا خديعة بل نهض إلى نصرة دين الإسلام بحال يعطي التصريح بالحق تصريحا لا يمازجه وجه من الباطل فما زال كذلك حتى تمكن دينه وشرعه في الأرض أهـ ويحتمل أن يكون المراد بالحق القرآن قاله في مطالع المسرات. قوله: والهادي إلى صراطك المستقيم معناه أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي يهدي جميع عباد الله تعالى إلى دينه القويم الذي لا تبديل فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان كما قال في حقه ﷺ: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض} والصراط المستقيم
هو النبي ﷺ وسمي به لكونه طريقا موردا إلى الحق لا وصول لأحد إلى الحضرة القدسية وذوق أسرارها والابتهاج بأنوارها إلا بالسلوك عليه ﷺ وهو باب الله الأعظم وهو الصراط المستقيم إلى الله تعالى فمن رام من السالكين الوصول إلى الله تعالى في حضرة جلاله وقدسه معرضا عن حبيبه ﷺ طرد ولعن وسدت عليه الطرق والأبواب ورد بعصا الأدب إلى إسطبل الدواب.

وقوله: وعلى آله أي: صل على آله طلب المصلي من الله تعالى أن يصلي على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقوله: حق قدره ومقداره العظيم معناه أن المصلي طلب من الله تعالى أن يصلي على نبيه ورسوله ﷺ وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم عنده تعالى. وقوله: قدره يصح أن تكون الدال المهملة محركة ومضمومة أو ساكنة، وفي القاموس: القدر محركة القضاء والحكم ومبلغ الشيء ويضم كالمقدار إلى أن قال: {وما قدروا الله حق قدره} ما عظموه حق تعظيمه وقدرت الثواب فالقدر جاء على المقدار اهـ.

قلت: قد حصل لنا من الكلام أن القدر والمقدار بمعنى واحد وأن القدر والمقدار في هذا المحل يصلح أن يكون بمعنى مبلغ الشيء وبمعنى الغنى، فمعنى الصلاة: اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الخ صلاة يكون مبلغها على قدر مبلغ رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم أو: اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الفاتح الخ صلاة تساوي وتطابق غناه الذي أغنيته بك ثم بما منحته به من سبوغ فضلك وكمال طولك كما قلت في محكم كتابك: {وكان فضل الله عليك عظيما} {ولسوف يعطيك ربك فترضى}، أو: اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الفاتح لما أغلق الخ صلاة تساوي عظمة رسولك،

أو: اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الفاتح لما أغلق الخ صلاة إذا قيست بمرتبة رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم تكون مقايسة لها. وفائدة الكلام أن المصلي على رسول الله ﷺ طلب من الله أن يصلي على رسوله ﷺ صلاة بالغة مبلغ رسوله مطابقة لغناه صلى الله تعالى عليه وسلم بربه ثم بما منحه به مما لا يعلم قدره إلا هو ربه مساوية لعظمته صلى الله تعالى عليه وسلم مقايسة لرتبته ﷺ وعلو قدره ومكانته وحظوته عنده فلنذكر هنا بعض ما ينبه على علو قدره ومرتبته وحظوته عند ربه وغناه

به صلى الله تعالى عليه وسلم فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن علو شأنه وجلالة قدره وعظمته وارتفاع مكانته على جميع خلق الله تعالى وغناه صلى الله تعالى عليه وسلم بربه تعالى مما شاع وذاع وعلم وكيف لا وهو ﷺ السبب في وجود كل موجود من الخلق ومن نوره كان كل نور وهو الرحمة المهداة للخلق وإنه رحمة الأولين والآخرين وهداية الخلق أجمعين إنما هي منه ومن أجله لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الأنموذج الجامع في

إفاضة الوجود على جميع الوجود فإنه لولا وجوده صلى
الله عليه وسلم لما كان وجود لموجود من المخلوقات، فإن وجود كل موجود من ذرات الوجود متوقف على سبقية وجوده ﷺ من وجود ذلك الموجود بإفاضته فإنه لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان ولا رحم شيء منها لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة فإفاضة الوجود على وجود جميع الأكوان مفاضة من ذاته الكريمة صلى الله تعالى عليه وسلم، فبان لك أن الفيض من ذاته ينقسم إلى رحمتين: الرحمة الأولى: إفاضة الوجود على جميع الأكوان حتى خرجت من العدم إلى الوجود، والرحمة الثانية: إفاضة فيض الرحمة الإلهية على
جميعها من جملة الأرزاق والمواهب والمنافع والمنح من العلم بصفات الله تعالى وأسمائه وكمالات ألوهيته وبأحوال السكون وأسراره ومنافعه ومضاره وبالأحكام الإلهية أمرا ونهيا فبذلك يدوم تمتعها بالوجود، فإذا علمت هذا علمت أنه ﷺ عين الرحمة الربانية لأن جميع الوجود رحم بالوجود بوجوده ﷺ ومن فيض وجوده أيضا رحم جميع الوجود.

وفي الإبريز للشيخ أحمد بن المبارك عن شيخه سيدي عبد العزيز رضي الله تعالى عنه أن أول ما خلق الله نور مُحَمَّد ﷺ ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والنار والبرزخ، أما العرش فإنه خلقه تعالى من نور وخلق ذلك النور من النور المكرم وهو أي النور المكرم نور نبينا ﷺ وخلقه أي العرش من ياقوتة عظيمة لا يقاس قدرها وعظمها وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة عظيمة فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها هو الياقوتة
وصفارها هو الجوهرة، ثم إن الله تعالى أمد تلك الجوهرة وسقاها من نوره ﷺ فجعل يخرق الياقوتة ويسقي الجوهرة فسقاها مرة ثم مرة إلى أن انتهى إلى سبع مرات فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى فرجعت ماء فنزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش، ثم إن النور المكرم الذي خرق العرش إلى الجوهرة التي سالت ماء لم يرجع فخلق الله منه ملائكة ثمانية وهم حملة العرش فخلقهم من صفائه وخلق من ثقله الريح وله قوة وجهد عظيم فأمرها الله تعالى أن تنزل تحت الماء فسكنت تحته فحملته ثم جعلت تحوم وجعل البرد يقوى في الماء
فأراد الماء أن يرجع إلى أصله ويجمد فلم تدعه الريح بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد وجعلت تلك الشقوق تنعقد ويدخلها الثقل والنتونة وشقوق تزيد على شقوق ثم جعلت تكبر

وتتسع وذهبت إلى جهات سبع وأماكن سبع فخلق الله تعالى منهن الأرضين السبع لو دخل الماء بينها والبحور وجعل الضباب يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح ثم جعل يتراكم فخلق الله منه السماوات السبع ثم جعلت الريح تحوم حومة عظيمة على عادتها أولا وآخرا فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة خرق الريح للماء والهواء وكلما زندت نار أخذتها الملائكة وذهبت بها إلى

محل جهنم اليوم فذلك أصل جهنم، فالشقوق التي تكونت منها الأرضون تركوها على حالها والضباب الذي تكونت منه السماوات تركوه على حاله أيضا والنار التي زندت في الهواء أخذوها ونقلوها إلى محل آخر لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي منها الأرضون السبع والضباب الذي منه السماوات السبع بل وتأكل الماء وتشربه بالكلية لقوة جهد الريح، ثم إن الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره ﷺ وأمرهم أن يعبدوه عليها وخلق ملائكة السماوات من نوره ﷺ وأمرهم أن يعبدوه عليها.

وأما الأرواح والجنة إلا مواضع منها فإنها أيضا خلقت من نور وخلق ذلك النور من نوره ﷺ، وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره ﷺ فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السماوات والأرضين كلها خلقت من نوره ﷺ بلا واسطة وأن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نور خلق من نوره ﷺ، كذا في الإبريز: وأما للقلم فإنه سقي سبع مرات سقيا عظيما وهو أعظم المخلوقات بحيث أنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدككت وصارت

رميما وكذا الماء فإنه سقي سبع مرات ولكن ليس كسقي القلم، وأما الحجب السبعون فإنها في سقي دائم، وأما العرش فإنه سقي مرتين: مرة في بدئ خلقه ومرة عند تمام خلقه لتستمسك ذاته، وكذلك الجنة فإنها سقيت مرتين مرة في بدئ خلقها ومرة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها.

وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا سائر المؤمنين من الأمم الماضية ومن هذه الأمة فإنهم سقوا ثمان مرات، الأولى في عالم الأرواح حين خلق الله تعالى نور الأرواح جملة فسقاه، الثانية حين جعل يصور منه الأرواح فعند تصوير كل روح سقاها بنوره صلى الله

عليه وسلم، الثالثة يوم ألست بربكم فإن كل من أجاب لله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سقي من نوره ﷺ لكن منهم من سقي كثيرا ومنهم من سقي قليلا فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين حتى كان منهم أولياء وغيرهم وأما أرواح الكفار فإنها كرهت شرب

ذلك النور وامتنعت منه فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والارتقاءات السرمدية ندمت وطلبت سقيا فسقيت من الظلام والعياذ بالله، الرابعة عند تصويره في بطن أمه وتركيب مفاصله وشق بصره فإن ذاته تسقى من النور
الكريم لتليين مفاصله وتفتيح أسماعها وأبصارها ولولا ذلك ما لانت مفاصلها الخمسة عند خروجه من بطن أمه فإنه يسقى من النور الكريم ليلهم الأكل من فمه ولولا ذلك ما أكل من فمه أبدا، السادسة عند التقامه ثدي أمه أول رضعة فإنه سقي من النور الكريم أيضا، السابعة عند نفخ الروح فيه فإنه لولا سقي الذات بالنور الكريم ما دخلت فيه الروح أبدا ومع ذلك فلا تدخل فيه إلا بكلفة عظيمة وتعب يحصل الملائكة معها به ما قدر ملك على إدخاله في الذات.
وسمعته رضي الله تعالى عنه مرة أخرى يقول: مثل الملائكة الذين يريدون أن يدخلوا الروح في الذات كعبيد صغار لملك يرسلهم إلى الباشا العظيم ليدخلوه إلى السجن فإذا نظرنا إلى الغلمان الصغار وإلى الباشا العظيم وجدناهم لا يقدرون على معالجة الباشا في أمر من الأمور، وإذا نظرنا إلى الملك الذي أرسلهم وأنه الحاكم في الباشا وغيره حكمنا بأنه يجب أن يذل لهم الباشا وغيره، وإذا أرادوا إدخالها في الذات حصل لهم كرب عظيم وانزعاجات كثيرة وتجعل ترغرغ بصوت عظيم فلا يعلم ما نزل بها إلا الله تعالى والله أعلم، الثامنة عند

تصويره عند البعث فإنه يسقى من النور الكريم لتستمسك ذاته، قال رضي الله تعالى عنه: فهذا السقي في هذه المرات الثمان اشترك فيه الأنبياء والمؤمنون من سائر الأمم ومن هذه الأمة ولكن الفرق حاصل، فإن ما سقي به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قدر لا يطيقه غيرهم فلذلك حازوا درجة النبوة والرسالة، وأما غيرهم فكل سقي بقدر طاقته.
وأما الفرق بين سقي هذه الأمة الشريفة وبين سقي غيرها من سائر الأمم فهو أن هذه الأمة الشريفة سقيت من النور الكريم بعد أن دخل في الذات الطاهرة وهي ذاته ﷺ فحصل له من الكمال ما لا يكيف ولا يطاق لأن النور الكريم أخذ سر روحه الطاهرة وسر ذاته الطاهرة ﷺ بخلاف سائر الأمم فإن النور في سقيها إنما أخذ من سر الروح فقط فلهذا كان المؤمنون من هذه الأمة الشريفة كمّلا وعدّلا وسّطا وكانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ولله الحمد والشكر.
قال: قال ﷺ: وكذا سائر المخلوقات سقيت من النور الكريم ولولا النور الكريم الذي فيها ما انتفع أحد منها بشيء، قال ﷺ: ولما نزل سيدنا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام إلى

الأرض كانت الأشجار تتساقط ثمارها في أول ظهورها، ولما أراد الله تعالى تثميرها سقاها من نوره الكريم ﷺ فمن ذلك اليوم جعلت تثمر ولقد كانت قبل ذلك كلها أذكارا تنفتح ثم تتساقط، ولولا نوره ﷺ الذي في ذوات الكافرين فإنها سقيت به عند تصويرها في البطون وعند نفخ الروح وعند الخروج وعند

الرضاع لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلا ولا تخرج إليهم في الآخرة وتأكلهم حتى ينزع منهم ذلك النور الذي صلحت به ذواتهم والله تعالى أعلم. وسمعته ﷺ مرة أخرى يقول: لما خلق الله تعالى النور المكرم وخلق بعده القلم والعرش واللوح والبرزخ والجنة وخلق الملائكة الذين هم سكان العرش والجنة والحجب قال العرش: يا ربي لم خلقتني؟ فقال الله تعالى: لأجعلك حجابا تحجب أحبابي من أنوار الحجب التي فوقك فإنهم لا يطيقونها لأني أخلقهم من تراب ولم يكن في ذلك الوقت أعداء ولا دارهم التي هي جهنم فظن الملائكة أن أحبابه
الذين يخلقهم الله تعالى من تراب يخلقهم في الجنة ويسكنهم فيها ويحجبهم بالعرش ثم خلق الله تعالى نور الأرواح جملة فسقاه من النور الكريم ثم ميزه تعالى قطعا قطعا فصور من كل قطعة روحا من الأرواح وسقاهم عند التصوير من النور الكريم أيضا ثم بقيت الأرواح على ذلك مدة ومنهم من استحلى ذلك الشراب ومنهم من لم يستحله كلما أراد الله تعالى أن يميز أحبابه من أعدائه وأن يلحق لأعدائه دارهم التي هي جهنم جمع الأرواح وقال لهم: ألست بربكم فمن استحلى ذلك النور وكانت منه إليه رقة وحنو عليه أجاب محبة ورضا ومن لم يستحله
أجاب كرها وخوفا فظهر الظلام الذي هو أصل جهنم فجعل الظلام يزيد في كل لحظة وجعل النور أيضا يزيد في كل لحظة فعند ذلك علموا قدر النور المكرم حيث رأوا من لم يستحله
استوجب الغضب وخلقت جهنم من أجلهم والله تعالى أعلم. وفيه أنه قال مرة أخرى: فإن ألأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه بل كل واحد منهم شرب منه ما يناسبه وكتب له فإن النور المكرم ذو ألون كثيرة وأحوال عديدة وأقسام كثيرة فكل واحد شرب لونا خاصا ونوعا خاصا قال:قال رضي الله تعالى عنه: لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام شرب

من النور المكرم فحصل له مقام الغربة وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة وعدم القرار في موضع واحد وسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام شرب من النتور المكرم فحصل له مقام

الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة فتراه إذا تكلم مع أحد يخاطبه بلين ويكلمه بتواضع عظيم فيظن المتكلم أنه يتواضع له وهو إنما يتواضع لله عز وجل لقوة مشاهدته وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدر قدرها وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام والله تعالى أعلم. وفيه: إنما ظهر الخير لأهله ببركته ﷺ وأهل الخير هم الملائكة والأنبياء وألولياء وعامة المؤمنين قال: فقلت: وكيف يفرق بينهم فقال رضي الله تعالى عنه: الملائكة ذواتهم من النور وأرواحهم من النور وألنبياء عليهم الصلاة والسلام ذواتهم من تراب وأرواحهم من نور وبين الروح والذات نور آخر هو شراب ذواتهم وكذا الأولياء غير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام زادوا عليهم بدرجة النبوة التي لا تكيف ولا تطاق وأما عوام المؤمنين فلهم ذوات ترابية وأرواح نورانية ولذواتهم شبه عرق

من ذلك النور الذي للأولياء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقلت: وما نسبة هذه الأنوار من نور نبينا مُحَمَّد ﷺ وكيف استمدادها منه فضرب رضي الله تعالى عنه مثلا عاميا على عادته وقال: كمن جوع جملة من القطط مدة حتى اشتاقوا للأكل اشتياقا كثيرا ثم طرح خبزة بينهم فجعلوا يأكلون أكلا حفيفا والخبزة لا ينقص منها قلامة ظفر فكذا نوره ﷺ تستمد منه العوالم ولا ينقص منه شيء والحق سبحانه وتعالى يمده بالزيادة دائما ولا تظهر فيه الزيادة بأن يتسع فراغها بل الزيادة باطنة فيه لا تظهر أبدا

كما أن النقص لا يظهر فهذا النور المكرم تستمد منه الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنون والمدد مختلف كما سبق والله تعالى أعلم. وفيه: وسألته رضي الله تعالى عنه عن كلام صاحب الإحياء في كتاب التفكر حيث قال الغزالي: أن سيدنا جبريل أعلم من سيد الأولين والآخرين صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لي رضي الله تعالى عنه: لو عاش سيدنا جبريل مائة ألف عام إلى مائة ألف عام إلى ما لا نهاية له ما أدرك ربعا من معرفة النبي ﷺ ولا من علمه بربه وكيف يمكن أن يكون سيدنا جبريل أعلم وهو إنما خلق من نور

النبي ﷺ فهو وجميع الملائكة بعض نوره ﷺ وجميعهم وجميع المخلوقات يستمدون المعرفة منه ﷺ وقد كان الحبيب مع حبيبه عز وجل لا جبريل ولا غيره واستمد صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه إذا ذاك ما يليق بمنصبه الكريم وإجلاله وعظمته مع حبيبه ﷺ ثم بعد ذلك بمدة مديدة

جعل تعالى يخلق من نوره لكريم جبريل وغيره من الملائكة عليهم الصلاة والسلام قال رضي الله تعالى عنه: وجبريل وجميع الملائكة وجميع الأولياء أرباب الفتح حتى الجن يعلمون أن سيدنا جبريل
عليه السلام حصلت له مقامات في المعرفة وغيرها ببركته وصحبته له ﷺ بحيث لو عاش سيدنا جبريل عليه السلام طول عمره ولم يصحب سيد الوجود صلى الله تعالى عليه وسلم وسعى في تحصيلها وبذل المجهود والطاقة ما حصل له مقام واحد منها فالنفع الذي حصل له من النبي ﷺ لا يعرفه إلا هو ومن فتح الله تعالى عليه.

قال: قال رضي الله تعالى عنه: وسيدنا جبريل إنما خلق لخدمة النبي ﷺ وليكون من جملة حفظة ذاته الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم وونيسه له إذ هو ﷺ سر الله من هذا الوجود وجميع الموجودات تستمد منه فيحتاج إلى مشاهدتها وذاته الشريفة خلقت من تراب كذوات بني آدم فهي لا تألف إلا من يشاكلها فإذا شاهد ما لا يشاكله آنسه جبريل ثم قال: ذكر لنا رضي الله تعالى عنه: أن صور الملائكة تخلع هذه الذات وتدهش منها لكونها على صورة لا تعرف مع كثر الأيدي والأرجل والرؤوس والوجوه وكونها على سعة
عظيمة بحيث تملأ ما بين الخافقين. قال رضي الله تعالى عنه ولا يعلم ذلك إلا من فتح الله تعالى عليه فكان سيدنا جبريل عليه السلام ونيسة للذات الترابية الشريفة في أمثال هذه الأمور وأما روحه الشريفة ﷺ فإنها لا تهاب شيئا من هذه الصور ولا من غيرها لأنها عارفة بالجميع قال: فقلت: ولم كانت الروح الشريفة لا تكفي في الونيسة فقال رضي الله تعالى عنه: لأن الذات لا تشاهدها منفصلة عنها والوحدانية لله تعالى وحده لا يطيق الدوام عليها إلا ذاته تعالى ومن عداه شفع يحب الشفع يميل إليه.
قال: قال رضي الله تعالى عنه: وسيدنا جبريل إنما كان ونيسه فيما تطيقه ذاته ويعرفه بما هو تحت سدرة المنتهى أما ما هو فوق ذلك من الحجب السبعين ولاملائكة الذي فيها فإنه لم يكن ونيسه في ذلك لأنه أي سيدنا جبريل عليه السلام لا يطيق مشاهدة ما فوق سدرة المنتهى لقوة الأنوار ولهذا ذهب ﷺ في قطع تلك الحجب وحده ولم يذهب معه جبريل عليه السلام وطلب منه الذهاب معه فقال لا أطيقه وإنما تطيقه أنت الذي قواك الله تعالى عليه قال: وتكلمت معه في أمر الوحي وكيفية تلقي النبي ﷺ وهل يتلقاه

بواسطة جبريل كما هو ظاهر كثير من الأذى أولا فإني فيه بكلام لا تطيقه العقول ولا ينبغي كتبه والله تعالى أعلم. وفيه أن الله تعالى لما أراد إخراج بركات الأرض وأسرارها مثل ما فيها من العيون والآبار والأنهار والأشجار والثمار والأزهار أرسل سبعين ألف ملك إلى سبعين ألف ملك ملك إلى سبعين ألف ملك ثلاث سبعينات من الألوف فنزلوا يطوفون في الأرض فالسبعون الأولى يذكرون اسم النبي ﷺ ومرادنا بالاسم الاسم العالي والسبعون الثانية يذكرون قربه ﷺ من ربه عز وجل ومنزلته منه والسبعون

الثالثة تصلي عليه ﷺ ونوره ﷺ مع الطوائف الثلاث فتكونت الكائنات ببركة ذكر اسمه ﷺ وحضوره بينها ومشاهدتها قربه ﷺ من ربه عز وجل قال: وذكروه على الأرض فاستقرت وعلى السماوات فاستقلت وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانت بإذن الله تعالى وعلى مواضع عينيه ففتحت بالأنوار التي فيها فهذا معنى قوله: انشقت منه الأسرار فقلت: فهذا معنى قول صاحب دلائل الخيرات: وبالاسم الذي وضعته على الليل فأظلم وعلى النهار فاستنار وعلى السماوات فاستقلت وعلى الأرض فاستقرت

وعلى الجبار فرست وعلى البحار فجرت وعلى العيون فنبعت وعلى السحاب فأمطرت فقال رضي الله تعالى عنه: نعم ذلك الاسم هو اسم نبينا مُحَمَّد ﷺ فببركته تكونت الكائنات والله تعالى أعلم. وفيه أن سيدنا أحمد بن عبد الله الغوث رضي الله تعالى عنه قال رمريده: يا ولدي لولا نور سيدنا مُحَمَّد ﷺ ما ظهر سر من أسرار الأرض فلولا هو ما تفجرت عين من العيون ولا جرى نهر من الأنهار وإن نوره ﷺ يا ولدي يفوح في شهر مارث ثلاث مرات على سائر الحبوب فيقع لها الإثمار ببركته صلى الله عليه

وسلم ولولا نوره ﷺ ما أثمرت ويا ولدي إن أقل الناس إيمانا من يرى إيمانه على ذاته مثل الجبل وأعظم منه فأحرى غيره وإن الذات تكل أحيانا عن حمل الإيمان فتريد أن ترميه فيفوح نور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون معينا لها على حمل الإيمان فتستحليه وتستطلبه. وفيه لولا هو ﷺ ما أظهر تفاوت الناس في الجنة والنار ولكانوا كلهم على مرتبة واحدة فيهما وذلك أنه تعالى لما خلق نوره ﷺ وسبق في سابق علمه تفاوت الناس في قبوله والميل عنه ظهر ذلك عليهم حيث خلق ذلك

النور فعلم هناك أن منهم من يبلغ من الخشوع درجة كذا ومن المعرفة درجة كذا ومن الخوف

درجة كذا وأن فلانا شرب من ذلك النور لون كذا من نوع كذا وفلانا شرب منه نوعا آخر قبل ظهورهم وهم في عدم العدم، قال رضي الله تعالى عنه: فتفاوت المراتب وتباينها هو معنى انشقاق الأسرار منه ﷺ.

وأما غناه ﷺ عن جميع خلق الله تعالى جملة وتفصيلا فظاهر مما تقدم ظهورا لا غبار عليه لكني إزيد في إيضاحه فأقول: قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كما في جواهر المعاني: اعلم أنه ﷺ غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا وعن صلاتهم عليه من إهدائهم ثواب الأعمال له ﷺ بربه أولا ومن ما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله فهو في ذلك عند ربه ﷺ في غاية لا يمكن وصول غيره إليها ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة يشهد لذلك قوله سبحانه

وتعالى: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} وهذا العطاء وإن ورد في الحق بهذه الصفة سهلة المأخذ قريبة المحتد فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها فضلا عن الغاية التي هي أكبرها فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته ويفيض على مراتبه ﷺ على قدر حظوته ومكانته عنده فما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة ويرد على مرتبة لا نهاية لها أيضا وعظمته أيضا على قدر وسعها أيضا فكيف يقدر هذا العطاء وكيف تحمل العقول سعته ولذا قال سبحانه وتعالى: {وكان فضل

الله عليك عظيما} وأقل مراتبه في غناه ﷺ أنه من لدن بعثته ﷺ إلى قيام الساعة كل عامل يعمل لله ممن دخل في طوق رسالته ﷺ يكون له مع ثواب عمله بالغا ما بلغ فليس يحتاج مع هذه المرتبة زيادة إهداء الثواب لما فيها من كمال الغنى الذي لا حد له وهذا أصغر مراتب غناه ﷺ فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر والفضل الأعظم الأخطر الذي لا تطيق حمله عقول الأقطاب فضلا عمن دونهم، وإذا عرفت هذا فاعلم أنه ليس له حاجة إلى صلاة المصلين عليه ﷺ

ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها ﷺ وليست له حاجة إلى إهداء الثواب ممن يهدي له ثواب الأعمال وما مثل المهدي له في هذا الباب ثواب العمل متوهما أنه يزيده به ﷺ أو يحصل له به نفعا إلا كمن رمى نقطة قلم في بحر طوله مسيرة مائة ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك متوهما أنه يمد هذا البحر بتلك النقطة ويزيده فأي حاجة لهذا البحر بهذه النقطة وما عسى أن

تزيد فيه، وإذا عرفت رتبة غناه ﷺ وحظوته عند ربه فاعلم أن أمر الله تعالى للعباد بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه

وسلم ليعرفهم علو مقداره عنده وتفوق مرتبته لديه وعلو اصطفائه على جميع خلقه وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ، فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجه إليه دون التوسل به ﷺ معرضا عن كريم جنابه ومدبرا عن تشريع خطابه كان مستوجبا من الله غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد وضل سعيه وخسر عمله ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به ﷺ كالصلاة عليه ﷺ فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه وفيها تعليم لنا بالتوسل

به ﷺ في جميع التوجهات والمطالب لا غير هذه ممن توهم النفع له بها ﷺ لما ذكرناه سابقا من كمال الغنى، وأما إهداء الثواب له ﷺ فتعقل ما ذكرنا من الغنى أولا ثم تعقل مثالا آخر يضرب لإهداء الثواب له ﷺ بملك عظيم المملكة ضخم السلطنة قد أوتي في مملكته من كل متمول خزائن لا حد لعددها كل خزانة عرضها وطولها ما بين السماء والأرض مملوءة كل خزانة على هذا القدر ياقوتا أو ذهبا أو فضة أو زرعا أو غير ذلك من المتمولات ثم قدر فقيرا لا يملك مثلا غير

خبزتين في دنياه فسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه له في قلبه فأهدى لذلك الملك إحدى الخبزتين معظما له ومحبا والملك متسع الكرم فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له ووجودها عنده وعدمه على حد سواء ثم الملك لاتساع كرمه علم فقر الفقير وغاية جهده وعلم صدق حبه وتعظيمه في قلبه وأنه ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك ولو قدر على أكثر من ذلك لأهداه له فالملك يظهر الفرح والسرور لذلك الفقير وبهديته لأجل تعظيمه له وصدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من

العطايا لأجل صدق المحبة والتعظيم لا لأجل النفع بالخبزة وعلى هذا القدير وضرب المثل قدر إهداء الثواب له ﷺ. وأما غناه ﷺ فقد تقدم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكورة أولا وإمداده بنقطة القلم وأما إهداؤه ﷺ فقد ذكر المثل بإهداء الخبزة للملك المذكور والسلام اهـ. وإذا فهمت جميع ما قدمناه وتحقق فهمك في ذهنك علمت يقينا أن قدره ﷺ كما وصف قدره ومقداره به وأن سؤال المصلي عليه ﷺ من ربه تعالى أن يصلي على نبيه ﷺ حق قدره ومقداره

العظيم واقع موقعه. وأما لا إله إلا الله فقد ذكر العلماء في معناه أقوالا كثيرة وأصوبها قول من قال: لا معبود بحق سواه.

قال زين الدين الخوافي في الوصايا القدسية: وينوي المبتدئ بكلمة لا إله إلا الله لا معبود غير الله والمتوسط لا المطلوب أو لا مراد ولا مقصود إلا الله وإذا وجد في قلبه محبة مخلوق ممن ليس له واسطة بينه وبين الله تعالى ينوي لا محبوب إلا الله تعالى وينبغي أن يكون صادقا في المعاني الثلاثة في النفي والإثبات يخلص نفسه بهمته من التعلقات بالكائنات والميل إلى المشتهيات والمستلذات التي هي المعبودات الباطلات ومن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات العيانية فلا طائل تحتها ويطلب الحق وحده وينزه طلبه من المزج

بهوى النفس أهـ. وقال في الخلاصة المرضية في باب آداب الذكر: الحادي عشر إحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة فبظهور البشرية والوسواس يقول بلسانه لا إله إلا الله وبقلبه لا معبود إلا الله وبخمودها وبصفاء القلب وطلب شيء من المعارف وطلب شيء من الذوق والشوق وغير ذلك يقول بلسانه: لا إله إلا الله وبقلبه لا موجود إلا الله لمشاهدته أنه ينطق به ثم قال: الثاني عشر نفي كل موجود بالقلب سوى الله تعالى ليتمكن تأثير لا إله إلا لله بالقلب ويسري إلى الأعضاء لما قيل: إن الرجل إذا قال: الله يهتز من فوق راسه إلى إصبع

قدميه وإن لم يهتز فليس برجل وهذه الحالة يستدل بها على أنه سالك فيرجى له التقدم إلى أعلى منها إن شاء الله تعالى انتهى. وقال شيخنا ﷺ وأرضاه وعنا به: اعلم أن الإله في لغة العرب هو المعبود بالحق وأطلقوه على غيره غلطا منهم قال جل من قائل: {الله لا إله إلا هو الحي اليوم} معناه لا معبود بالحق إلا هو والإله الذي قلنا أنه المعبود هو المتحقق بمرتبة الألوهية وهو الذي خضع له الوجود كله بالعبادة والتذلل والخمود تحت قهره والتصاغر لعظمته وكبريائه وليس في الوجود شيء يشذ عن هذا قاصيه ودانيه فهو الإله

اغلحق الذي قهر جميع الموجودا بسطوته وقهره وانفراده بعظمته كبريائه وعلوه وجلاله وقال قبل هذا الكلام: وهي يعني مرتبة الأوهية عكوف الوجود على عبادته سبحانه وتعالى بالخضوع تحت كبريائه وعظمته وجلاله والتذلل لكمال عزه والخمود تحت قهره بتسليم القياد إليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا منازع له في حكمه أهـ.

قلت:قال القطب الشيخ عبد العزيز بن مسعود الدباغ: في اسم الجلالة ثلاثة أسرارالأول أن مخلوقاته تعالى لا حد لها وأنها مختلفة فتنقسم إلى إنس وجن وحيوان وغير ذلك من ألأنواع التي لا يعلمها أكثر الخلق ومع هذه الكثرة فهو تعالى واحد في ملكه لا مدبر معه ولا وزير له فهو وحده تعالى يتصرف فيها بجملتها ولا يفوته منها شيء ولا يخرج عن قدرته تعالى منها واحد فهو قاهر للكل محيط به كما قال تعالى: {والله من ورائهم محيط} الثاني أنه يتصرف فيها كيف شاء فيغني هذا ويفقر هذا ويعز هذا ويذل هذا ويجعل هذا أبيض وهذا أسود
ويجيب سؤال هذا ويمنع هذا ويفرق بينهما في الأزمنة والأمكنة وبالجملة فهو كل يوم في شأن ولا يشغله شأن عن شأن والاختيار له لا للمخلوقات فهو يفعل ما يشاء لا ما تشاء هي سبحانه لا إله إلا هو الثالث أنه تعالى مقدس منزه لا يكيف ولا يشبه بشيء من المخلوقات ومع ذلك فله السطوة والقهر حتى أنه لولا الحجاب الذي حجب به المخلوقات لرجعوا هباء منثورا ولتهافتوا وصاروا دكا رميما عند تجليه تعالى لهم بل لا يبقى لهم أثر حتى يقول القائل: ما كان هذا في العالم شيء من المخلوقات أصلا إلا انه تعالى برحمته وعظيم حكمته لما سبق في قضائه أن يوصل أهل كل دار إليها إذا أراد أن يخلق مخلوقا أي مخلوق كان لا يخلقه حتى يخلق حجابه قبله قال رضي الله تعالى عنه: وهذه الأسرار يعلمها أرباب البصيرة من مجرد النطق باسم الجلالة من غير احتياج إلى مشاهدة شيء من المخلوقات أهـ. وإذا فهمت مضمون ما تقدم علمت حكمة إثبات الأوهية له جل وعلا ونفيها عن غيره بقوله جل وعلا: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} ولم يقل لا إله إلا الرحمن لأن جميع صفات الله تعالى ترجع إلى صفة واحدة وهي مرتبة الألوهية لأن الألوهية واحدة وحقيقتها ترجع جميع غير الله تعالى بالعبادة

والخضوع والتذلل والتصاغر لعظمته وجلاله وهذه الصفة مع ودحدتها استغرقت جميع الموجودات فلا يشذ عنها شيء ثم أنها مع وحدتها قد جمعت جميع الصفات والأسماء الكمالة فلو انعدم منها صفة أو اسم لم يصح اتصاف الحق بالألوهية والكلام على اسم الجلالة وأسرره يطول بنا فلنكتف بهذا القدر ونشرع في ذكر بعض معاني جوهره الكمال فنقول وبالله تعالى التوفيق:أما لفظ اللهم فقد تقدم الكلام عليه وأما صل وسلم فقد تقدم الكلام أيضا على أن صلاة الله على نبيه فوق ما يدرك وما يعقل فلا تفسر بشيء والحاصل أن الكلام فقد تقدم عليها

ومعناها السلام ههنا الأمان من الله تعالى لحبيبه ﷺ من كل ما يوجب تشويشا أو تنقيصا أو نقصا في الحظ العاجل والآجل. على سيدنا مُحَمَّد عين أي حقيقة وذات. الرحمة الربانية نسبة إلى الرب نعت الرحمة وإنما أضيفت إلى الحضرة الربانية لأن الموجودات إنما نشأت من الحضرة الربانية فلذلك أضيفت الرحمة إليها والرب هو العلي عن كل ما سواه ومعناه أنه الملك والمتصرف والخالق والظاهر والنافذ مشيئته وكلمته في كل ما سواه وأما حضرة الألوهية فإنه أصل عبادة المودات فالإله هو المعبود بالحق الذي توجه إليه كل ما
عداه بالخضوع والتذلل والعبادة والمحبة والتعظيم والإجلال وحضرة الوهية الشاملة لجميع الأسماء والصفات والحضرة الإلهية وإنما سمي ﷺ عين الرحمة لأنه الأنموذج الجامع في إفاضة لوجود ف، هـ لولا وجوده ﷺ لما كان وجود لموجود من المخلوقات أصلا وجود كل موجود من ذوات الوجود متوقف على سبقية وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم من وجود ذلك الوجود فإنه لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان ولا رحم شيء منها إلا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة فإفاضة الوجود على جميع وجود الأكوان

مفاض من ذاته الكريمة ﷺ وإفاضة الرحمة من جميعها مفاض من ذاته الكريمة صلى الله تعالى عليه وسلم فبان لك أن الفيض من ذاته الكريمة ينقسم إلى رحمتين الرحمة الأولى إفاضة الوجود على جميع الأكوان حتى خرجت من العدم إلى الوجود والرحمة الثانية إفاضة عين الرحمات الإلهية على جميعها من جملة الرزاق والمواهب والمنافع والمنح من العلم بصفات الله تعالى وأسمائه وكمالات ألوهيته وبأحوال الكون وأسراره ومنافعه ومضاره وبالأحكام الإلهية أمرا ونهيا فبذلك يدوم تمتعها بالوجود فإذا علمت هذا علمت أنه صلى الله
عليه وسلم عين الرحمة الربانية لأن جميع الوجود رحم بالوجود بوجوده ﷺ ومن فيض وجوده أيضا رحم جميع الوجود فلهذا قيل فيه أنه عين الرحمة صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المراد بقوله: {ورحمتي وسعت كل شيء} وقوله تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} لأن أصله ﷺ رحمة ولا يلزم من شمول الرحمة عدم وقوع العذاب والوعيد في الغضب لأن تلك مقتضيات الكمالات الإلهية فإن الكريم وإن عظم كرمه لولا بطشه وغضبه وعذابه ما خيف جانبه ولو أمن منه هذا الحال احتقر جانبه وليست هذه صفة الكريم ولا
ينبغي له هذا فتبين لك أن صفة الكريم الغضب والبطش والتعذيب ليكون جانبه معظما مخافا

مهابا كما كان جانبه مرجوا لعفوه ورحمته، ولما كان الياقوت غاية ما يدرك الناس في الصفاء والشرف والعلو إذ هو غاية ما يدرك من الجواهر الصافية الغالية الشريفة سمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به في هذه الصلاة بقوله: والياقوتة، وإذا كان هو أشرف من الياقوت وأصفى وأعلى على حد قوله تعالى: {مثل نوره كمشكاة فيها مصباح} ثم وصفها بقوله: المتحققة أي بجميع الصفات والأسماء الإلهية التي يتوقف عليها وجود الكون وبقي وراءها من

الأسماء والصفات ما لا توقف لوجود الكون عليه والمعنى أنه ﷺ تحقق بمعرفة جميع الصفات والأسماء الإلهية التي يتوقف عليها وجود الكون دون غير هائم وصفه ﷺ بأن الفهوم التي قسمها الله تعالى لخلقه في إدراك معاني كلامه جميع كتبه وفي إدراك معاني الأحكام الإلهية وفي إدرك معاني أسمائه وصفاته ومعارفه وإذا جمعت جمعا واحدا وجعلت كالشيء المركوز في الأرض كالعنزة كان ﷺ دائرة محيطة به بقوله: الحائطة أي المحيطة بمركز الفهوم والمعاني أي بالفهوم والمعاني التي كالمركز

من إضافة المشبه به إلى المشبه بعد حذف أداة التشبيه مبالغة والمعنى أنه ﷺ محيط بجميعها ما شذ عنه شيء منها صلى الله تعالى عليه وسلم. ونور معطوف على عين. الأكوان أي

المخلوقات. المتكونة نعت للأكوان أي التي تتكون شيئا بعد شيء ويقابلها ما بقي في طي العدم فالأشياء المقررة في العلم الأزلي منقسمة قسمين قسم منها أعيان ثابتة وهي التي سبق في علمه أنها تخرج من العدم إلى الوجود، وقسم منها أعيان عدمية وهي التي سبق في علمه أنها لا تخرج إلى الوجود وتبقى في طي العدم فإنه علمها أن لو خرجت إلى

الوجود وعلى أي حالة تكون وبأي أمر تتكون وبأي مكان وزمان تقع وماذا ينصب عليها من الأحكام الإلهية ضرا ونفعا فإنه محيط بجميعها علما وهو ﷺ نورها. الآدمي صاحب الحق نعت له وهو ما قرره سبحانه في شرعه الذي حكم به على خلقه أمرا ونهيا وكيفية وابتداء غاية وهو صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم المقرر له والناهي عنه والمنفذ له. الرباني نعت للحق. البرق المراد به الحقيقة المحمدية.

الأسطع أي الأرفع وارتفاعها ظهورها على جميع الخلق لأنه مقرر الرحمة الفائضة من حضرة الحق ومنها تفيض على الخلق وهذه الرحمة الإلهية المنصبة على الخلق هي المراد بقوله: بمزون الأرباح والمزون جمع مزن والمراد الرحمات الإلهية والأرباح جمع ربح استعير البرق للحقيقة المحمدية والمزن

لانصباب الرحمة الإلهية على الخلق لأن البرق ملازم لمزن الأمطار كما أن الحقيقة المحمدية ملازمة للرحمة الإلهية والحاصل أن مزون الأرباح هي الرحمة الفائضة من حضرة الحق على خلقه ويعني بها ههنا فيوض العلوم والمعارف والأسرار والتجليات

والأنوار ودقائق الحكم وما لا ينتهى إلى ساحله وغايته من المنح والمواهب وصفاء الأحوال والصفات القدسية المخزونة المنصبة على قلوب العارفين والأقطاب. المالئة نعت لمزون. لكل متعرض وهو تارة يكون بالتوجه إلى الله تعالى والتهيؤ والاستعداد وتارة بالاقتطاع الإلهي. من البحور قلوب أكابر العارفين. والأواني قلوب الأولياء. ونورك معطوف على عين. اللامع نعت للنور. الذي ملأت به الضمير عائد إلى الذي. كونك مفعول ملأت.

الحائط نعت لكون والكون الحائط هو الأمر الإلهي الصادر عن كلمة كن الذي أقام الله تعالى فيه ظواهر الوجود. بأمكنة متعلق بالحائط والأمكنة جمع مكان وهو الذي يحل فيه المتمكن. المكاني بتخفيف الياء للسجع وأصله التشديد لأن ياءه للنسبة إلى المكان والمراد هنا الذات التي منه تحل وتستقر مكانها والمعنى: ونورك اللامع الذي ملأت به مكوناتك الحائط بأمكنة كل مكان لأن الكون كله مملوء به ﷺ وقد تقدم أن الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى قال في تنوير الحلك: قال الشيخ صفي الدين أبو منصور في

رسالته: والشيخ عبد الغفار في التوحيد حكى عن الشيخ أبي الحسن الونائي قال: أخبرني أبو الحسن الطنجي قال: وردت على سيدي أحمد بن الرافعي فقال لي: ما أنا شيخك إنما شيخك عبد الرحيم بقنا رح إليه فسافرت إلى قنا فدخلت على الشيخ عبد الرحيم فقال: أعرفت رسول الله ﷺ؟ قلت: لا قال لي: رح إلى البيت المقدس حتى تعرف رسول الله ﷺ فرحت إلى بيت المقدس فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ انتهى المراد منه.

اللهم صل وسلم تقدم الكلام على الصلاة والسلام. على عين الحق فالحق له إطلاقان الأول إطلاقه على الذات والثاني إطلاقه على صفة الذات فالأول يقابله الباطل من كل وجه فالحق المحض هو الذات العلية المقدسة وما عداها كله باطل وإلى هذا الإطلاق يشير قول لبيد الذي شهد له رسول الله ﷺ بالصدق والتحقيق: ألا كل شيء ما خلا الله باطل *** وكل نعيم لا محالة زائل وهذا لا يطلق عليه ﷺ إذ هذا الإطلاق عين الذات المقدسة لا يطلق على غيرها أصلا،

والإطلاق الثاني هو العدل الذي هو صفة الحق
سبحانه وتعالى القائم بصورة العلم الأزلي النافذ في كل شيء وهذا العدل المذكور وهو الساري في جميع آثار الأسماء والصفات الإلهية ومجموع هذا العدل كلا وبعضا مجموع في الحقيقة المحمدية فلذا أطلق عليها عين الحق في هذا الاعتبار فكلها حتى لا تنحرف عن ميزان العدل الإلهي الذي هو عين الحق في الإطلاق الثاني. التي أنث نظرا إلى معنى عين الحق الذي هو الذات أيضا ولذا قال: تتجلى منها والضمير راجع إلى عين. عروش جمع عرش فاعل تتجلى.

الحقائق جمع حقيقة من إضافة المشبه به إلى المشبه بعد حذف أداة التشبيه مبالغة والمعنى: اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها الحقائق التي هي كالعروش لما كانت كل حقيقة منطوية على ما لا غاية له من العلوم والمعارف والأسرار والمواهب والفيوض شبهت بالعروش لأن العرش محيط بما في جوفه من جميع المخلوقات وأيضا لما كان العرش هو غاية الرفعة والشرف من المخلوقات في علم الخلق وكانت الحقائق في غاية العلو والرفعة والشرف لأنها صدرت من حضرة الحق الذي لا غاية لعلوه وشرفه ولا علو وراءه فهو غاية الغايات في العلو والرفعة والشرف وكانت الحقائق الصادرة من حضرته سبحانه وتعالى مكسوة بهذه الصفة العلية والعلو والشرف والجلال أطلق عليها اسم العرش من هذا الباب فهو حقيقة عرش ولما كانت المعارف الإلهية المفاضة على جميع الأكابر من النبيين والمرسلين والأقطاب كلها فائضة من الحقيقة المحمدية وليس شيء من المعارف يفاض من حضرة الحق خارجا عن الحقيقة المحمدية ولا يفاض شيء منها على أحد من خلق الله تعالى إلا هو بارز من الحقيقة المحمدية وصف ﷺ بأنه عين المعارف بقوله: عين المعارف لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم
خزانتها وينبوعها. الأقوم أي الجاري في مجاري العدل الإلهي لا يعوج بوجه ولا يخرج عن الجادة المستقيمة في العدل وهذا التفسير هو معنى الأسقم، أو أنه ﷺ أكمل من كل من قام بتوفية حقوق الحق سبحانه وتعالى وهذا التفسير الثاني هو الملحوظ في تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بأحمد فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل الخلق في القيام بتوفية آداب الحضرة الإلهية علما وحالا وذوقا ومنزلة وتخلقا وتحققا فهو أكمل من حمد الله من خلقه من جميع الجهات ولما كان صلى الله تعالى عليه وسلم هو الصراط إلى حضرة

الحق ﷻ لا عبور لأحد إلى حضرة الحق إلا عليه فمن خرج عنه انقطع عن حضرة الحق وانفصل وصف بأنه هو الصراط التام إلى حضرة الحق بقوله: صراطك التام لأنه ﷺ لمن أراد الوصول إلى حضرة الحق كالصراط الذي يكون عليه عبور الناس في المحشر إلى الجنة لا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى الجنة من أرض القيامة إلا على الصراط الذي هو عليه العبور فمن رام الوصول إلى الجنة من أرض القيامة على غير الصراط المعلوم للعبور انقطع عن الجنة وانفصل ولا مطمع له في الوصول إليها كذلك هو صلى الله تعالى عليه وسلم

هو الصراط المستقيم بين يدي الحق لا مطمع لأحد في الوصول إلى حضرته إلا بالعبور عليه ﷺ ومن رامها بغير العبور عليه ﷺ انقطع وانفصل وطرد ولعن وإلى هذه الإشارة يقول الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه في صلاته: إذ هو بابك الذي من لم يقصدك منه سدت عليه الطرق والأبواب ويرد بعد الأدب إلى إسطبل الدواب.

الأسقم أي الكامل في الاستقامة بلا اعوجاج: اعلم أن الأسقم أفعل تفضيل من استقام السداسي الذي أصله قام الثلاثي زيد على بنائه ثلاثة أحرف فصار استفعل فلما أريد بناء أفعل التفضيل منه حذفت الألف والتاء والألف المنقلبة من الواو مع أنها عين الكلمة وأبقيت السين مع أنها زائدة لتدل بأنه مصوغ من استقام السداسي لا من قام ومثله في ما ذكر أشوق فإنه أفعل تفضيل مصوغ من اشتاق الخماسي المزيد الذي أصله شاق الثلاثي زيد على بنائه حرفان فصار أفعل فلما أريد صوغ فعل أفعل التفضيل منه حذفت الألف الزائدة مع التاء الأصلية.

إن قلت: لم تحذف عين الكلمة من استقام ولم يحذف من اشتاق فالجواب أن إبقاءه لا يضر لأنه خماسي فإبقاؤه لا يمنع من كون بناء الشوق على بناء أفعل بعد حذف الألف والتاء بخلاف استقام فإن بقاء عين الكلمة منه يمنع من كون بناء اسم التفضيل منه على أفعل إلا إذا حذفت السين بعد حذف الألف والتاء فحينئذ يصير أقوم فيفوت المقصود الذي هو التفنن في السجع على التفسير الأول في تفسيري أقوم، والمعنى المراد تحصيله الذي هو الاستقامة بلا اعوجاج على التفسير الثاني من تفسير الأقوم فلانتفاء تلك العلة على الأقوم ثبت فيه عين

الكلمة لأنه من قام الثلاثي غير المزيد، فإن قلت: من سلفك فيما ذكرت من أئمة اللغة قلت: قال في القاموس: القوم الجماعة من الرجال والنساء معا أو الرجال خاصة إلى أن قال: وقام قوما وقومة وقياما وقامة انتصب فهو قائم من قوم وقم وقوام وقيام وقاومته قواما قمت معه

والقومة المرة الواحدة وبين الركعتين قومة والمقام موضع القدمين وقامت المرأة تنوح طفقت والأمر اعتدل كإسقام اهـ. وأما اشتقاقه فقد قيل فيه: الشوق نزاع النفس إلى أن قال: وقد شاقني حبها هاجني كشوقني إلى أن قال: وأشتاقه وإليه بمعنى اهـ.

إن قلت: من سلفك من أئمة النحو قلت: قال ابن مالك في باب التعجب من التسهيل: وقد يبنيان يعني التعجب والتفضيل من فعل المفعول إن أمن اللبس وفعل أفعل مفهم عسر أو جهل ومن مزيد فيه اهـ. وقال الدماميني في شرحه: نحو ما أعطاه الدراهم وما أشوقني إلى عفو الله تعالى فإنهما من أعطى واشتاق وليس من ذلك ما أفقره فإنه من فقر الرجل بمعنى افتقر وأما ما أشهاه فإنه من شهي الشيء بمعنى اشتهاه اهـ.

اللهم صل وسلم على طلعة أي مجلى ومظهر الحق وهو الله تعالى بذاته سبحانه وتعالى وتجليه بالحق أي بذاته لا بشيء دونها فإن السبب الذي تجلت به الذات العلية للحقيقة المحمدية وتجليها لها كان عن الذات العلية المقدسة المنزهة لا عن غيرها وهذا أحد تفسيري طلعة الحق بالحق. التفسير الثاني أن طلعة الحق طوالع الأسماء والصفات الإلهية التي مجموعها هو عين الحق الكلي بجميع ما تفرغ عنها من الأحكام الإلهية والمقادير الربانية واللوازم والمقتضيات الملازمة لتلك الصفات والأسماء فمجموعها هو عين الحق الكلي فكان صلى الله
عليه وسلم مطلعا لها جامعا لحقائقها وأحكامها ومقتضياتها ولوازمها فكان طلوعها في الحقية المحمدية عن مادة أسرار الصفات والأسماء الإلهية الذي هو السبب المعبر به بالباء فكان طلوعها فيه ﷺ بحسب أسرارها وأنوارها فكلها حق والمعنى اللهم صل وسلم على طلعة أي مجلى أي مظهر أي مطلع الحق الذي هو صفاتك وأسماؤك وجميع ما تفرع عنها من أحكامك ومقاديرك واللوازم والمقتضيات الملازمة لتلك الصفات والأسماء الجامع لحقائقها وأحكامها ومقتضياتها ولوازمها التي كان طلوعها في الحقيقة بالحق عن مادة أسرار صفاتك
وأسمائك وكان طلوعها فيه بحسب أسرارها وأنوارها فكان كله حقا ولما تم قيامه ﷺ في هذا الميدان بحقوق التجليين المذكورين وتوفيته بوظائف خدمتها وآدابها جملة وتفصيلا وتكملة لمقابلتهما بعبوديته الكاملة عبر عن هذه الألطاف في الصلاة الكريمة بقوله: عبدك من حيث أنت كما هو عبدك من حيث أسمائك وصفاتك ولما كان جميع أسمائك والأسرار والعلوم

والمعارف والفتوحات والفيوضات والتجليات الشريفة منها يستفاد جميع المطالب وصف صلى الله عليه وسلم بأنه هو الكنز الأعظم بقوله الكنز ألأعظم إذ من فائدة الكنز تحصيل

المطالب والمنافع لذوي الحاجات فبسبب كونه ﷺ كنزا عظيما يستفاد منه جميع المطالب والمنح والفيوضات الربانية والدنيوية والخروية والعلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأعمال والأحوال والمشاهدات والتوحيد واليقين والإيمان وآداب الحضرة الإلهية إذ هو المفيض لجميعها على جميع الوجود جملة وتفصيلا فردا فردا من غير شذوذ.

إفاضتك التي هي مورد الألطاف الذي سألته منك عندما تجليت بنفسك وأوصافك وسألت ذاتك بذاتك فتلقيت ذلك السؤال منك بالقبول والإسعاف وكان قوامه راجعا إليك فأوجدت ذلك المود الذي هو الحقيقة من حضرة علمك عيونا وأنهارا ثم سلخت العالم منها واقتطعته كله تفصيلا على تلك الصورة الآدمية الإنسانية اعلم أنه لما تعلقت إرادته بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية وذلك عندما تجلى بنفسه من الأوصاف وسأل ذاته بذاته مورد الألطاف فتلقى ذلك السؤال منه بالقبول والإسعاف فأوجد الحقيقة المحمدية فكانت عيونا وأنهارا ثم سلخ العالم منها واقتطعه كله تفصيلا على تلك الصورة الآدمية الإنسانية فإنها كانت ثوبا على تلك الحقيقة المحمدية النورانية شبه الهواء والماء في حكم الرقة والصفاء فتشكل الثوب شكل الصورة النورانية فكان مُحَمَّد صلى الله عليه وسلممجمع الكل وبرهان الصفات والمبدأ الأعلى وكان آدم عليه السلام نسخة منه على التمام وكانت نسخة الذرية من آدم عليه السلام فتحقق هذه التسخ تعش سعيدا غير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كتابي مُحَمَّد وآدم على الكمال والعارفون الوارثون نسخة من آدم وظاهر سيدنا مُحَمَّد ﷺ وأما أهل

الشمال فنسخة من طينة آدم لا غير وأما التناسل إلى أن جاء زمانه عليه الصلاة والسلام فصير الله تعالى العالم في قبضة ومخضة جسم مُحَمَّد ﷺ زبدة مخضة العالم كما كانت حقيقة أصل نشأته فله الفضل بالإحاطة إ كانت البداءة والختم فقد حصلت في علمك نشأة أول كل موجود وأين مرتبته من الوجود ومنزلته من الوجود. والحاصل أن سيدنا مُحَمَّد ﷺ أول الموجودات وأصلها وبركتها وببركته وجدت وبه استمدت. إحاطة مصدر وصف به مبالغة أي المحيط كرجل عدل أي عادل.

النور أي بالنور المطلسم أي المكتوم أي المحيط بسر ألوهيتك المكتوم الذي أردت أن تطلع عليه

غيرك من خلقك من ذوي الخصوصية لأن سر الأول قسمه الحق سبحانه بحكمة المشيئة قسمين قسم استبد بعلمه لا يطلع عليه غيره وقسم اختار أن يطلع عليه غيره من ذوي الاختصاص وكان مقسوما بينهم بالمشيئة الأزلية لكل واحد منهم ما قدر له من سر الألوهية وكان ذلك المقسوم لخلقه أن يطلعوا عليه كله أحاط به ﷺ علما وذوقا واجتمع في ذاته الكريمة في حقيقته المحمدية وتفرق منه إلى الخلق أي واصل إلى كل واحد ما قسم له وبعبارة

أن المراد بالنور المطلسم الكمالات الإلهية التي سبق في سابق علمه أن يكشفها لخلقه ويطلعهم عليها جملة وتفصيلا لكل فرد من الوجود ما يناسبه وما يختص به من أول ظهور العالم إلى الأبد وكان ذلك النور المذكور مطلسما في حجاب الغيب وضرب عليه حجب عظيمة بحيث لا يمكن عليه الوصول إلى الاطلاع عليه أو على شيء منه فأشهد الله تعالى نبيه ﷺ دفعة واحدة وأطلعه عليه في حقيقته المحمدية من غير شذوذ والمعنى حينئذ إحاطة النور أي العالم المشاهد أي المطلع بالنور أي كمالاتك المطلسمة أي المحجوبة المغيبة التي

سبق في سابق علمك أن تكشفها لخلقك وتطلعهم عليها وإنما أفرد النور وأريد به الكمالات الإلهية لأنها كلها حق والحق كله نور. صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصلاة الله تعالى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية لا تعرف حقيقتها وما يقوله فيها أهل الظاهر لا يلتفت إليه وتقدم أنها فوق ما يدرك ويعقل فلا تفسر بشي بلا تقول يصلي على نبيه ﷺ ولا تكيف صلاته وتقدم أيضا أن الصلاة في حق الله تعالى على نبيه ﷺ وصف قائم بذاته على الحد الذي يليق بذاته وعظمته وجلاله هو أمر فوق ما

يدرك ويعقل. صلاة معمول صل وسلم على طلعة الحق بالحق إلى آخره صلاة تعرفنا بها أي بالصلاة. إياه أي نبيك مُحَمَّدا صلى الله تعالى عليه وسلم في مراتب بطونه صلى الله تعالى عليه وسلم طلب المصلي من الله أن يعرفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إما بالوصل إلى معرفة حقيقة روحه أو حقيقة عقله أو قلبه أو نفسه أما حقيقة روحه فلا يصل إليها إلا الأكابر من النبيين والمرسلين والأقطاب ومن ضاهاهم من الأفراد ومن العارفين من يصل إلى مقام عقله ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك إذ ليس مقام العقل وعلومه

كمقام الروح وعلومه ومنهم من يصل إلى مقام قلبه ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك وهو دون مقام العقل في المعارف والعلوم ومنهم من يصل إلى مقام نفسه صلى الله تعالى عليه

وسلم فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك وهو دون مقام القلب وأما مقام سره ﷺ فلا مطمع لأحد في دركه لا من عظم شأنه ولا من صغر والفرق بين مقام سره وعقله وقلبه ونفسه أن مقام سره ﷺ هي الحقيقة المحمدية التي هي محض النور الإلهي التي عجزت العقول والإدراكات من كل مخلوق عن إدراكها وفهمها ثم ألبست هذه

الحقيقة المحمدية لباسا من ألأنوار الإلهية واحتجبت بها عن الوجود فسميت روحا ثم تنزلت بألباس أخرى من الأنوار الإلهية واحتجبت بها فكانت بسبب ذلك تسمى عقلا ثم تنزلت بألباس أخرى من الأنوار الإلهية واحتجبت بها فسميت بذلك قلبا ثم تنزلت بألباس أخرى من الأنوار الإلهية احتجبت بها فكانت بسبب ذلك تسمى نفسا انتهى والله تعالى الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثاني والأربعون

المقاصد التي تبنى عليها الأذكار اللا زمة للطريقة فقط

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق اعلم أنه ما من ذكر من أذكار هذه الطريقة اللازمة وغيرها إلا وله مقصد بني عليه ذلك الذكر ومنها ما يكون له مقاصد متعددة ومرادنا أن نذكر منها ما لا بأس بذكره والمانع من كتب الكل خوف إفشاء الأسرار الإلهية إذ لا يؤمن أن يقع الكتاب على يد شياطين الإنس والطلبة الكذبة الفجرة الدجلة الظالين الذين يدعون أن لهم الإذن فيما ليس لهم فيه من علم فيعطونها من لا علم لهم بحالهم فيصدقهم اغترارا بمقالتهم فيستعمله على ذلك المقصد فيهلك أو يستعمله الجاهل بحقيقة

الأمر من غير ادعاء إذن فيتعب نفسه من غير أن يحصل على طائل وغايته سلامته من الطعن وإذا تقرر هذا فاعلم أن المقصد هو ما يحصل به القاعدة التي عليها بناء الذكر ويختلف باختلاف الأذكار وهو آكد شروط الذكر وألزمها لأنه الذي عليه يجري معنى الذكر لأن الذكر يدور على اللسان ليؤثر معناه اتصافا في النفس بما يقتضيه المعنى فإذن لابد من إحضار قصد بين يدي الذاكر يبنى عليه الفكر تدبر المعنى الذكر وبحسن تلمح الفكر معنى القصد أثناء الذكر تكون قوة التأثير في النفس وأهل التمكين في هذا الطريق لا تخلو حركة من حركاتهم

ولا سكنة من سكناتهم عن قصد يتوجهون بمعناه إلى الله تعالى فلا أقل لهم من تواصل معنى قصد الذكر بأبلغ ما يمكنهم وكذلك سائر العبادات. روي عن طاووس أنه سئل منه الدعاء فقال: لك أجد له قصدا لأن المقاصد من أرواح الأعمال ولا يستقيم عمل لا روح له ثم اعلم أن مقاصد الأذكار تختلف باختلاف المنازل والمقاصد من الأذكار كالأرواح من الأجساد وكالمعاني من الألفاض وهي أساس ألأذكار عليها بناء الذكر وإليها يرجع عند حضور الفكر ومن صفحات معناه تتلمح الثمرات ومن تلقائه تهب نواسم الأسرار والبركات ومن أغمي عليه في معنى

قصده خاب مسعاه وبعد مأواه أهـ ملخصا انظر بغية السالك. وإذا تمهد هذا فاعلم أن مقاصد الأذكار اللازمة للطريقة ظاهرة واضحة لمن تأمل كيفية قراءة الورد والوظيفة والذكر الذي يفعل بعد عصر يوم الجمعة من حين ابتداء قراءتها حتى تختم وذلك أن العبد لا يخلو غالبا من أقوال وأفعال واخلاق وأحوال توجب له من ربه نقصا أو شكا أو لوما أو ذما أو إبعادا ولما كان الغالب على العبد ما ذكرنا كان مطلوبا بالتوبة والاستغفار من كل ما يخل بالعبودية ويوجب الشين على العبد ويمنعه التطهر من الأخلاق والأوصاف البهيمية والطبيعية

النفسانية والاتصاف بالصفات المحمودة من صفت الملائكة والروحانيين والنبيين ولما علم أن الذي طلبه بما ذكر هو ربه المتصف بالعظمة والجلال علم أن هذا لا ينبغي لعاقل أن يعبده لطلب الحظوظ والغراض وإنما ينبغي له أن يعبد الله عز وجل لأجل الله سبحانه وتعالى ولإرادة وجهه وامتثال أمره بعبادته ولأداء حق العبودية وللقيام بحق الربوبية ولتعظيمه وإجلاله ومحبته وحياء منه أن يراه تخلف عن أمره وشوقا إليه وشكرا لنعمه وابتغاء مرضاته مع الاعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها وسكون ذلك في القلب ما دام في قيد

الحياة مع إقراره بأنه إن رزقه الله تعالى عبادته أنه لا يدوم له ذلك إلا إذا أمده الله بإدامته وأعانه بمعرفة منه ثم يتبرأ من حوله و قوته ويعترف أن العزم على ذكر ربه قبل الشروع منه محض موهبة وإنعام وتوفيق من الله تعالى ثم يستعين بالله تعالى على الشروع منه في مقصد الأذكار التي هي الورد والوظيفة والذكر الذي يفعل بعد العصر يوم الجمعة ثم يقول بلسانه مستحضرا معنى ما يقول في قلبه: اللهم إني نويت بتلاوة هذا الورد تعظيما وإجلالا لك وابتغاء مرضاتك وقصدا لوجهك الكريم مخلصا لك من أجلك وأقول بإمدادك وعونك

وحولك وقوتك وبما وهبتني من إنعامك وتوفيقك مستعينا بك ثم يقرأ فاتحة الكتاب إلى آخرها بأن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة ويقول: آمين وفي ذلك من الأسرار ما لا يحيط به إلا الله تعالى ولا ينبغي لنا إفشاء ما علمنا منه وها نحن نكتفي بذكر قليل مما لا بأس في ذكره فنقول: إن في قراءة الفاتحة مقاصد الأذكار اللازمة أولها أن العبد لما كان الضعف والعجز والذل والافتقار وعدم الحول والقوة من أوصافه الذاتية وأن القدرة والحول والقوة والمعونة والتوفيق

للقيام بأمر الله واجتناب نهيه من الله وأن الشيطان مسلط على العبد لا حيلة للعبد في النجاة منه إلا بالله تعالى بدأ بالاستعاذة بالله تعالى وبذكر البسملة فلما علم أن ربه جل وعلا تفضل عليه بالعزم الماضي والحزم النافذ بادر بالحمد لله والثناء عليه كما هو أهله ولا يحمده أحد ويثني عليه بمثل فاتحة الكتاب، ثم أنه لما قال: الحمد لله رب العالمين قوي رجاؤه على تبرئه مما سوى الله تعالى حين ألهمه الإقرار بقلبه والنطق بلسانه أن لا يستحق الحمد إلا مولاه لأنه هو المنعم بإيجاده أولا وبالتفضل في خلق الإيمان فيه

ثانيا وبتوفيقه إلى النهوض إلى هذه العبادة ثالثا، ثم أنه لما قال: الرحمن الرحيم ازداد رجاؤه قوة ورسوخا في قلبه وازداد فرحا وسرورا بهذا المنعم الكريم، ولما قال: ملك يوم الدين كادت نفسه تزهق وتصير ترابا وتطير لما امتلأ قلبه من هيبة عظمة هذا الملك ولما تحقق له هذا المشهد خضع لربه وذل وتبرأ من سواه بقوله: إياك نعبد وازداد تذللا وتصاغرا لمولاه بطلب المعونة منه لعلمه بأنه لا يقوى على عبادته إلا به لأنه هو الفاعل والموفي بقوله: وإياك نستعين، ثم أنه لما امتثل قول مولاه جل وعلا: {يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة} وقدم الوسيلة إليه بجميع ما تقدم شرع في السؤال من الله تعالى أن يرزقه نيل ما يطلبه من مولاه الكريم لأنه هو المقصود الأعظم الذي كان بصدده وهو سلوك الطريق المستقيم الذي يوصله إلى ما وصل إليه الذين أنعم عليهم مولاهم الكريم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون والعدول عن طريق الفرق الضالة من هذه الأمة وغيرها والوصول إلى هذا المطلب البر هو المقصد الأعظم من الذكر بقوله: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، ثم أنه لما علم أن

المتنجس بالأدناس والرذائل لا يصلح له الوقوف بباب الملك فضلا عن الدخول فالخدمة له

أولى وأحرى وأنى طمعه في دخول مداخل الخاصة سوء أدب وجراءة على الملك وعلم أن اللائق بصاحب هذا الحال ما يطهره ليصلح للخدمة وعلم أيضا أنه لا بد له من الوسيلة والوسيلة لا يجترئ على توصيله وهو متلطخ بالنجاسة وعلم أن التطهر من تلك النجاسات لا يحصل إلا بالتوبة والاستغفار شرع في الاستغفار بقوله: استغفر الله، ثم إنه لما أكمل من الاستغفار ما كان اجتناه قوي رجاؤه على أنه قد يصلح الآن للوقوف بين يدي سيده وخدمته ولكنه في خوف

شديد ووجل عظيم لما علم من عظمة هذا الملك وكبريائه وعلو شأنه وكونه مختارا يفعل ما يشاء ولما علم ذلك خاف من الاستبداد بنفسه والاستقلال بأمره لأن مثله لا يستحق بذلك إلا الطرد والإبعاد من الملك وهذا والعياذ بالله تعالى هو الذي كان يخاف أن يلحقه من جناب سيده، ولما علم أنه هو وجميع الخلق في هذا الميدان على حد سواء رجع إلى التوسل إلى الله تعالى برسوله الذي هو وسيلة جميع المخلوقات إليه تعالى في جميع التوجهات والمطالب لعلمه بعلو مقداره عند الله تعالى وشفوف مرتبته لديه وعلو اصطفائه على جميع خلقه وعلمه
بأن الله تعالى لا يقبل العمل من كل عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجه إليه دون التوسل به ﷺ معرضا عن كريم جنابه ومدبرا عن تشديد خطابه كان مستوجبا من الله غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد وضل سعيه وخسر عمله ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به صلى الله تعالى عليه وسلم وامتثال شرعه وهذا الذي ذكرناه هنا يكفي مقصدا في الصلاة على النبي ﷺ لمن علمه بقلبه ولم ينطق به بلسانه إذا كان مستحضرا ذلك من أول الورد إلى
الختم مع أن المقصد الذي ذكرناه أولا يكفي لمن أراد الشروع في الأوراد اللازمة من غير تفصيل وإذا نطق به وقت الشروع بلسانه مستحضرا معناه في قلبه يكفيه في الورد والوظيفة والذكر الذي يفعل بعد عصر يوم الجمعة ولكن إذا أردت أن نزيدك مقصدا واحدا للصلاة على النبي ﷺ لرغبتك فيه فقل بلسانك مستحضرا معناه في قلبك: اللهم إني نويت أن أتقرب إليك بالصلاة على رسولك الكريم ﷺ عبادة وتعظيما وابتغاء مرضاتك ومرضاة رسولك الكريم ومقصدا لوجهك العظيم لك من أجلك مخلصا لك وأنت الذي مننت عليّ

بهذا وتفضلت به عليّ لبيك اللهم وسعديك والخير كله بيديك اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد إلى آخره. ثم إنه لما توسل إلى الله تعالى بسر خليقته وعروس مملكته وزين بريئته وسيد أهل المعرفة

واتخذه مسايرا له في طريقه وإماما له في حضوره وغيبته صلى الله تعالى عليه وسلم ما قسم الله تعالى على قدر حاله ومقامه وأمره ﷺ بقدر ما كان وردا له في ذلك المجلس واكتسب من أنوار هذا النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم من الأسرار والأنوار والأحوال والأخلاق والعلوم بقدر حاله ومقامه ما يزداد به إيمانا وطهارته

ويقينه وإخلاصه وحبه في الله تعالى واستغراقه في التوجه إليه والتبري من سواه ليكون بذلك صالحا به التوجه إليه بذكر الكلمة المشرفة لأنه ﷺ أكرم على الله تعالى من أن يتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم متوسل إلى الله تعالى وكان صادقا أن يخيب الله تعالى له أمله ويضيع سعيه أراد أن ينتقل إلى ذكر الكلمة المشرفة ولما علم أن من استغرق في ظهرها ربما ظهر له الشيطان ويقول له: أنا ربك أو يظهر له اللعين صورة من الصور ويقول له: إن الذي رأيته هو ربك وتخيل نفسه شيئا في الخيال أو في نظره فيظن أنه ربه

قدم قبل الشروع مقصدا فيها بهدم جميع ذلك ويكون ذلك المقدم بين عينيه لا يغفل عنه إذا اعتراه في أثناء الذكر وهو هذه الآية الشريفة: {سبحان ربك رب العزة عما يصفون} ثم أردف ذلك بالسلام على جميع إخوان هذه الوسيلة وهم جميع الرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم إمامنا ونبينا ووسيلتنا إلى ربنا لكنا لما كنا مأمورين بالإيمان بهم وعدم التفريق بين أحد منهم ومأمورين بتعظيمهم كان علينا أن نعظمهم ونسلم عليهم ولا شك أننا نستمد منهم ما يزيدنا قوة وثباتا وانشراح صدر لذكر هذه الكلمة

الشريفة ومع ذلك أننا ما سلمنا عليهم بانفرادهم بل على نبينا ﷺ وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ليكون استمدادنا منهم تابعا لاستمدادنا منه ﷺ لما علم أن التوفيق إلى التوسل إلى الله تعالى به ﷺ وبالصلاة عليه ﷺ وبالسلام عليه وعلى جميع الرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم وأن جميع ما حصل من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومنهم عليه وعليهم من الله تعالى أفضل الصلوات وأتم التسليمات من الإفراد محض منة من ربه المنان رجع إلى حمده

تعالى وحده بقوله: {والحمد لله رب العالمين} ولما اكتسب بفضل الله تعالى من جميع ما تقدم الصلاحية لذكر الكلمة الشريفة شرع في ذكرها بقوله: لا إله إلا الله ثم إنه لما حصل له شهود الاستغراق في شهود المذكور وعلم أنه لا يثبت للاستغراق بشهوده تعالى على الوجه الأكمل إلا

الذي توسل به إلى الله تعالى وهو سيدنا مُحَمَّد ﷺ وأن الله تعالى لا يقبل عملا من عامل إلا بالتوسل به ﷺ وإن شكر الواسطة هو الوجه الأكمل لأنه هو الجامع بين الشريعة والحقيقة وأنه وإن رجع إليه صلى الله تعالى عليه
وسلم يستمد منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يزيده قوة وثباتا على دؤب الاستغراق بشهوده تعالى رجع إلى الإقرار بالرسالة له صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله في المرة الأخيرة من ذي الكلمة الشريفة: مُحَمَّد رسول الله ولما علم أن إشراكه رسول الله ﷺ مع الرسل في السلام المتقدم ما يوفي ما لرسول الله ﷺ من الحقوق سلم عليه ﷺ خاصة بقوله: عليه سلام الله ثم إنه إن كان في الوظيفة يزداد رجوعا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه هو البرزخ الأعظم بينه وبين الحق

بل وبين جميع المخلوقات والحق لعلمه أن جميع ما ناله من الله تعالى من الخيرات إنما ناله بتوسله إلى الله تعالى به ﷺ بل لولا ظهور رسول الله ﷺ فيه وسراية روحانيته ﷺ في ذاته وأعضائه وروحه بما وجد فضلا من أن يؤمن فضلا من أن يذكر فضلا من أن يقبل ذكره بل رسول الله ﷺ هو الذاكر لله تعالى والمتوجه إليه والمصلي على نفسه والعابد لله تعالى في ذوات جميع الذاكرين والمتوجهين والمصلين عليه ﷺ والعابدين لأنه ﷺ هو
روح رحم به جميع الوجود وبه بقاء الوجود وبه جميع ما نالوه من الخيرات الدنيوية والدينية والأخروية وهو أصل المخلوقات كلها ومنه وجدت كما تقدم ولما علم جميع ما تقدم رجع إلى شكر المنعم بشكر الواسطة بمدحه بالصلاة عليه ﷺ بصلاة جمعت بين مدحه ﷺ وبالصلاة عليه ﷺ بقوله: اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية إلى آخره ولا شك أن الصلاة عليه ﷺ بمدحه بأنه هو عين الرحمة الربانية فيه إعلام بأن الذاكر لما ختم ذكره بهذه الصلاة كان من أكمل الرجال
لأنه جمع بين الشريعة والحقيقة حيث امتثل أمر مولاه بالصلاة عليه ﷺ وبالتوسل به إلى مولاه أيضا وبشكره ﷺ حيث كان ظهوره وخلقه وبعثه وكونه لنا رحمة ومع ذلك إنما نسب الرحمة إلى الرب لأنه هو الراحم حقيقة ثم أنه لما ختم العدد الذي يقرؤه من جوهرة الكمال صار كأنه يسمع هاتفا من الهواتف الحقية يقول له: احذر يا عبدي أن يقع في وهمك أنك وفيت شيئا من

حقوق نبيي ورسولي وسر خليقتي بهذه الصلوات التي صليت بها وأنه ينتفع بها فأنا بعظمتي وجودي وسعة ملكي وغناي وملائكتي الكرام نصلي عليه

فلا يحتاج مع ذلك إلى صلاتك ولا إلى صلاة غيرك وإنما أمرتك بالصلاة عليه لتكون مقبولا عندي ببركة توسلك به إلي فأجابه الذاكر بسرعة ليعلم نفسه بما خوطب به بقوله: {إن الله وملائكته يصلون على النبيء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} فأجاب فورا بقوله: صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ثم صار كأنه يسمع هاتفا من الهواتف الحقية يقول له ثانيا: وإذا كان في مخلوقاتي من صار لمكانته عندي وعلو شأنه لديّ وحبي فيه غنيا عن جميع خلقي وجميع خلقي محتاجون إليه فكيف بربه الذي له الألوهية والربوبية واحذر يا عبدي أن تنسب لي شريكا أو شبيها أو افتقار إلى عبادتك أو إلى شيء ما ولذلك أجاب فورا بقوله: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، ولما بلغ به الأمر إلى هذا الحال صار كأنه يسمع هاتفا من الهواتف الحقية يقول له: اعلم أيها العبد أنك لو ارتقيت إلى ما عسى أن ترقى إليه من مقامات القرب والدنو والوصول إلى حضرة الحق تعالى لا تكون عنده مقبولا ولا تسلم من المصائب الدنيوية والدينية والأخروية إلا بالتوسل برسله إليه لأنك ما سلمت من الشرك وغيره إلا ببركتهم واتباع ما أتوك به منه وحيث كان الأمر كذلك فسلم عليهم تعظيما لهم لتعظيم الحق تعالى وإياهم وذلك يستدعي تسليم الحق تعالى عليك لأن عنايته برسله توجب أن يعتني بمن عظمهم ونفع تسليمك عليهم عائد إليك لا إليهم لأن تسليمك عليهم لا يزيدهم فأجاب هذا الهاتف بقوله: وسلام على المرسلين، ولما بلغ به الأمر إلى هذا الحال صار كأنه يسمع أيضا هاتفا من الهواتف الحقية يقول: اعلم أن نعمة بعث الرسل إليك وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة التي أسبغها الحق تعالى عليك وعلى غيرك منه تعالى وحده فاحمده وحده كما أنه هو المنعم وحده ليس بيد غيره نفع ولا ضر ولا جلب ولا دفع في العاجل

والآجل فأجاب هذا الهاتف بقوله: والحمد لله رب العالمين. ولما كان ذكر الكلمة الشريفة هو المقصود الأعظم من الأذكار لأن الاستغراق بشهود المذكور لا يحصل للعبد إلا إذا حصل له التوحيد الحقيقي ولا شيء يثمر للعبد التوحيد الحقيقي مثل ملازمة ذكر الله تعالى على الدوام والكلمة الشريفة أفضل الأذكار لأن ثمرات الأذكار مجموعة في ذكر الفرد.

وفي التسهيل لابن جزي بتقديم بعض كلامه وتأخير بعضه: واعلم أن الذكر أنواع كثيرة فمنها

الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والتهليل والتسبيح والتكبير والتحميد والحوقلة والحسبلة وذكر كل أسماء الله تعالى، أما الاستغفار فثمرته الاستقامة على التقوى والمحافظة على شروط التوبة مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة، وأما الصلاة عليه ﷺ فثمرتها شدة المحبة فيه والمحافظة على اتباع سنته، وأما التهليل والتوحيد أعني التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التسبيح فثمرته

ثلاث مقامات وهي الشكر وقوة الرجاء والمحبة فإن الحسن محبوب لا محالة، وأما الحوقلة والحسبلة فثمرتها التوكل على الله تعالى والتفويض إلى الله عز وجل والثقة بالله سبحانه، ثم إن ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قوله: الله الله فذلك هو الغاية وإليه المنتهى، وإذا كان الأمر هكذا فاعلم أن الذكر الذي يقرأ بعد عصر يوم الجمعة مقاصدا تحوي أسرارا لا يمكن لي ذكرها كلها ولكني أذكر منها ما يمكن ذكره أولها أن ينوي الذاكر شكر الله تعالى على ما أوفقه من النهوض إلى ذكره ويسر له إتمام ما

التزمه من الأذكار اللازمة ستة أيام فإذا فرغ من الستة يتعوذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم ثم يستعين بالله تعالى على الشروع في الذكر وفي إتمامه على وجه يرتضيه ربه المحسن إليه قائلا: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}، وثانيها أن ينوي بالاستغفار ثلاث مرات الطهارة من الذنوب والاستقامة على التقوى والمحافظة على شرط التوبة، وبالصلاة على النبي ﷺ ثلاث

مرات العبودية لله تعالى والتعظيم له ولابتغاء مرضاته، وثالثها أن يستحضر في قلبه ويتلمح بنظره إلى النبي ﷺ وهو الشيخ الحقيقي لأنه ﷺ هو الذي سن تلقين هذه الكلمة الشريفة كما تقدم لأنه ﷺ لقنها عليا وهو ﷺ قال ثلاث مرات لا إله إلا الله وعلي يسمع ثم أنه ﷺ أمر عليا رضي الله تعالى عنه أن يقولها ثلاث مرات وهو ﷺ يسمع، فإذا علم الذاكر هذا الأصل كان الاستغفار ثلاث مرات والصلاة على النبي ﷺ

كذلك مذكورين له هذا الأصل فإذا تذكره صار كأنه ينظر إلى رسول الله ﷺ فلما حصل له هذا الشهود وعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الواسطة على الحقيقة وشكر الواسطة مطلوب شرعا علم أن أحدا لا يشكره بأفضل من الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم تلا الآية

الشريفة بقوله: {إن الله وملائكته يصلون على النبيء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} لتكون تلاوته إياها مذكرة له بتعظيم الله تعالى نبيه ﷺ وأجاب بسرعة: صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ورابعها أن

يقصد بذكر الكلمة الشريفة تنزيه الحق عن كل ما لا يليق بجلاله وعلوه وعظمته وكبريائه ولما علم أن الحادث عاجز عن معرفة القديم فضلا عن أن ينزهه التنزيه الذي يليق به قال: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، ولما كان علم الذاكر أن توحيد الحق تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص لم يحصل له إلا من تبليغ الرسل ذلك من ربهم عمم السلام على جميعهم بعد تخصيص سيد الخلق به عليه وعليهم من الله تعالى أفضل الصلاة وأتم التسليم بقوله: وسلام على المرسلين، وخامسها أن يكون مقصود الذاكر بذكر الكلمة الشريفة أيضا قطع العلائق والعوائق التي تصده عن الإقبال إلى مولاه والتدبير عن كل ما سواه وذلك لمعرفته أن ما سوى الحق تعالى مملوك ومقهور لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا جلبا ولا دفعا وأن الخير دنيا وبرزخا وأخرى بيد الحق تعالى وكل ما سواه عاجز ومفتقر إليه على جميع الأحوال ولما علم هذا استراح عما كان يجده من الاشتغال بسوى ربه ورجع إلى مولاه وشكره على ما أولاه من تعليمه فإنه لا يستحق أن يحب لذاته سواه ولا أن يحمد من عداه فضلا عن أن يعتمد عليه أو يعبده بقوله: والحمد لله رب العالمين ولما تم الفرح بمولاه واستغرق في حبه واستولى عليه
سلطان محبته وسرت في جميع عوالمه روحا وعقلا وقلبا وقالبا حسا وعنا فكرا وخيالا شرع في ذكره بقوله: لا إله إلا الله واستمر على الذكر فإذا حصل له الاستغراق في مشاهدة المذكور ترك النفي واكتفى بالإثبات بقوله: الله الله إلى آخر المجلس، وسادسها أن يعلم أن المقصود الأعظم من هذا الذكر وتكثيره تعظيم يوم الجمعة لأن الله تعالى عظمها وتعظيم ما عظمه الله تعالى واجب ويشهد لما ذكرناه ما رواه الإمام أحمد وأبو داوود وابن ماجه وابن حبان عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ:" من أفضل أيامكم

الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي " وما رواه بن ماجه بإسناد جيد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:" أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة " وتعظيم الأزمنة والأمكنة التي عظمها الله تعالى إنما هو بزيادة العبادة وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي

الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون برمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة
في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة قال ابن أبي جمرة في بهجة النفوس: والكلام عليه من وجوه منها أن فيه دليلا على تعظيم شهر رمضان يؤخذ ذلك من كثرة نزول جبريل عليه الصلاة والسلام فيه لتدريس القرآن إلى أن قال: وفيه دليل علما أن تعظيم الأزمنة التي عظمها الله تعالى والأمكنة إنما هو بزيادة العبادة فيها يؤخذ ذلك من فعل جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ الذي كان في كل ليلة يدارسه القرآن وما ذاك إلا لينبه الأمة على
كيفية التعظيم له وقد قال ﷺ فيمن قامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قال: فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرأ صائم أو كما قال ﷺ وقال الله عز وجل في حق الأشهر الحرم تعظيما لها: {منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم} وعدم الظلم يتضمن الإحسان وهو زيادة العبادة وإذا تحرر هذا وفهمته فاعلم أنما يذكره المنفرد من الكلمة الشريفة في الورد اللازم الذي يذكر صباحا ومساء وفي الوظيفة مرة واحدة في كل يوم من الأيام الستة التي هي السبت والأحد والإثنين

والثلاثاء والأربعاء والخميس ألف وثمانمائة وهذا العدد بعينه هو الذي يذكره المنفرد منن الكلمة الشريفة تذكر ثلاثمائة مرة في كل يوم مائة في ورد الصباح ومائة في ورد المساء ومائة في الوظيفة وإذا ضربت ثلاثمائة في ستة يحصل لك ثمانية عشر مائة وهي ألف وثمانمائة مرة والمنفرد يذكر الكلمة الشريفة ثلاثمائة مرة يوم الجمعة من غير ما يذكر منها بعد عصر يوم الجمعة مائة في ورد الصباح ومائة في ورد المساء ومائة في الوظيفة ويذكر منها بعد عصر يوم الجمعة ألفا وخمسمائة فإذا جمعت ما ذكرنا يحصل لك ألف وثمانمائة مرة وبهذا
البيان تعلم أن المنفرد يذكر من الكلمة الشريفة في اليوم الشريف الذي هو يوم الجمعة قدر ما ذكره منها في الأيام الستة كلها وإذا فهمت هذا علمت أن الشيوخ من أعظم نعم الله التي أنعم الله تعالى بها على التلاميذ وأنهم من أعظم جنود الله تعالى يسوق بهم المريدين والطلبة إلى حضرته تعالى إذ لولا الشيخ ما قدر أحد أن يلتزم بنفسه على نفسه فعل هذا الخير والدوام عليه على هذه الكيفية العجيبة وتعلم أيضا أن هذه الزيادة إنما هي تعظيم لهذا اليوم فإذا كان هذا المنفرد

هكذا فما ترى المجتمعن لذكرها وكانوا جماعة كثيرة يحصل
لكل واحد منهم ثواب ذكر رفيقه وأسراره وأنواره وإذا كان هذا في الأذكار اللازمة وفي الورد اللازم وفي الوظيفة اللازمة فماذا ترى في تلك الأذكار التي تذكر بالإذن الصحيح ولم تكن لازمة وإذا كان هذا في نهارها فماذا ترى فيمن يحيي ليلها بصلاة الفاتح لما أغلق بالإذن الصحيح ولم تكن لازمة مع ما اشتملت عليه الصلاة من الفضائل التي تقدم ذكرها في فصل فضائل الأذكار اللازمة، وسابعها أن يعلم أنه ينبغي للذاكر أن يقصد بهذا الذكر الواقع بعد عصر هذا اليوم الشريف شكر مولاه الذي امتن عليه بإيجاده في آخر هذا اليوم الشريف

حين أوجد أبا البشر آدم عليه السلام فيه ولم يزل مولاه الكريم يحفظه بحفظ أصوله وينقله من أصل إلى أصل حتى أخرجه من اصله القريب سالما وحفظه حتى امتن عليه بمحض فضله بالإيمان به وبرسله وبكل ما بلغوا عنه تعالى. قال في لباب التأويل: قال أصحاب الأخبار
والسيروالتواريخ: إن الله عز وجل خلق التربة التي هي الأرض بلا دحو ولا بسط في يوم الأحد والإثنين ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات في يومين هما الثلاثاء والأربعاء ثم دحا الأرض وبسطها وطحاها وأخرج منها ماءها ومرعاها وخلق دوابها وحشيشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة آخر ساعة من ساعات الجمعة وقال بعد كلام: وقيل إن أول ما خلق الله تعالى القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق إلى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السماوات وما فيهن من نجوم وشمس وقمر ثم مد الأرض وبسطها من التربة التي خلقها ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق في ساعة من ساعات يوم الجمعة أهـ.
وثامنها أن يعلم الذاكر أن الله تعالى تاب على أبيه آدم في هذا اليوم وفي هذه الساعة من ساعاته لرجوعه إلى ربه بالإقرار بالربوبية وتذلله بين يديه بقوله: {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين} فبيّن تعالى أنه تاب عليه بقوله تعالى: {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم} وهذا السر العظيم من الأسرار التي جعل هذا الذكر من أجلها في هذه الساعة وفي هذا اليوم ولا أحد يرجع لمولاه بأفضل من هذه الكلمة الشريفة فمن رجع إليه بها في هذا اليوم وفي هذه الساعة من أولاده تاب

عليه مولاه وإذا فهمت هذا فلا غرو أن يحذو الفتى حذو والده. وفي السراج المنير عند قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة} روى مالك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله تعالى يوم المزيد"، وتاسعها أن هذا اليوم عيد عظيم لهذه الأمة الشريفة ويوم العيد يكرم فيه الناس بألوان الأطعمة والأشربة وهذا العيد يكرم فيه المؤمنون بزيادة الأنوار والأسرار

والمعارف والأحوال السنية والأخلاق الزكية وهذه الساعة الشريفة التي يذكر فيها أهل هذه الطريقة الشريفة هذه ساعة من ساعاته ولا شك أن الله تعالى يزيد أهل هذه الطريقة في الساعة عند ذكر هذه الكلمة من الخيرات زيادة لا يعلم قدرها إلا الله تعالى لأن هذا اليوم الشريف يسمى يوم المزيد. وفي السراج المنير أيضا عند قوله تعالى: {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة} وروي أنه ﷺ قال: "أتى جبريل وفي كفه مرآة بيضاء قال: هذه يوم الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك وهو سيد الأيام عندنا ونحن

ندعوه يوم القيامة ويوم المزيد" وفي آخر حديث مالك المتقدم أخرجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قريبا: "وهو عند الله تعالى يوم المزيد" وعامره أن يعلم أن من جملة الأسرار التي جعل لأجلها ذكر هذه الكلمة الشريفة لأهل هذه الطريقة في هذه الساعة العظيمة أن القيامة تقوم يوم الجمعة في هذه الساعة ليعمر أهل هذه الطريقة هذه الساعة التي تقوم فيها القيامة بذكر هذه الكلمة الشريفة التي هي كلمة الشهادة فتشهد لهم الساعة والكلمة والحفظة والطلبة والبقعة غدا عند ربهم أنهم من أهل التوحيد والإيمان بربهم وبلقائه

المعتنين بأمره وتلك الساعة تنجيهم إن شاء مولاهم الكريم من أهوال ذلك اليوم وشدائده وغضبه وعقابه وتوجب لهم الرضوان الأكبر من مولاهم في دار رضوانه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مع فائدة أخرى تحصل لهم في هذه الدنيا وهي أن المعرفة بأنها هي الساعة التي تقوم فيها القيامة تعينهم على الحضور عند ذكر الكلمة الشريفة والاعتناء بتدبير معانيها وفهم أسرارها وحقائقها والعمل بمقتضاها تخليا وتحليا وتخلقا وتحققا وتعلقا.

قال في السراج المنير عند قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة}:

فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله تعالى يوم المزيد. وفي السراج المنير أيضا عند قوله تعالى: {فقضاهن سبع سماوات في يومين}: قال أهل الأثر: إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والإثنين وخلق سائر ما في الأرض يوم الثلاثاء والأربعاء وخلق السماوات وما فيها يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة يوم الجمعة وخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم القيامة فيها، ومما يؤيد ما

ذكرنا أن السيوطي قال في حاشيته على صحيح مسلم: قال القاضي الظاهر أن هذه القضايا المعدودة ليست بذكر فضيلة لأن إخراج آدم من الجنة وقيام الساعة لا يعد فضيلة وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام وما سيقع بتأهب العبد بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله تعالى ودفع نقمته. وقال ابن العربي في الأحوذي: الجميع من الفضائل وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود هذه الذرية وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء ولم يخرج منها طردا بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل ثواب

النبيين والصديقين والأولياء وغيرهم وإظهار كراماتهم وشرفهم انتهى. وبهذا تعلم أن وقوع هذا الذكر في هذه الساعة واقع موقعه لأن من وفقه الله تعالى لتعمير هذه الساعة بهذه الطاعة كان من الفائزين السابقين يوم القيامة. قال في لباب التأويل: اتفق البخاري ومسلم في التخريج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا وبعد

غد للنصارى" وفي رواية: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله تعالى عليهم فاختلفوا فهدانا الله تعالى" زاد مسلم: "له يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد". وأخرج مسلم عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أضل الله تعالى عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله تعالى بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد كذلك هم

تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق". وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "نحن الآخرون الأولون يوم

القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله تعالى لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه هذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله تعالى يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى" اهـ.

قال السيوطي في الديباج في حاشيته على صحيح مسلم: نحن الآخرون في الزمان أي في الوجود ونحن السابقون أي في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم اهـ. فقد اتضح لك مما تقرر أن إيقاع هذا الذكر في هذا اليوم المبارك وفي هذه الساعة المباركة واقع موقعه فجزى الله تعالى عنا سيدنا مُحَمَّدا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي رتب هذه الأذكار لسيدنا أحمد رضي الله تعالى عنه ولقنه إياها وجعلها له صلى الله تعالى عليه وسلم في الساعات الشريفة التي منها هذه ما هو أهله، وحادي عشرتها أن يعلم أن نيل جميع
أسرارها هذا الذكر وثمراته منوط باتصاله للغروب وكيف لا وقد ورد في بعض الأحاديث:
الساعة التي يستجاب فيها الدعاء هي آخر ساعة بعد العصر. وفي الإبريز: قال أبو داوود عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال:" يوم الجمعة ثنتا عشرة يعني ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئا إلا آتاه فلتمسوا آخر ساعة بعد العصر قال عبد الحق في إسناده: الحلاج مولى عبد العزيز بن مروان وقد ذكره أبو عمر بن عبد البر بن عبد السلام بن حفص ويقال له ابن مصعب عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي رضي الله تعالى
عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" أن الساعة التي يحرى فيها الدعاء يوم الجمعة هي آخر ساعة من الجمعة أهـ وحينئذ فلا بد أن يقصد تعمير هذه الساعة بذكره هذه الكلمة الطيبة إلى غروب الشمس وأن يقصد بذلك وجه الله تعالى قصدا مجردا من جميع الشوائب وألأغراض والعوارض وتأبى همته أن تلتفت إلى شيء دون مولاه ويشير إلى ما ذكرناه كونه استفتح مجلس الذكر بقوله: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأول ذنب يستغفر العبد له الشرك والكفر وآخره أن يخطر في قلبه ما سوى مولاه فضلا عن أن يلتفت إليه

والذي يحمله على الاستغفار إذا التفت إلى غير مولاه علمه أن الخلق مخلوق مقهور مغلوب عاجز مفتقر لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا جلبا ولا دفعا في عاجله والتفاته إلى من شأنه هكذا عبث وسفه وهوس وجنون ورفع همته عمن هذه صفته إلا مولاه وخالقه القهار القادر الغني الذي خضع له كل شيء هو اللائق وعلمه أيضا أن جميع ما في الأرض مخلوق له فعلا

يشتغل به عن مولاه وعلمه أيضا أن أباه آدم عليه السلام اصطفاه هذا الخالق وفضله على جميع مخلوقاته التي ليست من جنس هذه النشأة الآدمية وأسجد له ملائكة قدسه وتفضل أبيه إنما هو

بالإشتغال بأمر خالقه فيه فبه استحق الخلافة فعلام يخالف أباه في الاشتغال بأمر الخالق ويشتغل بأمر المخلوق ويحط بذلك عن ميراثه الذي كان ينال من أبيه لو اتبع سبيله وإذا كان هذا منظره فلا غرو أن يحذو الفتى حذو والده ولما علم هذا كله وعلم أن الجمعة سيد الأيام لتعظيم الله تعالى إياه وترغيبه في تكثير الذكر في الساعات التي بعد صلاة الجمعة وهذه الساعة منها وتعليقه الفلاح بفعله لقوله تعالى: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون} علم بالضرورة أن الالتفات

إلى غير هذا الرب الكريم والمولى العظيم محض سفه وجنون فلذلك شرع في الاستغفار من كل ما يوجب الاشتغال عنه بسواه وقال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاث مرات ثم أتى بالصلاة عليه ﷺ ليكون دليلا له إلى مولاه الكريم وقال: اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الفاح لما أغلق والخاتم لما سبق إلى آخر ثلاث مرات ثم نبه نفسه على تعظيم الله تعالى نبيه مُحَمَّدا ﷺ فقال: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ثم امتثل أمر مولاه إياه

بتعظيم هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الوارد في هذه الآية الشريفة قال: صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ثم نزه مولاه عما لا يليق بتعظيمه وجلاله وكبريائه وعلوه وقال: سبحان ربك رب العزة عما يصفون ثم رجع إلى التوسل برسول الله ﷺ وبجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام بالسلام عليهم أن يشفعوا له عند ربهم أن يطهره من كل عيب وشين يوجب له الالتفات إلى غيره وقال: وسلام على المرسلين ثم حمد الله تعالى على ما ألهمه ووفقه لفعل ما تقدم وقال: والحمد لله لرب العالمين ثم ترقى إلى

الإقرار بالوحدانية له تعالى في أفعاله وأسمائه وصفاته وذاته ونفى الشركة والتشريك له في أي شيء ما وقال: لا إله إلا الله على قدر ما قدر الله تعالى له ثم أنه لما غاب عن وجوده ووجود غيره لاستغراقه في مشاهدة من كوره الذي هو مولاه من الله تعالى برده إلى التوسل بسيد أهل الحضرة لتكون واسطته صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين الحق مقوية على الثبوت لهذا

الشهود بقوله: مُحَمَّد رسول الله عليه سلام الله ولما حصل له بواسطته ﷺ قوة زائدة على ما حصل له قبلها انتقل من مقام النفي إلى مقام الإثبات لفاء
كل ما سوى الله تعالى عن نظره شهودا واعتذارا فقال: الله الله إلى منتهى ما قسم له في ذلك المجلس وبهذا تعلم أن المقصود الأعظم من هذا الذكر انتقال الذكر من رؤية الأكوان إلى الاستغراق برؤية المكون لأنه زبدة جميع الأذكار المتقدمة في الأيام الستة لما تقدم من أن ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا: الله الله هو الغاية وإليه المنتهى لأن الذي يكرر ويقول: الله الله يحث نفسه وسامعه علة ملازمة ذكره والجمع على مسماه سبحانه وتعالى بالرجوع إليه تعويلا واستنادا

واعتمادا وتوكلا والتجاء ومحبة وتعظيما واعتبارا في جميع الأمور بحيث لا يستند إلى أمر من الأمور إلا كان المطلوب من العبد الرجوع إلى الله تعالى فيه كان الذي يذكر هذا الاسم يقول: عليك بالله وإن شئت قلت: إن ذاكر هذه الكلمة كون اهتمامه في ابتداء أمره تطهير قلبه من الشرك بنفي الشريك لمولاه كأنه يقول لا معبود بحق سواه ثم انتقل إلى نفي التوهمات التي تعرض له من خوف مخلوق أو طمع فيه لأنه لا محيي ولا مميت ولا نافع ولا ضار إلا الله لا معطي ولا مانع إلا الله لا معز ولا مذل إلا الله ولا قابض ولا باسط إلا الله
تعالى إلى غير ذلك مما يطول ثم انتقل إلى نفي تعلقه بمحبوب له مع الله تعالى ونحو ذلك كأنه يقول: لا محبوب إلا الله تعالى لا مطلوب إلا الله تعالى لا مراد إلا الله تعالى لا مختار إلا الله تعالى أي لا أحد يستحق أن يحب أو يطلب أو يراد أو يختار لذاته من ذاته لأن يحب ويحمد ويشكر ويعبد ويتذلل ويخضع له ويخاف ويرجى ويعظم ويطاع ويحذر من مخالفته ولا يلتفت إلى غيره ولما انتقل إلى هذه الحالة صار كأنه يسمع هاتفا من الهواتف الحقية يقول له: ما مطلوبك؟ فأجاب بقوله: الله الله ثم إن الله تعالى لما تمم له ما قدر
أن يجري على لسانه من هذا الذكر ألهمه التعوذ من الشيطان الرجيم ليرده عن رؤية حوله وقوته فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولما رجع إلى مولاه واعترف بعجزه ألهمه تعالى حمده وشكره على ما منّ به وأسبغ عليه من النعم الظاهرة والباطنة التي من جملتها هذا الذكر الشريف وقال فرحا وسرورا بهذا المولى الرحيم المنعم الكريم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب

العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إلى آخره ولما شكر المنعم على الحقيقة رجع إلى شكر الواسطة ليجمع بين الشريعة والحقيقة وقال امتثالا لأمر مولاه: اللهم

صل على سيدنا مُحَمَّد الفاتح لما أغلق إلى آخره وقرأ هذه الصلاة ثلاث مرات للسر الذي سبق ذكره ثم قرأ ما يشير إليه إلى أنه إنما صلى على هذا النبي لتعظيمه وحبه وامتثال أمر مولاه حيث أمره بذلك وقال: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ثم لما علم أنه لا يكون مقبولا عند هذا الملك العظيم ولو بلغ في الاجتهاد في عبادته تعالى ما بلغ إلا بتعظيم هذا النبي الكريم والاجتهاد في تبجيل جنابه الجسيم وجاهه العظيم وإكثار التوسل به إلى ربه الرحيم رجع إلى الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم إعلاما بأنه امتثل أمر مولاه الوارد في هذه الآية الشريفة حيث عمل بمقتضاها قبل تلاوتها وبعدها فقال: صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ولما علم أن تنزيه الحق تعالى كما ينبغي لجلاله وكبريائه وعلوه وعظمته غير مقدور له إنما ينزه الحق تعالى على قدر معرفته به ومعرفة ذات الحق تعالى وصفاته وأسمائه على ما هي عليه غير مقدور له كما قال تعالى: {وما قدروا الله حق قدره} ومن رام أن يقف على حقيقة ذلك خسر دنيا وبرزخا وأخرى لذا توعد تعالى بقوله: {ويحذركم الله نفسه} رجع إلى أعلى المقامات وهو
الاعتراف بالعجز عن إدراك كنه ذاته وقال: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، ولما علم أن هذا العلم النافع إنما ناله بواسطة رسل الله تعالى رجع إلى السلام على جميعهم لعلمه بأن علم شكر الواسطة واجب شرعا قال: وسلام على المرسلين، ثم إنه لما علم أن الإنعام عليه بتوفيقه لفعل ما ينفع وصرفه عن فعل ما يضر الله تعالى وحده ترقى عن شكر الواسطة إلى شكر المنعم الحقيقي وقال: الحمد لله رب العالمين.

فإن قلت: فلم لا يكتفي الإنسان بعلم الباطن المسمى علم الحقيقة فيعمل بها حيث كانت هي المقصودة بالذات فلم يقدم على الظاهر المسمى بالشريعة التي هي الوسيلة فأي فائدة في إحرام الوسيلة والاستعمال بها والتوسل بها بعد حصول المقصود بالذات؟ قلت: اعلم وفقني الله تعالى وإياك لما يحبه ويرضاه أن علم الشريعة الذي هو علم الظاهر وسيلة إلى المقصود بالذات الذي هو علم الحقيقة كما ذكرت وعلم الحقيقة أفضل وأشرف منه إلا الانتفاع بعلم الحقيقة منوط باستصحاب علم الشريعة.

قال الشيخ أحمد بن المبارك في الإبريز أن شيخه عبد العزيز بن مسعود القطب رضي الله تعالى عنهما قال: إن علم الباطن إذا لم يكن معه علم الظاهر قل أن يفلح صاحبه، وقال أيضا أنه قال: إن علم الباطن بمثابة من كتب تسعا وتسعين سطرا بالذهب وعلم الظاهر بمثابة من كتب السطر المكمل مائة بالمداد ومع ذلك فإن لم يكن السطر الأسود مع سطور الذهب المذكورة لم تفد شيئا وقل أن يسلم صاحبها ثم قال لي مرة أخرى: إن علم الظاهر بمثابة الفنار الذي يضيء ليلا فإنه يفيد في ظلمة الليل فائدة جليلة وعلم الباطن بمثابة طلوع الشمس وطلوع
أنوارها وقت الظهيرة فربما يقول صاحبه: لا فائدة في هذا الفنار الذي في يدي قد أغناني الله تعالى بضوء النهار وعند ذلك يذهب عنه ضوء النهار ويعود إلى ظلام الليل فبقاء ضوء نهاره مشروط بعدم إطفاء الفنار الذي بيده وكم واحد زل في هذا الباب ولا يرجع له ضوء نهاره إلا إذا أخذ الفنار وأشعله مرة ثانية وقد يوفقه الله تعالى وقد لا يوفقه نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه اهـ.

قلت: وكم من متوسل به إلى مقصود فيحصل ذلك المقصود لطالبه ثم تكون طاعة الوسيلة والتزام واحترامه ودوام التوسل به شرطا في دوام ذلك المقصود الحاصل لطالبه وذلك كالرسل مع أممهم فلا شك أن المقصود الأعظم من بعث الرسل إلى الخلق تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم وأن المقصود الأعظم للذين صدقوا الرسل وآمنوا بالله تعالى وبكل ما جاءوا به عن الله تعالى أن تدلهم الرسل على الله تعالى وتجمعهم عليه حتى يحصل لهم العلم به تعالى ومعرفته ومعرفة رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وجميع ما اشتمل عليه
والإيمان بجميع ما يجب الإيمان به ومعرفة أحكامه التكليفية وكيفية التعبد بها ومعرفة ما يقرب إليه وما يبعد والعمل بمقتضاه وإذا حصل ما ذكر فقد حصل لهم المقصود بواسطة الرسل بينهم وبين ربهم إلا أن الانتفاع بما حصلوا مشروط منوط ببقاء توسلهم بالرسل إلى الممات ومتى انقطعت الواسطة بين أحد وبين الرسل يكفر في تلك الساعة والعياذ بالله تعالى.
وكذلك المريد من شيخه فإن المريد إذا انتهى سيره ووصل إلى الحضرة الإلهية ينفصم عنه شيخه مع أن فلاح المريد وانتفاعه بما حصل منوط ببقاء احترامه لشيخه وعدم مقاطعته واستهانته مع أنه قد زال تقيده بالشيخ وصار مستقلا بنفسه وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه إذا تأهل لذلك

تأهلا تاما كاملا لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه خسر في الحال نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه.

وسئل سيدنا سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كما في جواهر المعاني: هل غاية تولي الشيخ للمريد وصوله للحضرة الإلهية ثم ينفصم عنه؟ أو لا ينفصم عنه أبدا؟ فأجاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: اعلم أنه ينفصم عنه عند وصوله إلى مطالعة الحضرة الإلهية ولا يبقى عليه من ملاحظة الشيخ إلا تعظيمه واحترامه وإجلاله ومعرفة شفوف رتبته عليه فإنه إن قطع التلميذ نظره عن هذا في حق شيخه سلب وطرد اهـ وإذا فهمت ما قدمنا وتحقق فهمه لديك علمت حكمة قراءة هذه الأوراد على هذا الترتيب العجيب وكيف لا ونور الأنوار وسر الأسرار سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذي رتبها على هذه الكيفية العجيبة والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والسلام.

وأما المقصد الذي تختص به صلاة الفاتح لما أغلق فلا يمكن لنا كتبه بل نكتفي بالمقصد المتقدم الذي يعمها وغيرها ولكنا نتكلم بشروطها التي منها معرفة المقصد فنقول: شروطها عشرة أولها الإذن من القدوة أو لمن أذن له وثانيها أن يعتقد أنها من كلام الله تعالى وثالثها استحضار الصورة الكريمة بين يديه ورابعها أن يتلمح معنى الصلاة بقلبه وخامسها أن يعتقد أن الله تعالى ينوب عليه في الصلاة عليه ﷺ وسادسها أن يعتقد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم عين الذات وسر الذات وسر الموجودات وسابعها أن الله تعالى أقرب إليه من حبل الوريد وثامنها أن يستحضر معنى ألفاظ الصلاة وتاسعها القصد وهو تكون قوة التأثير في النفس وعاشرها أن ينوي عند إرادة الصلاة التعظيم والإجلال لله تعالى ولرسوله ﷺ لا لشيء آخر فمن صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه النية كانت المرة الواحدة من صلاته لو ضرب العالم في نفسه مائة ألف مرة وقسمت صلاته

عليهم لكفرت جميع ذنوبهم. قلت: وهذا المقصد لا يكتب في الأوراق وإنما يذكر مشافهة لمن حسن أدبه وراق ومن عرف هذا المقصد بلغ غاية القصد والحمد لله الذي منّ علينا بمعرفته.

وأما مقصد الذكر فهو هذا: {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} لبيك يا ربي وسعديك والخير كله في يديك وكل شيء منك وبك وإليك وأمتثل أمرك وأواصل ذكرك إفرادا وبك أستعين استنجادا فأقول بإمدادك: الله الله وهذا آخر ما أردنا ذكره من هذه المقاصد وبقيت مقاصد

أخرى لم تذكر لموانع قامت بنا في هذا الوقت ولعلنا نذكرها في وقت آخر إذا ارتفعت عنا تلك الموانع إن شاء الله تعالى والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثالث والأربعون

في بيان تسمية طريقتنا هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنفية التجانية.
فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن اسم طريقتنا هذه على هذا الترتيب على عدة أسماء إن شئت سمها بالطريقة الأحمدية أو الطريقة المحمدية أو الطريقة الإبراهيمية الحنيفية أو الطريقة التجانية إن قلت: لم سميتها بأسماء عديدة وغيرها من الطرق سميت باسم واحد قلت: سميت بأسماء كثيرة
لأن لها من الفضائل والخصائص ما ليس لغيرها لأن كثرة الأسماء دالة على فضل المسمى. قال في السراج المنير: ولها يعني سورة الإخلاص أسماء كثيرة وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى اهـ. وقال ابن أبي حمزة في بهجة النفوس: يحتمل أن تكون ـ يعني فاتحة الكتاب ـ سميت بأسماء خمسة لأن لها من الخصائص والفضائل ما ليس لغيرها فكانت أسماؤه عديدة دون غيرها لأن كثرة الأسماء دالة على فضل المسمى إما مطلقا أو على جنسه ولذلك سمي النبي ﷺ بخمسة أسماء وقد قال بعض العلماء: أنها تبلغ إلى نحو مائة اسم وغيره من

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس له إلا اسم واحد لأنه ﷺ صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود فكانت كثرة الأسماء لأجل عظم قدره وكذلك أيضا كثرة أسماء الله عز وجل لأنه ليس كمثله شيء فكانت أسماؤه لا يشبهها شيء لكثرها وعظمها اهـ. وإذا علمت سبب تركيب أسمائها من أسماء كثيرة فاعلم أن كونها أحمدية لا يظهر لك إلا إذا ذكرنا الحقيقة الأحمدية وبيانها ليظهر بأدنى برهة لكل ناظر عاقل وجه تسميتها أحمدية فنقول: قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كما شرح في الصلاة الغيبية: وأما الحقيقة
الأحمدية فهي الأمر الذي سبق به في حمد الله تعالى كل حامد من الوجود فما حمد الله تعالى أحد في الوجود مثل ما حمد النبي ﷺ في الوجود إن الحقيقة الأحمدية غيب من غيوب الله فلم يطلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والمنح والمواهب

والأحوال العلية والأخلاق الزكية فما ذاق منها أحد شيئا ولا جميع الرسل والنبيين اختص صلى الله عليه وسلم وحده بمقامها وكل مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين كل ما
أدركوه على جمله وتفصيله من فيض حقيقته المحمدية وأما الحقيقة الأحمدية فما نال منها أحد اختص بها ﷺ لكمال عزها وغاية علوها اهـ. وإذا علمت معنى الحقيقة الأحمدية وحصل في ذهنك فهمها فاعلم أنها سميت أحمدية لوجوه أحدها أنها سميت أحمدية لكونها ناشئة عن سيد الوجود وعلم الشهود الذي سماه الله تعالى في كتابه المحكم بأحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فنسبت إلى من صدرت عنه ﷺ، والثاني أنها سميت أحمدية لكون من تفضل بها عليه مولانا رسول الله ﷺ أحمد بن مُحَمَّد رضي الله

تعالى عنه فنسبت إليه لذلك، والثالث أنها سميت أحمدية للإشارة إلى أنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به هو أول الأولياء ومددهم وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود كما تقدم من أن الحاتمي رضي الله تعالى عنه قال أن معنى: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" كنت نبيا بالفعل عالما بنبوتي وآدم بين الماء والطين ثم قال: وغيره من الأنبياء ما كان نبيا ولا عالما بنبوته إلا حين بعث بعد وجوده ببدنه العنصري واستكماله شرائط النبوة ثم قال: وكذلك خاتم الأولياء كان وليا بالفعل عالما بولايته وآدم بين الماء والطين
وغيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلا بعد تحصيله ما يشترط في الاتصاف بالولاية من الأخلاق الإلهية التي يتوقف الاتصاف بالولاية عليها اهـ. وإذا تقرر هذا فلا يخفى عليك ما تقدم أن الحقيقة الأحمدية هي الأمر الذي سبق بحمد الله تعالى كل حامد من الوجود فما حمد الله تعالى أحد في الوجود مثل ما حمده النبي ﷺ في الوجود وإذا فهمت هذا فاعلم أن خاتم الأولياء سبق في حمد الله تعالى كل حامد من الأولياء فما حمد الله تعالى أحد من الأولياء مثل ما حمده خاتم الولياء لأنه الوارث
الآخذ عن الأصل المشاهد لمراتب قال الحاتمي رضي الله تعالى عنه: وخاتم الأولياء هو الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب العارف باستحقاق أصحابها ليعطي كل ذي حق حقه وهو حسنة من حسنات سيد المرسلين مقدم الجماعة أهـ. وقال سيدي علي الخواص كما قال الشعراني في درر الغواص: إن لهذه الأمة خاتمين جامعين لكل رتبة ومقام وارث وولاية

بأحدية جمعها وتنوع وحدتها حتى تستغرق كل نعمة ووصف وإمداد واستمداد أحدية كان أو أحمديا بسر تنزله وإحاطته بعلومه المطلقة والمقيدة وما هو خصيص به أصلا وفرعا حكما وعينا سعة وضيقا

قيدا وإطلاقا حتى أن كل ولي كان أو يكون إنما يأخذ من هذين الختمين الذي يكون أحدهما خاتم ولاية الخصوص والآخر يختم به الولاية العامة فالأولى بعده إلى قيام الساعة أهـ. قلت: قد ظهر واتضح وبان من كلام هذين السيدين أن خاتم الأولياء سبق في حمد الله تعالى كل حامد من الأولياء فما حمد الله تعالى أحد من الأولياء مثل ما حمده خاتم الأولياء لأن المأخوذ منه يتقدم الآخذ إذ لا يصح تأخر الممد على المستمد أبدا ولذا كانت طريقته طريقة المحبة والشكر كما تقدم بيانه في الفصل السابع عشر من هذا الكتاب المبارك لأنها ناشئت
عن الدائرة الفضيلة التي رفع الله تعالى عنه منة غير جده ﷺ القائل له: لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق فأنا واسطتك وممدك على التحقيق فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق وقال له: الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذي وعدت به وأنت على ذلك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة واترك عنك جميع الأولياء، فلكونها طريقة سهلة يصل إلى الله تعالى جميع أهلها بمحض الفضل والكرم والجود من غير أن يحوجهم ربهم الكريم إلى خلوة واعتزال عن الناس وهو على ما هم عليه من غير
ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة كانوا مطالبين بالحمد على ما خصهم الله تعالى به من الفضل العظيم والشكر على ما عمهم به من الطول الجسيم سميت لما ذكر طريقة أحمدية والرابع أن مقام صاحبها بالنيبة إلى مقامات جميع الأولياء كنسبة مقام الأحمدية إلى مقامات جميع الأنبياء لأنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به قال: أنا سيد الأولياء كما كان رسول الله ﷺ سيد الأنبياء وقال رضي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور وقال رضي الله تعالى

عنه وأرضاه وعنا به مشيرا بإصبعه السبابة والوسطى: روحه ﷺ ورحي هكذا روحه ﷺ تمد الرسل والنبياء عليهم السلام وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أن النبي ﷺ أخبره بأن مقامه أعلى من جميع المقامات وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إن نسبة الأقطاب معي كنسبة العامة مع الأقطاب وقال

رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إن لنا مرتبة تناهت في العلو عند الله تعالى إلى حد يحرم ذكره ليس هو ما
أفشيته لكم ولو صرحت به لأجمع أهل الحق والعرفان على كفري فضلا عمن عداهم وليست هي التي ذكرت لكم بل هي من وراءها وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به لأصحابه: يليه إعلامكم أن فضل الله تعالى لا حد له وأن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وإن مقامنا عند الله تعالى في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقابله من كبر شأنه ولا من صغر وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل إلى مقامنا ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه على أكابر الفحول ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته من رسول الله ﷺ تحقيقا وإن مراتب أهلها بالنسبة إلى مراتب أهل سائر الطرق كذلك حتى أن ذلك انتهى إلى حد يحرم ذكره وإفشاؤه وقال ﷺ: لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله تعالى لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا: يا ربنا ما أعطيتنا شيئا. قلت: وإذا كان هذا حال الأقطاب معهم فما ظنك بمن دونهم من الصديقين والعارفين والأولياء وإذا كان حال المذكورين فما ظنك بأهل طرقهم ممن لم يصل إلى مراتبهم وإلى ما ذكرنا أشار رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بقوله: إن لنا مرتبة عند الله تعالى إلى قوله

ﷺ: ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يتحفظ على تغيير قلب أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله تعالى عن قربه وسلبه من منحه وبقوله ﷺ: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم ﷺ أمر لا يحل لي ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الاخرة أهـ.
فلذكر هنا بعض ألفاظ من أذكار هذه الطريقة للإشارة إلى أنها بلغت الغاية القصوى في الفضل وأن مرتبة أهلها لا يبلغها غيرهم بحال وأنها أحمدية على التحقيق فنقول: اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني المالئة لكل متعرض من البحور والأواني صراطك التام الأسقم لا يدركه دارك ولا يلحقه لاحق اللهم إني أحمدك وأنت المحمود وأنت للحمد أهل وأشكرك وانت المشكور

وأنت للشكر أهل على ما خصصتني به من مواهب الرغائب وأوصلت إلي من فضائل الصانع وأوليتني به من إحسانك وبوأتني به من مظنة الصدق عندك وأنلتني به من منتك الواصلة إلي وأحسنت به إلي كل وقت من دفع البلاء عني والتوفيق لي فكن لي جهرا حاضرا حاميا بارا وليا فيب الأمور كلها ناظرا وعلى الأعداء كلهم ناصرا وللخطايا والذنوب كلها غافرا وللعيوب كلها ساترا فأنا عبدك واجعلني يا رب عتيقك يا إلهي ومولاي خلصني وأهلي من النار ومن جميع المضار خيرك لي شامل ولطفك لي كافر وبرك لي غامر وفضلك علي دائم متواتر ونعمك عندي متصلة

لم تخفر لي جواري وأمنت خوفي وصدقت رجائي وحققت آمالي ورميت من رماني بسوء وكفيتني شر من عاداني اللهم إني أحمدك إذ لم تكلفني فوق طاقتي ولم ترض مني إلا طاعتي ورضيت مني من طاعتك وعبادتك دون استطاعتي وأقل من وسعتي ومقدرتي اللهم لك الحمد مثل ما حمدت به نفسك وأضعاف ما حمدك به الحامدون وسبحك به المسبحون ومجدك به الممجدونوكبرك به المكبرون وهللك به المهللون وقدسك به المقدسون ووحدك به الموحدون وعظمك به المعظمون واستغفرك به المستغفرون حتى يكون لك مني وحدي في كل طرفة عين وأقل من ذلك مثل حمد جميع الحامدين

وتوحيد أصناف الموحدين والمخلصين وتقديس أجناس العارفين وثناء جميع المهللين والمصلين والمسبحين ومثل ما أنت محمود ومحبوب وحجوب من جميع خلقك كلهم من الحيوانات والبرايا والأنام فما أيسر ما كلفتني به من حقك وأعظم ما وعدتني به من نعمائك ومزيد الخير على شكري ابتدأتني بالنعم فضلا وطولا وأمرتني بالشكر حقا وعدلا ووعدتني عليه أضعافا ومزيدا وشرعت لي أيسر القصد وضاعفت لي أشرف الفضل مع ما عبدتني به من المحجة الشريفة وبشرتني به من الدرجة العالية الرفيعة واصطفيتني بأعظم النبيين دعوة وأفضلهم شفاعة وأرفعهم درجة

وأقربهم منزلة وأوضحهم حجة مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وأصحابه الطاهرين ليلة القدر خير من ألف شهر سلام هي ستر العرش مسبول علينا وعين الله ناظرة إلينا بحول الله لا يقدر علينا إن شانئك هو الأبتر يا عجيب الصنائع فلا تنطق الألسن بكل ثنائه ونعمائه يا مجيد فلا تبلغ الأوهام كنه ثنائه ومجده يا حميد الفعال ذا المن على جميع

خلقه بلطفه والحمد لله رب العالمين إلى ولا الظالين يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يآخذ بالجريرة ولم يهتك الستر يا عظيم العفو يا حسن التجاوز يا واسع

المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ويا كريم الصفح ويا عظيم المن ويا مبتدأ بالنعم قبل استحقاقها أن تعطيني وتعطي فلانا من كل ما شئت من ابتداء خلقك إلى انتهاء يوم القيامة في كل مقدار طرفة عين لكل واحد على انفراده عشرين فيضة من بحار رضتاك وأن تعطي كل واحد في كل فيضة أوفر حظ ونصيب من كل ما سألك منه سيدنا مُحَمَّد نبيك ورسولك ﷺ ما علمت من ذلك وما لم أعلم من خيرات الدنيا والآخرة والنجاة مما استعاذك منه سيدنا مُحَمَّد نبيك ورسولك ﷺ ما علمت من ذلك وما لم أعلم من شر الدنيا والآخرة

ومغفرة جميع ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر في الدنيا والآخرة وأداء جميع تبعاتنا من خزائن فضلك وكرمك لا من حسناتنا اللهم عليك معولي وبك ملاذي وإليك التجائي وعليك توكلي وعلى حولك وقوتك اعتمادي وبجميع مجاري أحكامك رضاي وبإقرار سريان قيوميتك في كل شيء وعدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوتي.

وأما سبب تسميتها مُحَمَّدية مع أن طرق أهل الله تعالى كلها كذلك فلوجوه أحدها أنه إنما كان جميع الفيوضات التي تفيض على جميع الولياء إنما فاضت من ذاته رضي الله تعالى عنه كما أن جميع الفيوضات على جميع الأنبياء إنما تفيض عليهم من ذاته ﷺ سميت مُحَمَّدية لهذه المناسبة التامة. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات النبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على

جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور. قلت: وإذا فهمت هذا فوجه تسميتها مُحَمَّدية لا يخفى عليك وثانيها أنه رضي الله تعالى عنه لما كان له مدد خاص به يتلقاه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا اطلاع على لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشربا معهم منه ﷺ وثالثها أنها طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم بالوجه الخاص لأنه ﷺ صرح بذلك لشيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به تصريحا يزيل كل إشكال بقوله ﷺ له رضي الله تعالى

عنه: فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم له رضي الله تعالى عنه

وأرضاه وعنا به: كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنما أخذ عنك مشافهة وأنا ضامن لهم وهذا ينبئ عن فضلهم على غيرهم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض أهل هذه الطريقة أنت ابن الحبيب ودخلت في طريقة الخليفة الأكبر والوارث الأشهر التجاني الأطهر كفى بهذا بشارة لأهل طريقته فإنها أعظم من الدنيا بحذافيرها والجنة وقصورها وباقي نعيمها ولا مطلب بعدها إلا النظر إلى وجه مولانا الكريم ورابعها أن لأهلها علامة يتميزون بها عن غيرهم

ويعرف بها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الضامن لهم ومتولي أمرهم بوجه خاص وهي أن كل أحد من لاأهلها يكتب بين عينيه بطابع النبي مُحَمَّد رسول الله وعلى قلبه مما يلي ظهره مُحَمَّد بن عبد الله وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية وهذا ينبئ عن فضل أهلها على غيرهم وخامسها أن الله تعالى لما ختم بمقامه مقامات الأولياء ولم يجعل فوق مقامه إلا مقامات الأنبياء وجعله القطب المكتوب والبرزخ المختوم والخاتم المحمدي المعلوم ومركزا يتفجر منه لجميع الأغواث الفيوض والعلوم كما سيبين ذلك

في المحشر تصديقا بالنبي المعصوم إذ نادى مناد يسمعه الممنوح والمحروم: يا أهل المحشر هذا إمامكم الذي يستمد منه الخصوص والعموم كانت طريقته الطريقة المحمدية لهذه المناسبة التامة ولأجلها كان عوام أهلها الصادقون أعلى مرتبة عند الله تعالى في الآخرة من أكابر الأقطاب ما عدا أصحاب رسول الله ﷺ كما تقدم، وسادسها أنه رضي الله تعالى عنه وعنا به حاز ما كان عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها كما تقدم في الفصل السادس والثلاثين كما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاز ما عند

الأنبياء من الكمالات الإلهية وهذا السر العظيم هو الذي سرى في طريقته وفي أهلها فسميت مُحَمَّدية لهذه المناسبة التامة، وسابعها أن طريقته رضي الله تعالى عنه هي خير الطرق فلا يأتي ولي بعده بطريقة جديدة كما أن ملته صلى الله تعالى عليه وسلم آخر الملل. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: كل الطرق تدخل في طريقة الشاذلي رضي الله تعالى عنه إلا طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحنيفية فإنها مستقلة بنفسها فلا ينبغي لنا إلا الانفراد بها لأنه أعطاها لنا منه إلينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال: لا يصل لك شيء

إلا على يديّ وهو الذي ربانا وأوصلنا حتى بلغنا المنى وشكرا لله تعالى، وثامنها أن طريقته رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به تدخل على جميع الطرق فتبطلها وطابعه يطبع على كل طابع ولا

يحمل طابعه غيره كما تقدم كما أن شرع رسول الله ﷺ يدخل على جميع الشرائع ولا يدخل على شريعته، وتاسعها أن من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في هذه الطريقة المحمدية أمنه الله تعالى في الدنيا والآخرة ولا يخاف من شيء لا من الله تعالى ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من

الأموات وأما من دخلها وتأخر عنها ودخل غيرها فإنه تحل به المصائب دنيا وأخرى كما أن شرع رسول الله ﷺ كذلك، وعاشرها أن الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إذا قام آخر الزمان يأخذ طريقته ويدخل زمرته كما تقدم فتصير الطرق طريقة واحدة سيعاين ذلك من حضر ظهوره إن شاء الله تعالى كما أن الشرائع صارت شريعة واحدة وهي الإسلام، وحادي عشرها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يغار لأهل هذه الطريقة غيرة خاصة كما كان يغار لأصحابه لأن أهلها فقراؤه وتلاميذه كما أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك وقد تقدم

أن النبي ﷺ أخبر الشيخ رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يؤذيه ما يؤذي أهل هذه الطريقة وتقدم أيضا أن الشيخ رضي الله تعالى عنه قال: لنا مرتبة عند الله تعالى إلى أن قال: ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يتحفظ على تغيير قلب أصحابه بعدم حفظ حرمتهم طرده الله تعالى عن قربه وسلبه ما منحه وهذا كله لسر كون طريقة شيخهم مُحَمَّدية بالوجه الخاص، وثاني عشرها أنه ﷺ تفضل على هذا الشيخ الخاتم المحمدي بهذه الطريقة لكونها مُحَمَّدية بالوجه الخاص فيكون تضعيف ثواب حسنات أهلها

بالنسبة لتضعيف حسنات غيرهم من أهل سائر الطرق كنسبة تضعيف حسنات هذه الأمة إلى تضعيف ثواب حسنات غيرهم من سائر الأمم وراثة مُحَمَّدية حبيبية ولذا كان من أذكارها ما تكون المرة منه تستغرق جميع أذكار العارفين كالياقوتة الفريدة ومنها ما تكون المرة منه تعدل عبادة جميع العالم ثلاث مرات كجوهرة الكمال ومنها ما يكون كل العبادات إذا جمعت بالنسبة إلى مرة منه كنقطة في بحر كالكنز المطلسم ولا ينكر هذا إلا من ينكر وجود الأذكار الجامعة وحينئذ فلا يتكلم معه عاقل لأنه إنما أنكر على صاحب الشريعة صلى الله تعالى عليه

وسلم، وثالث عشرها أنها سميت مُحَمَّدية للإشارة إلى أن الله تعالى يعامل أهلها معاملة المحب حبيبه وقد تقدم في الفصل الثامن والثلاثين من هذا الكتاب المبارك أن سيدي مُحَمَّدا الغالي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أخبرني أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أخبره أن لأهل

هذه الطريقة من الله تعالى لطفا خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم.
قلت: وهذا اللطف مشاهد بهم في الدنيا ومضمون لهم في العقبى وقد أشهدني الله تعالى بفضله من هذا ما لا يمكن لي ذكره فأحرى استنقاصه ولو اطلعت يا أخي على هذا اللطف العظيم من هذا الرب الرحيم لأهل طريقة هذا الشيخ الكريم وحزبه الصميم لعرفت معرفة حقيقية ودريت دراية يقينية أنها مُحَمَّدية حبيبية ومن هنا قوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إن أصحابنا لا يدخلون حضرة المحشر مع الناس ولا يذوقون مشقة ولا يرون محنة من تغميض أعينهم إلى الاستقرار في عليين، وقوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إن أصحابي لا يحضرون أهوال الموقف ولا يرون صواعقه وزلازله بل يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوا مع المصطفى ﷺ في الزمرة الأولى مع أصحابه ويكون مستقرهم في جواره ﷺ في أعلى عليين مجاورين أصحابه ﷺ فسبحان من تفضل بما شاء على من شاء اختيارا منه لا تحكم عليه في شيء.
وقوله رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: إن صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها، ورابع عشرتها أنها سميت مُحَمَّدية للإشارة إلى أنها أكثر من سائر الطرق كما أن هذه الأمة المحمدية أكثر من سائر الملل ويكفي في ذلك أن الإمام المهدي المنتظر من أهلها وجميع أتباعه ﷺ من أهلها ولولا أن في القلب ما فيه لأودعنا في هذا المحل ما يبهر العقول ويعجز عن إدراكه أكابر الفحول ولجلبنا من كلامه أيضا ما يعرف به كل من له أدنى بصيرة أن اسم طريقته مطابق لمسماه.

وأما سبب تسميتها إبراهيمية حنيفية فلوجوه أيضا أحدها أنها لتكون مُحَمَّدية بالوجه الخاص كما تقدم إلا وكانت إبراهيمية بالضرورة كما قال تعالى: {قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا} وقال: {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين} وثانيها أنما سميت إبراهيمية للإشارة إلى أن الله تعالى جمع له رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بيم مقامين المحبة والخلة وراثة حبيبية خليلية وكونها مُحَمَّدية يستلزم كونها حبيبية خليلية لأن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم صاحب المحبة والخلة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم حبيب الله تعالى وخليله كما في البخاري وغيره ومع ذلك فقد قال تعالى في محكم كتابه {ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله

وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذا الله إبراهيم خليلا} قال بعض أهل الإشارة معنى قوله: {ومن أسلم دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن} تجمل بسر بال جلاله الذي يتلألؤ منه حسن وجهه القدير وطار بجناح المحبة والشوق في هواء هويته فيجد طريقا من الأزل إلى الأبد فيسير مع الله تعالى إلى الله سبحانه إلى الأبد تلك المسالك دينه وأي دين
أحسن من هذا وهو بجلاله وعظمته دليله منه إليه لم ينطمس مسلك الأزل والآباد ما دام بعزته ومجده ما دام أمام مطايا أسراره وعلم رواحل أنوره إذن نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى لمطايانا بلقياك هاديا فإن سمات الحسن حين أسلم وجهه لله تعالى وإلى جمال الله سبحانه وتعالى فتجلى عن وجهه تعالى لوجهة قاصده فيظهر نور وجهه القدم من وجهه أفنى وجوده وهو محسن أي عارف وعالم لما يطلب ومطلبه ومقعده مشاهدة الباقي بنعت الفناء فيها فيسهل عليه اضمحلاله بالله تعالى في الله عز وجل قال إبراهيم بن أدهم: من عرف ما يطلب هان عليه ما

يبذل فنعته في الفناء فيه برضاه ويرضى فيما يرد منه ومثل هذا الدين هو الدين الحنيفية الحبيبية الخليلية المائلة عن الحدثان وكيف وصف خليله حين أظهر أنوار جلاله من مطالع القدم ببرئاته عن الحدث لقوله: {إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا} وبين تعالى أن تمام السالك لم يكن إلا بمتابعة خليله عليه السلام بقوله: {واتبع ملة إبراهيم حنيفا} وملته كسر أصنام الطبيعة بفأس الحقيقة في بداية المحبة وإذهاب عرائس الملكوت من خاطره بقوله: {إني بريء مما تشركون} قوله: {هذا ربي} حين ينكشف في
عينه جلال الجبروت الأول مقام الإيقان والثاني مقام العرفان وفي طريق تسليمه نفسه لله تعالى في محل الامتحان بنعت سلامة القلب عما دون الرب قال: {يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم} وزاد في وصفه بقوله: {أسلم قال أسلمت لرب العالمين} امتحن بتسليمه بذبح الولد فأمر السكين على حلقه سبعين مرة امتحن بنفسه بإلقائه في النار فعرض عليه جبريل عليه السلام المعاونة فقال: ألك حاجة فقال: أما إليك فلا وبين الله سبحانه وتعالى وإن الخليل إذا كان بهذه الصفة في عبوديته وعرفان ربوبيته وأعده خليلا كان في
الأزل خليل الله تعالى بلا علة ولا تهمة اصطفاه بالخلة في الأزل ولو كان خلة بعوض ما كان فضلا لأن اصفائيته في للخلة في الأزل والأزل قديم قبل وجود الحادث حين أقبل صفته تعالى وهي المحبة إلى الذات وأقبل الذات إلى الصفات ثم تجلى الذات والصفات للفعل وتجلى الفعل

إلى العدم فظهر الخليل بوصف الخليل ويرى الخليل الخليل بعين الخليل فصار خليلا للخليل فلذلك قال تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} وهذا الدين بعينه للحبيب والحبيب أفضل من الخليل لأن المحبة لب الخلة ثم صرح بالإشارة أن المحسن الراضي إذا تابع الحبيب

والخليل فيما ذكرنا صار حبيب الله تعالى وخليل الله تعالى قلت: فبوقوع هذا الخات المحمدي الإبراهيمي الحبيبي الخليلي في بحر هذا الفضل الإلهي الذي وقع فيه أهل طريقته ثم باتباعه هذا النبي الحبيب الخليل مُحَمَّدا صلى الله تعالى عليه وسلم والنبي الخليل إبراهيم عليه السلام اللذين ورثهما في هذين المقامين سميت طريقته إبراهيمية وثالثها: أنما سميت إبراهيمية لكونها طريقة سهلة ناشئة عن الدائرة الفضلية التي جعل الله تعالى بها القطب المكتوم والبرزخ المختوم والخاتم المحمدي المعلوم قبل إيجاد الكون وما فيه كما أنه
تعالى بتلك الدائرة الفضلية اتخذ إبراهيم خليلا قبل إيجاد الكون وما فيه كما قال تعالى: {ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل} ووجه تسميتها إبراهيمية ظاهر لأنها أسهل الطرق كما أن شرع إبراهيم الذي هو داخل في شرع مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام كذلك كما قال تعالى: {وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم} ولذلك كانت طريقته العشق والشكر والمحبة كما قدمنا في الفصل الموفي عشرين من هذا الكتاب المبارك كما أن شرع إبراهيم كذلك قال تعالى: {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم} ورابعها إنما سميت إبراهيمية لكون جميع أهل الطرق متفقين على صحة ملة إبراهيم وما من ملة إلا وأهلها يثنون عليه على نبينا وعليه السلام والشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به له هذا المقام وراثة مُحَمَّدية
إبراهيمية لأن جميع الكل من أهل الله تعالى يعلمون أن لله تعالى وليا يختم بمقامه مقامات الأولياء ولم يكن فوق مقامه إلا مقامات الأنبياء وتمنى كل واحد منهم أن يكون هو ذلك الولي حتى ظن بعضهم أنه هو لما لاح له بارق ذلك المقام وظن أنه بلغ ذلك

المرام ثم تبين له أنه ما بلغه على التمام وسلم الأمر كله إلى مكون الأنام نع علمه بأن الله تعالى سيظهره بعد اكتتام وأما الشيخ رضي الله تعالى عنه فقد تقدم في الفصل السادس والثلاثين من هذا الكتاب المبارك أن النبي ﷺ أخبره يقظة لا مناما بأنه هو الولي المكتوم مشافهة فلذه المناسبة التامة سميت إبراهيمية وخامسها أن الله تعالى قال في حق إبراهيم عليه السلام: {ومن

دخله} أي البيت المنسوب إلى إبراهيم {كان آمنا} وقال ﷺ في حق هذا الشيخ وفي طريقته وأهلها: وأنت من الآمنين وكل من
أحبك من الآمنين أنت حبيبي وكل من أحبك حبيبي وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار هو ووالداه وأزواجه وذريته وقال رضي الله تعالى عنه:أبشروا أن من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أية حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله تعالى. وقال رضي الله تعالى عنه: من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله على جميع الطرق آمنه الله تعالى في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله تعالى ولا من رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من شيخه أيا كان
من الأحياء والأموات، قال رضي الله تعالى عنه: إن أصحابي لا يحضرون أهوال الموقف ولا يرون صواعقه ولا زلازله بل يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوا مع المصطفى صلى الله عليه وسلم في الزمرة الأولى مع أصحابه ويكون مستقرهم في جواره ﷺ في أعلى عليين مجاورين أصحابه ﷺ.

وقال ﷺ: أنت ابن الحبيب ودخلت في طريقة الحبيب فلا واسطة بيني وبينك إلا هذه الواسطة فهو مني وأنا منه وكل من دخل في طريقتي وتحت كتفي وحمايتي فله جميع ما ذكره الخليفة الأكبر والوارث الأشهر التجاني الأطهر. قلت: وكفى بهذه بشارة فلهذه المناسبة التامة سميت
إبراهيمية، وسادسها أن إبراهيم عليه السلام أخلص وجهته إلى مولاه وأعرض عن كل ما سواه حتى أن أعداء الله تعالى وأعداءه لما أرادوا أن يلقوه في النار ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا وصاحت السماوات ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق إلا
الثقلين صيحة واحدة: أي ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته، قال الله تعالى: هو خليلي وليس خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فإن استغاث بأحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه. ولما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال: إن أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء فقال: لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل.
ولما رموا به في المنجنيق إلى النار استقبله جبريل وقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا

أي: فلا أتجه إلا إلى مولاي كما أخبر تعالى أنه عليه السلام قال: {إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض} أي: أسلمت قلبي للذي خلقه وانقطعت إليه من كل شاغل وشغل ثم أخبر تعالى أنه قال: {فمن تبعني} أي في طريق المجاهدة والمحبة والخلة والموافقة في بذل الروح بين يدي فاطر السماوات والأرض {فإنه مني} أي طينه من طيني وقلبه من قلبي وروحه من روحي وسره من سري ومشربه في المحبة والمعرفة والخلة مشربي.

وهذه الطريقة الخليلية الأحمدية المحمدية الإبراهيمية هي طريقة شيخنا رضي الله تعالى عنه كما في جواهر المعاني حيث قال: والأمر الثاني مما أوصيك به ترك المحرمات شرعا أكلا ولباسا وهكذا إلى أن قال: الأمر الثاني الذي لا بد منه بعد هذا وهو الذي بداية جميع الأمور ونهايتها هو تعلق القلب بالله تعالى بالانحياش إليه والرجوع إليه وترك كل ما سواه عموما وخصوصا فإن قدر العبد على ارتحال القلب إلى الله تعالى بكل وجهه على كل حال بحركة القلب حسا فهو الغاية اهـ.
وكما قال: والواجب في حق السالك أن يمسي ويصبح ويظل ويبيت ليس مراده إلا شيئين الأول هو الله عز وجل اختيارا له من جميع الموجودات واستغناء به عنها وأنفة من لحظها لمحة وغيرة أن يختار سواه وليكون الله عز وجل هو مبدأ أمره ومنتهاه وأول مراده وآخره ومفتتحه وختمه ومستغرقا لقصر مراده عليه فيما بين ذلك كله حتى لا تبقى لمحة يريد فيها غيره لأن إرادة الغير إما طمع أو عبث، والثاني من مرادات السالك أن يكون كله لله تعالى عز وجل منسلخا عن جميع الإرادات والاختيارات والتدبيرات والحظوظ والشهوات والأغراض واقفا في ذلك كله بالله سبحانه مع الله عز وجل من أجله وإرادة لوجهه وأداء لحق ربوبيته لا ليعود عليه منه شيء اهـ. فلهذه المناسبة التامة سميت إبراهيمية حنيفية، وسابعها أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يسكن عياله وادي الحرم بلا زاد ولا راحلة ليصفو حال توكله واعتماده على الله تعالى وليبلغ إلى كمال الخلة فنادى ربه إلهه ودعا باسم الرب طمعا في تربية عياله وأهله وإيوائهم إلى جار الكرامة بقوله: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم} والبيت المحرم ما يمنع قاصديه عن كل مستأنس غير الله تعالى

وفيه إشارة إلى تربية أهله بحقائق التوكل والرضا والتسليم ونعت التربية هذا فعلمنا بالنسبة القائمة الحنيفية السهلة السمحة الخليلية الحبيبية الأحمدية المصطفوية صلوات الله تعالى عليهما أن العارف الصادق ينبغي أن لا يكون معوله على الأملاك والأسباب في حياته وبعد مماته لتربية

عياله فإنه تعالى حسبه كما أن شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أسكن أولاده الذين هم أهل طريقته عند بيت الله المحرم الذي لا يضيع من سكن عنده وهو حبيب الله الأعظم ورسوله الأكرم وصفيه الأفخم سيدنا مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم

لأنه ﷺ هو الضامن لأهل هذه الطريقة ومربيهم ومتولي أمورهم بوعد صادق لا خلف فيه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم للشيخ رضي الله تعالى عنه: كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنما أخذ عنك مشافهة وأنا ضامن لهم وهذا من جملة الأسرار التي منعهم الشيخ لأجلها من التطفل على أحد من أشياخ الطريق لأن جده ومحبه ﷺ أعطاه هذه الطريقة المستقلة بنفسها وقال له: لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق فأنا واسطتك وممدك على التحقيق فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق واترك عنك جميع الأولياء وأمره

هو رضي الله تعالى عنه وجميع أهل طريقته بترك زيارة الأولياء وأعلمه أن كل من زار منهم ينسلخ عن حضرته ويذل لهم ما يحصل لفاعله فضل زيارته ﷺ في الروضة المشرفة وزيارة جميع الأولياء والصالحين من أول الوجود إلى وقت ذلك فلهذه المناسبة سميت إبراهيمية، وثامنها أن تسميتها إبراهيمية إشارة إلى أن الله تعالى يعامل أهلها معاملة الخليل خليله كما أنه يعاملهم معاملة الحبيب لحبيبه وقد تقدم أن لأهلها من الله تعالى لطفا خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم وذلك مشاهد لهم في الدنيا ومضمون لهم في

العقبى أما في الدنيا فقد رأيت من بركاته رضي الله تعالى عنه لما سافرت من أرضنا إلى الحرمين وإلى أرض الشام ذهابا وإيابا ما لا يمكن لي ذكره ولو تتبعته لملأت منه أسفارا وأما في العقبى فكل ما ذكر من فضلهم في هذا الكتاب وغيره فشيء يسير بل كنقطة في بحر بالنسبة لما هو مكتوب نسأل الله تعالى بمحض فضله أن يحيينا عليها ويميتنا عليها ويحشرنا في زمرة أهلها مع من تفضل بها عليه سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جده خير الأنام عليه من الله تعالى الصلاة وأفضل السلام، وتاسعها أن الله تعالى جعل في ذرية

إبراهيم عليه السلام من الأنبياء والرسل أصحاب الشرائع وغيرهم ما يطول عده قال تعالى: {وجعلنا في ذريته النبوءة والكتاب} كما جعل في هذه الطريقة من الأولياء الصغار والكمل أصحاب الطرق وغيرهم من الإنس والجن ما يطول عده وقد ذكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به أن أصحاب الطرق من كمل أهل طريقته سيبلغون ستمائة من الإنس وثلاثمائة من الجن

أو قريبا من هذا والذهن خوان ثم قال رضي الله تعالى عنه أنها كلها منه وإليه رضي الله تعالى عنه وأفاض علينا من بركاته، وأما أولياء أهلها من العارفين الكمّل غير أصحاب الطرق والأولياء فلا نتعرض لذكر عددهم لكثرتهم لأنه رضي الله تعالى عنه قد أخبره النبي ﷺ أن كل من أحبه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به لا يموت حتى يكون وليا قطعا وإذا كان هذا في المحبين الذين ما أخذ واحد منهم أذكاره فكيف الظن بأهل طريقته المستغرقين في حبه المتمسكين بأوراده نسأل الله تعالى بمحض فضله أن يديمنا على محبته إلى يوم لقائه ويحشرنا في أهل محبته وزمرته عند الله تعالى حتى يوصلنا إلى جده ﷺ آمين يا ستار العيوب ويا غافر الذنوب استرني واغفر لي وأنت علام الغيوب ولولا

أن قلوب الأحرار قبور الأسرار ومخافة أن الكتاب يقع في يد بعض الأشرار مما لا خلاق له في نفحات السادات الأخيار فيغريه الجهل والحسد على تمزيق أعراض الأبرار ويستفيد غير شكر الواسطة الذي هو سنة المختار لأودعنا هنا بعض ما لهذه الطريقة من الأسرار والأنوار على أن الطريقة تغربت ممن وطن أهلها المقبلين عليها من القرى والأمصار ولذلك كتمنا أسرارها وعلومها ومعارفها عمن لا يكن لله تعالى من الأنصار وفيما كتبناه كفاية لكل موفق من أولي الأبصار قال ﷺ: "لا تعطوا الحكمة لغير أهلها" الحديث أو كما قال
ورضي الله تعالى عن الإمام الشافعي حيث قال: سأكتم علمي عن ذوي الجهل غالبا *** ولا أنثر الدر النفيس على الغنم فإن يسر الله الكريم بفضله *** وصادفت أهلا للعلوم وللحكم بثثت مفيدا واستفدت ودادهم *** وإلا فمخزون لدي ومكتتم فمن منح الجهال علما أضاعه *** ومن منع المستوجبين فقد ظلم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم:" نحن معاشر الأنبياء لا نورث أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم " أو كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم مما هذا معناه، ورضي الله تعالى عن زين العابدين حيث قال في هذا المعنى: إني لأكتم من علمي جواهره ***كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا يا رب جوهر علم لو أبوح به *** لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي *** يرون أقبح ما يأتونه حسنا ولولا خوف التطويل لجلبنا من هذه الوجوه الدالة على أن اسم طريقته مطابق لمسماها ما يروي الغليل وفيما ذكرناه كفاية والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الرابع والأربعون

في ذكر الدليل على الخلوات وشرطها المعتبر عند الصوفية

فأقول بالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: قال السهروردي: الدليل على الخلوات الصوفية هو ما رواه البخاري عن عائشة ﵂ قالت: أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلوا بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ﵂ فيتزود لمثلها حتى جاؤه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ.

الحديث قال السهروردي: فهذا الحديث المنبئ عن بدئ رسول الله ﷺ هو الأصل في إيثار المشايخ الخلوة للمريد من الطالبين فإنهم إذا أخلصوا لله تعالى خلواتهم يفتح الله تعالى عليهم بما يؤنسهم في خلواتهم تعويضا من الله تعالى إياهم أهـ. وفي القواعد الزروقية: الخلوة أخص من العزلة وهي بوجهها وصورتها نوع من الاعتكاف لكن في المسجد وربما كانت فيه وأكثرها عند القوم لا حد له لكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى عليه الصلاة والسلام وللقصد في الحقيقة الثلاثون إذ هي أصل المواعدة وجاور صلى الله عليه

وسلم بحراء شهرا كما في مسلم وكذا اعتزل من نسائه وشهر الصوم واحد وزيادة القمر ونقصانه كالمريد في سلوكه وأقله عشر لاعتكافه عليه الصلاة والسلام العشر وهي للكامل زيادة في حاله ولغيره ترقية ولابد من أصل يرجع إليه والقصد بها تطهير القلب من أدناس الملابسة وإفراد القلب لذكر واحد وحقيقة واحدة ولكنها بلا شيخ مخطرة ولها فتوح عظيم وقد لا تصح لأقوام فليختبر كل أحد بها حاله أهـ.

وإذا تقرر هذا فشروط الخلوة ستة وعشرون شرطا الأول أن يعود نفسه قبل دخولها إذا أراد الشروع السهر والذكر وخفة الأكل والعزلة حتى يتمرن على ذلك والثاني أن يكون دخول الخلوة بحضور الشيخ وأمره الظاهر وأمره الباطن لابد من ذلك فإن المريد إذا صحت رابطته مع شيخه في حضوره وكان مسلما لأوامره وإشاراته يرى شيخه في واقعته فيأمره وينهاه ويحل واقعته أيضا والثالث أن يعتقد في نفسه أنه إنما يدخل لخلوة كي يستريح الناس من شره والرابع أن

يدخلها كما يدخل المسجد مبسملا متعوذا بالله تعالى من شر نفسه مستعينا مستمدا من أرواح مشايخه بواسطة شيخه مخلصا لله تعالى منقطعا عنا سواه إليه يجعل الخلوة كأنها قبره يدخل فيها ذاهبا إلى الله تعالى تاركا ما سواه، والخامس أن يدخل الشيخ الخلوة ويركع فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى في توفيق المريد وتسهيل الأمر عليه فإذا فعل ذلك قرب الفتح على المريد وعجل خيره، والسادس أن يعتقد عند دخوله الخلوة أن الله تعالى ليس كمثله شيء فكل ما يتجلى له في خلوته من الصور ويقول له: أنا الله فليقل: سبحان الله آمنت بالله الذي ليس كمثله شيء وليحفظ صورة ما رأى حتى يذكرها لشيخه

وليشتغل بالذكر حتى يتجلى له مذكوره فإذا أفناه عن الذكر به فتلك المشاهدة والنومة والفرق بينهما أن المشاهدة تترك في المحل شاهدها فتقع اللذة عقبها والتيقظ والنومة لا تترك شيئا فيقع عقبها الندم والاستغفار، والسابع أن لا يعلق الهمة بكرامة تحصل ولو عرض عليه جميع ما في الكون فيأخذه بأدب ويتحققه ولا يقف معه وليحذر من التعشق ويحفظه فإنه يحتاج إليه إذا أربى وأكثر الشيوخ إنما أتى عليهم في التربية فلما فرطوا في حفظ ما ذكرناه وزهدوا فيها زهدا كليا وجميع المرشدين نفروا المريد عن الميل إلى الكرامات وقالوا:

إنها حيض الرجال. قال ابن عطاء الله: ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقية: الذي تتطلب أمامك ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها: إنما نحن فتنة فلا تكفر، والثامن أن يكون غير مستند إلى جدار في الخلوة ولا متكئا على شيء مطرقا رأسه تعظيما لله تعالى مغمضا عينيه ملاحظا قوله تعالى: أنا جليس من ذكرني ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهو معه بمعناه وروحانيته فإن من هو شيخ حقيقة تكون روحانيته رفيقة ومتعلقة بروحانية كل واحد من مريديه وإن كانوا ألفا،

والتاسع أن يشغل قلبه بمعنى الذكر على قدر مقامه مراعيا معنى الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه، والعاشر دوام الصوم لأنه يؤثر في تقليل الأجزاء الترابية والمائية فيصفو القلب من الكدر ويفطر قبل صلاة المغرب ويؤثر الأكل إلى أن يصلي العشاء الأخيرة والأحسن أن يؤخر السحور ولكن إذا شوشته نفسه وطالبته بالأكل بعد المغرب يأكل بين العشائين، والحادي عشر أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخل فيها شعاع الشمس وضوء النهار فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة وسد طرق الحواس الظاهرة شرط لفتح حواس القلب، والثاني عشر دوام

الوضوء

فإن الوضوء نور ساطع يظهر ابتداء كنوز القمر فتنور الخلوة به وانتهاء كنوز الشمس فإنه إذا داوم على الوضوء يوشك أن تتلألأ فيه الأنوار لقوله ﷺ: "الوضوء نور"، والثالث عشر دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى لا ينبغي أن يتكلم الذاكر المتبتل في خلوته كلاما إلا إذا تعين عليه في الشرع أو يحتاج إليه في أمر مما هو بصدده فمهما تكلم بكلمة غير ضرورية خرج شيء من نورانية قلبه مع تلك الكلمة فإن زادت ـ أي الكلمة ـ لغير الضرورة خرجت الأنوار الحاصلة بالأذكار وبقي القلب خاليا نعوذ بالله تعالى من الحور

بعد الكور فالواجب على الذاكر المنقطع في الخلوة حتما أن لا يتكلم مع أحد أبدا ما كائنا ما كان إلا مع شيخه لغرض واقعة ضرورية البيان أو الخادم الذي أقامه الشيخ في خدمة الفقراء لحاجة، والرابع عشر أن تكون الخلوة بعيدة عن حسن الكلام أي كلام الناس فإن القلب الرقيق تؤثر فيه الخطرات المذمومات وأثر القليل عليه كثير، والخامس عشر كونه إذا خرج للضوء والصلاة يخرج مطرقا رأسه إلى الأرض غير ناظر إلى أحد ويحذر كل الحذر نظر الناس إليه مغطيا رأسه ورقبته بشيء لأنه ربما يحصل له عرق الذكر فيلحقه الهواء فيضره ويعطله عن الذكر ويوقفه زمنا طويلا، والسادس عشر المحافظة على صلاة الجماعة والجمعة وترك المحافظة على صلاة الجماعة خطأ غلط وإن وجد نفقته في خروجه فليتخذ له شخصيا يصلي معه في خلوته ولا يرضى بالصلاة منفردا فإن ترك صلاة الجماعة يخشى عليه آفات. قال السهروردي: لقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك لشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه يخرج لصلاة الجماعة ذاكرا لا يفتر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يصغي إلى ما يسمع فيكثر لذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجتهد أن يحضر مع الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الإحرام فإذا سلم انصرف إلى خلوته، والسابع عشر المحافظة على الأمر الوسط في الطعام لا فوق الشبع ولا الجوع المفرط. قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيهات فمن أسرار حكمة الله تعالى في

الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما

يقتضيه الطبع بغاية الأماكن والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي ﷺ من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهاه عنه فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل
بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا تثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال انتهى.
والثامن عشر إلا ينام إلا عن غلبة وحد الغلبة أن يتشوش عليه الذكر فإذا لزم العبادة وترك النوم والاستراحة ذهبت عليه الأركان الأربعة من الترابية والمائية والهوائية والنارية فيعرى القلب عن العجب فحينئذ ينظر إلى الملكوت بعين قلبه فيشتاق إلى ربه، التاسع عشر نفي الخواطر خيرا كان أو شرا دون الاشتغال بالتمييز إذ لا تخلو النفس أن تشتغل بالفكر فيما خطر فلينف من أول الأمر ما خطر بباله لأنه إذا تفكر قويت النفس وضعف القلب فلا يقوى النفي بعد ذاك قال زين الدين الخوافي: جربنا هذا مرارا والنفس تفرح وتنشرح بالفكر

في أمر الكون فيصعب عليها الإقبال على المكون فإذا لم تمنعها من الفكر فيما خطر ببال وأقبلت على الكون وأعرضت عن المكون وأساءت الأدب عوقبت بتسليط الخواطر وحديث النفس عليك وذهبت نضارت الوقت ويتكدر القلب وربما انجر إلى النفور عن الذكر والخلوة وأدى إلى الاختلاط بأبناء الجنس فوسوس إليك الشيطان بالرواح إلى خلوة تقبل إلى الله تعالى فشوشت عليك وقتك وشغلتك عن ذكر الله تعالى فأدركك المقت قال ﷺ:" من شغل مشغولا

بالله عن الله أدركه المقت في الوقت " فحسرت وخسرت وكل هذه المصائب سبب إساءت الأدب

وعدم نفي الخواطر فليحذر الفطن من إيقاع الخواطر ولا يجوز للذاكر في مذهب أهل الذكر والخلوة أن يتفكر في معنى آية أو حديث أو غيرهما إلا إذا ورد عليك معنى من المعاني أثناء الذكر من التنبيهات الإلهية والواردات الحقيقية من غير تأنس بالأفكار البشرية فيهما ويشتغل بالذكر وإن خاف على الفوت بالنسيان لنفاستها فليكتبها سريعا وليرجع إلى الذكر وأما ما يرد من الأشعار والأسجاع فينفيها وينفي كل خاطر في الجملة يخطر بالبال وقال نجم الدين البكري رحمه الله تعالى: وإنما أمرنا المريد في الابتداء بنفي الخواطر جميعا لأنه

دخل في طريقة ليس له أهلية أن يميز بين الخواطر وطريق تمييزه أن ينفي الخواطر جميعا فما كان محمودا كخواطر الحق والملك والقلب فيثبت ولا ينتفي وما كان للشيطان والنفس فلا ينتفي وقال الشيخ جبريل الخرماباذي قدس الله سره العزيز: والذاكر في بدئ السلوك ينفي الخواطر ولا يشتغل بالتمييز بينهما وبين معرفة أقسامها لا يكون إلا بتخصيص أنواع الأسرار والمبتدئ لم يعط له هذا المقام فيجب أن ينفي الجميع لئلا يضيع أوقات ذكره ولأن السالك في ابتداء أمره صاحب الولاية في باطنه النفس والشيطان فأكثر خواطره شيطانية ونفسانية

فيجب النفي لكل. الموفي عشرين: دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاتستمداد عل وصف التسليم والمحبة والتحكيم ويكون في اعتقاده أن هذا المظهر هو الذي عينه الحق سبحانه للإفاضة علي ولا يحصل لي الفيض إلا بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا كلها مملوءة بالمشايخ ومتى يكون في باطن المريد تطلع إلى غير شيخه لم ينفتح باطنه إلى الحضرة الواحدية فالإنسان في الجهات وله بدن وروح والله تعالى المنزه عن الجهات فحكمته اقتضت الاستفاضة الواحدة إلى الحضرة الواحدية وهي الكعبة في عالم الأجسام والأبدان وعين الروح الإنساني

التي هي مهبط الصفات الإلهية جهة واحدة يكون من تلك الجهة توجهها إلى الله تعالى وتلك الجهة هي روحانية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عالم الأرواح فكما لا تقبل الصلاة إلا بالتوجه إلى الكعبة كذلك لا يحصل التوجه إلى الله تعالى إلا بالتوجه إلى الكعبة كذلك لا يحصل إلى الله تعالى إلا باتباع رسول الله ﷺ والتسليم له وربط القلب بنبوته وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الأنبياء وأنهم وإن كانوا أنبياء الله تعالى وكلهم على الحق ولكن لا يحصل

من الله تعالى فيض إلا بارتباط
القلب بمحمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيتوجه البدن إلى الجهة الواحدة وتوجه الروح إلى الجهة الواحدة حصل للإنسان استمداد الإفاضة من الحضرة الواحدية ومن ههنا يعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلق بالاستفاضة شرط وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشايخ في كتبهم أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته فلا بد للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أن القبض لا يجيء إلا بواسطته وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين يعتقد في كلهم ويدعو لهم لكن استمداده الخاص واستفاضته يكون من روحانية

شيخه وحده ويعلم أن استمداده من شيخه استمداده من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإن شيخه متعلق مستمد من شيخه وشيخه من شيخه أيضا وهكذا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه سلم فهذا مستمد بالحقيقة من رسول الله صلى الله تعالى عليه سلم وهو من الحق جل اسمه سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة بل هو أصل الأصول ولهذا بالغ المشايخ قدس الله تعالى أرواحهم في رعاية هذا الشرط فال الشيخ نجم الدين البكري قدس اله تعالى سره أنه كما أن الأستاذ شرط بالنسبة لصنعة المرآة فكما أن المطرقة والسندان والمنفخ والفحم والنار وغيرها من الآلات إذا اجتمعت ولا يكون ثم أستاذ سصنع المرآة لا يتحقق وجود المرآة كذلكم الشرائط للخلوة لا تصفو بها مرآة القلب دون ربط القلب مع الشيخ وقد جربناها فوجدناها كما قال قدس الله تعالى سره ولكن المريدين إذا انقطعوا عن الفيض والترقي لا ينقطعون إلا من هذه الجهة أعني عدم ربط القلب بالشيخ والتسليم والإذعان والمحبة الصادقة والامتثال.
الحادي والعشرون ترك الاعتراض على الله تعالى وعلى الشيخ ودوام الرضا بقضاء الله تعالى على ما قدر من المدد والفتح والقبض والبسط وتالصحة والمرض ملاحظا قوله تعالى {وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون} وقوله تعالى: {فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت وسلموا تسليما} ومتحققا أن الله سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من الوالدة بولدها وأعلم بمصلحة العبد من نفسه والشيخ أعلم بمزال المريد ومضاله ومصالحه ومفاسده

ومراشده وقد جرب الأمور ومارس الأحوال وركب الأهوال وبلغ مبلغ الرجال والمريد كمن دخل برية لم يسكنها ولا يعرف مواضع الخطر ولا يميز بين النفع والضرر كطبيب لمرض اعتقد أن الطبيب الفلاني عالم بعلاجه وشفائه من مرضه المهلك فيسقيه حلوا ومرا وهو يتناول ما يعطيه ويسقيه آملا لشفائه متيقنا بصحته من دائه ومتى لم يتناول ما يسقيه من الأشربة والأدوية أنى يزول مرضه هذا قانون الحكمة والتربية وهذا العالم عالم الحكمة رتب الحكيم الحق سبحانه المسببات على الأسباب ومهد القواعد والقوانين وجعل للأبواب مفاتيح فاتوا البيوت من أبوابها وافتحوا الأبواب بمفاتيحها، قال الله سبحانه: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} وقال: {إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا} الآية، والثاني والعشرون أنهم في أوان خلواتهم لا يفتحون أبواب خلواتهم لمجيء الناس إليهم وزيارتهم والتبرك بهم ولينظروا إلى حال رسول الله ﷺ في ابتداء أمره وإرادته تكميل جمعيته على الله تعالى كيف كان يتحنث في غار حراء بمكة ولا يستصحب أحدا فإذا جاءك من يشغلك عن الله تعالى ولا تريد ملاقاته لحفظ حالك وإجراء عزمك فربما يوهمك الشيطان ويقول لك أن هذا
فلان فلا ينفعك إن داريته ويضرك إن واريته والنفس تسمع قول الشيطان فتتساهل في أمرك مع الله تعالى ومعاملته فتبتلى حينئذ بأصعب من ذلك وتنصت عليك أمور لا تقدر على مقاومتها فتضطر إلى تخريب الأساس وتضييع الأصول وسماع كلمات خارجة عن قواعد المعقول والمنقول من ظلوم جهول وربما انجر إلى مراعاة دوائه بل المحافظة على كلامه عدول عن خدمة الخالق إلى خدمة المخلوق ولذا قال بعض العلماء قدس الله تعالى سره: من لم يعبد الحق اختيارا يعبد الخلق اضطرارا فاقطع الطمع منه ولا تخف منه وازهد في اعتقاده ووداده وعده ينكر عليك

ولا يعتقد فيك فإن اعتقاد هؤلاء غمرة الهلاك وضمرة النساك ولقد رأيت أنواع الضرر والفتور والقصور من الاختلاط بأرباب الدنيا المتبعين للهوى وإياك وتلبيسات النفس وخدع الشيطان بالإلقاء فيك أن هذا الشخص يهتدي بك وبكلامك وينتفع بملاقاتك في الدين فإنها من شبكات مكر اللعين. والثالث والعشرون أنهم إذا شاهدوا أشياء في الواقعة التي في اليقظة أو بين النوم واليقظة لا يستحسنون ذلك ولا يستقبحونه ولا يزيدون ولا ينقصون ويعرضون جميع ذلك على شيخهم من غير طلب تأويل فربما لا يرى الشيخ المصلحة في التأويل ولا يكتم عن الشيخ واقعته فإن الكتمان منه خيانة والله لا يحب الخائنين قال تعالى: {إن الله يامركم أن تودوا

الامانات إلى أهلها} ولا يعرف تأويل واقعة الذاكر غير الذاكر والمعبر لمنامات العوام بمعرفة عن معرفة يعرف واقعة الذاكرين السالكين، قال السهروردي رحمه الله تعالى: وشرط صحة الواقعة الإخلاص ثم الاستغراق في الذكر ثانيا وينبغي للمريد أن لا يظهر على واقعته غير شيخه اللهم إلا أن يأمره بإظهارها لمصلحة تعود على الفقراء من ترغيب ونشاط كما تقدم والرابع والعشرون دوام الذكر والأذكار هي كما قال شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى

ربنا أحمد بن مُحَمَّد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به نوعان نوع منها أذكار تقطع وتزيل كل حجاب عن الروح من أي أمر كان ومنها أذكار لا تقطع ولا تزيل إلا حجابا واحدا من نوع واحد فأما التي تقطع وتزيل كل حجاب فهي لا إله إلا الله أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سبحان الله والحمد لله أو الله أكبر وبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أو الله الله الله أو الله لا إله إلا هو الحي القيوم وأما التي تقطع وتزيل حجابا واحدا فهي سائر الأسماء الحسنى وكل اسم يذهبي بجزئ من الحجاب ولا يتعدى للجزء الآخر أهـ

والخامس والعشرون الإخلاص وحسم مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية فإن صحة الخلوة بمنية على ذلك ولا يدخل الخلوة لقصد كشف كوني وتحصيل كرامات عيانية فإن من دخل الخلوة على هذه الأماني ولم يراع شرط الإخلاص الصرف يتصرف فيه الشيطان ويلعب ويسخر به ويريه الأشياء الباطلة بصور الحق. دخل واحد من الأصحاب في خسران الخلوة بلا إذن و بلا وقت فجاء إليه الشيطان على صورة الخضر فقال: أتريد أن تحصل لك العلوم اللدنية فقال: نعم وكان مائلا إلى أن يتكلم بالمعارف على جريان اللسان فقال له: افتح فاك ففتح فاه فرمى الشيطان بصاقه

في فيه ثم بعد ذلك صنف كتابا مشتملا على أبواب من المعارف فلما وصل إلى الملاقاة عرض علي ما صنف وحكى واقعته فقلت: يا مسكين ذلك الشيطان جاء إليك في صورة الخضر لعب بك وشغلك عن طاعة الله تعالى وذكره اغسل الكتاب وتب إلى الله تعالى من الاختبار. قال الشيخ نجم الدين البكري قدس الله تعالى سره العزيز: أول ما دخلت الخلوة كان في قلبي نوع رياء وسمعة وطلب لكلام أهل الطريق حتى أعظ الناس في رؤوس المنابر وأعد من جملتهم مع أني لست منهم فأعطيت شيئا من الكشف بقدر ما علمت أن هذا الطرق صحيح ولكن كان أثناء الخلوة فاسد

من أجل أنه ما كان غرضي صحيحا ونيتي صادقة وكان لي شيء من الكتب خارج الخلوة التفت إليها فأخرجت من الخلوة كما دخلت في الحادي عشر ثم بقيت خارج الخلوة بقدر ما زال عني ضرر الخلوة ثم أردت الدخول إليها فقلت في نفسي: إن دخلت كما دخلت أخرجت ولكن أدخل مدخل صدق حتى أخرج مخرج صدق فصفيت النية لأجله ووضعت الروح في الكف وقلت: ها هو ذا خذه ووقفت الكتب ووهبت ثيابي وتصدقت بالدراهم ونبذت الدنيا وراء ظهري وجعلت القيامة بين عيني وخلعت عذار العار والشان أن يقول الناس بي ذل واستكانة أو جن وكان من أمري ما كان وجعلت

النفس بين يدي الشيخ كالميت على اللوح بين يدي الغاسل فقلت: الساعة أدخل القبر فلا أنتشر منه إلى يوم القيامة حتى قلت: هذه البقية من الثياب أكفن فيها فإن قوية الخواطر بالخروج من الخلوة مزقت ثيابي على البدن خرقا حتى أستحيي من الناس فلا أخرج فيكون حينئذ لباسي جدران الخلوة وذلك كله من شدة شوقه إلى طلب النجاة فلما دخلت هكذا ما خرجت منها إلا بإذن من الشيخ والواجب على المريد الصادق أن يخلص لله تعالى بقلبه وقالبه في جميبع حركاته وسكناته وعدم التطلع والالتفات إلى شيء مطلقا سوى الله سبحانه وأن يقطع علائقه

من أمور الدنيا قطعا ويصحح غرضه ويصدق مع الحق تعالى ويصفي نيته من كل شوب.

والسادس والعشرون أن لا يعين مدة يخرج بعد كمالها فإن النفس يصير لها بذلك تطلع إلى انقضاء المدة فإذا كان الأمر على هذا يحصل للقلب الشتات والتفرقة قال الشيخ نجم الدين البكري قدس الله تعالى سره العزيز: قال للشيخ عمار: إذا دخلت الخلوة فلا تحدث نفسك بأنك تخرج بعد الأربعين فإن من حدثها خرج من اليوم الأول ولكن حدثها بأن هذا قبرك إلى يوم القيامة قال: وهذا دقيق لا ينتبه له إلا البالغون ولا يأنس السائر إلى الخلوة إلا إذا استوحش من

ضدها وحينئذ يأنس بما دخل في الخلوة لأجله ثم لا يزل مستأنسا بالذكر والخلوة حتى تنقطع عنه الأضداد فيكون حينئذ بالله تعالى أنسه وذلك هو نهاية مبدئ صورته ومن ثم بداية الخلوة المعنوية فيكون بصورته مع الأغيار وبمعناه للمعارف وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول لمريده في أوقات الخلوة: إن كان أنسكم في الخلوة بالخلوة ذهب أنسكم إذا خرجتم منها وإن كان أنسكم

في الخلوة بالله تعالى استوت عندكم السحارى والخلوات كان صاحب خلوة قد ذكر عند الشيخ أبي النجيب السهروردي انتهاء استغراقه في الذكر إلى حد يسمع الذكر من صدره

ولكنه إذا سمع صوتا أو رأى شيئا من عالم الشهادة تشوش عليه الذكر وخرج صده وغضب وأنكر فكان يقول لمريديه: لا تكونوا مثله معناه صححوا الأنس بالله تعالى حتى لا يشوشكم شيء قلت: كلما في هذا الفصل إلا قليلا ملخص من الوصايا القدسية والخلاصة المرضية والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الخامس والأربعون

في ذكر بعض خلوات هذه الطريقة

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أنا لما ذكرنا لك يا أخي رحمنا الله تعالى وإياك أصل الخلوة وشروطها وأذكارها وبينا جميع ذلك حتى ظهر لك جميع ما هنالك أردت أن أذكر لك بعض خلوات هذه الطريقة لعلمي أنك تطلب مني ذلك أتيت لك بهذا الفصل ولكني أقدم لك كلاما لا غنى لك عنه وهو ان المريد الصادق الذي يريد أن يرتاض بالخلوة وغيرها يحتاج كما قال شيخنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به إلى أمور أولها معرفة تعديل المزاج ثم معرفة غاية القصد ثم معرفة كيفية السعي إليه ثم معرفة الحجاب القاطع عنه ثم معرفة كيفية زواله ثم معرفة أصول الحجاب التي منها مواده ثم الجد في قطع تلك الأصول ثم معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب إما كلية أو تفصيلية ثم سل سيف العزم وركوب جواد المجاهدة بمتابعة ما عرف من هذه الأمور والعمل على مقتضاها أما معرفة تعديل المزاج فهو لزوم طريق الاعتدال في الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط ثم النظر في الوقت والبلد حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وكذلك السن ثم مقاومة كل بما يقويه عن الانحراف، وأما معرفة غاية القصد فهو رفع الحجاب عن الروح

الرباني ورده في حالة الصفا التي كان عليها قبل التركيب في الجسم فإن هذا الذي يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقي وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة ومن فقده لم يصل إلى سعادة الآخرة وأما معرفة كيفية

السعي إليه فهي متابعة الرسول ﷺ في سائر قوله وفعله وحاله وخلقه بإقامة حقوق الله تعالى عز وجل سرا وعلانية مخلصا لله تعالى من جميع الشوائب الدنيوية والأخروية وأن يكون ذلك لله تعالى تعظيما وإجلالا لله على بساط الرضا والتسليم

والتعويض والاعتماد عليه تعالى في كل شيء، وأما معرفة الحجاب القاطع عن المطلوب فهو غرق الروح في بحر الحظوظ والشهوات وتعظيم نفسها والسعي في جلب مصالحها وقطع دفع مضارها بالزهد فيها بالكلية لكن بلطف ورفق، وأما معرفة أصول الحجاب فهو كثرة الأكل والشرب وملاقاة الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام ودوام الغفلة عن ذكر الله تعالى، وأما السعي والجد في قطع تلك الأصول فهو الجوع والعطش بالرفق ودوام الانقطاع عن ملاقاة الخلق ودوام الصمت مطلقا إلا في ما قل من ضروریاته ودوام السهر بالرفق ومداومة ذكر الله تعالى بالقلب واللسان دائما بأي ذكر كان ثم إن الأذكار التي بها زوال الحجاب منها كليات وهي التي تقطع الحجاب عن الروح من أي أمر كان ومنها تفصيليات وهي التي لا تقطع إلا حجابا واحدا من نوع واحد، أما الكليات فهي لا إله إلا الله أو الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو سبحان الله والحمد لله والله أكبر أو بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أو الله الله الله أو الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وأما التفصيليات فهي سائر الأسماء الحسنى وكل اسم يذهب بجزء من الحجاب ولا يتعدى للجزء الآخر والله تعالى الموفق.

أما قوله: سل سيف العزم إلى آخره لم يتكلم عليها لوضوحها اهـ وإذا فهمت هذا فخلوات طريقتنا هذه كثيرة ولكننا نذكر منها في هذا الكتاب المبارك خمس خلوات: الأولى: الخلوة المعلومة المشهورة التي هي خلوة الأربعين الكليمة وذكرها أحد الأذكار التي تقدمت قريبا بعد الأذكار اللازمة للطريقة وأذكار التحصن المعلومة عند أهلها وكذا في خلوة تأتي، والثانية: خلوة فاتحة الكتاب وكيفيتها أن تصوم أربعين يوما وتحترز فيها من أكل الحيوان وما يخرج منه وتقرأ الدعاء الذي يأتي ذكره بعد كل فريضة أربعين مرة، وأما الفاتحة فلا تفتر

عنها ليلا ونهارا إلا لغلبة نوم، وأما الدعاء فهو هذا الدعاء المبارك: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إلى آخره لا إله إلا الله الملك الفتاح الرزاق الكريم الوهاب لا إله إلا الله الملك الحي القيوم لا إله إلا الله الملك العزيز الرحيم العلي الكبير المتعال يا إله الآلهة وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم بالأسماء الربانية ألم الله لا إله إلا هو

الحي القيوم بالإرادة الأزلية إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون بالأقسام السريانية كهيعص طه طسم
طس يس بالإشارة الربانية النورانية حم عسق ليس كمثله شيء وهو السميع البصير بالصمدانية الوحدانية قل هو الله أحد إلخ يا رب بالنور المكنون ثم باللوح المصون ثم بالسر المخزون ثم بالقلم والنون ثم بأسماء الرحمن باختلاف الألوان بلطف الرضوان بسعة الغفران بمتشابه القرآن بهيبة المنان بعدل الديان يا حنّان يا منان يا كريم يا رحيم يا رحمن أسألك أن تصلي على سيدنا مُحَمَّد رسولك وأن تسخر لي خدام هذه السورة والأسماء وأن تجمع شملي بنبيك سيدنا ومولانا مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم تسخيرا ترفعني به من الملك إلى الملكوت

ومن العزة إلى الجبروت فأحيا برؤية كمال جلالك ولا الموت إلا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اللهم صل على رسولك سيدنا مُحَمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. والثالثة خلوة الفاتحة أيضا وهي أن يلازم قراءتها بالخلوة أربعين يوما.
والرابعة خلوة البسملة وخلوتها تسعة عشر يوما ومن فاته سر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فلا يطمع أن يفتح عليه بشيء فإنها الباب المفتوح والسر الممنوح وفضائلها جمة يعرفها كل الأمة وتتلى كل يوم في الخلوة تسعة عشر ألفا. والخامسة خلوة الياقوتة الفريدة وخلوتها عشرون يوما تتلى كل يوم في الخلوة ألفي مرة وهذا العدد لا بد منه وبعد تمامه يقرؤها دواما على حسب الطاقة انتهى ما أردنا ذكره منها ولكل واحد منها ثمرات لا يمكن حصرها منعني من ذكر بعضها الخوف من شياطين الطلبة والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه
وتعالى المرجع والمآب.

الفصل السادس والأربعون

في الجواب عنه رضي الله تعالى عنه في مسائل متفرقة أخذها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفاها ما من واحدة منها إلا وفيها من الفضل والأسرار ما لا يحيط به إلا مولاه الكريم الوهاب وجده عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام قد يعترض فيها بعض من لا قدم له في

العلم ومرادنا تنبيهه على قصور علمه وسوء فهمه لأنها كلها منصوص عليها في مذهب إمامه وغيره من المذاهب وإن كنا قد قدمنا أن أصحاب الفتح الأكابر لا يتقيدون بمذهب من مذاهب المجتهدين بل يدورون مع
الحق عند الله تعالى أينما دار

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: منها إهداء الثواب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم أن في هذه المسألة سؤالين أحدهما: هل ينتفع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما نهديه إليه صلى الله تعالى عليه وسلم من ثواب صلاتنا صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها من الأعمال والأقوال أولا ينتفع بشيء من ذلك والنفع عائد إلينا؟ والثاني: هل إهداء الثواب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم جائز في الشرع أم لا؟ أما الأول فالجواب والله الموفق بمنه للصواب أن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم لا ينتفع بشيء من ذلك وإنما النفع عائد إلينا وأما الثاني: فالجواب أنه جائز وفيه خير كثير وفضل جسيم للعامل والدليل على جوازه وعلى أن النفع عائد إلينا فقط ما رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه وقال الترمذي حسن صحيح عن كعب بن عجرة قال: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت: الربع قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت النصف قال:ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت: أجعل صلاتي كلها لك قال: إذن تكفى همك ويغفر ذنبك وفي رواية لهم إذن يكفيك الله هم دنياك
وآخرتك. قال الشعراني في العهود المحمدية: قوله: فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال الحافظ المنذري أي كم أجعل لك من دعائي صلاة عليك أهـ. ثم قال الشيخ أبو المواهب: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له: يا رسول الله ما معنى قول كعب بن عجرة فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: أن تصلي علي وتهدي ثواب ذلك إلي لا إلى نفسك أهـ.

ثم قال: وقد حبب لي أن أذكر لك جملة من فوائد الصلاة على سول الله ﷺ تشويقا لك لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة فيكون شغلك في أكثر أوقاتك الصلاة على سول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتصير تهدي كل عمل عملته في صحيفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشار إليه كعب بن عجرة إني أجعل لك صلاتي كلها أي أجعل لك ثواب أعمالي

فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذن يكفيك الله تعالى هم دنياك وآخرتك أهـ.
وفي المواهب وغيرها إن كعب بن عجرة قال: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال: ما شئت قلت: الربع قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت: النصف قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت: أجعل صلاتي كلها لك قال: إذن تكفى همك ويغفر ذنبك أهـ. وهذا صريح في جواز إهداء الثواب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لكعب رضي الله تعالى عنه: إذن تكفى همك ويغفر ذنبك دليل على فضيلة إهداء الثواب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أن نفعه راجع إلى المهدي لا إليه صلى الله
تعالى عليه وسلم كما تقدم. وفي حاشية البناني على شرح الزرقاني عند قول المصنف: وتطوع وليه عنه بغيره كصدقة ودعاء نقل الحطاب هنا ما للعلماء من الخلاف في جواز إهداء ثواب قراءة القرآن للنبي ﷺ أو شيء من القرب قال: وجلهم أجاب بالمنع قال: لأنه لم يرد فيه أثر ولا شيء عمن يقتضي به من السلف انظره وقد اعترضه ابن ذكري بحديث كعب بن عجرة وذكر الحديث إلى آخره ومثله في حاشية الدسوقي نقلا عن البناني.

وقال الشيخ الدردير في شرحه على المختصر في هذا المحل بعد أن ذكر الخلاف بين العلماء في كراهته وجوازه: وكثير من الصوفية على الجواز وإذا تقرر هذا فاعلم أن شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به سئل عن مسألة إهداء الثواب له ﷺ فأجاب رضي الله تعالى عنه كما في جواهر المعاني: اعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا وعن صلاتهم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فردا فردا وعن إهدائهم ثواب الأعمال له صلى الله عليه وسلم بربه أولا وبما منحه من سوابغ فضله وكمال
طوله فهو في ذلك عند ربه صلى الله تعالى عليه وسلم في غاية لا يمكن وصول غيره إليها ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} وهذا العطاء وإن ورد من الحق بهذه الصفة سهلة المأخذ قريبة المحتد فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها فضلا عن الغاية التي هي أكبرها فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته ويفيض على مرتبته ﷺ على قدر حضوته عنده ومكانته وما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة ثم

يرد على مرتبة لا غاية لها أيضا وعظمته على قدر وسعها أيضا فكيف يقدر هذا العطاء وكيف تحمل العقول سعته ولذا قال سبحانه وتعالى: {وكان فضل الله عليك عظيما} وأقل مراتبه في غناه ﷺ أنه من لدن بعثه إلى قيام الساعة كل عامل يعمل لله تعالى ممن دخل في طوف رسالته ﷺ يكون له من ثواب عمله بالغا ما بلغ فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى إهداء الثواب له لما فيها من كمال الغنى الذي لا حد له وهذه أصغر مراتب غناه ﷺ فكيف بما وراءها من الفيض لا تطيق حمله عقول الأقطاب فضلا عمن دونهم، وإذا الكبر والفضل الأعظم الأخطر الذي عرفت هذا فاعلم أنه ليست له حاجة إلى صلاة المصلين عليه ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها ﷺ وليست له حاجة إلى إهداء الثواب ممن يهدي له ثواب الأعمال وما مثل المهدي له في هذا الباب ثواب الأعمال متوهما أنه يزيده به ﷺ أو يحصل له به نفعا إلا كمن رمى نقطة في بحر طوله مسيرة عشرة آلاف وعرضه كذلك وعمقه كذلك متوهما أنه يمد هذا البحر بهذه النقطة ويزيده فأي حاجة لهذا البحر بهذه النقطة وما عسى أن تزيد فيه، وإذا عرفت رتبة غناه صلى الله عليه وسلم وحظوته عند ربه فاعلم أن أمر الله تعالى العباد بالصلاة عليه ﷺ ليعرفهم علو مقداره عنده وشفوف مرتبته لديه وعلو اصطفائه على جميع الخلق وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ، فمن طلب القرب من الله والتوجه إليه دون التوسل به ﷺ معرضا عن كريم جنابه ومدبرا عن تشريع خطابه كان مستوجبا من الله تعالى غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد وضل سعيه وخسر عمله ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به كالصلاة عليه صلى

الله عليه وسلم وامتثال أمر شرعه فإذن فالصلاة عليه ﷺ فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه وفيها تعليم لنا بالتوسل به ﷺ في جميع التوجهات والمطالب لا غير أين هذا من توهم النفع له بها ﷺ لما ذكرناه سابقا من كمال الغنى، وأما إهداء الثواب له ﷺ فتعقل ما ذكرنا من الغنى أولا ثم تعقل مثالا آخر يضرب لإهداء الثواب له ﷺ بملك عظيم المملكة ضخم السلطنة قد أوتي في مملكته من كل متمول خزائن لا حد لعددها كل خزانة عرضها وطولها ما بين

السماء والأرض مملوءة كل خزانة على هذا القدر ياقوتا أو ذهبا أو فضة أو زروعا أو غيرها من المتمولات ثم قدر فقيرا لا يملك مثلا غير خبزتين في دنياه يسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه في قلبه فأهدى لذلك الملك إحدى الخبزتين معظما له ومحبا والملك متسع الكرم فلا شك أن الخبزة

لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له فوجودها عنده وعدمه على حد سواء ثم الملك لاتساع كرمه علم فقر الفقير وغاية جهده و صدق حبه وتعظيمه في قلبه وأنه ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك ولو قدر على أكثر من ذلك لأهداه له فالملك يظهر
الفرح والسرور لذلك الفقير وبهديته لأجل تعظيمه له وصدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم لا لأجل النفع بالخبزة وعلى هذا التقدير وضرب المثل قدر إهداء الثواب له ﷺ. وأما غناه عنه ﷺ فقد تقدم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكورة أولا وإمداده بنقطة وأما إهداؤه له ﷺ فقد ذكر المثل له بإهداء الخبزة للملك المذكور والسلام ومنها البسملة أول الفاتحة في الصلاة فاعلم أنه ينبغي أن نبين أولا
اختلاف العلماء في البسملة هل هي آية من الفاتحة وغيرها من السور سوى براءة أو لا إذ لا يتبين حكمها في الصلاة إلا بذلك فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنته إلى سواء الطريق:
قال في لباب التأويل: ذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى براءة وهو قوله ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد في غحدى الروايتين عنه وإسحاق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهري والثوري ومُحَمَّد بن كعب وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى

أن البسملة ليست آية من الفاتحة زاد أبو داوود ولا من غيرها من السور وإنما هي بعض آية في سورة النمل وإنما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يفتتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول بأنها ليست من أوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة وأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة وغيرها بحديث أنس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والحمد لله رب العالمين قالوا: لأن أول ما نزل به جبريل: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} ولم يذكر
البسملة في أولها فدل على أنها ليست منها قالوا: ولأن محل القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والاستفاضة ولأن الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الإخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها كانت خمسا وأما حجة من ذهب إلى إثباتها في أول السور من جهة النقل ما قد صح عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها

أن النبي ﷺ قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم} قال: هي فاتحة الكتاب قيل: فأين السابعة؟ قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أخرجهما ابن خزيمة وغيره. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ كان لا يعلم فصل السورة، وفي رواية: انقضاء السورة حتى ينزل عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أخرجه أبو داوود والحاكم أبو عبد الله في مستدركه وقال فيه أنه صحيح على شرط الشيخين.

وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قرأتم الحمد لله فاقرأوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فإنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إحدى آياتها" رجال إسناده كلهم ثقات وروي موقوفا. وروى الدارقطني عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها آية آية وعددها عدد الأعراب وعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آية ولم يعد.

وأخرج مسلم في أفراده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: "أنزلت عليّ آنفا سورة فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إنا أعطيناك الكوثر" الحديث، قال البيهقي: أحسن ما احتج به أصحابنا في أن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من القرآن وأنها من فواتح السور سوى براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف كأنهم كتبوا فيها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم

متوهم أنهم كتبوا مائة وثلاث عشرة آية ليست من القرآن إلى أن قال: وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آية من الفاتحة.

وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان لا يدع بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لأم القرآن والسورة التي بعدها، زاد غيره أنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم يقرأ. وروى الشافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يفعله ويقول: انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن.

وفي أفراد البخاري من حديث أنس ﷺ أنه سئل: كيف قراءة رسول الله ﷺ قال: كانت مدا ثم قرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم. وقد ثبت بهذه الأدلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فالصحابة أجمعوا على إثباتها في المصاحف وأنهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه من غير أن يزيدوا فيه أو ينقصوا فيه ولذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين أو من كان قد ورد أنه كان يقولها بعد

الفاتحة، فلو لم تكن البسملة من القرآن في أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها كحكم آمين.

وفي السراج المنير: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آية من الفاتحة وعليه قراءة مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وقيل: ليست منها وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤهم والأوزاعي ومالك، ويدل للأول ما روي أنه ﷺ عد الفاتحة سبع آيات وعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آية منها، رواه البخاري.

وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ قال: "إذا قرأتم الحمد لله فاقرأوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إحدى آياتها". وروى ابن خزيمة بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ عد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آية والحمد لله رب العالمين ست آيات وآية من كل سورة إلا براءة لإجماع الصحابة على إثباتها في المصحف بخطه أوائل السور سوى سورة براءة مع المبالغة في تجريد القرآن عن الأعشار وتراجم السور

والتعوذ حتى لم تكتب آمين، فلو لم تكن قرآنا لما أجازوا ذلك لأنه يؤدي إلى اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا، وأيضا هي آية من القرآن في سورة النمل قطعا ثم إنا نراها مكررة بخط القرآن فوجب أن تكون منه كما أنا لما رأينا قوله تعالى: {فبأي آلاء ربكما تكذبان} وقوله: {ويل يومئذ للمكذبين} مكررا في القرآن بخط واحد بسورة واحدة قلنا إن الكل من القرآن.

فإن قيل: لعلها ثبتت للفصلي أجيب بأنه يلزم عليه اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا وإثباتها في أول براءة ولم تثبت في أول الفاتحة، فإن قيل: القرآن إنما تثبت بالتواتر أجيب بأن محله في ما يثبت قرآنا أما ما يثبت قرآنا حكما فيكفي فيه الظن كما يكفي في كل ظني خلافا للقاضي أبي بكر البلايلاني وأيضا إثباتها في المصحف بخطه من غير نكير في معنى التواتر وأيضا قد يثبت التواتر

عند قوم دون آخرين.

فإن قلت: لو كانت قرآنا لكفر جاحدها أجيب بأنها لو لم تكن قرآنا لكفر مثبتها وأيضا لا يكون بالظنيات، أما براءة فليست البسملة آية منها بإجماع وأما حكمها في الصلاة فاعلم أن إجماع الأمة قد انعقد على أن من قرأها أول الفاتحة فصلاته صحيحة ولم يقل أحد من العلماء ببطلان صلاة قارئها ثم اختلفوا بعد ذلك فقال بعضهم: لا تصح صلاة تاركها أصلا وهو مذهب الشافعي وبعض العلماء، وأما مذهب مالك ففي قراءتها أول الفاتحة في الفريضة أربعة أقوال: الوجوب والندب والإباحة والكراهة ولكن محل كراهة البسملة في الفريضة إذا أتى بها على وجه أنها فرض من غير تقليد لمن يقول بوجوبها أما إذا أتى بها مقلدا له أو يقصد الخروج من الخلاف من غير تعرض لفريضة ولا تقليد فلا كراهة بل واجبة إذا قلد القائل بالوجوب ومستحبة بغيرها هذا هو مذهب مالك ﷺ وكذب غير هذا كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه بالنقول الصحيحة والدلائل الواضحة الصريحة.

إن قلت: هات النصوص الموافقة لما ذكرت قلت: قال في لباب التأويل: إذا ثبت بما تقدم من الأدلة أن البسملة من الفاتحة ومن غيرها من السور فيجهر بما مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ﷺ وممن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاووس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومُحَمَّد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر مولى ابن عمر ويزيد بن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن
دينار ومسلم بن خالد وإليه ذهب الشافعي وأحد قولي أوهب صاحب مالك ويحيى أيضا عن ابن المبارك وأبي ثور وقيل يسر بها مطلقا وممن ذهب إلى الإسرار بها من الصحابة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن معقل وغيرهم ﷺ وممن بعدهم الحسن والشعبي وإبراهيم النخعي وقتادة والأعمش والثوري وإليه ذهب مالك وأحمد وغيرهم.

وأما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة منهم أبو هريرة وابن عباس وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة ﷺ أن النبي ﷺ جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من أومأ بذلك في عبارته ولم يرد في صريح الإسرار بها عن النبي ﷺ إلا روايتان أحدهما ضعيفة وهي

رواية عبد الله بن معقل والأخرى عن أنس في الصحيح وهي معللة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها.

وروى نعيم بن عبد الله قال: صليت وراء أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثم قرأ بأم القرآن وذكر الحديث وفيه: ثم يقول إذا سلم: إني لأشبهكم برسول الله ﷺ. أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال: إنما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد صح وثبت عن النبي ﷺ. وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: كان إذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم قال الدارقطني: رجاله كلهم ثقات.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. أخرجه الدارقطني وقال: ليس في روايته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال: إسناده صحيح وليس له علة. وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم. أخرجه الدارقطني وقال: إسناده صحيح ليس في إسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال: ليس إسناده كذلك وقال أبو شامة: أي لا يماثل إسناده ما في الصحيح ولكن إذا انضم إلى ما تقدم من الأدلة رجح على الصحيح.

وعن أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ يجهر في القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم. أخرجه الدارقطني وقال: إسناده صحيح. وفيه عن مُحَمَّد بن أبي السري العسقلاني قال: صليت خلف المعتبر بن سليمان ما لا يحصى صلاة الصبح وصلاة المغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل الفاتحة وبعدها، وسمعت المعتبر قال: ما آلوا أقتدي بصلاة أنس بن مالك ﷺ، وقال أنس بن مالك: ما آلوا أقتدي بصلاة رسول الله ﷺ. أخرجه الدارقطني وقال: رواته كلهم ثقات اهـ.

قلت: وفي الباب أحاديث وأدلة وإيرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق. وقال في الذهب الإبريز: وعلى القول بأنها من الفاتحة يجهر بها في الصلاة الجهرية ويسر بها معها في السرية قال هذا من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ﷺ ومن التابعين فمن بعدهم عروة بن الزبير وأبو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاووس ومجاهد وعلي بن الحسين ومُحَمَّد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار

ومسلم بن خالد وإليه ذهب الشافعي وأحد قولي ابن وهب صاحب مالك ويحكى أيضا عن ابن المبارك وأبي ثور وقال أبو القاسم المخزولي: سأل مالك نافعا عن البسملة فقال: السنة الجهر بها فسلم إليه وقال: كل علم سل عنه أهله أهو لا شك أن من كان إماما في علم وكان ذلك العلم يتعلق به علم آخر وهو متقن له داخله الوهم والغلط قاله ابن الفاض في تأليفه على قراءة ابن كثير وقيل: يسر بها وممن قاله من الصحابة الخلفاء الأربعة وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن معقل وغيرهم ﷺ ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي والنخعي

وقتادة والأعمش والثوري وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم إلى أن قال: وقال صاحب الفروع: يكفر جاحد البسملة ويفسق تاركها. قال الإمام في تفسيره: سألت عمرة الراعية وكانت من كبار العارفات: ما الحكمة في أن الجنب والحائض يمنعان من القرآن دون البسملة قالت: لأن البسملة اسم الحبيب والحبيب لا يمنع من ذكر الحبيب.

وروى الزرقاني عن أبي سهل الأبي وردان خطيبا ببخارى وجع سنه ثم أنه زاد وجعه ورأى رسول الله ﷺ فقال: رويت عنك خبرا يا رسول الله فعلته فلم يسكن وجعي فقال: لأنك قرأت ولم تقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فانتبه وقرأها بالبسملة فزال وجع سنه ولم يعد. قال الخطيب: اعتقدت مذهب الشافعي في هذه المسألة ولا أصلي إلا بها. وروي عن بعض العارفين وقد قيل له: فبماذا ترى ظهور اسم الشافعي وعلو ذكره على جميع من في عصره قال: بإظهار
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لكل صلاة اهـ.

وفي الفواكه الدواني للنفراني على الرسالة عند قوله: فإن كنت في الصبح فقرأت جهرا بأم القرآن ولا تفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم في أم القرآن ولا في السور بعدها لا سرا ولا جهرا إماما كنت أو فذا أو مأموما لأنها عند الإمام وأحمد وأبي حنيفة ليست آية من الفاتحة ولا من أول كل سورة فينهى المصلي عن قراءتها في الفريضة نهي كراهة هذا هو المشهور في المذهب. ولابن نافع قول في وجوبها كمذهب الشافعي.

وعن الإمام مالك بإباحتها وعزي لابن مسلمة ندبها ودليل المشهور حديث عبد الله بن مغفل والعمل وكان المازري يأتي بها سرا فكلم في ذلك فقال: مذهب مالك كله على صحة صلاة من بسمل ومذهب الشافعي على قول واحد ببطلان صلاة تاركها والمتفق عليه خير من المختلف فيه وقد ذكر القرافي وابن رشد والغزالي وجماعة أن من الورع الخروج من الخلاف بقراءة البسملة

في الصلاة ومثل ذلك قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة بعد إحدى التكبيرات لكن مع بعض الدعاء لتصير الصلاة صحيحة باتفاق لأن الدعاء عندنا ركن ومحل كراهة البسملة في الفريضة إذا

أتى بها على وجه أنها فرض من غير تقليد لمن يقول بوجوبها أما إذا أتى بها مقلدا له أو يقصد الخروج من الخلاف من غير تعرض لفريضة ولا تقليد فلا كراهة بل هي واجبة إذا قلد القائل بالوجوب ومستحبة في غيرها أهـ وقال أبو الحسن في شرح تحقيق المباني في هذا المحل: وإذا قرأت في صلاة الصبح وكذا غيرها من الصلوات المفروضات لا تستفتح القراءة فيها ببسم الله الرحمن الرحيم مطلقا لا في أم القرآن ولا في السورة التي بعدها لا سرا ولا جهرا إماما كنت أو غيره والنهي في كلامه للكراهة وهو مذهب المدونة.

ثم قال: وفيها ثلاثة أقوال أيضا الوجوب لابن نافع وهو مذهب الشافعي ﷺ والإباحة لمالك ﷺ والندب لابن مسلمة إلى أن قال بعد كلام أن الشيخ أحمد زروقا قال: وكان المازري يبسمل سرا فقيل له في ذلك فقال: مذهب مالك على قول واحد أن من يبسمل لا تبطل صلاته ومذهب الشافعي على قول واحد أن من تركها بطلت صلاته ونحوه قول الأقفهسي واستحب بعضهم أن يقرأها ليأتي بصلاة متفق على صحتها إلى أن قال: وقال في جامع الذخيرة: الورع ترك ما لا بأس به حذا مما به البأس كاختلاف العلماء في مشروعية الفاتحة في صلاة الجنازة فمالك يقول ليست مشروعة والشافعي يقول: واجبة فالورع أن تقرأ كالبسملة ومالك يقول: الصلاة مكروهو والشافعي يقول: واجبة فالورع أن تقرأ أهـ وفي شرح الشيح أحمد زوروق في هذا المحل قوله لا تستفتح إلى آخره يعني لأن ذلك مكروه على المشهور ثم قال بعد كلام: ولأبي عمر عن ابن نافع لا باس بها ولابن رشد عن ابن مسلمة استحبابها ورابعها الوجوب نقلها المازري عن ابن نافع وعياض عن ابن مسلمة وهو مذهب الشافعي على قول واحد من تركها بطلت صلاته وفي الذخيرة عن الطراز لا يختلف في جواز البسملة في النافلة وأنها لا تبطل

صلاة الفريضة ومذهب المدونة التخيير في النافلة في البسملة وحكى ابن رشد روايتين لا يقولها أو يقولها عياض عن ابن نافع لا يتركها بحال في فرض ولا نفل أهـ. وقال الشيخ عبد الباقي في شرحه على المختصر وكرها بفرض والورع البسملة أول الفاتحة للخروج من الخلاف قال القرافي وغيره وكان المازري يبسمل سرا فقيل له في ذلك فقال: مذهبي مالك على قول واحد من بسمل لم تبطل صلاته ومذهب الشافعي على قول واحد من تركها بطلت صلاته وصلاة يتفقان على

صحتها خير من صلاة يقول أحدهما ببطلانها إلى أن قال: ومحلي كراهة البسملة فيه إذا اعتقد أن الصلاة لا تصح بتركها ولم يقصد الخروج من الخلاف فإن قصده لم تكره أهـ. وقال الخرشي في هذا المحل أي وكرهت البسملة والتعوذ في الفرض للإمام وغيره سرا وجهرا في الفاتحة وغيرها ابن عبد البر وهو المشهور عند مالك وتحصيل مذهبه عند أصحابه وقيل بالإباحة والندب والوجوب لكن من الورع الخروج من الخلاف بالبسملة أول الفاتحة ويسرها ويكره الجهر بها أهـ.

قال العلامة الشيخ علي العدوي في حاشيته على الخرشي: قوله يسرها أي مراعاة لشافعي ومعلوم أن السر عنده لا تكفي فيه حركة اللسان بل لابد من إسماع نفسه فيكون المراد بقوله يسرها أي ويسمع نفسه اهـ. قال الخرشي: ولا يقال قولهم يكره الإتيان بها في الفريضة ينافي قولهم يستحب الإتيان بها للخروج من الخلاف لأنا نقول متعلق الكراهة الإتيان بها على رجه أنها فرض أو على أن صحة الصلاة تتوقف عليها ومتعلق الاستحباب الإتيان بها دون نية الفرضية والنفلية فلا تنافي بينهما أهـ.

وقال بعض العلماء المدققين النحققين قوله . يعني الشيخ خليلا . في مختصره وكرها بفرض والحاصل أنه إما أن يقصد الفرضية أو النفلية أوهما معا أي على العموم بأن يكون مراده واحدا لا بعينه أو لم يقصد شيئا أصلا فهذه أربع وفي كل إما أن يقصد الخروج أو لا فهذه ثمانية الكراهة في سبع وعدمها في صورة واحدة وهي ما إذا لم يقصد شيئا أصلا ونية الخروج من الخلاف لعبد الباقي القائل بعدم الكراهة في صورتين هذه وأما إذا قصد الفرضية ونوى الخروج لما فيه من التنافي لأن إذا قصد الفرضية كان شافعيا خالصا والمراد بقاؤه مالكيا
ملاحظا أهـ. وفي قريبة المسالك لمذهب الإمام مالك للعالم العلامة الشيخ علي بن الخضر العمروسي: ومن الورع البسملة أول الفاتحة للخروج من الخلاف وقد كان المازري يبسمل سرا فقيل له في ذلك فقال: مذهب مالك على قول واحد من بسمل لم تبطل صلاته ومذهب الشافعي على قول واحد من تركها بطلت صلاته أي وصلاة يتفقان على صحتها خير من صلاة يقول أحدهما ببطلانها إلى أن قال ومحل الكراهة ما لم يقصد الخروج من الخلاف وإلا استحب الإتيان بها.

وفي حاشية الدسوقي على رح الدردير على المختصر أن تجب البسملة بالنذر في صلاة الفريضة

بمنزلة من نذر صوم يوم رابع النحر ومن نذر صلاة ركعتين بعد العصر أو لا يجب أن يوفي بذلك النذر؟ لم أر من تعرض لذلك والظاهر اللزوم وخصوصا بعض من أهل المذاهب يقول بوجوبها في الفريضة وهذا إذا كان غير ملاحظ بالنذر لها الخروج من الخلاف وإلا كانت واجبة قولا واحدا أهـ.

وفي المجموع وكرها بفرض إلا لمراعاة خلاف أهـ وفي حاشية ضوء الشموع على المجموع: قوله إلا لمراعاة خلاف أورد البناني أن الكراهة حاصلة غير أنه لم يبال بها لفرض الصحة عند المخالف لكن قد يقال إذا كانت المراعاة أورع فتنتفي الكراهة قطها وفي حاشية السبتي أنه يتسلسل في الخلافيات وهو حرج أقول إن شأن الورع التشمير.

واعلم أنه قد قيل بوجوب البسملة في مذهبنا كما في العشماوية وفي غيرها وفي الباني ما نصه فائدة في عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران للبقاعي في ترجمة شيخه الحافظ بن حجر ومنها بحثه المرقص المطرب في إثبات البسملة آية من الفاتحة أو نفيها ومحله النظر إليها باعتبار طرق القراء فمن تواترت عنده في حرفه آية من أول السورة لم تصح صلاة أحد بروايته إلا بقراءتها على أنها آية لم تتصل به إلا كذلك ومن ثم أجبها الشافعي ﷺ لكون قراءته قراءة ابن كثير وهذا من نفائس الأنظار التي ادخرها الله تعالى أهـ قال بعض
العلماء: وبهذا الجواب البديع يرتفع الخلاف بين أئمة الفروع ويرجع النظر إلى كل قارئ من القراء بانفراده فمن تواترت في حرفه تجب على كل قارئ بذلك الحرف وتلك القراءة في الصلاة لها وتبطل بتركها أيا كان وإلا فلا ولا ينظر إلى كونه شافعيا أو مالكيا أو غيرهما، قال بعضهم:
وهو حسن اهـ هذا ما نقله البناني بالحرف أقول محل خلاف القراء إنما هو في الوصل بين السورتين وأما في ابتداء السورة فاتفقوا على إثباتها في غير براءة، قال الشاطبي: ولابد منها في ابتدائك سورة *** سواها وفي الأجزاء خير من تلا وظاهرها أن الفاتحة
مبدوءة بها فهي محل اتفاق القراء لا تختلف طرقهم فيها فكيف يصح رد الخلاف إلى طرقهم وهي متفقة في هذا الموضع فضلا عن أن يكون حسنا مرقصا مطربا وأيضا الإجماع على جواز القراء السبع لها في الصلاة وخارجها ونفس الراوي كابن كثير يجيز القراءة بغير روايته من السبع في الصلاة وخارجها عمن قرأ بروايته غاية الأمر إله اعتنى بضبط هذه السورة وتخيرها وغيره من

العدول قام بغيرها وكل من عند ربنا فالصواب أن خلاف الفقهاء باق ورفع الخلاف بين أئمة الفروع ونسخه إلى اختلاف القراء فاسد على أن القراء لا يرجع إليهم في صحة ولا

بطلان بل هذه للفقهاء وغاية منصبهم الاستعاذة والتهليل والتكبير ولو سلم فيكون من الأحرف التي نزل بها القرآن تسهيلا للأئمة أقرأه جبريل مرة بالبسملة ومرة بتركها كما أقرأه في آخر التوبة: {تجري من تحتها الانهار} بإثبات من تارة وبتركها وآخر الحديد: {ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد} بإثبات هو وتارة بحذفها اهـ ثم إذا فهمت هذا فالعجب كل العجب أن يدعي الإنسان أنه مالك المذهب ثم يدعي أنه عالم ويدعي أنه لا يتبع إلا ما في مختصر خليل ثم يقول إنه لا يصلي خلف من يقرأ البسملة أول الفاتحة في صلاة الفريضة لزعمه

أن الإمام شافعي فلذلك لا يصلي خلفه ولم يدر الجهول أنه صار أضحوكة بين الناس لوجهين أحدهما جهله أن قراءة البسملة أول الفاتحة في صلاة الفريضة لا يصير الإنسان شافعيا لنص علماء المذهب أن ذلك يفعل فبعض منهم أوجبه وبعض ندبه ومالك بنفسه أباحه ثم اتفقوا على أن فعله لقصد الخروج من الخلاف ورع فكيف يعيب صاحب الورع وتلك جهالة عظيمة لأن الذي يصلي صلاة متفق على صحتها إذا عابه من يصلي صلاة مختلفا في صحتها وبطلانها ينبغي أن يتعجب منه عند كل عاقل، والثاني أنا لو فرضنا أن من بسمل أول الفاتحة في صلاة الفريضة شافعي

لا نسلم أن الاقتداء به لا يصح لقول خليل في مختصره: وجاز اقتداء بأعمى ومخالف في الفروع اهـ. قال الخرشي: وكذا يجوز الاقتداء بالمخالف في الفروع كالصلاة المالكي خلف الشافعي أو غيره من المذاهب ولو رآه يفعل خلاف مذهب المقتدي ولم يدر الجهول الضليل أن كلامه هذا طعن في خليل وفي مختصره قال: إن المبسمل شافعي ولا تصح صلاة المالكي خلفه لوجهين أحدهما أن يكون خليل ﵁ جاهلا بأن صلاة المالكي خلف إمام شافعي ممنوعة وباطلة شرعا مع أن الاقتداء بالمخالف في الفروع ممنوع إجماعا فيكون جاهلا بالكلية، وثانيها

أن يكون رحمه الله تعالى عالما بالمنع ولكنه أباح ما منعه الله تعالى جرأة على الله تعالى ورسوله ﷺ ليغر بهذا المختصر هذه الأمة المحمدية وبأي هذين اتصف ينتفي الوثوق به وبمختصره وبجميع مؤلفاته وقد أبطل الحس والعقل كليهما والحمد لله على ذلك وإذا كان حال هذا المنكر هكذا فلا ينبغي لعاقل أن يشتغل بمناظرته ولا أن يبالي بإنكاره فالله حسبه وسائله.

قلت: إذا تقرر جميع ما تقدم ورأيته بعيني رأسك وحصل عندك علمه وفهمته في ذهنك واستقرت معرفته في قلبك على بصيرة وبينة من ربك فهو معتمدنا على قراءة البسملة أول الفاتحة في الصلاة من جهة علم الشريعة وأما معتمدنا على قراءتها أول الفاتحة في الصلاة من جهة علم الحقيقة فقد أمرني سيدي مُحَمَّد الغالي ونحن بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام بقراءتها أول الفاتحة في الصلاة وغيرها وأذن لي في ذلك وفي إعطائها وهو عن سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم شيخنا أحمد بن الحسن التجاني ﷺ وأرضاه وعنا به وهو قد أمره بذلك وأذن له سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ، وذكر لي سيدي مُحَمَّد الغالي أيضا ونحن في مكة المكرمة أن اقرأ البسملة متصلة بالفاتحة في نفس واحد في الصلاة وغيرها وهو عن الشيخ ﷺ عن النبي ﷺ وأطلعني على أسرار في ذلك منها أنه أعطاني ورقة فيها ما نصه: قال الشيخ القاضي مجد الدين الفيروزابادي رحمه الله: والله العظيم لقد أخبرني الشيخ صفي الدين البعلبكي عن الشيخ القاروني عن مُحَمَّد العربي أنه قال: إذا قرأت الفاتحة

فقل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في نفس واحد فأنى أقول: والله العظيم لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضيل بن مُحَمَّد الكاتب وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو مُحَمَّد علي السالسي عن لفظه وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر الضرخاوي وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو عبد الله الوراق وقال: بالله العظيم لقد حدثني مُحَمَّد بن يونس الطويل وقال: بالله العظيم لقد حدثني مُحَمَّد بن الحسين العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجي وقال: بالله العظيم لقد حدثني عمر بن موسى البرمكي وقال: بالله العظيم
لقد حدثني أنس بن مالك ﷺ وقال: بالله العظيم لقد حدثني علي بن أبي طالب ﷺ وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الصديق ﷺ وقال: بالله العظيم لقد حدثني المصطفى ﷺ وقال: "بالله العظيم لقد حدثني جبريل عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدثني ميكائيل عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدثني إسرافيل عليه السلام وقال: قال الله تعالى: يا إسرافيل وعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا على أني قد غفرت له
وقبلت منه الحسنات وتجازوت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر

وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفزع الأكبر" اهـ. قلت: وإن رغبت يا أخي عن تحصيل هذا الفوز العظيم ونيل هذا الربح الجسيم أو وجدت ما ترد به جميع ما في هذه الأسطار فاجلب وعلمت أنك لا تكون في رده ممن طرد ولعن وسلب فهات ما أودعته من المسائل في رحالك وإلا فالتصديق أوفق وأصلح لحالك والعمى لا يقود البصير ومن لم يهد الله فما له من نصير.

ومنها قراءة المأموم فاتحة الكتب خلف الإمام في الصلاة السرية والجهرية اعلم أنما أودعناه في الفصل السابع من هذا الكتاب المبارك من أن العلماء متفقون على الحث عن الخروج من الخلاف باتقاء مواضعه يغني عن مسألة قراءة البسملة أول الفاتحة في الصلاة المتقدمة وعن هذه المسألة التي نشرع فيها الآن لمن نور الله تعالى قلبه من الإخوان المنصفين لكي لما كان غرضنا في هذا الكتاب المبارك رد الأغبياء من الطلبة الجهلة تعرضنا لإيراد هذه المسائل في هذا الفصل فأقول وبالله تعالى التوفيق قيل في أقرب المسالك لمذهب الإمام
مالك: ومن الورع البسملة أول الفاتحة في الفرض للخروج من الخلاف فقد كان المازري يبسمل سرا فقيل له في ذلك فقال: مذهب مالك على قول واحد من بسمل لم تبطل صلاته ومذهب الشافعي على قول واحد من تركها بطلت صلاته وصلاة يتفقان على صحتها خير من صلاة يقول أحدهما ببطلانها وكذلك القراءة خلف الإمام في الجهر وبإسماع نفسه ولا يكتفي بحركة اللسان أهـ. وفي شرح عبد الباقي على مختصر خليل عند قوله: وكرها بفرض مثله وقال في المجموع عاطفا على سنن الصلاة وإنصات مأموم وإن لم يسمع أو سكت الإمام ولا تخفى مراعاة الخلاف أهـ.

وقال الدسوقي في حاشيته على شرح الشيخ الدردير على مختصر خليل عند قوله: وإنصات مقتد ولو سكت إمامه وتكره قراءته أي ما لم يقصد بها الخروج من خلاف الشافعي وإلا فلا كراهة أهـ. وقال القرطبي في تفسيره: اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة فقال مالك وأصحابه: هي متعينة للإمام والمنفرد في كل ركعة قال ابن خويز منداد البصري المالكي: لم يختلف قول مالك أن من نسيها في ركعة من صلاة ركعتين أن صلاته تبطل ولا تجزيه واختلف قوله فيمن تركها ناسيا في ركعة من صلاة الرباعية أو ثلاثية فقال مرة: يعيد الصلاة وقال

مرة أخرى: يسجد سجدتي السهو وهي رواية ابن عبد الحكم وغيره عن مالك قال ابن خويز منداد: وقد قيل أنه يعيد تلك الركعة ويسجد للسهو بعد السلام قال ابن عبد البر: الصحيح

من الأقوال إلغاؤه تلك الركعة ويأتي بركعة بدلا منها كمن أسقط سجد سواء وهو اختيار ابن القاسم وقال البصري وأكثر أهل البصرة والمغيرة بن عبد الرحمن المدني: إذا قرأ بأم القرآن مرة في الصلاة أجزاه ولك تكن عليه إعادة لأنها صلاة قد قرئ فيها بأم القرآن وهي تامة لقوله عليه الصلاة والسلام:"لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن " وهذا قد قرأ بها قال
القرطبي ويحتمل لا صلاة لمن لم يقرأ بها في كل ركعة وهو الصحيح على ما يأتي، ويحتمل لا صلاة لمن لم يقرأ بها في أكثر عدد الركعان وهذا سبب الخلاف والله أعلم. وقال أبو حنيفة والثوري والأوزاعي: أن من تركها عامدا في صلاته كلها وقرأ غيرها أجزاه على الاختلاف عند الأوزاعي في ذلك وقال أبو يوسف ومُحَمَّد بن الحسن: أقله ثلاث آيات أو آية طويلة كآية الدين وعن مُحَمَّد بن الحسن أيضا قال: الاجتهاد في مقدار آية ومقدار كلمة مفهمة نحو الحمد لله ولا أسوغه في حرف لا يكون كلاما وقال الطبراني: يقرأ المصلي بأم القرآن في كل ركعة
إن لم يقرأ بها لم يجزه إلا مثلها من القرآن عدد آياتها وحروفها وقال ابن عبد البر: وهذا لا معنى له لأن التعين لها والنص عليها قد خصها بهذا الحكم دون غيرها فمحال أن يجيء بالبدل بها من وجبت عليه فتركها وهو قادر عليها وإنما عليه أن يجيء بها ويعود إليها كسائر المفروضات المعينات في العبادات وأما المأموم فإن أدرك الإمام راكعا الإمام يحمل القراءة عنه لإجماعهم على أنه إذا أدركه راكعا أن يكبر ويركع ولا يقرأ شيئا فإن أدركه قبل أن يركع فإنه يقرأ ولا ينبغي لأحد أن يدع القراءة خلف إمامه في صلاة السر فإن فعل

فقد أساء ولا شيء عليه عند مالك وأصحابه وأما إذا جهر الإمام فلا قراءة بفاتحة الكتاب ولا غيرها في المشهور من مذهب مالك لقول الله تبارك وتعالى: {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا} وقال رسول الله ﷺ:" مالي أنازع القرآن " وقوله في الإمام:" إذا قرأ فأنصتوا " وقوله: "من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة " وقال الشافعي فيما حكى عنه البويطي وأحمد بن حنبل: لا تجزئ أحد صلاة حتى يقرأ فيها بفاتحة الكتاب في كل ركعة إماما كان أو مأموما جهر إمامه أو أسر وكان الشافعي بالعراق يقول في المأموم:
يقرؤ إذا أسر ولا يقرؤ إذا جهر كمشهور مذهب مالك وقال البصري: فيما يجهر فيه إمام بالقراءة قولان أحدهما أن يقرأ والآخر يجزئه أن لا يقرأ أو يكتفي بقراءة الإمام حكاه ابن المنذر وقال ابن وهب وأشهب وابن عبد الحكم وابن حبيب والكوفيون: لا يقرأ المأموم شيئا جهر

إمامه أو أسر لقوله: "فقراءة الإمام له قراءة" وهذا عام لقول جابر: من صلى ركعة فلم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء الإمام.

والصحيح من هذه الأقوال قول الشافعي وأحمد ومالك في الآخر: إن الفاتحة متعينة في كل ركعةن لكل أحد على العموم لقوله ﷺ:" لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بأم القرآن " وقوله ﷺ:" أمرت أن أنادي أن لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب فما زاد " أخره أبو داود وكما لا ينوب سجود ركعة ولا ركوعها عن ركعة أخرى فكذلك لا تنوب قراءة ركعة عن غيرها وبه قال عبد الله بن عوف وأيوب السختياني وأبو ثور وغيره من أصحاب الشافعي وداوود وروي مثله عن الأوزاعي وبه وقال مكحول وروي عن عمر بن الخطاب وعبد الله

بن عباس وأبي هريرة وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري وعثمان بن أبي العاص وخوات بن جبير رضي الله تعالى عنهم أنهم قالوا: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وهو قول ابن عمر والمشهور مذهب الوزاعي وهؤلاء الصحابة بهم القدوة وبهم السوة وكلهم يوجبون الفاتحة في كل ركعة وقد أخرج الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه ما يرفع الخلاف ويزيل كل احتمال فقال: حدثنا أبو كريب أخبرنا مُحَمَّد بن فضيل وحدثنا سويد بن سعيد أخبرنا علي بن المطهر جميعا عن

أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة الحمد لله وسورة في فريضة أو غيرها " وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام قال للذي علمه الصلاة وافعل في صلاتك كلها وسيأتي ومن الحجة في ذلك أيضا ما رواه ابو داود عن نافع بن محمود بن الربيع الأنصاري قال: أبطأ عبادة عن صلاة الصبح فأقام أبو نعيم المئذن للصلاة فصلى أبو نعيم بالناس وأقبل عبادة وأنا معه حتى صففنا خلف أبي نعيم يجهر بالقراءة فجعل

عبادة يقرؤ بأم القرآن فلما انصرف قلت لعبادة سمعتك تقرأ بأم القرآن وأبو نعيم يجهر بالقراءة قال: أجل صلى بنا رسول الله ﷺ بعض الصلوات يجهر بها في القراءة فلتبست عليه فلما انصرف أقبل علينا بوجهه الكريم وقال: فهل تقرؤن إذا جهرت بالقراءة فقال بعضنا إنا نصنع ذلك قال: أفلا وأنا نقول مالي تنازعوني القرآن فلا تقرؤوا بشيء من القرآن إذا جهرت إلا بأم

القرآن وهذا نص صريح في المأموم وأخرجه أبو عيسى الترمذي من حديث مُحَمَّد بن إسحاق بمعناه وقال: حديث حسن والعمل على هذا الحديث في القراءة خلف الإمام

عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وهو قول مالك بن أنس وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق يرون القراءة خلف الإمام وأخرجه أيضا الدارقطني وقال: هذا إسناد حسن ورجاله كلهم ثقات وذكر أن محمود بن الربيع كان يسكن إيلياء وأن أبا نعيم أول من أذن في بيت المقدس وقال أبو مُحَمَّد عبد الحق ونافع بن مُحَمَّد لم يذكره البخاري في تاريخه ولا ابن أبي حاتم ولا أخرج له البخاري ومسلم سيئا وقال فيه أبو عمر مجهول وذكر الداراقطني عن يزيد بن شريك قال: سألت عمر عن القراءة خلف الإمام فأمرني أن أقرأ
قلت: وإن كنت أنت قال: وإن كنت أنا قلت: وإن جهرت قال: وإن جهرت قال الداراقطني هذا الإسناد صحيح وروي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:" الإمام ضامن فما صنع فاصنعوا " قال أبو حاتم: هذا يصح لمن قال بالقراءة خلف الإمام وبهذا أفتى أبو هريرة أن يقرأ بها في نفسه حين قال له أبو السائبي: إني أحيانا أكون وراء الإمام قال ابو هريرة: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:"قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل " قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم:" اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين " الحديث وأما ما استدل به الأولون فقوله عليه السلام:" فإذا قرأ فأنصتوا " أخرجه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري وقال في حديث جرير عن سليمان عن قتادة بن زياد: وإذا قرأ فأنصتوا قال الداراقطني: هذه اللفظة لم يتابع فيها سليمان عن قتادة وخالفه الحفاظ من أصحاب قتادة فلم يذكروها منهم شعبة وهشام وسعيد وابن أبي عروة وهمام وأبو عوانة ومعمر وعدي بن أبي عمارة قال الداراقطني: فإجماعهم يدل على وهمه وقد روي عن عمر بن عامر عن قتادة متابعة التيمي ولكن ليس هو

بالقوي تركه ابن القطان وأخرج أيضا هذه الزيادة أبو داوود من حديث أبي هريرة وقال عنده: هذه الزيادة إذا قرأ فأنصتوا ليست بمحفوظة وذكر أبو مُحَمَّد عبد الحق أن مسلما صحح حديث أبي هريرة وقال: عندي صحيح قال القرطبي: ومما يدل على صحتها عنده إدخالها في كتابه من حديث أبي موسى وإن كانت مما لم يجمعوا عليها وقد صححها الإمام أحمد بن حنبل وابن المنذر وأما قوله تعالى: {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا} فإنه نزل بمكة وتحريم الكلام في

الصلاة نزل في المدينة كما قال زيد بن أرقم فلا حجة فيها فإن المقصود المشركون على ما قال سعيد بن المسيب وقد روى الدارقطني عن أبي هريرة أنها نزلت في رفع الصوت خلف رسول الله ﷺ وقال عبد الله بن عامر: ضعيف وأما قوله عليه السلام:" ومالي أنازع القرآن " فأخرجه مالك عن ابن شهاب عن أبي الليثي واسمه فيما قال مالك عمرو وغيره يقول: عامر وقيل يزيد وقيل: عمارة وقيل: عباد ويكنى أبا الوليد توفي سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وسبعين سنة لم يرو عنه الزهري إلا هذا الحديث الواحد وهو ثقة روى عنه مُحَمَّد بن عمرو وغيره والمعنى في حديثه فلا تجهروا إذا جهرت فإن ذلك تنازع وتجاذب وتخالج

اقرأوا في أنفسكم بينة حديث قتادة وفينا العارفون وأبو هريرة تالراوي للحديثين فلو فهم المنع جملة من قوله: مالي أنازع القرآن لما أفتى بخلافه وقول الزهري في حديث أبي فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه رسول الله ﷺ بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ يريد الجهر على ما بينا وبالله تعالى التوفيق وأما قوله ﷺ:" من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة " فحديث ضعيف أسنده الحسن بن عمارة وهو متروك وأبو ---[هكذا بياض الأصل

ولا نعلم ما اسم الراوي الضعيف] وهو ضعيف كلاهما عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن جابر أخرجه الدارقطني وقال: رواه سفيان الثوري وشعبة وإسرائيل وشريك وأبو خالد الدالاني وأبو الأحوص وسفيان بن عيينة وجرير بن عبد الحميد وغيرهم عن موسى بن عائشة عن عبد الله بن شداد مرسلا عن النبي ﷺ وهو الصواب.

وأما قول جابر: من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء الإمام فرواه عن وهب بن كيسان عن جابر قال ابن عبد البر رواه يحي بن سلام صاحب التفسير عن مالك عن أبي نعيم وهب بن كيسان عن النبي ﷺ وصوابه موقوف على جابر كما في الموطأ وفيه من الفقه إبطال الركعة التي لا يقرأ فيها بأم القرآن وهو يشهد لصحة ما ذهب إليه ابن القاسم ورواه عن مالك في إلغاء الركعة والبناء على غيرها ولا يعتد المصلي بركعة لا يقرأ فيها بأم القرآن، وفيه أن الإمام قراءته لمن خلفه قراءة وهو مذهب جابر وقد خالفه

فيه غيره وقال ابن العربي لما قال ﷺ: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" واختلف الناس في هذا الأصل هل يحمل النفي على التمام والكمال أو على الأجزاء واختلاف الفتوى بحسب اختلاف الناظر ولما كان الأشهر في هذا الأصل والأقوى أن النفي على العموم وكان الأقوى من

رواية مالك: من لم يقرأ فاتحة الكتاب بطلت ثم نظرنا في تكرارها في كل ركعة فمن فهم من قول النبي ﷺ: افعل كذلك في صلاتك كلها لزمه أن يعيد القراءة كما يعيد الركوع والسجود والله تعالى أعلم فما ذكرنا في هذا الباب من

الأحاديث والمعاني في تعيين الفاتحة يرد على الكوفيين قولهم في أن الفاتحة لا تتعين وأنها وغيرها من آي القرآن سواء وقد عينها النبي ﷺ بقوله كما ذكرنا وهو المبين عن الله تعالى مراده في قوله: {وأقيموا الصلاة} وقد روى أبو داوود عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر فدل هذا الحديث على أن قوله ﷺ للأعرابي: "اقرأ ما تيسر معك من القرآن ما زاد على الفاتحة" وهو يفسر قوله تعالى: {فاقرأوا ما تيسر منه}.
وقد روى مسلم عن عبادة بن الصامت أخبره أن رسول الله ﷺ قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن" زاد في رواية: فصاعدا. وقال عليه السلام: فهي خداج ثلاثا غير تمام أي غير مجزأة بالأدلة المذكورة، والخداج النقصان والفساد. قال الأخفش: يقال: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج وإن كان تام الخلق والنظر يوجب في النقصان ألا تجزئ معه الصلاة لأنها صلاة لا تتم من خرج ومن صلاة وهي لم تتم فعليه إعادتها على حسب حكمها ومن ادعى أنها تجزئ مع إقراره بنقصها فعليه الدليل ولا سبيل إليه من وجه يلزم
والله تعالى أعلم. ومنها تكرار الفاتحة في ما عدا الفرائض الخمس وإنما قيدنا تكرارها بغير الفرائض الخمس لأن الواقع من الشيخ رضي الله تعالى عنه وأهل طريقته في غير الخمس كما أمره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأذن له في ذلك فأما الفقهاء فقد صرحوا بصحة الصلاة بتكرار الفاتحة فيها مطلقا. قال عبد الباقي في شرحه على مختصر خليل عند قوله: وبتعمد كسجدة أي وبتعمد زيادة ركن فعلي كسجدة في فرض أو نفل لا قولي فلا تبطل بتعمد زيادة على المعتمد.

وقال الخرشي في شرحه على المختصر في هذا المحل: وقوله كسجدة من كل ركن فعلي وخرج بتمثيله بالركن الفعلي القولي كتكرير الفاتحة والظاهر لا تبطل لأنها من الذكر وتقدم فيه خلاف واعتمد في شرحه عدم البطلان أيضا اهـ. وقال الشيخ العدوي في حاشيته على الخرشي: قوله: عدم البطلان أيضا مرتبط بفاعل اعتمد أي واعتمد أيضا كما اعتمدنا في قولنا والظاهر لا تبطل. وفي قريبة المسالك لمذهب مالك للشيخ العمروسي: وزيادة ركن فعلي عمدا أو جهلا

كسجدة في فرض أو نفل لا قولي فلا تبطل بتعمد زيادته على المعتمد كتكرير الفاتحة اهـ.
وفي أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك للشيخ الدردير: ويتعمد زيادة ركن فعلي كركوع أو سجود بخلاف زيادة ركن قولي اهـ. وفي حاشيته قوله: قولي فيه رد على من يقول إنه إذا كرر الفاتحة تبطل وهو أحد قولين ومعتمد شارحها تبعا للتتائي واعتمده المحشي لأنه من جملة تكرار الذكر اهـ. ومنها تطويل الركوع والرفع منه والسجود والجلوس بين السجدتين، قال شيخنا ﷺ كما في رسالته لأهل الشام: فالواجب لها ـ يعني الصلاة ـ المحافظة لها على شروطها وهي معلومة واستكمال فرائضها وهي مشهورة وتثقيل هيئتها في الركوع والسجود على
الحد الذي ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم في الخبر الصحيح بقوله: "ثم تركع حتى تطمئن راكعا ثم ترفع حتى تستوي قائما ثم تسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ترفع حتى تستوي جالسا ثم تسجد حتى تستوي ساجدا" وقال: "وافعل في بقية صلاتك هكذا" واحذروا كل الحذر من الوقوع في الهلاك الذي وقع الناس فيه من عدم مبالاتهم بتكميلهم للصلاة فإنهم ينقرونها نقر الديكة للحب وذلك مبطل بشاهد قوله ﷺ في الخبر الصحيح للرجل الذي رآه يفعل ذلك: "ارجع فصل فإنك لم تصل" وهو يصلي كذلك ثلاثا على تلك الهيئة التي هي الإسراع في

الركوع والسجود ثم في الرابعة علمه الكيفية السابقة وقد قال ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي" فإنه ﷺ كان يتم الركوع والسجود بالطمأنينة والطمأنينة في الشرع عدم الاضطراب ومعناه أن الراكع والساجد إذا بلغ حد الركوع والسجود يتراخى فيهما قدر ما يسبح الله ثلاث تسبيحات وهو راكع أو ساجد بالتراخي يعني بالترتيل في التسبيح لا أقل من ذلك هذا أقل الطمأنينة ومن نقص عن هذا القدر فسدت صلاته فإنها هي التي وقع فيها الخبر إذا صلاها صاحبها فبعد فراغه منها يأخذها الملك فيلفها كما يلف الثوب
الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها والمطلوب في الشرع أن يأخذ الإنسان من صلاته مثل إتيانه لنومه إذا غلبه النوم فإن أتى النوم لا يأتيه مستحلا ولا متخففا بل يلقي عنه جميعا أشغاله ثم ينام متمهلا للنوم مطمئنا وكذلك حالة الصلاة يأتيها متشاغلا بها فيها قد ألقى كليته فيها تاركا كل ما يشغله عنها ثم يفعلها بشروطها المذكورة، وأما من صلاها مستعجلا لا يطمئن بركوعه ولا سجوده على الحد الذي ذكرناه فإنها غير مقبولة وإليه يشير قوله ﷺ: "أول ما ينظر الله تعالى إليه من أعمال العبد الصلاة فإن قبلت نظر في

سائر عمله وإن لم تقبل لم ينظر الله تعالى في شيء من عمله" اهـ. وإذا عرفت هذا فاعلم أن العلماء متظافرون على نص ما قاله شيخنا رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين. وفي العهود المحمدية أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نتساهل بترك الركوع والسجود والاعتدال فيهما سواء كنا أئمة أو مأمومين أو منفردين وأما الزيادة في التطويل على الذكر الواجب أو المندوب فلا يليق بالإمام بل ربما أبطل صلاتهم إن طول الاعتدال زيادة على الذكر الوارد فيه المطلوب منه وإنما يليق ذلك بالمنفرد وأما المأموم فهو

تابع لإمامه ثم إن طول تطويلا خارجا عن المأمور به فله مفارقته ولو بلا عذر. وسمعت سيدي عليا الخواص ﷺ يقول: لا ينبغي لفقير إذا كان يغلب عليه الذهول في حضرة الله تعالى على شهود المأمومين أن يجعل نفسه إماما بالناس لأن مثل هذا تحت أسرار القدرة الإلهية لا اختيار له أن يأمره الشارع بتطويل قراءة الثانية عن الأولى كقراءة سورة الغاشية في الركعة الثانية من الجمعة وفي الأولى بسبح اسم ربك الأعلى مع أنها أصغر من الغاشية فقد ثبت أنه ﷺ نص على أن تكون الثانية دون الأولى والقراءة في

الرابعة دون الثالثة وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها: وكانت صلاته بعد إلى التخفيف ومن الحكمة في ذلك كون النفس تزهق بطول الوقوف بين يدي الله تعالى على الدوام من غير أن يتخلل ذلك شهود الكون فإن ذلك ليس من مقدور البشر إلا أن يمن الله تعالى بذلك على بعض أصفيائه وتأمل يا أخي نفسك إن طول الإمام الثانية على الأولى وطول الدعاء في التكبيرة في الرابعة في صلاة الجنازة تكاد روحك تخرج من حضرة الله تعالى ولا يضير واقفا يصلي معك إلا بجسم فقط وتلك صلاة لا تصلح للقبول بل هي إلى الرد أقرب كما مر في عدم الخشوع في قسم المأمورات، واعلم يا أخي أن الاعتدال قد وردت فيه أحاديث في تطويله وفي تقصيره فروى البخاري عن رسول الله ﷺ أنه كان يطول الاعتدال حتى نقول أنه نسي وفي رواية كان إذا جلس بين السجدتين كأنما جلس على الرضف يعني الحجارة المحماة وأما الإمام أبو حنيفة فقال: يجب الاعتدال في الرفع من الركوع و السجود بقدر ما يفعل الركن من الأركان لأن الاعتدال في هذين الموضعين إنما شرع تنفيسا للمصلي مع الحضور من تالمشقة العظيمة التي تجلب له في ركوعه وسجوده وأما الإمام الشافعي فقال: يجب الاعتدال من

الركوع والسجود حتى يرد كل عضو إلى موضعه التي هي حالة القيام وقد بسطنا الكلام على ذلك في أسرار الصلاة فراجعه والله تعالى أعلم. وروى الإمام أحمد وبن ماجه وغيرهما مرفوعا: لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود. وروى الإمام أحمد أن الرسول ﷺ نهى عن نقر الغراب. ورى الطبراني وابن خيزيمة في صحيحه أن رسول الله ﷺ رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم:" لو مات على حالته هذه مات على غير ملة مُحَمَّد ﷺ.

وروى النسائي مرفوعا: " منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي الربع والخمس حتى قال ومنكم من يصلي العشر " وفي رواية النسائي بأطول من هذا. وفي حديث المسيء صلاته:"فاركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى طمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها " أهـ.

وروى الإمام أحمد وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وصحح إسناده عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ:" أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها " وروى الطبراني وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة أيضا وروى أبو يعلى وابن خزيمة في صحيحه عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة رضي الله تعالى عنهم أجمعين أن رسول الله ﷺ رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال ﷺ

لو مات هذا على حاله هذا مات على غير ملة مُحَمَّد ﷺ. وقال رسول الله ﷺ:" مثل الضي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة أو التمرتين لا يغنيان عنه شيئا ". وروى الطبراني بإسناد رجاله كلهم ثقات عن بلال رضي الله تعالى عنه أنه أبصر رجلا يتم الركوع ولا السجود فقال: لو مات هذا لمات على غير ملة مُحَمَّد ﷺ.

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:" لا ينظر الله تعالى إلى عبد لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده " وفي الموطأ عن النعمان بن مرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: " ما ترون في الشارب والزاني والسارق وذلك قبل أن تنزل فيهم الحدود قالوا: الله تعالى ورسوله أعلم قال: هي فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذي يسرق في صلاته قالوا: كيف يسرق في صلاته قال: لا يتم

ركوعها ولا سجودها ".

وروى الأصبهاني في الترغيب عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسل:" ما من مصل إلا وملك عن يمينه و ملك عن شماله فإذا أتمها عرجا بها وإذا لم يتمها ضربا بها على وجهه ". وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:" من صلى الصلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله تعالى كما حفظتني ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها عرجت وهي

سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله تعالى لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه". وروى الأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: عن النبي ﷺ قال:" إن الرجل ليصلي ستين سنة ما تقبل له صلاة لعله يتم الركوع ولا يتم السجود أو يتم السجود ولا يتم الركوع ".

ورى أبو داوود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الرجل لينصرف ما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها " والأحاديث في هذا كثيرة أهـ. وقال الشيخ زروق في شرحه على الرسالة: وقوله: أن تطمئن مفاصلك متمكنا يعني وأقل اللبث أن تستقر مفاصلك من الاضطراب اطمئنانا متمكنا ثم قال: والزائد على أقل الطمأنينة قال ابن شعبان: فرض موسع وبعضهم نقل وصوبه اللخمي واستشكل بإدراك المسبوق آخر الركوع فانظر ذلك اهـ.

وقال الشيخ زروق: قلت: يعني أن الزائد لو لم يكن فرضا لما صحت صلاة مسبوق أدركه وقد حكما العلماء بصحة صلاته من غير خلاف فدل على أن الزائد فرض. وفي شرح الدردير على المختصر عند قول المصنف: وعلى الطمأنينة ويطلب تطويله الركوع والسجود عن الرفع منهما اهـ. وفي حاشية الدسوقي في هذا المحل: واعترض البناني على المصنف في عده الزائد على الطمأنينة سنة فقال: انظر من نص على أن الزائد عليها سنة ونص اللخمي اختلف في حكم الزائد على أقل ما يقع عليه اسم الطمأنينة فقيل: فرض موسع وقيل: نفل وهو الأحسن وهكذا عباراتهم في

أبي الحسن وابن عرفة وغيرهم. قلت: والأمر كما ذكره في حاشية البناني. وقال ابن أبي جمرة عند حديث الأعرابي الذي قال له النبي ﷺ: "ارجع فصل فإنك لم تصل" وذكر الحديث وفيه: "فاركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها" ظاهر الحديث يوجب توفية أركان الصلاة من قيام وركوع وغيرهما من شأنها ومن لم يفعل لم تجز صلاته، ثم قال بعد كلام: وهنا بحث ما هو حد الاستواء اختلف العلماء في ذلك الحد فمنهم من قال: بقدر ثلاث تسبيحات ومنهم من قال غير ذلك ومنهم من لم يجعل له حدا إلا ما حده هنا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قول مالك رحمه الله تعالى ومن تبعه وهو الأظهر لأن الذي أعطي البلاغة والنور والحكمة أخبر بالأمر الذي يأخذ كل الناس منه القدر الذي فيه أجزاء فرضه لأن الناس فيهم خفيف البدن خفيف الحركة فهذا بمقدار ثلاث تسبيحات تعتدل جميع مفاصله ومنهم الثقيل البدن الثقيل الحركة فهذا بمقدار الثلاث تسبيحات لا يتم له فرضه ومنهم ما بين ذلك وهم أيضا في النطق بالتسبيح مختلفون اهـ.

قلت: وحجة من جعل أقل الطمأنينة قدر ثلاث تسبيحات حديث أبي داوود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: "إذا ركع أحدكم فقال في ركوعه: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاث مرات فقد تم ركوعه وذلك أدناه وإذا سجد فقال في سجوده: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات فقد تم سجوده وذلك أدناه" اهـ. وقال ابن أبي جمرة أيضا عند قول أنس رضي الله تعالى عنه: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتتن أمه وإن تخفيف الصلاة يكون بتقصير القراءة وقد

يكون بتقصير القيام وقد يكون بتقصير أركانها كلها إلا أنه بشرط أن لا يخل بركن واحد منها فإنه إذا أخل بواحد منها فليست بصلاة فلا يبهم التخفيف حتى ينكر شيء من عاداتهم المنقولة عنهم في طول صلاتهم لأن الله تعالى قد أثنى على المطولين في صلاتهم في كتابه حيث يقول: {وقوموا لله قانتين} والقنوت في الصلاة لغة هو طول القيام فيها وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولا للصحابة رضي الله تعالى عنهم أن يتركوا ما هو أقل من هذا فيكون لهم هذا الثناء الجميل وما تورمت قدماه صلى الله تعالى عليه وسلم إلا لطول القيام في الصلاة وقد نقل عن الصحابة وعن السلف رضي الله تعالى عنهم أنهم يكونون في الركعة

الواحدة فيخرج الرجل إلى البقيع ويرجع إلى المسجد وهم في الركعة الواحدة لم يتموها وإن الرجل منهم كان يدعو في سجوده بقدر ما يسبح الله تعالى سبحانه ويصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويستغفر لنفسه ولأبويه ولسبعين من أصحابه وقرابته ويسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم.

وأما حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أنه صلى المغرب بقوم بسورة البقرة فقال له رسول الله ﷺ: "أفتان أنت يا معاذ؟ " فإنما قال له ذلك لأن صلاة المغرب السنة فيها التخفيف ومن أجل أن ذلك وقت إفطارهم ووقت الضرورات أيضا وكان بالمؤمنين رحيما ﷺ. وما روي عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه أنه كان يصلي الصبح بسورة البقرة في الركعتين معا فأبو بكر رضي الله تعالى عنه وعن جميعهم فهم عن النبي ﷺ فجعل التطويل في محله والكل سادة على خير.

وروي عن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه قال لبعض الصحابة: ما حفظت سورة يوسف إلا من عثمان رضي الله تعالى عنه لكثرة ما كان يرددها في صلاة الصبح. وجاء في الموطأ عن أم الفضل بنت الحرث أنها سمعت عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما يقرأ: {والمرسلات عرفا} فقالت له: يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة أنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب فكانت قراءته ﷺ بطيئة حسنة كما نعتها الواصف لها. قال: كانت قراءته عليه السلام لو شئت أن أعد حروفها لعددتها.

فبتقرير هذه الآثار علمنا أنه عليه الصلاة والسلام ما كان نهيه لمعاذ رضي الله تعالى عنه على الإطلاق وإنما كان لكونه طول ذلك التطويل في المغرب وقد ثبت بالسنة خلفا من سلف أن العمل جرى على أن المستحب في صلاة المغرب أن تكون أخف الصلوات ولولا ذلك ما كان أبو بكر يصلي في الصبح بالبقرة كما ذكرنا ولما كان المعهود منهم في الصلوات التطويل فإذا كانت هناك علة كما ذكر من بكاء الصبي وما يشبه ذلك خفف عليه السلام حتى خرج بذلك التخفيف عن العادة الجارية لهم كما قال بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ما رأيت رسول الله

ﷺ صلى صلاة لغير ميقاتها إلا صلاتين صلاة المغرب والعشاء بجمع وصلى الفجر يومئذ قبل ميقاتها وليس يعني ميقاتها أنه صلاها قبل الوقت الذي وقت لها ذلك محال وإنما يعني بغير وقتها

الذي كان ﷺ يصليها فيه فإنه كان بعد طلوع الفجر كما جاء عنه ﷺ أنه يركع ركعتي الفجر ثم يضطجع ما شاء الله تعالى ثم يخرج ويصلي وفي هذا اليوم صلى عند انصداع أول الفجر وهذا أول الوقت الذي كان يصليها فيه فقد أخرجها عن الوقت المعلوم لها وهو التأخر اليسير كما شرحناه وهذا مثل ذلك سواء

لأنه من أجل تلك القربة خفف ويترتب عليه من الفقه جواز تحويل النية في خلال الصلاة إلى حال ما دخل عليه من زيادة أو نقص لكن بشرط ألا ينقص من الحد المجزي شيئا ومن أجل ذلك صرح الصحابة رضي الله تعالى عنهم بخروج الصلاة عن وقتها وفي ذلك دليل فضلهم وصدقهم في الرواية ويترتب عليه أيضا أنه لما كانت الصلاة وهي رأس الدين يجوز فيها تحويل النية من الأعلى إلى الأدنى مع حرز الكمال ولا يرجع لقدر الإجزاء إلا عند الأعذار وإذا رجع إلى قدر الإجزاء يحافظ على أن لا ينقص من الواجبات شيئا وعلى هذا البيان المتقدم من أحوالهم قد اختلفت الأحوال وظهر النقص وقد سمعت ورأيت بعض من ينسب في الوقت إلى العلم وهو ممن يقتدى به وهو لا يكمل الواجب من بعض أركان الصلاة فإنا لله وإنا إليه راجعون على تضييع العلم وحقيقته وهو العمل وتمامه ولذلك قال رزين رحمه الله تعالى: ما أوقع الناس في الأمور المحذورات إلا وضعهم الأسماء على غير المسميات المعروفة أولا لأنا الآن إذا أخذنا بالتخفيف في صلواتنا خرجنا عن حد الإجزاء لأن المطول منا في صلاته لا يصل بجهده إلا إلى الإجزاء فضلا عن أن ينقص منه شيئا عما طلب ويترتب على تخفيفها من أجل بكاء الصبي كما قال فيه فإنه حصل له في صلاته القدر المجزئ وبدل الكمال بخير صلاة أم الصبي يرفع الفتنة عنها بتعجيل الصلاة وخبر الصبي نفسه فجاء الخبر هنا متعديا وهو الأكمل وأما على قصدها من غير بكاء الصبي فتبيين منه ﷺ للقدر المجزئ في العمل كما بينه في القول والتبيين لمقادير الأحكام ارفع الأعمال ويترتب هذا من الفقه أنه ﷺ في كل الأحوال على أتمها وأعلاها وأما الجواب عن حد إتمامها فنعرفه بحده ﷺ حيث قال للمسيء في صلاته: "ارجع فصل فإنك لم تصل" فعل ذلك معه

ثلاثا قال له لما سأله التعليم: "إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها" وبقوله عليه الصلاة

والسلام: "كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج" فإن التمام في الصلاة على ثلاثة أشياء في الإجزاء بالقراءة وفي إكمال الأركان وفي إكمال عدد الركعات ويكون ذلك بعد تحقق دخول وقتها وفيه دليل على تحرز الصحابة رضي الله تعالى عنهم لأنهم كانوا يعتدون في
الكمال بأتم الحالات في الإجزاء لا يأتون به إلا ومع ذلك زيادة خفيفة أن ينقصها من الإجزاء شيء ما ولا يتحقق الإجزاء في الأقل إلا بالقطع بالزيادة اليسيرة فيه ما لم تكن تلك الزيادة محظورة في الشرع مثل منعنا الرابعة في الوضوء أو تكون تلك الزيادة لم يفعل هو ﷺ شيئا منها لئلا يخرج بها إلى البدعة وقد جاء فيها من الذم ما جا بقوله ﷺ:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وقوله عليه الصلاة والسلام:"كل بدعة ضلالة " وما أشبهه ثم قال:ويترتب على تقصيرها من غير عذر أنه جائز
وأن الأفضل ما كان دام هو صلى الله تعالى عليه وسلم ومن بعده من السلف الصالح وفيه دليل على فضل العلم لأنه به يعرف حد الجائز فيما كلف به وحد الكمال لأنه يأتي بالأشياء على ما أمر بها لأن الجاهل قد يجعل الكمال واجبا فيكون قد زاد في فرض الله تعالى أو يكون يجعل زيادة الكمال بدعة فيكون أيضا يجعل في دين الله تعالى ما ليس فيه أو يكون يجعل حد الإجزاء هو الكمال ثم يأخذ في نقص منه فيجعله من باب التخفيف وهذا الداء العضال قد كثر في أوقاتنا ومثل هذا ينبغي في جميع أمور الدين أن يعرف الشخص القدر الذي يجب عليه

وما هو قدر الزيادة المستحبة ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم:" طلب العلم فريضة " قال العلماء: كل ما كان عليك فعله فرضا فطلبه فرض لأنه لا يمكن أن يوقف عليه من جهله أهـ كلام ابن أبي جمرة رضي اله تعالى عنه. وفي شرح العزية لابن عبد الصادق: وإن أقل الطمأنينة قدر ما يسبح الإنسان فيه ثلاث مرات.
وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في بداية الهداية في آداب الصلاة: ثم كبر للركوع إلى أن قال: وقل سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثا وإن كنت منفردا فالزيادة على السبعة والعشرة حسن إلى أن قال: ثم اسجد وقل: سبحان ربي الأعلى ثلاثا وإن كنت منفردا فزد وقال في آداب الإمامة: ولا يزيد الإمام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود بحيث أن يمل القوم لئلا يؤدي إلى تغيير القوم. وعن سفيان: يقول الإمام خمسا حتى يتمكن القوم من الثلاث وقال الشافعي: لا يزيد على الثلاث فيهما أهـ.

ومنها قضاء الشفع والوتر وفي بعض الرسائل أنه رضي الله تعالى عنه قال: إذا فات الشفع والوتر بخرجهما عن وقتهما فإن صلاة اليوم الذي قبلهما لا ترفع لأنها تبقى معلقة ما عدا صلاة العصر وسمع منه بعض أصحابه أن من فاته الشفع والوتر وأراد أن يقضيهما فليقضهما متى شاء ثم يذكر عقبهما جوهرة الكمال ثلاث مرات في التحية الأخيرة منها بنية الجبر فإنها تجبر الشفع والوتر وترفع الصلاة اعلم أن تعليق رفع عمل بعمل آخر لا بدع فيه كتعليق رفع الصوم بأداء زكاة الفطر وقد ورد مثله كثيرا والقضاء المذكور إما في قضاء حقيقة أو

قضاء بمعنى العوض وكلا الأمرين مذكور عند علماء الشريعة وعند علماء الحقيقة قال الشيخ زروق في شرحه على الرسالة: تنبيه لييس في النوافل ما يقضى وما يطلب فيه الاقتصار على الفاتحة غير ركعتي الفجر وإن كان التعويض مطلوبا والاقتصار جائزا أهـ، وقال في تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد والوصول: إقامة الورد في وقته عند إمكانه لازم لكل صادق فإذا عارضه عارض بشرية أو ما هو واجب من الأمور الشريعة لزم إنفاذه بعد التمسك بما هو فيه جهده من غير إفراط يخل بواجب الوقت ثم يتعين تداركه بمثله لئلا يعتاد البطالة ولأن الليل والنهار خلفه والأوقات كلها لله تعالى فليس للإختصاص وجه إلا من حيث خصوصات فمن ثم قال بعض المشايخ: ليس عندكم ليل ولا نهار يشير للكون بحكم الوقت ما لا يفهمه البطالون من عدم تدارك الورد أهـ كلام الشيخ زروق وهو نفيس. وقال الخرشي على مختصر خليل عند قوله: ولا يقضى غير فرض إلا هي فللزوال أي لا يقضي من الصلوات إلا الفرائض والفجر فيقضي حقيقة من حل النافلة على المشهور وقيل أنها ليست بقاء حقيقة بل ركعتان تنوبان عنها أهـ.

وقال في المجموع ولا يقضى غير فرض إلا هي وإن قال به غيرنا وفي الحديث ما يدل على ذلك. قلت: قد قال بعض العلماء من أهل المذهب: أن في قضاء غير الفرض ثلاثة أقوال القضاء مطلقا وعدمه مطلقا وقضاء ركعتي الفجر فقط هذا هو الذي مشى عليه خليل أهـ. وقال الشيخ الدسوقي في حاشيته على الشيخ الدردير على مختصر الشيخ خليل عند قوله: ولا يقضى غير فرض إلا هي أي يحرم إلى آخره قال شيخنا العدوي هذا بعيد جدا وليس منقولا لا سيما والإمام الشافعي يجوز القضاء أهـ.

وقال في السراج المنير عند قوله تعالى: {وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة} قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن: يعني خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: فاتتني الصلاة الليلة قال: أدرك ما فاتك منن ليلتك في نهارك فإن الله عز وجل جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا. وعن الحسن: من فاته عمل من الذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومت فاته بالليل كان له في النهار مستعتب أهـ.

وفي لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: أخذا علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقضي أورادنا التي نمنا عنها أو غفلنا في الليل ما بين صلاة الصبح إلى صلاة الظهر ولا نتساهل في ترك ذلك وهذا العهد لا يعمل به في هذا الزمان إلا القليل من الناس لكثرة غفلتهم عن الله وعن الدار الآخرة فيفوت أحدهما الخير الكثير فلا يتأثر له ويقع منه النصف فيتأثر منه لكون الدنيا أكبر همه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واعلم أن أمر الشارع لنا بالقضاء إنما هو تنبيه لنا على مقدار ما فاتنا في الليل فإن النهار وقت حجاب فإذا حصل الحجاب للإنسان في عبادة النهار عرف مقدار ما فاته من مناجاة الله تعالى والحضور فيها وقوية داعيته إلى قيام الليل في المستقبل وفي الحقيقة ما ذم قضاء لأن كل عبادة وقعت إنما هي وظيفة ذلك الوقت بأمر جديد من الشارع وذلك الوقت ذهب فارغا فلا يملؤه مكا فعل في غيره أبدا ومن عنا قال الإمام الشافعي:الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك والله تعالى أعلم.

روى مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا: من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتبه الله له كأنما قرأه في الليل والله تعالى أعلم. ومنها أمر المريدين بالاقتصار على شيخ واحد وقد تقدم في الفصل التاسع عشر ما فيه كفاية. ومنها أمر الإخوان في الطريقة بالجتماع للذكر في الوظيفة وقد ذكرنا في كتاب سيوف السعيد في الفصل الخامس وفي الفصل الحادي والعشرين من هذا الكتاب ما فيه كفاية.

ومنها حضور النبي ﷺ عند قراءة جوهرة الكمال ومعه الخلفاء الأربعة وكون الأولياء يرونه يقظة ومنهم القطب المكتوم والبرزخ المختوم شيخنا وسيدنا أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه

وعنا به وقد تقد في الفصل السابع والعشرين ما فيه كفاية بل جميع ما في هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى أجوبة عنه وعن إخوانه من أهل الله تعالى رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين وحشرنا في زمرتهم آمين.

ومنها غير ما ذكر لا نطيل بذكره في هذا الكتاب إذ لا حاجة في تتبعه وما حملنا على ذكر ما ذكرنا مع أننا قدمنا في الفصول المتقدمة أول الكتاب ما يمنع كل عاقل من الإنكار والانتقاد ويحض كل عاقل على التسليم والاعتقاد إلا لأجل الأن يعلم المولع بالاعتراض على أهل الله تعالى أننا نعلم بالكتاب والسنة ومذاهب علماء الأمة وأنه ما أداء إلى الاعتراض على سادة الأمة إلا جهله الناشئ عن سوء الأدب وحبث الطوية ولو أحسن ظنه لما رأى شيئا من كلامهم إلا فتح الله تعالى عليه وأراه في علوم الشريعة والحقيقة ما يستريح به من

الإنكار ويعلم به أنهم على هدى وبينة من ربهم المختار الحمد لله الذي من علينا بذلك ونجانا بفضله مما وقع عليه أهل الإنكار من المهالك والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل السابع والأربعون

في إعلامهم أنه يجب عليهم طاعة المقدمين في إعطاء الورد ويحرم عليهم مخالفتهم.

فأقول وبالله تعال التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن الشيوخ رضي الله تعالى عنهم لما كاموا وارث رسول الله ﷺ ونوابه في تبليغ شريعته المطهرة إلى أمته وجب على الأمة تعظيمهم وتوقيرهم وطاعتهم وحرم على كل متدين مخالفتهم بحكم الوراثة لأن للوارث ما للموروث ولما كان الأمر كذلك كان من قدمه الشيخ من التلاميذ والمريدين بحكم النيابة يجب على من سواء طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه وتحرم عليه مخالفته وعصيانه واحتقاره وعدم المبالات به لأن من خالفه فإنما خالف الشيخ الذي قدمه قال

تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} قال في لباب التأويل: واختلف العلماء في أولي الأمر الذين أوجب الله تعالى طاعتهم بقوله: {وأولي الأمر منكم} يعني وأطيعوا أولي الأمر منكم فقال ابن عباس وجابر رضي الله تعالى عنهم: الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قوله الحسن والضحاك ومجاهد وروى البخاري ومسلم عن أبي

هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:" من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله تعالى ومن يطع أميري فقد أطاعني
ومن يعص أميري فقد عصاني " أهـ. ولا شك أن كل واحد من الشيوخ الدعاة إلى الله تعالى من أمرائه ﷺ ومن قدموه بالدعاء إلى الله تعالى من تلاميذهم من أمرائهم ومن كان من أمرائهم فهو إذا من أمرائه ﷺ ولأجل ذلك أجمعوا على حض المريدين والتلاميذ على طاعة من جعلوه مقدما ونائبا عنهم في إعطاء طرقهم وخليفة لهم.

قال في لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن نجل العلماء والصالحين والأقطاب ولو لم يعملوا بعلمهم ونقوم بواجب حقهم وحقوقهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى فمن أخل بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله فإن العلماء نواب رسول الله ﷺ وحملة شرعه وخدامه من استهان بهم تعدى ذلك إلى رسول الله ﷺ وذلك كفر وقد مال إلى ذلك من كفر من قال عن عمامة عالم: هذه عميمة عالم بالتصغير وتأمل من استهان بغلام
السلطان إذا أرسله إليه كيف يسمع السلطان من رسوله فيه ويسلب نعمة ذلك الذي استهان ويطرده عن حضرته بخلاف من بجله وعظمه وقام بواجب حقه يقربه السلطان ولو كان بعيدا ويكرمه ويجله ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يدخل حضرة الولاية الكبرى ويشهد هناك من هو المقدم عند الله تعالى ومن هو المؤخر ويصير يقدم من قدمه الله تعالى ويؤخر من أخره الله تعالى على الكشف والشهود كما يشاهد ذلك في حضرة ملوك الدنيا فإن لم تسلك يا أخي كما ذكرنا فلا يصح لك تقديم أحد على أحد إلا لعلة دنيوية وليس ذلك
التقديم هو الذي يأمرك الله تعالى به فعلم أن كل من أقام الميزان بغير حق على العلماء والأكابر حرم النفع بهم وعصى الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وروى الطبراني مرفوعا: "تواضعوا لمن تتعلموا منه" وفي رواية له أيضا مرفوعا: "ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام وذو العلم والإمام المقسط".

وقال السيد مُحَمَّد بن مختار الكنتي: قل ما أفلح مريد فطم قبل أوان فطامه بل متى مات شيخه أو فصله عنه عارض وكان له نائب أو خليفة تعين عليه ملازمته برسم ما كان عليه من الشيخ ومتى

لم يخلف نائبا ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه في بقية سيره اهـ. قلت: كلام هذا الإمام هو نص المقام لأنه لما تعين على المريد طاعة من كل نائب شيخه الذي مات أو فصله عن عارض والحال أن شيخه ما أمره تصريحا بطاعة ذلك النائب والخليفة بل إنما تتعين عليه طاعته لكونه نائب الشيخ أو خليفته فما ظنك بمقدم أمرك شيخك بطاعته نصا أو كان المقدم هو الذي لقنك الأذكار ونظمك في سلك أهل الطريقة. وقال في الخلاصة المرضية في باب آداب المريد مع شيخه: ويتلمذ ويخدم أكابر كل من قدمه عليه شيخه وإن كان أقل علما منه اهـ. وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به في الرسالة التي كتبها إلى فقراء فاس: وعليكم بطاعة المقدم في الورد مهما أمركم بمعروف أو نهاكم عن منكر أو سعى في إصلاح ذات بينكم اهـ.

قلت: وإياك أن تظن أن مرتبة الخليفة ومرتبة المقدم في إعطاء الورد من غير أن يجعل خليفة على حد سواء بل المقدم من جملة رعية الخليفة تجب عليه طاعة الخليفة هو وجماعته كما يجب على جماعته طاعته وهذا الحكم هو وجوب الامتثال للخليفة وحرمة مخالفته يجب على جميع أهل الطريقة يستوي فيه من لقنه الخليفة ومن لم يلقنه لمرتبة الخلافة فاعلم ذلك واعمل عليه ترشد والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثامن والأربعون

في إعلام المقدمين في إعطاء الورد إذنا صحيحا ممن له الإذن الصحيح عن شيخه المأذون بالتلقين والإرشاد لا سيما من بلغ منهم مرتبة الخلافة باستخلاف من كان خليفة لأنه لا بد لكل من يدعو إلى الله تعالى وكان صادقا في دعواه من الصبر على إساءة إخوانه كما صبر من كان قبله من الدعاة إلى الله تعالى حين أوذوا

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى إلى الخلق وذلك لا يتم إلا بميل قلوبهم إليه وسكون نفوسهم لديه وهذا المقصود لا يتم إلا إذا كان رحيما بهم كريما يتجاوز عن ذنوبهم ويعفو عن سيئاتهم ويخصهم بالبر والشفقة فلهذه الأسباب وجب أن يكون الداعي إلى الله تعالى مبرأ عن سوء الخلق وغلظ

القلب ويكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء كثير القيام بإعانة الفقراء قال تعالى: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
فاعف عنهم واستغفر لهم} قال أستاذنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا شيخنا وسيدنا أحمد بن مُحَمَّد الحسني التجاني ﷺ وأرضاه وعنا به: وأوصي من كان مقدما على إعطاء الورد أن يعفو للإخوان عن الزلل وأن يبسط رداء عفوه عن كل خلل وأن يتجنب ما يوجب في قلوبهم ضغينة أو شينا أو حقدا وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم وفي كل ما يوجب خللا في قلوب بعضهم على بعض وإن اشتعلت نار بينهم سارع في إطفائها وليكن سعيه في ذلك في مرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك وينهى من رآه يسعى بالنميمة بينهم وأن يزجره برفق وكلام لين وعليه

أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير في كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله تعالى وحقوق الإخوان ويراعي في ذلك قوله ﷺ: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" وعليه أن يتباعد عن تقديم دنياهم وأن لا يلتفت إلى ما في أيديهم معتقدا أن الله تعالى هو المعطي والمانع والخافض والرافع وليجعل همته في تحرير دنياهم في ما بأيديهم من التشتيت والتبذير وأن لا يطالبهم بإعطاء شيء لا من القليل ولا من الكثير إلا ما سمحت نفوسهم ببذله من غير طلب اهـ.
وقال الشعراني في البحر المورود: فاعلم أن الواجب على كل داع إلى الله تعالى مداراة المارقين بالبر والإحسان لا الحرمان والكلام المر فإنه راع وكل راع مسؤول عن رعيته قال: وقد وقع لي أنني نفرت نفسي مرة من القراء المجاورين عندي فأردت مفارقتهم فرأيت تلك الليلة سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى وهو يقول لي: قال لك رسول الله ﷺ اصبر على أصحابك طالبا وجه الله تعالى وتعهدهم بالموعظة الحسنة كل حين ولا تكن كمن غضب على غنمه في البرية حتى انتشرت منه في أرض وعرة فرجع إلى البلد وتركها للذئب
يفترسها فانتبهت من النوم مرعوبا ورجعت عما أردته. وقال أيضا في العهود المحمدية: يتعين على الشخص أن يوطن نفسه على تحمل أذى من يأمره من إخوانه بترك الدنيا وهو لم يشرف على الدار الآخرة بقلبه فإنه كالكلب العاكف على الجيفة كل من منعه من الأكل منها يكشر أسنانه ويهبهذ عليه وربما عضه حتى يرجع عنه فليكن الشخص إذا أمر إخوانه بترك الدنيا بسياسة

ورحمة ورفق وتقديم مقدامات وذكر ما كان السلف الصالح عليه ثم يقول: يرحم الله تعالى من أقتدي بهم وليحذر من التكدر منهم بالباطن إذا عصوا أمره وليس عليه إلا أن يظهر لهم

عدم الرضا بكثرة رغبتهم في الدنيا لا غير كما يظهر الوالد غضبه لولده إذا خالفه ويعبس في وجهه وقلبه راحم مشفق وربما ضربه بالعصا وربما نخست الأم ولدها بالإبرة في يده حتى أخرجت دمه ومع ذلك فيقضي العقل بأن ذلك كله ليس ببغض للولد وإنما هو لظهور شفقة والديه عليه وليوطن الداعي إلى الله تعالى عز وجل نفسه على سماع كل كلام مكروه ممن يدعوهم لأنهم عمي عما يدعوهم إليه ثم إن انجلى حجابهم فسوف يشكرون الداعي إلى الخيرات وإن لم ينجل حجابهم فقد وفى الداعي بما عليه من النصح والجهاد فسهم ثم لا يخفى أنه لا بد أن ينقسم جماعة كل داع إلى الله تعالى كما انقسم من دعاهم النبي ﷺ إلى دين الإسلام إذ هو الشيخ الحقيقي لجميع الأمة وجميع الدعاة نوابه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا بد أن يقع لهم مع أصحبهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع قومه فمنهم من يقول سمعنا وأطعنا وأولئك هو المفلحون ومنهم من يقول سمعنا وعصينا ومنهم من يقول سمعنا وأطعنا نفاقا ومنهم من يقول إنما يريد الشيخ بدعائنا إلى الله تعالى التفضل علينا والرئاسة عند الناس ومنهم من يقول إنما يريد نصحنا ونجاتنا من النار ومنهم من لا يتحول
عن محبة شيخه في شدة ولا رخاء ومنهم من هو معه في الرخاء فإذا جاءت الشدة تبرأ من شيخه ومنهم من لا يبرح حول شيخه ولو أعلظ عليه ومنهم من إذا أغلظ عليه الشيخ القول هرب منه كما أشار إليه قوله تعالى: {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} ومنهم من يريد الدنيا وزينتها وهو غافل عن الآخرة ومنهم من يريد الدنيا للآخرة كعبد الرحمن بن عوف ومنهم من لا يريد الدنيا كاهل الصفة ومنهم من يقول لشيخه كما قال قوم نوح: {يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين} فلا يأمنوا لنصحه حتى يرو

العذاب الأليم ومنهم من يقول: قد أكثرت جدالنا وتنقيصنا من الناس ومنهم من يقول لشيخه بلسان المقال أو الحال: لن نؤمن لقولك إلا أن تأتينا كرامة كما قالت قريش: {وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا} إلى آخره أو الخسف كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: {لن نومن لك حتى نرى الله جهرة} الآية وثم طائفة لا يؤمنون يقول شيخهم لهم: إن فعلتم كذا وقع لكم كذا من العقوبة إلا إن وقع ومنهم من يفدي شيخه بنفسه كما فعل سعد بن

أبي وقاص ومنهم من لا يقدر على ذلك ومنهم من إذا ذكرت عيال شيخه بسوء يكاد يتميز غيظا كما وقع لأكابر الصحابة في قصة عائشة ﵂ ومنهم من لا يتميز غيظا بل خاض من الخائضين ومنهم من يمتثل أمر شيخه في السفر في مصالح العباد كما كان أكابر الصحابة يفعلون ومنهم من يكره ذلك ويؤثر الدعة والراحة كما وقع لمن تخلف عن غزوة تبوك ومنهم من يحب شيخه أكثر من ماله وولده ومنهم من يؤثر أهله وماله وولده في المحبة على شيخه فلو قال له: أخرج لفلان عن دينار وإلا هجرتك ومنعتك من مجالستي لاختار عدم الدفع للدينار عن القرب من شيخه ومنهم من يخاف على تغيير شيخه ويعتقد أن الحق تعالى يغضب لغضبه ومنهم من يؤذي شيخه وولده وعياله ولا عليه من تغيير خاطره ومنهم من يمتثل أمر شيخه فيما إذا قال: أعط أخاك نصف مالك وقاسمه كما وقع للمهاجرين مع الأنصار ومنهم من لا يمتثل ولا يسمح لأخيه بدرهم ومنهم من يمتثل أمر شيخه على أن يؤثر أخاه على نفسه في وظيفة أو بيت أو خلوة أو مال ومنهم من لا يمتثل ذلك ومنهم من لا يتمنى مقام شيخه عن أن يتزوج له مطلقة في حياته أو بعد مماته ومنهم من يتزوج مطلقة شيخه لولا قول الله تعالى: {ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا} لربما وقع ذلك في بعض الناس ومنهم من إذا وجد كثير الذهب لا يأخذ منه إلا قوت يومه فقط ومنهم من لا يقنعه إلا أن ينقله كله ومنهم من قصده بجمع الدنيا الطمع وشره النفس ومنهم من قصده بذلك إظهار الفاقة كما وقع لأيوب عليه السلام لما أمطرت عليه السماء الذهب وصار يحثوا في ثوبه ويقول: لا غنى لي عن بركة ربي ومنهم من يرى الدنيا بعين الاحتقار ويكون الذهب عنده كالبعرة ومنهم من يراها بعين التعظيم تبعا لمراد الحق تعالى في تمييزها في قلوب عباده عن التراب ومنهم من إذا قيل له واظب على صلاة الجماعة في المسجد يتعلل بالنوم ولو كان هناك تفرقة ذهب لأتى المسجد ولم يتعلل بذلك

كما وقع لبعض الأنصار حين جاء أبو عبيدة بمال من البحرين وحضر من لم تكن عادته الحضور في صلاة الصبح ولما تخلف جماعة عن صلاة العشاء قال النبي ﷺ:" لو أن أحدهم علم أن في المسجد عرقا سمينا لحضر " ومنهم من يحضر صلاة الجمعة قبل الناس كاهل الصفة ومنهم من لا يأتي إلا والخطيب فوق المنبر وفي الركعة الأولى أو الثانية أو لا يأتي حتى تفوته الجمعة ومنهم من يحضر قبل الناس فيلغو ويلعب ومنهم من يحضر في خشوع وعبادة حتى ينصرف ومنهم من يستأذن شيخه في كل فعل من سفر أو تزويج أو بناء دار أو زرع أو نحو

ذلك ومنهم من لا يستأذنه في ذلك إما حياء منه أو استهانة به وقد رأى صلى الله تعالى عليه وسلم أثر صفرة على عبد الرحمن بن عوف فقال:" مهيم فقال: تزوجت " الحديث وكان ذلك من عبد الرحمن حياء من رسول الله ﷺ لا استهانة بلا شك. ومنهم من كان يتكرم على جميع أصحابه بكل ما دخل له ولا يبقي لنفسه شيئا كمعاذ بن جبل وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما وغيرهما ممن كان يقول بتحريم الادخار ومنهم من كان يتكرم بالبعض ويمسك البعض ومنهم من لا يطعم أحدا شيئا بل يشح على نفسه أن يطعمها ومنهم من كان يسمح

لصاحبه بجميع ماله كأبي بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم من كان يسمح لصاحبه بنصف ماله كعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومنهم من كان الناس منه في أمان كعثمان بن عفان وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما ومنهم من كان ينفق ولا يخشى من الله إقلالا كبلال ومنهم من كان يخرج ماله كلفة تكلفا ككعب بن مالك فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: "أمسك بعض مالك فهو خير لك" ومنهم من يرضى بقضاء رسول الله ﷺ كما في قصة أسامة بن زيد حين نقم على ولايته بعض الناس وكما في قول بعضهم: هذه قسمة ما أريد بها إلا الله تعالى اهـ. وقول بعضهم: آن كان ابن عمتك في حديث: "اسق يا زبير" ومنهم من كان يغضب إذا فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مالا ونسيه كمخرمة ومنهم من لا يغضب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم في أمان ولذلك كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوازي من نسيه في العطاء بقوله: "إن الدنيا حلوة خضرة وإني أعطي الرجل أتأنفه والذي أمنع أحب إلي ممن أعطي" ومنهم من كان يهاب رسول الله ﷺ إذا رآه يصير يرتعد من هيبته فيقول له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "هون عليك يا أخي فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد" ومنهم من لا يهابه ولا يرتعد، ومنهم من كان مطهرا من جميع المعاصي كالعشرة المشهود لهم بالجنة ومنهم من كان يقع في الكبائر كنعيمان وكان نعيمان كلما سكر يأتوا به إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سكران فيجلده وكان نعيمان مضحكا يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن جملة ما وقع لنعيمان أنه رأى رجلا أعمى يقول: من يقودني إلى البراري؟ فأخذه نعيمان وأجلسه في محراب المجلس وشمر ثيابه للجلوس فصاحوا به: إنك في المسجد فقال الأعمى: لئن وجدت نعيمان لأضربنه بعصاي فسمعه

نعيمان فجاء إليه فقال: هل لك في ما يدلك على نعيمان؟ فقاده إلى عثمان بن عفان وهو ساجد وقال: هو هذا فصار الأعمى يضرب عثمان ﷺ. ومنهم من كان يؤذي أصحاب النبي ﷺ ولا يكرمهم لأجله كما وقع لأبي بكر حين خطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال: هل أنتم تاركوا لي صاحبي حتى أخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله: "سدوا عني كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر" ومنهم من كان يتحمل الأذى من جميع أصحاب رسول الله ﷺ ويكرمهم لأجله صلى الله تعالى عليه وسلم ولو فعلوا
معه من الأذى ما فعلوا، ومنهم من كان يؤذي جاره كما يدل عليه قصة من شكا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن جاره يؤذيه وقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: "اطرح متاعك في الطريق وكل من مر عليك وقال ما هذا؟ فقل: جاري يؤذيني" ومنهم من كان يجالس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأجل أن يملأ له صلى الله تعالى عليه وسلم بطنه كأبي هريرة وذلك لئلا يصير يلتفت إلى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وينقطع خاطر مفارقته لأجل الجوع، ومنهم من كان يجالس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للعلم والأدب ولا يشرك معه
علة من العلل، ومنهم من كان يسمح بأطايب أمواله للفقراء ومنهم من كان كثير المال كعبد الرحمن بن عوف ومنهم من لا يملك عشاء ليلة كقصة من وقع على زوجته في رمضان، ومنهم من كان يعجب بملبسه كالذي خسف به في زقاق أبي لهب بمكة ومنهم من لا يعجب بشيء من ملبسه ولا غيره كأبي لهب، ومنهم من تكون عنده الدنيا وهو يظهر الفقر ويأخذ من الصدقة والزكاة كالذي وجد في حجة إطماره بعد موته ثلاثة دنانير أو ديناران فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: "كيات أو كيتان من نار" ومنهن من كانت تحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وترى الفضل له إذا خطبها لتكون معدودة من أزواجه ومنهن من كانت تكره ذلك وتستعيذ كابنة الجون، ومنهن من كانت تستحي من رسول الله ﷺ إذا جالسته وتصير ترتعد من هيبته ومنهن من كانت لا تهابه ولا تستحي منه كهند فإن رسول الله ﷺ لما بايع النساء قال: "ولا تقتلن أولادكن" فقالت هند: نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت كبارا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتم المبايعة.
ومنهن من تعلقت به لما ذاقت معيشته ﷺ وطلبت الفراق ومنهن من اختارت المقام معه ﷺ

والصبر على ذلك كعائشة رضي الله تعالى عنها، ومنهن من كانت كثيرة الغيرة كعائشة لما روي أنها رأت سودة وهي ذاهبة بإناء فيه طعام إلى النبي ﷺ فكسرت الإناء وساح الطعام في الأرض فقام النبي ﷺ غضبانا، ومن خدامه من كانت لا تجيبه إذا ناداها فيقول: "والذي نفسي بيده لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السوط" ومنهن من كانت تعي كل ما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم كعائشة

وبريرة رضي الله تعالى عنهما، ومنهن من لا تروي عنه فعلا ولا حديثا فهذا ما خطرني الآن من الشواهد التي تشهد لانقسام أصحاب كل داع إلى الله تعالى كما انقسم من دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ومن طلب زيادة على ذلك فليتبع أحوال الأمم السالفة مع أنبيائهم فإن تلك الأقسام لم تزل في أصحاب جميع الدعاة إلى الله تعالى وعلم من جميع ما قررناه أن من يطلب من المشايخ أن يكون جميع أصحابه مستقيمين متجردين ومتأدبين معه لا اعتراض لهم عليه ولا اختيار لهم معه أو يشاورونه على جميع أمورهم كما شرط القوم ذلك في حق المريدين

الصادقين فهو أعمى البصيرة وإنما وظيفة جميع الدعاة إلى الله تعالى أن يبلغوا الآداب الشرعية إلى قومهم لا غير فهم مأجورون على كل حال سواء امتثل الخلق أمرهم أو لم يمتثلوه وقد أرسل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الناس فأقر كل صاحب حرفة على حرفته ولم يأمر أحدا بالخروج عما أقامه الله تعالى فيه من الحرف بل سلكهم وأرشدهم وهم في حرفهم ولكن اعرض نفسك يا أخي أن يقع من أصحابك جميع ما تقدم في حق أصحاب رسول الله ﷺ من الآداب معه ومن ضده في حقه وحق أصحابه وذلك ليستن بهم من بعدهم وهذا هو

اللائق بمقامهم وأما أن يكون ما ويقع من سوء الأدب في بعض الأوقات بيانا لعدم العمة ثم ينوبون على الفور أهـ. وقال: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا نتهاون بترك رياضة نفوسنا فيتعين على كل من ولاه الله تعالى ولاية أن يروض نفسه على يد شيخ ناصح ليصير سداه ولحمته الحلم عن رعيته إلا في مواضع أمره الشارع فيها بعدم الحلم كإقامة الحدود الشرعية على أربابها أو نحو ذلك فمن راض نفسه كما ذكرنا قل غضبه على ولده وزوجته وغلامه وصاحبه لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى عز وجل

لا غير وقد درجت الأئمة وجميع مشايخ الصوفية على العمل على عدم الغضب جهدهم فإن الغضب بئس الصفة لا سيما في حق من كثر دعاؤه إلى الله تعالى فإن حكم غضبه على تلامذته

حكم راعي الغنم إذا غضب على غنمه من شدة شتاتها وتركها في البرية للذئب والسبع بعد أن كان تعب فيهم من حين كانوا يرضعون اللبن وذلك معدود بيقين من سخافة العقل فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح يخرجك من رعونات النفس ويلطف كثائفها حتى تكاد تلحق بالملائكة لتصير تتحمل مع رعيتك جميع الصفات المخالفة الأغراضك ولا تتأثر والله تعالى يتولى هداك.

وقد روى البخاري أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال: لا تغضب.
وروى الإمام أحمد عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: فكرت في قول رسول الله ﷺ في الغضب ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله. وروى الإمام أحمد وبن حبان في صحيحه أن ابن عمر سأل رسول الله ﷺ: ما يباعدني من غضب الله عز وجل قال:" لا تغضب ".
وروى الترمذي مرفوعا:" ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات ألا وإن منهم البطيء الغصب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء يجمع الشر كله ". والروى البزار مرفوعا:" ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات ألا وإن منهم البطيء الغضب السريع الفيء ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء فتلك بتلك ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الرجوع وشرهم سريع الغضب بطيء الرجوع ". وروى البخاري تعليقا: " من صبر عند الغضب وعفى عند الإساءة عصمه الله وخضع له عدوه ".
وروى الطبراني مرفوعا:" من دفع غضبه دفع الله تعالى عنه عذابه " والله تعالى أعلم أهـ. وقال: أخذا علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نرغب من ولى من إخواننا ولاية في العدل في رعيته ومعانلتهم بالرفق والشفقة والأدب في الدخول عليه في كل وقت إلا لظرورة شرعية لأن من لم يكن مع رعيته كذا دائما عزلته المرتبة ونفرت منه وما ولى الله تعالى عبدا على عباده إلا ليكون كالأب الشفيق والأم الحنونة ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك إلى يد شيخ ورياضة نفس حتى يصير يستلذ بمخالفة رعيته لأوامره

العرفية ليحلم عليهم لأن الخلق في حجرة الولاية كالغنم والمعز في يد راعيهم كذا ربما انتشروا منه في أرض ذات شوك وهو حاف فهذا حكمه ولو أنهم بهائم لما احتاجوا إلى من يرعاهم. في لأثر أن موسى عليه السلام ما كلمه ربه إلا بعد صبره على رعاية الغنم وما من نبي إلا ورعى الغنم والسر في ذلك ليتأنس بصبره على الغنم قبل صبره على قومه وبلغنا أنه بالغ في الشفقة حتى أورد الغنم مرة على الماء فكان فيها نعجة عرجاء لم تستطع أن تشرب من الماء بنفسها فنزل إلى

الماء وجعلها على ظهره حتى شربت أهـ.

فرعية: كل راع من سلطان أو أمير أو شيخ في الطريق هم ربحه وخسرانه فبهم يربح وبهم يخسر قال وسمعته سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: ينبغي لكل من ولاه الله تعالى ولاية على الناس أن يصبر على مخالفتهم لاسيما في أوائل أمر الولاية حتى ترتاض نفسه ويتمكن من مقام الصبر في الحلم فإن من كانت رعيته منقادة له فهو خداع لا يظهر مقامه في الحلم فليقل من ضجر ممن ولاه الله لنفسه إن لم تحمل أنت عوج رعيتك فمن يحمله أهـ قال: وقد ورد أن ذا الكفل لم يكل رسولا وإنما كفل رسول زمانه حين خرج في غزاة وقال له: اخلفني في قومي خلافة حسنة فكان لا ينام في الليل ولا في النهار فتقلق من ذلك وأراد يوما أن ينام القائلة فغلق بابه ووضع رأسه فأول ما خلل بالنوم دق إبليس على الباب فتصدع رأسه فقال: قم افصل بيني وبين خصمي وكان قصد إبليس أنه يتفلق ويترك الخلافة فلما علم ذو الكفل ما له من الأجر العظيم قال وفصل بينهما وأتاه في اليوم الثاني كذلك والثالث كذلك إلى أن ألهمه الله تعالى أنه إبليس فاستعاذ بالله تعالى منه فانصرف عنه فلولا أنه كان من الصالحين لفتنه في دينه فليتنبه كل ولي ولاية لمثل ذلك وربما وسوس إبليس للمريدين بالأمور

المخالفة للأدب مع الشيخ من وجه كل فتعرض للشيخ النفرة منهم فليلتقمهم كما يلتقم التمساح السمكة فيصير يسخر بالشيخ فإنهم قالوا: حكم الشيخ حكم الصياد: الذي يصداد المريدين من أفواه الشياطين ويخرجهم من تحت أسنانهم قال: وحكي لي أن جميع إخواني المقيقمين بالزاوية تغيرت أحوالهم وثقل الذكر على نفوسهم حتى لم يبق في يد أحد منهم شعرة واحدة فأردت الانتقال من الزاوية فتمثل لي إبليس تجاهها وهو يصفق ويرقص ويقول غلبت فرجعت فزاد عليهم الأمر وطلبوا أن يحترفوا بالقرآن في ليالي الجمع وغيرها ويتركوا مجلس ذكر الله تعالى

والصلاة على نبيهم ﷺ احتسابا فتوجهت إلى النبي ﷺ في الاستئذان في ذلك فرأيت سيدي عليا الخواص وهو واقف خلف باب لا أرى من وجهه إلا أنفه ويقول لي: يقول لك رسول الله ﷺ: اصبر على إخوانك طالبا وجه الله تعالى ولا تبال بمخالفتهم لأوامر الله عز وجل وتخولهم بالموعظة كل حين اهـ.

فعلمت أن ذلك إنما كان امتحانا في الصبر حين وسوس لي إبليس وقال: إن لي إخوانك ليس

فيهم ثمرة والإنسان إنما يزرع في أرض تنبت الزرع ومن زرع في السباخي وقليل العقل غاب عني أن الله تعالى ما يطلب إنجادهم بامتثال أوامره وإنما يطلب مني ما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: {إن عليك إلا البلاغ} وكان رسول الله ﷺ من وفور شفقته يود أن لو دخل الناس كلهم الجنة وقال الله تعالى: {ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين} فكل داع إلى الله تعالى لا بد أن يقع له ما وقع لرسول الله

ﷺ وراثة مُحَمَّدية فيحجبه الله تعالى عن شهود القبضتين إلى شقي وسعيد وعن كون ذلك حتما لا بد منه فلذلك يضيق صدر الداعي إذا عصوا أمره فيحتاج الداعي إلى الله تعالى إلى مراقبة شديدة على الدوام عرفا فإنهم قالوا: مراقبة الله تعالى على الدوام من غير تخلل فترة ليس بمقدور البشر فافهم.

قال لي مرة شخص من حذاق المريدين المقيمين عندي: لولا كثرة مخالفتنا لك ما عظم الله تعالى أجرك فأنت مأجور على كل حال أطعناك أم عصيناك فلك الأجر من الجهتين فالله تعالى يزيده توفيقا كما أيدني آمين فإنه نبهني على أن ذائق الأمور ليس هو كالسامع بها وثبتني حتى لم أتزلزل كما ثبت الله تعالى الرسل بما قصه عن بعضهم: {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل} وقال: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا} وقال: {فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت} وكل داع إلى الله تعالى على قدم رسول من الرسل وكل من جاءه بلاء فوق طاقته احتاج ضرورة والله تعالى المصير له إلى الصبر فلا يوجد أتعب قلبا ولا بدنا ممن يتولى أمور المسلمين لغلبة وقوع الملل منه وعدم تحمله أذى رعيته ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سمع جيرانه بكاء وعويلا في داره فسألوا عن ذلك فقالوا: إن عمر خير زوجاته وسراريه بين الإقامة عنده من غير مسيس إلى أن يموت وبين أن يذهبن ويطلقهن وقال: قد جاءني أمر يشغلني عنكن فلا أقدر التفت إلى واحدة منكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة ﷺ وبلغنا أنه لا ينام ليلا ولا نهارا إلا بعض خفقات وهو جالس ويقول: إن نمت بالليل ضيعت

نفسي وإن نمت بالنهار ضيعت أمر الرعية. قال: وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول: يحاسب المؤمن الذي لم يتول ولاية عن نفسه في يوم كان مقداره وقت صلاة يصليها ويحاسب من يتولى ولاية عن نفسه وعن رعيته في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر يا أخي على رعيتك كلما ملت نفسك واعذر كل من فر من ولايته في هذا الزمان المبارك ولا

تسخر به تبتل بنظير ذلك.

وقد حكى الأمير محيي الدين بن أبي الأصبغ أحد أركان الدولة بمصر المحروسة أن شيخا كان له جار من القضاة سيء الخلق وكان يخرج خلقه عند الخصام فكان جاره يبالغ في الإنكار عليه ويقول: إن هذا سيء الخلق وكان لذلك القاضي بيت فوق مجلس حكمه فلما أكثر عليه جاره من الإنكار قال له: احكم مكاني غدا لأني عازم على شرب دواء قال: نعم فجاء خصم ادعى على خصمه أن له عنده مائة دينار في صرة فقال له: ما عندي شيء فالتمس من المدعي البينة فأتى بثمانية يشهدون بها فقال: إن هؤلاء شهود زور فأت بمزكيهم فزكوهم فثب الحق على ذلك الخصم

وطلب التقسيط فأبى عليه صاحب الحق فما أجاب إلا بعد أن كادت روحه تزهق منه فقال: كم يقدر على كل يوم على نصف فقال: لا أقدر على ذلك فجعل عليه القاضي عثمانيا كل يوم فقال: لا أقدر فقال: كل جمعة عثمانيا فقال: لا أقدر فقال: كل شهر عثمانيا فقال: لا أقدر فقال: كل سنة عثمانيا فقال: لا أقدر فقام القاضي النائب ورمى عمامة نفسه وصار ينطحه برأسه ويرفسه برجله وهو يقول: لا أقدر على عثماني ثم نادى القاضي الأصيل فقال: تعال انزل لحكمك عند ربك قال: وما ذكرت ذلك إلا لتقيم الأعذار للناس في هذا الزمان الذي اختفى فيه

أكابر الأولياء لعجزهم عن شروط الظهور من الصبر على مروق الناس من الحق وتكليفهم الولي أن يرد عنهم الأقدار مع تماديهم على القبائح فاعلم ذلك والله عليم حكيم. وروى الشيخان مرفوعا: "سبعة يضلهم الله تعالى بظله يوم لا ظل إلا ظله فذكر منهم: إمام عادل" وروى الإمام أحمد وحسنه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما مرفوعا: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم".

وروى مسلم والنسائي مرفوعا أن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا. وروى مسلم مرفوعا: "أهل الجنة ذو سلطان مقسط رفيق الحديث والمقسط العادل". وروى الطبراني بإسناد جيد مرفوعا: "يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة" الحديث، زاد في رواية الأصبهاني: "قيام ليلها وصيام نهارها وجور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة".

وروى الترمذي والطبراني مرفوعا: "أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل" زاد في رواية: "رفيق". وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كما في جواهر المعاني: وليكن شديد الاهتمام بحقوق إخوانه في طريقته التي لا يمكن التأخير عنها لكن ملازمة الواجب منها فقط من غير أن يجعلها هجيراء فإن لكل عاقل أوقاتا يخلو فيها بربه لا يمكنه التأخير عنها ولا الاشتغال عنها وأوقات يجالس فيها إخوانه في الطريقة لله تعالى لتعلم أو تعليم أو استفادة بما لم يكن عنده من العلم من غير إفراط ولا

تفريط اهـ. وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به في موضع آخر: وعليكم بمناصحة إخوانكم في الطريقة برفق فإن من عفا عن زلة عفا الله تعالى له عن زلات كثيرة ومن وقع فيكم بزلة ثم جاءكم معتذرا فاقبلوا عذره وسامحوه لكي يقبل الله تعالى أعذاركم ويسامحكم في زلاتكم فإن شر الإخوان عند الله تعالى من لا يقبل عذرا ولا يقيل عثرة وتأملوا قوله سبحانه وتعالى: {سارعوا إلى مغفرة من ربكم} إلى قوله: {والله يحب المحسنين} اهـ. والله تعالى الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل التاسع والأربعون

في أمر الإخوان المنتسبين إلى طرق الله تعالى أن يتحملوا إذاية المنكرين والمعترضين عليهم وعلى ساداتهم الأولياء اقتداء بأنبياء الله تعالى ورسله والتأسي بهم

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: قال العلقمي في شرحه الكوكب المنير على الجامع الصغير عند قوله ﷺ: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل" قال في فتح الباري: كذا للأكثر وللنسقي الأول فالأول وجمعهما المستملي والمراد بالأول الأولوية في الفضل والأمثل أفعل من الأماثل هم الفضلاء وشرح الحديث أن أشد الناس

بلاء الأنبياء ويلحق بهم الأولياء لقربهم منهم وإن كانت درجاتهم منحطة عنهم قال شيخ شيوخنا: والسر فيه أن البلاء مقابل للنعمة فمن كان منهم نعم الله تعالى عليه أكثر كان بلاؤه أشد ومن ثم ضوعف حد الحر على العبد وقيل لأمهات المؤمنين: {من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين} قال ابن الجوزي في الحديث: دلالة على القوي يحمل ما حمل

والضعيف يرفق به إلا أنه كلما قرنت النعمة بالمبتلى هان البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء وأعلى من ذلك درجة من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم

ولا يعترض وأرفع منه من شغلته محبته عن طلب رفع البلاء وأنهى المراتب من يتلذذ به لأنه عن اختياره نشأ اهـ. وقال الدميري: قد يجهل بعض الناس فيظن أن شدة البلاء وكثرته إنما تنزل بالعبد لهوانه لا يقوله إلا من أعمى الله تعالى قلبه فإن العبد يبتلى على حسب دينه كما في حديث الباب. قال سفيان الثوري: ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة اهـ.
قال الدميري: وقد ابتلي خلق كثير من أولياء الله تعالى بأنواع البلاء والأذى فبعضهم حبس وبعضهم نفي وبعضهم قتل مظلوما شهيدا هذا أمير المؤمنين عثمان بن عفان قتل مظلوما شهيدا دخل عليه جماعة من الفجرة فقتلوه وهو صابر محتسب وكذا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وولده الحسين قتل مظلوما شهيدا وكذا عبد الله بن الزبير قتل مظلوما شهيدا قتله الحجاج وصلبه بمكة وكذا قتل سعيد بن جبير وكان من سادات التابعين.
قال في جامعه: أحصي من قتله الحجاج بن يوسف صبرا فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا وهذا سعيد بن المسيب وهو سيد التابعين جلد بالسياط في أيام عبد الملك بن مروان طافوا به في جلد بتان وعزروه وحبسوه ومنعوا الناس عن مجالسته والإمام أبو حنيفة ابتلي بالقضاء فلم يقبل فضرب وحبس ومات في السجن والإمام مالك بن أنس جردوه وضربوه بالسياط وجذبت يده حتى انخلعت من كتفه وسفيان أمر بصلبه فاختفى مدة والإمام أحمد بن حنبل امتحن محنته المشهورة على أن يقول القرآن مخلوق فلم يقبل بل قال: القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق فضرب

بالسياط حتى أغشي عليه ثم قطع من بعد ذلك من لحمه بالسكين وهو في جميع ذلك صابر وقد ضرب في محنة القول بخلق القرآن جماعة من العلماء والأخيار وقيدوا وحبسوا فمنهم من مات في قيوده ودفن بها منهم نعيم بن حامد شيخ البخاري وصى أن يدفن في قيوده ليخاصم بها عند الله تعالى ومنهم أبو يعقوب البيوطي أحد أصحاب الشافعي حمل من مصر إلى بغداد في أربعين رطلا من حديد ومات في قيوده مسجونا والإمام أبو عبد الله البخاري تعصب عليه ونفي من بلده بخارى وكان يقول: اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك فما جاء عليه يوم

منذ هذا الكلام حتى مات اهـ. وقال في البحر المورود: أخذ علينا العهد أن نوطن نفوسنا إذا طلبنا أن نكون من حزب الله عز وجل على تحمل البلايا والمحن وكثرة الإنكار علينا ممن عرفنا وممن لا يعرفنا وذلك لأنه لا بد لكل أحد أراد الحق تعالى اصطفاءه أن يحصل له شيء من ذلك ساء أو بر ثم لا يخفى عليك يا أخي أن سبب وقوع غالب الناس في أعراض القوم كون أحدهم يطلب أن يكون من أهل حضرة الله تعالى وهو يحرم دخولها على من يراعي المقام عند الخلق فلذلك يسلط الله تعالى على أحدهم الخلق بالزور والبهتان وتمزيق الأعراض حتى يصير لا يركن لأحد من الخلق دون الله تعالى فإذا كان كذلك اعتمد على الله تعالى ضرورة وطلب المقام عنده وهناك يعطيه الله تعالى ثم يترقى بعد ذلك في درجات التقرب إلى المحل الذي قسمه الله تعالى له وما دام العبد يطلب مقاما عند الخلق فهو محجوب عن الله تعالى وكلما ازداد في الصفات الخبيثة تزايد حجبا حتى أنه ربما يحجب عن الله تعالى بسبعين ألف حجاب أو أكثر.

وقال: سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يصطفي الحق تعالى عبدا حتى تتحزب عليه شياطين الإنس والجن ويرمونه بالزور والبهتان فإذا نفرت نفسه من الخلق وصار لا يركن إلى أحد منهم اصطفاه الله تعالى اهـ. وقال: وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول: لما علم الله تعالى ما سيقول الناس في أنبيائه وأصفيائه من الزور والبهتان قسا على قوم بالشقاء والعياذ بالله فجعلوا له زوجة وولدا وقالوا: يد الله مغلولة ونحو ذلك حتى إذا ضاق ذرع الولي مثلا من كلام قيل فيه نادته هواتف الحق عز وجل: أمالك إسوة بربك سبحانه وتعالى قد جعلوا له زوجة وولدا ونسبوه إلى ما يليق بجلاله غارقين في فضله وأرواحهم بيده فلا يسع ذلك الولي إلا التأسي بربه عز وجل اهـ. وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى يقول: قد جرت سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الأذى في ابتداء امرهم ثم تكون الدولة لهم آخرا إذا صبروا وقد بسطت الكلام على ذلك في مقدمات اللطيفات فافهم والله تعالى يتول هداك أهـ.

ويف عرائس البيان عند قوله تعالى: {فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي} إن القوم إذا لم يذوقوا مرارة إذاء المنكرين لم يبلغوا حقائق الالتجاء إلى الله تعالى والفرار إليه فإذن الأضداد تهيج الأولياء إلى مقام الغيط وضيق الصدر وذلك محل الامتحان من الله تعالى لكظم غيظ عصص المنكرين لتنفتح بعد ذلك أبواب الخطاب وصفاء البسط ومرور المنة قال الجنيد:

جزى الله تعالى عنا إخواننا خيرا ردونا بجفائهم إلى الله تعالى وهذه سنة اله تعالى قد جرت على أهل سلوك طريق المعارف والكواشف وقال الله تعالى: {ولن تجد

لسنة الله تبديلا}. وفي القواعد الزروقية: ما ظهرت حقيقة قط في الوجود إلا قوبلت بدعوى مثلها وإدخال ما ليس منها عليهم ووجود تكذيبها كل ذلك ليظهر فضل الاستئثار بها وتبيين حقيقتها بانتفاء معارضيها فيسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وللوارث نسبة من الموروث وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل إنما يبتلى الرجل على قدر دينه فمن ثم كان أهل هذه الطريق مبتلين بتسليط الخلق عليهم بإذايتهم أولا وبإكرامهم وسطا وبهما آخرا لئلا يفوتهم الشكر على المدح ولا الصبر على الذم فمن أراد ذلك فليون نفسه
على الشدة إن الله يدافع عن الذين آمنوا ومن يتوكل على الله فهو حسبه فافهم أهـ كلام الشيخ أحمد زروق رضي الله تعالى عنه. قلت: وإذا تحرر هذا وثبت فهمه في ذهنك فاعلم أن الرجل مبتلى على حسب دينه كما تقدم ذكره فلكل نبي وصديق عدو فقد كان لآدم إبليس ولداوود جالوت ولإبراهيم نمروذ ولموسى فرعون ولعيسى بختنصر والدجال واليهود ولسينا مُحَمَّد أبو جهل وغيره قال أبو علي الخواص: لو كان كمال الدعاة إلى الله تعالى موقوفا على إطباق الخلق لهم بالتصديق لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ وألنبياء قبله وصدقهم
قوم فهداهم الله تعالى بفضله وكذب آخرون فأشقاهم الله تعالى بعدله وللأصفياء والأولياء أعداء في عصر الصحابة إلى وقتنا هذا يؤذونهم ويتكلمون فيهم بسوء ودليل هذا كله قوله تعالى: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة} ولما كان الابتلاء شرفا جمع الله تعلاى لخواص هذه الأمة من البلاء والمحن جميع ما كان متفرقا في الأمم السالفة لعلو درجتهم فقد كان عبد الله بن الزبير كثير الخشوع في الصلاة وقالوا فيه: إنه مراء زان وصبوا على رأسه ماء حميما وهو ساجد وهو لا يشعر ومكث زمانا يتألم من رأسه وكان لابن عباس رضي الله عنهما نافع بن

الأزرق يقول إنه يفسر القرآن بغير علم وكان لسعد بن أبي وقاص بعض جهال الكوفة يؤذونه ويقولون: إنه لا يحسن أن يصلي وقد نفي أبو يزيد البسطامي من بلده سبع مرات بأمر الحسين بن عيسى لما تكلم ابو يزيد بعلوم لا عهد لأهل بلده بها في مقامات الأنبياء والأولياء ولم يعد البسطامي إلا بعد الحسين ثم بعد ذلك ألفه الناس وعظموه وكذلك ذو النون المصري أخرجوه من مصر إلى بغداد مقيدا مغلولا وسافر معه مصر يشهدون عليه بالزندقة وأخرجوا مُحَمَّد بن

الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه مذهب أهل الحديث من إجراء آيات الصفات وإخبارها على
ظاهرها بلا تأويل ولا تجسس على علم الله تعالى فيها ولما أخره أهل بلخ قال لهم: نزع الله من قلوبكم معرفته ولم يخرج بعد ذلك صوفي من بلخ مع أنها كانت أكثر بلاد الله صوفية وكذلك شهدوا على الجنيد بالكفر كان يتكلم في علم التوحيد على رؤوس الأشهار فصار يقرره في قعر بيته عقدوا على الشيخ بن أبي جمرة مجلسا في الرد عليه حين قال أنا أجتمع بالنبي ﷺ فلزم بيته ولم يخرج إلا إلى الجمعة حتى مات ورموه بالكفر وبالقول بإباحة الخمر واللواط وأنه لبس في الليل العيار وهو يشبه الزنار وأتو به مقيدا مغلولا
من الشام إلى مصر ورموا أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان فمات ودفن بها وأخرجوا الحكيم الترمذي حين صنف كتابه علل الشريعة وكتاب ختم الأولياء وأنكروا عليه بسبب هذين الكتابين وقالوا: إنه فضل الأولياء على الأنبياء وأغلظوا عليه فجمع الكتابين كلاهما وألقاهما في البحر فابتلعتهما سمكة سنين ثم لفظتهما وانتفع بها ورموا سعد بن عبد الله بالقبائح وأخرجوه إلى مصر حتى مات ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم والكفر بألفاض وجدوها في كتبه ورموا يوسف بن الحسين بالعظائم إلى أن مات لكنه لم يبال بهم لتمكنه

وأخرجوا أبا الحسن البوسنجي إلى نيسابور فلم يزل بها حتى مات ورموا سحنون المحب بالعظائم ووشوا به بغيا فادعت أنه كان يأتيها هو وأصحابه وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا حتى أن من كان يحبه شهدوا عليه بالجنون وأدخلوه المارستان ليرجع الناس عنه. وقال أحد مشايخ بغداد لو لم تكن لله تعالى جهنم لخلقها للذين آذوا البلي وكفروه وقال: إن لم يدخل الشبلي الجنة فمن يدخلها؟ وأخرج أهل المغرب الإمام أبا بكر القابسي من الغرب مقيدا إلى مصر فأخذ وسلخ حيا وهو يقرؤ القرآن بتدبر وخشوع وكاد أن يفتتن به الناس فرفع الأمر إلى
السلطان فقال: اقتلوه واسلخوه وكذا سلخوا النسفي بحلب وكان ينظر على الذي يسلخه ويتبسم وعمل خمسمائة بيت من موشحات التوحيد وهو يسلخوانه وذلك حين كان يقطعهم بالحجج فاحتالوا له بأن كتبوا سورة الإخلاص في ورقة وخاطوا عليها نعلا فأهدوها إلى الشيخ من طريق بعيدة فلبسها وهو لا يشعر وقالوا لنائب حلب: إن النسفي كتب قل هو الله أحد وجعلها في طباق نعله فبعث النائب إليه فاستخرج الورقة فسلم الشيخ لله تعالى ولم يذب عن

نفسه وعلم أنه لا بد أن يقتل على تلك الصورة وأخرجوا أبا القاسم الهرباذي من البصرة وأبا عبد الله
صاحب أبي حفص الحداد وشهدوا على أبي الحسن البصري بالكفر وتكلموا في ابن شمعون بالكلام الفاحش حتى مات فلم يحضروا له جنازة وتكلمو في الإمام أبي القاسم بن جميل بالعظائم إلى أن مات ولم يتزلزل عما فيه من الانشغال بالعلم والحديث وصيام الدهر وقيام الليل وزهده في الدنيا حتى لبس الحصير وقال أبو بكر السمطاني: كان أبو دينار يحط على الجنيد وعلى رويم وعلى سحنون وابن عطاء الله تعالى وعلى مشايخ العراق وكان إذا سمع واحدا يذكرهم يغيظ وتغير وأخرجوا أبا الحسن الشاذلي من المغرب إلى مصر ورموه بالزندقة والإلحاد وتحليل

المحرمات وقتلوا الإمام أبا القاسم بن قسي وابن حبان والجويني والمرجاني ومازلوا ينكرون على ابن العربي الحاتمي وابن الفارض إلى وقتنا هذا وعقدوا على عز الدين بن عبد السلام مجلسا في كلمة قالها في العقائد وحسدوا تقي الدين بن ليث الأعزوز ورووا عليه كلاما في السلطان حتى هم بقتله ثم تداركه الله تعالى وقال السيوطي: ومن ما من الله تعالى به أنه أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق عرضي لتكون لي أسوة بالأنبياء والأولياء واعلم أنه ما كان كبير على عصر إلا كان له عدو من السفلة إذ ألأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف أهـ.
وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول: لما علم الله عز وجل ما سيقال في هذه الطائفة على ما سبق به العلم القديم بدأ سبحانه وتعالى بنفسه فقضى على قوم أعرض عنهم بالشقاء فنسبوا له زوجة وولدا وفقرا وجعلوه مغلول اليدين فإذا ضاق ذرع الولي والصديق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك نادته هواتف الحق تعالى: الذي قيل فيك هو وصفك لولا فضلي عليك أما ترى إخوانك من بني آدم كيف وقعوا في جانبي ونسبوا إلي ما لا ينبغي فإن لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض نادته هواتف الحق أيضا: أما لك في
أسوة؟ فقد قيل في ما لا يليق بجلالي وقيل في مُحَمَّد ﷺ وفي إخوانه من الأنبياء والرسل ما لا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون وأنهم لا يريدون بدعائهم إلا الرياسة أهـ. وقال أيضا: وقد جرت

سنة الله في أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الخلق في مبدئ أمرهم وفي حال نهايتهم لما مالت قلوبهم لغير الله تعالى ثم تكون الدولة والنصرة لهم آخر الأمر إذا أقبلوا على الله تعالى أهـ.

قال الشعراني في أول طبقاته: قلت: وذلك لأن المريد المالك يتعذر عليه الخلوص إلى حضرة الله تعالى مع ميله إلى الخلق وركونه إلى اعتقادهم فيه فإذا آذاه الناس ونقصوه ورموه بالزور والبهتان نفرت نفسه منهم ولم يصر عنده ركون إليهم البتة وهنالك يصفوتا له الوقت مع ربه لذهاب التفاته إلى ما وراء فافهم ثم إذا رجعوا بعد انتهاء سيرهم إلى إرشاد الخلق يرجعون وعليهم خلعة الحلم والعفو والستر فتحملوا أذى الخلق ورضوا عن الله تعالى في جميع ما يصدر عن عباده في حقهم فرفع بذلك قدرهم بين عباده وكمل بذلك أنوارهم وحقق بذلك
ميراثهم للرسل في تحمل ما يرد عليهم من أذى الخلق وظهر بذلك تفاوت أمرهم فإن الرجل مبتلى على حسب دينه قال تعالى: {وجعلناهم منهم أيمة يهدون بأمرنا لما صبروا} {ولقد كذب رسل من قبلك فصبوا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا} وذلك لأن الكمل لا يخلوا أحدهم من هذين الشهودين إما أن يشهد الحق سبحانه بقلبه فهو مع الحق لا التفات له إلى عباده وإما أن يشهد الخلق فيجدهم عبيد الله تعالى فيكرمهم لسيدهم وإن كان مصطلما فلا كلام لنا معه لزوال تكليفه حال اصطلامه فعلم أنه لا بد لمن اقتفى آثار الأنبياء من الأولياء والعلماء أن يؤذوا كما اذوا ويقال فيهم الزور والبهتان كما قيل فيهم ليصبوا كما صبروا وليتخلقوا بالرحمة على الخلق رضي الله تعالى عنهم أجمعين أهـ. وفي هذا القدر كفاية لكل موفق.
قلت: ويكفي أهل الله تعالى والمعتقدين فيهم شرفا أن يكونوا مقتفين آثار الأنبياء والرسل ويكون من آذاهم بالإنكار والانتقاد مقتديا بالشياطين والكفار والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه وتعالى المرجع والمآب.

الفصل الخمسون

في إعلامهم خصلة تسهل لهم صحبة الخلائق أجمعين

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن تلك الخصلة مستخرجة من القرآن العظيم قال الله تعالى: {وما من دابة في الارضص ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم

أمثالكم} فأثبت الله تعالى الممثالة بيننا وبين سائر البهائم ومعلوم أنها لم تماثلنا في الخلق والشكل والعقل بل في الأخلاق فلا أحد من الخلق إلا وفيه خلق من أخلاق البهائم فإذا رأيت أحدا خارجا عن الخلق المعتدل في الناس فانظر ما يماثله في خلقه من البهائم وألحقه به وعامله معاملته تسترح منه ويسترح منك فإذا رأيت الرجل الجاهل في أخلاقه

الغليظ في طباعه القوي في بدنه الذي لا يؤمن طغيانه فألحقه بعالم النمور فالعرب تقول أجهل من نمر وأنت إذا رأيت النمر بعدت منه لا تخاصمه فاجعل الرجل كذلك وإذا رأيت من خلقه سرقة خفيفة فألحقه بعالم القرد الذي يفسد رحلك فدع مخاصمته وصن رحلك وإذا رأيت هجاما على أعراض الناس فألحقه بعالم الكلاب إذ دأبها أن تجفو من لا يجفوها وتبدأ بإذاية من لا يؤذيها فلا تخاصمه إذا هجم على عرضك فاجعله ككلب ينبحك ألست تذهب في شأنك ولا تسبه وإذا رأيت إنسانا قد جبل على خلاف بغير حق إن قلت نعم قال لا وإن قلت لا قال نعم فألحقه

بعالم الحمير فإن دأب الحمار إذا أدنيته بعد وإذا أبعدته قرب فأنت تسحب الحمار ولا تسبه ولا تفارقه وإذا رأيت رجلا يطلب عورات الناس فألحقه بعالم الذباب فإنه يقع على الجسد ولا يطلب إلا موضع الدم والنجاسة فاطرحه ولا تلتفت إليه كما يفعل الذباب وإذا ابتليت بسفلطان يهجم على الأموال والأرواح فألحقه بعالم الأسود فخذ حذرك واهرب منه كما قال النابغة: ولا قرار على زأر من الأسد، وإذا ابتليت بإنسان كثير الروغان فألحقه بعالم الثعلب، وإذا ابتليت بالنمام المفرق بين الأحبة فألحقه بعالم الظربان وهي دويبة لا يطاق

فسوها تقول العرب عند التفريق: فسا الظربان بينهم فتفرقوا وكما أن الجماعة إذا أقبلت نحوهم هذه الدابة طردوها ومنعوها الدخول بينهم كذلك النمام يخرج من بين الجماعة أو يقوموا عنه، وإذا رأيت رجلا لا يسمع العلم والحكمة ويعرض عن مجالسة العلماء والحكماء ويألف سماع أخبار الدنيا وسائر الخرافات وما يجري في مجالس العوام فألحقه بعالم الخنافس والجعلان فإنه يعجبه أكل القاذورات ويألف روائح النجاسات فلا تراه إلا ملابسا للأخبية والمرحاضات وينفر من روائح المسك والورد وإذا طرح عليه المسك والورد مات، وإذا رأيت من

دأبه خطب الدنيا لا يستحي في الوثوب عليها فألحقه بعالم الحدأة فإنك تصون رحلك منه فإنه لا يحفظ ذمة، وإذا رأيت إنسانا عليه الدماثة والسكينة وقد نصب شراكه لاقتناص الدنيا وأكل

الأموال والأمانات والودائع وأموال الأرامل والأيتام فألحقه بعالم الذئاب كما قال القائل: ذئب تراه مصليا *** فإذا مررت به ركع يدعو وجل دعائه *** ما للفريسة لا تقع عجل بها يا ذا العلا *** إن الفؤاد قد انصدع فاحترز منه كما تحترز من الذئاب، وإذا ابتليت بصحبة إنسان كذاب فاجعل حكمه كالميت لا خبر له فلا تجعل للكذاب خبرا وألحقه بعالم النعام يدفن جميع بيضه تحت الرمل ثم يبرك على وجه الأرض وأخرى تحت طاقة من الرمل فسائر بيضه في قعر الحفرة فإذا انغمر أخذ تلك البيضة أو يكشف وجه الرمل فيجد الأخرى فيظن أن ليس هناك شيء والخبير لا يزال يحفر حتى يصل إلى حاجته لا يغتر بتلك البيضة كذلك الكذاب إذا سمعت منه خبرا لا تصدقه وأعرض عنه وفتشه حتى تبلغ الغاية في كشفه، وإذا رأيت رجلا دأبه التزين كالعروس يبيض ثيابه ويعدل عمامته ويتقي أن يمسه شيء ينظر في عطفيه ليس له همة إلا الزينة فألحقه بعالم الطاووس فأعرض عنه، وإذا رأيت رجلا حقودا لا ينسى

الهفوات فألحقه بالجمل واجتنبه تقول العرب: أحقد من جمل، وإذا رأيت رجلا منافقا يبطن خلاف ما يظهر فألحقه بعالم اليربوع وهو فأر يكون في البرية يتخذ جحرا تحت الأرض يقال لها النافقاء فوهتان يدخل من أحدها ويخرج من الأخرى ومنه اشتق المنافق فأعرض عنه وبالجملة فأحوال الناس كثيرة فاصحب كلا على مقتضى حاله تسترح منه وفي الإبريز كلام مناسب لهذا الكلام قال فيه أن واحدا من الفقهاء سأل شيخه رضي الله تعالى عنه: هل يمكن للإنسان أن يعرف قابليته للإرادة وعدمها أي القابلية الخاصة أو لا يعرفه بذلك إلا غيره من شيخ صالح أو أخ ناصح؟ فأجاب رضي الله تعالى عنه بأن القابلية يعرفها الشخص من نفسه بأن ينظر إلى الغالب على فكره فهو الذي خلقت الذات له ولا بد للذات أن تتبع ما الفكر فيه سواء أقيمت فيه من أول الأمر أو لا فمن غلب على فكره محبة الله تعالى والميل إلى جنابه واستحضار عظيم سطوته والخوف من جلاله وكبريائه فلذلك علامة إرادة الخير به سواء كانت ذاته مقامة في المخالفات أو في الموافقات فإنها وإن أقيمت في المخالفات فيرجع الله سبحانه بها إلى الخير والفلاح والرشد والنجاح ثم القابلية المذكورة كالرجولية والشجاعة تختلف بالقوة والضعف وتعلم مراتبها المختلفة فمن نظر إلى جماعة من الصبيان وهم يلعبون علم من رجلته قوية ومن رجلته ضعيفة ومن رجلته متوسطة فكذلك أهل القابلية يتفاوتون في حضور

المعنى السابق فمنهم من هو في الدرجة العليا بأن يكون هو الغالب عليه في سائر أوقاته ومنهم من يأتيه في أقل أوقاته ومنهم المتوسط وسر ذلك أن الفكر والخواطر التي في الباطن نور من أنوار العقل يمد بها العقل الذات على وفق القدر وما سبق في القسمة فإن أريد بالذات الخير ألقى العقل عليها الفكر فيه وفي أسبابه حتى تدركه وإن أريد بالذات الشر ألقى

العقل عليها الفكر فيه وفي أسبابه حتى تبلغ إليه وتناله ثم الخير يتبع في مراتب الفكر الثلاثة السابقة والشر يتبع أيضا مراتب الفكر فيه ثم القابلية لا تختص بما سبق بل كل ما سبق في القدر أن الذات تدركه وتصل إليه فإن أمر القابلية يظهر فيه فمن نظر إلى جماعة من الصبيان وسبق لواحد منهم أن يكون كاتبا ولآخر أن يكون حجاما ولآخر أن يكون شرطيا مثلا فإن الأول يعرف كيف يشد القلم للكتابة ويحصل له ذلك بأدنى تنبيه ولا يعرف كيف يشد الموسى للتخفيف ولا كيف يعلق السكين ولو نبه ما عسى أن ينبه، والثاني يعرف كيف يشد الموسى ولا يعرف كيف يشد القلم ولا السكين، والثالث يعرف كيف يعلق السكين ولا يعرف كيف يشد القلم ولا الموسى وكل ميسر لما خلق له وكذا من غلب على فكره التجر في البر ونحوه وأراد أبوه أن يقيمه في الفلاحة فإنه لا يجيء منه خير ولو أقامه أبوه في التجارة جاء منه ما يحب وما يريد فخرج من هذا أن قابلية كل شيء مبنية على الفكر فيه وكل واحد يعلم ما يجول فيه فكره والله تعالى الموفق.

قال: وسمعت من الشيخ رضي الله تعالى عنه أن امرأة من المتقدمين كان لها ابنان وبنت ولما قاربت أن تموت قالت لهم: إن ابني فلانا يخرج من الصالحين والآخر يخرج من الظالمين والبنت سيكون لها مال كثير ودنيا عريضة فقيل لها: أتعلمين الغيب؟ فقالت: ما أعلم الغيب ولكني نظرت إلى الأول فرأيته شديد الخوف من الله تعالى لا يظلم أحدا من الصبيان وربه تعالى حاضر في قلبه دائما فعلمت أنه سيصير إلى خير، ونظرت إلى الثاني فرأيته على العكس فعلمت أن مآله إلى شر، ونظرت إلى البنت وكانت صغيرة فوجدتها تصنع من الحرف العالية خلاخل

وقلائد ودماليج وما يلبسه النساء ويتزين به هذا شغلها دائما فعلمت أنها ستصير إلى دنيا كثيرة. قال: وأخبرني بعض الناس أنه كان يتيما وأدخلته أمه في صنعة الحرير وكان يتعاناها وتثقل عليه كثيرا حتى مر ذات يوم بقوم وهم يتعاطون صنعة الجبس وتخميره وتزويقه فقال: فنظرت إليهم فذهب عقلي معهم فأبطلت ذلك اليوم صنعة الحرير وخدمت معهم فأسرعت جوارحي في

الخدمة ونشط قلبي وكأني كنت في السجن وخرجت منه وحصل لي تيسير عظيم في فهمي صنعة الجبس وما عدت إلى صنعة الحرير أبدا قلت: وهو اليوم رئيس القوم الذي يتعاطون صنعة الجبس

وكل ميسر لما خلق له. وأخبرني بعض الناس أنه كان له حمار ضعيف وكان يسكن بإزاء قوم في الباديو وكان لهم يتيم صغير لا شغل له إلا الركوب على الحمار ولكن يركبه على صفة من يركب الخيل فيجعل في رجله مهمازا من شوك وللحمار لجاما من سعف الدوم ويجعل في يده حربة من العيدان ويظل يحرك بالمهماز وكلما طردناه عاد إليه إن غفلنا عنه فلما كبر الطفل وبلغ رجع من القواد الذين يسوسون الخيل للسلطان وكل ميسر لماخلق له.

قال: ولنذكر هنا حكاية معلم الصبيان الذين اختبرهم بأن أعطاهم طيورا وأمر كل واحد بذبح طائره في الموضع الذي لا يراه أحد فجاؤوا وقد ذبحوا طيورهم إلا واحدا منهم يقال أنه أبو العباس السبتي رضي الله تعالى عنه فإنه رجع إلى الشيخ بطائره فقال: في كل موضع أريد فيه ذبحه أجد الله تعالى معي فعلم الشيخ رضي الله تعالى عنه أنه سيصير إلى مقام المعرفة وأوصى عليه ولم يزل يلاحظه والله تعالى أعلم أهـ.

قال: وسمعت الشيخ رضي الله تعالى عنه يقول: إن الرجل إذا كان فيه عرق الولاية وأقامه الله تعالى مع أهل المخالفة وبقي معهم مدة فإنه إذا مر به ولي من الأولياء وهو مع أولئك القوم فإن عرق الولاية الذي فيه يحييا بإذن الله تعالى ويقع لصاحبه اشراح وفرح وانطلاق صدر هذا بمجرد مرور الولي عليهم وإن كان صاحب العرق لا يعرفه ولا تكلم معهم الولي ولا جرى بينهما حديث أما إذا جرت بينهما معاشرة وحصلت معرفة فلا تسأل عن حياة العرق الذي فيه وزيادة الخير فيه في كل لحظة وإذا كان في الرجل عرق الشر كالسرقة مثلا وأقامه الله

تعالى مع أهل الولاية والعرفان وصار يخدمهم ويخالطهم مدة فإذا مر بأولئك الجماعة سارق مثلا فإن الرجل الذي فيه عرق السرقة يحييا وينشر صدره للشر الذي فيه وتقوم قيامته بمجرد مرور السارق عليه من غير معرفة منه ولا مخالطة له أما إذا حصلت المعرفة بينهما فإن شره يتم والعياذ بالله تعالى وكل ميسر لما خلق له.

قال: وهذا باب واسع وطريق نافع يعرفه من مارس تعليم الناس العلم أو نحوه فإنه إذا عرض عليه هذا الكلام في القابلية وجده كأنه نسخة منقولة بما جرى عليه في زمان التعليم ومعاناته

قال: ولقد أقامني الله تعالى وله الفضل والمنة في مقام التعليم فبقيت فيه نحوا من سبع وعشرين سنة وحين سمعت كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه في القابلية والخواطر التي تبتنى عليهما الذوات عرضته على ما جرى لخلق كثير تعلموا منا فوجدته ضابطا جامعا مانعا وطرحت عني بسببه أحمالا كثيرة كنت أتحملها في تعليمهم فأبالغ لهم في النصح والبيان مع

إقامة الدليل والبرهان وأحب لهم الخير كثيرا وأتمناه لهم حتى يسكن ذلك في ذاتي ويصير ذلك كله أكلي وشربي معهم ثم بعد ذلك لا يجيء منهم شيء وكل ما بنيته معهم في مدة سنين ينهدم بمجرد مخالطتهم لمن هو من أهل البطالة بل ينهدم بمجرد غفلتي عنهم وعدم تنبيههم كالدابة التي تمشي ما دامت تضرب وإذا قطع عنها الضرب وقفت وجرى لخلق كثير غيرهم عكس هذا وذلك أنهم بمجرد مخالطتهم لنا ومعاشرتهم إيانا يسكن في قلوبهم ما يسمعونه منا ثم لا يزالون في زيادة في كل مجلس جلسوه معنا مع كوني لا أبالغ لهم المبالغة التي كنت أفعلها مع القسم الأول فلم أزل أتفكر في ذلك وأطلب السبب فيه حتى سمعت كلام الشيخ ﷺ في القابلية وذكرت له ما جرى لي مع القسم الأول فقال لي رضي الله تعالى عنه: اطرح عنك الحمل فإنك تضرب في حديد بارد والناس ميسرون لما خلقوا له والبدايات تدل على النهايات فانظر إلى البدايات وأنزل الناس منازلهم هذا معنى كلامه رضي الله تعالى عنه فمن ذلك اليوم استرحت وحصل لي علم عظيم والحمد لله بأحوال الناس في القابلية في كل شيء والحمد لله فإن كنت كيسا فطنا حاذقا لبيبا فاجعل هذا الكلام نصب عينيك فإنك تطرح به عن نفسك أحمالا كثيرة في معاشرة أصناف الناس على اختلاف طبقاتهم أهـ. والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب أهـ.

الفصل الحادي والخمسون

في إعلامهم أنه ينبغي لكل إنسان أن يجتهد في خلاص نفسه ويشمر ويقوم بساق الجد والاجتهاد في عبادة ربه ولا يعوقه عنها عائق ولا يشغله عنها شاغل من أهل ووالد وولد ووطن وصديق وداروعشيرة ومال وغير ذلك مما يعوق عن الإقبال على الله والإدبار عما سواه ولو أداه

ذلك إلى مفارقة الأوطان بل وضرب الأعناق بالهجرة والجهاد وإعلاهم أن الهجرة واجبة في هذا الزمان على كل من

كان في بلد تعمل في المعاصي جهارا من غير مبالاة بها ولا يمكنه تغيير ذلك كما تجب الهجرة من بلاد الكفار ولكنها قسمين كبرى وصغرى فالكبرى هي المعنوي التي في القلوب والصغرى هي الحسية التي تشغل بالأبدان وها أنا أبين الهجرتين كليهما مع تبيين الجهاد الأكبر وأما الجهاد الأصغر فلا أتعرض له لظهوره زأبدأ بالجهاد والهجرة الأكبرين وبعد الفراغ منهما أبين الهجرة الصغرى ولكني أمهد مهادا يعلم به من سيقف عليه بطلان قول من يقول: أن الهجرة قد انقطع وجوبها واستدل على ذلك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم:" لا هجرة بعد
الفتح " أهـ
فأقول وبالله تعلا التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن هذا الحديث الأول فيه طرق فلنبدأ بشيء من طرقه ثم نذكر ما قيل في تأويله فنقول: قد ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتح مكة:" لا هجرة بعد الفتح " وفي صحيح البخاري عن مشاجع بن مسعود قال: جاء بمجاشع بأخيه مجالد بن مسعود إلى النبي ﷺ فقال: هذا مجالد يبايعك على الهجرة فقال:" لا هجرة بعد فتح مكة " وفي صحيح البخاري أيضا: قال عمرو بن دينار وابن
جريح: سمعنا عطاء يقول: ذهبت مع عبيد الله بن عمير إلى عائشة وهي مجاورة ثبيرا قالت: انقطعت الهجرة منذ فتح الله تعالى على نبيه ﷺ مكة. أما تأويل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح" فقد قال العلماء: لا هجرة من مكة بعد الفتح أي بعد أن صارت دار الإسلام. وفي فتح الباري لابن حجر على صحيح البخاري: والهجرة إلى الشيء هي الانتقال إليه عن غيره وفي الشرع: ترك ما نهى الله تعالى عنه وقد وقع في الإسلام على وجهين: الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرة الحبشة

وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة، والثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال من مكة إلى المدينة إلى أن فتحت مكة انقطع الاختصاص وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيا اهـ.

وقال الفشني في شرحه على الأربعين النووية: وقوله: "فهجرته إلى ما هاجر إليه" جواب من والهجرة فعلة من الهجرة وهو لغة الترك والمراد هنا ترك الوطن إلى غيره لا أن المقصود الهجرة من مكة إلى المدينة ثم قال: وبالجملة فحكم الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام مستمرة اهـ. وفي لباب التأويل عند قوله تعالى: {والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم}: اختلفوا في بعد إلى أن قال: والأصح أن المراد به أهل الهجرة الثانية لأنها بعد الهجرة الأولى وانقطعت بعد فتح مكة لأنها صارت دار الإسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى
الله تعالى عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح" وقال الحسن: الهجرة غير منقطعة ثم قال: ويجاب على هذا بأن المراد من الهجرة المخصوصة من مكة إلى المدينة فأما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على إظهار دينه من الكفر وجب عليه أن يهاجر إلى بلد لا يخاف فيه على إظهار دينه اهـ. قال القسطلاني في الإرشاد شرح البخاري: ما دام في الدنيا دار الكفر فالهجرة منها واجبة والحكم يدور مع علته اهـ.

ويدل على ذلك قوله ﷺ: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من المغرب" رواه أبو داوود عن معاوية. وفي ابن عبد السلام: الهجرة تجب في آخر الزمان كما تجب في أول الإسلام اهـ. وقال ولي الله ابن أبي جمرة في بهجة النفوس عند تكلمه على هذا الحديث أعني "لا هجرة بعد الفتح": ظاهر هذا الحديث يدل على أن الهجرة قد انقطعت بعد الفتح لكنه له معارض آخر وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "الهجرة باقية إلى يوم القيامة" والجمع بينهما والله تعالى أعلم أن يقال أن الهجرة من
مكة إلى المدينة والإقامة بها مع رسول الله ﷺ والجهاد بين يديه قد انقطعت لا تكون أبدا وما غيرها من أنواع الهجرة فذلك باق لم يزل اهـ. وإذا تقرر هذا وزال الإشكال والحمد لله تعالى فاعلموا أن الهجرة والجهاد الأكبر المعنويين اللذين يفعلان بالقلوب واجبان كتابا وسنة وإجماعا، أما الكتاب فقوله تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} وقوله تعالى: {فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى} وقوله
تعالى: {قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها}، وأما السنة فقوله ﷺ: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: "جهاد النفس والهوى"

أو كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم مما هذا معناه، وأما الإجماع فقد انعقد إجماع العلماء على وجوب جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المؤذية وخبيث شهواتها وشياطين إخوانها وأهلها وبنيها وردها إلى الله تعالى أكبر من جهاد الكفار فلا ريب لوجوه أحدها أن جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها السيئة فرض عين وجهاد الكفار فرض

كفاية، وثانيها أن النفس أعدى من كل عدو لصاحبها لأن المجاهد جهاد الكفار إن قتل الكافر دخل الجنة وإن قتله الكافر كان شهيدا بخلاف النفس فإن غلبها صاحبها استولى عليها وكان الحكم للروح سعد وسعدت سعادة الأبد وإن غلبت وتسلطت على الروح تسلط عليه الكفر والمعاصي فيهلك هلاكا أبديا وتهلك معه دنيا وبرزخا وأخرى وأي هجرة تساوي الهجرة عن مألوفاتها الردية، وثالثها أن ضرر الكفار مقصود في الدنيا وهي فانية ولذلك كان جهادهم أصغر، والنفس إن غلبت صاحبها فالضرر يلحقه في دينه ودنياه وآخرته.
وفي عرائس البيان عند قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار": النفوس التي هي تجمع الهوى والبلاء والحجاب من عرفها قاتلها وأماتها يعنون الرياضات حتى لا يبقى في عرصات قلبه من عروق أشجار الشهوات أثر فينبت فيها بعد ذلك أشجار المعارف والكواشف ونور الحكمة ورياحين المحبة وورد الشوق وياسمين العشق ويكون بهذه الأنوار مزار جنود الأسرار ومنال نور نزول الأسرار وقال: قال سهل: النفس كافرة تقاتلها بمخالفة هواها واحملها على طاعة الله تعالى والمجاهدة في سبيله وأكل الحلال وقول الصدق وما قد أمرت به من مخالفة الطبيعة. وعن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جده ما معناه مجاهدة النفس وشرورها فإنها أقرب شر يليك قال: صدق الصادق حيث وافق قول الصديقين صلوات الله تعالى وتسليماته عليه: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك. ورابعها أن جهاد الكفار قد لا يكون فرضا في بعض السنين، وجهاد النفس وردها عن مقتضى هواها والهجرة عن مألوفاتها الباطلة واجب متعين على كل مسلم ومسلمة في كل لحظة.

وخامسها أن بعض فروض الكفاية أفضل من جهاد الكفار ولكون ذلك البعض فرض كفاية على كل مسلم بالغ حرا كان أو رقيقا ذكرا أو أنثى كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه واجب بالإسالة على كل من ذكر وجهاد الكفار لا يجب على عبد ولا على امرأة أو لعارض يعرض وجهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها القبيحة أفضل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بلا شك لأن جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المهلكة فرض عين على كل بالغ وبالغة والأمر والنهي فرض كفاية وسادسها أن فرض جهاد الكفار يسقط ممنع الأمر والنهي من الوالدين من وجوب
طاعتهما على الولد في ذلك ويحرم عليه طاعتهما إذا منعاه من مجاهدة نفسه والهجرة عن هواها إذا دعته إلى فعل ما حرمه مولاه تعالى وسابعها أن جهاد الكفار يقدر عليه كل أحد وجهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المفسدة ومحاربتها بأنواع الرياضات ومشاق العبادات لا يقدر عليه إلا الموفقين الصادقون في حب الله تعالى لأن من يجاهد الكفار يحارب غيره والذي يجاهد النفس بهجرته عن مألوفاتها المفسدة يحارب نفسه وإيقاع الحرب والقتل على الغير أهون من محاربة الشخص نفسه وهذا أمر ضروري لكل أحد لا نزاع فيه ولذلك يكثر سواد
الناهضين إلى قتال الكفار مع تلطخهم بنجاسات المحرمات الكبائر والصغائر وتلبسهم بأفعال بعضها كفر وبعضها يؤدي إلى الكفر وبعضها إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى فإذا طولبوا بالمجاهدة نفويهم بتركها لمألوفاتها عجزوا عن أقل قليل منه وأرادوا قتل من طالبهم بمحاربة نفوسهم وإذا دعوا إلى قتال غيرهم أسرعوا إلى الإجابة قال في عرائس البيان عند قوله تعالى: {وجاهدوا في الله حق جهاده} قال بعضهم: المجاهدة على ضروب مجاهدة أعداء الله تعالى ومجاهدة مع الشيطان وأشدها مع النفس وهو الجهاد في الله تعالى وهو الذي روي

عن النبي ﷺ:" رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " وهو مجاهدة النفس وحملها على اتباع ما أمر به واجتناب ما نهي عنه أهـ. وثامنها أن شهيد جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المخزية سهيد قطعا في الآخرة وأكثر شهداء الكفار شهداء في الدنيا فقط دون الآخرة وتاسعها أن القائم بجهاد نفسه والهجرة عن مألوفاتها المظلة قائم لإصلاح نفسه وساع في تخليصها من الدنيا وعذاب الآخرة والقائم بجهاد الكفار قائم لإصلاح غيره وربما يكون صالح فاعتناؤه حينئذ بإصلاح نفسه أهم وأفضل له من اعتنائه بإصلاح غيره
بلا شك وعاشرها أن شهيد جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المبعدة عن الله تعالى أفضل من شهيد جهاد الكفار بدرجات كما سيأتي في هذا الفصل إن شاء الله تعالى ومن تأمل ما أسلفنا علم أن السعادة الأبدية منوطة بجهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المطغية وبهما تحصل أهلية القرب من الله تعالى لأن عيوبها لا تزول إلا بهما وهي متصفة بأخلاق الشياطين كالكبر والإغواء

وتزيين المعاصي والشهوت والإضلال وتسويف العمل وإلقاء الأماني والمواعيد الكاذبة والكفر كحسد قابيل وعتو عاد وتمرد نمروذ وزاستعلاء فرعون وبغي قارون ووقاحة
هامان وهوى بلعام والبهائم كحرص الغراب وشره الكلب وخيلاء الطاووس ودناءة العجل وعقوق الضب وحقد الجمل ووثبة الهر وصولة الأسد وخبث الحية ومكر الفار وعبث القرد وهي كهف الظلمة وموضع الغفلة وأرض الشهوة وخزانة الجهل ومعدن الكسل فلا يصل للعبد شيطان إلا بشهواتها ولا يفتحم معصية إلا بحملها فهعي لكل شر أهل ولها عن كل خير عجز خلقتها ضعيفة وطبعها قوي وهي سرهة مداهنة مدعية متقلقة متمنية خوفها أمن ورجاؤها خوف وهي رأس البلاء ومعدن الفضيحة وخزانة إبليس ومستراحه ومأوى كل سوء ومن رداءتعا وجهلها أنها إذا همت بمعصية

وانبعثت لشهوة لو تشفعت إليها بالله تعال ثم برسوله ﷺ وبجميع الأنبياء والمرسلين والملائكة والكتب السماوية وبجميع سلف الصالحين من عباد الله تعالى وعرضت عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا تنقاد لك ولا تترك لك معصية ولا شهوة إن قابلتها برغيف سكنت وانقادت خاضعة وإنما أمر العبد بجهادها لأنها تشبه الكافر لأنه يريد أن تكون كلمة الكفر هي العليا وكلمة الله هي السفلى وهي تريد أن تكون كلمة باطلها وعيوبها وشهواتها وأغراضها العاجلة المشغلة عن الله تعالى وعن طاعته والإخلاص فيها هي
العليا تنافذ أمرها في مدن الأجسام على كلمة الروح وما الأمر فيها إلا كما قيل: توق نفسك تأمن من غوائلها *** فالنفس أخبث من سبعين شيطانا وإذا تحرر هذا فحقيقة جهادها والهجرة عن مألوفاتها الكامدة دوام مخالفة ما تهواه وتدعو إليه مما يخالف رضا المولى الكريم المتعال وإذا فهمت هذا فحاسب نفسك قبل أن تحاسب واهجرها عن مألوفاتها القبيحة لئلا تخسر وجاهده الجهاد الأكبر وقل عند ذبحها باسم الله والله أكبر فلنشرع في بيان حقيقة الهجرة والجهاد الكبرين فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: وفي
فتح الباري لإبن حجر على صحيح البخاري عند قوله:" فمن كانت هجرته " إلى آخره: الهجرة الترك والهجرة إلى الشيء الانتقال إليه أهـ وفي شرح الفشني على الأربعين النووية: وقوله:
فهجرته الهجرة مشتقة من الهجر وهو لغة الترك إلى أن قال: وقد تطلق الهجرة على هجر ما نهى الله تعالى عنه فقد ثبت في لحديث:" المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر ما نهى الله تعالى

عنه " وفي تبيين المحارم: والهجرة من المعصية إلى الطاعة فرض على كل مسلم ومسلمة قال عليه السلام:" والمهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه " وفي كتاب سلم الرضوان

لذوق حلاوة الإيمان: وأما الذوق فهو حال لا يعرفه إلا صاحبه وهووجوده للإيمان لذة تغاير جميع اللذات فمنه ما هم حظ العامة وهو المشار إليه بقوله ﷺ:" ذاق طعم الإيمان من رضي بالله تعالى ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا " واعلم أن هذا الذوق لا ينال إلا بعد مكابدة الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس التي هي أخبث من سبعين شيطانا فاقهرها بقيد التهمة وافطمها بفطم العزلة وزمها بزمام الحكمة واضربها بسوط الكتاب وقيدها بحبل التوبيخ والحساب واضمرها بضمائر الزجر والعتاب وشد عليها رحل
العزم بباطن الحزم وأوكبها بحرفة الشريعة وسيرها في ميدان الحقيقة وقل إذا استويت على ظهرها سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين واجعل البقل سائسها والروح ممارسها والتقوى حارسها والذكر شرابها والحلم ترابها بعد افتراش القتاد ومنح المهج وقطع الأكباد فحينئذ تطمئن فتنادى من بساط القرب بعد زوال الحجب: {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي} فذلك أول قدم تضعه في العبودية المحضة وأول شراب تذوقه من خمرة الدنو والوصلة فتنعكس أحوالها وتزكو أعمالها وتصير داعية إلى الخير حائدة عن الضير لا تخطر الشهوات لها ببال ولا يحوم الهوى حولها في حس ولا خيال ويخف الدفاع ويقل النزاع وتفر عن الساحة القطاع فيؤذى مؤمن التشريف على منار التعريف تبكيتا لإبليس ذي الكيد الضعيف إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فيقع الأمن والسكون ويحصل الرجاء والظنون ويضمحل الشح والشجون فيحدو بها حادي الشوق ويقودها حرية للذوق إلى حضرة القدس وشراب الأنس وقرة العين بذهاب البين فحينئذ تنقاد إليه حقيقة الدنيا على صورة ناقة هطلاء فيركبها فيسيرها بهمته العلية بعد ما شد عليها رحل العز بباطن الحزم وقد تزود

بدرها الهاطل واستغنى بظنونه حديث حاذق جل عن انتجاع سراب الباطل قد جمع بين در الحمراء وشبم السحابة الوطفاء فأصبح في نعم الله يتقلب ولله سبحانه بأنواع طاعته يتحبب حب الزاد حتى تروى بري المعاد فهو دنيوي أخروي سماوي أرضي فصار المعني بقوله صلى الله عليه وسلم: "نعم المطية للرجل الصالح الدنيا عليها يبلغ الخير وينجو من الشر" عليها يبلغ متن

النجيبة الهطلاء ذات الخمر والماء واللبن والعسل والنعماء وينجو من أن يكون من جملة الهالكين وهم الذين طلبوا الدنيا فأخذ بمجامع قلوبهم شرحا وأصم أسماعهم وأعمى أبصارهم
وفر هاربا فاقتادهم الهوى إلى مهامه النوى فوقفوا في المهامة المهلكات والمفاوز والفيفاء من غير دليل مرشد فلمع في البيداء السراب فظنوه شرابا فلما أتوه لم يجدوه شيئا فوجدوا الله تعالى عندهم فوفاهم حسابهم بتعجيل ثوابهم وفجأة عذابهم إذ ورطهم عطش الحرص والاتهام بسهوم الشره والارتطام فأصبحوا نكالا لما بين يديها وخلفها وموعظة لمن يتقي خلفها وحلفها فينفسح في الساحات ويجمع بين الماضي والآتي قد أينعت ثمراتها فتدلت وذهبت غمراتها فتجلت فعند الصباح يحمد القوم السرى وعلى قدر الارتقاء يبلغ الكرام الذرى فهذا مثل
العامة، وأما الخاصة فرجل امتطى ظهر كلمة الإخلاص وربي بلين الاختصاص فجعل لما توجهت إليه مراكب الحب يحمل على ظهرانها خلع القرب فحنت قلوصه الوجناء إذ رأت ترابها تثير من معادنها وسهابها فانشدت بفصيح مقالها المني عن سرها وحالها فقالت لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد إذ اشتكت من كلال السير أوعدها قرب الوصال فتحيا عند سعاد فلما سمعها حادي الشوق خاطبها بلسان الذوق فقال: من لي بمثل سيرك المدلل *** تمشي رويدا وتجي في الأول فتعرضت لها حور القصور بالتحف والحبور فأنفت من خاطبهن وما قرأت

حرفا من كتابهن ثم أنشدت في جوابهن فقالت: تنحي يا حور جنات عنا *** مالك قاتلنا ولا قتلنا لكن إلى ملككن اشتقنا *** قد يفهم السر وما أعلنا فلما سمعت قولهن أنشدت مجيبة لهن فقالت: لي حبيب خياله نصب عيني *** سره في ضميري مدفون إن تذكرته فكلي قلوب *** أو تأملته فكلي عيون فإذا جاوز هذا المركز خاطبه رجال الغيب وأخرجوا له ما في الجيب فيجدونه وقد أذهله القلق وخامره الدهش والأرق فيقول لهم: لا تكدروا على خلوتي ولا تشوشوا على نجمتي أنا إلى المحبوب قصدت ولما لديه طلبت وإلى حضرته هربت فأنشد وقال:
أسير الهوى
عينه تدمع *** وفي ليله العين ما تهجع تساعده عند تذكاره *** بطمع غزير وما تقلع سل الليل عن حال أهل الهوى *** إذا لاحت الأنجم الطلع يخبرك لو أنه مخبر *** بأنهم سجد ركع فطورا يناجون مولاهم *** وهم في عبادته خضع يقولون يا من يرى حالنا *** ويعلم في الليل ما نصنع

أعنا بصبر على شوقنا *** إليك فقد شفنا المطمع سأبكي لأهل الهوى رحمة *** لعلمي بأن الهوى يوجع هم الأولياء لمحبوبهم *** وهم في جنان العلى رتع فإذا جاوز هذا المركز اشتاقت إليه الأرواح الروحانية لما اشتموا من رائحة إرج حبه فيستأذنون الله تعالى في زيارته وقربه فإذا رأوه ورأوا ما به من الذبول والتحرق والذهول نادوه فقالوا: ألك حاجة؟ فيقول: أما إليكم فلا وأما إلى الله تعالى فبلى فيقولون: ألا تسأله؟ فيقول: ليس بجاهل فأنبئه ولا بغافل فأنبهه فيقبل الله تعالى عليه حينئذ فيزول عنه رواق دهش الجلال بفسحة الجمال فيسكن عند ذلك روعه ويجعل الله تعالى له الأكوان طوعه فيقع على قرة العين بزوال حجاب البين فطاب وغاب وحير الألباب بسروره بعد قلقه فتكثر المقالة وتضمحل الدلالة فلا يعرفه إلا شكله ولا يوصل إليه إلا جهله فهذا ورود القوم ليس هو في اليقظة ولا في

النوم لأنهم شربوا حضرة الكلف على بساط الدنف في كأس الشغف فشربوا فما صحوا إلا وقد زالت الحجب وكافحهم المحبوب فقال لهم: أين السبيل إذ لا زمن ولا أوان ولا جهة ولا مكان فيجيبه قائلا: لا كنت إن كنت أدري كيف السبيل إليك أفردتني عن جميعي فكنت سلما لديك فيقول له: ادر أيها العبد فقد خبرتك ولذلك حيرتك فيدركه الدهش هنيهة حتى إذا أمده الله تعالى بعلوم من لدنه فينطلق حينئذ بجوامع الكلم فيقول: حيرتموني في جلال جمالكم *** فاحترت بين صفاتكم والذات فبقيت من دهشي بكم حينا بلا *** جمع ولا فرق ولا لذات حتى أفاضت

من بحاركم لكم *** سحب العناية والبقا للذات فينتعش من بعد الفناء ويستريح بعد العناء إذ لم يبق معه بقية من حسه إذا صارت قرة عينيه بنفسه فيقول حينئذ: أنا الكل وعلي فدل وتلك رتبة المشاهدة المعبر عنها بالوصول فهي سبعون درجة تحار في شأنها العبارة وتستقل الإشارة أهـ.

وقال في بهجة النفوس عند قوله ﷺ:" لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا ": وفي الحديث إشارة صوفية وهي على ثلاثة أوجه الأول في قوله ﷺ:" لا هجرة بعد الفتح قد أخبر ﷺ في غير

هذا الحديث بأن الجهاد جهادان أصغر وأكبر وقال ﷺ:" هبطتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الكبر وهو جهاد النفس " فإذا كان الجهاد على قسمين فكذلك يلزم في الهجرة أن تكون كبرى وصغرى فالصغرى ما تقدم والكبرى هجرة النفس عن مألوفاتها وشهواتها وإخوانها وأهلها وبنيها

وردها إلى الله تعالى في كل أحوالها وقد نص الله تعالى عز وجل على ذلك في كتابه حيث قال: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة ترجون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في

سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره} فالزهد في الأشياء وخلو القلب والنفس منها هو المطلوب وحقيقة أعلى من هذا وهي لأهل الخصوص يشهد بذلك ما حكي عن بعض الفضلاء أنه قال زهدت في ثلاثة الأول في الدنيا وما فيها والثانيفي الآخرة وما فيها والثالث فيما سوى الله تعالى وهذه هي الهجرة العظمى فلا يهمل نفسه بالكلية فإن ذلك علامة على الخسران وليأخذ نفسه بالرفق والسياسة في الجهاد والهجرة لأن المرأ في نفسه مأمور بذلك لأن بدنه كالمدينة والعقل والملك كالمسلمين والشياطين كجيش الكفار ورجوعه إلى رأي العقل والملك
الناهيين حتى يستفتح بلاد العدو والفتح هنا عبارة عن أسر النفس والشياطين والهوى وأن يكون العقل والملك هما الآمران الناهيان فإذا حصل للمريد هذا الحال فلا يحتاج بعد ذلك إلى مجاهدة لأن المجاهدة لا تراد لذاتها وزإنما المقصود منها حصول هذه الصفة وقد حصلت كما أن الجهاد لا يراد لذاته وإنما يراد لفتح البلاد للإسلام وأسر العدو وإسلامه وقد روي أن القلب والملك والعقل والهوى والنفس والشيطان كالميدان يعتركون فيه فأيهم غلب كان هو المير على الجوار فحصلت النسبة بينه وبين ما نحن بسببه من حكم الظاهر لا من كل
الجهاد فمن له لب يفهم ما أشرنا إليه ويعمل عليه يحصل إنشاء الله تعالى على المراد لكن ذلك بعد الافتقار إلى الله تعالى وطلب العون منه في كل اللحظات وإلا فلا ينفع الحذر والجهاد والهجرة في الغالب الوجه الثاني قوله ﷺ:" ولكن جهاد ونية " فإذا حصل هذا الفتح للمريد يحتاج عند ذلك إلى الجهاد ونعني بالجهاد هنا المبادرة إلى أفعال البر بكل ممكن ولا يترك بالتسويف بلعل وعسى فبذلك تفوت الغنائم فإذا ظفر بالفتح والغنيمة فيحتاج عند ذك إلى إخلاص النية في كل الأفعال ويبتهل والحذر من وقوع العمل دونها

لأن الأعمال بحسب ما لاحتوت عليه النيات فإذا حصل للمريد هذا الحال فقد حصل له الجهاد والنية الثالث قوله ﷺ:" وإذا استنفرتم فانفروا " وهو على وجهين فحكم يختص بالشخص نفسه وحكم متعد لغيره فأما ما يختص بالشخص فهو أنه إذا تحصلت له الحالى السنية أعني الفتح والجهاد وتحصلت له النية على ما قرناه يحتاج عند ذلك إلى محايبة في كل أوقاته لئلا

تقع منه غفلة فيظفر به العدو فمن ملك القلب في شيء من التصرفات فيقع بذلك الخلل بعد وقوع النصر والظفر فإذا حايب المرأ نفسه على أقل شيء يقع له من ذلك استيقظ
فرجع عنه فإن لم يقدر على تركه فقد ظفر العدو وظهر وهذا هو موضع الاستنفار أيضا لأن الملك والعقل قد غلبا فيدخل أيضا في المجاهدة حتى يزيل ما وقع وأما هدى الشخص فذلك لا يكون إلا لمن حصلت له هذه الأحوال التي قدمنا ذكرها وتكن فيها فحينئذ يجب عليه أن ينظر في حق الغير فإذا جاءه أحد ممن غلب عقله وملكه يطلب منه النصرة فيجب عليه إذ ذاك نصرته لأن هذا هو موضع الاستنفار والنصرة هنا عبارة عن الدعاء في ظهر الغيب وبيان كيفية خاطر الملك والعقل الذي قد غلب عليه وبيان كيفية خاطر النفس والشيطان وبما يحترز من وقوع
الهزيمة وبما نحصل الغنيمة والله المستعان أهـ. وهذا آخر ما أردنا ذكره من الهجرة والجهاد الأكبرين والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحان المرجع والمآب. وبعد فلنشرع في الكلام على الهجرة الحسية الصغرى التي تفعل بالأبدان فنقول: اعلموا يا إخواني أن الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد الإسلام وبلاد يظهر بها المنكر ولا يغير لعجز من يريد التغيير عنه لعدم الإمكان إلى المحل الذي يغير فيه المنكر ويمكن فيه التغيير واجبة كتابا وسنة وإجماعا أما الكتاب فقوله تعالى: {إن الذي توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا

فيمكنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها} وفي السراج المنير: فتهاجروا فيها من بلد الكفر إلى بلد أخرى كما فعل غيركم من المهاجرين ثم قال عند قوله تعالى: {وساءت مصيرا}: وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتكمن الرجل من إقامة الدين فيه وقوله تعالى: {يا عبادي الذين آمنوا إلن أرضي واسعة فإياي فاعبدون} وأما السنة فقوله ﷺ:" إن الله تعالى بريء من مسلم ساكن بين المشركين " وقوله ﷺ:" لا تتراء ناراهما " ذكرهما السيبد المختار في
نصيحة الكافية وقوله ﷺ:" من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله " رواه ى أبو داوود وأما الإجماع فقد قال الونشريسي: والإجماع على وجوب الهجرة أهـ. وفي تبيين المحارم: وأما الهجرة في دار الإسلام من بلد إلى بلد فليس بواجب لأن من لم يمكن له أن يقيم دينه في دار الإسلام فلا يجب عليه الهجرة لكن إذا غلب في بلده أهل الشر وكثرت فيه المعاصي يستحب له أن يفر منه

إلى بلد الصلاح فيه غالب على أهله إلا إذا كان في بلده من يلجئون الظلمة على شهادة الزور وغير ذلك فإنه حينئذ تجب عليه الهجرة منه اهـ.

وقال في السراج عند قوله تعالى في الزمر: {وأرض الله واسعة}: وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي ونظيره قوله: {فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها}. وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب اهـ.

وفي لباب التأويل عند هذه الآية: وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل: من أمر بالمعاصي في بلده فليهرب اهـ.

وفي الصحيحين عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوما فزعا يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه . وحلق بإصبعيه السبابة والتي تليها ." فقالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث" قال بعض أهل الحديث عند إيراده هذا الحديث في تأليفه: هذه سنة الله تعالى الماضية في خلقه أن العذاب إذا نزل يعم ولا يميز لقد أمر الله تعالى الأنبياء بالخروج من قومهم قبل نزول العذاب مع صلاح القدرة في نجاتهم وإن

قعدوا ولكن لا تبديل لسنة الله تعالى قال: ولهذا جاء في الصحيح أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما أمر بالهجرة قال: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع حتى جاوز الوادي". وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن حراشة بن الحر رضي الله تعالى عنه قال: لا يشهد أحدكم قتيلا لعله أن يكون مظلوما فتصيبه السخطة عليهم فتصيبه معهم.

وقال الشيخ أحمد زروق في تأسيس القواعد: ما لا أثر له في الخارج الحسي من المضار فاعتباره مشوش لغيره فائدة فمن ثم كان كل ما ضر في العرض بالقول أو بالظن مأمور بالصبر عليه لقوله تعالى: {واصبر على ما يقولون} بخلاف الفعل إذ أمر رسول الله ﷺ بالهجرة لقصدهم له به وقال ﷺ: "المؤمن كيس فطن حذر" ثلثا تغافل يعني في القول والظن لا الفعل ورغب عليه الصلاة والسلام في الفرار من الفتن وترجم البخاري أن ذلك من الدين فوجبت مراعاته.

وقال أيضا: وتمام الشيء من وجه ابتدائه وللوارث من النسبة على قدر موروثه منه وقد بدئ الدين غريبا فلا يتم في زمن غربته إلا بالهجرة كما كان أولا وما نصر نبي من قومه غالبا بل جملة

كقول ورقة: لم يأت أحد بمثل ما جئت به الأعودي والنسبة معروضة أبد الوجود إلا ذي فلذلك لا تجد كبيرا في الدين إلا مقابلا بذلك والحديث: "أشد الناس بلاء الأنبياء فالأولياء الأمثل فالأمثل" مثل الحديث في شرح الفشني على الأربعين النووية عند قوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات" عند قوله: "فهجرته" إلى أن قال: وقد تطلق
الهجرة على هجر ما نهى الله تعالى عنه فقد ثبت في الحديث: "المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه" فيهجر الإنسان الأرض التي يغلب على أهلها أكل الحرام ويهجر البلد التي يسب فيها العلماء والصلحاء اهـ. وقال بعض العلماء: من علم بمكان من بلد مناكر لا يقدر على إزالتها لا تجب عليه مفارقة تلك البلدة اللهم إلا أن تكون إقامته توجب أن يكلف الفساد أو يكره على مساعدة السلاطين وإعانة الظلمة في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة من ذلك البلد إن قدر عليها وتجب عليه فإن الإكراه لا يكون عذرا في حق من قدر على الهرب من الإكراه هذا هو الذي جزم به الغزالي في الإحياء انتهى. قلت: وإذا كانت مخالطة المحجوبين كذوي الرئاسات من أسباب انقطاع العبد عن ربه فكيف لا تجب الهجرة على من تكون إقامته مع السلاطين توجب أن يكلف الفساد أو يكره على مساعدتهم وإعانة الظلمة في الظلم والمنكرات. قال في الإبريز كما يأتي في الفصل الذي بعد هذا الفصل أن في ذات العبد المؤمن خيطا من نور يخرج من ثقبة في ذاته يتصل ذلك النور بعطية الحق سبحانه يزيد بمخالطة أوليائه تعالى ويقل بعدمها ويخاف عليه من الانقطاع أصلا وانسداد الثقبة

بمخالطة أرباب الرئاسة فإنهم برئاستهم وأموالهم وجاههم يستولون على ذاته فتكون تحت أسرهم في حكم قبضتهم فلا يزال يصغي إليهم بقلبه وقالبه ويبقى على ذلك المدة الطويلة ولا يقع الحق سبحانه في مكره ولا في خاطره فلا يزال كذلك مسترسلا في إعراضه وانقطاعه حتى تنسد الثقبة والعياذ بالله تعالى وهذه آفة حاصلة من ذوي الرئاسة نسأل الله تعالى العافية والسلامة اهـ.
وقد روى أئمة التفسير عن سعيد بن جبير أنه قال: إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها وتلا قوله: {ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها" وقال القرطبي: في هذه الآية دليل على هجران الأرض التي يعمل فيها بالمعاصي ثم حكى عن مالك أنه قال: هذه الآية دالة على أنه ليس لأحد المقام بأرض يسب فيها السلف ويعمل فيها بغير الحق.
وحكى القاضي أبو بكر بن العربي: هذا عن مالك أيضا ذكره في أحكام القرآن ثم قال: وهذا

صحيح فإن المنكر إذا لم يقدر أن يغير المنكر يزول عنه اهـ وكلام مالك هذا يدل على وجوب الهجرة عند العجز عن التغيير. وذكر ابن العربي في أقسام الهجرة: الخروج أيضا من كل أرض غلبت عليها الحرام وعللها بأن طلب الحلال فريضة على كل مسلم.

وقال القرطبي أيضا عند قوله تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة} قال علماؤنا: فالفتنة إذا عمت هلك الكل وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير وإذا لم يغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بالقلوب هجران تلك البلد والهروب منها وهكذا كان الحكم فيمن قبلنا من الأمم كما في قصة السبت حين هجروا العاصين وقالوا: لا نساكنكم وبهذا قال السلف رضي الله تعالى عنهم.

وروي عن مالك أنه قال: يهجر الأرض التي يعمل فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها واحتج بصنيع أبي الدرداء وخروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها أخرجه في الصحيح اهـ والله تعالى أعلم. قلت: وكيف لا تجب الهجرة وقد تقدم في مقدمة هذا الكتاب أن مخالطة العصاة آفة ذكرها القطب عبد العزيز بن مسعود رضي الله تعالى عنه لما سئل عن كلام الشيخ الحطاب وكلام الشيخ المواق حيث اختلفا في دخول الحمام مع مكشوفين لا يستترون قال الحطاب: يحرم الدخول على الإنسان ويجب عليه التيمم إن خاف من

الماء البارد وقال المواق: يدخل ويستتر ويعض عينيه ولا حرج عليه فأجاب بأن الصواب مع الحطاب وأما ما ذكره المواق ففيه آفة مع فرض المستتر محترزا إلى الغاية وزفارا من النظر في عورة غيره إلى النهاية وهي أن المعاصي ومخالفة أوامر الله تعالى لا تكون إلا مع الظالم الذي بينه وبين ظلام جهنم خيوط واتصالات يحصل له السقاء من جهنم بسببها ولا أحد أعرف بذلك من ملائكة الله تعالى فإذا اجتمع قوم تحت سقف بحمام مثلا على معصية وظهرت المعصية من جميعهم عم الظلام ذلك الموضع فتنفر الملائكة عنهم وإذا نفرت الملائكة جاء

الشيطان وجنوده فعمروا الموضع فتصير أنوار إيمان العصاة حينئذ كالمصابيح التي جاءتها الرياح العاصفة من كل مكان قترى نورها مرة يذهب إلى هذه الجهة ومرة ينعكس إلى أسفل حتى نقول أنه انطفأ واضمحل ولهذا كانت المعاصي بريد الكفار والعياذ بالله تعالى فإذا كان الحمام وأهله على هذه الحالة التي وصفنا وفرضنا رجلا خيرا دينا فاضلا متحرزا جاء ودخله واستتر فإنه يقع

لنور إيمانه اضطراب بالظلام الذي وجده في الحمام لأن ذلك الظلام ضد افيمان فتضطرب ملائكته لذلك أيضا فتطمع فيه الشياطين وتصل إليه وتشهي إليه النظرة في

العورة وتغويه فلا يزال معهم في قتال وهم يقودون عليه وهو يضعف بين أيديهم حتى يستحسن الشهوة ويستلذ النظر للعورة نسأل الله تعالى السلامة ولو فرضنا جماعة يسربون الخمر ويستلذون به ويظهرون المعاصي التي تكون معه ويفحشون فيها ولا يتحرزون من أحد ولا يخشونه ثم فرضنا رجلا جاءهم وفي يده دلائل الخيرات فجلس بينهم وجعل يقرؤها وأطال معهم الجلوس وجلس معهم اليوم على اخيه وهو على قراءته وهم على معاصيهم فإنه لا يذهب عليه اليل والنهار حتى ينقلب إليهم ويرجع من جملتهم للعلة التي ذكرناها قال: ولهذا نهي عن الاجتماع

بأهل الفسق والعصيان لأن الذم والشهوة والغفلة فينا وفيهم إلا من رحمه الله تعالى وقليل ما هم قال بعض العلماء: قد اختار جماعة من السلف العزلة و الانفراد خوفا من عجزهم عن تغيير ما قد يشاهدونه من المنكرات في الخلطة وقد قال السيد الجليل الزاهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: ما ساح السياح وأخلوا ديارهم وأولادهم إلا لمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والشر قد اندرس ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تغيرهم وأم ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير

من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قال: {ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين} قال: ففر قوم فلولا ما جعل الله تعالى جل ثناؤه في النبوة لقلنا: ما هم بأفضل من هؤلاء لما بلغنا أن الملائكة تتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين مرت فتجيبه ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرة وسعة قال ابن عطية في تفسيره: وتفسير السعة بسعة البلاد هو الذي تقتضيه الفصاحة إذ بذلك تكون السعة في الرزق والصدر وغير ذلك من وجوه الفرح وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى: {ألم تكن ارض الله

واسعة} قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: الآية تعطي أن كل مسلم ينبغي له أن يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق أهـ. وفي لباب التأويل: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يجد متحولا من ارض إلى أرض وقال مجاهد يجد مرخصا عما يكره وقيل: يجد منقلبا إليه وقيل: المراغمة والمهاجرة واحدة يقال رغمت قومي أي هجرتهم وسميت المهاجرة

المراغمة لأنه يهاجر قومه بغرمهم وقله وسعة قيل السعة الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة إلى الهدى وقيل يجد سعة من الأض التي هاجر إليها وفي السراج المنير يجد سعة من الرزق كما قال ﷺ:" صوموا تصحوا وسافروا تغنموا " أخرجه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه:" اغزوا تغنموا وهاجروا تفلحوا " أهـ وفي عرائس البيان عند قوله تعالى: {فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم} في هذه الآية أشار إلى تنزيه الأرواح من المخاطرات وتقديس الأشباح من الشهوات هاجروا من غير الله تعالى إلى الله سبحانه وتعالى ثم أن الله تعالى حث الأعداء بإخراجهم ديارهم لحب غربة العاشقين الصادقين كي لا يركنوزا بالطبع والحب إلى الإخوان والأوطان أهـ.

وقال عند قوله تعالى: {يا عبادي الذي آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون} قال سهل: إذ عمل بالمعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منهاإلى أرض المطيعين أهـ. وقال تعالى: {يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهممن الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم} قال في السراج المنير ولما ذكر الله تعالى حال المشركين على

حدة وحال أهل الكتاب على حدة وجعلهما في الإنذار وجعلهما من أهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في إيذاء المؤمنين ومنعهم من العبادة قال تعالى: {يا عبادي الذين آمنوا} فشرفهم بالإضافة إليه {إن أرضي واسعة} في الذات والرزق وكل ما تريدون من الرفق أن تتمكنوا بسبب هؤلاء المعاندين الذين يفتنونكم في دينكم قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول الله تعالى إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها فإن الدينة واسعة وآمنة وقال مجاهد إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها.

وقال سعيد بن جبير: إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة. قال صاحب السراج: وكذا يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث تتهيأ له العبادة قال: وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال: قال مطرف بن عبد الله: إن أرضي واسعة ورزقي لكم واسع فاخرجوا.

وروى الثعلبي عن الحسن البصري مرسلا: من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومُحَمَّد صلى الله عليهما وسلم قال: ولما كانت الإقامة بمكة قبل الفتح مؤدية إلى الفتن قال تعالى: {فإياي فاعبدون} أي خاصة بالهجرة إلى أرض تأمنون فيها وقيل: {فاعبدون} أي وحدوني وإن كان بالهجرة وكانت هجرة الأهل والأوطان شديدة قال: فإن قيل: فما معنى الفاء في فاعبدون؟ أجيب بأن الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى: إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا إلي العبادة بأرض فأخلصوها في غيرها، قال: ولما أمر الله تعالى

عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام حتى يطلبوا إليها أوفق البلاد وإن شسعت وشق عليه ترك الأوطان ومفارقة الإخوان خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة بقوله: {كل نفس ذائقة الموت} أي كل نفس مفارقة لما ألفته حتى بدنا طالبا لبسته وأنسته وآنسته فإن أطاعت ربها نجت نفسها ولم تنقصها الطاعة من الأجل شيئا وإلا أوبقت نفسها ولم تزدها المعصية في الأجل شيئا قال: فإذا قدر الإنسان أنه ميت سهلت عليه الهجرة فإنه إن لم يفارق بعض مألوفه بها فارق كل مألوفه بالموت وقد ورد: "أكثروا من ذكر هادم اللذات أي الموت فإنه ما ذكر في قليل من العمل إلا كثر ولا ذكر في كثير من أمل الدنيا إلا قلله" وقال: لما هون أمر الهجرة وحذر من أرض تغيره في دينه بنوع نقص شيء من الأشياء حث على الاستعداد بغاية الجهد في التزود للمعاد بقوله تعالى: {ثم إلينا ترجعون} على أيسر وجه فنجازي كلا بما عمل {والذين آمنوا وعملوا الصالحات} تصديقا لإيمانهم {لنبوئنهم} أي لننزلنهم {من الجنة غرفا} أي بيوتا عالية وقال: لما كانت العلالي لا تروق إلا بالرياض قال: {تجري من تحتها الانهار} ومن المعلوم أن يكون في موضع أنهار لا يكون فيها بساتين كبار أو زروع ورياض
وأنهار فيشربون من تلك العلالي عليها وقال: ولما كانت بحالة لا نكد فيها يوجب هجرة لوقوعها في لحظة ما كني عنه بقوله: {خالدين فيها لا يبغون عنها حولا} قال: ثم عظم قدرها وشرف أمرها بقوله تعالى: {نعم أجر العاملين} أي هذا الأجر ثم وصفهم بما يرغب في الهجرة بقوله: {الذين صبروا} أي أجروا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت سجية لهم فأوقعوها على كل شاق من التكاليف من عجزة وغيرها فإن الاشتياق قل أن ينفك عن أمر شاق ينبغي الصبر عليه.

قال: ثم رغب بالاستراحة بالتفويض إليه بقوله: {وعلى ربهم} الحسن إليهم وحده لا على أهل ولا وطن {يتوكلون} أي يوجدون التوكل إيجادا مستمرا لتجديد كل منهم يفوض له ولما أشار بالتوكل إلى أنه الكافي في أمر الرزق في الوطن والغربة لا مال ولا أهل قال عاطفا على تقديره: وكأين من متوكل عليه كفاف ولم يحوجه إلى أحد سواه فليبادر لمن أنقذه من الكفر وهداه إلى المبادرة طلبا لرضاه {وكأين من دابة} أي كثير من الدواب العاقلة وغيرها {لا تحمل رزقها} أي لا تطيق أن تحمل رزقها أي لا تدخر شيئا لساعة أخرى فكأنه قيل: فمن
يرزقها؟ قيل: {الله} أي المحيط علما وقدره المتصف بكل كمال {يرزقها} على ضعفها وهي لا تدخر {وإياكم} مع قوتكم بادخاركم واجتهادكم لا فرق بين رزقه لها على ضعفها وعدم ادخارها ورزقه لكم على قوتكم وادخاركم فإنه هو المسبب وحده فإن الفريقين تارة يجدون وتارة لا يجدون فصار الادخار وعدمه غير معتد به ولا منظور إليه {وهو السميع} لأقوالكم فلا تخشوا الفقر والضيعة {العليم} بما في ضمائركم، انتهى كلام السراج ملخصا.
قال ابن جزي في قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية على مذهب إمام المدينة مالك بن أنس من الباب الرابع عشر في حكم السفر وفيه فصلان: الفصل الأول في أنواعه وهو ضربان: هرب وطلب أما الهرب من دار الحرب إلى دار الإسلام والخروج من دار البدعة والخروج من أرض غلب عليها الحرام والفرار من الإذاية وهي في البدن والأهل والمال اهـ.

وفي عرائس البيان في حقائق القرآن عند قوله تعالى: {وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم} ومن يخرج نفسه زمن الإرادة من جوار المدعين تعودت نفسه عادة الظلم في الدعاوي الباطلة ويقع عليه ما يقع على المدعين الكاذبين، قال أبو عثمان: مجاورة الفساق وأهل المعاصي من غير ضرورة فسق ظاهر ومعصية مستمرة في القلب لأن الله تعالى ذم قوما من عباده فقال: {وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم} ولم يعذر من أقام فيها فقال: {ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها} ويقال أن معاشرة أهل الهوى والفسق ومجاورتهم مشاركة لهم في فعلهم ويستقبل فاعله ما استقبلوه اهـ. قلت: وقوله: من غير ضرورة والضرورة المجاورة له أن يقيم من لا يمكنه الانتقال أصلا بحيلة من الحيل كما قال تعالى: {إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم}. وقال في بهجة النفوس عند تكلمه على قوله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح": ظاهر الحديث يدل على أن

الهجرة قد انقطعت بعد الفتح لكن له معارضا آخر وهو قوله ﷺ: "الهجرة باقية إلى يوم القيامة" والجمع بينهما والله تعالى أعلم أن يقال:
الهجرة من مكة إلى المدينة والإقامة بها مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والجهاد بين يديه قد انقطعت لا تكون أبدا وأما غيرها من أنواع الهجرة فذلك باق لم يزل من دار الكفر إلى دار وكذلك أيضا الخروج من مكان غلب فيه المنكر إلى موضع ليس فيه ذلك يشهد لذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق من أجل الدين" فهذه هجرة لا شك فيها ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم: "الهجرة والعمل في الهرج كالهجرة معي" أي عمل وأي هجرة أعظم من الفرار بالدين من

شاهق إلى شاهق لكن هذه الهجرة إنما وقع التشبيه بينها وبين الهجرة الأولى في تضعيف الثواب والأجر وأما تلك الهجرة فقد مضت لأصحابنا وهي مثل الصحبة لا تكون لغير الصحابة أبدا لقوله تعالى: {والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المومنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم} ثم قال: {والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم} نعم قد يجتمعان في المعنى وهو أن العمدة فيهما على الفرار من موضع كثرت فيه المخالفة إلى موضع يرجى فيه الخير وقال بعد كلام: في الحديث إشارة صوفيه أن قال: وقد أخبر ﷺ في غير هذا الحديث بأن الجهاد جهادان أكبر وأصغر وقال ﷺ:" هبطتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس " فإذا كان الجهاد على قسمين فكذلك يلزم في الهجرة أن تكون كبرى وصغرى فالصغرى ما تقدم ذكرها والكبرى هجرة النفس عن مألوفاتها وشهواتها وإخولنها وبينها وردها إلى الله تعالى في كل أحوالها وقد نص الله عز وجل في كتابه حيث قال: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة ترجون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا} أهـ. قلت: أطبق المفسرون على أن يبب نزول هذه الآية قول الذين أسلموا ولم يهاجروا إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعت أرحامنا لأجل هذا قال في السراج المنير: {قال} يا مُحَمَّد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة {إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم} أي قرابتكم {وأموال اقترفتموها}

أي اكتسبتموها {وتجارة تخشون كسادها} عدم نفاقها لفراقكم لها {ومساكن ترضونها} تستوطنونها رضي بسكناها {أحب إليكم من الله ورسوله} أي الهجرة {وجهاد في سبيله}

فقعدتم لأجل ذلك عن الهجرة والجهاد أي إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى عندكم من طاعة الله ورسوله ﷺ ومن المجاهدة في سبيل الله تعالى {فتربصوا} أي انتظروا متربصين وهو تهديد بليغ حتى ياتي الله بأمره أي عقوبة عاجله وآجله {والله لا يهد القوم} أي لا يخلق الهداية في قلوب {القوم الفاسقين} الخارجين عن طاعته ثم قال: وفي هذا دليل على أنه إذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا أهـ.
ثم قال ابن أبي جمرة: فالزهد في هذه الأشياء وخلو القلب منها هو المطلوب أهـ. قلت: ولا شك أن الأمر كما قال ﷺ المؤمن لا يمنعه من الهجرة من الأماكن التي تجب الهجرة منها إلا كراهته مفارقة بعض مألوفاته ولو علم أنها كلها غرور بدله من مفارقتها كلها بالموت إن لم يفارق بعضها بالهجرة لزهد فيها ومن زهد فيها لا تصده حينئذ عن شيء من طرق السلامة والغنيمة من هجرة وغيرها وحيث كان الأمر هكذا فاعلم يا أخي أن كل مكن أراد التمسك بالسنة المحمدية في هذا الزمان الذي فسدت فيه الأمة ومن تصدى فيه للأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ثقل على القلوب ورمي بالكذب وساءت فيه الظنون وقصد بالأذى والقتل ولما ذكرنا قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: يأتي على الناس زمان تكون جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولما ذكر بعض العلماء هذا الأثر في تأليفه قال: والله أن هذا لهو الزمان الذي ذكره حذيفة لأن من تصدى في هذا الزمان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقل على القلوب وإن كان خفيفا وسمج في العيون إن كان لطيفا ورمي بالكذب وساءت فيه الظنون وقصد بالأذى وكثرت أعداؤه وقلت أصدقاؤه ورمي في مهارى الردى

وأعملت الفكر في كيفية الخلاص منه والراحة من مشاهدته بل في قتله واستئصال شافته إلى أن قال وانظر إلى قوله تعالى حكاية عن وصية لقمان لابنه: {وآمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك} تعلم أن الآمر والناهي لابد أن يجعل له من الصبر حصنا حصينا ومن الاحتمال أمينا وأن يوطن نفسه على تجرع كؤوس من المرارات وتجنب حلاوة المداهنات والمداراة وأن يمرن نفسه على هجر الخلق في جنب الله تعالى ويقنع في كل أحواله بنظر الله تعالى وألا

يأسف على من قلاه لذلك ويثق بكفالة الحق ويتوكل على الله تعالى فهو حسب من توكل عليه وفوض إليه في جميع أحواله لرجوع الأمور كلها إليه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وإذا تقرر هذا وثبت أن التمسك بالسنة لا يتيسر لمن أقام بين ظهر أهل المناكر الظاهرة التي لا يمكن له تغييرها وأنه إذا تصدى للتغيير وهو مقيم فيه مع هجره صار متلاعبا آثما مستحقا للعذاب وأنه إن كان صادقا بالحب والبغض في الله تعالى فلا بد له من هجرهم وإذا هجرهم في الله تعالى ورأوا منه تغير المنكر سعوا في إضراره بكل ممكن وإذا طلب السلامة من عذاب الدنيا والبرزخ والآخرة فلابد له من الهجرة وإذا هاجر فارا بدينه صادقا
بذلك يثبته الله تعالى بالشهادة إما من وجه واحد من الأوجه التي تنال بها الشهادة أو بوجوه كثيرة تجتمع بها أنواع من الشهادة فبهذا اتضح وظهر ظهورا لا غبار عليه أنه لا أحمق ولا أجهل ولا أسفه ولا أخسر ممن صده غرض من أغراض هذه الدنيا الدنية الفانية التي لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة عن الهجرة من أماكن أهل المناكر التي يشاهدها ليلا ونهارا ولا يمكن تغييرها ووجه كون المهاجر لله تعالى وحده ينال الشهادة بل شهادات قطعا بين بأنه بهجرته إلى الله تعالى ورسوله شرع في الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس فكل ما

يناله في ذلك ويصيبه فهو في سبيل الهل تعالى فإذا مات حتف أنفه مات شهيدا لكونه غريبا عن وطنه ولغربة الدين أيضا بنص الحديث في هذا الزمان وإن قاتل وقتل في ذلك سواء قاتله مسلم ظالم فقتله الظالم وهو يدافع عن نفسه أو عن ماله أو أهله فهو في جميع ما ذكر شهيد ومن تحزب عليه الظلمة الفسقة إرادة صده عن سبيل الله تعالى لإرادة إصلاح نفسه وقاتلوه وقاتلهم دفاعا عن نفسه فقتلوه فهو شهيد أو قاتله كافر أو كفار بذلك فقاتلهم فقتلوه فهو شهيد وإذا من الله تعالى عليه بالوصول إلى دخول حضرة الله تعالى وأحب الله وخافه كما
ينبغي ثم مات كان سيدا من سادات الشهداء ويفوق شهداء المعترك والسيف بمراتب لا حصر لها وكذا إذا رزقه الله تعالى الكمال والتمسك بالسنة المحمدية عند فساد هذه الأمة. وفي كتاب سلم الرضوان لذوق حلاوة الإيمان: وأما الشهداء فهم أنواع كثيرة أفضلهم شهداء المحبة والخوف كابن معتب قال: وقد صنف السيوطي في عددهم كتابا سماه بكتاب التشوق إلى شهداء المحبة والخوف إلى أن قال: ومن الشهداء شهداء المحبة والخوف إلى أن قال: ومن الشهداء شهداء المعترك وهم الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى وهم أنواع كثيرة منهم

الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى ومن قام إلى إمام جائر وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر وقتله فهم سبعون نوعا أفضلهم المتمسك بالسنة عند فساد الأمة قال عليه الصلاة والسلام: "المتمسك بالسنة عند فساد الأمة له أجر مائة شهيد" قالوا: منا أو منهم يا رسول الله؟ قال: "بل منكم" وأفضل الشهداء النبيين من كشف له الحجاب حتى شاهد الملك الوهاب اهـ.

قلت: وإذا اتضح وتقرر وظهر وتحرر أن المهاجر لله تعالى الفار بدينه المخلص في ذلك القائم بإصلاح نفسه المقبل على الله تعالى المدبر عن السوى مجاهد الجهاد الأكبر ومتعرض للجهاد الأصغر بل داخل فيه كما مر وحيث كان ذلك فلا شك أن ربه الكريم يتفضل عليه بجميع أنواع الشهادة أو بعضها وحيث كان الأمر كما ذكرنا قلنا: إيراد كلام صاحب الكتاب مشارع الأشواق إلى مصارع دار العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام لأنه ما فصل إلا ما أجمله الله تعالى حيث خوّف عباده المؤمنين بالموت لأنه من علم أنه ميت لا نجاة له منه سهلت عليه الهجرة لعلمه أنه إن لم يفارق بعض مألوفاته بالهجرة فارق كل مألوفاته بالموت، وقال تعالى: {يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت} كما تقدم في تفسير الآية لأن الهجرة تستدعي الجهاد فلذلك تذكر عند ذكر الجهاد والقتال ونحوهما لأن الإنسان لا يصده عن مفارقة شيء واحد إلا مفارقة ما سنذكره بعد إما بموت أو قتل أو تغرب وأكبر ما يصيب المؤمن الراغب في النجاة من النيران ودخول الجنة ونيل الرضوان ودخول حضرة الرحمن مفارقة بعض مألوفاته الدنيوية بالهجرة إلى الله تعالى أو الموت فيها أو القتال لأجلها لا يتجاوز هذه الثلاثة وكونه مهاجرا غريبا في سبيل ربه لو قتل فيه هو رأس المطالب وغاية من ينال من المآرب لأنه شهادة لأنه إما أن يموت في هجرته وهو طالب علم أو متمسك بالسنة عند فساد الأمة أو يقتل دون دمه أو دون أهله وماله أو يموت غريبا أو يقتله إمام جائر لأمره بمعروف أو نهيه عن منكر ونحو هذا مما لا يعد وقد تقدم بعضها وكل واحد منها شهادة والشهادة مطلوبة لكل عاقل لأنها هي العافية والعافية مطلوبة على أي حالة حصلت.

وفي القواعد الزروقية: مقتضى الكرم أن تحفظ النسبة للمنتسب على أي وجه طلبه ويشهد لذلك: "أنا عند ظن عبدي بي" ومن ثم قيل أن عافية من ابتلي من الأكابر في بلائه إذ لا حاجة له في سوى رضا ربه ورضاه عنه بأي وجه كان بل يطلب لقاءه على وجه يرضاه وإن كان فيه حتفه، ألا ترى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث كان يطلب الشهادة فأعطيها وعثمان

رضي الله تعالى عنه اختار القتل ظلما لحقن دماء المسلمين وتعجيل لقاء أصحابه ونبيه وغير لهذه الأمة قال: اللهم لا تنس معاذا وأهله من هذه الرحمة فأخذته وبائية في كفه يغمى عليه ثم يفيق ويقول: اخنق خنقا فوعزتك إني أحبك إلى غير ذلك ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال سعيد: أنا آخر الناس قتيلا لك فقال: قد قتلت من هو أفضل منك قال سعيد: أولئك كانت قلوبهم في الدار الآخرة فلم يبالوا بل كانوا أحرص الناس على قربهم منها وأنا قلبي متعلق بنفسي فقتله فكان آخر قتيل له بدعوته فظهر الفرق وإن عافية كل أحد بحسب حاله ومعاملة الحق له على حسب انتسابه اهـ.

وإذا تبين أن التلف في الله تعالى يكون سببا للسعادة الأبدية فاعلم أيها الراغب عما افترض عليه من الهجرة الناكد على سنن التوفيق والسداد أنك قد تعرضت للطرد والإبعاد حرمت والله الإسعاد بنيل المراد ليت شعري هل سبب إحجامك عن الهجرة واقتحامك عن معارك الأبطال وبخلك في سبيل الله تعالى بالنفس والمال إلا طول أمل وخوف وهجوم أجل أو فراق محبوب من أهل أو مال أو ولد أو خدم أو عيال أو أخ لك شقيق أو قريب عليك شفيق أو ولي كريم أو صديق حميم أو ازدياد من صالح الأعمال أو حب زوجة ذات حسن وجمال أو جاه منيع أو منصب رفيع

أو بناء مشيد أو ظل مديد أو ملبس بهي أو مأكل هني ليس غير هذا يقعدك عن الهجرة ولا سواه يبعدك عن رب العباد وتالله ما هذا أيها الأخ منك بجميل ألا تسمع قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة إلا قليل} اصغ لما أملي عليك من الآمال القاطعة واستمع لما ألقي عليك من البراهين الساطعة لتعلم أنه ما يقعدك عن الهجرة سوى الحرمان وليس لتأخيرك سبب إلا النفس والشيطان أما سكونك إلى طول الأمل وخوفك هجوم الأجل والاحتراز من الموت الذي لا بد من نزوله والإشفاق من الطريق الذي لا بد من سلوك سبيله فوالله إن الإقدام لا ينقص عمر المقدمين كما لا يزيد الإحجام عمر المتأخرين قال تعالى: {ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون} {ولن يوخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون} {كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون} وإن للموت سكرات أيها المفتون وإن هول المطلع لشديد ولكن لا تشعرون وإن للقبر عذابا لا

ينجوا منه إلا الصالحون وإن فيه لسؤال الملكين الفاتنين يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ثم بعد ذلك الخطر العظيم إما سعيد فإلى النعيم المقيم وإما شقي فإلى عذاب الجحيم والشهيد آمن من جميع ذلك ولا يخشى شيئا من هذه المهالك وقد قال ﷺ:" لا يجد الشهيد ألم القتل إلا كمس القرصة فما يقعدك أيها الأخ عن انتهاز هذه الفرصة ثم تجار في القبر من العذاب وتفوز عند الله بحسن المآب وتأمن من فتنة السؤال وما بعد ذلك من الشدائد والأهوال فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون لا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون فرحين بما أتاهم الله من فضله

مستبشرين أرواحهم في جوف طيور خضر تسرع في عليين وكم بين هذا القتل الكريم وبين الموت الأليم. إن قلت: يعوقني أهلي ومالي وأطفالي وعيالي فقد قال تعالى قولا بينا لا يخفى: {وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى} وقد قال: {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب} {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} وفي الحديد لو أن الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى منها كافر جرعة ماء وقال ﷺ:" موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها وغدوة في سبيل الله تعالى وروحة خير من الدنيا وما فيها وخمار جارية من الجنة خير من الدنيا وما فيها " فكيف يصدك عن هذا الملك العظيم أهل عن قليل يكونون في الأموات تمزقهم أيدي الشتات وتفرقهم نوازل الآفات مع ما يصدر عنهم من المنكر والعداوات والأخلاق
السيئات والحقد على ما عرضت من حقوقهم للفوات وهجرانهم إياك عند قلة المال وتحولهم عن ودك عند تغير الأحوال وأعظم من ذلك فرارهم منك في المال ومحاسبتهم إياك عن مثاقيل الذر في السؤال حتى يود كل واحد منهم لو نجى وحملك ما عليه من الذنوب والأثقال أم كيف يصدك مال هو في معرض الذهاب والزوال ينفر منك عند فقده الأخلاء ويتفرق العيال ويهجرك كل صديق كان يكثر لك الوصال ثم يوم القيامة تسأل من أين اكتسبته وفيم أنفقته ويا

له من سؤال يوم تشيب فيه الطفال وتعظم فيه الأهوال ويكثر فيه الزحام ويشتد فيه الخصام وتذهل كل

مرضعة عن ما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها من هول ذلك المقام ويعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام أفتحزن على مال إن قل أو كثر همك وعيناك أو كثر فأغناك وأطغاك وإن مت وتركته أرداك وبين يديك موقف للحساب وما أدراك إن وهب لك الدنيا بحذافيرها أليس إلى الفناء مصيرها ولا بد من فراقك لها وإن ركنت إلى غرورها وإن تذكرت ولدك الكريم وحنوت عليه حنو الأب الشفيق الرحيم فقد قال تعالى: {إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم} والله تعالى لا إله إلا هو سبحانه أرحم بالولد من أبيه وأمه وأخيه وعمه

وكيف لا وهو قد رباه قبلهم بثدي رحمته في ظلمات الأحشاء وقلبه بيد لطفه ورأفته في أرحام الأمهات وأصلاب الآباء فأين كانت سفقتك إذ ذاك وحنوك وبعدك عنه ودنوك وكيف يقعدك عن دار النعيم وجوار الرب الكريم ولد إن كان صغيرا فأنت به مهموم أو كبيرا فأنت به مغموم أو صحيحا فأنت عليه خائف أو سقيما فقلبك عليه راجف إن أدبته غضب وشرد أو نصحته حرد وحقد مع ما تتوقع من العقوق المعتاد من كثير من الأولاد إن قدمت جبنك وإن سمحت بخلك وإن رهوت رغبتك عظمت به الفتنة وأنت تعدها منية وعم به البلاد وأنت تراه من النعماء تود

سروره بهمك وفرحه بحزنك وربحه بخسرانك وزيادة درهمه ودیناره بخفة میزانك تتكلف من أجله ما لا تطيق وتدخل بسببه في كل مضيق ألقه يا هذا عن بالك إلى الذي خلقك وخلقه وتوكل في رزقه بعدك على الذي رزقك ورزقه وقل أسلمت إلى الله تعالى تدبيره في الملك والملكوت ولا تسلم إليه تدبير ولدك بعدما تموت فهل إليك من تدبير قليل أو كثير ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير والله لا تملك لنفسك ولا له نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا تستطيع أن تزيد في عمره يسيرا ولا في رزقه نقيرا وقد تفترسك المنية

بغتة فتمسي في قبرك صريعا وبعملك أسيرا وسصير ولدك العزيز بعدك يتيما ويقسم مالك وإرثك عدوا كان أو رحيما ويفترق عيالك ظاعنا أو مقيما يا ليتني كنت مع الشهداء فأفوز فوزا عظيم فيقال لك: هيهات هيهات فات ما فات وعظمت الحسرات وخلوت بما قدمت من

سيئات أو حسنات فاسمع قول الله العزيز الغفور محذرا مما أنت فيه من الغرور يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا زلا يغرنكم بالله الغرور هذا وإن كان ولدك من السعداء فستجمع بينك وبينه الجنان وإن كان من الأشقياء فليكن الفراق من الأوان لا يجتمع أهل الجنة مع أهل النار ولا الأخيار مع الأشرار ولعل الله تعالى يرزقك الشهادة فتشفع فيه وتكون بفراقك له ساعيا في أن تنجيه واحرص على ما ينجيك من العذاب واجهد فيه فقد يفر المرأ من أبيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل مرئ منه يومئذ شأن يغنيه إن هذا لهو البيان العظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وإن قلت: يشق علي فراق الأخ والقريب والصديق والحبيب فكأنك بالقيامة قد قامت على الخلق أجمعين والأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فإن كانت الصداقة لله تعالى فسيجمع بينكما عليون في نعيم أنتم فيه خالدون وإن كانت الصحبة لغير الله تعالى فالفراق الفراق من قبل أن يحشر الرفاق إن المرء في الآخرة مع محبوبه لمشاركته إياه في مطلوبه فإن كان من الأتقياء نفعه إخاؤه وأعلاه وإن كان من الأشقياء ضره وأرداه مع ما يتوقع في هذه الدار من الأقرباء والأصدقاء من الضرر والجفاء وقلة الوفاء وكثرة الكدر وعدم الصفاء وتغيرهم

لديك وتلونهم عليك وإساءتهم وهجرانهم إياك عند عكس الأغراض وما تكنه قلوبهم من العلل والأمراض وإن وقعت في شدة تخلفوا عنك وإن وقعت في زلة تبرءوا منك إخوان السراء وأعداء الضراء صداقتهم مقرونة بالفناء وصحبتهم مشحونة بالعناء إن قل مالك ملوك فما أخوك أخوك وإن شككت في شيء من هذا البيان فسيظهر لك يقينا عند الامتحان وإن ظفرت يداك منهم باح من إخوان الصفا وأين ذاك أو خل من خلان الوفا وما أدراك فأنتما غدا كما قال أصدق القائلين: {ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين} فلا يقعدنك عن هذه الهجرة حبيب

أو قريب فربما افترقتما قبل المغيب لفاتك الثواب العظيم وبان عنك الصديق الحميم وحرمت ما ترومه من الدرجات وندمت فلم يغنك الندم على ما فات وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: يا مُحَمَّد إن الله تعالى يقول لك: "عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجازى به" فانظر ما اشتملت هذه

الكلمات اليسيرة من ذكر الموت وفراق الأحبة والجزاء على الأعمال أبعد هذا الإنذار إنذار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

فإن قلت: فيقعدني منصبي وجاهي الرفيع وعزي وحجابي المنيع فليت شعري كم فارق منصبك محب إلى أن وصل إليك وكم زال عن مغتبط به إلى أن ظل عليك وسيبين عنك ما بهم بان وكأنك بذلك وقد كان فإذا أنت بفراقة ثكلان وقلبك معمور بالحسد وصدرك مغمور بالأحزان فلم يدم لك ما أنت فيه من المنصب والجاه ولم تفز بما أنت طالبه من أسباب النجاه وإن كان لآخر من يخرج من النار ويدخل الجنة بعد الداخلين مثل ملك أعظم من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله معه أجمعين فما ظنك بمن يكون مع السابقين الأولين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

مع ما يخفى عليك مما في المنصب من النصب والتعب وشر العافية وسوء المنقلب وما تكسب من كثرة الأعداء والحساد وما اشتملت عليه بواطنهم من الضغائن والأحقاد وشماتتهم بك عند زواله وتلهفك حزنا على ما فات من إقباله وزوال أكثر حشمك وخدمك وإعراض من كان يسر بتقبيل قدمك، قد روي أن في الجنة يأتي الملك الكريم بمنشور من الرب العظيم فيه مكتوب: من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت يا عبدي أنا أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون.

وفي الحديث: "إن أدنى أهل الجنة منزلة من يقف على رأسه خمسة عشر ألف خادم وإن أدنى لؤلؤة على رأس أحدهم لتضيء ما بين المشرق والمغرب" وروى الترمذي وابن ماجه في صحيحه: "أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء" واسمع قول العزيز الغفار: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} تالله هذا ما تقربه العيون ولمثل هذا فليعمل العاملون.

وإن قلت: يشق علي فراق قصري وظله وبناؤه المشيد وعلو محله وحشمه فيه وخدمه وسروره ونعمه فليت شعري هل هو إلا بيت من طين وحجر وتراب ومدر وحديد وخشب وجريد وقصب إن لم يكنس كثرت فيه القمامة وإن لم يسرج فما أشد ظلامه وإن لم يتعاهد بالبناء فما أسرع انهدامه وإن تعهدته فمآله إلى الخراب وعن قريب يصير إلى التراب يتفرق عنه الذي كان

وينتقل عنه القطان ويعقى أثره ويندرس خبره ويمحى رسمه وينسى اسمه، وقد روي أن الله عز وجل لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض قال له: "ابن للخراب ولد للفناء"، وفي الخبر أن لله تعالى

ملكا ينادي كل يوم: "لدوا للموت وابنوا للخراب" أتبدل أيها المغرور قصرك مع سرعة فنائه بدار باقية قصورها عالية وأنوارها زاهية وأنهارها جارية وقطوفها دانية وأبراجها متدارية وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب لا صخب فيها كلا ولا نصب وإن سألت عن حصبائها فاللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن وأنهار من عسل ونهر الكوثر وإن سألت عن قصورها فالقصر من لؤلؤة مجوفة طولها سبعون ميلا في الهواء وزبرجدة خضراء باهرة السنا أو ياقوتة حمراء عالية البناء وللمؤمن في كل زاوية من زواياها أهل وخدم لا يبصر بعضهم بعضا لسعة الفناء وإن سألت عن فراشها فمن استبرق بطائنها فما ظنك بظاهرها وهي مرتفعة بين الفراشين أربعون سنة وليس فيها نوم ولا سنة بل عليها متكئون مقبل بعضهم على بعض يتساءلون، إن سألت عن أكلها فموائد موضوعة أكلها على الدوام ثمارها لا مقطوعة ولا ممنوعة لطول المقام بل فاكهة نضيجة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ويسقون فيها من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ولا يتغوط أهلها ولا يبولون ولا يبصقون ولا يتمخطون كلهم يرشح من جلودهم كالمسك ريحا ولونا كالجمار وإن سألت عن خدمها

فالولدان المخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا وإذا ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا. وبالجملة فكلما ذكرت لك هو كما جاء في الخبر وإلا ففي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بشر وإن سألت عن بقائهم في هذا النعيم والمقام الكريم الجسيم فهم فيه أبدا خالدون أحياء لا يموتون شبان لا يهرمون أصحاء لا يسقمون فرحون لا يحزنون راضون لا يسخطون من خوف القطيعة والطرد آمنون في مقام أمين دعواهم فيها

سبحانك اللهم وتحيتهم فيه سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فقس بعقلك بين هذا الملك العظيم الخطير وبين قصرك ذي العمر القصير والقدر اليسير وانظر إذا فارقته بالهجرة أو بالشهادة أو بهما مع إلى ما تصير إن المقام في ما أنت فيه لغرور ولا ينبؤك مثل خبير. وإن

قلت: أرغب في التأخير لإصلاح العمل تالله ما ثم تأخير في الأجل قال تعالى: {يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير} لا من مقاصد
الأولياء والصالحين أليس الصحابة وخيار التابعين أولى بك من هذا القصد إن كنت من الصادقين لو ركنوا إلا تأخير الأجل لما ارتكبوا في الله تعالى عظيم الهوال ولما هجروا الأوطان والعشائر وتركوا الأموال ولما جاهدوا المشركين والكفار وافتتحوا البلاد والأمصار ألا تصغي يا هذا المفتون بأذنك إلى قوله تعالى {انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} وهب أنك صادق فيما تقول أليس عملك مترددا بين الرد والقبول أليس أمامك ما يفزع ويهول أليس قدامك يوم الحشر المهول لا والله
ما تدري هل ينجيك عملك إن عملت أو يرديك والله يعلم ما تخفون وما تعلنون قال تعالى: {ولإن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله خير مما تجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون} وإن قلت: لا تطيب نفسي بفراق زوجتي وجمالها وأنسي بها وسروري بوصالها فهب أن زوجتك أحسن النسوة وأجمل أهل الزمان أليس أولها نطفة مذرة وآخر جيفة قذرة وهي فيما بين ذلك تحمل العذرة حيضها يمنعك شطر عمرها وعقوقها لك أكثر من برها إن لم تكتحل عمشت عينها وإن لم تتزين ظهر شينها وإن لم تتمشط شعثت شعورها وإن لم تدهن طفئ نورها وإن لم

تتطيب ثقلت وإن لم تتطهر نتنت كثيرة العلل سريعة الملل إن كبرت أيست وإن عجزت هرمت تحسن إليها جهدك فتنكر ذلك عند السخط كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم:" لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط " تروم منها أقذر ما فيها وتخشى هجرها وتخشى أن تجيفيها يحبلك حبها على الكد والتعب والشقاء الشديد والنصب توردك الموارد المهلكة وترضى في أدنى هواها بهلاكك وما أوشكه تودك لمرادك منها فإن فات أعرضت عنك وهجرتك وطلبت سواك وملتك وأظهرت قلاك وقالت بلسان حالها إن لم تفصح بلسان مقالها:
واصلني وأنفق أو فارقني وطلق وبالجملة لا يمكن أن تتمتع بها إلا على عوج ولا تدوم صحتك إياها إلا مع ضيق وحرج يا الله للعجب كيف يقعطك حب هذه عن وصال من خلقت من النور ونشأت في ظلال القصور مع الولدان والحور في دار النعيم والسرور واعلم أن فراق زوجتك

تلك لا بد منه وكان قد وقع والجنة إن شاء الله تجمع بينكما ونعم المجتمع وما بينك وبين وصلها إن كانت من الصالحات إلا وقت لا بد من فراقك لها فيه وهو الممات فتجدها في الآخرة أجمل من الحور العين بما لا يعلمه إلا رب العالمين قد ذهب ما تكره منها وزال ما يسود عنها وحسن خلقها وكمل خلقها كحلاء نجلاء حسناء زهراء بكراء عذراء قد طهرت من الحيض والنفاس وكرمت منها الأنواع والأجناس وزال عوجها وزاد ابتهاجها وعظمت أنوارها وجل مقدارها وفضلت على الحور العين في الجمال والأنوار كفضلهن عليها في هذه الدار فأعرض عنها اليوم لله تعالى فسيعوضك عنها الله سبحانه وتعالى وإن كانت من أهل الجنة فلا بد لك منها ولا يلهينك يا هذا عن دار القرار الاغترار بزخرف شيء من هذه الدار فوالله ماهي بدار المقام ولا محل اجتماع والتئام دار إن أضحكتك اليوم أبكتك غدا وإن أسرت أعقبت سرورها الردى وإن

حلت فيها النعم جميعا حلت فيها النقم سريعا إن أخصبت أجدبت وإن جمعت فرقت وإن ضمت شتتت وإن تممت نقصت وإن أغنت أعنوت إن زادت أبادت وإن عمرت دمرت وإن أسفرت أدبرت وإن راقت أراقت وإن صافت حافت وإن عمت بنوالها عمت بوبالها وإن جادت بوصالها جاءت بفصالها قريبها بعيد وحبيبها طريد شرابها سراب وعذبها عذاب دار الهموم والأحزان والغموم والأشجان والبين والفراق والشقاء والشقاق والوصب والنصب والمشقة والتعب كثيرها قليل وعزيزها ذليل وذليلها حقير غزيرة الآفات كثيرة الحسرات قليلة الصفا عديمة الوفا لا ثقة بعهودها لا

وقت لوعودها محبها تعبان وعاشقها ولهان والواثق بها خجلان قد سترت معاييبها وكثرت مصائبها وأخفت نوائبها وخدعت ببطالها ونصبت شباكها ووضعت أشراكها وبهرجت زينتها وجردت سيفها وأبدت ملائحها وسترت قبائحها ونادت: الوصال أيها الرجال فمن رام وصالها وقع في حبالها وبدى له سوء حالها وعلم نكالها ووقع في أسرها بجملة شرها وحاق به مكرها حيث لم يتبصر أمرها فعض يديه ندما وبكى بعد الدمع دما وأسلمه ما طالب إلى سوء المنقلب وأجهد في الفرار فما أمكنه الهرب فتيقظ لنفسك يا هذا قبل الهلاك وأطلق نفسك من أسرها قبل أن يعسر

الفكاك وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثاني والخمسون

في ذكر الأسباب الموجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل الطارئة على هذه الأمة المحمدية من غير شعور لأكثرهم وهي منحصرة في ثلاثمائة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: قال في الإبريز: وسألته رضي الله تعالى عنه: لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل فترى الواحد إذا جهر في يمينه يقول: وحق سيدي فلان كحق سيدي عبد القادر الجيلاني أو سيدي أبي يعزى أو سيدي أبي العباس السبتي وغيرهم وإذا أراد أن يخاف أحد ويؤكد عليه في يمينه يقول له: احلف لي بسيدي فلان، وإذا أصابه ضرر أراد أن يسأل كالسعادة الذين يتكففون للناس صرح باسم سيدي فلان وهم في ذلك كله منقطعون عن الله عز وجل وإذا قيل لهم توسلوا بالله تعالى أو احلفوا به أو نحو ذلك لا يقع ذلك الكلام منهم موقعا فما السبب في ذلك؟ فقال رضي الله تعالى عنه: أهل الديوان من أولياء الله تعالى فعلوا ذلك عمدا لقوة الظلام في الذوات وكثرة المنقطعين عن الله عز وجل فصارت ذواتهم خبيثة وأولياء الله تعالى يحبون الذين يذكرون سيدهم وخالقهم سبحانه أن تكون ذواتهم طاهرة لأنه تعالى يجيب من دعاء إذا انقطع إليه باطنا وقت الدعاء وإجابته تكون بأحد أمرين: إما أن يعطيه ما سأل وإما أن تبين له سر القدر في المنع إذا منعه وهذا لا يكون إلا للأولياء ولا يكون للبعداء المحجوبين فلو توجهت الذات الظلمانية إليه تعالى بجميع عروقها وبكل جواهرها وسألته أمرا ومنعها ولم يطلعها على سر القدر في المنع لربما وقع لها وسواس في وجود الحق سبحانه فتقع في ما هو أدهى وأمر من عدم قضاء حاجتها فكان من المصلحة ما فعله أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله تعالى الصالحين لأنه إذا وقع لهم وسواس في كونهم أولياء فإن ذلك لا يضرهم قال رضي الله تعالى عنه: ومما يدلك على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام في ديوانهم أنك ترى الواحد يخرج من داره بعشرين موزونة مثلا ويذهب بها إلى ضريح ولي من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضي له حاجته وكم من فقير محتاج يلقاه في الطريق ويطلب له متاع الله تعالى في سبيل الله تعالى لوجه

الله تعالى فلا يعطيه درهما واحدا حتى يبلغ للولي فيطرحها عند رأسه وهذا من أقبح ما يكون وسببه أن الصدقة لم تخرج لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه

الكريم العظيم إذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكل محتاج لقيه لكن لما كان الحامل عليها والداعي إلى إخراجها هو قصد النفع لنفسه واستكمال أغراضه وحظوظه خص بها موضعا دون موضع لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعدما قال رضي الله تعالى عنه: وقد رأيت في هذا اليوم ما أهدى للصالحين من باب تلمسان إلى الساقية الحمراء فإذا هو من الدنانير ثمانون دينارا ومن الغنم ثلاثمائة وستون شاة ومن البقر اثنان وسبعون ثورا أخرج هذا كله في يوم واحد للصالحين وما أخرج لله تعالى في ذلك اليوم عشرة دراهم قال رضي الله تعالى عنه:
وهذا سبب من الأسباب للانقطاع عن الله عز وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها وهي منحصرة في ثلاثمائة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل، قال: فقلت: وهل حضركم الآن منها شيء؟ فقال رضي الله تعالى عنه: اكتب: الأول الإهداء للصالحين على الوجه السابق دون وجه الله عز وجل، الثاني التوسل إلى الصالحين بالله عز وجل قال: ليقضوا الحاجة فيقول الزائر: قدمت لك وجه الله يا سيدي فلان إلا ما قضيت لي حاجتي وإنما كان سببا للانقطاع لأن الزائر قلب الواجب وعكس القضية فإنه كان من حقه أن

يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس، الثالث زيارة الصالحين وعلى الزائر دين فرض كعدد صلوات وجب قضاؤها عليه فترك قضائها الذي هو حق لله تعالى وفيه نور الله تعالى وسره الذي يرحمه به وذهب إلى زيارة صالح ولا يخفى ما فيه من الانقطاع والظلم، الرابع الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرهما فيقول لنفسه: لا أعصي هذا الظالم لأني إن عصيته قتلني أو منع رزقي أو غير ذلك مما يوجب الخوف منه ولو تحقق بوجود الحق تعالى معه وتصرفه فيه وفي ذلك الظالم لعلم أنه هو الفاعل وحده لا يشاركه ذلك الظالم ولا غيره في فعل من

الأفعال وحينئذ فلا يخاف إلا منه تعالى وبقدر ما يقوى هذا النظر في البعد يقوى قربه من ربه تعالى وبقدر ما يقل أو ينعدم يكون بعده من الله عز وجل وانقطاعه، الخامس الطمع في الظالم فيتقرب إليه لينال منه رزقا ولو تحقق بأن الله سبحانه هو الرزاق لم يصدر منه ذلك، السادس النصيحة للكافرين فيلهمهم مصالحهم في دنياهم بأن يري لهم طريقا من نحوه فإنه من أسباب

الانقطاع عن الله عز وجل.

قال: قلت: وما رأينا من نصح ظالما إلا وكانت عاقبة أمره خسرا ونذكر هاهنا قصة سفيان الثوري ﷺ مع الذي أراد أن يوقظه سببا للصلاة فقال له سفيان: لا توقظه دعه هذه الساعة نسترح منه ومن شره فيها، السابع عدم النصيحة للمسلمين فيرى ما يضرهم ولا يأمرهم بالتحرز منه ويرى ما ينفعهم ولا يأمرهم بالتأهب له، الثامن استحلاء التعب والمشقة في طلب الدنيا على عبادة الله عز وجل فمن أحس بذلك من نفسه فليعلم أنه مرتكب سببا من أسباب الانقطاع، التاسع طلب الدنيا بما هو أهون منها وأذل وأحقر وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يطلبونها بما هو أعلى منها وأعز كالجهاد والتجارة والزراعة وغير ذلك من أسباب الحلال وأما من طلب الدنيا بالكذب والفجور والأيمان الحانثة فقد طلبها بمعاص هي أخس منها أي من الدنيا فمن أحس بذلك من نفسه فليتب إلى الله عز وجل فإن الدنيا لا تدرك إلا بما هو أعز منها، العاشر أن تكون أعمال العبد وطاعاته بقصد أن يرحمه الله بها وبقصد نفع نفسه وتحصيل أغراضه وحظوظه لا بقصد وجه الله الكريم وجوده العظيم وهذا سبب قد عم أكثر أهل الزمان إلا من رحمه الله عز وجل جعلنا الله تعالى منهم بمنه وفضله.

قال ﷺ: ولو لم يخلق الله جنة ولا نارا لتبين من يعبده ممن لا يعبده ولكانت عبادة الذي يعبده خالصة لوجهه الكريم وحينئذ تحصل المعرفة بالله تعالى على وجهها الكامل لمن عبده ولكن الناس لما سمعوا بذكر الجنة والنار تفرقت أعراضهم نحوهما فضلوا على السبيل، الحادي عشر المعاصي في حرمات الله تعالى كالمساجد ونحوها فإن العبد لو تحقق بإضافة البيت إلى ربه وقال في قلبه: هذا بيت الله تعالى لم تصدر منه فيه معصية، الثاني عشر اللواط وستأتي إن شاء الله تعالى مفسدته قلت: وهو قوله: وسمعته ﷺ يقول:

إنما حرم الله اللواط لأنه يسقط مع نطفة الرجل عدد من الملائكة فإذا وقعت النطفة في الدبر الذي هو ليس محلا للحراثة ماتوا جميعا ومرة قال: إنهم بمنزلة فرخ الحمام إذا سقط على صخرة من عش عال أترى يبقى فيه شيء؟ قال: وأما إذا وقعت النطفة في الفرج الذي هو محل الحراثة فإنه يبقى مع تلك النطفة العدد إن من الملائكة عدد ملائكة نطفة الأب وعدد ملائكة نطفة الأم ومجموع ذلك ثلاثمائة وستة وستون ملكا أنصافا بينهما إلا أن الرجل يزيد بعشرة لأن ملائكته أكثر لسر في أصالة آدم لحواء قال: فإذا قضى الله تعالى بالتكوين فإن

النطفة تصير علقة ثم مضغة ثم ما بقي من الأطوار وكذا عدد الملائكة ينمو كل واحد منهم كما تنمو النطفة فإذا خرج الولد للدنيا خرج معه أولئك الملائكة وهم حفظة ذاته وكبيرهم الحافظ الذي على اليمين وكما أن الولد نشأ بين الأب والأم كذلك أولئك الملائكة نشأوا بين ملائكة ذات الأب وهم ثلاثمائة وستة وستون وبين ملائكة ذات الأم قال: وأما إذا قضى الله تعالى أنه لا يكون ولد من تلك النطفة فإن عدد الملائكة ينزلون معها إلى الرحم ويموتون ولا ضرر على العبد في ذلك لأنه لا كسب له في ذلك قال: وما شبهتهم حينئذ إلا بقطرات

الزيت النازلة من فتيلة القنديل إذا كان مملوءا بالزيت أكثر من القدر المعتاد فتنزل مضيئة ولا تبلغ إلى الأرض حتى تنطفئ، قال رضي الله تعالى عنه: ولهذا لا يجوز التسبب في إخراج المني من الرحم لأنا لا ندري هل أراد الله تعالى أن يكون من النطفة ولد أم لا فتسعى في هلاك عدد كثير من الملائكة، وأما المفسدة التي حرم الزنا لأجلها فليست هي من جهة الملائكة وإنما هي من جهة قطع النسب وذلك أن الناس يوم القيامة لهم نفع عظيم بالأنساب ولا تقبل هناك دعوى نسب إلا بشهادة ولذلك أمر النبي ﷺ بالإشهاد في
النكاح وإعلانه والجهر به والزنا لا يفعل ذلك إلا خفية لأنه لو جهر به لأقيم عليه الحد فهو ساع في قطع النسب واختلاطه، الثالث عشر ضرب الرجل امرأته من غير ذنب فذلك الضرب سبب في الانقطاع لما لها عليه من الحقوق، الرابع عشر المنة على العيال والأهل بالنفقة فيقول: أنفقت عليكم كذا وكذا بقصد المنة، الخامس عشر الحسد وسيأتي إن شاء الله تعالى ما فيه من الفساد إن غالب المعاصي منه، قلت: وهو قوله وسمعته رضي الله تعالى عنه يحكي عن بعض الصالحين أن سبب رسوخ التوبة في ذات العبد ومد أغصانها فيها وتمكن عروقها منها
وبلوغها الغاية فيها هو محبة المؤمنين جميعا من غير فرق كما يبغض الكافرين جميعا من غير فرق، قال: فإذا كانت هذه المحبة في العبد نزلت عليه التوبة من الله تعالى ولو كرهها وأراد دفعها فإنها تنزل لا محالة وسبب ذلك أن العبد لا يفرق في محبته للمؤمنين حتى يحب بعضا دون بعض إلا لدسيسة بغض في قلبه نشأت عن حسد أو كبر أو نحو ذلك فتكون طويته في ذلك خبيثة والتوبة النصوح لا تنزل إلا بأرض طيبة وطوية طاهرة فإذا أحب جميع المؤمنين فقد ارتفعت الدسائس كلها عن قلبه فتنزل التوبة عليه حينئذ، ومرة قال: مثل هذا لا يحتاج

إلى توبة وهذه المحبة العامة تكفيه في محو جميع الذنوب فإنها تذهب من القلب جميع الدسائس الموجبة للذنوب، قال: ومن أعظم تلك الدسائس الحسد وهو لا يبقى قطعا مع هذه المحبة وإنما قلنا أن الحسد هو أعظم الدسائس لأن جميع المعاصي والدسائس إنما تتفرع عنه وهو السبب في جميعها فإنك لا تبغض أحدا لكونه أكثر منك مالا وولدا ونحو ذلك إلا لحسد منك له وكذا لا تتكبر عليه إذا كنت أكثر منه مالا وولدا وأعز نفرا إلا لكونك تريد أن تطرده عن بلوغ منزلتك بذلك الكبر الذي تتكبر به عليه وما ذاك إلا لكونك لا تحب تلك المنزلة له

وذلك هو الحسد بنفسه وهكذا القول في رد جميع المعاصي إلى الحسد ثم قال: قلت للشيخ ﷺ: فإذا أحب هذا الرجل جميع المؤمنين من غير فرق فإن الحب في الله تعالى والبغض في الله تعالى اللذان هما شعبة من شعب الإيمان فإن العاصي يستحق أن يبغض في الله تعالى فإذا أحببناه في الله تعالى خالفنا مقتضى عصيانه فقال ﷺ: الذي يجب أن يتوجه البغض إليه في المعاصي هو أفعاله لا ذاته المؤمنة وقلبه الطاهر وإيمانه الدائم فالأمور التي توجب محبته لازمة والذنوب التي توجب بغضه عارضة طارئة فتكون محبته هي الساكنة

في قلوبنا وبغضه يتوجه نحو الأمور العارضة حتى أنا نمثل ذنوبه بين أعيننا وفي أفكارنا بمنزلة أحجار مربوطة بثيابه خارجة عن ذاته فنحب ذاته ونبغض الأحجار المربوطة بثيابه وهذا القدر هو الذي أمرنا به الشارع في بغض العاصي من غير زيادة عليه وأكثر الناس لا يفرقون بين بغض الأفعال الخارجة عن الذات وبين بغض الذات فيريدون أن يبغضوا الأفعال فلا يعلمون كيف يبغضونها فيقعوا في بغض الذات وبغض الذات إنما أمرنا به في حق الكافر فتبغض ذاتهم وكل ما يصدر عنها وأما المؤمن العاصي فإنا لم نؤمر ببغضه بغضا يطفئ محبة ذاته

ومحبة إيمانه بالله تعالى ومحبة إيمانه برسوله ﷺ ومحبة إيمانه بجميع الرسل ومحبة إيمانه بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومحبة إيمانه بسائر الكتب السماوية ومحبة إيمانه باليوم الآخر وكل ما فيه من حشر ونشر وجنة ونار وصراط وميزان ومحبة إيمانه بجميع الملائكة عليهم الصلاة والسلام ومحبة إيمانه بالقدر خيره وشره وهكذا نحبه على كل وصف ممدوح فيه فإذا تقدمت محبتنا فيه على هذه الخصال الحميدة لم يمكن أن يدخل بغضه في قلوبنا أبدا إنما نبغض أفعاله وندعو له بخير ولا سيما إن نظرنا إليه بعين

الحقيقة وأكثر الناس إذا أرادوا أن يبغضوا العاصي توجهوا إليه أولا قبل كل شيء بالبغض

وغفلوا عن الخصال التي توجب محبته فلا يستحضرونها في عقولهم فيسكن بغضه في قلوبهم ويسري ذلك البغض إلى ذاته فتكون هي المبغوضة في نظرهم وذلك لا يحل ولا يجوز والله تعالى أعلم. السادس عشر الإقدام على المعصية مع معرفتها وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك عند الكلام على أنه أشد الناس عذابا يوم القيامة قلت: وهو قوله: سمعته رضي الله تعالى عنه يقول: أتدري من أشد الناس عذابا يوم القيامة فقلت له: قل يا سيدي فقال: هو رجل أعطاه الله تعالى ذاتا كاملة وعقلا كاملا وصحة كاملة وهد له في العيش وأسباب الرزق ثم يبقى هذا الرجل اليوم واليومين وأكثر ولا يخطر بباله ربه سبحانه وتعالى وإذا أمكنته المعصية أقبل عليها بذاته الكاملة وعقله الكامل واستلذ بها واستحسنها من غير فكر يشوش عليه من ناحية ربه تعالى فتجده متصل بالمعصية غاية الاتصال منقطعا عن ربه تعالى كل الانقطاع يميل بكليته للمعصية ويستحليها غاية الاستحلاء فيكون جزاء هذا يوم القيامة أن ينقطع إلى العذاب بجميع شراشره ويتشوف إليه بالكلية ويقع فيه المرة الواحدة ويستحليه استحلاء

المجروب للحك وعلى قدر ما حك يكون وباله قال رضي الله تعالى عنه: ولا سيما في حال المعصية شأنها عظيم وأمرها جسيم فينبغي للمؤمن إذا عصى الله أن يعلم أن له ربا قادرا عليه فيحصل له الخوف والوجل منه تعالى فتنكسر منه صورة العذاب إن لم يقع السماح بالكلية والله تعالى أعلم. السابع عشر جمع الدنيا من الحرام قال: قلت: ولا تكرروا مع اتلوجه التاسع كما لا يخفى.

الثامن عشر عقوق الوالدين فسمعته رضي الله تعالى عنه يحكي عن شيخه سيدي عمر بن مُحَمَّد الهواري وذكر أنه كان جالسا معه عند السدرة التي هي خارج روضة سيدي علي بن حرازم فجاء وله فودعه وأراد الذهاب إلى الحج فأبى عليه أبوه سيدي عمر قال: وكان عاقا لأبيه فذهب وأبوه غير راض عنه فقال لي سيدي عمر: نتيجة عقوق الوالدين أربعة أمور أحدها أن الدنيا تذهب عنه وتبغضه كما يبغض المؤمن جهنم ثانيها أنه إذا جلس في موضع من المواضع وجعل يتكلم مع الحاضرين في شيء من الأشياء صرف الله تعالى قلوبهم عن الاستماع لكلامه وينزع الله

تعالى البركة والنور من كلامه ويصير ممقوتا بينهم ثالثها أن أولياء الله تعالى من أهل الديوان والتصرف لا ينظرون إليه نظر رحمة ولا يرضون عليه أبدا رابعها أن نور إيمانه لا يزال ينقص شيئا

فشيئا فمن أراد الله تعالى به الشقاوة والعياذ بالله تعالى لم يزل كذلك إلى أن يذهب نور إيمانه ويضمحل بالكلية فيموت كافرا نسأل الله السلامة والعافية ومن لم يرد به ذلك مات ناقص الإيمان أعاذنا الله تعالى من ذلك قال: ونتيجة رضاهم أربعة أمور وهي أضداد لهذه الأمور تحبه الدنيا كما يحب المؤمن الجنة ويحلوا كلامه بين الناس وتحن

عليه أولياء الله تعالى ولا يزال إيمانه يزيد شيئا فشيئا والله تعالى الموفق فانظر يا أخي هذه المفاسد الربعة التي في عقوق الوالدين والمحاسن الأربعة التي في بر الوالدين. التاسع عذر مخالطة المحجوبين ذوي الرئاسات فإن في اذت العبد المؤمن خيطا من نور يخرج من ثقبة في ذاته يتصل ذلك النور بعطية الحق سبحانه ويزيد بمخالطة أوليائه تعالى ويقل بعدمها ويخاف عليه من الانقطاع أصلا وانسداد الثقبة بمخالطة أرباب الرئاسات فإنهم برئاستهم وأموالهم وجاههم يستولون على ذاته فتكون تحت أسرهم وفي حكم قبضهم فلا يزال يصغي
إليهم بقلبه وقالبه ويبقى على ذلك المدة الطويلة ولا يقع الحق سبحانه في فكره ولا في خاطره فلا يزال كذلك مسترسلا في أغراضه وانقطاعه حتى تنسد الثقبة أصلا والعياذ بالله تعالى وهذه آفة حاصلة من ذوي الرئاسات نسأل الله تعالى السلامة. والعشرون التفريق بين الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين قال رضي الله تعالى عنه: ومعنا التفريق أن يحب بعضهم ويبغض بعضهم وما شا، الخوارج والروافض وإنما كان ذلك التفريق سببا في الانقطاع عن الله عز وجل لأن كل واحد منهم ورث خصلة من خصاله صلى
الله تعالى عليه وسلم فبغض ذلك الخليفة يسري إلى بغض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلذلك كان سببا في الانقطاع فقلت: فما الخصلة التي في أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال: خصلة الإيمان بالله تعالى فإن بالله عز وجل كان في النبي ﷺ على كيفية خاصة لو طرحت على أهل الأرض صحابة وغيرهم لذابوا وورث أبو بكر ﷺ من تلك الكيفية شيئا قليلا على قدر ما تطيقه ذاته ومع ذلك ام يكن في أمة النبي ﷺ من يطيق أبا بكر في ذلك ولا من يدانيه لا من الصحابة ولا من غيرهم من أهل الفتح

الكبير لأن النبي ﷺ بلغ في أسرار الألوهية وحقائق الربوبية ورقائق العرفان مبلغا لا يكيف ولا يطاق وكان يتكلم مع أبي بكر في البحور التي كان يخوضها عليه السلام فارتقى أبو بكر المرتقى المذكور ومع ذلك فكان النبي ﷺ في الثلاث سنين الأخيرة لا يتكلم معه في تلك الحقائق خيفة

عليه أن يذوب.

قال ﷺ:وأما الخصلة التي في عمر رضي الله تعالى عنه فهي خصلة النصيحة للمؤمنين والنظر له وإيثارهم علة نفسه وتدبير أمر جيوشهم وما يصلح أمر عامتهم وخاصتهم وهذه خصلة من خصاله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ورث عمر ﷺ منها القدر الذي تطيقه ذاته وأما الخصلة التيب في عثمان رضي الله تعالى عنه فهي خصلة الرأفة والرحمة والحنانة وصلة الرحم وهذه خصلة من خصاله عليه السلام وقد ورث منها عثمان ما تطيقه ذاته وأما الخصلة التي في علي كرم الله وجهه ورضي عنه فهي خصلة الشجاعة وهي إحدى خصاله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ورث منها رضي الله تعالى عنه ما تطيقه ذاته قال ﷺ: وكذا سائر الصحابه رضي اله عنهم كل واحد منهم ورث شيئا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبغض صحابي أي صحابي كان يوجب النقطاع عن الله عز وجل قال: ثم تفرقنا ولم نسمع منه بقية العدد السابق حتى مات رضي الله تعالى عنه قلت: قد ذكر القطب المكتوب والبرزخ المختوم سيدنا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن مُحَمَّد التجاني سقانا الله تعالى من بحره بأعظم الأواني أربع وعشرين خصلة تورث قساوة القلب وصاحب القلب القاسي منقطع عن الله تعالى

بلا شك قال رضي الله تعالى عنه: واعلم أرشدنا الله تعالى وإياك إلى سبيل هدايته أن قساوة القلب أعظم البلايا ولم يبتل الله تعالى قلبا بأشد منها بعد الكفر وأسباب القساوة محصورة فيما أذكره الآن فمن اجتنبها لان قلبه بعون الله تعالى ونهض إلى الفلاح وهي هذه الإضرار على أي ذنب كان وطول الأمل والعضب لغير الله عز وجل والحقد على المسلمين وحب الدنيا وحب الرياسة وفعل ما لا يعني من قول وعمل ولو قل وكثرت الضحك وكثرت المزاح والفرح بالحظوظ العاجلة والغم من أجل فقدها والغفلة عن ذكر الله تعالى عز وجل وعن التفكير في أمور الآخرة كأمر القبر وأمر الناس وسائر أنكالها وأغلالها وأمر الجنة وضروب نغيمها وسرورها من حورها وقصورها إلى غير ذلك فالغفلة عن هذا كله سبب في القساوة والخوض مع أهل اللهو واللعب فيما هم فيه من قول وعمل وسماع حديثهم ومجالستهم لغير ذرورة شرعية وصحبة السقهاء كالأحداث سنا وعقلا ودينا وأكل الحرام والمتشابه والشبع وكثرت شرب الماء وكثرت تناول الشهوات وكثرت النوم وكثرت تفكر القلب في غير ذكر الله عز وجل والرضا عن النفس باستحسان حالها فهذه أربع وعشرون خصلة نسأل الله تعالى أن يرزقنا اجتنابها وجميع ما

يحجب بيننا وبين ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا آمين ثم إنا نختم هذا الفصل بشيء من كلام الإبريز مما يناسب ما تقدم فنقول: ثم قال وسمعته ﷺ يحكي في استحضار الخالق سبحانه حال المعصية حكاية عجيبة عن سيدي عمر بن مُحَمَّد الهواري قال: قال سيدي عمر: جاء رجل مسرف على نفسه مرتكب المعاصي إلى الشيخ وأنا حاضر فقال له: سيدي كيف الخلاص وأنا مرتكب المعاصي مصر عليها لا أقدر على تركها فكيف الحيلة في الخلاص فقال له الشيخ: ويحك أتعصي ربك أترك عنك المعاصي ولا تعد إليها فقال: لا أقدر فقال الشيخ: ويحك تب إلى ربك

فقال: لا أقدر فتغافل عنه الشيخ وأقام عنده يوما أو يومين فلما أراد وداعه قال له: يا سيدي كيف الخلاص وأنا مرتكب المعاصي فقال له الشيخ: إذا أردت أن تعصي ربك فاستحضر ثلاثة أمور وافعل ما شئت فاستحضر المعصية وقبحها وما توصل إليه من غضب الرب واستحضر ذاتك ونفسك وخساستك وإعراضك عن ربك واستحضر ربك وسطوته وقهره وقدرته عليك متى أرادك ثم عفوه عنك وما أتبله عليك من جميل ستره فإذا استحضرت هذه الأمور كما ينبغي فافعل ما بدى لك قال: فذهب الرجل ثم بعد مدة لقيته فسلم علي فقال: أوما تعرفني؟ فقلت: من أنت؟ فقال: أنا
صاحب المعاصي وقد أخذ الله تعالى بيدي ببركة كلام الشيخ وذلك أني أردت المعصية فاستحضرت الأمور التي أوصاني بها فما قدرت عليها فكان ذلك سبب توبتي والله تعالى أعلم.
وقال: وسمعته ﷺ يقول: عندي أن الكبيرة ما فعلت في حالة انقطاع القلب عن الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر باطنا بل وإن تعلق العبد بذلك ظاهرا فإنه لا ينفعه وإنما كانت المعصية في هذه الحالة كبيرة لأنه في حالة الانقطاع يكون العبد واقعا في المعصية بقلبه وقالبه وبحبه وبليه وبيديه ورجليه وبكل ذاته فلا يزجره من قلبه زاجر ولا
يذكره من ربه ذاكر والصغيرة ما فعلت حال تعلق القلب بالرب سبحانه وبالأمور الموصلة إليه من رسله وملائكته وكتبه فإن العبد إذا وقع في المعصية حينئذ يقع فيهخا على غير نية مع شائبة بغض فيها لأجل الزاجر الذي في قلبه فهو في حال مواقعتها في حياء من ربه تعالى فقلت:
يشكل على هذا التفريق عده ﷺ الكبائر في الحديث مع إطلاقها ولم يقيدها بحالة الانقطاع عن

الله عز وجل وقال ﷺ في حديث الصحيحن: الكبائر الإشراك بالله تعالى والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس.

زاد البخاري: واليمين الخموس وزاد مسلم بدلها: وقول الزور. وفي حديثهما أيضا "اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المومنات الغافلات " فقال ﷺ هذه المعاصي لا تصدر من العبد إلا إذا كان منقطعا عن ربه عز وجل فإن معلق القلب بالرب سبحانه لا يشرك ولا يتعاطى سحرا ولا شيئا مما هو مذكور في هذين الحديثين ثم قال ﷺ: ألا ترى إلى فلان فإنه سيكون من أولياء الله تعالى وهو الآن محجوب من جملة
المحجوبين وقلبه متعلق بربه تعالى فما باله لا يستطيع أن يفعل شيئا من هذه المعاصي ويخاف منها خوفه من النار وإلى فلان فإنه ليس من المفتوح عليهم وقلبه منقطع عن الله عز وجل ومجرد ذكر اللسان لا ينفع وانظر إلى ما يرتكبه من القبائح نسأل الله السلامة بمنه وكرمه قال:
فمعاصي أهلب القطيعة لا تخشى ومعاصي أهل الوصلة لا تخفى.
وقال: وسمعته ﷺ يقول: إنما أسباب المعاش من حراثة وتجارة وغيرهما بمنزلة الكشاكيل التي في أيدي السعادة فإنه قد جرت عادة الرب سبحانه وتعالى أنه لا ينزل الرزق على العبد إنزالا بأن يعطيه الرزق في يده من غير حيلة بل يعطيك إياه حتى يسأله بكشكول من كشاكيل أسبابه فإذا مد له الكشكول وضع له ما يليق به ويصلحه وحينئذ فيجب على المتسبب أن ينزل سببه بهذه المنزلة فيكون نظره عند السبب إلى ربه عز وجل لا إلى المسبب كما أن الساعي المتكفف إنما ينظر إلى الناس الذين يعطونه ولا ينظر إلى كشكوله الذي في يده

وإذا كان نظره عند السبب إلى ربه عز وجل كان متعلقا حالة سببه بربه عزوجل فيكون سببه وصلة بينه وبين ربه تعالى فلا يعتمد على سببه بل على ربه وإذا كان اعتماده على ربه فلا يتعاطى إلا سببا أذن له ربه فيه وحينئذ فلا فرق عنده بين أن يكثر من الأسباب أو يقلل فإن المعطي سبحانه واحد وهو قادر على ان يعطيه في سبب واحد ما يعطيه لغيره في أسباب عديدة فليتق الله تعالى وليجمل في الطلب فهذه صفة أسباب المتعلقين بالله عز وجل وأما غيرهم فإنهم يقتلون أنفسهم حالة السبب بالخدمة ولا يرون سببا من الأسباب إلا تعاطوه سواء
كان مأذونا فيه أو غير مأذونا فيه ويعتقدون أن الرزق يكون على حسب حيلهم وسياستهم

الفاسدة فهؤلاء هم الذين يستحلون التدبير في أمور الدنيا والتعب فيها وركوب المشاق العظيمة في طلبها على طاعة الله عز وجل وعبادته لكمال انقطاعهم عنه سبحانه وتعالى. وسمعته ﷺ مرة أخرى يقول في هذا المعنى: إنما مثل الناس كمثل قوم ربطت في أوساطهم حبال ثم دلوا من شواهق جبال عالية حتى كانوا بين الأرض والسماء فتركوا معلقين في الهواء وطال ذلك من أمرهم فأما العقلاء منهم فإنهم لا يقر لهم قرار ولا تسكن أنفسهم إلى غير من
الأغيار بل نظهرهم مقسوم مرة ينظرون إلى الموضع الذي تسقط فيه أرجلهم وهل هو قريب أو بعيد وهل المكان رخو أو صلب وكيف تكون حالتهم إذا سقطوا على ذلك المكان وهذه أنظار تذيب الأكباد وتفتت الفؤاد ومرة ينظرون إلى الذي في يده الحبل المعلقون فيه هل أراد أن يطلقه من يده أم الوقت باق وهل بينهم وبينه مودة ورحمة فيحن عليهم إذا أطلقهم وينزلهم إلى المكان الذي يسقطون إليه برفق أو لا مودة ورحمة بينه وبينهم فلا يبالي كيف رماهم وحينئذ فيسعون في طلب مرضاته ولا يمكنهم ذلك بحيلة من الحبل إذ لا يمكنهم عمل من الأعمال

اللهم إلا أن يكون بخشوع القلب وخضوع اللسان ونظر العين إليه نظر الخائف منه المستعطف له ثم هو مختار إن شاء رحم وإن شاء عذب فتحترق قلوبهم من خوفه وعذابه، وأما غير العقلاء من أولئك المعلقين فإنهم لا ينظرون إلى المكان الذي يسقطون فيه ولا ينظرون إلى الذي بيده الحبل بل يغلب عليهم النسيان ويظنون أن الموضع الذي هم فيه حينئذ موضع إقامة فيشتغلون بأسباب الإقامة فيبنون فيه الدور والقصور ويتعاطون الحراثة والتجارة وهم في ذلك الهواء ولا شعور لهم بأمر الحبل فإذا قطع بهم وجدوا أنفسهم قد فرطوا في المكان الذي
يسقطون إليه حيث لم يشتغلوا بالنظر إليه ولا تعاطوا أسباب صلاحه ولو بالدعاء والتضرع ولا تأهبوا للوقوع فيه وفي الذي في يده الحبل فإنهم ما عرفوه فضلا عن أن يتضرعوا له ويطلبوا منه النجاة والسلامة. قال رضي الله تعالى عنه: هذه حالة الغافل عن الله تعالى وعن الآخرة والذاكر لهما فالحبل هو العمر وانقطاعه بالموت والمكان الذي يسقط فيه إما جنة وإما نار والذي في يده الحبل هو الله سبحانه وتعالى فالعارفون به في خوف دائم من هذين الأمرين فأثابهم الحق سبحانه بالراحة يوم اللقاء وأما الغافلون فعلى العكس من ذلك والله
تعالى أعلم اهـ. وقال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: إنما أرسل الله للعبادة رسله وأمرهم بالطاعة لخصلة واحدة وهو أن يعرفوه فيوحدوه ولا يشركوا به شيئا فمتى حصل هذا المقصود

من العبد كان عند الله محبوبا عزيزا وسيأتي في كلامه ﷺ أن الطاعات إنما هي فتح باب يدخل منه نور الحق على الذوات وأن النهي عن المعاصي إنما هو عبارة عن سد أبواب يدخل منها ظلام الباطل على ذات العاصي فمن كان مرتكبا للطاعات مجتنبا للمخالفات فقد فتح على نفسه أبواب نور الحق وسد عنها أبواب ظلام الباطل ومن ترك الطاعات وارتكب

المخالفات فقد فتح على نفسه أبواب ظلام الباطل وسد عنها أبواب نور الحق ومن أطاع وعصى وفعلهما معا فقد فتح على نفسه البابين معا فلينظر العبد في أي مقام هو وفي أي باب فتحه على نفسه قبل أن يندم حيث لا ينفعه الندم ولكن أكثر الناس يظنون أن القيام بالطاعات ظاهرا يكفي في فتح أبواب الحق كما أن فعل المخالفات في الظاهر يكفي في فتح أبواب الشر وليس كذلك بل لا بد أن يوافق الظاهر الباطن فإن الناس حينئذ أربعة أقسام: قسم ظاهره وباطنه مع الله عز وجل فظاهره مع الله تعالى بامتثال لأوامره وباطنه مع الله تعالى بزوال
الغفلة حال فعل الطاعة وحصول المراقبة والمشاهدة فهذا هو المحبوب عند الله عز وجل، وقسم والعياذ بالله ظاهره وباطنه مع غير الله تعالى فظاهره في المخالفات وباطنه مغمور بالغفلات فهذا هو المذموم، وقسم ظاهره مع الله تعالى وباطنه مع غير الله سبحانه وتعالى فظاهره في الطاعات وباطنه غافل وعلة هذا حيث لم ترده عبادته إلى ربه أنها أي عبادته صارت عادة له من جملة العادات فاستأنست ذاته بها فصارت بفعلها بحكم وازع الطبع لا بحكم وازع الشرع وقد تضاف إلى هذه العلة علة أخرى وهي أن يكون عند الناس معروفا بالعبادة والزهد
وحسن السيرة فيخاف من تقصيره في عبادته أن يسقط من أعين الناس فتراه يعبد ليله ونهاره حرصا على أن تزيد درجته عند الناس فهذا هو الذي لم تزده عبادته إلا بعدا من الله سبحانه وقد يجمع الله سبحانه بعض أهل هذا القسم مع واحد من أكابر أوليائه من أهل القسم الأول فيرى الولي علته فيريد أن يعالجه فيأمره بترك بعض ما هو عليه من ظاهر العبادة فيأبى عليه ذلك لاستحكام العلة فيهلك مع الهالكين.

قلت: كما وقع لصاحب أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه وذلك أنه أمر بعض من كان والله تعالى أعلم على هذه الحالة بترك صيام نفل فأبى عليه فقال أصحابه وإخوانه في الله تعالى: ويلك أتعصي قدوتك؟ فقال لهم أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله عز وجل، وقسم ظاهره

مع غير الله تعالى وباطنه مع الله تعالى فظاهره في المخالفات وباطنه في مراقبة الحق سبحانه فتراه يعصي وربه بين عينيه لا يغيب عن فكره فتكبر عليه معصيته ويراها واقعة عليه كالجبل فهو حزين كئيب دائما وهذا أفضل عند الله تعالى بدرجات من القسم الذي فوقه لأن مقصود الله تعالى من عبادة الذي هو الانكسار والوقوف بين يديه بالذلة والخضوع حصل لهذا دون الذي فوقه اهـ. والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الثالث والخمسون

في إعلامهم أنه يجب على كل مكلف يريد أن يخلص نفسه من سخط الله تعالى وغضبه وأن يفوز برضاه وأن يبادر إلى التوبة النصوح وأنها مقبولة قطعا إذا صحت باستكمال شروطها وآدابها فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: اعلم أن التوبة واجبة كتابا وسنة وإجماعا من كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور ولا يجوز تأخيرها، أما الكتاب فقوله تعالى: {وتوبوا إلى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون} وقوله تعالى: {إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا} وقوله تعالى: {وإني لغفار لمن تاب وآمن} الآية وقوله تعالى: {فإنه كان للاوابين غفورا} وقوله تعالى: {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات} وقوله تعالى: {وقابل التوب شديد العقاب} وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا

توبوا إلى الله توبة نصوحا} وغير ذلك من الآيات التي تدل على تدل أن التوبة والاستغفار واجب على من صدر منه شيء من المنهيات ومن عصى الله تعالى في شيئ ثم لم يتب منه عن قريب فهو ظالم قال الله تعالى: {ومن لم يتب فؤلئك هم الظالمون} وقال تعالى: {وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الان ولا الذي يموتون وهم كفار أولئك أحتدنا لهم عذابا أليما} سوى بين من يسوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكافرين وبين من مات على الكفر في نفي التوبة لمبالغة في عدم الاعتداد في تلك الحالة بها وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل: المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذيم يعملون السيئات المنافقون يضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار وحضور الموت أول أحوال الآخرة فكأنهم ماتوا بلا توبة على اليقين وأما من تاب قبل معاينة

ملك الموت ولو لم تبلغ الروح الحلقوم فتوربته مقبولة قال الله تعالى: {إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب} أي من زمن قريب فؤلئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله: {إنما التوبة على الله}

وأما السنة فقوله ﷺ:" إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر " رواه الترمذي وقوله ﷺ:" إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل مالم تطلع الشمس من مغربها"رواه مسلم والبسط عبادة عن قبول التوبة وقوله ﷺ:" يا أيها الناس توبوا إلى الله إني لأتوب إليه في اليوم مائة مرة " رواه مسلم وقوله ﷺ حاكيا عن الله تعالى:" يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم "

رواه مسلم وقوله ﷺ:" إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب منه تاب الله عليه " متفق عليه وقوله ﷺ:" لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فآيس منها فأتى شجرة فاضطع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح " رواه مسلم وقوله ﷺ:" إن العبد إذا أذنب فقال: رب أذنبت فاغفر لي قال ربه: علم عبدي أن له

ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال: رب أذنبت فاغفر لي فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي فليفعل ما شاء " متفق عليه وقوله ﷺ:" قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني وأنت لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة " رواه الترمذي وقوله ﷺ:" من لزم الاستغفار جعل الله

تعالى له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب" رواه أحمد وقوله ﷺ:" ما أصر من استغفر وإن عاد في الليل سبعين مرة" رواه الترمذي. وقوله ﷺ: "إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك هو الران الذي ذكره الله تعالى في قوله: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} " رواه أحمد وغيره.

وقوله ﷺ: "إن الشيطان قال: وعزتك يا ربي لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب عز وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني" رواه أحمد. وقوله ﷺ: "إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذا؟ فيقول: باستغفارك" رواه أحمد. وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" رواه ابن ماجه وغيره والأخبار في الباب أكثر من أن تحصى ولم نشترط أن نوردها كلها وفيما ذكرناه مقنع لكل عاقل متألم.

قال سعيد بن المسيب: نزل قوله تعالى: {فإنه كان للاوابين غفورا} في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: من ذكر خطيئة ألم بها أي داوم عليها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب. وقال: إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبليس: يا ليتني لم أوقعه في الذنب. وقال عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه: لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين محي عنه في أم الكتاب.

وأما الإجماع فقد اجتمعت الأمة على وجوبها فورا وحرمة تأخيرها وعلى أن الذنب الواحد يضاعف مرتين بتأخيرها قدر ساعتين وهكذا إلى العشرات والمئات والألوف نسأل الله تعالى سبحانه أن يرزقنا توبة نصوحا بفضله وكرمه وجوده، ثم إن التوبة عبارة عن معنى ينتظم من علم وحال وعزم، أما العلم فهو معرفة ضرر الذنوب وكونها حجابا بينه وبين محبوبه وأما الحال فالندم وهو تألم القلب إذا أبصر كونه محجوبا عن الحضرة الإلهية بإشراق نور استيلاء تلك المعرفة وأما العزم فثمرة تلك الحال وكثيرا ما يطلق على الندم وحده لكن العلم

كالمقدمة والترك كالثمرة، وقال سهل بن عبد الله: التوبة هي الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، وقال بعضهم: هي الندم على الماضي والترك في الحال والعزم أن لا يعود في المستقبل. وسئل أبو الحسن البوشنجي عن التوبة فقال: إذا ذكرت الذنب لا تجد له حلاوة في القلب. وروى جابر أن أعرابيا دخل مسجد النبي ﷺ فقال: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له سيدنا علي رضي الله عنه: إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكاذبين فقال: يا أمير المؤمنين ما التوبة؟ فقال: اسم يقع

على ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذاقة

النفس مرارة الطاعة كما إذاقتها حلاوة المعصية وإذابتها في الطاعة كما إذابتها في المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. وقال ابن منصور: التوبة محو البشرية بإثبات الألوهية وميل عما دون الله تعالى حتى يرجع إلى أصل العدم ويبقى الحق تعالى كما لم يزل، وقيل: التوبة إتلاف النفس وقتلها بترك الشهوات وقطعها عن الملاذ.

وقال الفارسي: التوبة محو البشرية بإثبات الألوهية قال الله تعالى: {فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم} وأما التوبة النصوح فقد اختلفوا في حقيقتها فقال عمر ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع، وقال الحسن: هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وعن السدى لا تصح إلا بنصيحة النفس ونصيحة المؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله.

وقال القرطبي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان والإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان. وقال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: التوبة النصوح الصدق فيها ترك ما منه تاب سرا وإعلانا قولا وفكرة وقال الواسطي: التوبة النصوح التي لا تبقي على صاحبها آثار المعصية سرا أو جهرا وقال: من كانت توبته نصوحا لم يبال كيف أصبح وكيف أمسى اهـ.

وقال في بغية السالك: اعلم جعلني الله تعالى وإياك ممن أسلم وجهه إلى الله تعالى ولم ير في الوجود إلا الله تعالى أن التوبة واجبة في الطريق وهي بدايته لأنها ولوج لأول الأبواب التي تسرع إلى طريق السالكين المسافرين إلى الله تعالى ونعني بالتوبة هنا توبة العامة التي فرضها الله تعالى على جميع أهل الإسلام في قوله تعالى: {وتوبوا إلى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون} وهي الرجوع من المعاصي إلى الطاعات قال تعالى: {ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون} سمعت أبي رضي الله تعالى عنه يقول: للتوبة ثلاث مراتب: توبة

في مقام الإسلام وهي الرجوع من المخالفات إلى الطاعة وتوبة في مقام الإيمان وهي الرجوع من الغفلة إلى استصحاب الذكر وتوبة في مقام الإحسان وهي الرجوع من الأوهام إلى الحقائق.

وأخرج مسلم والبخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تعالى تاب عليه".

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن العبد إذا أخطأ نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكره الله تعالى في قوله: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} " إلى غير ذلك من أدلة الكتاب والسنة المتضمنة الترغيب في التوبة وذلك أن العبد إذا هبت عليه نواسم الهداية واستيقظ من سنة الغفلة وأفاق من سكرة المعاصي أضاء في باطنه قبس من نور الإيمان فإن بصر به عيوب نفسه واطلع على عوراتها تحركت عنده
سلسلة الخوف من هول المطلع فلجأ إلى الله تعالى بخالص المتاب طالبا النجاة وراغبا في الإخلاص معترضا للقلوب وهذه التوبة على ثلاثة أقسام: توبة من تضييع الواجبات وتوبة من التلبس بالمحرمات وتوبة من تحمل الظلمات، أما ترك الواجبات فترك الصلاة والزكاة وغير ذلك مما أوجب الله تعالى القيام به على العبد فالتوبة في ذلك القيام بالواجب عليه حالا والعزم على القيام به مآلا وتلافي ما يجب عليه القضاء فيه من الفوائت بالقضاء مع الإمكان، وأما التلبس بالمحرمات كشرب الخمر والزنا والكذب وغير ذلك مما حرمه الله تعالى على
عباده فالتوبة في ذلك الإقلاع في الفور من غير توان والعزم على استصحاب الإقلاع أبدا، وأما تحمل الظلمات وهي عمارة الذمة بدم أو مال أو عرض ونحو ذلك فالتوبة من ذلك الإقلاع عن ذلك حالا والعزم على استصحاب الإقلاع وبذل الصدقات وهبة أجر ذلك للمظلوم والضراعة إلى الله تعالى في إرضاء الخصوم عنه وإقالة العثرة وللتوبة آداب وشروط أما شروطها فأربعة: الأول الإقلاع عن جميع الذنوب التي تلبس بها لأن الإقلاع يضاد الإقامة ولا توبة من ذنب لمقيم عليه وهو أكبر الكاذبين، الثاني الندم على ما فات وهو عمدة من عمد التوبة

قال ﷺ: "الندم توبة" والندم يضاد الإصرار ولا توبة من ذنب لمصر عليه وهو أعظم المستهزئين، الثالث العزم على أن لا يعود لشيء مما أقلع عنه وتاب منه لأن العزم ضد التردد ولا تصح توبة لا ثبات لعبدها وهو أسوأ المتلاعبين والعزم توطئة النفس على أن لا عودة للذنب البتة والنفس مهما أرخى لها زمامها مضت على أولها واسترسلت في شهواتها استرسال البهائم في مرعاها، الرابع القصد في التوبة معاملة الحي القيوم بتعظيمه وخوف عقابه لأن التوبة قد يكون الباعث غير ذلك من الأوهام التي ليست من معاملة الله عز وجل
في شيء وهذا الشرط هو قلب سائر الشروط وعليها مدارها، وأما آدابها فأربعة: الأول ترك

الأصحاب الذين ألفهم على التقصير وصحبهم على العصيان فيعرض عنهم ويقاطعهم وكذلك من يتوسم فيه الشر فهم شياطين الإنس الذين أمر الله تعالى بالتعوذ منهم وإن لم يدعوا للشر بأقوالهم فهم يدعون إليه بأحوالهم والطبع يسرق من الطبع وإلى هذا المعنى أشار بقوله صلى الله عليه وسلم: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"، الثاني مواصلة أهل الخير ومآلفتهم لا سيما الذين أقامهم الله تعالى هداية للخلق كالعلماء فهم وإن لم يدعوا إلى
الله تعالى بأقوالهم فهم يدعون إليه بأحوالهم وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: "الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من الجليس السوء"، الثالث اجتناب موضع الهوى واللهو والغفلة فإن النفس تنبعث بذلك إلى الشهوات وتسترسل في الغفلة كالسماع المستعمل الآن بالآلات المطربة ونحو ذلك ولا يخدعه في ذلك ما يجده من تحريك وهيجان طباعه فإن ذلك خدعة وشرك خفي لا مذاق فيه من طريق السالكين ولا نفحة له من سبيل العابدين، الرابع أن لا يذكر شيئا من لذاته التي خلت ولا يخطر بباله شيء من شهواته التي سلفت على وجه

الاستلذاذ فإن النفس تتحرك بذلك لما قد خرجت عنه التوبة وله أن يذكر ذلك ويتفكر فيه مقرونا بالوعيد عليه على وجه التخويف بالعقوبة ليسكن شره النفس وتعلم قدرها بما اقترفته ولا تسكن إلى الأمن بما هو عليه من وظائف التوبة اعلموا يا إخواني أن جميع المعاصي والسيئات لا يجر الإنسان إليها إلا حب الدنيا لأن حبها رأس كل خطيئة ثم اعلموا أن راحة الدنيا كما في التبر المسبوك في نصيحة الملوك أيام قلائل وأكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذي لا فناء له ولا نهاية
فعلى العاقل أن يصبر في هذه الأيام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء. نكتة لو كان للإنسان معشوقة وقيل له إن كنت في هذه الليلة تزورها فإنك لتعود تراها أبدا وإن صبرت عنها هذه الليلة سلمت لك ألف ليلة بلا تعب ولا نصب فإنه وإن كان عشقه لها عظيما وصبره عنها أليما يهون الصبر على البعد عنها ليلة واحدة لينال قربها ألف ليلة وهذه الدنيا ليست واحدة من ألف من مدة الآخرة بل ليست في شيء في جنب الآخرة ولا نسبة بينهما لأن الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك الوهم طولها ثم قال: وقد أفردنا في صفة الدنيا كتابا لكنا نقنع
الآن بما نورده من أحوال الدنيا وقد وصفنا حالها على عشرة أمثلة المثال الأول في سحر الدنيا قال رسول الله ﷺ:" احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت وأول سحرها أنها تريك أنها

ساكنة عندك مستقرة وإذا تأملتها خلتها ساكنة وهي هاربة نافرت عنك على الدوام وإنما تنسل على تدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا ومثل الدنيا كمثل الظل إلى رأيته حسبته رأيته ساكنا وهو يمر دائما وكذلك عمر الإنسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة فكذلك الدنيا تواعد وتهرب عنك وأنت غافل لا تخبر وذاهل لا تشعر المثال الثاني

أنها تظهر لك محبة لنعشقها وتريك أنها مساعدة وأنها لا تنتقل من عندك إلى غيرك ثم تعود عدوة لك على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خداعة للرجال حتى إذا عشقوها دعتهم إلى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم ورأى عيسى عليه السلام الدنيا في بعض مكاشفاته وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان لك من زوج فقالت لا يحصون لكثرتهم فقال: ماتوا عنك أو طلقوك فقالت: بل أنا قتلتهم فقال: وا عجبا لهؤلاء الحمقى الذين يشاهدون ما يسوؤهم من صنعك وهم فيك يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون الثالث ومن منخادعتها أنها تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي محنها وقبائحها في باطنها لتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس أحسن ثيابها وتتزين وتتجمل لتفتن الخلق من بعيد فإذا كشفوا أعضاءها أو خمارها أو ألقوا عنها إزارها ندموا على مجيئها لما شاهدوا من فضائحها وعاينوا من قبحها. وقد جاء في الخبر أن الدنيا يؤتى بها يوقم القيامة في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد فتحت فاها وكشرت عن أنيابها فإذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله من هذه القبيحة المشوهة فيقال لهم: هذه التي كنتم عليها تتحاسدون ولأجلها كنتم
تتحادقون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعوت أرحامكم وتغيرون بزخرفها ثم يؤمر بها إلى النار فتقول: إلهي أين أحبائي؟ فيؤمر بهم إلى النار معها المثال الرابع أن يحسب الإنسان كم كان في الأزل قبل أن توجد النيا وكم يكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التي بين الأزل والأبد وهي مدة حياته في الدنيا فيعلم أن مثال الدنيا كطريق المسافر أوله المهد وآخره اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وإن ل سنة كمنزلة ول شهر كفرسخ وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائما فيبقى لواحد من طريقه فرسخ ولآخر أقل ولآخر أكثر وهو قاعد ذاهل ساكن غافل كأنه مقيم لا يبرح وفاطن لا ينزح وقد اشتغل بتدبير أعمال لا يحتاج إليها بعد عشرين سنة وربما يحصل بعد عشرة أيام في التراب المثال الخامس: اعلم أن الدنيا وما يحتقب أهلها فيها بشهواتهم ولذاتهم من الفضائح التي يشاهدونها في الآخرة كمثل إنسان أكل فوق حاجته من

طعام حلو سمين إلى أن حان هظمه هاظت معدته فرأى فضيحة من خلال معدته ونتونة نفسه وكثرت برازه وحاجته فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيحته من هلاك معدته ولذلك كلما ألف الإنسان لذة الدنيا وتبين له ذلك كانت عاقبته أصعب وابتلي بذلك عند نزع روحه وخروجها من بدنه لأن من كانت له نعم كثيرة من ذهب وفضة وجوار وغلمان وكروم وبساتين كان ألم فراق روحه أصعب من ألم من ليس له إلا القليل فإن ذلك الألم والعذاب لا يزول بالموت بل يزيد لأن تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لا يموت المثال السادس اعلم ان أمور الدنيا أول ما تبدوا ويظنها الإنسان قريبة محصورة وإن شغلها لا يطول وربما كان من بعض أشغالها وأحوالها من يتسلسل من مائة أمر وينفق بضاعة العمر قال عيسى عليه السلام: طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا ولا يزال يشرب منه إلى أن يهلك ولا
يروى قال النبي ﷺ:" كما لا يمكن لداخل البحر أن لا يناله البلل لا يمكن من دخل في أمور الدنيا أن لا يتدنس المثال السابع مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعي إلى مائدة ومن عادة المضيف أن يزين داره للأضياف ثم يدعوا إليه قوم بعد قوم فوجا بعد فوج ويضع أضيافه طبقا من ذهب مملؤا بالجواهر ومبخرة من فضة فيها عود وبخور ليتطيبوا ويتبخروا وينالهم طيب رائحة ثم يغادرون الطبق والمبخرة بحالهما لما لكنهما ليدعوا لهما غيرهم كما دعاهم ومن كان عاقلا عارف برسم الدعوة منع نفسه من ذلك البخور والطيب وانطلق

ولم يطمع أن يتناول المبخرة والطبق وتركهما بطيب من قلبه وشكر صاحب البيت وانصرف راشدا ومن كان أحمق أبله يتوهم أن ذلك الطبق والمبخرة قد أعدا له وأنهم يريدون أن يهبوهما له فلما هم بالخروج أخذ الطبق والمبخرة فاستعادوهما منه فذاق صدره وتعب قلبه فطلب الإقالة إذ ظهر ذنبه فالدنيا كدار الضيافة ليتزودوا بها لطريقهم ولا يطمعوا بما في الدار المثال الثامن مثل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها واهتمامهم بأحولها ونسيان الآخرة وأهوالها كمثل قوم ركبوا في البحر فعدوا إلى جزيرة لأجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا إلى
الجزيرة والمنادي يناديهم لا تطيلوا المكث لئلا يفوت الوقت فلا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فإن المركب سائرة فمضوا وتفرقوا في الجزيرة وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وأسرعوا بالطهارة وعادوا إلى المركي فأصابوا الأماكن خالية وجلسوا في أطيب المواطن وأظهر الأماكن وأرفقها وأطيب مواضعها وأرفعها ومنهم قوم نظروا إلى عجائب تلك الجزيرة فوقفوا

يتنزهون في زهرها وثمارها ورياضها وأشجارها ويسمعون طيب ترنم أطيارها ويتعجبوم من حصباتها المتلونة وأحجارها فلما عادوا إلى المركب لم يجدوا موضعا ولا رأوا فيه
متسعا فقعدوا في اضيق المواضع وحملوا ما استصحبوه من تلك الأحجار على أعناقهم ولم يمض إلا يوم أو يومان حتى تغيرت ألوان تلك الأحجار واسودت وفاح منها أقبح رائحة فلم يجدوا محلا من الزحام ليلقوا أثقالها من أعناقهم فندموا على ما فعلوا من تلك الأحجار على أعناقهم إذ كانوا بتحصيلها اشتغلوا ومنهم قوم وقفوا مع عجائب تلك الجزيرة وتأخروا في الرجوع ولم يتفكروا حتى سار المركب فبعد عنهم وانقطعوا في أماكنهم وتخلفوا إذ لم يمضوا إلى المنادي ولم يسمعوا فمنهم من هلك من الجوع ومنهم من أكلته السباع فالقوم هم المتقدمون

المؤمنون والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار المشركون الذين استحبوا الدنيا على الآخرة وأما الجماعة المتوسطون فهم العصاة الذين حفظوا أصل الإيمان ولم يكفوا أيديهم عن الدنيا فمنهم من تمتع بغناه ونعمته ومنهم من تمتع مع فقره وحاجته إلى أن ثقلت أوزارهم وكثرت أوساخهم
المثال التاسع روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى سلم قال:" يا أبا هريرة تريد أن أريك الدنيا فقلت: نعم يا رسول الله فأخذ بيدي وانطلق حتى وقف على مزبلة فيها رؤوس من الآدميين ملقاة وبقايا عضام ناخرة وخرق بالية تمزقت
وتلوثت بنجاسات الآدميين فقال: يا أبا هريرة هذه رؤوس الناس التي تراها كانت مثل رؤوسكم مملوءة من الاجتهاد على جمع الدنيا وكانوا يرجون من الدنيا من طول الأعمار ما ترجونه وكانوا يجدون في جمع المال وعمارة الدنيا كما تجدون فاليوم نخرت عضامهم وتلاشت أجسامهم كما ترى وهذه الخرق كانت أثوابهم التي يتزيننون بها عند التجمل ووقت الرعوبة فاليوم قد ألقتها الرياح في النجاسات وهذه عضام دوابهم التي كانوا يطوفون عليها أقطار الأرض وهذه النجاسة كانت أطعمتهم اللذيذة التي كانوا يحتالون عليها في تحصيلها وينهبها بعضهم من بعض قد ألقوها هذه القبيحة التي لا يقربها أحد من نتنها فهذه جملة الدنيا كما تشهد وترى فمن أراد أن يبكي على الدنيا فليبك فإنها موضع البكاء قال أو هريرة ﷺ فبكى جماعة الحاضرين المثال العاشر كان في زمن عيسى بن مريم عليهما السلام ثلاثة سائرون في طريق واحد فوجدوا كنزا فقالوا: قد جعنا فليمض أحدنا يشتري لنا طعاما فمضى أحدهم ليأتيهم بطعام فقال: الصواب أن أجعل لهما في الطعام سما قاتلا ليأكلا منه فيموتا وأنفرد بالكنز دونهما ففعل ذلك وسم

الطعام واتفق الرجلان أنه إذا وصل إليهما بالطعام قتلاه وانفردا بالكنز دونه فلما وصل ومعه الطعام قتلاه ثم أكلا من الطعام فماتا فاستشأثر عيسى عليه السلام بذلك المكان فقال له الحيواريون: ما هؤلاء فقال: هذه الدنيا فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة وبقيت بعدهم ويل لمن طلب الدنيا من الدنيا ولأجل الإقبال على قبح الدنيا والإدبار عن المولى بارتكاب الذنوب والمعاصي بسببها حذر الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به جميع الإخوان من مخالفة أمر الله تعالى وأمرهم بالتقوى والمبادرة إلى التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بقوله في أول الرسائل: وأوصيكم وإياي بتقوى

الله تعالى وارتقاب المآخذة منه بالذنوب فإن لكل ذنب مصيبتين لا يخلوا عنهما واحدة في الدنيا وواحدة في الآخرة فمصيبة الآخرة واقعة قطعا إلا أن تقابل بالعفو منه سبحانه وتعالى ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا إلا أن يدفعها وارد إلهي بصدقة لمسكين أو صلة رحم أو تنفيس عن مدين بقضاء الدين عنه أو بعفوفه عنه إن كان وإلا فهي واقعة فالحذر الحذر من مخالفة أمر الله تعالى وإن وقعت مخالفة والعبد غير معصوم فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى وإن لم يكن ذلك عاجلا فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق تعالى

متعرض لغضبه إلا أن يمن عليه بعفوه ويستديم في قلبه أنه مستوحجب لهذا من الله تعالى ويستديم بذلك انكسار قلبه وانحطاط رتبته في نفسه دون تعزز فما دام العبد على هذا فهو على سبيل الخير وإياكم والعياذ بالله تعالى من لباس حلة الأمن من مكر الله تعالى عند مقاربة الذنوب باعتقاد العبد أنه أمن من مآخذة الله تعالى له في ذلك فإن من وقف هذا الموقف بين يدي الحق تعالى فهو دليل على أن يموت كافرا والعياذ بالله تعالى وفي جواهر المعاني من كلام سيدنا رضي الله تعالى عنه: الدليل على قبول التوبة أنه قطعي قوله تعالى: {

إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء} الآية وقوله تعالى: {إلا من تاب وآمن وعمل عمل صالحا} إلى {رحيما} وقوله تعالى: {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده} إلى غير هذا من الآيات الدالة على القبول أنه قطعي لأنه وعد التائب بالقبول ووعده لا يخلف عدد أهل الحق فإن قيل على مذهب الجمهور أن القبول القطعي المأخوذ من الوعد يمكن أن يكون في بعض الأفراد ولا يلزم منه العموم قلت: إن هذه الآيات المذكور عامة في جنس التأديب ولا دليل على خصوصها بفرد دون آخر وأيضا إن الكريم إذا وعد بالأمر لا بد من وفائه عند أهل الحق

بخلاف ما إذا أوعد فإنه من الكرم أن يتركه كله ولا يلزم عليه نقص بل من الكمال تخلف الوعيد دون الوعد والدليل من السنة قوله عليه الصلاة والسلام:" إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب منه تاب الله تعالى عليه " وفي التعبير بصيغة الماضي إشارة إلى تحقيق الوقوع لأن تلك حقيقة الماضي فإن قيل على مذهب الجمهور: لو كان القبول قطعيا لزم أن لا يعصي من تاب قلت: لا يلزم بل كل ذنب يجب عليه أن يتوب منه ولا يكون نقضا لتوبته في الأولى لقوله عليه الصلاة والسلام:" ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة " وقوله عليه
الصلاة والسلام:" التائب من الذنب كمن لا ذنب له " دليل على قبول توبته قطعا وإذا قدر الله تعالى عليه ذنبا لرجع إلى التوبة وفي قوله ﷺ:" ولو لم تذنبوا " الحديث إشارة على اعتنائه بعبده التائب ولذلك قال الله تعالى: {إن الله يحب التوابين} ولو لم يقبل الله تعالى توبتهم ما أحبهم ولا يلزم من قبول التوبة أن يقطع للتائب بالسعادة لأن ذلك أمر مغيب العاقبة وإنما نحن نتكلم عما يظهر من نصوص الكتاب والسنة وأيضا إن السعادة ليست متقفة على فعل الطاعة وترك المعاصي ولذلك قال ﷺ:" لن

يدخل أحدكم عمله الجنة " قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمته " وهذا دليل على أن دخول الجنة بمحض الفضل والنار بمحض العدل وإنما الفعل علامات في الظاهر على ما سبق وقد توافق نفس الأمر وقد تخالف لأن اللاحق لا يكون سببا في السابق كما قاله بعض المحققين وقد سئل رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كما في جواهر المعاني عن قوله تعالى: {ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما} فأجاب: من وقع في ذنب وجاء إليه صلى الله عليه
وسلم مستغفرا وتائبا لوجد الله تعالى غفورا رحيما والإتيان له ﷺ بعد موته كحياته وقبول التوبة والعمل من كل مؤمن مقطوع بهما إن صدر كل منهما على القانون الشرعي ظاهرا وباطنا وسلما من عوارض الإبطال وعوارض الإبطال منها ما يكون في ذات الفعل نفسه ومنها ما يكون خارجا عن ذات الفعل فالتي من ذات الفعل هو الرياء والتصنع لأجل غرض من الخلق جلبا أو دفعا والعجب هو شهود المنة وهذا الأخير هو لخاصة الخاصة فقط وعوارض الإبطال الخارجة عن الفعل كترك صلاة العصر حتى تغرب الشمس من غير عذر كالنسيان والنوم
وكقذف مؤمن محصن ورميه بالزنا وكأكله أجرة الأجير بعد وفاء عمله وكتعمده أكل الحرام ولم

يتب منه والردة والعياذ بالله تعالى وسب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما ذكر في الحديث أنه لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وكل ما كان من المحبطات في ذات الفعل تحبط العمل الذي وقعت فيه ولا تتعدى لغيره والمحبطات الخارجة عن الفعل هي التي تحبط كل عمل تقدمها.

وسئل رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كما في جواهر المعاني عن معنى قوله تعالى: {ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما} فأجاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه: وهنا معنى الآية أن من اقترف ذنبا كبيرا أو صغيرا ثم رجع إلى الله تعالى خائفا من عقوبة ذنبه وتضرع إلى الله تعالى وسأله المغفرة لذنبه الذي اقترفه وجد الله تعالى غفورا رحيما بحسب وعده الجميل ولم يخرج باستغفاره خائبا من المغفرة بشهادة قوله ﷺ: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر
لهم" يريد إظهار فضله سبحانه وتعالى على خلقه وفي الآية رجاء عظيم ووعد جزيل في أن من استغفر الله تعالى من ذنوبه وتضرع إليه صادقا غفر الله تعالى له أي ذنب كان وهذا المشهد فيه رجاء عظيم والناس غافلون عنه وفي هذه الآية طلب الاستغفار لا غير من غير توبة فإذا صدق الله تعالى بالتضرع إليه في طلب المغفرة وجد الله تعالى غفورا رحيما إن العبد إذا نظر في صحيفته يوم القيامة ما وجد فيها من الذنوب أنه سأل المغفرة من الله تعالى فيه غفر ولم يوضع في الميزان وما لم يستغفر الله تعالى فيه وضع في الميزان اهـ.
والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

الفصل الرابع والخمسون

في بعض كلامه ووصاياه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به ونذكرها في هذا الفصل تبركا بها والاستفادة منها واستمدادا من نفحاته الشريفة وبركاته المنيفة لعل الله تعالى يرزقنا حظا وافرا بجاهه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به وجاه جده ﷺ

فأقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: فما أوصى به كافة أصحابه وغيرهم ونص الوصية بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال ﷺ وصية لمن أراد نصيحة نفسه ونصيحة ربه الجارية على حد قوله ﷺ: "الدين النصيحة" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المؤمنين وخاصتهم" فأول ذلك تقوى الله الذي لا إله إلا هو الواقعة في الوصية لأولاده رضي الله تعالى عنهم وهو أنه قال لهم: يا بني أوصيكم بتقوى الله العظيم في الغيب والشهادة

وكلمة الحق في الرضا والغضب والعدل على الصديق والعدو والقصد في الغنى وفي الفقر ثم بعد ذلك الفزع إلى الله تعالى واللجوء إليه من ضغط كل لاحق من الأمور وتعلق القلب به سبحانه وتعالى على قدر مرتبة صاحبه والحياء منه تعالى الجاري على حد قوله ﷺ: "استحيوا من الله تعالى حق الحياء" قالوا: إنا نستحي والحمد لله قال: "ليس ذلك كذلك ولكن الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله تعالى حق الحياء" وهذا الحياء الذي خاطب به رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله تعالى عنهم هو حياء العامة وأما الحياء في حق الصديقين فهو إطراق الروح من هيبة الجلال كما قال بعض العارفين: أشتاقه فإذا بدا * أطرقت من إجلاله لا خيفة بل هيبة *** وصيانة لجماله وأصد عنه تجلدا *** وأروم طيف خياله فالموت في إدباره *** والعيش في إقباله وكما قال بعض العارفين رضي الله تعالى عنه: سبحان من لو سجدنا له بالعيون**

على شفا الشوك والمحمى من الإبر لم نبلغ العشر من معاشر نعمته ولا العشر ولا عشرا من العشر ثم أنشد بعدها أبياتا وغاب في وسط

الخلق وكان في موقف عرفات فسألت عنه فقيل لي: هو أبو عبيدة الخواص وله منذ أربعين سنة ما رفع طرفه إلى السماء حياء من الله تعالى وهذا هو الحياء من العارفين. ثم التقرب من الله تعالى بمحو العلائق وقطع العوائق وترك الملابسات والمساكنات والملاحظات لا لغرض ولا لتخيل على الله تعالى بل قياما بحق عظمته وجلاله وحبا لذاته لكن كل شخص في هذا على قدر مقامه ورتبته ومن ابتلي بشيء من مخالفة هذا الأمر فليرجع إلى الله تعالى بالضراعة والابتهال والاستغفار والانكسار والتذلل والاحتقار معترفا بين يدي الله تعالى بعجزه
وضعفه ثم الوقوف مع الله تعالى بلزوم الذل والمسكنة في مركز الافتقار والاضطرار وخوف القلب من مزعجات صفوته وفرقا من خفي مكره ولزوم الرضا والتسليم له سبحانه وتعالى لكل واقع في الوجود بلا انزعاج ولا اضطراب ولا طلب لزواله إلا ما كان من أفعال نفسه فليبادر إلى التوبة فيما وقع من خروج أفعاله عن الشرع فإنه لا يحل البقاء في ملابسته شرعا وأن يعلم أنه من حكم الله تعالى فلا عذر له في ترك التوبة وليعمل بعضا من أوقاته فيما يجري على يديه من النفع لعباد الله تعالى لا عموما بل خصوصا الأقرب فالأقرب من غير إفراط
ولا تفريط وليكن شديد الاهتمام بحقوق إخوانه في طريقته التي لا يمكنه التأخير عنها لكن ملازمة الواجب منها من غير أن يجعلها هجيراه فإن لكل عاقل أوقاتا يخلو فيها بربه لا يمكنه التأخير والاشتغال عنها وأوقاتا فيها يجالس إخوانه في الطريقة لله تعالى لتذكير أو تعليم أو استفادة من ما لم يكن عنده من العلم من غير إفراط ولا تفريط ثم يتحرى في خلوته مع الله تعالى الأوقات الفاضلة كوسط الليل بعد نوم الناس إلى طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح إلى صلاة الضحى وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء عاملا في ذلك بالتسديد والتقريب

في معرفة ما يقدر عليه ولا يوجب للنفس كسلا ولا ضجرا جاريا على حد قوله ﷺ:" إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة " وقوله ﷺ:" إن هذا الدين متين فتوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله تعالى فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى " الحديث وقوله ﷺ:" خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا " وليحذر كل الحذر من المجالس ومآخذ العلم التي تؤدي

إلى الدخول في مداخل

العامة وألأحوال المخزية فإن من تتبع ذلك لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة وليكن اهتمامه بالأخذ في خاصة نفسه ولا يجعل لإخوانه في منافعهم إن أهل لذلك إلا ما فضل عن أوقاته قال مالك رضي الله تعالى عنه وقد سئل عن طلب العلم فقال:حسن ولكن اعرف ما يلزمك من صباحك إلى مسائك فالزمه فإنه آكد على الشخص في خاصة نفسه من الأمور التي يطالبه الله تعالى بها ولا يسامحه في تركها ومن أعرض عن ذلك متعللا بطلب العلم فقد خسر الدنيا والآخرة والقول الحق في ذلك: ليس لك إلا الله سبحانه وتعالى فلال تشتغل عنه بغيره ولا تجعل لنفسك إلى سواه منتجعا ولا إلى الإعراض عن بابه تعطلا ولا عن الانحياش إليه في الشدائد والمضائق والكروب ملجأ ولا في الر خاء وتواتر النعم عن مراعاة شكره مصرفا وليكن الأمر في ذلك جاريا على قول أبي العباس المرسي: أوقات العبد أربعة لا خامس لها وهي إما أن تكون وقت نعمة فمقتضى الحق منك وجود الشكر وإما أن تكون في وقت شدة فمقتضى الحق منك وجود الصبر أو تكون في وقت معصية فمقتضى الحق منك وجود التوبة أو تكون في وقت طاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة وهذه الحدود التي ذكرها فيها استغراق أوقات العبد كلها وهي

المذكورة في قولهخ ﷺ:" من أعطي وشكر وابتلي فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ثم سكت ﷺ حتى قال بعض الجالسين ماذا له يا رسول الله قال: أولئك لهم الامن وهم مهتدون " أراد ﷺ الأمن من عذاب الله تعالى في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا وليكن في جميع ما ذكرناه خاصا لله تعالى لا يخالطه شيء منم غير الله تعالى وهذه الوصية لأصحاب الحجاب وأما من صفت له المعارف حتى رسخت قدمه فيها فهو مع ما يعيه وقته وحاله ومقامه وتجليه ليس عن نفسه اختيار ولا له مع غير الله تعالى قرار

واتلسلام وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم تسليما أهـ. ومما كتب به لكافة الفقراء ونصه قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بعد البسملة والصلاة والسلاة على رسول الله ﷺ: بعد حمد الله تعالى جل ثناؤه يصل الكتاب إلى كافة أحبابنا الفقراء كل واحد باسمه وعينه عموما من غير تخصيص السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من أحمد بن مُحَمَّد التجاني وبعد نسأل الله تعالى لكافاتكم وخاصتكم أن يفيض عليكم بحور العناية والمحبة منه والرضا منه سبحانه وتعالى على طبق ما منح من ذلك أكابر العارفين من عباده

وأهل الخصوصية حتى تكون عنده جميع مساويكم ممحوة غير مآخذين بها وجميع ذوبكم وآثار سهوكم مقابلة بالصفح والتجاوز منه غير مقابلين بها ونسأله سبحانه وتعالى أن يكتبكم جميعا في ديوان أهل السعادة الذي ما يكتب فيه إلا أكابر أوليائه وأهل خصوصيته بوجه لا يمكن فيه المحو ولا التبديل وأن يكحل بصائركم بالنور الذي رشه على الأرواح في الأزل وأن يواجهكم بفضله في الدنيا والآخرة وأن ينظر في جميعكم بعين رحمته الذي من نظر إليه بها صرف عنه جميع مكاره الدنيا والآخرة وهذا وليكن في علمكم أن جميع العباد في هذه الدار أغراض

لسهام مصائب الزمان إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول أو بحبيب يفجع بموته أو هلاك أو غير ذلك مما لا حد لجمله وتفصيله فمن نزل به منكم مثل هذا فالصبر الصبر لتجرع مرارتها فإنه لذلك نزل العباد في هذه الدار ومن ومن كبى به منكم جواده عن تحمل ثقلها وقاومة ما يطرؤ عليه من أعبائها فعليه بملازمة أحد الأمرين أو هما معا وهو أكمل الأول ملازمة يا لطيف ألفا خلف كل صلاة إن قدر وإلا فألفا في الصباحج وألفا في المسا فإنه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته والثاني مائة من الصلاة على النبي ﷺ بالفاح لما أغلق إلى

أخره ويهدي ثوابها للنبي ﷺ إن قدر مائة خلاف كل صلاة وإلا فمائة صباحا ومائة في الليل وينوي بهما ما أعني يا لطيف والصلاة على النبي ﷺ التي يهدي ثوابها له ﷺ أن ينقذه الله تعالى من جميع وحلته ويعجل خلاصه من كربته فإنه تسرع له الإغاثة بأسرع من طرفة عين وكذا من كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها أو كثرت عياله واشتد فقره واغلقت عليه أبواب أسباب المعاش فيفعل ما ذكرنا من أحد الأمرين أو هما معا فإنه يرى الفرج من الله تعالى عن قريب ومن دهاه خوف هلاك متوقع

نزوله به من خوف ظالم ولا يقدر على مقاومته أزو خوف من صاحب دين لا يجد نه عذرا ولا إمهالا ولا يجد من المال ما يؤديه له أو كلا الأمرين ومن كل مخوف فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين أو هما معا فإنه ينقشع عنه عن قريب وإن أسرع مع ذلك بصدقة قلت أو كثرت بنية دفع ما يتوقعه من الخوف أو بنية تعجيل الخلاص من ألمه وكربه كانت أجدر في أسرع الخلاص والفرج وتوصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة وإياكم ثم إياكم أن يهمل أحدكم حقوق إخوانه مما هو جلب مودة أو دفع مضرة أو إعانة على كربة فإن من ابتلي بتضييع حقوق الإخوان ابتلي

بتضييع حقوق الألوهية والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وصونوا قلوبكم إذا رأيتم أحدا فعل حقا يخالف هواكم أو هدم باطلا يخالف هواكم أن تبغضوه أو تؤذوه فإن ذلك معدود من الشرك عند الله تعالى فقد قال ﷺ:" الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا" وأقل ذلك ألأن تحب على باطل أو تبغض على حق أو كما قال ﷺ مما معناه هذا وكذا صونوا قلوبكم عمن فعل باطلا أو هدم حقا يطابق هواكم أن تحبوه أو تثنوا عليه فإنه أيضا معدود من الشرك عند الله تعالى فإن المؤمن يحب الحق

ويحب أهله ويحب أن يقام الحق ويعمل به ويبغض الباطل ويبغض أهله ويبغض أن يقام الباطل ويعمل به والسلام. استدراك ما ذكرنا من مراعاة حقوق الإخوان فليكن ذلك في غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بل بما تيسر وأمكن في الوقت إلا أن يكون في بعض العوارض يخاف من أخيه العداوة والقطيعة أو فساد القلب فليسرع لإخلاص قلبه فإن ذلك يستجلب الرضا من الله تعالى وأما ما ذكرنا من بغض أهل الباطل فليكن ذلك محله القلب فقط فإن خرج إلى جارحة من الجوارح أدى إلى منكر أعظم منه فترك إخراجه من القلب إلى الجوارح أولى وأسلم والسلام.

ومما كتب به إلى بعض الطلبة قال رضي الله تعالى عنه بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: وبعد فالذي أعظك به وأوصيك به عليك بالله عز وجل في سرك وعلانيتك بتصفية قلبك من مخالفة أمره والتعويل على الله تعالى بقلبك والرضا بحكمه في جميع أمورك والصبر لمجاري مقاديره في جميع أحوالك واستعن على جميع ذلك بالإكثار من ذكر الله تعالى على قدر الاستطاعة بحضور قلبك فهو معين لك على جميع ما أوصيك به وأكبر ذكر الله تعالى فائدة وأعظمه جدوى وعائدة هي الصلاة على رسول الله ﷺ

مع حضور القلب فإنها متكفلة بجميع مطلب الدنيا والآخرة دفعا وجلبا في كل شيء وإن من أكثر من استعمالها كان من أكبر أصفياء الله تعالى. والأمر الثاني مما أوصيك به ترك المحرمات المالية شرعا أكلا ولباسا ومسكنا فإن الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك سائر العبادات ومن ضيعه ضيع العبادة وإياك أن تقول أين تجده فإنه كثير الوجود في كل أرض وفي كل زمان لكن يوجد بالبحث عن توفية أمر الله تعالى ظاهرا وباطنا ومراعاة ضرورة الوقت إن لم يوجد الحلال الصريح وهذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق واتساع معرفة بالأحكام الشرعية

ومن كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال والأمر الذي لا بد منه بعد هذا وهو بداية جميع

الأمور ونهايتها هو تعلق القلب بالله تعالى والانحياش إليه والرجوع إليه وترك كل ما سواه عموما وخصوصا فإن قدر العبد على ارتحال القلب إلى الله تعالى بكل وجه وعلى كل حال بحركة القلب حسا فهو الغاية وإن لم يقدر فليلازم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثا أو سبعا ثم يمر به على قلبه في غير الصلوات ويحمل نفسه عليه يصير له ذلك حالا والدعاء هو هذا: اللهم عليك معولي وبك ملاذي وإليك التجائي وعليك توكلي وبك ثقتي وعلى حولك وقوتك اعتمادي وبجميع مجاري أحكامك رضائي وبإقراري بسريان قيوميتك في كل شيء وعدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوني اهـ. فإذا داوم عليه كاملا رأى من أحوال النفس ما لا يطابق هذا الدعاء وذكر نفسه بمعاني هذا الدعاء وصبر على حمل نفسه سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى برفض كل ما سواه وهذا باب كبير من العلم يعلمه من ذاق أدنى شيء من علم الرجال ويعلم قدره فلا تهمله وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة فإن العمر قصير والسفر طويل والعقبة كؤب والحمل ثقيل والحساب بين يدي الله تعالى شديد والعمل بأمر

الله تعالى هو المنجي من هذه الأمور قال الشيخ الصالح والصدر المبروز العارف بالله سيدي مُحَمَّد بن السماك رضي الله تعالى عنه: من أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى عليه برحمته وصرف وجوه الناس إليه ومن أعرض عن الله سبحانه وتعالى أعرض الله سبحانه وتعالى عنه جملة ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتا ما.

والحاصل عليك بالله تعالى برفض ما سواه وإذا ابتليت بمعاملة الناس ومخالطتهم فخالطهم وعاملهم لله تعالى فإن الله تعالى يحب الإحسان إلى خلقه وأكبر ما أحضك عليه هو كثرة الصلاة بحضور القلب على رسول الله ﷺ فهي الكنز الأعظم والذخر الأفخم اهـ. ومما كتب به إلى كافة الإخوان أينما كانوا ونصه قال رضي الله تعالى عنه بعد البسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد: فأوصيكم بما أوصى الله تعالى به قال سبحانه وتعالى: {ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله} وقال

سبحانه وتعالى: {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه}

وقال سبحانه وتعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} وقال سبحانه وتعالى: {ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا} إلى قوله: {ويعظم له أجرا}.

واعلموا أن التقوى قد صعب مرامها وتناءت بعدا عن تمد بيد أحد خطامها واحتكامها وكعت الهمم دونها فلا يصل بيد أحد أساسها واحتكامها إلا الفرد الشاذ النادر لما طبعت عليه القلوب والنفوس من الإدبار عن الله تعالى وعن أمره بكل وجه واعتبار ووحلها في رتع أحوال البشرية وحلالا مطمعا لها في الانفكاك عنه وهذا حال أهل العصر في كل بلد من كل ما على الأرض إلا الشاذ النادر الذي عصمه الله تعالى وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن وطما بحر المصائب والمحن وغرق الناس فيه كل الغرق وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها اكتنفته مصائب وفي هذا قيل: سيأتي على الناس زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن فلا ينفع فيها إلا دعاء كدعاء الغريق ولتكن ملازمتكم الأمر المنجي لما ذكرنا والمطفئ لأكثر نيرانه وهو كثرة الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وذكر لا إله إلا الله مجردة وذكر لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقول: حسبنا الله ونعم الوكيل فإنه بقدر الإكثار من هذه الأذكار تتناءى عن البعد كثرة المصائب والشرور الأوزار وبقدر تقليله منها يقل بعده عن المصائب والشرور وليكن لكل واحد منكم قدر من هذه
الأذكار على قدر الطاقة وعليكم بكثرة التضرع والابتهال لمن كان له كمال العز والجلال فإن الله تعالى رحيم بعباده ودود فإنه أكرم وأعظم فضلا من أن يتضرع إليه متضرع أحاطت به المصائب والأحزان ومد إليه يديه مستعطفا نواله راجيا كرمه وإفضاله أن يرده خائبا أو يعرض عنه برحمته 264